الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أدرار

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية

قسم: العلوم الإنسانية

العلاقات الاجتماعية والثقافية بين المغرب القديم وشعوب البحر الأبيض المتوسط

(من الألف الأولى قبل الميلاد إلى 431م)

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في التاريخ القديم

ج1

إعداد الطالبة:

وفاء بوغرارة

إشراف الأستاذ الدكتور:

الطاهر ذراع

	الاسم واللقب	الصفة	الرتبة	الجامعة الأصلية
1	أحمد الحمدي	رئيساً	أستاذ التعليم العالي	جامعة أدرار
2	الطاهر ذراع	مشرفاً ومقرراً	أستاذ التعليم العالي	جامعة أدرار
3	بلقاسم رحماني	عضواً مناقشاً	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2
4	عبد المالك بوعريوة	عضواً مناقشاً	أستاذ محاضر	جامعة أدرار
5	بومدين بن موفق	عضواً مناقشاً	أستاذ محاضر	جامعة الجزائر 2
6	محمد رشدي جراية	عظواً مناقشاً	أستاذ محاضر	جامعة الواد

السنة الجامعي:1438-1439هـ/2017-2018م

بسم الله الرحمان الرحيم

{يَأَيُهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمِ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُواْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} سورة الحجرات، الآية 13.

{وَما كَانَ النَّاسُ إلاّ أمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُواْ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} سورة يونس، الآية 19.

صدق الله العظيم.

الإهداء

الحمد لله الذي وفقنا لهذا ولم نكن لنصل إليه لولا فضل الله علينا.

أما بعد تعبيراً عن الامتنان والتقدير، ورمزاً للوفاء

والإخلاص، واعترافاً بالفضل والجميل،

أهدي هذا العمل المتواضع

إلى مثال الصبر والحنان ورمز العطاء والتضحية

إلى من كان دعائهما سر نجاحي

أمي وأبي

أطال الله عمرهما ومتعهما بالصحة والعافية.

إلى الزوج والحبيب الذي أجده دوماً بجانبي ورفقتي خطوة بخطوة، ساعدني طيلة مشوار الأطروحة في جمع المادة العلمية والكتابة والتصحيح إلى آخر لحظة لمضي العمل نحو الأمام بكل صبر واحتساب

حفظه الله.

إلى ابْنَتَي وقرة عيني ريتال وأنفال.

إلى أخي وأختي صلة رحمي وسندي في الحياة.

الباحثة

شكر وإمتنان

أحمد الله وأشكره أن وفقني في انجاز هذه الرسالة.

مادام شكر الناس من شكر الله فإني أتوجه أولا بالشكر الجزيل إلى الأب والأستاذ الفاضل الدكتور الطاهر ذراع – حفظه الله ورعاه– الذي شجعني على اقتحام هذا الموضوع، وكان له فضل التوجيه والرعاية والصبر ليظهر هذا العمل على الصورة التي هو عليها، فقد ساندني ورافقني دائما بتقديم النصح والدعم المعنوي والعلمي، فجزاه الله عني خير الجزاء.

وأتوجه بالدعاء إلى العلي القدير أن يتقبل برحمته الواسعة ومغفرته التامة أستاذي د. عبد الكريم بوصفصاف، وأن يسكنه فسيح جناته، ذاك الإنسان الذي تعجز الكلمات أن تفيه حقه، إنَّا للّه وإنَّا إليه راجعون.

كما أتقدم بالشكر والعرفان إلى جامعة أدرار متمثلة في جميع موظفيها وأعضاء الهيئة التدريسية والمسؤولين بكلياتها المختلفة وخاصةً كلية العلوم الانسانية، وقسم التاريخ، الذين أتاحوا لي الفرصة لإكمال دراستي. والشكر موصول إلى أعضاء لجنة المناقشة الذين تفضلوا بقبول عضوية لجنة المناقشة وتحملوا عناء قراءة البحث، فلهم مني جميعاً كل التقدير والاحترام.

ولا يفوتني أيضا أن أتقدم بالشكر إلى كل الأصدقاء والزملاء وفي مقدمتهم الأسرة التربوية في مؤسسة المنصورية وخاصة السيد المدير بوديف مزيان.

كما أشكر كل عمال المكتبات الذين قدموا لي أنفس الكتب وفي مقدمتهم عمال المكتبة المركزية بجامعة منتوري ومكتبة الجيش ومتحف سيرتا بقسنطينة، والمكتبة الوطنية بالجزائر، والمكتبة المركزية بجامعة الحاج لخضر بباتنة، ومكتبة عصام بإسطنبول، ومكتبة آل سعود بالدار البيضاء، إلى الجميع الشكر والتقدير.

الطالبة : وفاء بوغرارة

مقدمة

التعريف بالموضوع: كان للموقع الجغرافي لبلاد المغرب دوراً بارزاً في تاريخه، فانفتاحه على البحر الأبيض المتوسط أعطاه فرصة الاتصال بشعوب مختلفة مؤثراً ومتأثراً بأقدم الحضارات القديمة وأعرقها، وعلى ضوء ذلك ما لبثت أن قامت علاقات بين اللوبيين والمصريين والفينيقيين والإغريق والرومان، وقد كان لهذه العلاقات دور في توثيق الصلات الاجتماعية والثقافية بين بلاد المغرب وهذه الشعوب.

فأول ظاهرة يلمسها الباحث في تاريخ بلاد المغرب هي الامتزاج الواضح بين عدد من العناصر الحضارية في ذلك المجتمع، فإلى جانب التأثيرات المصرية وجد العنصر القرطاجي الفينيقي والعنصر اليوناني واللاتيني كل عنصر من هذه العناصر له مقوماته الحضارية. بهذا فالمجتمع المغربي في تلك الفترة كان مجتمعاً منفتحاً على ثقافات ولغات تلك الشعوب، له فاعلية في تاريخ منطقة البحر الأبيض المتوسط.

من هذا المنطلق تناولت هذه الدراسة موضوعا بعنوان العلاقات الاجتماعية والثقافية بين المغرب القديم وشعوب البحر الأبيض المتوسط (من الألف الأولى ق.م إلى نهاية الاحتلال الروماني 431م)، محاولة تتبع كل أشكال التواصل الاجتماعي: ظاهرة الهجرة والاستيطان وما يتبعها من تغيرات اجتماعية وثقافية ، الحياة اليومية، المرأة، المصاهرات وقابلية التعايش مع الآخر. وكذا الجوانب الثقافية: اللغة، الأعمال الأدبية والفكرية والعمرانية التي تراكمت وتفاعلت في هذه الرقعة الجغرافية التي يمتد عليها المغرب القديم.

وقد يلاحظ القارئ للوهلة الأولى طول الفترة الزمنية للدراسة، وهذا راجع إلى طبيعة الموضوع وقلة المصادر مما دفعنا في هذا العمل إلى تغطية الموضوع زمنياً ، وهي قد تثير بعض التحفظات، لكنها كانت مسانداً لموضوعنا في هذه المرحلة، وما هو إلا اضطرار منهجي دفعني إليه معايير الدراسة والبحث وتقاليدهما، ولهذا أقر مع نهاية هذا العمل أن الحديث عن الحياة الثقافية والاجتماعية يصعب أن يقتصر البحث على مساحة زمنية محددة كونه واقع يتأسس عبر سلسلة تراكمية من القيم ذات الجذور الإنسانية والتاريخية والاجتماعية التي تحتاج إلى مدة زمنية طويلة كفيلة بترك البصمات العلمية.

اعتمدت على البعد التاريخي الممتد من الألف الأولى ق.م مرورا بالفترة الفينيقية ثـم القرطاجية والإغريقية ثم الرومانية. صادف الألف الأولى قبل الميلاد أن شهد تاريخ بلاد المغرب أحداث وتغيرات أثرت فيه تأثيراً اجتماعياً وثقافياً مباشراً، حيث دخلت المنطقة كلها العصر التاريخي من أوسع أبوابه. وتمثلت تلك الأحداث في العناصر الآتية:

أولاً: دخول اللوبيين إلى مصر فيما عُرف بالهجرات السلمية، حتى تمكنوا من قيادة الجيش والإشراف على هيئة الكهنة. ومن ثم الوصول إلى سدة الحكم عن طريق شيشنق الأول سنة 950 ق.م.

ثانياً: وصول الفينيقيين إلى السواحل المغربية وتأسيس الدولة القرطاجية سنة 814 ق.م.

ثالثاً: مجيء الإغريق بقيادة باتوس الذي أشار عليه (موحى أبولو بدلفي) بالذهاب إلى لوبيا فأسسوا في منطقة برقة مدينتهم "قورينية" سنة 631 ق.م وأقاموا فيها حضارتهم الإغريقية المشهورة.

رابعاً: سقوط قرطاجة على يد الاحتلال الروماني سنة 146 ق.م وبداية التوسع الاستيطاني. هذه الأحداث البارزة والهامة الأربعة كان لها دورٌ كبيرٌ في نقل سكان بلاد المغرب إلى مرحلة تاريخية غاية في الأهمية، ورفعت المؤشر الحضاري عبر المراحل المختلفة. حيث صار الاحتكاك مع صنّاع الحضارة المصرية مباشراً، على عكس ما كان يحصل في السابق أيام الكر والفر والمناوشات الحربية. بينما نرى أن التأثير الاجتماعي والثقافي العميق، كان بسبب وجود الفينيقيين وتأسيسهم للحضارة القرطاجية التي تأثر بها سكان المنطقة إلى درجة الاندماج والانصهار، إضافة إلى المبادلات الحضارية مع الإغريق والرومان رغم التنافر الواضح بين الشعبين.

أهمية موضوع الدراسة: تكمن أهمية موضوع هذه الدراسة في أنه يتناول قضية العلاقات الاجتماعية والثقافية بشكلٍ عام في محتواها ككل وليس جزءاً منها، وما زاد أهمية الموضوع أنه اشتمل على العلاقات وتجاوزها إلى مجالات أخرى ذات أثر بارز في مسار البشرية، حيث تميزت منطقة المغرب القديم بالانفتاح على مختلف الحضارات واستقطاب روافدها الاجتماعية والثقافية المتنوعة، مما سمح للمغاربة المساهمة بنصيب وافر في حضارة حوض المتوسط.

حيث يتناول البحث بالتحليل والدراسة العلاقات الاجتماعية والثقافية، ومدى فاعلية الانسان المغربي فيها، وعلى شواهد التأثير والتأثر بين مختلف أنماط الثقافات التي سجلت حضورها في بلاد المغرب القديم، وما تميز به ابن المنطقة من حيوية وتفاعل إيجابي معها ناقلاً إليها من رصيده وأخذ منها المستجدات، دون ذوبان نهائي في هذه الحضارة أو تلك، سواء أكان في حالة سيادة على نفسه وبلده أم كان في حالة خضوع لقوة حكمته وفرضت عليه سلطانها وغمرته بثقافتها، كما كان شأنه مع روما.

ولعل صور المزاوجة الثقافية بين ما هو محلي موروث وما هو وافد قد استحق عن جدارة تسمية مركبة تعبر عن ذلك التلاحم الثقافي كما هو الحال في التعبير "لوبي ـ بوني"، الذي يطلق على مجموع الموروث الثقافي المركب من عناصر محلية (لوبية) وبونيقية (بونية) وافدة.

وبذلك كان للمغرب القديم نصيبه من الحضارة والثقافة عكس ما روجت له المدرسة الكولنيالية التي أسقطت السكان الأصليين من الدور الحضاري التاريخي. وقد حاولت دراسة الموضوع بالبحث والتنقيب من المصادر والمخلفات الأثرية لإثبات قدرة سكان المغرب على التواصل والاندماج ، وإبراز منجزاتهم الثقافية في مختلف الميادين.

دوافع اختيار الموضوع: تعددت أسباب ودوافع الخوض في هذا البحث أجملها فيما يلي:

1- أردتُ من خلال هذه الدراسة البحث عن التاريخ القديم لبلاد المغرب والتعرف على الكثير من جوانبه. ذلك لأن حضارات هامة في تاريخ البشرية القديم (الحضارة المصرية، الفينيقية، الإغريقية، الرومانية) قد كانت لها بصمات خالدة على صفحات التاريخ المغربي القديم وهذه البصمات تميزت في شكلها ومحتواها، لذا كان لزاماً عليَّ معرفة ذلك الشكل وذلك المحتوى، ومن هنا انطلقت فكرة موضوع الدراسة، وكانت سبباً في وجودها وإخراجها بهذه الكيفية.

2- لا تزال الجوانب الثقافية والاجتماعية تحتاج إلى مزيد من البحث خاصة وأن معظم الدراسات عن تاريخ المغرب القديم كانت منصبة عن الأحوال السياسية والاقتصادية أو الدفاعية.

3- نظرا لصعوبة وتشعب دراسة هذا الجانب وقلة المصادر والمراجع الملموسة أو عدم توفرها في

المكتبات فقد كان متروكا من قبل الكثيرين رغم أهميته والدور الذي يلعبه في التعرف على عناصر المجتمع واتجاهاته المختلفة وأنشطته البشرية وعلاقتها الخاصة والعامة وثقافته والتي تنعكس إيجابا أو سلبا على تقدم البلاد أو تأخرها. لذلك رأيت أن يكون موضوع هذه الدراسة متركزا على هذا الجانب رغم الصعوبات التي واجهتني في انجازها.

4- رغبتي في دراسة جوانب مهمة من التاريخ الثقافي للمغرب القديم، الذي أسهم فيه سكان المنطقة، لأنها أثرت بالمشاركة، بل كانت لها مبادرات مهمة شجعها عليها طبيعة التعامل وغزارة الإنتاج الفكري.

5- محاولة إبراز مميزات الشخصية والثقافة المغربية، لأن سكان المغرب القديم لهم ثقافتهم المطبوعة بالتركيب والتحليل، مما يساعدهم على فهم ما يرد عليهم من تيارات ثقافية مختلفة.

اشكالية البحث: عرفت بلاد المغرب القديم علاقات هامة مع المصريين والفينيقيين والإغريق والرومان الأمر الذي نتج عنه نشوء ثقافات مختلفة في البلاد إلى جانب الثقافة المحلية، حيث نقل هؤلاء المستوطنون أثناء إقامتهم ببلاد المغرب كل ما يتعلق بموروثهم الثقافي من أنظمة وقوانين، وعادات وتقاليد، ولغة ودين، إلى جانب العلاقات الاجتماعية، فالإشكالية المطروحة تكمن في التعرف على تلك الإفرازات التي أسستها علاقة المغاربة بهذه الشعوب في الموروث الاجتماعي والثقافي المحلي المغربي:

أما الاشكاليات الفرعية التي تناولتها في الأبواب فهي كالآتي:

1- كيف كانت طبيعة العلاقات بين سكان بلاد المغرب والمصريين القدماء من خلال المصادر المصرية؟ كيف تمكن اللوبيون من حكم مصر؟ وما انعكاسات ذلك على العلاقات الاجتماعية والثقافية؟

2- ما هي أسرار التوافق والتعايش بين اللوبيين والفينيقيين إلى درجة ظهور عنصر جديد "الليبو فينيقي" ؟ كيف كان التأثير الحضاري القرطاجي على سكان بلاد المغرب؟ وما أسباب الامتزاج الواضح بين الثقافتين اللوبية والفينيقية؟

3- أخذ اللوبيون عن الإغريق الكثير وأعطوهم الكثير كيف أثر ذلك على الحياة الاجتماعية والثقافية في بلاد المغرب ؟

4- أحدث الوجود الروماني تحولاً عميقاً في المجتمع المغربي ما هي أسبابه ؟ ما هي مظاهر الثقافة الرومانية ببلاد المغرب ومدى تفاعل سكانه مع هذا الوافد الجديد؟ هل ذابت ثقافتهم أم نمت وازدهرت ؟

المنهج المتبع في البحث: اعتمدت في هذا البحث منهج علمي لإنجاز الموضوع وإخراجه في شكله المطلوب حسب ما يأتي:

1-المنهج التاريخي: اعتمدت عليه عند معالجة سير الأحداث ووصف الوقائع والظواهر التاريخية والاجتماعية والثقافية التي عالجها البحث، وصفاً يمكنني من ترتيبها وتصنيفها حسب أهميتها وزمانها ومكانها، للوصول لمادة تاريخية مترابطة، تمكنني من إدراك حقائق التواصل الاجتماعي والثقافي قديماً في بلاد المغرب، ويأتي ذلك عن طريق الالتزام بالمنهج التاريخي وأدواته، والسعي لسبر غور الإشكالية المطروحة، والتحقق من فرضيتها، والإجابة عن تساؤلاتها.

2-المنهج التاريخي المقارن: استعملته في مقارنة الأحداث التاريخية أو المظاهر الاجتماعية والثقافية الجديدة الوافدة للمغرب القديم بما كان قبلها، واستخلاص أوجه الشبه والاختلاف بين التأثيرات المصرية والفينيقية والإغريقية والرومانية، ومقارنة النتائج العلمية التي استخلصتها من دراسة هذا الموضوع بالنتائج التي توصل إليها أشقاءنا في البلاد المغاربية أو كتابات المؤرخين الغربيين.

المصادر والمراجع: نظراً لطول الفترة الزمنية المدروسة فقد تنوعت مصادر ومراجع البحث، وقد حاولت العودة إلى مصادر كل فترة وإلى مصادر كل ميدان سواء في موضوع المجتمع أو الثقافة.

ومع كثرة المصادر والمراجع وتنوعها، فإنني سأكتفي هنا بنقد بعض المصادر التي اعتمدتها في انجاز هذا البحث.

أولا المصادر المادية: أهمها النقوش مثل: مدونة النقوش اللوبية للأب شابو (Recueil des Inscriptions Lybiques)، والمجموعة الكاملة للنقوش النوميدية (Collection

des Inscriptions Numidiques Compléte) للضابط الباحث فيدراب (Faidherbe).

إضافة إلى تقارير الحفريات حيث استفدت من المعلومات الأثرية الورقية المنشورة في كل من: المجلة الأفريقية (La Revue Africaine)، ومجلة جمعية قسنطينة (Receuil de Constantine)، والمجلة الأثرية (B.A.C).

إلى جانب هذا فقد استعنت بالأطلس الأثري للجزائر لستيفان غزال، والذي يعتبر مصدر مهم للباحثين في التاريخ المغربي القديم.

والملاحظ على المصادر المادية أنها قدمت لي الكثير من المعلومات العلمية المفيدة والتي أوضحت لي أن سكان المغرب القديم، كانت لهم لغة يتكلمونها وديانة يتعبدون بها.

ثانيا المصادر الكتابية: تتكون من:

أ)-**المصادر الدينية:** متمثلة في الكتاب المقدس المترجم عن اللغات الأصلية من نشر دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط بالقاهرة سنة 2004.

ب)-المصادر الكلاسيكية: أهمها النصوص الأدبية الإغريقية ويأتي في مقدمتها نصوص هيرودوتس في الكتاب الرابع من مؤلفه التاريخ حيث اطلعت عليه باللغة العربية من ترجمة: عبد الإله الملاح، وترجمة مصطفى أعشي باعتباره أقدم مصدر كتابي يتناول تاريخ لوبة واللوبيين، واعتمدت أيضا على النصوص الأدبية الرومانية: أهمها: كتاب سالوستيوس حرب يوغرطة.

إضافة إلى مجموعة من المصادر التي كتبها مؤلفون مغاربة مثل: كتاب التحولات لأبولي مادور (Apulee Madaure)، إلى جانب إشارات العديد من المجادلين ورجال الدين المسيحيين خاصة منهم ترتليانوس (Tertullianus).

ثالثا الكتب والدراسات: اعتمدت في دراسة موضوع العلاقات الاجتماعية والثقافية على مجموعة من الكتب والمؤلفات الخاصة بتاريخ المغرب القديم، ومن بين المؤلفات العربية: كتب محمد الصغير غانم والتي نشرتها دار الهدى بالجزائر فيما بين (2005-2013)، وتتناول التاريخ السياسي والعسكري والديني واللغوي في الدولة النوميدية ومن أهمها: المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، ونصوص بونية – ليبية مختارة من تاريخ الجزائر القديم، إضافة إلى

الكتابات القيمة والمتميزة لمحمد البشير شنيتي، وكتاب عبد اللطيف محمد البرغوثي، التاريخ الليبي القديم وكتاب مصطفى كمال عبد العليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، كتاب "الاحتلال الاستيطاني وسياسة الرومنة" تأليف شافية شارن وبلقاسم رحماني ومحمد الحبيب بشاري الذي اعتمدت عليه بشكل بارز خاصة فيما يتعلق بالتعليم في بلاد المغرب القديم، هذا فضلا عن كتابات كثيرة لعل أبرزها كتاب محمد العربي عقون، "الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم"، وكتاب " النقوش النوميدية في بلاد المغرب القديم " لمها العيساوي ورسالة الدكتوراه المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم لنفس الباحثة.

أما المراجع باللغة الأجنبية، فقد استفدت من مجموعة المؤرخ ستيفان غزال Stéphane (Gsell) التي تحمل عنوان: " التاريخ القديم لشمال أفريقيا " (Histoire Ancienne de l' Afrique du Nord) وقد تحصلت على هذه المجموعة مترجمة للغة العربية التي أفادتني كثيراً، وكتاب أوريك باتس (Oric Bates) مؤلفه: "الليبيون الشرقيون" (TheEastern Libyans)، ولقد صدر هذا الكتاب بلندن سنة 1914، ولذا اعتمدت عليه الدراسة كثيراً لا سيما في الباب الأول. وكتاب مارسال بن عبو(Marcel Benabou) "المقاومة البربرية لسياسة الرومنة"(La résistance Africaine à la Romanisation)، وكتاب يان لوبوهاك (Yann Le Bohec) تاريخ أفريقيا الرومانية (Histoire de L´Afrique Romaine).

كما اعتمدت أيضا على مجموعة متنوعة من المعاجم مثل القاموس الروماني ومعجم المصطلحات والشواهد الفلسفية لجلال الدين سعيد.

-**المواقع الإلكترونية:** في خضم التطور التقني الواسع وتوخي الباحث الحذر من المعلومات المنشورة عبر شبكة الانترنت، تجدر الإشارة إلى أنه لا غنى عن العودة إلى مواقع معينة تتمثل في : المكتبات الإلكترونية التي تحتفظ بآلاف الكتب والمجلات العلمية المحكمة المصورة على نظام (pdf) ومنها على سبيل المثال: مكتبة المصطفى

www.al-mostafa.com. ومنشورات تامنغاست www.tawalt.com .

خطة البحث: دفعتني إشكالية البحث إلى وضع خطة منهجية للموضوع، ولذلك فقد شملت هذه الدراسة أربعة أبواب تضمنت 12 فصلاً وأنهيت هذا العمل بخاتمة سجلت فيها النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة.

وقد حاولت في **الباب الأول:** الوقوف على الحضور التاريخي والثقافي للمجتمع المغربي القديم في المصادر المصرية وقسمته إلى ثلاثة فصول:

تعرضت في **الفصل الأول:** علاقة المجتمع اللوبي بالمصريين القدماء.

ودرست في **الفصل الثاني:** حكم الأسرتين اللوبيتين (22-23) في مصر القديمة وانعكاساتها على التواصل الاجتماعي والثقافي.

وعالجت في **الفصل الثالث:** التأثيرات الثقافية المتبادلة بين اللوبيين والمصريين.

أما **الباب الثاني:** عنونته على النحو الآتي: العلاقات الاجتماعية والثقافية الفينيقية –القرطاجية مع سكان بلاد المغرب، وقد احتوى على ثلاثة فصول.

تطرقت في **الفصل الأول:** الفينيقيون وصلاتهم بالمغرب.

أما **الفصل الثاني** فقد تضمن: التواصل الاجتماعي اللوبي – القرطاجي.

وعنونت **الفصل الثالث** كالآتي: جوانب من المبادلات الثقافية بين اللوبيين والقرطاجيين.

ثم انتقلت **للباب الثالث:** مظاهر الامتزاج الثقافي بين المجتمع اللوبي والإغريقي، وقسمته إلى ثلاثة فصول.

فكان **الفصل الأول** يحمل عنوان: الإغريق وصلاتهم بالمغرب القديم.

أما **الفصل الثاني** فقد تناول العلاقات الاجتماعية.

وأما **الفصل الثالث:** تعرض لجوانب من المبادلات الثقافية بين اللوبيين والإغريق.

ودرست في **الباب الرابع:** العلاقات مع الرومان

تناول **الفصل الأول**: صلات الرومان بالمغرب القديم.

أما **الفصل الثاني**: تناولت فيه أثر سياسة الرومنة على العلاقات الاجتماعية.

كما درست في **الفصل الثالث**: سياسة روما الثقافية وموقف السكان منها.

وهكذا يتضح للقارئ أني تتبعت تاريخ علاقات بلاد المغرب مع أهم الحضارات التي كان لها أثر بارز في الموروث الثقافي والاجتماعي للمنطقة، عبر فترات زمنية مختلفة ولكل فترة مصادرها ومراجعها.

صعوبات البحث: تجدر الإشارة إلى الصعوبات التي واجهتني في إنجاز هذا البحث، حيث أن موضوعه استدعى وقتا طويلا وجهدا مضنياً، خاصة أنه يتناول فترة زمنية طويلة، مع تناثر المعلومات التي تناولت الجوانب الثقافية خاصة.

الشكر والامتنان: يسر الباحثة أن تتوجه بجزيل الشكر والتقدير والامتنان إلى الأب والأستاذ الفاضل الدكتور الطاهر ذراع الذي قدم لي الدعم المتواصل وفتح لي مكتبته الخاصة للاستفادة منها، كما أشكر أعضاء لجنة المناقشة لتفضلهم بمناقشة هذا البحث ، والشكر موصول إلى جميع أساتذتي الكرام بجامعة أدرار.

وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

الباب الأول:

الحضور التاريخي والثقافي للمجتمع المغربي القديم في المصادر المصرية.

الفصل الأول: علاقة المجتمع اللوبي بالمصريين القدماء.

الفصل الثاني: حكم الأسرتين اللوبيتين (22–23) في مصر القديمة وانعكاساتها على التواصل الاجتماعي والثقافي.

الفصل الثالث: التأثيرات الثقافية المتبادلة بين اللوبيين والمصريين.

الفصل الأول:

علاقة المجتمع اللوبي بالمصريين القدماء.

المبحث الأول: إشارة للعلاقات اللوبية المصرية قبل الألف الأولى قبل الميلاد.

المبحث الثاني: المجموعات القبلية اللوبية خلال الألف الأولى قبل الميلاد.

المبحث الثالث: خصائص المجتمع اللوبي من خلال المصادر المصرية.

أشارت الأدلة التاريخية إلى وجود اتصال بين مصر وبلاد المغرب القديم[1]، وكان الاحتكاك الحضاري واضحاً بين المجتمعات المغربية ومجتمعات وادي النيل. وابتداء من عصر ما قبل الأسرات في مصر، أصبحت هناك شواهد أثرية ثابتة تساعد على التعرف على الجماعات اللوبية[2] ومدى اتصالها بسكان وادي النيل، حيث ذكرت المظاهر العامة لهاته القبائل المختلفة عرقياً ولغوياً عن السلالة المصرية، فأطلقت على كل مجموعة منها تسمية، وحددت طبيعة العلاقة التي تربطها ببعضها وبمصر القديمة وتميز معظمها بالعدائية، كما وصفت أفرادها من حيث أنظمة حكمهم ووضعية محاربيهم وأنشطتهم الاقتصادية وعاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية[3].

تواجه الباحث عند دراسة العلاقات اللوبية – المصرية صعوبات عديدة يأتي في مقدمتها أن المصادر المتوفرة عنها أحادية الجانب[4] سجلتها آثار مصرية، أما المصادر اللوبية فهي نادرة قبل

---

[1] إن اعتماد اسم ثابت لهذه المنطقة ولسكّانها أمر غير متيسّر، فقد تعاقبت عليها تسميات ليبيا والليبيين وأفريقيا والأفريقيين والمغرب والمغاربة، وفي الجغرافيا السياسية اعتُمدت تسمية أفريقيا الشمالية أو الشمال الأفريقي، كما اعتمد البعض تسمية بلاد البربر أو الأمازيغ، مع العلم أني اعتمدت في أغلب الأحيان كلمة بلاد المغرب، فالوحدة بين أقاليمه كانت قائمة بشكل عام في التاريخ القديم إذ خضعت معظم أقاليمه لمؤثرات قوية على يد الفينيقيين فالإغريق ثم الرومان.

[2] **ليبي أو لوبي**: مشتق من ليبيا أو لوبا وهو اسم عريق ضارب في القدم، ثار حوله الكثير من الجدل في محاولة لتتبع أصوله لغويا وجغرافيا ثم حضاريا، ويبدو أنه اشتق من الكلمة المصرية القديمة ريبو، وفي قراءة أخرى ليبو التي تقابل اللغة العبرية لوبيم وفي الإغريقية ليبوس وفي اللغة العربية ليبيا، وقد وجدت لها نصوص كثيرة في المعابد المصرية كمعبد الكرنك الذي يعود إلى فترة الملك مرنبتاح، وعهد رمسيس السادس من الأسرة الفرعونية العشرين.لقد شاع اسم القبائل التي كانت تقطن إلى الغرب من مصر تحت اسم الليبو، ثم انتقل الاسم إلى الفينيقيين، وورد الاسم أيضا في نقوش متعددة. وعن طريق الفينيقيين انتقل الاسم إلى الإغريق، وذكر في عدة مواضع من الإلياذة ولأوديسة لهوميروس.أما هيرودوت، فقد ذكر اسم ليبيا في عدة نصوص، غير أن الاسم كان يعني لديه قارة إفريقيا كلها، أما في العصر الروماني، فقد أخذ اسم ليبيا لكن مدلول الاسم تقلص في أواخر هذا العصر، وأصبح يشمل برقة فقط وجزءا صغيرا من الساحل الغربي لمصر. ينظر: محمد الصغير غانم، نصوص بونية ليبية مختارة من تاريخ الجزائر القديم د ط، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 148.

[3] مها العيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي، أطروحة لنيل دكتوراه دولة في التاريخ القديم، إشراف محمد الصغير غانم، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية 2011-2012،ص 84.

[4] **يمكن تقسيم تاريخ ليبيا منذ عصر ما قبل الأسرات في مصر وحتى نهاية العصر الروماني إلى فترتين رئيسيتين على أساس المصادر، التي نستمد منها معلوماتنا. وتسمى الفترة الأولى بالفترة المصرية لأن مصادر معلوماتنا عن تاريخ ليبيا تكاد تكون مقصورة على المصادر المصرية. وتسمى الثانية بالفترة اليونانية الرومانية، لأن أغلب مصادرنا عنها تكاد تكون يونانية أو رومانية. وتمتد الفترة الأولى منذ عصر ما قبل الأسرات حتى مجيء الإغريق إلى قورينائية في القرن السابع ق.م. وتمتد الفترة الثانية منذ هذا التاريخ وحتى الفتح العربي في القرن السابع الميلادي.ينظر:رجب عبد الحميد الأثرم، محاضرات في تاريخ ليبيا القديم،ط2، منشورات جامعة قاريونس،بنغازي، 1994، ص43.**

الاستعمار الإغريقي لبرقة[1] فـ"هيرودوت" أول من أشار إليها في كتابه الرابع حيث يعتبر كتاب "التواريخ لهيرودوت" من أقدم المصادر المكتوبة التي تتحدث عن شعوب البحر الأبيض المتوسط خلال القرن الخامس قبل الميلاد[2] .

ورغم أن المصادر المصرية كانت أحادية الطرح ودونت ما أراده المصريين عن جيرانهم اللوبيين، إلاّ أنّ مواضيع الوثائق المذكورة أكدت التفاعل القائم بين مصر كأرض خصبة أهلها استقرار سكانها لبناء دولة استكملت كل شروط قيامها، وبين قبائل أو اتحادات قبلية طبع حياتها الرعي أساسا، وهو النشاط الذي يعتمد على الحل والترحال لتتبع الكلأ وما ينتج عنه من نظام أساسه القبيلة وقوامه القطيع[3] .

لقد سجل المصريون هذه الوثائق على أساس تخليد حكامهم الذين ألهوهم، وهي تعتبر وثائق أثرية مادية أكثر منها وثائق تاريخية مكتوبة، ويشير إلى ذلك محمد الطاهر العدواني أن هناك رصيد هائل من الوثائق المصرية القديمة التي تتحدث عن اللوبيين، ولكن لا يمكن اعتبارها وثائق تاريخية بقدر ماهي وثائق أثرية في الواقع[4].

وقد حصرت الوثائق المصرية الأحداث التي ذَكَرَتْهَا في إطار الصد والرد لكل وافد يُرِيد استيطان وادي النيل[5] أو دلتاه، وهو الأمر الذي يوحي بانغلاق المصريين على العالم الخارجي[6]،

---

[1] هشام الصفدي، أضواء جديدة على تاريخ المغرب، مجلة الأصالة، العدد 14-15، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1973، ص101.

[2] هيرودوت، أحاديث هيرودوت عن الليبيين،تر:مصطفى أعشي،منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية،دط،الرباط،2009،ص 7.

[3] رجب عبد الحميد الأثرم، المرجع السابق، ص43.

[4] محمد الطاهر العدواني، الجزائر منذ نشأة الحضارة (عصور ما قبل التاريخ وفجر التاريخ)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 225.

[5] النيل: أطول أنهار العالم ب6700 كلم، يأخذ بداية منابعه من بحيرة فكتوريا(Victoria) ويتجه شمالا وبعد بحيرتي كيوغا (Kioga) وألبير (Albert)، يأخذ اسم النيل الأبيض بعد الخروج من منخفض مستنقعات السودان وفي الخرطوم يلتقي النيل الأزرق المتدفق من هضبة أثيوبيا، ثم يقطع بلاد النوبة ومصر ليخصبهما بفضل فيضاناتها الصيفية ليصل القاهرة أين تبدأ الدلتا حتى البحر المتوسط.(P. Larousse, Larousse illustré , Paris , 1977,pp.1561-1562.)

[6] لعل هذا الانغلاق يفسر الوعي بالسيادة والناتج عن قيام الدولة باكرا عند المصريين. ينظر، محمد الطاهر العدواني، المرجع السابق، ص219.

رغم أن المصريين أنفسهم وفدوا من الصحراء إلى النيل منذ وقت باكر، وكانوا صيادين رعاة فتحولوا باستقرارهم على ضفاف الوادي والدلتا إلى مزارعين[1].

ومع ما يمكن أن تشمله النصوص المصرية من تحيز فقد ، تحدثت عن العلاقات المصرية اللوبية.

المبحث الأول: إشارة للعلاقات اللوبية المصرية قبل الألف الأولى ق.م.

أولا– عوامل ظهور العلاقات اللوبية المصرية: تجدر الإشارة إلى عاملين مهمين كان لهما أثر في تكوين العلاقات اللوبية – المصرية وفي تقرير طابعها العدائي. وهما:

1)– الجفاف: الجفاف التدريجي المتزايد الذي أصاب بلاد المغرب القديم، منذ منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، حيث كانت صحراء بلاد المغرب تزخر بالحياة في عصر ما قبل التاريخ، ثم بدأت تتحول تدريجيا إلى ما هي عليه الآن نتيجة لحلول الجفاف الحاد المتزايد في مناخها، وبالتالي يمكننا أن نتصور أن اللوبيين بدأوا منذ ذلك العهد يهاجرون من منطقتهم باتجاه مصر في الشرق، لأن ذلك الاتجاه كان السبيل الوحيد الذي بقي مفتوحا أمامهم، إذ أنه لم يكن بوسعهم أن يتجهوا إلى الغرب بسبب وعورة جبال الأطلس من ناحية، وبسبب ضغط أقوام ما وراء البحر التي إستقرت لفترة في تلك المنطقة فيما بعد من ناحية أخرى. وطبيعي أن يكون زحف اللوبيين باتجاه مصر هربا بحياتهم من منطقتهم المنكوبة إلى المنطقة المجاورة طلبا للرزق والأمن[2].

2)– الاضطراب السكاني في أوروبا: الاضطراب السكاني الذي أصاب أواسط أوروبا في وقت لاحق وأسفر عن تدافع الشعوب الأوربية وقدوم موجات متتالية منها نزلت في الشمال الإفريقي ابتداء من الساحل التونسي شرقا حتى نهاية ساحل المغرب الأقصى على المحيط الأطلسي غربا. ولم تلبث إلا قليلا حتى بدأت تضغط على القبائل المغربية المجاورة لها من الشرق[3]، وطبيعي أن يكون زحف اللوبيين باتجاه مصر طلباً للرزق والأمن على حواف وادي النيل الخصيب. ومن هنا فإن المهاجرين اللوبيين لابد أن يكونوا نزلوا وادي النيل على شكل هجرات متتالية في عصر ما قبل

[1] علي عيسى، الليبيون من خلال المصادر الأثرية والتاريخية القديمة، قسم التاريخ جامعة الفاتح، طرابلس، د.س.ن، ص6.

[2] عبد اللطيف محمد برغوثي، التاريخ الليبي القديم (من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي)، دار صادر، بيروت، 1971، ص 50.

[3] عبد اللطيف محمد برغوثي، المرجع السابق، ص 49.

التاريخ وفي العصر التاريخي[1].

ثانياً– التواجد اللوبي في وادي النيل.

1)– مرحلة ما قبل الأسرات (3100–2686 ق.م): أشارت الأدلة التاريخية إلى وجود اتصال بين غرب الدلتا في العصر الحجري الحديث، وبين سكان الواحات وشمالي الصحراء في شرقي لوبيا، والاحتكاك الحضاري كان واضحاً بين مجتمعات لوبيا ومجتمعات وادي النيل، والاتصال القائم بين الواحة الخارجية والفيوم وسيوة، وكذلك الاتصال بين مصر ومناطق ساحل برقة، ويعد كهف (هوافتيح) في الجبل الأخضر دليلا على وجود المؤثرات المصرية بعد النصف الثاني من الألف الخامس ق.م[2]، فقد أكدت أبحاث الأستاذة "ك.تومسن" (Caton Thompson) وجود صلات حضارية في التقاليد الصناعية في هذا الموقع الأثري[3]، كما يشير "ج.ك.ريزيو" (Rizio.J.K) إلى أن المنطقتين اشتركتا في حضارة واحدة هي حضارة الصحراء الكبرى[4].

والمصادر المصرية العائدة لمرحلة قبيل الأسرات لم يكن يصاحبها نصوص كتابية هيروغليفية، ولذلك تعتبر مصادر شبه صامتة، يستنتج منها طابع الصراع والمصادمات بين الطرفين، وذلك اعتماداً على النقوش التي خلّفها بعض الفراعنة على جدران معابدهم ومدافنهم، والتي تظهر دائماً انتصار الفراعنة على اللوبيين[5] ومن أبكرها:

أ)– مقبض سكين جبل العركي: العائد إلى منتصف الألف الرابع ق.م[6]، وهو يمثل معركة برية–

---

[1] عبد اللطيف محمد برغوثي، المرجع السابق، ص 50.

[2] محمد بيومي مهران، المغرب القديم، ط1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990م، ص 90.

[3] رشيد الناضوري، تاريخ المغرب الكبير، (العصور القديمة أسسها التاريخية والحضارية والسياسية)، ج1، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص.ص 126–127.

[4] ريزيو (ج.ك)، الفن الإفريقي، عن:تاريخ افريقيا العام، المجلد الأول، جين أفريك/اليونسكو، 1980، ص ص 690–696.

[5] سيريل ألدريد، الحضارة المصرية(من عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية الدولة القديمة)، تر: مختار السويفي، ط03، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1996م، ص.ص 68–70.

[6] محمد الطاهر العدواني، الحروب والأسلحة في عصور ما قبل التاريخ وفجر التاريخ إلى الألف قبل الميلاد، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، 1985، ص 39.

بحرية، ويصور رجالا بصفات يعتبرها المؤرخون مميزة للوبيين القدامى، وتلك الصفات شبيهة بأزياء الأقوام اللوبية المعاصرة لها، والتي توجد رسومها على النقوش الصخرية بالطاسيلي[1].(**ينظر الشكل رقم:01**.)

الشكل رقم: 01: مقبض سكين جبل العركي

نقلا عن: رجب عبد الحميد الأثرم، المرجع الساب، ص 45.

[1] من تلك الصفات الريشتان على الرأس وارتداء جراب العورة والذيول التي تتدلى من قمصانهم القصيرة، كما تجدر الإشارة إلى أن صفات اللوبيين وأزيائهم قد تنوعت من خلال الآثار المصرية حسب الفترات والقبائل. ينظر: نفسه، ص.ص 39-40.

ب)– معركة الماء: فقد صور الفنان ثلاثة مراكب على الطراز المصري، ثم صور مركبين على طراز آخر مختلف ارتفعت فيه مقدمة المركب ومؤخرتها ارتفاعا كبيرا، ويفترض أن المركبين الغريبين من مراكب السواحل المصرية الشمالية الغربية القريبة من الحدود اللوبية، خاصة أن أحد الفريقين المتقابلين على البر تغلب عليه الهيئة اللوبية، بالاضافة إلى وجود صور لمراكب تشبه هذا الوصف على لوحة القربان التي عثر عليها في تاسيلي[1]. أما لوحة الصيد فتمثل رجالا يعتقد أنهم لوبيون اعتمادا على الصفات التي ميزتهم[2].

ج)– صلاية[3] التحنو: من أهم الشواهد الأثرية التي عثر عليها في أبيدوس وتعرف أيضاً بلوحة اللوبيين أو لوحة الحصون والغنائم[4]، تعد مصدراً مادياً قيماً لأنها أولى الشواهد التي تضمنت علامة هيروغليفية[5] تدل على التحنو[6]، وتعتبر هذه أول إشارة إلى اسم لوبيا واللوبيين، كانت قد اطلقت من قبل جيرانهم المصريين[7]، ، وعلى أحد وجهي اللوحة سبعة مستطيلات تمثل مدنا محصنة كانت جميعها تحارب معا في تحالف استطاع الملك أن ينتصر عليها. أما المنظر على الوجه الآخر فيتكون من أربعة صفوف أفقية: الثلاثة الأولى صور ثيران وحمير وخراف على الترتيب. وأما الصف الرابع ففيه أشجار الزيتون. وإلى يمين هذه الأشجار نقشت علامة التحنو. ومن الواضح أن الماشية والأغنام هي غنائم حرب، وشجر الزيتون رمز لزيت التحنو الثمين المشهور في مصـــــــــــــــر

---

[1] أحمد عبد الحليم دراز، مصر وليبيا فيما بين القرنين السابع والرابع ق.م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،1961،ص 29.

[2] سيريل ألدريد، المرجع السابق، ص 94.

[3] **صلاَّية:** جمعها صلاَّيات وتعرف أيضاً باللوحات الحجرية، وهي قطع من حجارة الديوريت الأسود كمثرية الشكل، سميت بهذه التسمية لأنها ذات طابع ديني. ينظر: Guy Rachet, Dictionnaire de la civilisation égyptienne, éd. Larousse, Paris, 2001, P 5.

[4] فوزي فهيم جاد الله، مسائل في مصادر التاريخ الليبي قبل هيرودوت، ليبيا في التاريخ، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي، 1968، ص.ص 53-55.

[5] سأتطرق لتعريف اللغة الهيروغليفية في الفصل الثالث.

[6] **تحنو:** أحد الأقوام اللوبية، وتعني في المصرية القديمة "البراق" أشارت إليهم الآثار المصرية منذ عهد الملك العقرب وحتى عصر الدولة الحديثة كقوم أو منطقة جغرافية، تقع بلاد تحنو في التخوم الغربية للدلتا، أو على حدودها مباشرة، وهم ذوو بشرة بيضاء، يتكلمون لغة بربرية وكانوا يختنون، ويحلون جباههم بخصلة من الشعر تشبه صورة الصل المقدس، ويعلقون في ملابسهم ذيولا ويرتدون قرابا يتميزون بها عن بقية اللوبيين. ينظر: محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص.ص 69-76.

[7] محمد الصغير غانم، النقوش الليبية في شمال إفريقيا " المصطلح والرموز الكتابية "، دار الشؤون الثقافية العامة، الجزائر، ص30.

القديمة[1].(**ينظر الشكل رقم:02**)

الشكل رقم:02، صلاية الحصون والغنائم(الوجه الأمامي والخلفي)

ينظر:موسوعة تاريخنا من عصور ما قبل التاريخ حتى القرن السابع قبل الميلاد، ج.1، دار التراث، ليبيا، 1977م، ص 150.

[1] رجب عبد الحميد الأثرم، المرجع السابق، ص 49.

د)– صلاية نعرمر:

عثر عليها في مدينة "هيراكونيولبيس"[1]، فعلى اسطوانة من العاج نقش اسم الملك "نعرمر" أول ملوك الأسرة الأولى 3400-3200ق.م، والتي تعرف بلوحة التوحيد، تقدم مشاهد لهذا الملك[2] يمسك بضفيرة أسير لوبي ويقوم بضربه، كما يزينها من الأعلى الإله حورس[3].

وقد أدى التشابه بين صور وأشكال أهل الدلتا والتحنو في هذه اللوحة إلى صعوبة التمييز بينهما[4].

مما دفع "آ.جاردنر"(Gardner.A) إلى التساؤل عن إمكانية أن ملوك ما قبل الأسرات في مصر السفلى أو في غرب الدلتا، لوبية الأصل حيث يقول: **" ولنفس هؤلاء الرؤساء الذين يضعون قضبانهم داخل غمد كذلك خصلة شعر غريبة صغيرة فوق مقدم رءوسهم تذكرنا بالصل (الكوبرا) على جبهة فرعون، أفمن الممكن أن يكون ملوك ما قبل الأسرات في مصر السفلى أو في غرب الدلتا من أصل لوبي فعلا، وأن حكام الأرضين المتحدتين فيما بعد ورثوا عنهم الذيل والصل وهما الوحدتان غير المتوقعتين إطلاقا في شعارات الملكية؟"**[5].

وهذا يحتاج إلى مزيد من البحوث الأثرية والأكاديمية من قبل الباحثين المتخصصين في هذا المجال.(**ينظر: الشكل رقم:03، ص 11**)

---

[1] **هيراكونيولبيس**: الكوم الأحمر شمال ادفو بصعيد مصر.

[2] دراز أحمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص 29.

[3] سيريل ألدريد، الحضارة المصرية، المرجع السابق، ص ص 87-88.

[4] يرى كل من "الن جاردنر" و"دريتون" بأنهم من أهل الدلتا، في حين يرى "ج.هـ. بريستد" أنهم لوبيون، للمزيد حول الموضوع ينظر: فوزي فهيم جاد الله، المرجع السابق، ص.ص 53.55.

[5] سير ألن جاردنر، مصر الفراعنة، د ط، تر: نجيب ميخائيل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973، ص 428.

(أ)

(ب)

الشكل رقم (53) :

(أ) :الواجهة الأمامية والخلفية لصلاية نعرمر

(ب) : صلاية نعرمر كما هي محفوظة في المتحف المصري.

نقلا عن: مها العيساوي، المرجع السابق، ص 87.

2)- عهد الدولة القديمة (2686-2181 ق.م): أصبحت الوثائق التاريخية أكثر تفصيلاً عن طريق ما تضمنته النصوص الهيروغليفية المصاحبة للنقوش، والتي تشير إلى اللوبيين في كلمة "لبو" بالهيروغليفية، على أن أقدم الأسماء التي عرفوا بها ليس فقط في النصوص المصرية وإنما عبر كافة سجلات التاريخ المصرية القديمة هي كلمة "تحنو" ثم كلمة "تمحو"[1]، وأهم تلك النصوص مايلي:

أ)- نصوص الأسرة الرابعة (2600-2450 ق.م): يظهر في "حجر بالرمو"[2] نص سجل فيه الملك "سنفرو" (**2613-2589 ق.م**) انتصاره في حملة قادها لحرب التحنو[3].

ب)- نصوص الأسرة الخامسة (2563-2423 ق.م): أمدتنا الأسرة الخامسة بمواقع أثرية وفيرة عن التحنو. فقد سجلت جدران معابد الملكين "ني أوسر" و"ساحور رع" ثاني ملوك الأسرة الخامسة أخبار تجدد الحرب بين الطرفين، فهي تظهر كثرة الغنائم من المواشي وصور لبعض أسرى التحنو. وتكتسب هذه النقوش أهمية خاصة، لأنها تظهر بوضوح ملامح التحنو وملابسهم القومية[4].

أما قبيلة التمحو[5] اللوبية، فلم يكونوا فرعا من التحنو، بل كانوا جماعة عرقية جديدة، وردت الإشارة إليهم فيما يلي:

---

[1] مها العيساوي، المرجع السابق، ص 88.

[2] **حجر بالرمو**: عبارة عن لوحة من حجر البازلت وهو مهشم إلى أجزاء كثيرة، يوجد الجزء الأكبر منه في متحف باليرمو بجزيرة صقلية، وقد نقشت عليه قائمة بتاريخ الأسرات الخمس الأولى وملوك الوجهين القبلي والبحري قبل توحيدها. ينظر سيريل ألدريد، المرجع السابق، ص101.

[3] محمد بيومي مهران، دراسات في تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000، ص70.

[4] تظهر هذه الصور أن التحنو ذوو قامة طويلة، وبشرة سمراء، وشعر أسود طويل حتى الكتفين، وتنتصب فوق الجبهة خصلة من شعر، وللرجال لحية قصيرة. وتتألف ملابسهم من شريطين عريضين من الجلد يتقاطعان على الصدر مزخرفين بأشكال دقيقة، ويتدلى طرفاه على الظهر، وطوق عريض حول الرقبة تتدلى منه بعض الأشرطة، وحزام مزين بخطوط أفقية على جانبه غمد جلدي ينتهي من الأمام بكيس يستر العورة، ويتحلى الرجل بذيل حيوان. وسكن التحنو الواحات المنتشرة بالصحراء الغربية بما فيها واحة سيوة التي كانت بعيدة عن النفوذ المصري. وشمل إقليمهم الفيوم ووادي النطرون وهضبة مارماريكا. ينظر: رجب عبد الحميد الأثرم، المرجع السابق، ص 52.

[5] **التمحو**: هي قبائل لوبية استوطنت الواحات الغربية المصرية، وقد تميزوا ببياض البشرة والشعر الأشقر والعيون الزرقاء، توافدوا إلى مصر مصر رفقة عائلاتهم إما للاستقرار أو للتجارة، ومن المرجح أن هؤلاء التمحو ربما كانوا أجداد اللوبيين الذين عرفهم الإغريق في برقة.

ج)– رسومات مقابر أهرام الجيزة: يبدو أن للتمحو علاقات يغلب عليها الطابع الودي مع المصريين، ويحتمل أن يكون ذلك بالمصاهرة[1]، فالملك "خوفو" من الأسرة الرابعة، قد اتخذ له زوجة من قبيلة التمحو وهي كانت أُمًّا لأحد فروع العائلة المالكة المصرية، نرى من رسومها على جدران بعض المقابر في منطقة أهرام الجيزة اختلاف ملابس نسائها، فقد صُورت الملكة (مرسي–غنخ الثالثة) إحدى بنات الملك"خوفو" في مقبرتها بالجيزة ببشرة بيضاء وشعر أشقر[2]، وترتدي زيا يشبه أزياء قبيلة التمحو[3].

د)– نصوص الأسرة السادسة (2625–2465 ق.م): يظهر من خلال شواهد هذه الأسرة أنّ الصراع والحرب ليس السمة الوحيدة لعلاقات الطرفين، فقد ميزها الاتصال المستمر والتعايش، وذلك من خلال إشارة "أوني" – حاكم الجنوب في عهد الملك "بيبي الأول"–، للجيش الذي قاده لمحاربة بدو آسيا كان ضمنه جنود من قبيلة التمحو، وهو ما يسمح باستنتاج استعانة "بيبي الأول" بالتمحو كمرتزقة في الجيش المصري[4].

هـ)– نقوش مقبرة "حرخوف"[5]: ومن الآثار الدالة على الاتصال بين التمحو والمصريين نقوش مقبرة "حرخوف" في الفنتين[6] (قرب أسوان)، فقد ذكر فيها أنه قام برحلات إلى النوبة، وفي أثناء

ينظر: جيهان ديزانج، البربر الأصليون، تاريخ إفريقيا العام، مج02:حضارات إفريقيا القديمة، جين أفريك، اليونسكو، 1985، ص439.

[1] عصفور محمد أبو المحاسن، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم (من أقدم العصور إلى مجيء الإسكندر)، دار النهضة العربية، بيروت، دت، ص110.

[2] يمكن أن تكون هاته المواصفات الشكلية بياض البشرة والشعر الأشقر والعيون الزرقاء هي سبب إقبال ملوك مصر على الزواج من نساء قبيلة التمحو لتحسين النسل.

[3] نخبة من العلماء، تاريخ الحضارة المصرية (العصر الفرعوني)، ج1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د ت، ص607.

[4] محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص70.

[5] **حرخوف:** كان من أعظم حكام جزيرة الفنتاين بأسوان، يوجد قبره على الضفة الغربية من الجندل الأول، كان حاكم وقائد القوافل بالجنوب، وقد قام بناء على أوامر الملك بعدة رحلات توغل خلالها إلى دواخل إفريقا. ينظر: سيريل ألدريد، المرجع السابق، ص 213.

[6] Fréderic Colin , Les Lybiens en Egypte (Xve siècle A.C-II siècle A.C- Onomastique et Histoire), V.I, Thèse de Doctorat publée par le site web de la Faculté de Philosophie et lettres de l'Université de Bruxelle, 1996, P 11.

رحلته الثالثة، صادف نزاعاً بين قبائل "يام[1] النوبية وقبائل "التمحو" اللوبية، الذين كانوا ينتشرون في طريق الواحات غرب النيل، فلحق بملك يام وعمل على تهدئته، وإصلاح ما بين اقبيلتين، ويمكن أن يستدل من هذه الرواية وجود علاقات ودية بين التمحو وملوك مصر[2].

3) **في عهد الدولة الوسطى(2060–1785 ق.م)**: أما الدولة الوسطى فنظراً للاضطراب السياسي والاجتماعي الذي ساد مصر فإنَّ الوثائق التي تتحدث عن اللوبيين قليلة وغامضة وبالرغم من ذلك يستشف منها أن تأمين الحدود الغربية لمصر وصد هجمات اللوبيين قد حظيت بالأولوية عند ملوك الأسرتين الثانية عشر والثالثة عشر، من أهم تلك الوثائق قصة "سنوحي"[3] التي تعود إلى فترة حكم "أمنحوتب الأول"(1994-1963 ق.م)[4].

وهي قصة شعبية شهيرة من أقدم قصص المغامرات والملاحم في الأدب المصري القديم، وتعد نصوصها أول المصادر المكتوبة التي كان للوبيين فيها دور بارز في بداية أحداثها[5]، إذ تذكر القصة أن ذلك الملك في أواخر عهده أرسل ابنه "سنوسرت الأول" (1974-1924ق.م) في حملة للإغارة على التحنو، وعاد منها منتصراً، حيث أسر عدداً من اللوبيين، وغنم عددا كثيراً من المواشي[6].

وقد انتهج ملوك الدولة الوسطى سياسة حماية مصر خارجياً وتأمين حدودها، ولا يستبعد أن يكون من أهداف تلك السياسة كذلك تأمين طرق المواصلات الممتدة إلى الواحات الغربية،

---

[1] **بلاد يام**: لقد اختلفت آراء المؤرخين حول تحديد موقع "يام" وتشير تلك الاختلافات جميعها إلى إمكانية وقوع بلاد يام غربي النوبة السفلى وطبقا لنص "حرخوف" فان بلاد التمحو تقع غرب بلاد يام .ينظر دراز عبد الحليم ، المرجع السابق، ص38. وللمزيد ينظر: ألن جاردنر، المرجع السابق، ص ص19-34.

[2] أم الخير العقون، العلاقات الحضارية والسياسية بين مصر وشمال إفريقيا (منذ أقدم العصور حتى نهاية الألف الثاني قبل الميلاد)، رسالة ماجستير في التاريخ القديم نوقشت بجامعة الإسكندرية، 1988، ص 161.

[3] سنوحي: أحد قادة أمنحوتب الأول (الأسرة الثانية عشرة). ينظر: المرجع نفسه، ص161.

[4] محمد الطاهر العدواني، الحروب والأسلحة ، المرجع السابق، ص45.

[5] مها العيساوي، المرجع السابق، ص ص 90-91.

[6] أم الخير عقون، دولة الأمازيغ في مصر الفرعونية 950 ق.م- 715ق.م، دار القدس، وهران، 2015، ص 116.

والتي تمر بها القوافل التجارية ورسل الملك[1]، لذلك نرى لقباً جديداً يظهر في الدولة في هذه الفترة، هو **"مراقب الصحراء الغربية"**[2].

يتضح مما سبق أن صلات الطرفين طغى عليها في عهد الدولة الوسطى طابع العداء، كما عرفت هذه الفترة تبني فراعنة مصر سياسة دفاعية جديدة، ببناء الحصون إلى جانب الحملات التأديبية، وهذا يعني أن المصريين تحوّلوا من مدافعين عن واديهم إلى مغيرين على جيرانهم، لذلك عرفت العلاقات بين الطرفين نوع من الهدوء.

في عهد الملكة "حتشبوست"[3] وتحتمس الثالث، امتنع اللوبيون على القيام بأي هجوم يذكر منذ حروب "سنوسرت" الأول، بل كانوا يدفعون الجزية، ويأتون بين الحين والآخر محمّلين بالعاج وجلود الفهود إعراباً عن الولاء. وقد ذكرت الوثائق المصرية العديد من الهدايا على هيئة ضريبة أو جزية، كانت تصل إلى الملكة "حتشبوست" (1504-1450 ق.م)، وأخيها وزوجها وشريكها في الحكم "تحتمس الثالث" (1504-1450 ق.م)[4].

إلى جانب التواصل التجاري حيث كانت تأتي من لوبيا إلى المعابد والمدافن المصرية أجود أنواع الشحوم والزيوت النباتية والحيوانية التي تدخل في صناعة العطور، وقد اشتهرت تلك الزيوت في الوثائق المصرية بالعديد من الأسماء مثل (عج تحنو عنو) للشحوم الحيوانية و(تحنو عش) للزيوت النباتية خصوصاً من أشجار الصنوبر والسرو[5] المتوفرة في بلاد المغرب. كما توقفت الغارات المصرية المصرية على الحدود اللوبية في عهد "تحتمس الثالث".

وفي صور من عهد "أمنحوتب الرابع" (1352-1338ق.م) ظهر اللوبيون ضمـــــــن

---

[1] أحمد أمين سليم، في تاريخ الشرق الأدنى القديم (مصر-سوريا القديمة)، دار النهضة العربية، بيروت، 1989، ص 113.

[2] محمد بيومي مهران، دراسات في تاريخ مصر والشرق، ص102.

[3] **حتشبسوت:** سيدة النساء الشريفات كان هذا معنى اسمها باللغة المصرية القديمة، ابنة تحتمس الأول، كانت وصية على تحتمس الثالث، لقبت بالملكة الفرعون، استمر حكمها نحو عشرين عاما، ساد فيها السلام ربوع البلاد، وتظهر الملكة في تمثال بهيئة كاملة للفراعنة الرجال، ولها معبد بالدير البحري. للمزيد ينظر: مختار السويفي، المرجع السابق، ص 201.

[4] عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص 56.

[5] محمد عبد الحميد شيمي، العطور ومعامل العطور في مصر القديمة، تر: ماهر جويجاتي، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005، ص 200.

السفراء الأجانب، وفي مشاهد أخرى ظهروا ضمن الحرس الخاص للملك[1]، وهو ما يؤكد وجود علاقات صداقة، ولكنها لم تدم طويلا، فقد عرف عهد "سيتي الأول" قيام اللوبيون بهجمات على الدلتا[2].(**ينظر الشكل رقم: 04**)

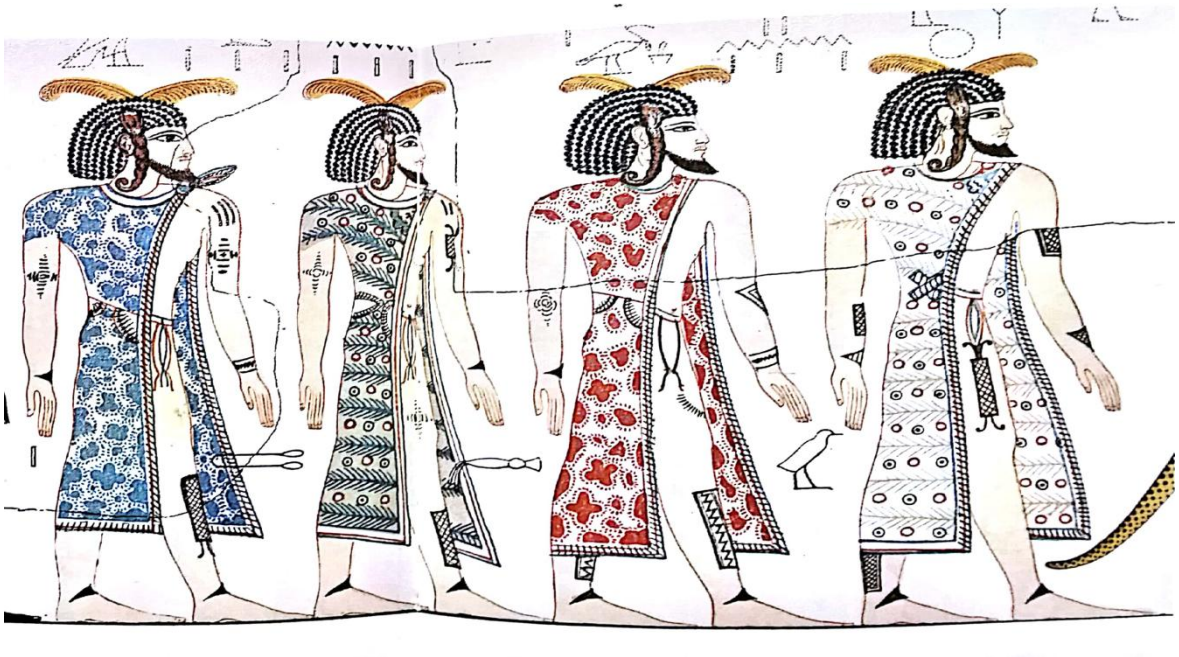

صور رؤساء لوبيون على جدران مقبرة ستي الأول

نقلا عن: موسوعة تاريخنا، المرجع السابق، ص 120.

ثالثاً: الهجمات المتتالية للقبائل اللوبية على مصر في عهد الدولة الحديثة: يعتبر عصر الدولة الحديثة (1580-1085 ق.م) من أكثر الفترات التي وصل عنها كم وفير من المصادر، لأنه شهد غارات جريئة قام بها اللوبيون على مصر، مما مكننا من التعرف بشكل أوضح على العلاقات التي سادت بين الطرفين، حيث استمرت محاولات اللوبيين الحربية والسلمية لاستيطان وادي النيل.

ويعد أن هذا العصر اعتبارا من عهد مرنبتاح (1223-1211 ق.م) من أهم الفترات، إذ خلفت المصادر والنقوش والصور ما يلقي الضوء على تاريخ بلاد المغرب القديم، لأن عصر

[1] محمد بيومي مهران، المغرب القديم، ص 168.

[2] عصفور أبو المحاسن، المرجع السابق، ص 185.

الدولة الحديثة عرف تحركات الهجرات المتتالية، والتي تسببت فيها أقوام هندوأوروبية من البلقان والبحر الأسود على السكان السابقين لإغريق العصر الكلاسيكي في جزر وسواحل البحر المتوسط، فمع بداية القرن الرابع عشر سقطت كريت على يد "الآخيين" من بلاد الإغريق في شبه جزيرة البلقان[1].

واتجه بعض الإغريق يبحثون عن موطن جديد، ولكن لم تلبث هجرات – هندوأوروبية أخرى عتيقة إلى شرق البحر المتوسط- أن دفعت أمامها السكان، مما سبب عصرا من الإزاحة السكانية –إن صح هذا التعبير- أثرت بعنف في الشرق الأدنى القديم وفي آسيا الصغرى وجزر بحر إيجة وبلاد اليونان، ووصلوا إلى لوبيا على الساحل الإفريقي، بغرض الإقامة في مواطن جديدة، وبمجيئهم إلى بلاد المغرب خلقوا أزمة اقتصادية، لذلك توجهت القبائل اللوبية بنظرها إلى وادي النيل شرقا ليستقروا به[2].

1)- عهد سيتي الأول (1298-1318 ق.م): استغل اللوبيون ثورة "إخناتون" (1370-1352 ق.م) الدينية وعادوا لمهاجمة الوادي، لذلك قرر سيتي الأول، من الأسرة التاسعة عشر في بداية حكمه قيادة حملتين كبيرتين لصد الهجمات اللوبية، قبل توجهه نحو سوريا، فانتصر فيهما انتصاراً ساحقاً على التحنو وأخذ منهم أسرى كثيرين ليقدّمهم للإله آمون، بالإضافة للجزية المعهودة، وسجل ذلك على جدران الكرنك[3].

2) رمسيس الثاني (1237-1304 ق.م): من أهم أحداث التاريخ اللوبي في عهد الأسرتين التاسع عشر والعشرين صد غزوة التحنو الكبرى والتي فصلت وقائعها جدران "معبد أبي سمبل"، إذ تعد نقوش ذلك المعبد من أهم المصادر المادية التي تروي أخبار الإنتصارات وجني الغنائم ووضعية

---

[1] محمد مصطفى بازمه، ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية، ط2، منشورات مكتبة قورينا للنشر والتوزيع، بنغازي، 1972، ص83.

[2] رجب عبد الحميد الأثرم، المرجع السابق، ص59.

[3] عبد اللطيف أحمد البرغوثي، المرجع السابق، ص 56.

نقوش الكرنك: دونت تلك القائمة على جدران حجرة الأجداد بمعبد الكرنك، في عهد الفرعون "توحتمس الثالث" ، تعد من أطول النقوش المحفوظة على جدران المعابد المصرية ، وموجود حاليا بمتحف اللوفر، وتحتوي على أسماء اثنين وستون ملكا من الأسرة الأولى وحتى الأسرة الثامنة عشرة، وبداية القائمة مهشم حتى بداية الأسرة الرابعة الملك "سنفرو". ينظر: محمد علي سعد الله، في تاريخ مصر القديمة، ط1، مركز الاسكندرية للكتاب، الاسكندرية، 2001، ص 15.

الأسرى[1]. (**ينظر الشكل رقم: 05**).

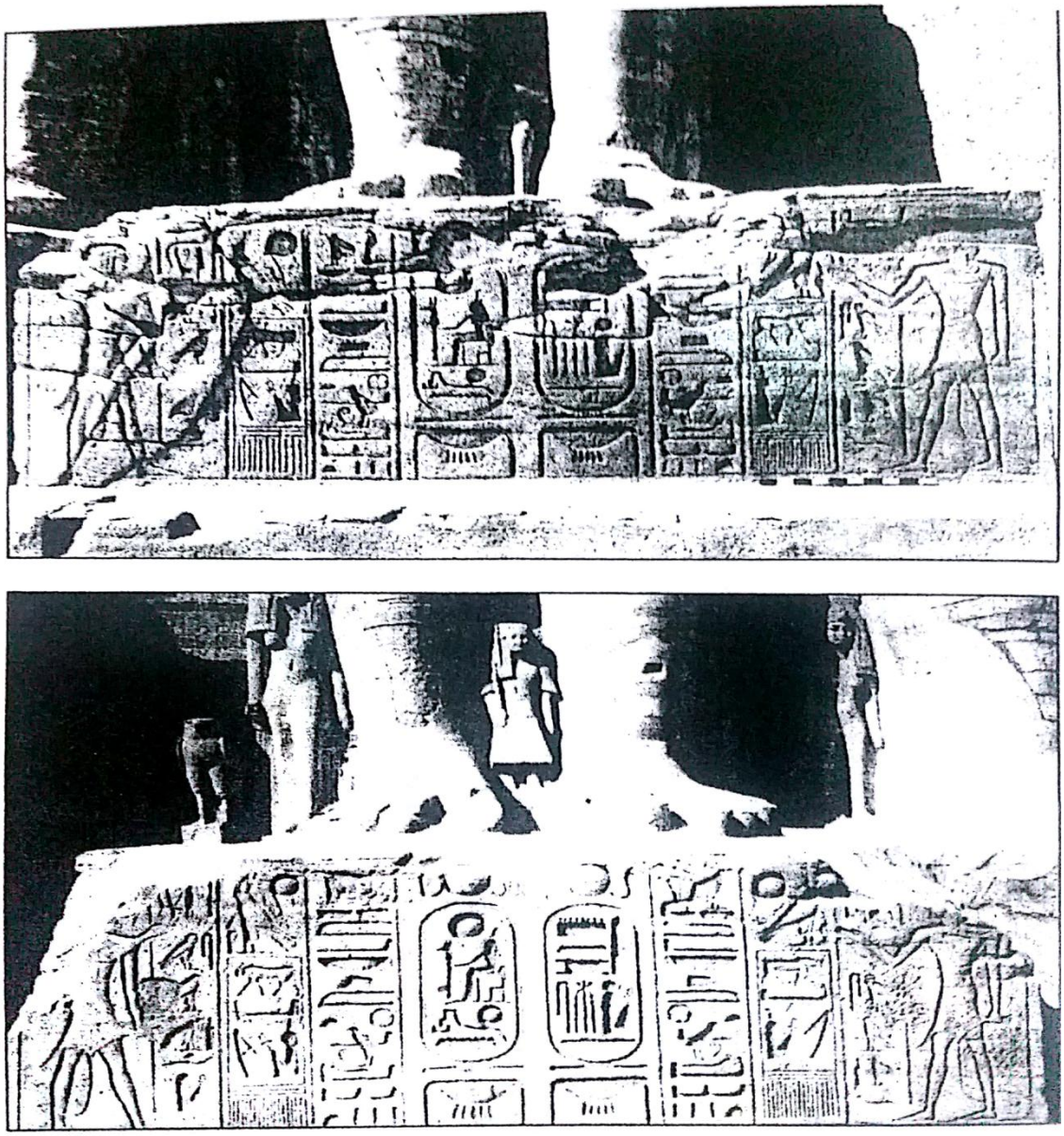

الشكل رقم:05 قاعدتا تمثالي رعمسيس الثاني في واجهة معبد أبي سمبل وقد دونت فيها أخبار الانتصارات على اللوبيين.

نقلا عن: مها العيساوي، المرجع السابق، ص 98.

تشير مسلات رمسيس الثاني التي اكتشفت في مدينة تانيس إلى تصدي رمسيس لهجمات قبائل التحنو، وتأمينه لحدود مصر الغربية، وانتهج إستراتيجية لاحتوائهم من خلال تجنيدهم كجند

[1] – مها العيساوي، المرجع السابق، ص 96.

مأجور[1]، وتسخيرهم في بناء المعابد، مثلما يشير إلى ذلك نص بوادي السبوع في النوبة، مؤرخ بالسنة الرابعة والأربعين من حكمه، إلى وجود أسرى التحنو المسخرين في بناء المعبد هناك، علاوة على ذلك فقد قام "رمسيس الثاني" الأخذ بسياسة طويلة المدى ببناء سلسلة من المستوطنات بطول حافة الصحراء الغربية بالدلتا من منف وحتى البحر، كان يبني فيها أحيانا معابد جديدة لآلهة المنطقة الغربية المحلية، بعد ذلك بنى الفرعون سلسلة من الحصون على حافة الدلتا قرب البحر المتوسط انتشرت غربا لمسافة طويلة نحو الغرب، خلف الساحل اللوبي، هذه المنطقة تبدأ من الغربانية الحديثة والعلمين (ذات الشهرة العالمية الآن) وتنتهي في أم الرخم[2].

والمعروف حاليا من هذه الحصون ثلاثة فقط: حصن العوينات، والعلمين، وثالث عند أم الرخم بين الواحد والآخر مسيرة يومين على الأكثر للمترجل ويوم واحد لراكب الدابة أو العربة التي تجرها الدواب. مثل هذه الحصون يسهل عليها أن تراقب تحركات قبائل البدو اللوبية، بذلك يكون من السهل كشف التحركات المريبة وإرسال أخبارها بسرعة، أو طلب الإمدادات العسكرية لمواجهة تهديدات الغزو في وقت مناسب[3].

3)- مرنبتاح[4] (1235-1224 ق.م): عرفت السنة الخامسة من حكم "مرنبتاح" أخطر غزوة لوبية على الدلتا قادها "مريي بن دد"، زعيم قبيلة الليبو، وقد ضمت من بني جلدته "القهق"[5] والمشوش- سأتطرق إليهم في المبحث الموالي-، ويبدو أن الليبو أخضعوا المشوش منذ أواخر أيام

[1] عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص50.

[2] بكر محمد إبراهيم، موسوعة تاريخ الفراعنة، ج2، ط1، مركز الراية للنشر والإعلام، د م، 2004، ص 88.

[3] المرجع نفسه، ص 88 .

[4] **مرنتاح (Mertenpah)**: ابن رمسيس الثاني، ورابع ملوك الأسرة التاسعة عشرة في الدولة المصرية الحديثة (1570-1080ق.م)، وهو ابن رمسيس الثاني طبقا لقائمة أسماء أبنائه التي نقشت على جدران معبد الراميسوم، اشتهر بصراعه مع اللوبيين. ينظر: Guy Rachet, Op-cit, P.166.

[5] **القهق أو كهك**: وهم قوم من اللوبيين ورد ذكرهم على عهد امنوفيس الأول (1546-1526 ق.م). ثاني ملوك الأسرة الثامنة عشرة. ثم ذكر القهق في نصوص مرنبتاح مع الليبو بوصفهم أسرى، كما ورد ذكرهم في بردية هاريس كمحاربين في الجيش المصري أما موطنهم فمن المرجح أنه برقة. ينظر: محمد مصطفى بازامه، سكان ليبيا في التاريخ، ج1، ط1، دار ألف باء، لبنان، 1994، المرجع السابق، ص 50.

"رمسيس الثاني"، فقد قاموا بتحطيم القلاع والحصون المصرية ثم اندفعوا نحو الواحات الغربية[1]. سوف أشير لهذه الأحداث بالتفصيل في المبحث الموالي الموالي.(**ينظر: الشكل رقم:06**)

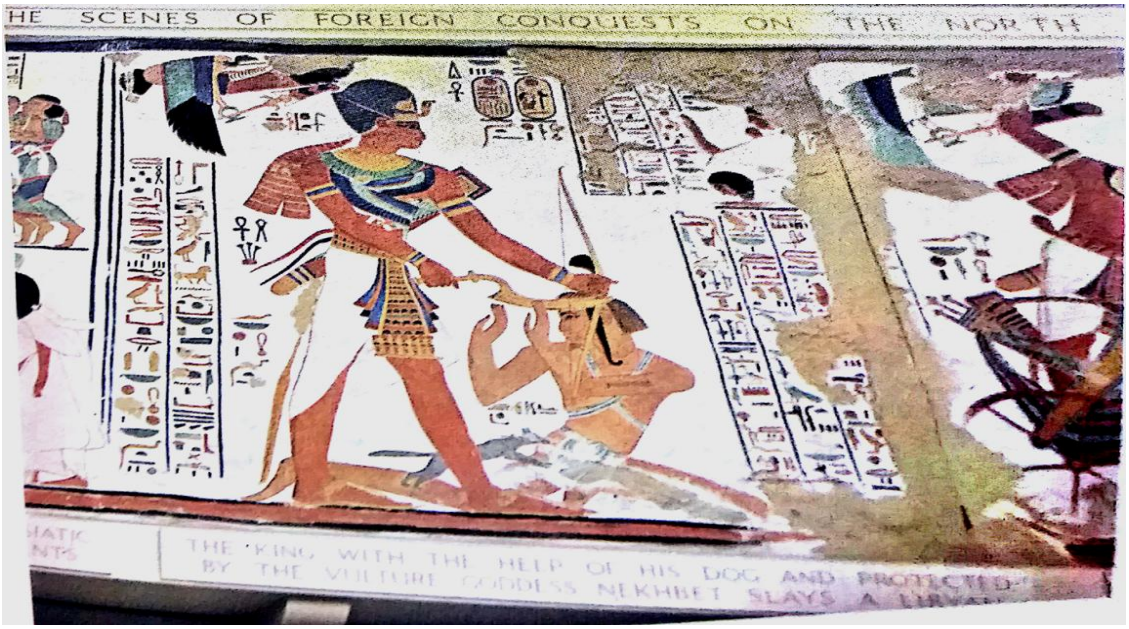

الشكل رقم:06، رمسيس الثاني يقتل أسراه في رسوم واد الولى

نقلا عن: موسوعة تاريخنا، المرجع السابق، ص 168.

المبحث الثاني: المجموعات القبلية اللوبية خلال الألف الأولى قبل الميلاد: تعد الآثار المصرية[2] أول وأهم الوثائق التاريخية التي تشكل مصدرا أساسيا، الذي يخبرنا عن الملامح العامة لقبائل بلاد المغرب القديم، وقد عرفت بتسميات شهيرة في النصوص المصرية، حيث نجد في النقائش المرسومة على معالم المصريين من مصاطب وأهرامات ومسلات، وفي الوثائق المكتوبة على البردي، معلومات عن القبائل المغربية المعاصرة للفراعنة، ولاسيما من كانت منها متاخمة لمصر،

[1] عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص50؛ محمد بيومي مهران، المغرب القديم، ص168.

[2] إن معظم هذه الآثار قد تم صنعها بتعليمات من ملوك مصر القديمة لذلك يجب مراعاة الحذر والابتعاد عن المبالغة سواء بقصد أو دون قصد، أيضا تدل الآثار العديدة التي تم العثور عليها أنها تنتمي إلى صعيد مصر، التي ساعد جفاف مناخها على حفضها، ولعل أهم ما عثر عليه بين تلك الآثار من الناحية التاريخية ما يسمى بقوائم الملوك أو الحوليات الملكية وهي قوائم أرخت لتاريخ العلاقات المصرية مع شعوب شمال إفريقيا. لمزيد من المعلومات ينظر: محمد علي سعد الله، المرجع السابق، ص 12.

ومن القبائل المذكورة في هذه الوثائق نجد: "التنحو" و"التمحو" و"المشوش" و"الليبو"، وهذا الأخير هو الإسم القديم المطلق على سكان بلاد المغرب. ومن كلمة "لوبو" جاءت "لوبيا" التي حرفت إلى ليبيا، ولم تقف هذه الوثائق عند حد ذكر أسماء القبائل بل وصفت الخصائص البشرية والعادات والأخلاق، وما يتعلق بحضارة سكان بلاد المغرب القديم بوجه عام[1].

لقد أشارت المصادر المصرية إلى علاقة مصر بجيرانها الغربيين، فأوردت المظاهر العامة لقبائل بلاد المغرب عرقياً ولغوياً، وأطلقت على كل مجموعة منها تسمية، وحددت طبيعة العلاقة التي ربطتها ببعضها، وبمصر القديمة، كما وصفت أفرادها من حيث أنظمة حكمهم وأنشطتهم الاقتصادية وعاداتهم وثقافتهم وديانتهم[2].

مع العلم أن مصر وبلاد المغرب كانت الصحراء حزام جامع بينهما، والحدود كانت غير واضحة المعالم، كما أن المدلول الجغرافي لأسماء الدول والأقاليم لم يكن محددا بوضوح في العصور القديمة كما هو الحال في أيامنا هذه، وإنما كانت البلاد تسمى غالبا باسم الشعب الذي يسكنها[3].

1)– **المشوش (Meshwesh)**: أعالج هذه القبائل فيما توفر لي من معارف في المصادر والمراجع من خلال العناصر الآتية:

أ)– **أصلهم**: المشوش أو المشواش، تختصر عند قدماء المصريين بـ (ما Ma) ويتفق كثير من المؤرخين المعاصرين على أن المشوش من اللوبيين القدماء الذين كانوا ينتشرون بين المناطق الشمالية للصحراء الكبرى حتى قرطاجة[4].

وفي دراسة بن السعدي سليمان يوضح، أن: الاسم "مشوشmsws" أو "مشو msw" هو جذر مشترك واسع الانتشار في لغة البربر وهو "mzgh"، ومعناه نبيل أو حر، والذي تشكلت منه عدة أسماء، مثل: "imazighen-mazices-maxyes"، وعنـــــد

[1] عثمان الكعاك، البربر، مكتبة دار الفكر، طرابلس، ليبيا، 1965م، ص 09.

[2] عبد اللطيف محمد البرغوثي، المرجع السابق، ص 49.

[3] محمد مصطفى بازمه، سكان ليبيا، المرجع السابق، ص 75.

[4] عبد اللطيف أحمد البرغوثي، المرجع السابق، ص69.

الطوارق نجد"imuhar-imusar"[1].

ب) صفاتهم: إن المناظر المنقوشة على جدران معبد هابو والتي ترجع إلى الملك رمسيس الثالث، فقد احتوت على الصورة والنص معاً، بمعنى أنها احتفظت بمواصفات المشوش ودونت النص الذي ذكر اسمهم[2].

أظهرت هذه الرسوم صفاتهم الإثنية، حيث كانوا من ذوي البشرة البيضاء وعيونهم فاتحة كالتمحو، استعملوا الأشرطة المتقاطعة الجلدية على الصدر وقراب العورة. وتحلوا بذيل الحيوان كما انفردوا بالمعطف الطويل لباسا رئيسيا لهم، مما يعزز أنهم قدموا من مناطق باردة على غرار السومريين في وادي الرافدين، وكانوا غير مختنين، وقد تأثروا بثقافة شعوب البحر[3].

ج)- ذكر المشوش في المصادر المصرية: يبدو أن قبيلة المشوش هي القبيلة الأكثر ذكراً في المصادر المصرية، لأنها من أكبر القبائل وأخطرها على مصر، حيث اشتهرت بقدرتها القتالية العالية. وورد ذكرها أول مرة في عهد الفرعون"امنحتب الثالث" من الأسرة الثالثة عشرة(1580-1350ق.م). ثم استمر ذكرها في أغلب النصوص المصرية من الأسرة التاسعة عشرة، والأسرة العشرين، والحادية والعشرين(1080-945 ق.م)[4].

وقد ظهر هذا الاسم على الآثار والنصوص المصرية بصيغ مختلفة، مع الملاحظة أنه بدأ يختصر تدريجيا في كتابته حيث نجده في صيغة"مشوش mswsw" في الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة، ثم في صيغة "مشو msw" أحيانا في الأسرة العشرين، ثم في صيغة "مش ms" أو "مس ms"، وأخيرا في صيغة"مى m" في الأسرة الواحد والعشرين وما بعدها[5].

أما عالم المصريات"ونرايت" فيرى أن شكل اسم "المشوش" ينتهي بـ"شاء" ككثير مـــــن

---

[1] بن السعدي سليمان، علاقات مصر بالمغرب القديم منذ فجر التاريخ حتى القرن السابع قبل الميلاد، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ القديم، إشراف محمد البشير شنيتي، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية:2009/2008، ص ص 78-79.

[2] أم الخير عقون، دولة الأمازيغ، المرجع السابق، ص 48.

[3] عبد اللطيف أحمد البرغوثي، المرجع السابق، ص ص72-69؛ أم الخير عقون، دولة الأمازيغ، المرجع السابق، ص 48.

[4] رجب عبد الحميد الأثرم، المرجع السابق، ص56.

[5] بن السعدي سليمان، المرجع السابق، ص 73.

شعوب البحر[1]، مثل: "ايقوشا" "وتورشا" "وشلكش"، وبهذا يبدو أن المشوش ينتمون لنفس المجموعة، وهنا يمكن القول أن ورود اسم المشوش مقترنا بذكر أقوام البحر هذا لا يعني أنهم منهم، فقد كانت النصوص المصرية واضحة في التفرقة بين المشوش والأقوام الأخرى، على اعتبار أن المشوش من سكان البلاد (اللوبية) الأصليين، في حين أن أقوام البحر فئات نازحة تحالفت معهم لغزو مصر فقط[2]، ولقد اتفق معظم الأثريين والمؤرخين ومنهم أوريك بيتس على فرضية مفادها أنَّ المشوش هم من قبائل شمال إفريقيا، وقد وصلوا إلى مصر سالكين طريقاً ساحليةً من الغرب إلى الشرق[3].

ويذكر عبد الحليم دراز أن شعوب البحر أثرت تأثيراً بسيطاً في الحضارة اللوبية وذلك لسبب بسيط هو أن هذه الشعوب كانت عابرة على الأرض اللوبية، وحتى لو سلمنا بأن المشوش اقتبسوا السيف الطويل من شعوب البحر فان استخدام هذا السلاح كان على نطاق ضيق على ما يبدو، وربما حصلوا عليه من شعوب البحر نتيجة التقائهم بهم في الأراضي المصرية أثناء حربهم مع "مرنبتاح"، وفي هذه الفترة فقط ذكرت المصادر المصرية اتصال اللوبيين بشعوب البحر، وربما كان ذلك نتيجة لتزامن عديد من الغارات اللوبية بغزو شعوب البحر[4].

أما بالنسبة لشكل اسم المشوش فان "باتس" يقرر أن اسم "مشو" هو شكل شائع عنـــد

---

[1] **شعوب البحر**: اعتاد المؤرخون –عند مرورهم بفترة التاريخ المشترك بين القبائل اللوبية القديمة ومصر– أن يذكروا شعوب البحر (Sea peoples) التي ساعدت اللوبيين على التوغل في مصر. ويشار إليهم أنهم قادمون من جزر البحر المتوسط القريبة من السواحل الليبية والمصرية ، وتسميهم المصادر المصرية " الشماليون الذين في جزرهم" وهم شعوب قادمة من البلقان ومن السهول الواقعة شمال البحر الأسود. ينظر: محمد الطاهر العدواني، الجزائر في التاريخ، المرجع السابق، ص225.

[2] محمد مصطفى بازامه، سكان ليبيا، ص83.

[3] Oric Bates, The Eastern Lybians (An Essay), éd, Macmilan and com. Limited, London,1914. P 44.

[4] علينا أن نعترف بأن شعوب البحر كانت لهم سوابق حضارية معروفة، وكانوا من مؤسسي حضارات قامت في غرب آسيا الصغرى والجزر الإيجية وبلاد اليونان قبل أن يصل بعض أصحابها إلى لوبيا ليكونوا تحت إمرة "مريي بن دد" ملك قبيلة الليبو. وهذا يعطينا الانطباع بأن اللوبيين في ذاك الزمان كانوا على درجة عالية من الحضارة والقوة العسكرية ما مكنهم من السيطرة على تلك الأقوام المتحضرة أساسا وجعلهم يأتمرون بأوامر القادة اللوبيين فترة طويلة من الزمن. ينظر: جاد الله فوزي فهيم، المرجع السابق، ص 73.

البربر، ويعني الشريف أو الحر[1]، كما أن "شا" لا يمكن أن تشتق من القبائل، لأنها كانت مستعملة قبل أن تظهر شعوب البحر في شمال إفريقيا في عهد "مرنبتاح"، فالمشوش قوم لوبيون وليسوا من شعوب البحر[2].

وقد أشار ملك مصر"مرنبتاح" إلى المشوش، عندما ذكر أنه قد استولى على سيوفهم المصنوعة من النحاس، عندما صد هجوم اللوبيين بقيادة "ميريي بن دد"[3]. ورغم الهزيمة النكراء التي لحقت باللوبيين في تلك المعركة إلاّ أن "توينبي" علّق عليها قائلاً: **" ولم تكن هذه غزوة ولا حملةً حربيةً، لقد كانت محاولةً للهجرة، ذلك بأن القادمين حملوا معهم نساءهم وأولادهم وأنعامهم وأموالهم المنقولة"**[4]، ففي عهد مرنبتاح أصبحوا يزحفون على مصر بأعداد كثيرة، بغية الاستيطان بها، كما يتبين من كثرة عدد القتلى والأسرى[5]، وعدد الماشية[6].

وبالرغم من الهزيمة التي مني بها المشوش أمام جيوش مصر الفرعونية، إلاّ أنهم جددوا المحاولة في عهد "رمسيس الثالث"(1198-1160 ق.م)، حيث تعددت هجماتهم على مصر[7]، ضمن ضمن حلف شعوب البحر من "الاسبت والبلست"، فكانت أولى الهجمات في السنة الخامسة

---

[1] Bates , Op-Cit, pp.2.46.

[2] عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص 44.

[3] هذه المعركة التي دارت رحاها في عهد الملك مرنبتاح، كان المشوش قد خاضوها تحت أمرة الليبو وقيادة ملك هؤلاء "مري بن ديدي"، أما في الحرب التي خاضوها ضد "رمسيس الثالث" فقد كان الليبو تحت إمرتهم وقيادة ملكهم "مششر". ينظر: محمد مصطفى بازامه، سكان ليبيا، المرجع السابق، ص 53.

[4] توينبي، تاريخ البشرية، تر: نقولا زيادة، ج1، دط، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1981، ص 113.

[5] أسر مرنبتاح في تلك المعركة 9367 أسيراً لوبياً، وسبا إثنا عشرة إمرأة من نساء القائد اللوبي الذي نجا من الأسر بأعجوبة. ينظر: عبد اللطيف محمود البرغوثي، التاريخ الليبي، ص 114.

[6] عبد اللطيف محمود البرغوثي، التاريخ الليبي، ص 120.

[7] في السنة الثامنة من حكم "رمسيس الثالث" (1187أو 1190 ق.م) أحد فراعنة الأسرة العشرين، تعرضت مصر لهجوم بري- بحري كبير شنته عليها بعض شعوب البحر من الشرق ومن الشمال. وكانت قد سبقته حملة تأديبية قام بها هذا الفرعون في السنة الخامسة من حكمه، أي في عام 1178 على القبائل المتمردة التي تقطن غرب مصر، والمعروفة باسم "تحنو"، وتشمل اللوبيون والمشوش والإسبد، وأعقبته غارة أخرى قام بها اللوبيون والمشوش وبعض القبائل المتحالفة معهم على دلتا مصر في السنة الحادية عشرة أي في عام 1172 ق.م. ينظر: جاد الله فوزي فهيم، المرجع السابق، ص.ص 86.67.

من حكمه(حوالي 1194 ق.م)[1]، وتورد الآثار المخلدة لهذه الحرب في نقوش المعبد الكبير[2] لرمسيس الثالث في مدينة "هابو"(Medinet Habu) [3].

وفي بردية هاريس(Papyrus Harris)[4] كتب الملك: **"لقد أتى أهل بلاد التمحو مجتمعين معا في مكان واحد ويشملون الليبو والسيد والمشوش غير أن خططهم حطمت، وطلبوا رئيسا بأفواههم غير أن ذلك لم يكن في قلوبهم وكان جلالته قد ربى ولدا صغيرا من أرض تمحو، وقد عضده بقوة ساعديه ونصبه عليهم رئيسا لينظم الأرض، وهذا ما لم نسمع به من قبل منذ أن بدأ الملوك"**[5].

يفهم من هذا النص أن الملك أراد أن يفرض على اللوبيين ملكا من جنسهم رباه في مصر، حتى يتمكن من السيطرة عليهم.

لكن اللوبيين رفضوه لأنه لن يكون إلا حاكما مصريا، ومن المحتمل إن هذا التدخل من جانب "رمسيس الثالث" في شؤونهم كان السبب المباشر في غضب هذه الشعوب وثورتها، وقد وصلوا فعلا إلى فرع النيل الكانوبي، وتصدى لهم "رمسيس الثالث" على حدود الدلتا الغربية

---

[1] عبد اللطيف محمود البرغوثي، التاريخ الليبي ، ص 120.

[2] **معبد رمسيس الثالث:** من أضخم آثار مدينة هابو وأهم ما تتميز وتتفرد به عمارة هذا المعبد شرفته العالية التي بنيت فوق مدخله الذي يأخذ شكل وطراز القلاع السورية، كما تتميز حوائطه وجدرانه الداخلية والخارجية بمناظر ضخمة تمثل الحياة الدينية والمعارك الحربية ضد اللوبيين وشعوب البحر. للمزيد ينظر: مختار السويفي، مصر القديمة دراسات في التاريخ والآثار، ط2، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2006، ص 249.

[3] **مدينة هابو:** تقع جنوب طيبة على الضفة اليسرى للنيل، من أهم آثارها معبد رمسيس الثالث (1198-1166 ق.م). ينظر: Rachet(G) ,Op-cit , P.161.

[4] **بردية هاريس:** سميت كذلك نسبة لتشارلز هاريس (1790-1869) كان تاجر مصريات، عثر على بردية رعمسيس الثالث وابتاعها منه المتحف البريطاني. ينظر: Gaballa Ali Gaballa, Le grand Temple d'Abou Simbel, éd, Conseil Suprème des Antiquités, Le Caire, 2001, P 9.

[5] علاء الدين عبد المحسن شاهين، العلاقات المصرية الليبية في العصور البرونزية من الألف الثالث إلى نهاية الألف الثاني قبل الميلاد، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، العدد: 23، الكويت، 2003، ص59

وهزمهم[1]، وخلال ذلك كله كان يأسر منهم أعدادا معتبرة، يحول بعضهم إلى رقيق، ويضم الآخرين إلى جنود في جيشه، حيث قام بتوطينهم في الدلتا، ذات الخصوبة والثراء[2].

أما أسباب ذلك الغزو فهي عديدة، يأتي في مقدمتها فقر لوبيا وعدم كفاية مواردها لسكانها الأصليين، وبالتالي رغبة سكانها المجاورين لمصر في تركها بالنزوح نحو أراضي الدلتا الخصبة، ومما لا شك فيه أن التصحر والجفاف الذي اشتدت حدته خلال النصف الثاني من الألفية الثانية قد أجبر سكان القسم الغربي من بلاد المغرب إلى الهجرة بأعداد أكبر، مما جعلهم يزاحمون قاطني الحدود الغربية لمصر في مواردهم، حيث يذهب "آلن جاردنر" إلى أن الهجوم لا بد أن يكون قد انطلق من مكان بعيد في الغرب، أي من برقة أو من ورائها[3].

وإن كان الدارس يرى هذا السبب غير منطقي بهذه الصورة، حيث أنه من المعروف أن المناطق الشرقية من لوبيا هي مناطق غنية بمحصولاتها وحيواناتها –ولاتزال– بدليل ما كان يحصل عليه الفراعنة من الغنائم الكثيرة في حملاتهم ضد اللوبيين، فهل من المنطق الحصول على هذه الغنائم من المناطق الصحراوية الفقيرة؟ بالإضافة إلى أن غنى هذه المناطق كان من بين الأسباب التي جعلت الإغريق يندفعون لاحتلال الإقليم الشرقي من لوبيا خاصة إقليم قورينائية؟ وعلى ذلك يجب البحث عن أسباب أخرى لنزول اللوبيين إلى مصر[4].

يذكر عبد الحليم دراز[5] أن بعض المؤرخين من بينهم (ويشير) "ويلسن" فسر العوامل الاقتصادية في هذه التحركات تفسيرا ربما يكون مقبولا، حيث يرى أن شعوب البحر حين أخضعوا كريت أصبحوا الخلفاء الطبيعيين المسيطرين على التجارة البحرية الكريتية، ومن المحتمل أنه في تلك الفترة كانت التجارة البحرية المصرية قد أصابها الخمول، ومن هنا كان الصراع بين شعوب البحر ومصر من أجل تجارة البحر المتوسط، وربما كان ذلك سببا في إنضمام شعوب البحر للوبيين في حربهم ضد مصر.

---

[1] رجب عبد الحميد الأثرم، المرجع السابق، ص ص 62-63.

[2] بوزياني الدراجي، ملامح تاريخية للمجتمعات المغربية، ط1، مؤسسة بوزياني للنشر والتوزيع، الجزائر،2013، ص46.

[3] آلن جاردنر، المرجع السابق، ص300.

[4] عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص 58.

[5] نفسه، ص ص 59.58.

ومن غير المستبعد كذلك أن تكون سياسة "رمسيس الثاني" السلمية في أواخر عهده ثـــم زوال شخصيته عاملا شجع اللوبيين للهجوم على مصر[1].

أدى تجدد الهجوم اللوبي إلى قيام الحرب الثانية في السنة الحادية عشرة من حكمه (حوالي 1188 ق.م)، وقد يكون انشغال مصر بالحرب ضد شعوب البحر في الشمال شجع اللوبيين على معاودة الهجوم الذي تزعمته هذه المرة قبيلة المشوش[2]، برئاسة قائدها(مششر بن كابر) في تحالف ضم اللوبيون مع شعوب البحر، حيث تذكر المصادر المصرية من تلك القبائل: (الأسبت[3] وبكن[4] وسيد[5] وكيكش[6] وهس وشاي)[7].

وتشير النصوص المنقوشة على جدران معبد مدينة هابو، مايلي:**"وقد كان رئيس المشوش ومعه أهله أتوا وانقضوا على التحنو، الذين أصبحوا رمادا وخرجت مدنهم، ولم تعد لبذرتهم وجود، وقال المشوش بصوت مسموع سنستوطن مصر"**، ثم يمضي النص في وصف الهزيمة التي لحقت باللوبيين:**"وقد أبيدت أرض المشوش، أما الليبيو والسيد فقد**

---

[1] محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص168.

[2] في عهد مرنبتاح كان المشوش ضمن حملة منظمة قادها زعيم الليبو، وقد لعب المشوش دورا ثانويا في الحرب الأولى "لرمسيس الثالث" مع اللوبيين، إلا أن القيادة صارت بيدهم في الحرب الثانية، ومنذ ذلك الوقت أصبحنا نسمع عن المشوش أكثر من الليبو. ينظر: جاد الله فوزي فهيم، المرجع السابق، ص 69.

[3] **الإسبت:** من اللوبيين المستقرين ويذكر هيرودوت أن موطنهم يلي غربا موطن الجيليجاماي، ويقطنون إلى الداخل وراء قورينة ولا يصل موطنهم ساحل البحر وكانوا يستعملون العربات ذات الأربع جياد. ينظر: هيرودوت، تاريخ هيرودوت، ترجمة: عبد الإله الملاح، مراجعة: أحمد السقاف وحمد بن صراي، الكتاب الثاني، المجمع الثقافي، أبو ظبي- الإمارات العربية المتحدة، 2001م، ص ص 172- 185.

[4] **بكن:** من القبائل اللوبية يرى البعض أنها سكنت حول الجبل الأخضر في منطقة طلميثة.

[5] **السيد:** تذكرهم نصوص معبد مدينة هابو بأنهم تجمعوا مع المشوش والريبو ونادوا قائلين: "دعونا نذهب إلى مصر". سكنت هذه القبيلة في الساحل الشرقي حول الجبل الأخضر.

[6] **الكيكش:** ذكرت مرة واحدة ضمن أسماء القبائل اللوبية التي حاربها رمسيس الثالث، ويرى البعض أن هذا الاسم محرف، وأن الأصل يشير إلى قبيلة أخرى أسماها هيرودوت (مكاي) التي كانت تسكن المناطق الخصبة من وادي كعام إلى هضبة ترهونة. للمزيد حول هذه القبائل ينظر: مجموعة مؤرخين، موسوعة (تاريخنا)، الكتاب الأول، المرجع السابق، ص ص 106- 112.

[7] عصفور أبو المحاسن، المرجع السابق، ص172.

أهلكوا."[1]. ويفهم من النص أن أول خطوة قام بها المشوش هو إخضاع قبيلة التحنو المسالمة لمصر والمقيمة في غربي الدلتا على حدود مصر مباشرة[2]، ثم استمرت القوات المتحالفة في الزحف شرقا حتى النيل وسيطرت على الدلتا من رأسها حتى قاعدتها[3]. (**ينظر: الخريطة رقم:01**)

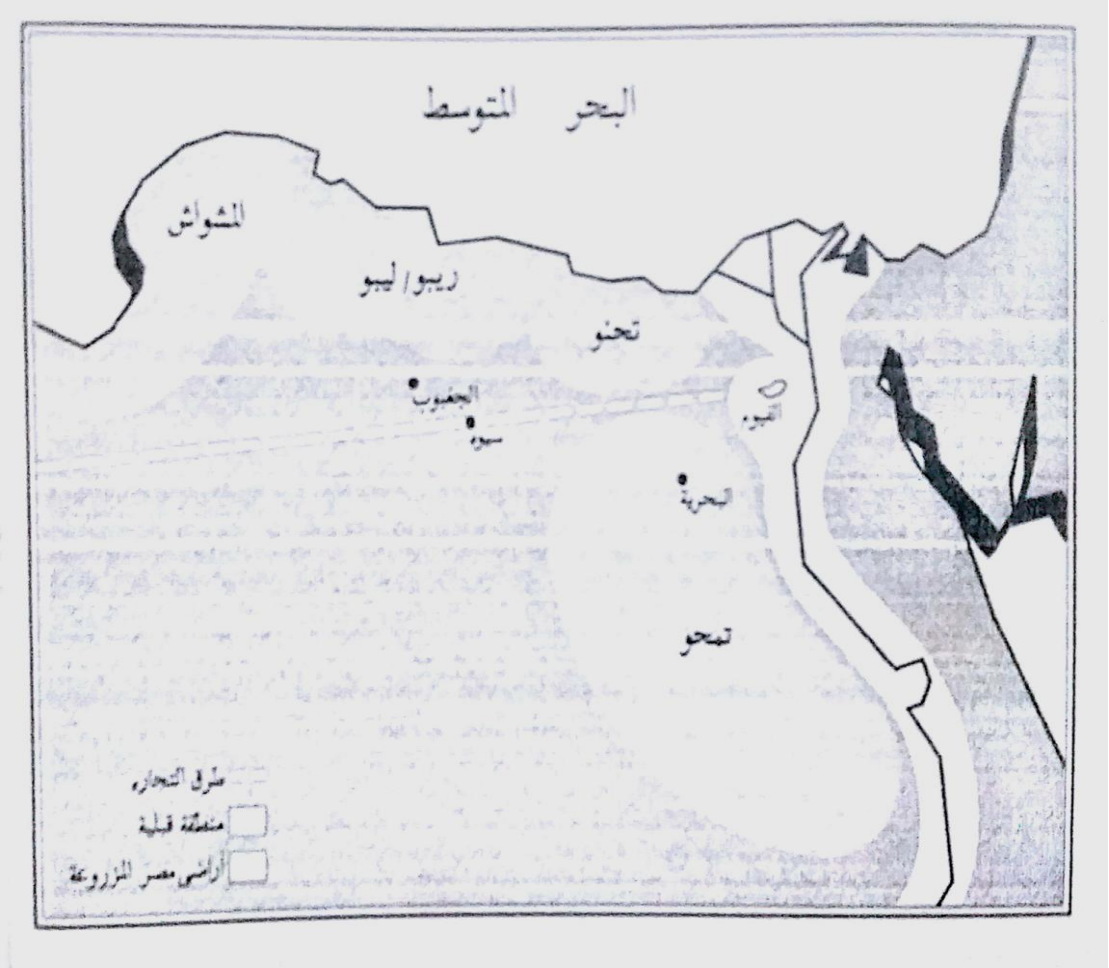

الخريطة رقم:02، توضح توزيع القبائل اللوبية

نقلا عن: موسوعة تاريخنا، المرجع السابق، ص 96.

كما يظهر في لوحة للغنائم والأسرى أن عدد الأيدي المقطوعة كان 2175 ومجموع الأسرى 2052، وقد حصل المصريون على غنائم كثيرة[4]. وقد لعب المشوش دورا رئيسيا في حرب

[1] رجب عبد الحميد الأثرم، المرجع السابق، ص 63.

[2] أم الخير عقون، العلاقات الحضارية والسياسية،المرجع السابق، ص 183.

[3] أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 172.

[4] Bates, Op.cit, p225.

حرب "رمسيس الثالث"(اللوبية الثانية)، حتى أن "وينرايت" يرى أن حروب "سيتي الأول" و"رمسيس الثالث" في سنته الحادية عشرة قد سميت بالحرب اللوبية، رغم أنها كانت ضد المشوش وليست ضد الليبو[1]، بل إنه يرى أن الليبو لم يظهروا بالمرة في عهد سيتي الأول (1309-1291 ق.م)[2].

استطاع "رمسيس الثالث" أن يصد هجوم القبائل اللوبية، كما يتضح من خلال التفاصيل المسجلة على جدران معبد"رمسيس الثالث" في مدينة "هابو"، التي تذكر أن انتصاره على المهاجمين كان كبيرا، فقد قتل عددا كثيرا منهم بمن فيهم قائدهم، فضلا عن الأسرى والغنائم المتنوعة من الماشية والأسلحة[3]، ونظرا لقوة هذا النصر وأهميته في إنقاذ مصر من خطر محقق، فقد اعتبر الملك هذا النصر عيدا كان يحتفل به سنويا، سماه **"عيد قتل المشوش"**، ولقب نفسه بعد ذلك بالألقاب الآتية:**"حامي مصر والمدافع عن الأقطار وغازي المشواشيين ومتلف أرض التمحو"**[4].

بدأ الضغط اللوبي على مصر يأخذ شكلا مختلفا أقل وضوحا، ولكنه أكثر فاعلية ألا وهو التسرب البطيئ إلى مصر[5]، في شكل هجرة تامة، فصدهم ملك مصر، بعد أسر زهاء ألفي أسير، من بينهم سبعمائة امرأة وطفل. كما تقدر الماشية –التي صادرها المصريون من المشوش- بأربعين

[1] إن النقوش المصرية التي دونت معارك اللوبيين والمصريين كانت تركز على ذكر اللوبيين باسم (التحنو والتمحو) وبعدها باسم (الريبو أو الليبو) وقليلا ما نلاحظ عليها اسم (المشوش). وهذا ما يؤكد على أن التمحو والتحنو والليبو ما هي إلا أسماء تطلق على عموم اللوبيين وليست على قبيلة بعينها . أما (المشوش) فيبدو جليا أنها قبيلة قائمة بذاتها ضمن بقية القبائل اللوبية التي تعاملت معها النقوش المصرية القديمة. إلى درجة أن بعض المؤرخين يسمون اللوبيين أحيانا بالمشوش خصوصا بعد وضوح ظهورهم في أواخر عصر الأسرتين الثامنة عشر والتاسعة عشر. ينظر: عبد العزيز الصويعي، تاريخ الحضارة الليبية القديمة، ط1، وزارة الثقافة والمجتمع المدني، بنغازي، 2013، ص147.

[2] محمد بيومي مهران، المغرب القديم، ص ص 86-85.

[3] شملت تلك الخسائر: حوالى 2175 قتيل، حوالي 2052 أسير، 119 رأس من الماشية والثيران، 115 سيف بطول خمسة سواعد، 124 سيف بطول ثلاث سواعد، 92 رمح، 93 قوس، 2310 جعبة سهام، 183 بين خيل وحمير، ينظر: عبد اللطيف البرغوثي، المرجع السابق، ص.ص 124.125.

[4] عبد الرحمن زكي، الجيش في مصر القديمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1967، ص 235

[5] رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص 229.

ألف رأس من الضأن والمعز[1].

تذكر الوثائق أن الأسرى المشوش سيقوا إلى السخرة، كعمال أرقاء في مصر. كما منعوا من التكلم بلغتهم الأصلية، وأجبروا على تعلم اللغة المصرية، والتخاطب بها من أجل إدماجهم في المجتمع المصري[2].

استمر اللوبيون في التوغل إلى وادي النيل بأسلوب التسرب السلمي، وشجع على ذلك تجنيدهم كمرتزقة في الجيش المصري[3]، وخاصة من قبيلة المشوش المشهورة بقدرتها القتالية العالية، فانخرط عدد كثير من رجال القبائل في عهد الأسرة العشرين والحادية والعشرين في الجيش المصري[4]. ولما كان هؤلاء يأخذون أجرهم على هيئة إقطاعات من الأراضي، فقد كونوا في مختلف أنحاء مصر جاليات عسكرية على رأس كل منها رئيس يلقب ب "الما" وهو اختصار لاسم المشوش[5].

فاستقروا في الواحات الغربية مثل: الداخلة والغربية، فضلا عن الوادي نفسه، واندمج هؤلاء في الجيش المصري بالرغم من احتفاظهم بعاداتهم وأسمائهم اللوبية. وأصبح لبعض هذه الأسر شأناً بارزاً في الدولة، وخاصة أسرة "بويواوا"(Buyuwawa) التي استقرت في هيراكليوبوليس(Heracleopolis) منذ الأسرة العشرين، وأصبح "ميسن"(Musen) أحد كهنة معبد المدينة، وحاكم مدينة الجند المرتزقة. وصارت هاتان الوظيفتان محتكرة وتورث في الأسرة، فازدادت بذلك نفوذا وقوة[6].

---

[1] بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 47.

[2] المرجع نفسه، ص48.

[3] شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب: محمد مزالي، البشير بن سلامة، د ط، ج1، الدار التونسية للنشر، 1969م، ص 72.

[4] محمد جمال الدين مختار، العلاقات المغربية المصرية في العصور القديمة، ملتقى العلاقات التاريخية المصرية المغربية رصيد وآفاق، تحت الرعاية السامية للملك الحسن الثاني، دار الثقافة للطباعة والنشر، 1988، ص70.

[5] عبد الرحمن زكي، المرجع السابق، ص 235.

[6] رجب عبد الحميد الأثرم، المرجع السابق، ص 64.

وقد أدت قلة الحروب في الأسرة العشرين بعد عهد رمسيس الثالث، وعدم توفر المال اللازم لدفع أجور الجند المرتزقة، بجانب وجود فراعنة ضعاف على العرش المصري، إلى تقوية نفوذ قبيلة المشوش، وقبل وصول شيشنق إلى العرش كان يحمل لقب "رئيس المشوش العظيم"[1]، وتمكن من اعتلاء عرش الفراعنة، وأسس الأسرة الثانية والعشرين[2].

2)- الريبو أو الليبو[3]: أدرس في هذا العنصر قبيلة الليبو من ناحية أصلهم وصفاتهم وذكرهم في النصوص المصرية.

أ- أصلهم: يتضح أنهم كانوا من السكان المحليين لشمال إفريقيا، سواء داخل ما يسمى ليبيا الحالية أو خارجها، وليسوا من المهاجرين القادمين مع شعوب البحر كما يعتقد البعض، وقد بينت ذلك النصوص المصرية، حيث ذكرت أن الإتحاد بين القبائل اللوبية وشعوب البحر[4] حدث مرة واحدة في عهد الملك "مرنبتاح"، وكانت تذكر القبائل اللوبية (ريبو والمشوش والقهق)، ثم تذكر(اقواش، تيرش، لوكا، شردن، شيكلش، الشماليون)[5].

---

[1] وهذه التسمية ترجع في أصلها –كما يرى رشيد الناضوري- إلى منطقة شط الجريد جنوب قرطاج بتونس، ومن ثم نجد كثيرا من الأمراء الصغار كانوا يحملون لقب "أمير" مستعملين إما الكلمة المصرية "ور-wr" التي تعني العظيم، أو الكلمة اللوبية "مس-ms" التي تعني "الأمير" أو "الرئيس السيد" وغالبا ما كانوا يكتبون كلمة "مشوش" باختصار "مى-m". ينظر: بن السعدي سليمان، المرجع السابق، ص 76. – رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص224.

[2] محمد بيومي مهران، المغرب القديم، ص 86.

[3] يعتبر الكثير من الباحثين أن هناك نطق واحد فقط هو الليبو استنادا إلى الرأي القائل أن حرف الراء في اللغة المصرية القديمة في عهدها المتأخر (Late Egyption) ينطق لاما، ولعل مما يؤكد هذا الرأي أننا نجد اللام كتبت راء في هذه النصوص ذاتها التي تتناول شعوب البحر واللوبيين في أسماء اللوكيين والبلست والصقليين ولما كانت كلمة ليبو لم تظهر إلا ابتداء من الأسرة التاسعة عشرة في عهد رمسيس الثاني وخليفته مرنبتاح فليس لها إذا إلا نطق واحد هو الليبو. وهكذا سمعها الإغريق ونقلوها عن المصريين حيث استعملت عبر العصور حتى الآن بنطقها الصحيح. ينظر: رجب عبد الحميد الأثرم، المرجع السابق، ص55.

[4] انصرف الأثريون والمؤرخون إلى البحث في التسميات والموطن المحتمل وما يتعلق بهذا الأمر، أما الإتجاه بالبحث والدراسة حول مسألة لماذا بدأ أقوام البحر تحرشهم بمصر من لوبيا، وما الحامل لهم على محالفة اللوبيين غير موجود ما زال يحتاج إلى مزيد من العمل الجاد.

[5] بن السعدي سليمان، المرجع السابق، ص 133.

مع العلم بأن ظهور هؤلاء القوم لأول مرة على الآثار المصرية، كان في رسوم تعود في تاريخها إلى عهد الملك سيتي الأول (الأسرة 19)، أما ذكرهم في النصوص المكتوبة فيعود إلى عهد رمسيس الثاني (خليفة سيتي الأول)، على أجزاء من لوحة عثر عليها في حصن العلمين، كتب عليها ما مفاده أن رمسيس الثاني قام بغزو بلاد الليبو[1]. وبالتالي معظم العلماء متفقون على أن أصل الليبو من سكان بلاد المغرب القدماء، شأنهم في ذلك شأن باقي القبائل المسماة "اللوبية"[2].

ب- صفاتهم عند المصريين: صور الليبو في مقبرة سيتي الأول، بأنهم كانوا يلبسون ثوباً ضيقاً طويلاً مفتوحاً من الجانب، يغطي الكتف اليمنى تاركاً الذراع اليسرى عارية، وهذا الثوب أبيض اللون، ومزخرف بمشبك وبنماذج مختلفة من الجانب المغلق، وتزين شعورهم بريشتان، وللرجال ذقن صغيرة وشوارب كاملة، وأما صفاتهم المميزة لمظهرهم العام، فبشرة بيضاء وشعر أحمر وعيون زرقاء، هذا وقد وشم الذراع والساق، كما أنهم لبسوا النقبة بدل كيس عضو التناسل، كما كانوا غير مختونين[3].

تبين المصادر المصرية في مناظر الحرب اللوبية الأولى الرجال والنساء من الليبو زرق العيون، وأنهم جميعا يلبسون عباءات فضفاضة تلف الجسم، ويظهر منها أحد الكتفين عاريا، وأنه كان يلبس تحت العباءة قميص يعلو الركبة، وشعر الرأس مقسم إلى خصل بعضها ينزل على الجبهة وبعضها ينسدل إلى الخلف[4].

جـ- ذكر الليبو في النصوص المصرية: ظهر اسم "رب RB" وبصيغة الجمع "ربو RBW" أو "رابو RABW"، في فترة الرعامسة من الأسرة التاسعة عشر، وبالضبط خلال عهد رعمسيس الثاني(1290-1223ق.م) كما ذكرت سابقاً، وليس قبل ذلك[5]، على لوحة

[1] أم الخير عقون، دولة الأمازيغ في مصر الفرعونية 950 ق.م- 715 ق.م، دار القدس، وهران، 2015، ص 43.
[2] بن السعدي سليمان، المرجع السابق، ص 133.
[3] محمد بيومي مهران، المغرب القديم، المرجع السابق، ص88.
[4] مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص32.
[5] بن السعدي سليمان، المرجع السابق، ص 101.

برج العرب التي عثر عليها في العلمين[1]. وتدل على أن إقليمهم قد اخضع من قبل ذلك الملك، وهذا باجماع معظم العلماء منذ ظهور علم المصريات.

يبدو أن كلمة ليبو عند المصريين تعني كلا من الأرض والشعب، ومن الواضح أنها تشير إلى قبيلة خاصة في بلاد المغرب، كانت تعيش على مسافة بعيدة عن مصر[2]، تجدر الإشارة إلى أن طريقة انتقال التسمية في مفهومها الواسع لتشمل كامل بلاد المغرب القديم لا تزال غامضة، والمرجح أن الإغريق قد نقلوها عن أفراد من قبيلة الليبو وأطلقوها على كل شمال أفريقيا غرب النيل[3].

بدأ الليبو في القيام بدور مهم في التاريخ المصري بعد حكم رعمسيس الثاني (1212-1202)، إذ اشتركوا في الحروب ضد مرنبتاح (1212-1202ق.م)، ورعمسيس الثالث(1198-1160 ق.م)، وكان زعيمهم من المحرضين للحروب التي كان للمشوش وشعوب البحر الدور البارز فيها، ثم استطاعوا بعد حرب رعمسيس الثالث أن يتسللوا إلى مصر وأن يصل بعضهم مراكز مرموقة فيها، ثم زاد عددهم في البلاد، واشتهروا بإثارة الفوضى والاضطرابات[4]. وقد كشفت لنا أربعة مصادر مهمة من عهد الفرعون مرنبتاح (1223-1211ق.م) حقيقة ذلك الصراع الذي خاضه الليبو في سبيل الإستيطان بمصر هي: 1)- عمود القاهرة[5] 2)-لوحة أثريب[6] 3)- نقوش الكرنك الكبيرة 4)- أنشودة النصر[7] 5)- أو لوحة إسرائيل[1].

---

[1] رجب عبد الحميد الأثرم، المرجع السابق، ص ص 56-55.

[2] محمد بيومي مهران، المغرب القديم، ص 87.

[3] نفسه، ص 87.

[4] بن السعدي سليمان، المرجع السابق، ص 140.

[5] **عمود القاهرة:** جزء من عمود الجرانيت محفوظ الآن بالمتحف المصري بالقاهرة وتحتوي نقوش هذا العمود على ملخص لأعلام الفرعون من الغزو اللوبي. ينظر: حسين عبد العالي، العلاقات الليبية الفرعونية منذ عصر ما قبل الأسرات وحتى بداية حكم الليبيين لمصر، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، إشراف: رجب عبد الحميد الأثرم، جامعة قاريونس، ليبيا، ص 96.

[6] **لوحة أثريب:** لوحة من الجرانيت الوردي عثر عليها عام 1882م وقد كسرت وضاع جزء طولي منها وهي منقوشة من الجانبين فنقش على الوجه عشرون سطرا. ينظر: المرجع نفسه، ص96.

[7] **أنشودة النصر:** نقشت هذه الأنشودة على لوحة من الجرانيت الأسود وتعرف بلوحة إسرائيل لذكر إسرائيل لأول مرة في الوثائق المصرية. ينظر: المرجع نفسه، ص 96.

يقدم المصدر الأول المتمثل في نقوش الكرنك وصفا كاملا لانتصار الملك مرنبتاح في عام 1227ق.م. وتستوقفنا عبارات معينة من هذا النص، تصف حالة مصر قبل تولية مرنبتاح لجزء من أرض مصر:**"وقد ترك ليكون مرعى للماشية بسبب الأقوام التسعة(ويقصد بها اللوبيون)، وقد تركت خرابا منذ زمن الأجداد، وكل ملوك الوجه القبلي يسكنون في أهرامهم... وملوك الوجه البحري ظلوا في وسط مدنهم محصورين في القصر الحكومي لقلة الجنود..."**[2]، وقد ورد في النص أيضا:**" أن رئيس الليبيو (مربى بن دد) قد انقض على إقليم تحنو[3] برمته ..ومعه شردانا، وشكلش، وأقايواش، ولوكا، وتورشا آخذا كل محارب حسن، وكل رجال قتال في بلاده، وقد أحضر زوجه وأولاده ...وقد وصل إلى الحدود الغربية في حقول (بر– ار)"**[4].

يفهم من هذا النص أن رئيس الليبو قد اجتاح إقليم التحنو المتاخم لمصر، وأنه تحالف مع القبائل الهندوأوروبية من شعوب البحر، التي نزلت بساحل لوبيا[5]، وأنه قد صحب النساء والأطفال ليقيم مع شعبه في الدلتا، وأنه قد بلغ في زحفه موقعا يقال له (بر– ار)، ولعله كان على حافة وادي النطرون إلى الشمال الغربي قليلا من منف. وقد جمع "مرنبتاح" رجال بلاطه وخطب فيهم قائلا: **" ...إنكم تنزعجون كالطيور .. هل ستخرب البلاد وأقوام الأقواس التسعة قد أتوا إلى أرض مصر ليبحثوا عن طعام لبطونهم.."**[6]، وكان عدد الغزاة يتراوح بين عشرين ألف رجل وخمسة وعشرين ألف رجل، ويتضح من النصوص التي أوردت بعضها أن الهجوم الذي شنه

---

[1] **لوحة إسرائيل:** سميت بهذا الاسم لأنه لأول مرة يذكر فيها هؤلاء القوم في النصوص المصرية. ينظر سليم حسن، المرجع السابق، ص96.

[2] مصطفى كمال عبد العليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، المرجع السابق، ص 25.

[3] يرى "بيتس" أن التحنو رفضوا الدخول في هذا التحالف لأنهم لم ينسوا بعد الضربات القاسية من "سيت الأول" و"رمسيس الثاني". ولكنهم مع ذلك لم يستطيعوا أن يقفوا أمام هذا الزحف حيث اضطروا للتحالف معهم.

ينظر: Bates , Op-cit, p 216.

[4] مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 25.

[5] توافدت هجرات شعوب البحر مع أقوام هندوأوروبية نحو لوبيا بغرض الإقامة فيها، ولصعوبة موقف اللوبيين من الوضع الاقتصادي الذي سببه المهاجرون ، قام "مربي بن دد" ملك قبيلة الليبو – وهو يستعد للتوجه إلى وادي النيل– باستجاشة تلك الجماعات وتسخيرها لمساعدته على دخول مصر. ينظر: فوزي فهيم جاد الله، المرجع السابق، ص ص 81-67.

[6] مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 25.

الليبو على أرض مصر كان خطيراً، خاصة أنهم تحالفوا مع قبيلة المشوش وشعوب البحر[1]، وقد تقدم ملك مصر لملاقاة الليبو وحلفائهم واشتبك معهم في معركة مهمة، ويبدو واضحا من النص أنها كانت مجزرة بشرية. إذ كان القتال شديداً وعنيفاً[2].

حيث كان عدد الأسرى والقتلى[3] فيها كثير، فقد بلغ عدد القتلى حوالي ستة آلاف ومائتين من الليبو، وحوالي ألفين وثلاثمائة وسبعين من رجال جزر البحر، وعدد الأسرى وصل إلى حوالي تسعة آلاف وثلاثمائة وسبعة وستون[4]. ويتضح من أنشودة النصر فرحة المصريون بعد زوال هذا الخطر الذي بلغ مدينة ممفيس وأوشك أن يفتك بها[5].

لقد انتهى غزو الليبو وحلفائهم من شعوب البحر لمصر بهزيمة ساحقة للمهاجرين أدت إلى هروب زعيمهم وقد وصف نص لوحة النصر (لوحة إسرائيل) هذه الهزيمة، وهروب هذا الزعيم حيث نقرأ: **"وهرب الزعيم الحقير، مهزوم ريبو في قلب الليل وحيدا ومن غير ريشة على رأسه"**[6].

ومن نتائج هذه المعركة كذلك وقوع نساء زعيم الليبو في الأسر وعددهن اثنتا عشرة سيدة، وكذلك أولاده، وقد غنم ملك مصر كما جاء في نقش الكرنك:**"...تأمل فإنهم ذبحوا...ممتلكاته، وعدته، وفضته وذهبه، وأوانيه البرونزية، وأثاث زوجته وعرشه وأقواسه وسهامه، وكل ممتلكاته التي أحضرها معه من بلاده مشتملة على ثيران وماعز وحمير"**[7].

---

[1] أشهر قبائل شعوب البحر التي اشتركت في هذه الحملة مع اللوبيين هي الأكوش(Ekwesh) والترث (Teresh) واللوكا (Luka) والشردان (Sherdan) والشكلش (Shekelesh) (ويرى فيها المؤرخون الآخيين والاتروسكيين واللوكيين والسردنيين والصقليين على الترتيب). ينظر: رجب عبد الحميد الأثرم، المرجع السابق، ص 61.

[2] رجب عبد الحميد الأثرم، المرجع السابق، ص ص 61-60.

[3] جرت عادة المصريين بقطع عضو تناسل الرجل، الذي لم يختتن إذا قتل في المعركة، وكان عدد القتلى يعرف بإحصاء عدد هذه الأعضاء لأن عدم الختان كان عندهم قرين عدم الطهارة. في حين أن عدد القتلى المختونين يعرف بإحصاء أيديهم التي قطعت. وقد بلغ عدد القتلى منهم 2359. ينظر: المرجع نفسه، ص ص 62-61.

[4] سليم حسن، المرجع السابق، ص 267.

[5] رجب عبد الحميد الأثرم، المرجع السابق، ص62.

[6] حسين عبد العالي مراجع، المرجع السابق، ص 107.

[7] بن السعدي سليمان، المرجع السابق، ص214.

أما مصير "مريي" نفسه الذي فر عائدا إلى بلاده مع فلول جيشه، يظهر في نقوش الكرنك في السطرين43 و44 ما يلي:"...**إذا كان حيا، فإنه لا يستطيع أن يتولى القيادة، لأنه أخفق وأصبح عدوا لجيشه...لقد وضعوا(قائدا) آخر في مكانه اختير من بين إخوته...**"[1].يكتسي النص أهمية تاريخية، لأنه يعطينا فكرة مقتضبة عن طبيعة نظام الحكم لشعب الليبو، ذلك أن هذا الشعب قد نصب أحد الإخوة لعجز زعيمهم على تحقيق النصر لقومه.

بعد هذه الإنتكاسة لليبو أصبح ذكرهم نادرا بعد الأسرة الحادية والعشرين، فلم نجد ذكرهم إلا مثلا على لوحة الأمير اللوبي الذي كان أميرا من المشوش، وفي مثال آخر من عهد "شيشنق الرابع"، وفي مثال ثالث عن أمير من نفس العهد يدعى "عنخ حر"، وهكذا فانه من غير الواضح لنا: من أين أتى الكتاب الإغريق الأوائل بالاسم؟، ثم أعطوه المعنى الواسع، وربما تعلموه من اللوبيين أنفسهم[2].

د) أسلحتهم: كان الليبو مجهزين تجهيزا عسكريا راقيا في هجومهم على مصر. بالرغم من أن أخبار تلك الهجمة وصلتنا من وجهة نظر مصرية فقط، فلقد أطلق مرنبتاح على الليبو اسم "أقوام الأقواس التسعة"، أي أن كل مقاتل لوبي كان يحمل وراء ظهره "تسعة أقواس" وليس قوسا واحدا كما هو الحال عند أغلب الجيوش الأخرى[3].

أما "هولشر" يرى أن الليبو عرفوا القوس والنشاب فقط، غير أن أقواسهم ليست بالأقواس الخشبية البسيطة، ولكنها كانت أقواساً مركبة، وتظهر المناظر أنها كانت من نوع يطلق عليه "القوس ذو الزاوية"، ومن خلال صور المواقع الحربية لا يوجد لوبيا واحداً قد شد قوسه ليضرب به، بل نجد قوسه ملقى على الأرض أو معلقا على كتفه أو ممسكا به في يده[4].

[1] بن السعدي سليمان، المرجع السابق، ص 216.

[2] محمد بيومي مهران، المغرب القديم، ص 88.

[3] عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص 115.

[4] محمد بيومي مهران، المغرب القديم، المرجع السابق، ص 89.

وقد استعمل الليبو، في عهد "رعمسيس الثالث" العربات الحربية أسوة بالمصريين، فقد غنم منهم 92 عربة[1]، وكانت عرباتهم تشبه العربات المصرية، إلاّ أن عجلاتهم لها أربع شوكات بدلا من ست في العربة المصرية، ومن هنا فلابد أن نسلم بأن اللوبي قد أخذ استعمال العربة عن المصري[2].

بعد التطرق للعلاقات المصرية المغربية لابد من التساؤل عن السبب الذي كان وراء فشل اللوبيين في هجماتهم كلها ضد مصر آنذاك؟ مع أنهم كانوا يتصفون بالبسالة، والشجاعة وشدة البأس، وهذا الأمر جعل ملوك مصر يسعون لاسترضائهم، وتجنيدهم ضمن القوات النظامية الفرعونية، وتشجيعهم على الاستيطان في أخصب مناطق مصر؟. والجواب على هذا، أن النظم العسكرية القبلية، كانت غير قادرة على مواجهة النظم العسكرية في ظل دولة قوية بمؤسساتها وقوانينها، وغنية بثرواتها ورجالها وإنجازاتها، فهجمات اللوبيين كلها لم تكن في مستوى وفعالية دفاعات الدولة المصرية، ولا هجمات جيشها المنضبط والخاضع لقيادة موحدة[3].

لذا فإنه – بعد استقرار أولئك البدو من اللوبيين في مصر، وبعد مرور نحو قرنين وأكثر من الزمن– انصهروا وذابوا في بوتقة الحضارة المصرية، وهضموا نظم الدولة واستوعبوها. وبذلك تمكنوا مع مرور الوقت من الوصول إلى قمة السلطة في مصر، إذ استولوا على عرش البلاد تدريجيا، حيث تكونت منهم الأسرة الفرعونية الثانية والعشرون والثالثة والعشرون بعدها[4].

لقد كانت قبائل الليبو والمشوش من القبائل اللوبية الكبيرة، الواسعة الانتشار والتي لعبت دوراً بارزاً في تطورات الأحداث في ذلك الوقت. لذلك نجدها ترد في النصوص المصرية القديمة بشيء من التفصيل، والذي يبدو من أحداث التاريخ أن اسم لوبيا واللوبيين أو ليبيا والليبيين قد سيطرت على بقية الأسماء التي ذكرت في النقوش المصرية، فقد دخلت هذه الكلمة "الكتاب

[1] عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص124.

[2] محمد بيومي مهران، المغرب القديم، المرجع السابق، ص 89.

[3] رجب عبد الحميد الأثرم، المرجع السابق، ص 66.

[4] بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص49.

المقدس" لتدل على هؤلاء الذين يحكمون مصر من المشوش، كما ذكرت لتربط بين اللوبيين ومصر، وذلك في عصر يسبق بالتأكيد صلة اليونان من أهل قورينة أول مدينة لهم ببلاد المغرب[1].

كذلك ذكرت المصادر المصرية عدَّة مجموعات قبلية صغرى أشهرها ثلاث قبائل هي: الأسبت والهس والبقن، كانت تلك القبائل تنتشر على طول الحدود الغربية لوادي النيل والتي لم يكن يفصلها عن جيرانها حدود واضحة، اعتبرت تاريخياً النسيج الاجتماعي الباكر لسكان المغرب القديم الذي ورد في النقوش والنصوص المصرية القديمة، وبناءً على التسلسل الزمني فإن كل مجموعة قبلية شاع ذكرها في فترة من فترات التاريخ المصري القديم[2].

هكذا كان التمحو هم أول مجموعة قبلية يعود ذكرها إلى عصر ما قبل الأسرات، والتمحو إلى نصوص الدولة الوسطى، أما الليبو فإلى عهد الدولة الحديثة، والمشوش إلى العهد الانتقالي الثالث[3]، حيث تتجاهل المصادر المصرية –فيما بعد– ذكر سكان بلاد المغرب القديم وتفصيل بنيتهم الاجتماعية منذ منتصف القرن السابع ق.م الذي يمثل نهاية حكم الملك إيوبوت الثاني (715 ق.م) آخر ملوك الأسرة الثالثة والعشرين اللوبية التي حكمت مصر[4].

رغم أصالة المصادر المصرية إلاّ أنه يجب الإقرار بأن ما ورد فيها عن المغرب القديم لا يكفي لكتابة تاريخ مفصل عن المنطقة، وخاصة ما يتعلق بمساهمة المغاربة القدامى في تأسيس وتطوير الحضارة المصرية (الفرعونية)، وكل ما يمكن تقديمه هو بعض المعلومات عن القبائل التي كانت تسكن تلك المنطقة، والتي دفعتها ظروفها أن تدخل المجال المصري سياسيا أو حضاريا، لذلك يجب الحيطة من هذه المصادر خاصة إذا تعلق الأمر بالمنازعات الحربية، لأنها كانت متأثرة

---

[1] مصطفى محمد بازمه، سكان ليبيا، المرجع السابق، ص85.

[2] مها العيساوي ، المرجع السابق، ص 101.

[3] **العصر الإنتقالي الثالث**: يعرف أيضاً بالعصر الوسيط الثالث (1085-730 ق.م)، اشتمل على حكم ملوك الأسرة الواحدة والعشرين إلى غاية الأسرة الثالثة والعشرين، ويطلق عليه بعض المؤرخين بعصر الانحطاط أو عصر الحكم الأجنبي. ينظر: Guy Rachet, Op-cit, P XVI.

[4] مها العيساوي، المرجع السابق، ص 101.

بالمبدأ الديني الخاص بعقيدة ألوهية الملك، التي تفرض دائما انتصار الفرعون على أعدائه ولا تسمح بهزيمته أبداً، ولو كانت الحقيقة غير ذلك[1].

وإذا كانت الآثار المصرية قد حدثتنا هذا الحديث الطويل عن اللوبيين، وعن أصولهم وفروعهم، فإنه كم يكون من المفيد لو تكشفت أرض بلاد المغرب عن آثار[2] تضيف إلى هـــــذا الحديث وتوضح ما يكون قد غمض منه[3].

المبحث الثالث: خصائص المجتمع اللوبي: تساعدنا النصوص المصرية في دراسة المجتمع اللوبي بصفة عامة ونظام أسرته خاصة، إذ قدمت صورة بسيطة وواضحة عن اللوبيين في إطار الحديث عن الانتصارات الحربية للملوك الفراعنة .

أولا–القبيلة والأسرة: نعالج في هذا العنصر القبيلة والأسرة ونظام الحكم ومكانة المرأة اللوبية.

1– القبيلة: كان نظام المجتمع اللوبي في هذه الفترة قبلياً والدليل على ذلك، كثرة القبائل المختلفة التي سكنت إلى الغرب من مصر، وقد ظهرت مصورة على الآثار المصرية، ثم ذكرها الكتاب الكلاسيكيون فيما بعد. ويرجع سبب وجود النظام القبلي إلى أن الرعي والزراعة المحدودة كانتا تشكلان الجانب الأهم من حياة اللوبيين الاقتصادية[4].

كانت الأسرة نواة أساسية للمجتمع، فنقوش الكرنك في عهد مرنبتاح ذكرت، أن: "مربي بن دد" أمير الليبو صحب زوجته وستة من أولاده إلى الدلتا[5].

---

[1] بن السعدي سليمان، المرجع السابق، ص 08.

[2] لابد على الباحثين أن يكرسوا أنفسهم لدراسة الآثار اللوبية المتمثلة خاصة في الفن الصخري من أجل فك رموز الغموض الذي ظل يلف سكان بلاد المغرب، إن تحقيق ذلك يمكن أن يتم من خلال فحص ما تمثله تلك الصور المنقوشة والمرسومة بالألوان وإعادة ترتيب كافة الأحداث الطبيعية والبشرية الهامة التي كانت تمارس خلال الأزمنة الماضية والتي كانت قد اندثرت منذ آلاف السنين وفقا لأسلوب التسلسل الزمني (الكرونولوجي). للمزيد ينظر: باول جراتسيوتي، دليل الفن الصخري في الصحراء الليبية، تر: إبراهيم أحمد إمحمد المهدوي، ط1، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 2008، ص 19.

[3] مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 35.

[4] أم الخير عقون، دولة الأمازيغ، المرجع السابق، ص 69.

[5] رجب عبد الحميد الأثرم، المرجع السابق، ص71.

وقد ورد في نصوص "رمسيس الثالث" أن "مريي بن دد" أمير الليبو صحب معه زوجته وأسرته وابنه، ولذلك فإن الزواج كان الصورة الرسمية للعلاقة بين الرجل والمرأة في مجتمع القبيلة، وأن الزوجة الأولى هي زعيمة نساء القبيلة، وهي السيدة ذات المكانة الاجتماعية الرفيعة بينهن[1].

2- نظام الحكم: كان يرأس مجتمع القبيلة زعيم أو رئيس من أسرة معينة تحتكر لنفسها زعامة القبيلة. وكان هذا الزعيم يعزل عن الرئاسة إذا ثبت عدم كفاءته، ويعهد بمنصبه إلى أحد أعضاء الأسرة الآخرين، كما حدث في حالة أمير الليبو **"مريي ابن دد"** الآنف الذكر، الذي هزمه الفرعون "مرنبتاح"[2]، حيث يشير النص عن ذلك بمايلي:**" لقد هزم مرى وسقطت الريشة من على رأسه ...وكان مساعدوه قد هربوا بسبب خوفه...وإذا عاش فلن يقود مرة أخرى لأنـــه هزم...وسينصبون آخر مكانه"**[3]. يفهم من النص أن رجال القبيلة يستطعون تنحية الرئيس الذي لا ترضيهم تصرفاته.

والحكم الوراثي في القبيلة يكون للأخ وليس للابن فبعد انهزام "مري بن دد" عين بدلاً عنه أخاه وليس ابنه، مع العلم أن كان له ستة أولاد في سن الرجولة وقد شاركوا كلهم في الحرب التي كانت دائرة بينهم وبين المصريين[4].

ويساعد بعض الأشخاص رئيس القبيلة في تسيير شؤونها، لعلهم كانوا يشكلون مجلساً استشارياً. فقد أشار النص السابق إلى كلمة **"مساعدوه"**، وأشارت نصوص الملك "رمسيس الثالث" إنه أمر أن يحضر إليه الأسرى العشرة، يرجح أنهم كانوا يشكلون المجلس الاستشاري، الذي تعاون مع رئيس القبيلة في إدارة شؤونها[5]. وتذكر الآثار المصرية، كيف قبض على خمسة من رؤساء القبائل ومستشاري الرئيس "مششر" فورد في النص: **" تجمع الأسرى تحت الشرفة ومن بينهم رؤساء البلدان (القبائل) متجمعين، يندبون حظهم السيء وقد أخذ المستشارون إلى**

[1] مها العيساوي، المرجع السابق، ص118 .
[2] المرجع نفسه، ص 118.
[3] رجب عبد الحميد الأثرم، المرجع السابق، ص 73.
[4] أم الخير عقون، دولة الأمازيغ، المرجع السابق، ص 70.
[5] رجب عبد الحميد الأثرم، المرجع السابق ، ص 73.

الملك"[1]، وأشير في نصوص الأسرة الثانية والعشرين اللوبية إلى: **"زعماء أرض المشوش"** و**"الرئيس الأعظم للمشوش"** و**"رئيس الرؤساء"**[2].

أما في قبيلة الأوزيين نلمح مجلساً من نوع مغاير، ذلك أنه كان لهذه القبيلة مجلس يضم جميع الرجال البالغين، ينعقد مرة كل ثلاثة أشهر، أي مرة كل فصل من فصول السنة. وتدل النقوش المصرية على أن رؤساء القبائل اللوبية كانوا من الطبقتين: رؤساء كبار ورؤساء آخرون من مرتبة أدنى[3].

أما واجبات وامتيازات رئيس القبيلة فهي غامضة. وتدل النقوش المصرية على أن الرؤساء اللوبيين كانوا قادة في الحروب أو مستشارين للاتحاد القبلي في حالة وجوده. أما في وقت السلم فسلطتهم كانت ضئيلة إلاّ أنهم –على أي حال– كانوا يتمتعون بغذاء وكساء أعلى من مستوى غذاء وكساء أفراد القبيلة العاديين، وهكذا فإن الرئيس وحده لقبيلة من اللوبيين الفقراء كان يتنعم بحصيرة من الجلد في منزله[4].

وكان رئيس القبيلة يجمع في يده السلطتين الزمنية والدينية، فهو رئيس مجلس القبيلة وقت السلم، يدير شؤونها، وقائد الجيش وقت الحرب[5]، ويعتقد "بتيس" بأن رئيس القبيلة يعتبر كاهناً أيضاً[6].

وترينا الصور، التي حفظتها جدران المعابد في مصر بعض المشوش يتحلون بريشة واحدة وآخرون بريشتين، فإن ذلك –على الأرجح– يعتبر علامة تباين في المركز الاجتماعي، فإن الرؤساء من الطبقة الأولى يتحلون بريشتين، بينما يتحلى الرؤساء من الطبقة الثانية بريشة واحدة، وإلى جانب الريشة تزينوا بجناحي الطائر، والرداء الطويل المزركش أيضاً، وتجمع شواهد النقوش المصرية على أنه كان لا يلبسه إلا الأمراء والرؤساء من المرتبة الأولى. وكان الرؤساء يتميزون عن أبناء

---

[1] أم الخير عقون، دولة الأمازيغ، المرجع السابق، ص 71.

[2] رجب عبد الحميد الأثرم، المرجع السابق ، ص 73.

[3] عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص88.

[4] عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص88.

[5] رجب عبد الحميد الأثرم، المرجع السابق، ص73.

[6] Bates, Op-cit, P 116.

قبائلهم بالوشم ويلبسون ذيل الحيوان، كما أن نساء الرؤساء الكبيرات كُنَّ يبجلن بارتداء زي الرجال[1].

3- المرأة اللوبية: كان للمرأة دور ملحوظ في المجتمع اللوبي، فإلى جانب كونها زوجة وأم، فقد خرجت مع الرجال للحرب وإسعاف الجرحى، وارتدت زي الرجال عندما تقلدت منصبا قياديا، ومنه جراب العورة وذيل الحيوان، وهو ما نقلته نقوش ساحورع، ونقوش معبد هابو[2]، وهذا دليل أن المرأة اللوبية كان لها دور بارز في المجتمع القبلي.

وبالنسبة للأعمال التي كانت تمارسها فإنها كانت تكاد تنحصر في إعداد الطعام، وحلب المواشي، وغزل الخيوط اللازمة لإعداد الملابس. ونحن لا نعرف الكثير عن دور المرأة الرئيـــــس ألا وهو تربية الأطفال والعناية بهم[3].

كانت المرأة تتمتع بعدة امتيازات ناجمة عن نظام الإرث القائم على أساس التسلسل من نسل الأم. ومما يؤيد وجهة النظر هذه أن النساء اللوبيات يظهرن بزي الرجال في نقوش سحورع، مما يدل على أنهن كن موضع تكريم فنحن نعرف أن الملكة حتشبسوت كانت من أجل هذه الغاية ذاتها تظهر آثار عصرها بزي الرجل[4].

4- تعدد الزوجات: تساعد النصوص المصرية القديمة في دراسة المجتمع اللوبي بصفة عامة، ونظام أسرته بصفة خاصة. ومن بينها ظاهرة تعدد الزوجات. ورد في نقوش الكرنك أن "مريي ابن دد" أمير قبيلة الليبو، كان يصحب معه نساءه وعددهن اثنتا عشرة زوجة. كما أشير إلى نساء "كبير ابن دد" في نصوص "رمسيس الثاني"[5].

---

[1] عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص 88.

[2] أم الخير عقون، دولة الأمازيغ، المرجع السابق، ص 72.

[3] مها العيساوي، المرجع السابق، ص 119.

[4] عبد اللطيف محمد البرغوثي، المرجع السابق، ص 87.

[5] رجب عبد الحميد الأثرم، المرجع السابق، ص71.

ونقرأ في لوحة بيعنخي (مؤسس الأسرة الخامسة والعشرين 715-656 ق.م)، أن: الملك "نمرود"، – وهو لوبي من المشوش– أرسل زوجته " نس تنت" إلى الملك "بيعنخي"، لتطلب العفو منه لزوجها. ويشير النص:**"ولما دخل بعنخي قصر نمرود، أمر أن تأتي إليه زوجات الملك وبناته"**[1]. وهذا النص يؤكد تعدد زوجات الملك اللوبي الأصل، لأن المصريين لم يكونوا يتخذون إلا زوجة واحدة[2].

وقد اتخذ زعيم القبيلة اللوبي زوجات ثانويات، فنصوص الكرنك تذكر الرجال الستة الذين اصطحبهم "مريي بن دد" كانوا في سن الرجولة. ربما لم يكونوا كلهم أبناء الزوجة التي اصطحبها معه، ويؤكد ذلك ما ورد في فقرة أخرى من قائمة أسرى الحرب على جدران الكرنك، جاء فيها:**"أسرت نساء الزعيم اللوبي المهزوم اللواتي جلبن معه، وكن اثنا عشر امرأة لوبية"**[3]. وأما في حرب القبائل اللوبية المتحالفة ضد "رمسيس الثالث"، فقد أُسرت ثلاثمئة واثنان وأربعين من زوجات زعماء القبائل المتحالفة[4].

وثمة شواهد أخرى نقف عليها من لوحة "حاربسن"(من الأسرة الثانية والعشرين) وقد سجل هذا الملك، وهو ينحدر من أسرة لوبية شجرة نسبه. ويتبين أن كل رجل من هذه الأسرة كان يتخذ زوجة واحدة. ولعل ذلك يفسر بأن هذه الأسرة، بحكم إقامتها في مصر، كانت قد تأثرت بالعادات المصرية فلم يتخذ رجالها سوى زوجة واحدة، أسوة بالمصريين، أو أن الزوجة التي ورد ذكرها كانت السيدة الأولى في حريم ضم عددا من الزوجات[5].

---

[1] عبد اللطيف محمد البرغوثي، التاريخ الليبي القديم، ص86.

[2] ربما يرجع ذلك لأسباب دينية حيث أشادت بعض النصوص الدينية بصلاح أزواج مثاليين لم يكونوا يرتضون بديلا عن زوجاتهم حتى في عالم الآخرة، ولو تعددت جواريهم، وترتب كذلك على شيوع رغبة الاستقرار بين أحيار المصريين القدامى إلى تقليل أخذهم بتعدد الزوجات، وكان لثقل التزامات الطلاق أثر كذلك في شيوع الاكتفاء بزوجة واحدة. للمزيد ينظر: عبد العزيز صالح، الأسرة المصرية في عصورها القديمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1988، ص23

[3] مها العيساوي، المرجع السابق، ص119.

[4] أم الخير عقون، دولة الأمازيغ، المرجع السابق، ص 73.

[5] مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص39.

تعدد الزوجات في هذا المجتمع اللوبي القديم لا يعني انحطاط مركز المرأة فيه، لأن المرأة اللوبية تظهر في صور الآثار المصرية مرتدية ملابس الرجل، ومتحلية أيضا بنفس زينته. وهذا في حد ذاته دليل على علو منزلتها في المجتمع اللوبي. وبالإضافة إلى هذا فإن نظام الإرث القائم على أساس التسلسل من نسل الأم كان شائعا بين القبائل اللوبية في هذه الفترة[1].

ثانيا– مظاهر الحضارة المادية لدى اللوبيين.

1– الملابس والحلي: تميزت كل قبيلة لوبية بطريقة لباسها وأزياءها. فمثلا، كان التحنو يلبسون شرائط من الجلد وقراب العورة، أما عند التمحو فملابسهم كانت أرقى بقليل. وقد أشرنا سابقا إلى أنها كانت تتكون من عباءة فضفاضة مزخرفة من الجلد، ثبت في ذيلها شريط مخطط. وإلى جانب ذلك احتفظ التمحو بقراب العورة. وذُكر أيضا أن الليبو كانوا يلبسون تحت العباءة بدلا من قراب العورة قميصا يعلو الركبة، وأن ملابسهم تكاد تشبه ملابس المشوش. غير أن المشوش كانوا يلبسون قراب العورة، الذي يقتصر لبسه على البالغين من الرجال والنساء دون تمييز في المركز الاجتماعي[2].

وأبسط أنواع الألبسة القبلية، وإن لم تكن أكثرها شيوعا كانت تظهر على الآثار المصرية منذ عهد الأسرة الثامنة عشرة. ولعل أحسن تصوير للزي اللوبي هو ما يبرز على آثار مدينة هابو بمصر من عهد الأسرة العشرين، حيث يظهر جراب العورة اللوبي كإزار بسيط مثبت من الأعلى بحزام فوق الخصر ومنسدل إلى ما فوق الركبتين بقليل، وبه في بعض الأحيان فتحة من الأمام[3].

أما أزياء المرأة فهي بالإضافة إلى ما سبق ذكره من خصائص أزياء الرجال فقد ارتدت سروالاً يبدأ من الوسط ويقف أعلى الركبتين ويثبت بنفس الحزام الذي يثبت عليه جراب العورة، كما أن

[1] محمد بن مسعود، تاريخ ليبيا العام من القرون الأولى إلى العصر الحاضر، ج1، ط1، المطبعة العسكرية البريطانية، طرابلس، 1948 ، ص32.

[2] رجب عبد الحميد الأثرم، المرجع السابق، ص80.

[3] عبد اللطيف محمد البرغوثي، التاريخ الليبي القديم، ص96.

النسوة تخلوا عن الذيل[1]. وقد لفت انتباه الأثريين مدى تقدم اللوبيين في تنسيق الألوان، بين لون القطعة التحتية (النقب أو السروال) ولون الرداء الفوقي (الجلابيب)[2].(**ينظر، الشكل رقم:07**).

الشكل رقم:07 أزياء رؤساء القبائل اللوبية

نقلا عن: موسوعة تاريخينا، ص 124.

أثّر اللوبيون في عادات المصريين وتأثروا بها، فمثلا ارتداء قراب العورة (Phal-lus-Sheath)، الذي يرتبط بعادة الختان ظهر في تماثيل عصر ما قبل الأسرات في صعيد مصر. كما اتخذه اللوبيون لباسا لهم –كما مر بنا– هذا فضلا عن استمرار اتخاذه في مصر لباسا للآلهة والملوك والشباب حتى سن الزواج[3].

وكذلك التزين بالريشة فوق الرأس هي عادة لوبية أخذها عنهم المصريون، حيث يشير رجب عبد الحميد الأثرم[4]: **"أن المصريين كانوا يلبسون طاقية فوق رؤوسهم، وعندما يعتنون بالزينة يضعون الريش فوق رؤوسهم"**.

[1] أم الخير عقون، دولة الأمازيغ، المرجع السابق، ص 80.

[2] المرجع نفسه، ص 85.

[3] رجب عبد الحميد الأثرم، المرجع السابق، ص 85.

[4] المرجع نفسه، ص 85.

وكان اللوبيون ينتعلون الأحذية، وإن كانوا يظهرون في صور الآثار المصرية حفاة الأقدام. ولعل ذلك عائد إلى إهمال من الفنانين المصريين، أو أنهم اتخذوا ذلك أسلوباً فنياً بطريقتهم في الرسم، أو المبالغة في إظهار اللوبيين بمظهر الذل والخضوع. والدليل على ذلك نصوص معبد الكرنك من عهد مرنبتاح، التي تشير إلى:**"أنهم قد تركوا ملابسهم ومتاعهم وأحذيتهم أيضا"**[1].

وأما لباس الرأس فلم يكن شائعا بين اللوبيين بشكل عام. ولكن يظهر البعض خاصة المشوش على الآثار المصرية وهم يرتدون نوعا من غطاء الرأس، يشبه ما يعرف اليوم باسم الكوفية. وكانوا يثبتونه على رؤوسهم بالعصبة بدلا من العقال عند العرب. ولم تكن القبعة التي تغطي قحف الرأس مجهولة عندهم، حيث يثبت معرفتهم لها صور مدينة هابو، التي تظهر امرأة لوبية تلبس قبعة على رأسها. وفي لوحة للملك تحتمس الرابع (1401-1390 ق.م) من الأسرة الثامنة عشرة يظهر رجل يلبسها أيضا[2].

ولعل أشهر الحلي، التي كان اللوبيون يتزينون بها هي ريش النعام، وإن كانت لا تظهر أحيانا في الصور المصرية. ولعل مرد ذلك إلى التوفير في السطح الذي رسم عليه الفنان. وقد مر بنا أن الريشة من علامات الزعامة، وسقوطها من على الرأس هو علامة ذل وعار لحاملها. وكـــــان الرؤساء يتحلون أيضا بذيل الحيوان -كما سلف ذكره-[3].

وبالإضافة إلى ذلك فإن اللوبيون كانوا يلبسون أيضا الحلق والأساور. ويظهر ذلك في نقوش"سحورع" ونقوش مدينة"هابو"، حيث كان بعض الرجال والنساء يتحلون بالعقود والأساور[4]. كما نجد الرجال والنساء والأطفال على السواء يزينون أعناقهم بشريط حول الرقبة تتدلى منه قلادة طويلة يصل أطرافها إلى الخصر، وهي ثلاثة شرائط تعقد أسفل العنق، ويمر فوقها

[1] عبد اللطيف محمد البرغوثي، المرجع السابق، ص98.

[2] رجب عبد الحميد الأثرم، المرجع السابق، ص ص 81-80.

[3] رجب عبد الحميد الأثرم، المرجع السابق، ص 81.

[4] مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 42.

الشريطان المتقاطعان[1]، وأما الخلاخل فقد وردت في نقوش "تحتمس الرابع"، حيث يظهر أحد أفراد قبيلة الليبو وفي قدمه اليمنى خلخال.

كان اللوبيون يعتنون بتصفيف الشعر، وترتيبه في جدائل، على نحو ما يظهر على الآثار المصرية. ومن الطريف أن "بيتس" لاحظ أن العلامة الهيروغليفية الدالة على الغرب (أمنت) عبارة عن شكل يماثل غطاء الرأس، وتعلوه ريشة وينزل منه ما يشبه الشريطين، وهما غير متساويين في الطول، ولعلهما يمثلان جديلتين من جدائل الشعر[2]، كما قام اللوبيون بحلق الرأس تماماً والإبقاء على الضفيرة الجانبية التي تلف حول الصدغ وتضم خصلات هذه الضفيرة من الأعلى بحلقة ثم يضع اللوبي على رأسه شعراً مستعاراً، والدليل على ذلك سهام الفرعون التي أصابت أحد اللوبيين فسقط على رأسه وقد هو الشعر المستعار بينما بقيت الضفيرة[3].

ويطلق الرجل من اللوبيين، على اختلاف المجموعة الجنسية التي ينتمي إليها، لحيته بشكل منسق. وقد تكون اللحية أحيانا كثة، وقد تكون خفيفة تحيط بالوجه وتنتهي بطرف مدبب. ونشاهد في نقش بوادي الملوك بالأقصر يعود تاريخه إلى عهد الفرعون سيتي الأول (الأسرة التاسعة عشر)، ضمن منظر مشهور يعرف باسم "شعوب العالم الأربعة" أن الرجل كان يطلق شاربه. ولكن إطلاق الشوارب لم تكن عادة شائعة عند كل اللوبيين[4].

واستعمل اللوبيون الوشم أيضاً، وأحسن شاهد عليه هو صور الرؤساء اللوبيون المرسومة بالدهان في تل العمارنة على ضريح "سيتي الأول" (1294-1279 ق.م) من الأسرة التاسعة عشرة. وبلاط هبو الأملس. ويدل رسم الأمير اللوبي الموجود في تل العمارنة على أنه كان رئيساً كبيراً لأنه يتحلى بريشتين. ويلاحظ على الكتف الأيمن لهذا الرئيس رسما من طراز هو عبارة عن خط مزدوج مموج تليه أربع نقط. وعلى صدره وبطنه ستة معينات في صف عمودي. تليها أدنى منها أربعة أخرى. وهذا الوشم يختلف قليلا عما كان مؤلوفا عند اللوبيين عامة. ولقد دل فحص

[1] أم الخير عقون، دولة الأمازيغ، المرجع السابق، ص 81.

[2] مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص ص 42-41.

[3] أم الخير عقون، دولة الأمازيغ، المرجع السابق، ص 85.

[4] نفسه، ص 84.

صور رؤساء التمحو الأربعة، الموجودة على ضريح "سيتي الأول"، على وجود علامات سوداء على أذرعهم وسيقانهم[1].

ويرى "بيتس" أن بعض علامات الوشم هي في الواقع رموز دينية، منها مثلا الوشم الذي على شكل صليب يرمز إلى إله الشمس، وبعض العلامات الأخرى ترمز إلى الربة نيت، كما أن الرؤساء اللوبيون هم الذين كانوا يستعملون الوشم إلى جانب رجال الأسرة المالكة دون نسائها[2].

أما أنماط الوشم التي استخدمها اللوبيون فقد كانت أنماطا محلية بسيطة، وربما كانت في أغلب الأحيان من صنع خيال الفنانين المصريين أنفسهم، ولذلك فإن من الخطأ نسبتها إلى مؤثرات خارجة عن المحيط الإفريقي والأصول الإفريقية[3]. وأهم هذه الأنماط نمط اعتبر أن له دلالة دينية حسبما يرى "بيتس"، لأنه يتعلق بالإلهة نيث(Neith) (لوبية–مصرية)، وأن بعض العلامات الأخرى على هيئة الصليب يرمز إلى إله الشمس، ولأنه يعطينا أيضا تفسيرا لاستخدام اللوبيين للوشم[4].

كان الوشم في البداية عند اللوبيين علامة مميزة للرؤساء الكبار، ثم صار شيوع استعماله بين الرؤساء علامة تدل على أنهم كانوا بذلك يضعون أنفسهم تحت حماية الإلهة نيت. أما الأنماط الأخرى من الوشم فهي بسيطة للغاية ويمكن ردها إلى العصر الحجري الحديث. وربما كان الوشم بأنماطه المختلفة مجرد صبغة، أو وشما حقيقياً ناتجاً عن حقن المادة السوداء تحت الجلد[5].

2– استخدام المعادن: وفق المصادر المصرية استعمل اللوبيون في هذه الفترة المعادن، لأنهم صاروا في مرحلة حضارية متقدمة نسبيا. فقد ذكرت نقوش الكرنك في قائمة الغنائم التي استولى عليها مرنبتاح من الأمير اللوبي"مريي ابن دد"، كؤوس شراب من فضة، وسيوف نحاسية، وسكاكين وأواني برونزية. وكان من جملة الغنائم، التي استولى عليها رمسيس الثالث من اللوبيين

[1] عبد اللطيف محمد البرغوثي، المرجع السابق، ص 102.

[2] Bates,Op.cit.p208.

[3] عبد اللطيف محمد البرغوثي ، المرجع السابق، ص102.

[4] Bates, Op-cit, p 205.

[5] عبد اللطيف محمد البرغوثي، المرجع السابق، ص 102.

مائة وخمسة عشرة سيفاً، طول الواحد منها خمسة أذرع، وأربعة وعشرون سيفاً آخر طول الواحد منها ثلاثة أذرع، بالإضافة إلى أكثر من تسعين عربة حربية. وتؤكد هذه المعلومات صور الأواني اللوبية في النقوش المصرية، وما ذكره الكتاب الكلاسيكيون عن السيوف اللوبية[1].

فمن أين جاءت كل هذه المعدات المتطورة؟ هل ساهم اللوبيون في صنعها وتجهيزها أم أنها قادمة من الخارج؟ وأقرب إجابة عن هذا السؤال هو أن قدماء اللوبيون استوردوا تلك المواد في زمن كانوا يسعون فيه للحصول على موطأ قدم لهم في مصر، بل كانوا يأتون بالأقمشة التي صنعوا منها ألبستهم المميزة من نفس المصدر الذي كانوا يحضرون منه الأسلحة البرونزية، أي من الشردن[2]. وبما أن الأسلحة التي استخدمها اللوبيون كانت محط إعجاب المصريين أنفسهم، فلابد أن تكون مصنوعة أو محورة بطريقة اختلفت عن أسلحة الأقوام الأخرى، مع ظهور الأثر الإغريقي عليها نتيجة اختلاط اللوبيين بشعوب البحر في تلك الآونة، وقد يكون الدليل جلياً على السيوف الطويلة التي اشتهر بها اللوبيون في معركتهم مع "رمسيس الثالث"، والتي كانت تستخدم أيضا عند الشرادنة "السردينيين"[3].

3-العربات: أما العربات اللوبية فهي تشبه العربات المصرية إلى حد ما مع وجود بعض الفوارق الطفيفة. وكان اللوبيون يستعملون العربات منذ عصور ما قبل التاريخ، وإن كانت تبدو بسيطة لم تدخل المعادن في صنعها. وقد رسم الفنان المصري العربات اللوبية على نسق العربات المصرية. ويفسر ذلك إما بأنه لم يلتزم الدقة في الرسم، وإما أنه كان يسجل في رسمه بالفعل نوعا من العربات كانت تقارب في صنعها العربات المصرية[4].

ولا نستبعد أن يكون اللوبيون قد أدخلوا عددا من التحسينات على صناعة عرباتهم بعد احتكاكهم بشعوب البحر أو بالمصريين، سيما وأنهم استعاضوا بالخيل عن الثيران في جرها. ويبدو

---

[1] مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص ص 41-42.

[2] **الشردن:** من شعوب البحر، عرفوا فيما بعد بالسردينيين نسبة إلى جزيرة سردينيا. ينظر: حسين عبد العالي مراجع، المرجع السابق، ص100.

[3] عبد العزيز الصويعي، المرجع السابق، ص 118.

[4] عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص ص 125-124.

من طريقة رسم الخيول اللوبية في الصور المصرية أن أصحابها قد أحسنوا تدريبها، إذ كان اللوبيون يركبونها دون أن يسرجوها[1].

4- الأثاث: تكشف نصوص مرنبتاح عن مظاهر الحضارة المادية، حيث تشير أن الأمير اللوبي قد فر تاركا وراءه أثاث زوجته وعرشه. وهذا يعني أنه كان يوجد في مسكن الليبو أثاث، وأنهم كانوا يعرفون الكراسي، لأن رئيسهم اتخذ لنفسه عرشا[2].

وقد عثر في مدينة غدامس (ليبيا الحالية) على صورة، ربما كانت معاصرة لأواخر عصر الدولة الحديثة في مصر. وتمثل الصورة إمرأة جالسة على مقعد غير ذي ظهر، وقد وضعت قدميها على مسند للأقدام، وتلبس ثوباً طويلاً، وشعرها مرجل بطريقة غريبة، ويدها اليمنى ممتدة إلى الأمام ممسكة بسعفة نخل أو ريشة نعام. وخلفها تقف سيدة أخرى أقل منها حجما، ولعلها كانت وصيفة أو تابعة وأمام السيدة الجالسة نصف قوس. واللوحة مهشمة فيما يلي القوس ولا يظهر غير ساعد لشخص ما[3].

وفي رأي "بيتس" أن هذا الرسم يعكس التأثير الفني للدولة الحديثة في مصر، وأنه يذكرنا بمناظر دينية مصرية، وأن المقعد والمسند شبيهان بالمقعد والمسند المصريين، وأن القوس يشبه في طريقة رسمه المقاصير في المعابد المصرية. ويبدو أن هذه الصورة قد رسمت للتعبير عن غرض ديني. ولعلها تمثل احتفالا دينيا تواجه فيه السيدة وتابعتها ربا أو روحا في المقصورة[4]. المهم هو أن هذه الصورة تبين معرفة اللوبيين للأثاث المنزلي[5].(**ينظر، الشكل رقم: 08**)

[1] مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 43.

[2] رجب عبد الحميد الأثرم، المرجع السابق، ص 41.

[3] مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 44.

[4] Bates , Op-cit, p 128.

[5] رجب عبد الحميد الأثرم، المرجع السابق، ص41.

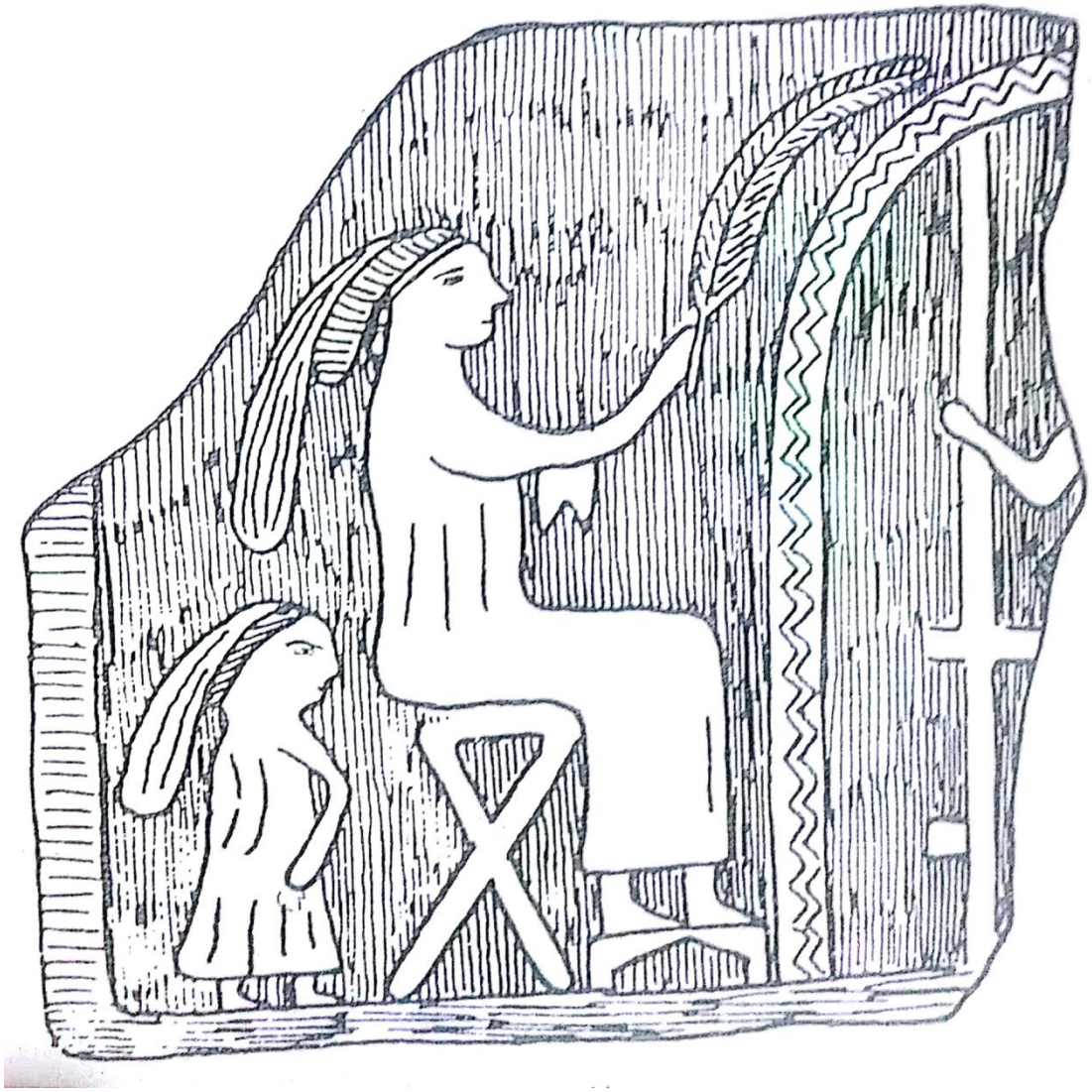

الشكل رقم:08: يوضح إمرأة جالسة على كرسي وقد وضعت قدميها على مسند للأقدام.

نقلا عن: رجب عبد الحميد الأثرم، المرجع السابق، ص 87.

كما اهتم الأمراء اللوبيون بالزينة أيضاً، حيث تم ذكر الزهريات الذهبية والفضية والبرونزية بين الغنائم التي استولى عليها المصريون. وتدل أشكال تلك الزهريات كما صورتها النقوش المصرية، على أنها كانت من صنع فينيقي، ولتلك الزهريات أهمية خاصة من حيث دلالتها على ثراء الأمراء اللوبيين وعلى علاقاتهم بالآسيويين[1].

أما الأواني من المحتمل أن يكون المصريون قد قصدوا الأواني الخزفية عندما سجلوا في قوائم غنائمهم من اللوبيين "الزهريات المتنوعة". ومن المؤكد أن اللوبيين كانوا يستعملون فناجين خزفية

[1] عبد اللطيف محمد البرغوثي، المرجع السابق، ص114.

وجرارا فخارية. وإن كانت الخزفيات إجمالا نادرة لدى اللوبيين لأنهم لا يستطيعون صنع الأواني الخزفية نظرا لأن تربتهم كانت رملية، فقد عملوا فناجين من قشر بيض النعام. كما عرف اللوبيون نوعاً آخر من الأواني، هي الأواني المصنوعة من الخشب أو لحاء جذوع الشجر[1].

ولنا أن نتصور أن مساكنهم كانت لا تخلو من الأواني الفخارية أو المعدنية وقرب الماء، وأنه كان لديهم أدوات تستخدم في كافة أغراض الحياة اليومية من أكياس وأوعية وسلال وغيرها[2].

ثالثا: مساكن اللوبيين: استعمل اللوبيون نوعاً من الحجارة في البناء، لم تستطع مقاومة عوامل الزمن، لذلك لم يعثر على أبنيتهم في العصور التي نتحدث عنها. وقد سكن اللوبيون الكهوف الطبيعية كذلك.

وأما الخيام الجلدية، فقد استمر استعمالها منذ العصر الفرعوني وحتى فترة متأخرة. وبالإضافة إلى الخيام كان اللوبيون يسكنون أكواخا متنقلة كانت منتشرة بصورة عامة وفي كل بلاد المغرب[3]. وكان نقل هذه الأكواخ من مكان لآخر أمراً سهلا، لأنها كانت في الواقع عبارة عن حواجز خفيفة تقي سكانها من الشمس والرياح[4].

يتضح من عرض مظاهر الحياة الاجتماعية عند اللوبيين أن هناك حضارة لوبية نابعة من البيئة أثرت بجيرانها وتأثرت بهم، وإن كان لها شخصيتها الخاصة. وهذا ما يفسر لنا كيف كانت الزعامة في التحالف بين اللوبيين وشعوب البحر أنفسهم. لأن هذه القبائل اللوبية كانت من القوة والحضارة ما أوجب أن يدين لها بالزعامة أصحاب الحضارة الإيجية السابقة للحضارة الإغريقية الكلاسيكية، وكيف تمكنت هذه القبائل من أن تحكم لأكثر من مائتي سنة مصر، التي تعتبر في تلك الفترة أقوى إمبراطورية في شرق البحر المتوسط.

معظم المعلومات التي وردت عن قبائل لوبيا الشرقية جاءت من خلال المصادر المصرية القديمة، سواء كانت من خلال نقوشهم وكتاباتهم أو من خلال ما ذكره لنا ملوك مصر عنهم.

---

[1] عبد اللطيف محمد البرغوثي، المرجع السابق، ص 114.

[2] رجب عبد الحميد الأثرم، المرجع السابق، ص 41.

[3] المرجع نفسه، ص 89.

[4] عبد العزيز الصويعي، المرجع السابق، ص 323.

يتضح لنا وجود صلات بين سكان بلاد المغرب القديم ومصر حسبما دلت عليه الآثار المختلفة، والتي يستنتج منها أن التواصل كان مباشرا في أغلب المراحل، وشمل الحدود بينهما في الدلتا(الوجه البحري) الجنوب(الصعيد)، وقد تراوحت طبيعة تلك العلاقات بين الصراع في أكثر الفترات التي عرفت النزوح والهجمات اللوبية على منطقة وادي النيل، كما كانت سلمية في فترات أخرى.

إن لكل قبيلة تسمية معينة خاصة بها، واحيانا تلك التسمية تشير إلى موطن تلك القبيلة، أي أن بعض التسميات لها مدلول جغرافي.

كانت معظم القبائل اللوبية على درجة من النضج الحضاري والرقي، ويتضح ذلك من خلال ملابسهم الفضفاضة وأدواتهم اليومية، وطريقة معيشتهم، بالرغم من أن بعض القبائل قد امتازت بالبداوة.

إن الشكل الظاهر للعلاقات المصرية عبارة عن ضغط من اللوبيين في الغرب محاولة للاستيطان بمصر، يقابله صد من قبل المصريين في محاولة منعهم من تحقيق ذلك. ولكننا نجد أن القبائل اللوبية كانت منتشرة خلال عصر ما قبل الأسرات في الدلتا ومختلطة بالمصريين، لدرجة أن المصري أو اللوبي تجاوز الحد الفاصل بين الدولتين. وكما تشير أغلب المراجع الموجودة بين أيدينا إلى أن الصلة بين الفريقين كانت عدائية، مع وجود علاقات صداقة نتج عنها اتصال وثيق، أدى إلى التفاعل الحضاري والاجتماعي.

الفصل الثاني:

حكم الأسرتين اللوبيتين (22–23) في مصر القديمة وانعكاساتها على التواصل الاجتماعي والثقافي.

المبحث الأول: التغلغل السلمي للوبيين إلى مصر واندماجهم في الحضارة المصرية.

المبحث الثاني: تأسيس الأسرة الثانية والعشرين والثالثة والعشرين.

المبحث الثالث: المظاهر الاجتماعية والثقافية من عهد اللوبيين بمصر.

أدركنا مما سبق أن علاقة قدماء اللوبيين بالأرض المصرية ووادي النيل كانت وطيدة الصلة، حيث قامت بين الطرفين حروب شرسة في البداية، ثم فرض اللوبيون أنفسهم بالطرق السلمية، وصار الاندماج بينهم واضح، خصوصا في فترات الضعف الذي أصاب الحكومات المتأخرة في مصر، حيث بدأ المشوش يدخلون في معسكرات الفراعنة القتالية في أواخر الدولة الحديثة، فصاروا مدافعين عن الوادي.

وبات فرعون مصر يستحق الثناء، حيث يذكر المستشرق، شارل أندري جوليان:**"عندما يأخذ التاج الأبيض العظيم من أيدي هؤلاء الأجانب العظام الذين يحكمون الليبيين"**[1]، ويقصد رؤساء القبائل اللوبية وبالذات قبيلة المشوش.

هذا الاندماج كان مفروضاً بقوة الكثرة وإعادة المحاولة عدة مرات، إلى أن تم استقرار القبائل اللوبية بأعداد كثيرة، تقبل فراعنة مصر هذا الواقع وتعاملوا معه سلميا بدل التورط في المقاومة المسلحة وإقامة الحصون المنيعة. وقد فرض اللوبيون أنفسهم في مصر وأثبتوا قدرتهم على قيادة الجيش ورئاسة الكهانة، ثم توصلوا إلى اعتلاء عرش مصر مدة طويلة.

المبحث الأول: التغلغل السلمي للوبيين إلى مصر واندماجهم في الحضارة المصرية:

أعالج في هذا المبحث مناطق استقرار اللوبيون في مصر، ومظاهر اندماجهم في الحضارة المصرية.

أولا– مناطق استقرار اللوبيون في مصر: كانت عملية دخول اللوبيون إلى مصر واستقرارهم فيها عملية طويلة الأمد، يبدو أنها بدأت في القرن الثالث عشر قبل الميلاد بشكل رسمي، واستمرت حتى القرن الثامن قبل الميلاد، ورغم أن النقوش والنصوص المصرية من عهدي "مرنبتاح" (1212-1202 ق.م) و"رعمسيس الثالث" (1182-1151 ق.م)، تسجل وقوع ثلاث معارك بين المصريين وجيرانهم الغربيين في مدة خمسة وثلاثون عاما، إلاّ أن ادعاءات هؤلاء الملوك عن تحقيق الانتصارات تبقى مثار شك، وتضليل بالنسبة للمؤرخين[2]، لأنه في عهد

[1] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص71.

[2] بن السعدي سليمان، المرجع السابق، ص 255.

"رعمسيس الثالث" نفسه، تمكنت مجموعات متنوعة من اللوبيين من التمركز في مصر السفلى.

ويرى البعض أن عدداً من هذه المجموعات، كانت قد واصلت زحفها نحو مصر قادمة من الصحراء الغربية، كآخر محطة حصل فيها قتال مسلح بين اللوبيين والجيش المصري[1]. ويعلق "أرنلوند توينبي" على ذلك أن المصريين استسلموا في النهاية إلى انسياح اللوبيين الذين انتهى بهم الأمر إلى إنشاء طبقة عسكرية في مصر، واشتركوا في الكهانة المصرية الوطنية[2].

وقبيل نهاية الأسرة الحادية والعشرين، بدأ اللوبيون يتجمعون في غربي الدلتا، وفي ناحية هيراقيلوبوليس"أهناسيا" القريبة من مدخل الفيوم، وكانوا على شكل جاليات إتنتظمت كل مجموعة منها في عدد من الحاميات، وكان يرأس كل حامية رئيس لوبي، كما كان يتوسط كل حامية مدينة هامة، وامتد ظهورهم إلى الجنوب حتى طيبة[3].

ويعتقد أن بعض الحاميات كان على هيئة أسرى حرب أو عمال مأجورين أو مهاجرين، حيث بدأت أعدادهم تتضاعف، وقوتهم تتزايد، ونفوذهم يتغلغل داخل الأسر الحاكمة عن طريق الزواج والمصاهرة. ومع مرور الزمن حتى النصوص والنقوش المصرية لا تذكر اللوبيين على أنهم أجانب أو غرباء عن المصريين الأصليين، باستثناء ما يتعلق بأسمائهم المميزة[4].

رغم أنه لا يمكن تحديد معالم تفصيلية لهذه العملية إلاّ بشكل جزئي، لأن تحديد مواقع كثيرة من الأسماء الجغرافية المرتبطة بهذه العملية مجهول. إن المنطقة الفعلية التي استوطنها "ريبو" لا تزال معالمها مجهولة إلاَّ مرة واحدة أشير إليها أثناء حكم رمسيس الثالث (1182-1151 ق.م)، وهي المنطقة المحاذية لحدود الدلتا الغربية من مقاطعة "منف" حتى "قرويين"، وهو مكان مجهول المعالم، وإن كان يعتقد أنه يقع قرب "أبو قير" في الإسكندرية[5].

ثانياً– مظاهر اندماجهم في الحضارة المصرية: بعد انتهاء عصر الرعامســـــة (1295-

[1] عبد العزيز سعيد الصويعي، الفرعون الليبي شيشنق الأول وإمبراطوريته الأفرو–آسيوية، ط1، دار الرواد، طرابلس، 2013، ص 51.
[2] أرنلود توينبي، المرجع السابق، ص 116.
[3] بن السعدي سليمان، المرجع السابق، ص 262.
[4] عبد العزيز سعيد الصويعي، الفرعون الليبي شيشنق، المرجع السابق، ص 52.
[5] بن السعدي سليمان، المرجع السابق، ص 255.

1188 ق.م). بدأت الفترة التي تحدث عنها "كتشن"(Kitchen) الفترة الوسطى الثالثة[1] (1070-747 ق.م)، حيث كان اللوبيون قد تخلصوا من عدوهم اللدود "رمسيس الثالث" (1182-1151 ق.م)، وأضافوا الثقافة المصرية إلى صلابتهم العسكرية وشدة بأسهم، مما سهل عليهم الارتقاء إلى أعلى المناصب. فقد أثبت اللوبيون قدرتهم على التأقلم مع الثقافة المصرية، محتفظين بشخصيتهم وقوتهم العسكرية. وكانوا محل إعجاب الرأي العام المصري على أنهم فرسان وقادة لجيش جيد التسليح، ونالوا تقدير واحترام فراعنة مصر أنفسهم[2].

ومن مظاهر الاندماج الثقافي اللوبي والمصري، احتفاظ أُسر صغيرة كثيرة بلقب "ما أو مي" في ألقابها المصرية، والتي ما هي إلاّ اختصار للقب "مشوش"، حيث كان الاعتزاز بالأصل أمر ضروري عند أسلاف المجتمع اللوبي القبلي، وتجدر الإشارة إلى أنّ غالبية هذه الأسر تمتعت بالمكانة الراقية والثراء[3].

كما احتفظ المجتمع اللوبي المندمج بالنمط المعيشي المتوارث من بيئتهم الأولى، إذ برعوا في الزراعة والتجارة، ولم يهتموا كثيراً بالجانب العمراني، حيث اقتصرت منجزات اللوبيين في المجال العمراني على تقليد النمط المصري، وكان الشائع لديهم المساكن الخيامية وبيوت اللبن والقصب[4].

وهكذا، فيما عدا الآثار التي خلفها شيشنق عن نفسه في معبد الكرنك، فإن تاريخ الحكم اللوبي بالنسبة للمصريين، هو تاريخ هامشي دون على جدران المعابد في إطار تناول الكاتب المصري القديم للأحداث الكبرى التي تخص الملك الفرعون.

المبحث الثاني: تأسيس الأسرة الثانية والعشرين والثالثة والعشرين: أدرس في هذا المبحث كيفية وصول اللوبيون إلى سدة الحكم في مصر بقيادة شيشنق الأول مؤسس الأسرة الثانية

[1] تضمنت حكم الأسر المصرية القديمة من 21 ولغاية 25 وحدوث هذه المرحلة كان نتيجة أسباب وعوامل اقتصادية واجتماعية تمخضت عن سياسة الحكام، مما جعل مصر تهوي في فوضى واضطرابات، فتقاسم الحكم فيها أكثر من بيت مالك، إلى أن توحدت السلطات على يد الفرعون اللوبي "شيشنق الأول" الذي حاول استرجاع هيبة مصر ووحدتها وبعث عجلة الحضارة فيها من جديد. ينظر: أم الخير عقون، دولة الأمازيغ، المرجع السابق، ص 140.

[2] عبد العزيز سعيد الصويعي، تاريخ الحضارة الليبية، المرجع السابق، ص 151.

[3] سليم حسن، مصر القديمة، ج9، المرجع السابق، ص 77.

[4] مها العيساوي، المرجع السابق، ص ص 131-129.

والعشرين، وأتحدث عن مرحلة الانقسام السياسي وظهور الأسرة الثالثة والعشرين.

أولا– من الكهانة إلى سدة الحكم: ذكرت أنه خلال الألف الثانية قبل الميلاد دخل اللوبيون إلى شرق الدلتا بصورة سلمية. أما الغزوات في زمن الدولة الحديثة فكانت تصد من قبل "مرنبتاح" (1212-1202 ق.م) و"رمسيس الثالث" (1182-1151 ق.م)، وكان المنهزمون –عقب كل غزوة– يقادون كأسرى إلى مصر[1].

إلاّ أن التسلل السلمي إلى مصر السفلى ظل مستمراً. ففي النصف الأول من القرن الحادي عشر قبل الميلاد استقرت عائلة "بوياواوا" في هيراكليوبولس، جنوب مدينة ممفيس وهي من قبيلة المشوش. وتُطلعنا النصوص، أن: هذه العائلة كانت تعيش في الواحات الشرقية ثم زحفت إلى أهناسيا، وكانت معاصرة لأواخر أيام الرعامسة[2]، وتولى أفرادها المناصب الكهنوتية، وازداد نفوذها، إلى أن نجح شيشنق الجد في الحصول على مركز رئيس الحامية الحربية اللوبية في المنطقة، بالإضافة لمنصبه الديني (990-996 ق.م). أما حفيده شيشنق الأول فقد امتد سلطانه إلى مدينة "بوباستيس"، مما دفع البعض إلى الاعتقاد بأن هذه الأسرة أصلها من الدلتا[3].

وهذه العائلة هي التي أنجبت الفراعنة اللوبيين الذين اعتلوا عرش مصر زمنا طويلا. فكان من بين أحفادها "أوسركون الجد" أحد فراعنة الأسرة الواحدة والعشرين(991-985 ق.م)، وابنه أو ابن أخيه "شيشنق الأول"(945-924 ق.م)، الذي قام بتأسيس الأسرة الثانية والعشرين اللوبية[4]، ويسمى عصر الأسرة الثانية والعشرين بالعصر البوباستي، نسبة إلى مقر حكم ملوكها في تل بسطة(Bubastis)[5].

1)– شيشنق الأول مؤسس الأسرة الثانية والعشرين: سأعرف بشيشنق الأول في هذا العنصر. **(ينظر، الشكل رقم:09، ص 58.)**

[1] سعيد بودبوز، الفراعنة الأمازيغ، جريدة أكروا أمازيغ ، عدد 239/34، 16 ماي، 2010، د م، ص10

[2] عبد العزيز سعيد الصويعي، الفرعون الليبيي شيشنق، المرجع السابق، ص 59.

[3] سليم حسن، مصر القديمة، ج9، المرجع السابق، ص ص 77-78.

[4] سعيد بودبوز، المرجع السابق، ص07.

[5] شافية شارن، حضارة مصر الفرعونية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009، ص22.

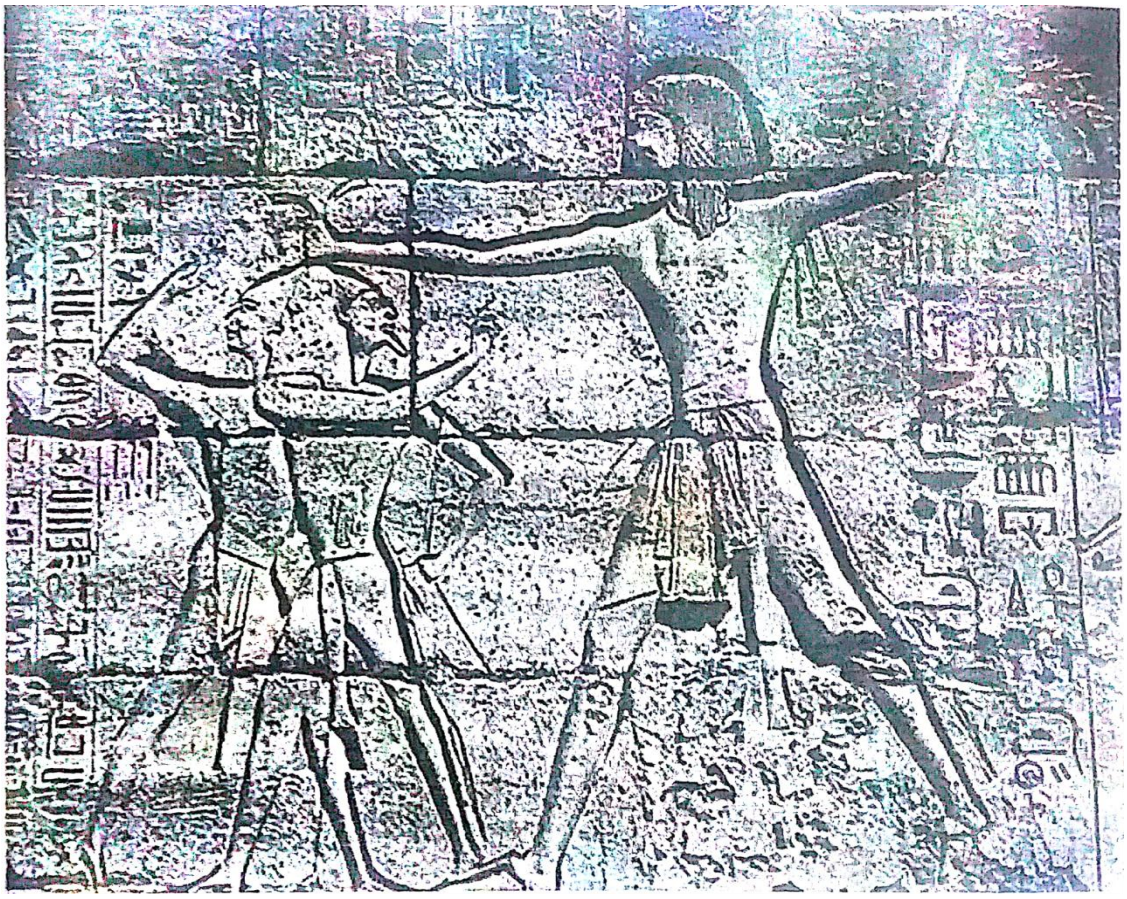

الشكل رقم:09 شيشنق ممسكاً برأس أعد أعدائه في معبد إدفو

نقلا عن: عبد العزيز سعيد الصويعي، الفرعون الليبي شيشنق الأول، المرجع السابق، ص 147.

أ)– الأصل والعائلة: رغم اعتراف النقوش المصرية القديمة بوجود شيشنق الأول، إلاّ أن اختلافاً قد حصل في اسمه وأصله وتاريخ حكمه، بل وصحة وجوده. وقد يكون أساس ذلك الاختلاف ومصدره نابعين من النصوص التوراتية المضطربة أصلا، التي انساق وراءها بعض المؤرخين الأوربيين المؤمنين بصحة أخبار العهد القديم، بينما عارضها كثير منهم، معتمدين في ذلك على النقوش والمخلفات الأثرية التي تحدثت عن شيشنق الأول وأسرته الثانية والعشرين، وغزواته المشهورة في فلسطين[1]، حيث تمكن من هزم الإسرائليين ونهب أورشليم (القدس) عاصمة مملكة يهوذا، وكان من جملة ما نهبه منها تروس الملك سليمان المصنوع من الذهب[2].

[1] عبد العزيز سعيد الصويعي، تاريخ الحضارة الليبية، المرجع السابق، ص 157.

[2] عبد اللطيف البرغوثي، المرجع السابق، ص 72.

وقد اختلفت الوثائق في تحديد نسبه، وحسب لوحة "حورباسن"[1]، فهو شيشنق بن نمرود بن شيشنق بن باتوت بن ينتشي بن ماواساتا بن يويو واوا[2]. وقد عثر في مدينة بوبستيس (Bubastis)[3]، على مومياء الملك شيشنق الثاني نقش في شكل دعاء للرئيس (العظيم لقوم مي عظيم العظماء)، وعليها نَسَب هذا الملك:

1- (بوياواوا): الجد المؤسس، هاجر من لوبيا إلى الواحات البحرية، لوبي مهاجر.

2- (ماواساتا): أصبح كاهنا لرب مدينة أهناسيا التي هاجر إليها.

3- (نبنشي): ابن ماواساتا.

4- (باثوت): ابن نبنشي.

5- (شيشنق الكبير): ابن باثوت، أصبح الكاهن الأعظم والقائد العام للحامية اللوبية في أهناسيا، وقد تزوج من "محنتوشخت" ابنة زعيم القبيلة.

6-(نمروت): ابن شيشنق الجد من محنتوشخت، وهو الذي سرقت مقبرته، وقد تزوج من الأميرة تنتس بح".

7-(شيشنق الفرعون): مؤسس الأسرة الثانية والعشرين، وهو ابن نمروت من تنتس بح[4].

وهناك قراءة أخرى بالأسماء التالية:

---

[1] **حورباسن:** تعد هذه اللوحة أهم وثيقة تحدثنا عن أصل ملوك الأسرة الثانية والعشرين، وهذه اللوحة محفوظة الآن بمتحف "اللوفر" بباريس وتحمل رقم 278. عثر عليها عالم المصريات أوجست ماريت (Auguste Mariette) عام 1851 في السرابيوم (مدافن العجل أبيس) بمنف التي أقامها "حورباسن" القائد الحربي والكاهن الأعظم للإلهة "نيت" اللوبية، وترجع في تاريخها إلى السنة السابعة والثلاثين من حكم الفرعون شيشنق الخامس، أي نهاية الأسرة الثانية والعشرين. ينظر: أم الخير عقون، دولة الأمازيغ، المرجع السابق، ص ص 175-176.

[2] محمد الطاهر الجيراري، "شيشنق وتكوين الأسرة الثانية والعشرين في مصر القديمة"، مجلة البحوث التاريخية، ج2، مركز الجهاد الليبي، ليبيا، 1981، ص 23.

[3] **بوباستيس أو بوباستيت:** تقع شرق الدلتا (الزقازيق حاليا)، وتسمى الآن (تل باسطة) وبما أن اللوبيين كانوا –منذ القدم- يعيرون اهتماما بالغا بالنواحي الدينية، فقد اختاروا هذه المدينة بالذات لأنها كانت المركز الرئيس لعبادة الإلهة المصرية (باسطة Bastet) وكانت المدينة مسرحا لاحتفال سنوي يستقطب الحجاج من كل أنحاء مصر، وتقع في شرقها مقبرة كبيرة للقطط المقدسة. وتعود بوباستيس تاريخيا إلى الألف الثالث قبل الميلاد، وظلت قائمة إلى أن دمرها الفرس حوالي 350 ق.م. ينظر: عبد العزيز سعيد الصويعي، الفرعون الليبي شيشنق، المرجع السابق، ص72.

[4] نفسه، ص61.

1-(بويوواو) (Buyuwawa)

2-موسن (Musen)

3-نبنيشي (Nebnesshi)

4-بيثوت (Pethut) (ربما بيتحوت)

5-شيشنق (Sheshonk)

6-نملوت (نمرود) (Temsepeh-Namlot)

7-الملك شيشنق الأول(Kerom-Sheshonk 1)

8-الملك أوسركون الأول، ابن شيشنق الأول وخليفته(Osorkon 1)[1].

الملاحظ أن الاسمين الأولين في هذه الشجرة ليسا من الأسماء المصرية، ويبدو أنهما من الأسماء اللوبية. أما الاسمان الآخران فهما مصريان في تركيبتهما وشكلهما وهذا دليل تأثر الملوك اللوبيين بالحضارة المصرية. ورغم الاختلاف الحاصل إلا أن النقوش المصرية قد اعترفت بالأصل اللوبي للأسرة الثانية والعشرين في: (لوحة حورباسن- نقش مومياء الملك شيشنق الثاني- النص المنقوش على نصب إله النيل)[2].

ب)- شيشنق الأول – الاسم: تمتع شيشنق بهذا الاسم منذ ولادته، ثم لقب بـ "ميري – أمون" ومعناه "محبوب آمون". وسمي عرشه بـ:(حديي- خفر- رع- سيتي- بن- رع)=(Hedj- Kheper- re- sete- pen-re)، ومعناه (النور الظاهر لرع، اختيار رع)[3].

قام جدل كبير حول نطق اسم "شيشنق"، وذلك بسبب عدم وجود الأحرف الصوتية في اللغة المصرية القديمة باعتبارها لغة ساكنة. فكان كل من الصيغتين المعروفتين (Shoshenq)و(Sheshonq) تظهران دائما في الإصدارات الإنجليزية[4].

وللأسف أنه لا يوجد بين اللوبيين السابقين الذين حكموا مصر اسم من هذا النوع حتى يمكن مقابلته بالأسماء الواردة في النصوص المصرية، وقد أخذ علماء المصريات هذا الاسم من اللغة

[1] عبد اللطيف البرغوثي، المرجع السابق، ص 71.

[2] عبد العزيز سعيد الصويعي، الفرعون الليبي شيشنق الأول، المرجع السابق، ص ص 60-62.

[3] المرجع نفسه، ص 64.

[4] سعيد بودبوز، المرجع السابق، ص 07.

المصرية القديمة هكذا(ššnq)، بأحرف صامتة دون أصوات، بينما ورد في اللغة الآشورية الحديثة بكامل سواكنه وصوائته، هكذا:(شوسانقو šusanqu) و(سوسانقو šusanqu). أما في التوراة فورد مختصرا هكذا (شيشق) (Shishaq)[1].

وفي آخر لقاء للعلماء والمؤرخين بجامعة ليدن الهولندية في سنة 2007م[2]، قرروا استخدام طريقة معينة للتعامل مع اسم(شيشنق)، وهذه آخر توصيات الندوة حول الاختلافات التي ما ينفك يوردها علماء المصريات في كتاباتهم:

- "التسلسل الرئيسي للأسرة الثانية والعشرين:

1- حديي – خفر- رع – شيشنق (شيشنق الأول).

2- حيقا – خفر- رع- شيشنق (شيشنق الثاني-أ).

3- توت – خفر- رع- شيشنق (شيشنق الثاني-ب).

4- معا – خفر- رع- شيشنق (شيشنق الثاني-ج).

5- أوسر- معات- رع- شيشنق- سي- باست (شيشنق الثالث).

6- حديي- خفر- رع- شيشنق- سي- باست (شيشنق الرابع).

7- عا- خفر- رع- شيشنق (شيشنق الخامس)[3].

-التسلسل المكمل لسلالة مصر العليا:

8- أوسر- معات- رع – ميري- آمون – شيشنق (شيشنق السادس).

9- حديي- خفر-رع – شيشنق- سي- إزي- (شيشنق السادس- أ)[4].

قرر المشاركون في هذه الندوة –من الآن فصاعدا- استخدام نظام الترقيم الوارد أعلاه بعد الترتيب الثالث، واستهدافه كنظام عام في الكتابة عن تاريخ مصر القديم مستقبلا.

---

[1] عبد العزيز سعيد الصويعي، الفرعون الليبي شيشنق، المرجع السابق، ص 64.

[2] ندوة علمية بعنوان (The Libyan in Egypt)، انعقدت بجامعة ليدن الهولندية أواخر شهر أكتوبر 2007، حضرها فريق من علماء المصريات من جميع أنحاء العالم. ينظر: المرجع نفسه، ص 152.

[3] المرجع نفسه، ص68.

[4] المرجع نفسه، ص68.

2)- مرحلة حكم الأسرة الثانية والعشرين: مع بداية الألفية الأولى قبل الميلاد تمكنت العناصر اللوبية المستقرة في هرقلة (Hérakléopolis)[1] بالفيوم من تقلد وظائف هامة في الإقليم، واستطاع أحد أفرادها وهو (شيشنق الأول)، (اسم شيشنق الأول بالمصرية يلاحظ الصورة في كتاب الدراجي ملامح تاريخية ص 51.) (950-924 ق.م) بعد أن سيطر على الدلتا من تكوين الأسرة الثانية والعشرين(950-715 ق.م)[2]، بطريقة سلمية، وذلك حوالي(950 ق.م)[3]، عندما ارتقى "شيشنق" الأول عرش البلاد كان قد أصبح بالفعل رجلها القوي، صاحب اليد العليا في شؤونها، ويعتبر حكمه فاتحة عصر جديد لمصر، تمكن فيه الزعماء اللوبيون استعادة قوة البلاد التليدة بعد أن وقعت في طي النسيان منذ نهاية عهد "رمسيس الثالث"[4].

وقد شرح "جون ولسون" الكيفية التي وصلت بها هذه الأسرة اللوبية إلى حكم مصر، بقوله:**"وشهد هذا العصر بدء ظهور قوة جديدة، وهي عائلة ليبية الأصل، كانت قد استقرت في منطقة الفيوم، في أواخر الأسرة العشرين. استقر أحد الليبيين في منطقة هيراقليوبوليس (أهناسيا) في الفيوم، وكان له اسم أجنبي ينطق "بوياواوا" أو"بويواو"(Buyuwawa) أو(Beywaaw). وأنجب هذا الرجل ذرية كثيرة، وقد خدم خمسة أجيال منهم كهنة في معبد الإله حرخيشف(Harsaphes). وبالرغم من مضي ذلك الوقت الطويل عليهم في البلاد، فإنهم ضلوا متمسكين بلقب كانوا يتوارثونه،**

---

[1] **هرقلة أو هيراكليوبوليس:** هي تسمية إغريقية للمدينة التي اسمها المصري القديم (خنن-نسوت) أي مدينة الملك – الطفل، كانت عاصمة النوم (الإقليم) العشرين لمصر العليا، تقع في مدخل الفيوم. ينظر: Rachet (G.), Op-Cit ,P120.

[2] أم الخير عقون، دولة الأمازيغ، المرجع السابق، ص 192.

[3] إن التأريخ للدولة اللوبية يعتبر بالنسبة للمؤرخ من المهمات الصعبة، إذ أن تاريخها يشوبه الكثير من الغموض بسبب قلة المادة المدونة، بسبب تمركز مؤسسات الدولة في شمال مصر وبالتالي فإن رطوبة المناخ وطبيعة التربة أدت إلى ضياع الآثار وخاصة البرديات. وبسبب هذا النقص، اختلف الدارسون حول رصد تاريخ واحد لبداية الدولة اللوبية، والافتراض الأكثر تقبلاً هو الاختلاف في السنة 950 أو 945 ق.م، أن هذين التاريخين يمثل الأول منهما تاريخ إعلان شيشنق فرعوناً في كل من مصر السفلى ومصر الوسطى. أما التاريخ الثاني فيمثل بسط نفوذ الفرعون الجديد على كامل تراب مصر. ينظر: أم الخير عقون، دولة الأمازيغ، المرجع السابق، ص ص 189-191.

[4] نيقولا جريمال، تاريخ مصر القديمة، تر: ماهر جويجاتي، ط2، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1992، ص 417.

وهو زعيم "مي" العظيم، ويقصدون من "مي" قبائل المشوش التي كانت تقطن غرب ليبيا. كانوا في الأصل جنودا مأجورون، استقروا في مصر"[1]. يفهم من النص أنه بالرغم من استقرار اللوبيين بمصر لفترة طويلة لكنهم حافظوا على العديد من عاداتهم وألقلبهم.

ويضيف جون ولسن قائلاً: **"وحوالي 950 ق.م امتد نفوذ أحد هؤلاء الأمراء جنوبا إلى أبيدوس، وكان له من النفوذ ما جعل آخر ملوك الأسرة الواحدة والعشرين يدعوه للمشاركة في أعياد جلالته، وتلقي المجد معا. وقد أحسن الملك احترامه لهذا الأمير الليبي– المصري الذي يدعى شيشنق، لأنه لم تمض غير سنوات قلائل استولى فيها ذلك الأمير على عرش مصر، وأسس الأسرة الثانية والعشرين. وبدأت تلك الأسرة عهدها بنشاط، وتطلعت نحو المجد، فقامت بحملة حربية على فلسطين"**[2].

تؤكد معظم النقوش المصرية أن شيشنق الأول كان قائد القوات المسلحة المصرية، والمستشار الأعلى للفرعون "بسوسينس الثاني" (959-945 ق.م) وصهره، إلى جانب احتفاظه بوظيفة أبيه وجده كرئيس المشوش الأعظم. وكان "بسوسينس الثاني" لم ينجب ولداً يرث عرشه، فاعتمد على مستشاره وصهره شيشنق في تولي هذه المهمة. وتشير عدة دلالات إلى أن أواخر سنوات حكم "بسوسينس الثاني" كانت رديئة سياسيا واقتصاديا، مما أضعف الأسرة الواحدة والعشرين وأدى إلى انهيارها[3].

فقد تمزقت مصر إلى طوائف يديرها المغامرون على هواهم دون رقابة من الفرعون الضعيف الذي لجأ إلى مهادنة جميع الأطراف مقابل أي ثمن. وفي النهاية اضطر إلى مهادنة إسرائيل أيضا، التي كانت قوتها تتعاظم في فلسطين تحت حكم أسرة داوود، وعقد معها صلحا مهينا تمت جميع شروطه على حساب مصر[4]، نتيجة لهذه الظروف تمكن شيشنق الأول أن يصعد العرش بدون عوائق.

---

[1] جون ولسن، الحضارة المصرية، تر: أحمد فخري، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1955، ص ص 462.461.

[2] نفسه، ص ص 462.461.

[3] عبد العزيز سعيد الصويعي، تاريخ الحضارة الليبية، المرجع السابق، ص 160.

[4] مجموعة مؤرخين، موسوعة (تاريخنا)، ج1، المرجع السابق، ص71.

وقد استطاع شيشنق(Sheshonk) أن يكسب ود ملوك الأسرة الواحدة والعشرين، وينتقل من هيراكليوبوليس إلى بوبستيس(Bubastis) –الزقازيق حاليا – وسيطر على الدلتا كلها، ثم انتهز فرصة وفاة"بسوسينس الثاني" آخر ملوك الأسرة الواحد والعشرين[1] واستولى على الملك.

وحرص على صداقة البيت الحاكم، وزوج ابنه "أوسركون" من ابنة "بسوسينس" الوريثة الشرعية للأسرة الحادية والعشرين الأميرة "ماعت كارع" ليؤكد أهليته في تولي العرش المصري[2]، كما زوج ابنه "إيوبوت" (Iuput). من ابنة كبير الكهنة، وكانت الغاية من ذلك القضاء على حكم كهنة آمون في الجنوب، وإنهاء حالة الانقسام التي استمرت طيلة فترة الأسرة الواحدة والعشرين. إلاّ أن الكهنة رفضوا ذلك وظلوا يذكرون اسمه كرئيس المشوش العظيم دون ألقاب ملكية. فما كان من شيشنق الأول إلاّ مداهمة مراكز نفوذهم في طيبة، ففروا مذعورين تاركين المدينة لسكانها، وهربوا إلى السودان، فاستطاع بذلك إعادة توحيد البلاد تحت حكم أسرة واحدة[3].

وقام بتولية ابنه "إيوبوت"(Iuput) منصب الكاهن الأعظم في معبد آمون بطيبة[4]، الأمر الذي ساعده على امتلاك زمام السلطتين الدينية والزمنية، وأعاد وحدة مصر بوجهيها البحري والقبلي بعد انفصال دام قرابة 125 سنة، بل وامتد نفوذه إلى ما وراء بلاد النوبة، وهذا يعني أنه أدمج كل من(مصر وشمال السودان وشرق لوبيا) قبل أن يتطلع بالصعود إلى فلسطين[5].

من هنا يتضح أن حكم شيشنق الأول كان يشير إلى قمة وضوح الفترة الوسطى. وقد كان شيشنق الأول قادرا على جمع أبنائه حوله، فولاهم مناصب قيادية هامة في عدة مناطق من الدولة،

---

[1] يقول نجيب ميخائيل إبراهيم:"وأغلب الظن، أن شيشنق استطاع أن يصل إلى العرش في بوبسطة (الزقازيق الحالية) حوالي 950 ق.م. وكان ذلك إما نتيجة لانسحاب آخر ملوك الأسرة الحادية والعشرين، وإما نتيجة لوفاته، وانقراض ذريته، وعدم وجود وريث مباشر له ...وهكذا نرى اللوبيين المتمصرين يتربعون على عرش مصر بغير عناء...بعد مضي ما يقرب من 210سنة من وفاة رعمسيس الثالث". ينظر: نجيب ميخائيل إبراهيم، مصر والشرق الأدنى القديم، ج2، ط4، دار المعارف، مصر، 1965، ص ص 311-312.

[2] أم الخير عقون، دولة الأمازيغ، المرجع السابق، ص 198.

[3] موسوعة تاريخنا، المرجع السابق، ص186.

[4] رجب عبد الحميد الأثرم، المرجع السابق، ص 64.

[5] عبد العزيز سعيد الصويعي، الفرعون الليبي شيشنق الأول، المرجع السابق، ص73.

فعين ابنه: "إيوبوت"(Iuput) حاكماً على مصر العليا، وأعطاه قيادة الجيش إلى جانب وظيفته الأساسية ككبير كهنة آمون -كما ذكرت سابقا-، وعين، ابنه: "ديد- بتاح- أيو- فنخ" Djedptahaufankh) مساعدا لأخيه كنبي ثالث لآمون، وابنه: "نملوت"(Nimlot) قائدا للجيش في هيراكليوبولس القريبة من طيبة لحمايتها، وكان أحد الرؤساء المتحالفين مع القبائل اللوبية واسمه "نيزي"(Nesy) صار النبي الرابع لآمون. كما كان يشجع على الزواج من بنات القصر الملكي. وبهذه السياسة استطاع شيشنق الأول تثبيت حكمه في البلاد، حيث تمكن شيشنق من امتلاك زمام السلطتين الدينية والزمنية[1]، مما جعله يسيطر على مناطق شاسعة، كما سيأتي الذكر.

اتخذ شيشنق الأول من مدينة "بوباستيس" (Bubastis) عاصمة لدولته، منهيا بذلك عهد العاصمتين السابقتين اللتين اتخذهما فراعنة الأسرة الواحدة والعشرين وكهنتها: "تانيس" و"طيبة". واعترفت به طيبة ملكا منذ العام الخامس من حكمه[2].

وبعد ذلك جرد الجيوش لتأديب المتآمرين والمتحرشين بملكه، ولم يمض وقت طويل، حتى أضحت دولته تحظى بولاء لوبيا والسودان ومصر، ثم أضاف فلسطين وسوريا، وبذلك يكون قد اعتلى عرش إمبراطورية مترامية الأطراف[3]. وهذه الأقوال أثبتتها النصوص الهيروغليفية المنحوتة في معبد الكرنك، والتي اكتشفها العالم "فرنسوا شمبليون" في نهاية الحائط الجنوبي الغربي بمعبد آمون، وسجلت النقوش ما أرسلته تلك الديار الخاضعة له من حمولات[4].

ووردت كذلك أخبار تلك الانتصارات موثقة في التوراة، حيث سمي فيها الفرعون اللوبي شيشنق باسم "شيشق". وجاء في (باب الملوك الأول، الإصحاح 14) ما يلي:" **وفي السنة الخامسة للملك رحبعام صعد سيشق ملك مصر إلى أورشليم، وأخذ خزائن بيت الرب، وخزائن بيت الملك، وأخذ كل شيء، وأخذ جميع أتراس الذهب التي عملها سليمان. فعمل**

[1] عبد العزيز سعيد الصويعي، الفرعون الليبي شيشنق الأول، المرجع السابق، ص 162.

[2] بيومي مهران، المغرب القديم، المرجع السابق، ص 179.

[3] بوزياني الدراجي، ملامح تاريخية للمجتمعات المغربية، ص 51.

[4] مجدي صادق، التاريخ الحقيقي لمصر القديمة، ط1، دون دار النشر، القاهرة، 2002، ص 165.

الملك رحبعام أتراس نحاس، وسلمها ليد رؤساء السعادة الحافظين باب بيت الملك."[1].

ويتضح من هذا النص أن حملة شيشنق الشهيرة على مملكتي إسرائيل ويهوذا كان إحدى أهم أهدافها تحسين الوضع الاقتصادي لدولته، ويدل على ذلك الغنائم والضرائب التي عاد بها من فلسطين عقب تلك الحملة.

توفي شيشنق الاول بعد حكم دام 21سنة، أي في سنة 924 ق.م، حسب إجماع كثير من المؤرخين، وخلفه ابنه "أوسركون الأول"[2]، وبعد وفاته إنتقل العرش إلى الملك "تكلوت الأول" ثم الملك "أسركون الثاني" ثم ابنه "تكلوت الثاني" ثم أتى من بعده شيشنق الثالث وخلفه الفرعون "بامى" (ومعنى بامى القط)، ثم شيشنق الرابع[3].

3)- مرحلة الانقسام السياسي وظهور الأسرة الثالثة والعشرين:

فيما يخص إطارها الزمني(817 ق.م-730 ق.م)، يذكر مانيتون[4] أن مؤسس الأسرة الثالثة والعشرين هو الملك "بيوباستيس" (بارى باستيس)، الذي استطاع في هذه الفترة من الضعف والتفكك، وإزدياد نفوذ حكام الأقاليم، والتنازع بين الحكام وقيام الثورات من أن ينتزع لنفسه العرش، ويؤسس أسرة جديدة مركزها "تل بسطة"، بل واستطاع أن يفرض نفوذه على غرب الدلتا ذلك في الوقت الذي كان فيها شيشنق الثالث يحكم في تانيس[5]، وبهذا أصبحت الدلتا

---

[1] الكتاب المقدس (كتب العهد القديم والعهد الجديد)، سفر الملوك الأول، الإصحاح 14، الآية 25، ص420. لمزيد من المعلومات ينظر: الكتاب المقدس، ص513.

[2] عبد العزيز سعيد الصويعي، تاريخ الحضارة الليبية، المرجع السابق، ص165.

[3] سمير أديب، تاريخ وحضارة مصر القديمة، ط1، مكتبة الاسكندرية، الاسكندرية، مصر، 1997، ص ص، 232-233.

[4] **مانيتون:** من أشهر المؤرخين المصريين القدامى عاش في سمنود، ويحتمل أن يكون قد تعلم في الكليات الكهنوتية، محل ميلاده موضع جدل فتقول بعض الأساطير أن له علاقة بمنديس، وأساطير أخرى تجعل له علاقة بمعبد أون (هليوبوليس)، واسمه مصري، ملما بالهيروغليفية وبالديانة المصرية، وكان يعرف الإغريقية أيضا، من أشهر مؤلفاته "تاريخ مصر" الذي كتبه حوالي 280 ق.م في عهد "بطليموس الثاني، ويتألف معظمه من قوائم بأسماء الملوك مرتبة حسب الأسرات مع تقدير بمدة حكم كل ملك، ومؤلفه يقسم الأسرات إلى 31 أسرة. للمزيد ينظر: محمد علي سعد الله، المرجع السابق، ص ص، 17- 18.

[5] **تانيس:** حاليا هي منطقة صان الحجر قريبا من بحيرة المنزلة بالدلتا، كانت عاصمة الملوك اللوبيين بدءا من: بسوسنيس، آمينمابيت، أوسكرون الثاني وشيشنق الثالث، اكتشف آثارها العالم الفرنسي مونتيي (Montet)، وبها من الأثاث الجنائزي ما يضاهي في إتقانه أثاث مقبرة توت عنخ آمون من الأسرة الثامنة عشر. ينظر:.Guy Rachet, Op-Cit., P.241

تحكم من بيتين حاكمين أحدهما في تانيس والآخر في تل بسطة. أما طيبة المملكة الكهنوتية فكانت بعيدة عن أحداث الشمال[1].

ومن دراسة الأسماء التي اختارها فراعنة الأسرة الثالثة والعشرين (بدي باست- شيشنق الخامس- تكلوت الثالث) يبدو من الراجح أنها كانت ترتبط بصلة قرابة مع الأسرة الثانية والعشرين[2].

تعتبر الفترة الانتقالية الثالثة من الفترات الغامضة المربكة للمؤرخين، وذلك لقلة ما خلفته من آثار، ولكثرة تتابع ملوكها، وتشابه أسمائهم ولكثرة البيوت الحاكمة التي كانت تحكم مصر. ومن أهم أحداث هذه الأسرة هو أن الملك "وسكرون الثالث" استطاع أن يخلع على إبنته "شب-ان-أوبت" الزوجة الإلهية لآمون، أي أصبحت كبيرة لكهنة طيبة، وتمتعت بنفوذ وتقديس أكبر من نفوذ وقدسية كبيرة لكهنة طيبة[3]. واعتبرت هذه الأسرة أكثر تمصرا وتحضرا من الأسرة السابقة، وأشهر ملوكها أوسكرون الثالث وتاكلوت[4].

وقد سجلت الأسرة الثالثة والعشرين ملوك مصر في وضع القوائم الملكية، وما وصلنا من ترتيب ملوك الأسرتين كان بفضلها، إذ وضع الملك بدوباست تاريخاً لأحداث أسرته حيث اختار أن يكتب عن شجرة عائلته، وتضمنت القائمة ملحمة تسرد وقائع الخلافات التي نشبت بينه وبين الكهنة، وأحداث بعض المعارك التي تروي بالتفصيل طريقة القتال والمبارزة واللباس العسكري وشارات المكانة العسكرية المعروفة بالسعفة الفضية، وكان ذلك في لغة أدبية تقترب في تركيبها من لغة إلياذة هوميروس[5].(**ينظر، الخريطة رقم:02، ص 68**)

[1] سمير أديب ، المرجع السابق، ص 233.

[2] جان قيركوتير، مصر القديمة، تر: ماهر جويجاتي، ط1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1992، ص145.

[3] سمير أديب، المرجع السابق، ص ص 233-234.

[4] كلير لالويت، الأدب المصري القديم، تر: ماهر جويجاتي، ط1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة ، 1992، ص ص 113-114.

[5] أحمد فخري، مصر الفرعونية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994، ص ص 422-426.

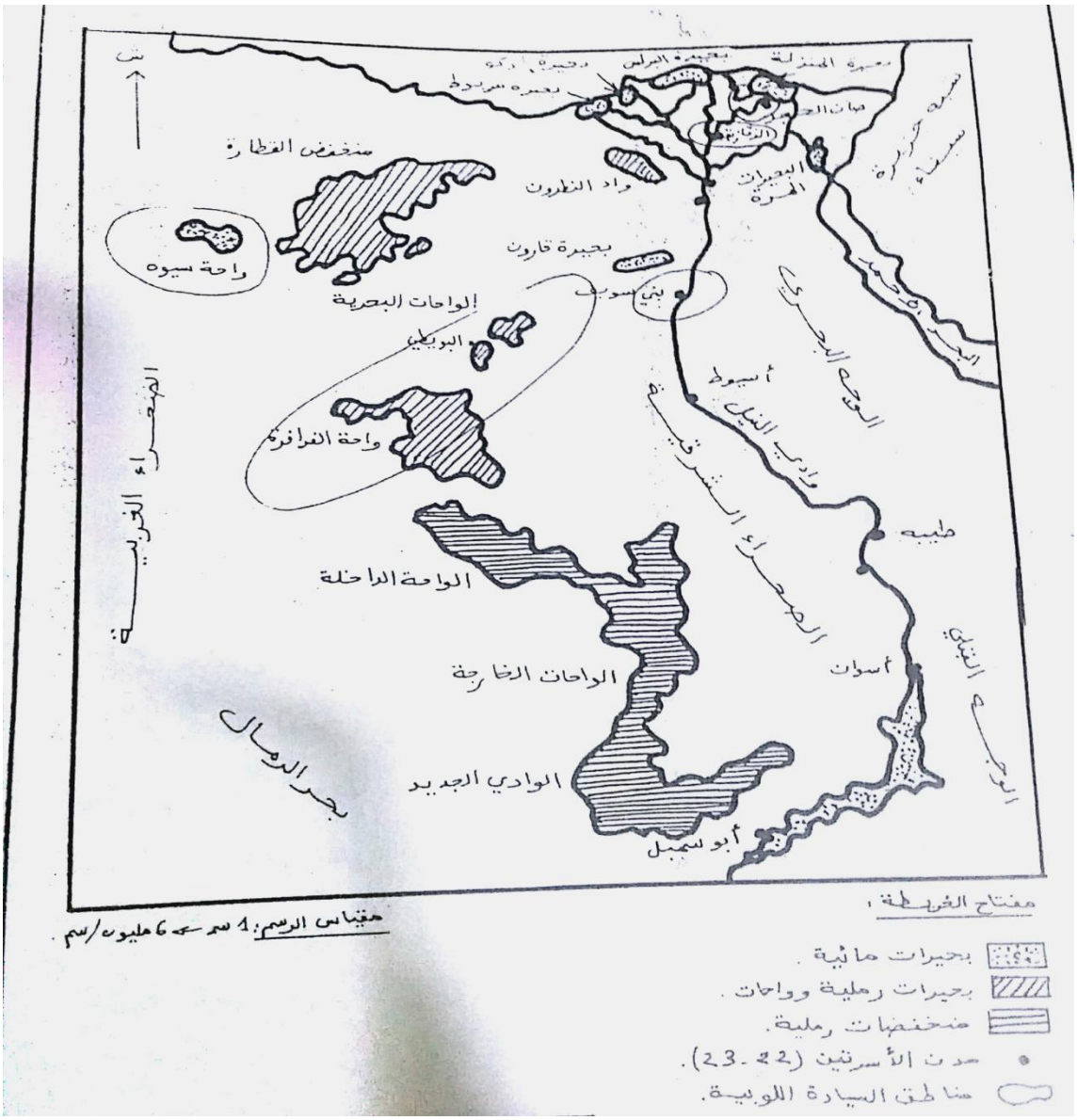

الخريطة رقم:02 تبين مناطق نفوذ اللوبيين في مصر القديمة

نقلا عن: مها العيساوي، المرجع السابق، ص 132.

وقد ظل الحكم متوارثاً بين الأسر اللوبية إلى حوالي 715 ق.م، وكان آخر ملك فرعوني لوبي صريح ساد مصر هو "تافناخت"(Tafnakht)، من الأسرة الرابعة والعشرين. فخلفه فراعنة هجناء (لوبيون أثيوبيون) عندما دشن عهد الأسرة الخامسة والعشرين[1].

ثم استمر خلفاؤه في حكم مصر، فاشتدت العلاقات المصرية اللوبية من خلال قوة الدور اللوبي في مصر، حيث عرف الإقليم الغربي من مصر الوسطى في حوالي (655 ق.م) قدوم موجة

[1] محمد شفيق، المرجع السابق، ص 28.

جديدة مهاجرة من القبائل اللوبية، تصدى لها "بسماتيك الأول" (664-610 ق.م) والذي أقام الحاميات على الحدود الغربية مستخدما فيها الجند من جنسيات متعددة منها المشوش[1].

وقد أثر إنشاء الإغريق لمستوطناتهم بلوبيا خلال هذه المرحلة على العلاقات، فتجدد الزحف اللوبي إلى مصر، واتبع حكامها من خلفاء "بسماتيك" الأول سياسة تحصين الحدود الغربية على الشاطئ والواحات[2]، ورغم ذلك فقد عرفت هذه المرحلة استنجاد "أدركان" زعيم قبيلة الإسبت اللوبية بفرعون مصر (ابريس) أي (واح ايب رع)، ضد قوريني التي أصبحت تشكل خطرا على كل من مصر ولوبيا[3].

في أواخر القرن السادس قبل الميلاد يظهر الدور اللوبي في مصر قويا، من خلال قيادتهم وقيامهم بالثورات المتعددة والمساهمة القوية في استقلال مصر من الغزو الفارسي (525-404 ق.م)، وأولها ثورة عام 486 ق.م[4]، وثورة 460 ق.م ضد الفرس، ثم الثورة الكبرى التي قامت بين سنتي 410 و 404 ق.م، وأدت إلى استقلال مصر من الاحتلال الفارسي[5] ، فقد كان الدور اللوبي فيها بارزاً بانطلاقها من شمال غرب الدلتا، وكان أغلب قادتها في جميع مراحلها ينتمون إلى أصول لوبية[6].

ويبرز الدور اللوبي من جديد خلال فترة حكم الأسرات الثامنة والعشرين إلى الثلاثين، والتي تمتد بين تحرير مصر من الاحتلال الفارسي وغزو "الاسكندر المقدوني" لمصر في 332 ق.م، باحتواء الجيش المصري للآلاف منهم إلى جانب المصريين والأثينيين للتصدي للهجوم الفارسي الجديد[7].

---

[1] عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص93.

[2] بيومي مهران، المغرب القديم، المرجع السابق، ص 201.

[3] عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص 97.

[4] المرجع نفسه، ص 166.

[5] انطلقت هذه الثورة من أسوان ثم امتدت إلى إقليم الدلتا لتشمل بعد ذلك كل مصر وقد قادها أمير (تايوس الثاني)، وهو أحد أحفاد ايناروس الذي صلبه الفرس بعد أسره في ثورة 460 ق.م. ينظر: بيومي مهران، المغرب القديم، المرجع السابق، ص ص 208-209.

[6] عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص 183

[7] محمد بيومي مهران، المغرب القديم، المرجع السابق، ص 213.

المبحث الثالث– المظاهر الاجتماعية والثقافية[1] من عهد اللوبيين بمصر: درست في هذا المبحث الأوضاع الاجتماعية والتفاعل البشري للوبيين بمصر بما فيها التأثيرات الثقافية كالعمارة والفنون.

أولا– تنظيم المجتمع المدني: اعتبر شيشنق الأول أهم ملك لوبي حكم مصر خلال الأسرتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين، ليس لأنه استطاع تحقيق ما عجز عنه أسلافه منذ ألفي سنة، ولكن للأسلوب الذي حقق به بسط نفوذ اللوبيين على مصر– مع العلم أنها كانت في أوج ضعفها وتفككها السياسي، ويعني ذلك أن عملية غزوها العسكري كانت سهلة المنال– وهو الأسلوب السلمي الذي انتهجه في إرساء دعائم حكمه لفترة تربو على القرن[2].

لقد أدى الإعجاب الكبير لشيشنق الأول بمظاهر الحضارة المصرية إلى أن تبنى الكثير من ملامحها، وتمكن الأثريون من الوقوف على ذلك من خلال حذقه للكتابة المصرية القديمة، واستفادته من أسلوب ونمط التنظيم الاجتماعي للأسر المصرية من حفظ حقوق الأفراد وتبيان واجباتهم، فقام بتطبيق بعض القوانين المصرية لتنظيم أبناء جلدته الذين أخذوا بالتحول تدريجيا من حياة التنقل والترحال إلى حياة الاستقرار والتمدن[3].

كما ذكر ديودوروس الصقلي أن شيشنق الأول كان واحداً من ستة ملوك حكموا في مصر وسنوا قوانين تهدف إلى تنظيم المجتمع المدني[4] الذي سادت فيه النظم الإقطاعية في المجال

---

[1] تقدم تعاريف متعددة لكلمة ثقافة حسب تعدد المدارس الفكرية والفلسفية وحسب تعدد المجالات التي تحتلها الثقافة في الزمان والمكان والبيئة والطبقة الاجتماعية . ففي الفلسفة مثلا تعرف الثقافة بأنها: " **كل ما هو غير فطري أي أنها تعني ما هو مكتسب من خبرات وأفكار ومعلومات وفنون وعلوم...**" وفي علم الاجتماع تعرف الثقافة بأنها : " **كل ما هو مشترك لدى مجموعة من الأفراد ويدعم التلاحم فيما بينهم**". ووضعت كلمة ثقافة لتقابل كلمة (Cultura) اللاتينية التي تعني في الأساس " الزراعة " و أول من استعملها للدلالة على الرقي الأدبي والفكري للإنسان هو شيشرون (Cicéron) في قوله الشهير **الفلسفة زرع الروح** حيث جاء في تعبيره ما يلي: " **الحقل مهما كان خصبا لا يمكن أن ينتج دون زرعه، كذلك الأمر بالنسبة للإنسان لا يثمر دون تعليم**". ينظر: محمد العربي عقون، محاضرات لفائدة طلبة ما بعد التدرج ، جامعة أدرار، 2012، ص 09.

[2] مها العيساوي، المرجع السابق، ص 136.

[3] المرجع نفسه، ص 136.

[4] Diodore de Sicile,Bibliothéque Historique de Diodore de Sicile, Tome 01, Trad par ; Ferdinand Hoefer , T ;3, éd.Adolphe Delahays, Paris, 1851 , P.94.

الاقتصادي.

لقد حكم شيشنق الأول مصر موحدة، وأسند تنفيذ سياسته إلى موظفين وأجهزة إدارية ومؤسسات حكومية، مثل مدير خزائن ملك الأرضين وغيرها من المؤسسات، مما يوحي بمركزية السلطة بين أيدي شخص الفرعون[1].

ثانياً– الأوضاع الاجتماعية: لا يستبعد المؤرخون أن الهجرات اللوبية المتتابعة نحو مصر، أثرت بشكل كبير في تشكيل وتكوين الملامح السكانية في المنطقة الغربية من مصر، وبصفة عامة أدت إلى تفاعل بشري نتج عنه تكوين بنية حضارية لا تخلو من تراكم التأثيرات المتبادلة بين المنطقتين المصرية واللوبية خلال المراحل التاريخية المختلفة[2].

وبالاطلاع على نظام الحكم والإدارة والهبات الملكية يمكن أن نخلص إلى إبراز التحول الاجتماعي والديني والاقتصادي في مصر أثناء حكم شيشنق، من الناحية الاقتصادية هو التحول من اقتصاد دولة إلى إقتصاد إقليمي بحت غاية في التعقيد[3]، حيث ظهرت طبقة إقطاعية كبيرة وغنية تزايدت أعدادها وثرواتها مع مرور الزمن، وتوفر لها نفوذ كبير في حكم الأقاليم، لكنها بقيت مرتبطة بمركز السلطة الممثل في الفرعون، فتدين له بالولاء والطاعة وتدفع له الضريبة السنوية[4].

وإذا نظرنا الألقاب الإدارية والعسكرية والدينية ومدلولها الاجتماعي، والوضع الاقتصادي والمهني لمن حملوها، قد يؤدي ذلك إلى التضليل واستحالة تحديد وتصنيف الطبقات الاجتماعية في مصر في هذه المرحلة مثلما حاول البعض من المؤرخين فعل ذلك، فطبقة المحاربين مثلا، لا يمكن تمثيلها اجتماعياً، إذ كان رؤسائهم يضطلعون بمهام دينية طبقا لما كانت تفرضه عليهم واجبات الألقاب التي حملوها إلى جانب الألقاب العسكرية، وعلى سبيل المثال: فإن منصب "الكاهن الأعظم " و "قائد الجيش، والحاكم لمصر العليا" في طيبة والذي حمله كلا من "حرسا است"

[1] أم الخير عقون، دولة الأمازيغ، المرجع السابق، ص 348.

[2] إبراهيم العيد بشي، البنية الجغرافية والحضارية في الجنوب الشرقي الجزائري تاسيلي– ناجر نموذجاً، أطروحة لنيل دكتوراه دولة في التاريخ القديم، إشراف محمد الصغير غانم، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية (2005–2006)، ص268.

[3] بن السعدي سليمان، المرجع السابق، ص 291

[4] أم الخير عقون، دولة الأمازيغ، المرجع السابق، ص 348.

و"اوسركون" وكذلك "الرئيس العظيم للمشوش" والذي حمل لقب "الكاهن الأعظم" (للإله المحلي في إقليمه) مثل أمراء "منديس" و "هيراقليوبوليس"، وفي غرب الدلتا يمكن أن يؤدي تصنيفهم إلى التضليل أهم طبقة عسكرية أم طبقة دينية[1]؟

إن مثل هذه التداخلات في الألقاب ذات الطابع العسكري والديني أو الصناعي، فضلا عن أن كل من حملوا هذه الألقاب كانوا حكاماً، تجعل استحالة وجود طبقة كهنة، أو طبقة مهنية، أو حتى طبقة حكام خالصة، وبالتالي فإنه يمكن القول: بأن مصر لم تشهد في هذا العصر نمطاً طبقياً من الوجهة الاجتماعية البحتة، كما أن حكامها وبصفة خاصة حكام المدن ذوي المراكز المرموقة حملوا ألقابا تجمع بين صفة السيادة والحرفية في الوقت نفسه بكل ما تشمله هذه الصفة من معنى[2]. وبالرغم من ذلك يمكن تمييز ثلاث طبقات اجتماعية من خلال وثيقة ترجع في تاريخها لعهد الفرعون شيشنق الأول تعرف باسم "لوحة الضرائب"، حيث كان يوجد طائفة من رجال الدين، ثم طائفة من الفلاحين يسكنون المدن، فضلاً عن وجود طبقة رجال الجيش الذين كان لهم نفوذ هام وثروة ضخمة[3].

إلا أن المفهوم السياسي والاجتماعي والاقتصادي لإدارة الدولة قد تغير لدى الفراعنة اللوبيين، في مرحلة الفوضى التي شهدتها الدولة في النصف الثاني من عهدها، وأصبح بعيداً كل البعد عن المركزية وقائماً أساساً على النظام الإقطاعي، بما يحمله من ترسيخ للطبقية وتوارث المهن والوظائف في معظم الأحيان، فكان المجتمع مكوناً من طبقة النبلاء وتحتوي فئة الكهان والعسكريين، ومن الطبقة العامة القائمة أساساً على الفلاحين المرتبطين بالأرض "أقنان" (Cerfs)، أما العبيد فقد أصبح وجودهم نادراً جداً[4].

تأثر اللوبيون بكل المدينة المصرية وعلى الأخص بالفلاحة والصناعة المصرية، واستفادت بلاد المغرب من ذلك، وكان هذا التأثير مشتركا ومتبادلا بين الطرفين[5].

---

[1] بن السعدي سليمان، المرجع السابق، ص ص 291-292.

[2] المرجع نفسه، 292.

[3] أم الخير عقون، دولة الأمازيغ، المرجع السابق، ص 349.

[4] نفسه، ص ص 348-349.

[5] أحمد صفر، مدينة المغرب العربي عبر التاريخ، ج1، دار النشر بوسلامة، تونس، 1959، ص50.

ورغم ذلك فقبائل المشوش الذين استقروا كجاليات منفصلة على امتداد الأجزاء المتوسطة والشمالية من مصر الوسطى كانوا بمثابة كيان مستقل ميال للصخب والعراك، وليس حريصاً على الاندماج. ولقد احتفضوا بألقابهم في لغتهم اللوبية، وبأسمائهم الشخصية (الأولى) النابعة من معجم أسماء الأعلام اللوبية، كما ظلوا حتى نهاية اعتلائهم للسلطة في مصر يحافظون على وضع الريشة كعلامة تميزهم عن المصريين[1].

لقد تصرف الرؤساء المحليون لقبائل المشوش والليبو في الدلتا كسادة فعليين، والزمامات التي يقيمون فيها كما لو كانت إقطاعيات (Fiefs) مستقلة استقلالاً ذاتياً، وقد أقام هؤلاء الرؤساء مبانٍ تخليداً لأسمائهم، وصوروا أنفسهم في أزياء كانت مقصورة في العادة، في أوقات سابقة على الملوك وحدهم، بل وبلغ بهم الأمر حد تبني أساطير ملكية، فأخذوا يتحدثون عن "نهج حوريس" في الإشارة إلى رسم الآلهة لأقدارهم[2].

وفي خضم ذلك، فإن المجتمع اللوبي رغم تمصره لم يتخل عن أهم الأعراف والعادات والتقاليد التي كانت تشكل أساس العلاقة الاجتماعية بين أفراده، بل ازداد تمسكها بها لما تحمله من إشارات تدل على خصوصيته، كما أثبتت ذلك المصادر الكتابية المصرية.

ثالثا– الأسرة اللوبية من خلال مصادر الكتابة المصرية: اكتشف علماء المصريات خلال القرن العشرين الكثير من قراطيس البردي[3] التي تناولت تفاصيل الحياة اليومية للمجتمع المصري، إلا أن البرديات التي تعود إلى فترة حكم الأسرتين اللوبيتين (22–23) نادرة، كونها

[1] دونالد ريدفورد، مصر وكنعان وإسرائيل في العصور القديمة، تر:بيومى قنديل، ط2، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2015،ص 482.

[2] المرجع نفسه، ص 483.

[3] عرف المصريون صناعة الورق، فقد لاحظوا أن سيقان نبات البردي مثلثة الأضلاع، فكانوا يقومون بتقطيع الساق إلى قطع متساوية، ثم ينزعون اللحاء أو القشرة الخارجية للساق، ويقومون بتقطيع اللب الداخلي إلى أشرطة وشرائح رقيقةمتساوية الطول، ثم يرتبون وضع هذه الشرائط فوق بعضها بطريقة "خلف وخلاف" أي بوضع صف أفقي فوق صف رأسي، =
=ويدقون عليها بمطارق خشبية إلى أن يلتصق الصف الأفقي بالصف الرأسي بفعل العصارة اللزجة التي تحتوي عليها ألياف الساق، ثم يقومون بعد ذلك بتنعيم سطح ورقة البردى وتجهيزها للكتابة أو الرسم، وذلك باستعمال حجر ذي سطح أملس ناعم. وفي المرحلة الأخيرة تجفف أوراق البردى في الشمس وتصبح عندئذ صالحة تماما للكتابة والتدوين. للمزيد ينظر: مختار السويفي، المرجع السابق، ص 103.

تعرضت للفناء والتحلل بسبب وجودها في منطقة الدلتا التي تتميز بالرطوبة[1]، ورغم ذلك فإنها قد حفظت لنا بعض الملامح المهمة فيما يأتي:

1- الزواج وأركانه: حظي الزواج من الناحية الاجتماعية خلال فترة حكم الأسرتين اللوبيتين باهتمام غير مسبوق، لما كان من فائدة المصاهرة في استقرار المجتمع اللوبي واستيطانه في مصر القديمة، واعتبر الزواج علاقة لها آثار قانونية بالإضافة إلى العلاقة الروحية والتمازج النفسي والتعاطف بين الرجل والمرأة[2]، خاصة وأن التنظيمات الاجتماعية في مصر القديمة لم تتمسك كثيرا بالفوارق الطبقية والعرقية الحادة في شؤون الزواج والمعاملات. وإنما قام التمايز بين الأسر في المجتمع على أسس اعتبارية من اختلاف المستويات الثقافية والإمكانيات المادية، أكثر مما سواها. وعلى الرغم كذلك من حرص الأسر الفرعونية على نقاء دمائها الملكية، إلا أنها لم تمنع أمراءها بل وأميراتها من أن يصهروا إلى ما عداها من الأسر المناسبة لهم في المجتمع[3].

وبلغ هذا التسامح الاجتماعي ذروته في الأسرة الحادية والعشرون (1069-945 ق.م) بدليل علاقات المصاهرة بين أسرة شيشنق اللوبية والعائلة المالكة المصرية وتحدث عن ذلك "دونالد ريدفورد" (Donald B. Redford) حيث ذكر أن شيشنق الجد كان رجلا عجوزا أنجب أبناء يافعين خلال حكم "بسوسينس الثاني"، وكان قد اكتسب عدداً كثيراً من درجات القرابة مع العائلات البارزة[4]، حيث أكد المؤرخون المعاصرون أن الملك "بسوسينس الثاني" آخر فرعون للأسرة الواحد والعشرين، له ابنة تدعى "مكاري" (Makare) تزوجها "أوسركون" وأنجب منها الكاهن الأعظم (ميري- أمون- سوسنق)، وعلى هذا الأساس يكون "بسوسينس الثاني" جد "شيشنق الأول" من أمه. بينما تقول مصادر أن شيشنق هو نفسه من تزوج ابنة "بسوسينس الثاني" وأنجب منها خليفته "أوسركون الأول"، وهذا ما نقش حرفيا على نصب إله النيل. وفي رواية أخرى يشار

---

[1] فلاندرز بيتري، الحياة الاجتماعية في مصر القديمة، تر:حسن جوهر وعبد المنعم عبد الحليم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975، ص 184.

[2] مها العيساوي، المرجع السابق، ص 137.

[3] عبد العزيز صالح، الأسرة المصرية في عصورها القديمة، دط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1988م، ص57.

[4] ريدولف دونالد، مصر وكنعان وإسرائيل في العصور القديمة، تر: بيومي قنديل، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2004، ص450.

إلى أن "شيشنق الجد" أنجب ابنا اسمه "نملوت" أو "نمرود" وهو بدوره أنجب شيشنق الأول الذي تزوج ابنة "بسوسينس الثاني"[1].

بعد وفاة شيشنق الأول، تولى الحكم ولده "أوسركون الأول" الذي تزوج الأميرة المصرية "ماعت كارع" التي تجري في عروقها الدماء الدماء المقدسة للفراعنة، وهي حسب التقليد المصري تنقل هذا الحق لزوجها، والأمثلة عن ذلك كثيرة في التاريخ الفرعوني، حيث قام أصحابها باعتلاء عرش الفراعنة باللجوء إلى الزواج من الأميرة الشرعية، بل كان يتوجب على الأمير ابن الفرعون المصري من زوجة ثانوية، الزواج بأخته الأميرة ابنة الزوجة الملكية أخت الفرعون لتنقل له الشرعية في حكم مصر الفراعنة. وبالتالي فإن اعتلاء "أوسركون الأول" عرش مصر، كان مطابقاً للتقاليد والعادات والقوانين المصرية القديمة[2].

وهناك مثال آخر على اختلاط اللوبيين بالمصريين عن طريق الزواج والمصاهرة وهو زواج ابن شيشنق الأول "إيوبوت" من إحدى بنات "بينوزم الثاني" كبير كهنة أمون[3]، وقد كانت تسمى "كارومانة" عابدة لاهوتية لآمون وحافظة تقاليد وحقوق الخلافة الملكية، وبذلك أصبح ابنه هو الكاهن الأكبر لآمون[4].

وكان السائد هو أن ينعقد الزواج في عرف المجتمع اللوبي شفهيا، وبمجرد التراضي ودون الحاجة إلى الكتابة على يد الكاهن. وعندما تمصر المجتمع بفعل المصاهرة وتعاقب الأجيال حاكى المجتمع اللوبي المجتمع المصري في عملية توثيق عقود الزواج وعقود الطلاق أيضا. وتؤكد بعض عقود الزواج الهيراطيقية التي وصلت من الأسرة الثانية والعشرين ظاهرة تعدد الزوجات، وتدحض فرية زواج الإخوة[5].

[1] عبد العزيز سعيد الصويعي، الفرعون الليبي شيشنق الأول، المرجع السابق، ص69.
[2] أم الخير عقون، دولة الأمازيغ، المرجع السابق، ص 207.
[3] موسوعة تاريخنا، المرجع السابق، 185.
[4] أحمد صفر، المرجع السابق، ص 48.
[5] مها العيساوي، المرجع السابق، ص 137 .

أما البرديات الديموطيقية[1] المحفوظة في المتحف البريطاني، والتي تعود إلى مرحلة العصر المتأخر، فقد أشارت إلى وسائل تنظيم العلاقات الزوجية وحفظ الأنساب والحقوق المترتبة للزوجة والأبناء ، وقد ظهرت هذه الصورة بشكل جلي في النصوص الأدبية المصرية القديمة، كما أنها إعتبرت كل علاقة غير شرعية بغيضة ومنفرة في المجتمع لا يحظى أفرادها بالتقدير والاحترام[2].

وعلى كل فإن هذه البرديات والنصوص هي الدليل المادي القاطع على أن المجتمع الذي يحترم أهم علاقة تقوم عليها الأسرة هو مجتمعاً صالحاً ومتماسكاً بعيد تماماً عن الصورة التي نقلتها المصادر الكتابية الإغريقية والرومانية فيما بعد.

2- تعدد الزوجات: كان نظام تعدد الزوجات معروفاً ومعمولا به بين اللوبيين في مصر، ولم يكن حكراً على طبقة الأشراف، إذ كان العمال والعامة من الشعب يتخذون أكثر من زوجة، وغرضهم في ذلك زيادة اليد العاملة والمعيلة في الأسرة[3].

إلا أن ثمة شواهد أخرى مثل لوحة "حاربسن" (من الأسرة الثانية والعشرين) وقد سجل هذا الملك، وهو ينحدر من أسرة لوبية شجرة نسبه. وتبين أن كل رجل من هذه الأسرة كان يتخذ زوجة واحدة. ولعل ذلك يفسر بأن هذه الأسرة، بحكم إقامتها في مصر، كانت قد تأثرت بالعادات المصرية فلم يتخذ رجالها سوى زوجة واحدة، أسوة بالمصريين، أو أن الزوجة التي ورد ذكرها كانت السيدة الأولى في حريم ضم عددا من الزوجات[4].

مع العلم أن ظاهرة تعدد الزوجات كانت قليلة في المجتمعات المصرية -كما ذكرت سابقا- على الرغم من أن هذا التعدد كان مشروعا لديهم، وأن بعض الملوك والأثرياء وأواسط الناس قد أخذوا به فعلا، وأن القصور الكبيرة لم تخلوا من الجواري والسرايا لاسيما في عهود الرخاء والترف.

---

[1] **البرديات الديموطيقية**: والديموطيقية هي الأخرى تعبير يوناني مكون من مقطعين ومعناه "الكتابة الشعبية" أو "الخط الشعبي" وقد كتبت اللغة المصرية بهذا الخط بعد تطور الخطين الهيروغليفي والهيراطيقي إلى شكل أكثر اختصارا وسهولة في التدوين، أما البرديات تعد من الوثائق المهمة لكنها غير منشورة، اكتشفها عالمي المصريات جريفيث وتشارني، وتعد مصدرا مهما في دراسة التاريخ الاجتماعي لمصر الفرعونية في العصر المتأخر. لمزيد من المعلومات ينظر: مختار السويفي، المرجع السابق، ص 93.

[2] مها العيساوي، المرجع السابق، ص ص 137- 138.

[3] المرجع نفسه، ص 138.

[4] مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 39.

وكان لثقل التزامات الطلاق أثر كذلك في شيوع الاكتفاء بزوجة واحدة، وقلة احتمالات الانفصال بين الأزواج[1].

3- الطلاق: كان وارداً فيما بين الأسرة الثانية والعشرين والسادسة والعشرين، حيث كان الزوج عندما يبادر بالطلاق يتنازل عن نصف أملاكه لزوجته أو ثلثها، ومتاعها حق لها، وتأخذ الزوجة قيمته نقداً إذا استهلك[2].

يحتمل من العقود الفردية أن طلب الطلاق كان حقا مكفولا للزوجين، وإن ظل بيد الزوج في الأعم الأغلب، وإذا أوقع الزوج الطلاق بإرادته أدى لمطلقته المؤجل المنصوص عليه في عقد القران أو التعويض الذي قد تتجاوز قيمته في بعض الحالات قيمة الصداق نفسه. وتستوفي المطلقة معه ما يكون قد تخلف لها من حر مهرها في ذمة زوجها. كما تسترد مقتنياتها الشخصية كاملة أو ما يعوضها عنها. وقد يكتفي الرجل بالتطليق الشفهي، أو يحرر لها وثيقة طلاق تؤكد خلوها من موانع الزواج[3].

رابعا: العمارة والفنون: أعالج الموضوع فيما يأتي:

1- العمارة: ترك شيشنق آثار عديدة، حيث عمل على تجميل المعابد خاصة، معبد الكرنك الذي كان مقر ملك الاله (آمون رع) بما يليق بأسرته، ولذلك صمم على أن يقيم أثراً شاهقاً بارزاً يسترعي الأنظار بعظمته، على غرار ما أقامه الملوك العظام في عهد الدولة الحديثة[4].

بعد عودة الملك شيشنق من حملته المظفرة في فلسطين عام 925 ق.م نفّذ برنامجاً طموحاً من المشاريع الإنشائية في معبد "آمون رع" بالكرنك، سرد تفاصيله على سطح لوح أقامه بمناسبة إعادة فتح محاجر جبل السلسلة عام 924 ق.م، وباشر ابنه "ايوبوت" الأعمال التنفيذية. وقام بإعداد الفناء الواقع أمام الصرح الثاني. وعلى سطح الجدار الخارجي للبوابة الواقعة جنوبي هذا الفناء صور انتصار مصر على المملكتين اليهوديتين يهوذا وإسرائيل. كما أشار إلى هذا النصر

[1] عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 23.
[2] مها العيساوي، المرجع السابق، ص 139.
[3] عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 64.
[4] سليم حسن، مصر القديمة، ج9، المرجع السابق، ص 109.

على "لوح النصر" الذي أقامه في ال"ابت سوت"، على مقربة من حوليات "تحوتمس الثالث"، والمقارنة هنا لن تكون نوعا من المديح الأجوف. فبهو الاحتفالات الذي شيده شيشنق الأول من أجل آمون شاهد على النهضة الجبارة التي سادت الشرق الأدنى القديم[1].

لقد كانت الدلتا هي المسرح الرئيسي لأعمال خلفاء شيشنق الأول المعمارية ولقد تركزت أعمالهم في المدينتين الرئيسيتين آنذاك: بوبسطة وتانيس، فأقام أوسركون الأول معبداً صغيراً وعندما أكمله أهداه للإله "أتوم" ثم دون على جدران هذا المعبد قوائم هباته الواسعة لآلهة مصر، كما ينسب لهذا الفرعون الشروع في إعادة بناء المعبد الكبير في بوبسطة[2].

أما عهد "أوسركون الثاني" فقد شهد آخر ومضات ازدهار الأسرة الثانية والعشرين، وهو فرعون بناء، ففي عهده عادت البناءات الكبيرة الجميلة المتقنة، ولقد فاقت في إتقانها بعض أعمال رمسيس الثاني[3].

إلا أن شيوع الاضطراب وعدم الاستقرار وتأزم الموقف بين الشمال والجنوب، فضلا عن العجز الذي أصاب مالية الدولة كانت له آثار بعيدة المدى على الإبداع الفني والنشاط المعماري، وقد طفا أسلوب غير مستحب، سلكه ملوك هذه المرحلة، إذ أنهم لم يقتصروا على تقليد أسلوب الرعامسة فقط فيما يتصل بأوضاعهم المختلفة التي تعكسها مناظرهم وطقوسهم الدينية، بل حاكوا الرعامسة أيضا في اغتصابهم وإعادة استعمالهم لآثار الأسلاف، ولم تقتصر العملية على الآثار الملكية والجنائزية فحسب بل شمل كل مجالات البناء والفنون، لدرجة أن "كيتشن" اعتبر هذه الفكرة ميزة عصر الحكام اللوبين[4]، ولهذا فقد مالت الموضوعات الفنية إلى التقليد دون التجديد، وظلت قريبة من أنماط عهد الرعامسة.

لقد كان جلب الأحجار من المحاجر يتطلب تكاليف باهضة عجزت الخزينة الملكية سواء في "تانيس" أو "ليونتوبوليس" عن الوفاء بها، فأعتمد نشاط الملوك على هدم وتخريب المنشآت

[1] نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص ص 418-419.

[2] أم الخير عقون، دولة الأمازيغ، المرجع السابق، ص 336.

[3] المرجع نفسه، ص 337.

[4] A.K. Kitchen, On the princedoms of late Libyan Egypt, CDE 52, 1977, p 354.

المعمارية القديمة التي شيدها الرعامسة من قبل، وذلك للانتفاع بأحجارها في تشييد منشآت أخرى خاصة بهم، ورغم أن هذا الأمر لم يكن جديداً إذ مارسه الرعامسة أنفسهم من قبل، وبشكل خاص "رمسيس الثاني"، إلاّ أنه في هذا العصر كان على نطاق واسع، ولذا فلم يكن هؤلاء الملوك على مستوى المسؤولية بالنسبة للحفاظ على آثار الملوك العظام السابقين، وخاصة تلك التي أقيمت بالقرب منهم في الدلتا[1].

ففي "تانيس" وبصفة خاصة في معبدها كانت توجد أجزاء عديدة لأعمدة نقش عليها ألقاب "رمسيس الثاني"، وقد قام "أوسركون الثاني" بطمسها باستخدام طبقة من الملاط ونقش مكانها اسمه وألقابه عليها[2]، لذلك فهذه الإضافة يجب أن تنسب إلى "رمسيس الثاني" وليس إلى أوسركون الثاني.

وقد أضاف "شيشنق الثالث" إلى معبد "تانيس" البوابة الغربية والتي شيدها من الأحجار الجرانيتية الضخمة، وكرس كل جهده لنقلها من أنقاض الأبنية القديمة التي تنسب إلى "رمسيس الثاني"، مثلما يظهر من بقايا البرجين اللذين يؤلفا هيئة البوابة، حيث وجد اسمه منقوشاً على كتلة عثر عليها خلف البرج الجنوبي، وقد رُصِفَّت أرضية الممر بين البرجين بقطع من الحجارة، اغتصبت من أنقاض مباني قديمة، تنسب إلى كل من "بيي الأول" و"بيي الثاني" و"رمسيس السادس"، وقد اشتمل كل برج من هذين البرجين على كوة مربعة الشكل، وقد مثل "شيشنق الثالث" نفسه عليها في موكب ثالوث طيبة (آمون، موت، خونسو)، حاول الفنان إبرازها باستخدام النقش الغائر[3].

أما في المدن العديدة بالدلتا فلم يعثر على ما يشير إلى نشاط معماري لملوك الأسرتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين، سوى بعض الآثار الضئيلة للملك "شيشنق الثالث"، مثل:

---

[1] محمد بيومي مهران، المغرب القديم، المرجع السابق، ص ص 233-232.

[2] لقد قام الملك "رمسيس الثاني" بعملية اغتصاب أسلافه السابقين، حيث أقدم على استخدام كتل الحجارة التي ترجع إلى عصر الدولة القديمة إذ أمكن التعرف عليها من خلال طراز تيجانها الذي كان على هيئة سعف النخيل وشاع في عهد "وناس" و"بيي" وكان عليها نقوش ترجع إلى زمن أقدم من عهد "رمسيس الثاني" الذي قام بطمسها وتسجيل اسمه وألقابه عليها. ينظر: بن السعدي سليمان، المرجع السابق، ص 302.

[3] بن السعدي سليمان، المرجع السابق، ص 304.

بعض كتل الحجارة في "منديس"، وكذلك بعض الآثار في "منف"[1].

2-الفنون: بالرغم من الاضطرابات السياسية في هذه الفترة إلا أن الحضارة ضلت رفيعة المستوى في شتى المجالات وإن فقدت السمو والبهاء اللذين تمتعت بهما في عصر الرعامسة. إن ما يلاحظ عن فن النحت، هو تداخله مع فن العمارة ليصل الأمر الأمر إلى تكامل بين الاثنين، أي نحت واجهات وجدران كل المباني، سواء كانت مقابر أو معابد. ولقد وصف المتخصصون الجدران المنحوتة في أعمال كل من أوسركون الأول وأوسركون الثاني وشيشنق الثالث، بأنها تجلب الانتباه ولا يسع الإنسان إلا أن يؤخذ عندما يشاهدها لأول وهلة، لجمال صنعها الذي يضارع النماذج الحسنة، وإنها أكثر إتقاناً من التي خلفها رمسيس الثاني[2].

وازدهرت في الألف الأولى ق.م الفنون القائمة على الأشغال المعدنية في الشرق الأدنى بعامة وفي مصر بخاصة[3]، حيث شهد القرن الأول من زمن الفترة اللوبية انتعاشة عظيمة فيما يتصل بالعودة إلى إحياء أساليب فنون النحت الذي ساد عصر الأسرة الثامنة عشر، وأضافوا عليه إدخال التطعيم بالذهب واللازورد والفضة لتماثيلهم المصنوعة من البرونز حيث ظهر نشاط جديد منذ "أوسركون الثاني"، فقد حاول فنان عصره أن يخرج نماذج فنية رائعة كانت تضاهي طراز العصر الذهبي في الفن للأسرة الثامنة عشر، وذلك من خلال العودة إلى طراز العهود السابقة مع إتقانها بشكل جيد، مثلما يظهر من "ثالوث أوزير الموجود بمتحف اللوفر الذي يرجع إلى عهد "أوسركون الثاني"، وتم صنعه من الذهب واللازورد، واعتبره جريمال من أعظم روائع الفن المصري وأبرزها[4].(**ينظر، الشكل رقم:10، ص 81.**)

[1] المرجع نفسه، 306-307.

[2] أم الخير عقون، دولة الأمازيغ، المرجع السابق، ص 342.

[3] نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص ص 429-430.

[4] المرجع نفسه، ص 430.

الشكل رقم:10 يوضح تمثال ثالوث أوزير الموجود بمتحف اللوفر الذي يرجع إلى عهد "أوسركون الثاني"

نقلا عن: سعيد بودبوز، المرجع السابق، ص 6.

وهناك أثر آخر غاية في الروعة والإتقان، يرجع تاريخ صنعه إلى عهد الفرعون "أوسركون الثاني" ويمثل الإله آمون، وهو موجود حالياً بمتحف نيويورك[1].

كما شهد هذا العصر إسهاماً فنياً آخر، يتمثل في الضغط والتركيز على إظهار الرشاقة في تماثيل السيدات، بمنحهن قدراً من الاستطالة اللائقة وإبراز الخاصر الرقيق، والدقة الشديدة في تفاصيل الأطراف، مثلما يتضح من تمثال اللوفر الخاص بمغنية أمون[2].

ويرجع سر تطور النحت وصنع التماثيل والدرجة التي وصلت إليها مهارة الصناع في عهد اللوبيين بمصر إلى طبيعة المادة المستخدمة، وهي البرونز، الذي عرف انتشاراً واسعاً في هذه الفترة، وهذا المعدن الأخير يمتاز بخاصية الليونة مما أعطى إمكانية تشكيل التماثيل بالهيئة المطلوبة[3].

[1] أم الخير عقون، دولة الأمازيغ، المرجع السابق، ص 345.

[2] عبد العزيز صالح، الفن المصري القديم، تاريخ الحضارة المصرية، ج1، العصر الفرعوني، القاهرة، 1962، ص 365.

[3] أم الخير عقون، دولة الأمازيغ، المرجع السابق، ص 346.

3- الطقوس الجنائزية: كانت أهم سمات الأسرة الثانية والعشرون المحافظة على جثث الموتى، وحراستها من اللصوص[1]. أما بالنسبة للعمارة الجنائزية فقد شيد "أوسركون" مقبرته إلى الجنوب الغربي من المعبد الرئيس الإله آمون في "تانيس"، والركن الجنوبي الغربي للسور الداخلي، والتي تتكون من أربعة حجرات سفلية من الحجر الجيري ليست على درجة عالية من التشييد[2].

بعد سقوط الأسرة الثالثة والعشرين على يد الأسرة الصاوية، لم تتحدث المصادر عن مصير اللوبيين اجتماعياً وثقافياً، لكن الغالب أنهم اندمجوا حتى الانصهار، بل ولعلهم قد أخفوا أصولهم، وابتعدوا كثيراً عن مناطق الاضطراب والتحول السياسي المستمر، مفضلين مناطق أكثر عزلة مثل الواحات الداخلية[3].

ومما سبق نخلص إلى أن العلاقات بين سكان المغرب القديم والمصريين أخذت أشكالا عديدة، منها الحرب، وتجنيد اللوبيين كجند مأجور في الجيش المصري أو تشغيلهم في بناء المعابد، ونزوح اللوبيين في فترات مختلفة واستيطانهم في منطقة وادي النيل، وظهور المصاهرة مع المصريين، وتكوين اللوبيين لأسر حاكمة في مصر، ومساهمتهم في الدفاع عن مصر، ومشاركتهم في حروبها الخارجية.

وبذلك صار العنصر اللوبي الذي هاجر إلى مصر يلعب دوراً قيادياً، وارتبطت لوبيا بمصر في هذا العصر برباط سياسي وثيق. وأضاف اللوبيون إلى شدة بأسهم وشجاعتهم ثقافة المصريين وحضارتهم وأصبحوا يحكمون أقوى إمبراطورية في شرق البحر المتوسط.

وقد سهل الجوار والانتماء إلى منطقة واحدة من عملية الاحتكاك المستمر والمباشر بينهما، رغم أن المصادر المتوفرة عنه حتى الآن يستنتج منها أنّ الانتقال أخذ وجهة واحدة، أي من الغرب نحو مصر، ولم يرد فيها ما يمكننا اعتباره هجرة أو انتقالاً في الاتجاه المعاكس ما عدا ما عرفته المناطق المحاذية لمصر مباشرة، وقد عرف التواصل بين الطرفين طريقاً غير مباشر من خلال أجناس أخرى كالفينقيين والإغريق.

---

[1] بكر محمد إبراهيم، موسوعة تاريخ الفراعنة، ج2، ط 1، مركز الراية للنشر والأعلام، 2004، ص231.

[2] بن السعدي سليمان، المرجع السابق، 304.

[3] عبد اللطيف محمد البرغوثي، المرجع السابق، ص 73.

الفصل الثالث:

التأثيرات الثقافية المتبادلة بين اللوبيين والمصريين.

المبحث الأول: العلاقة بين لغة سكان بلاد المغرب القديم ولغة المصريين.

المبحث الثاني: العلاقات الدينية.

المبحث الثالث: مظاهر الحضارة الفنية.

إن الصلات الحضارية التي ربطت اللوبيين مع جيرانهم المصريين قد صاحبتها مؤثرات ثقافية متبادلة بين الشعبين في الجانب اللغوي والديني والفني وهذا ما سأحاول دراسته في هذا الفصل.

المبحث الأول: العلاقة بين لغة سكان بلاد المغرب القديم ولغة المصريين: اللغة جزء مهم من تاريخ البشرية، بل هي وثيقة حية لها قيمتها التاريخية كغيرها من الوثائق، خصوصاً لدى منطقة لا وثائق واضحة لها، فتكون اللغة وعلومها مجالاً خصباً لمعرفة الكثير من تاريخ تلك المنطقة. ولعل هذا ينطبق على بلاد المغرب القديم، لذلك سأحاول دراسة هذه الجزئية عن طريق المقارنة بين اللغتين اللوبية والمصرية القديمة.

أولاً– تعريف اللغة اللوبية واللغات المصرية القديمة: سأتطرق لتعريفهم من خلال العناصر الآتية:

1– تعريف اللغة اللوبية: أطلق الباحثون في مجال اللسانيات السامية على اللغة اللوبية[1] تلك الأصوات وذلك الكلام الذي تداوله المجتمع المغربي القديم منذ الألف الأولى قبل الميلاد، أي منذ وجوده في صورته القبلية البسيطة التي جسدتها الوثائق المصرية في قبائل التحنو والتمحو ثم المشوش والليبو، وقد اتضحت معالم تلك اللغة في مرحلة حكم أسرة شيشنق المتمصِّرة، كما تكلمت بها أيضاً القبائل المنتشرة على طول المستوطنات الفينيقية في غربي المتوسط والتي جمعتها مع الفينيقيين علاقات تجارية[2].

والملاحظ أن الباحثين عندما أطلقوا تسمية "اللوبية" على نوع اللغات التي تكلمها السكان الأصليون ببلاد المغرب القديم، قد أهملوا تمييز الفترات التاريخية التي ظهرت خلالها، ومن ثمة فإن المقياس التاريخي لهذه التسمية ينطبق على الفترة المحصورة بين القرن الثامن ق.م والقرن الرابع ق.م، أما تسميتها باللغة النوميدية فينطبق على فترة الممالك المحلية سواء النوميدية أو المورية.

وعليه فإنه يمكن القول بأن تسمية اللغة اللوبية تتوافق ومصطلح المجتمع اللوبي، أما اللغة

[1] إن مختلف خصائص ومزايا اللغة الإنسانية التي وضعها علماء اللغة واللسانيات كمقاييس لتحديد أي لغة ضمن قائمة اللغات العالمية القديمة الميتة والحديثة الحية لتنطبق على اللغة اللوبية. ينظر: سالم لبيض، الأقلية البربرية في تونس، ط1، المركز العربي للدراسات السياسية والاجتماعية، 2011، ص.ص 35– 36.

[2] مها العيساوي، المرجع السابق، ص 325.

النوميدية فتتوافق مع المجتمع النوميدي، وفي حقيقتها فهي لغة واحدة استمرت مع المجتمعين[1].

أما أصل الكتابة اللوبية لازال يشكل صعوبة جمة، خاصة وأنه حتى الآن يجهل الباحثون المصدر الذي أخذت منه هذه الكتابة، ومعرفة أصولها هل هي محلية أصلية في المغرب القديم، أملتها التطورات الاقتصادية والاجتماعية التي مرت بها بلاد المغرب القديم؟ أو هي مستوردة مثلها في ذلك مثل اللغتين البونية واللاتينية؟

بعد اطلاعي في المصادر والمراجع وجدت أن هناك عدة افتراضات وضعت كمحاولة لتتبع أصول اللغة اللوبية، سأشير هنا لفرضية الأصل المحلي أما فرضيات الأصل السامي سأتناولها في الباب الثاني عند التطرق للعلاقات مع الفينيقيين.

ذكر مجموعة من الباحثين أن أصل اللغة اللوبية محلي، وأنها نشأت نتيجة لتطور الظروف الاقتصادية والاجتماعية الداخلية[2]. إذا كان اختراع الكتابة هو الذي نقل الشعوب من ما قبل التاريخ إلى الفترة التاريخية، فإن المغرب القديم قد عرف نفس التطور على غرار شعوب البحر المتوسط، وقد كان ابتكار الكتابة اللوبية مؤشرا على دخوله التاريخ[3].

فمن الممكن أن تكون الكتابة اللوبية مشتقة من الرسوم الصخرية التي تعد صحيفة يومية من صنع إنسان ما قبل التاريخ، دون فيها حياته الاجتماعية، ونشاطه اليومي، واستعمل رموز تنبع من أصول الفن الهندسي البربري القديم والمستخدم في زخرفة الفخار والوشم وبعض المنسوجات. وقد لوحظ استخدام الصليب، والنقاط والدوائر ومجموعة الخطوط مصحوبة برسم بعض الحيوانات

[1] مها العيساوي، المرجع السابق، ص 325.

[2] محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،2003، ص 119.

[3] حاول البعض بخلفية اديولوجية وأحكام مسبقة الطعن في أصالة الكتابة اللوبية واعتبارها مجرد محاكاة لكتابات أخرى وأجهدوا أنفسهم في هذا المجال بحثا لها عن أصول فينيقية أو متوسطية عموماً وحتى يمنية، ومع أن خط تسلسل تطور التعبير الكتابي في المغرب القديم واضح، فمن الرسوم الصخرية بالطاسيلي إلى ما يعرف بالحجارة المكتوبة كمرحلة انتقالية إلى الألف باء اللوبية أخيرا. ينظر: محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص 207.

في بعض الرسومات الجدارية ذات التقليد النيوليثي[1] إلى جانب رسوم صخرية أخرى جيدة التصميم مثل رسوم كاف الخراز التي تكشف عن احتمال الانتقال من الصورة (Figure) إلى الكتابة التصويرية (Pictogramme) على غرار الهيروغليفية المصرية والمسمارية في بلاد ما بين النهرين[2].

غير أنه إذا كانت الرسوم الصخرية يؤرخ لها بالألف الرابعة ق.م فهل يمكن اعتبارها فعلا كتابة تصويرية ؟[3]. إذا نظرنا إلى مدى إتقانها فقد عبرت الرسوم الصخرية عن تسلسل عدة أفكار لدى إنسان ما قبل التاريخ وفجر التاريخ ، ولكن ما هي الطريقة التي تحولت بها إلى كتابة أو أبجدية؟ فهذا الذي لا يزال مجهول لدى الباحثين في هذا الحقل المعرفي للغة وكتابة بلاد المغرب القديم حتى الآن، أما الفترة التاريخية التي تطورت فيها يحتمل أن تعود إلى الألف الأولى ق.م[4].

وبعد تتبع مراحل تطور هذه الكتابة اتضح أن الأبجدية اللوبية تشبه في أشكال حروفها الكتابة التيفيناغية[5]، هذه الأخيرة التي ظلت متوارثة بفضل مجتمع الصحراء، حيث حفظت مخارج النطق التي تشبه إلى حد ما القيم الصوتية للحروف اللوبية، ويبدو أن الكتابة التيفيناغية تطورت في فترة سابقة، ولكن تعرضت بعض حروفها للتحريف أو أخذت قيما صوتية ومصطلحات جديدة

---

[1] النيوليثي (Neolithic): العصر الحجري الحديث الفترة النهائية من عصور ما قبل التاريخ، تميزت بظهور الزراعة وتدجين الحيوانات حيث دخل الإنسان في مرحلة إنتاج القوت. ينظر: عبد الرزاق قراقب وعلي مطيط، حضارات ما قبل التاريخ (تونس والبلدان المغاربية)، ط1، دار أليف، تونس، 1993، ص 25.

[2] غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر ماسينيسا أو بدايات التاريخ ، (تر) و(تح) محمد العربي عقون، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر،2010، ص326

[3] Jinette Aumassip, Trésor de L'Atlas, Entreprise Nationale du livre, Alger, 1986,P.16

[4] Ibid,P.102

[5] **تيفيناغ:** تعني كلمة تيفيناغ في الأدب الترقي الرموز، والتيفيناغية كتابة طوارق الصحراء لازالت بقاياها موجودة إلى يومنا هذا في الصحراء الجزائرية، وقد اعتنى بها العلماء مثل: الدكتور أودني (Oudnye) الفرنسي وهو أول من تعرف على هذه الأبجدية، وشارل فكولد (Charles de Foucauld) بدارسة التيفيناغ منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين غير أن الإشكال لا يزال قائما حتى الآن بسبب غموض رموزها والأصوات التي تؤديها. ينظر: محمد المختار العرباوي، الكتابة البربرية اللوبية التيفيناغ ما حقيقتها؟، ط1، دار نقوش عربية، تونس، 2010، ص. ص (23- 24).

بحسب التأثير المحلي[1] والدخيل عليها، وهذا أمر منطقي قد يمر على كل حضارات وثقافات العالم منذ ما قبل التاريخ حتى عصر الكتابة وإلى اليوم.

وقد تم العثور على نقوش[2] تيفيناغية في العديد من المناطق التي عثر فيها على النقوش اللوبية في المغرب الأقصى، وفي التخوم الصحراوية الشمالية، وهذا ما يدعم فرضية أن تكون التيفيناغية مشتقة من اللوبية. يضاف إلى ذلك ما أشار إليه الباحث ث.مونو (Th Monod) من أناشيد خاصة بدعاء إنجاء الأطفال مكتوب بحروف لوبية قديمة ضمن مشهد ذو صيغة جنسية من مشاهد الرسوم الصخرية في جبل (أهنات) في موقع (ترقرقة) الأثري الذي لا يبتعد كثيراً عن واحة جانيت[3].

وقد كان تاريخ وجود التوارق ولهجاتهم غامضاً نوعاً ما، فقد ألف دي فوكو قاموساً مختصراً (طارقي- فرنسي) من الأسماء الخاصة بلهجة الهقار: **Dictionnaire Abégée d' Nons propres dialecte de Toureg Français) L'Ahaggar**)، نشره أندري جاسي سنة 1940، أشار إليه المؤرخ الجزائري أبو القاسم سعد الله قائلاً:"**ثم عاد إلى الجزائر ونسق نشاطه مع رجال لا فيجري –الآباء البيض– وأخذ في تعليم اللهجة الطارقية وأصدر معجماً عنها. وكان تجول في الصحراء مستكشفاً وليس كرجل دين....وكان الجنرال لابرين يدرك مدى معرفة دي فوكو لعادات الصحراويين ولهجة الطوارق وقدرته على كسب النفوذ لفرنسا وكتب عدة مؤلفات عن مجتمع الأهقار ولغته**"[4].

---

[1] Salem Chakeret et Sléméne Hachi, A propos de L'origine de L'âge de écriture libyco-berbère, éd . Peeters, Paris, 2000, P.104.

[2] **النقوش** (**épigraphies**): جمع نقش وهو علم فك رموز وتفسير الكتابات القديمة المدونة على النصب الحجرية أو المعادن والأصداف والفخار ثم الخشب. وبذلك فإن تسمية نقوش تشمل كامل الكتابات التي كانت قد نقشت على الصخور والجدران، في حين تدخل الكتابات المنقوشة على العملة في باب علم المسكوكات (numismatique).أما تلك النقوش التي تدون على الرقوق (الجلود) والأوراق البردية، فتنسب إلى علم البرديات (papyrologie). وقد اشتقت تسمية علم النقوش من الكلمتين اليونانيتين (épi- grapho) بمعنى "أكتب على". للمزيد ينظر: محمد الصغير غانم، نصوص بونية ليبية مختارة، المرجع السابق، ص 13.

[3] إبراهيم العيد بشي، المرجع السابق، ص ص 327-333.

[4] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6: دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1990، ص 133.

2- تعريف الهيروغليفية: كلمة يونانية مكونة من مقطعين: (hiero) مقدس + (glypho) نقش أي: الكتابة المقدسة. ذلك لأن اليونان نسبوا هذه النقوش التي كانت على جدران المعابد المصرية الحكمة القديمة، إذ جهلوا قراءتها ولم يعرفوا حقيقتها. وبدءاً من هيرودوت (القرن الخامس ق.م) ومروراً بمؤلفين مشاهير أمثال ديودوروس الصقلي وتاسيتوس فإننا لا نجد إلا إشارات عابرة عن معاني بعض الرموز الهيروغليفية قد تصيب وكثيراً ما تخطئ[1].

ويفسر ألن جاردنر تسميتها بالنقوش المقدسة، لأنها في العصور المتأخرة كانت تستعمل كلية في غالب الأمر في النقوش المحفورة على جدران المعابد. وهي تطلق الآن – تبعا لذلك- على كل الكتابة المصرية التي لا تزال تتكون من صور ابتداء من الكتابة المفصلة ذات العلامات الملونة الواضحة التي تزين المقابر حتى النماذج المختصرة المكتوبة بقلم القصب على البردي والتي تتضمن نصوصا دينية. والواقع أن الهيروغليفية هي من غير شك النوع الأصيل من الكتابة التي تطورت منه كل الأنواع الأخرى. وهي تقرأ أحيانا من أعلى إلى أسفل، وأحيانا أخرى من اليمين إلى اليسار ولكنها تقرأ في بعض الأحيان كذلك من اليسار إلى اليمين، وهذه هي الطريقة الممارسة في كتب القواعد المنشورة، وحين تكون الكتابة من اليمين إلى اليسار تتجه العلامات إلى ناحية اليمين[2].

والملاحظ على أشكال الكتابة الهيروغليفية المدون بها آلاف النصوص والآثار المصرية، أنها متناسقة على حساب مقياس الرسم، حيث تلغى فيها النسب والأبعاد المنطقية بين الأجسام، أي رسم الإنسان الواقف مثلا، يتناسب في طوله مع ريشة الطير الصغيرة. وهذا ما جعل الرمز المصري يفقد شكله كرسم حقيقي للشيئ، فيبرز شكله المجرد ليمثل الرمز الكتابي[3].

3- تعريف الهيراطيقية: تعبير يوناني مكون من مقطعين ومعناه "الكتابة الدينية أو الكهنوتية" وذلك على أساس أن الكهنة المصريين هم الذين ابتدعوا هذا الخط واستعملوه في كتاباتهم ذات الطابع الديني ويعتبر الخط الهيراطيقي اختصارا شكليا للخط الهيروغليفي، ولعل السبب في ظهور هذا الخط هو صعوبة نقش ورسم الحروف والرموز الهيروغليفية الأمر الذي دفع الكهنة إلى ابتداع

[1] علي فهمي خشيم، العرب والهيروغليفية، ط1، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2006، ص9

[2] سير ألن جاردنر، المرجع السابق، ص 35

[3] عبد العزيز الصويعي، أصول الحرف الليبي، ط1، الدار الجماهرية للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، 1999، ص 249.

هذا الخط المختصر لتوفير السرعة في الكتابة و نشر المعارف والعلوم بطريقة سهلة[1].

وقد يأخذ الخط الهيراطيقي شكل الحروف المفردة المنفصلة بعضها عن بعض، كما يأخذ شكل الحروف المتصلة في كل كلمة على حدة، أو بشبك واتصال الكلمات ببعضها بعض في كل سطر[2].

ثانياً– العلاقة بين اللغة اللوبية واللغة المصرية القديمة.

1– علاقة اللغة اللوبية بالهيروغليفية: عقدت دراسات لغوية حول كلمات في الهيروغليفية مشابهة في النطق والمعنى لما تكلمته القبائل اللوبية، بدليل أن بقاء اللغة اللوبية في بعض الواحات المصرية وخاصة واحة سيوة لا تزال متداولة لحد الآن.

وقد ذكر مصطفى كمال عبد العليم أن "بيتس" عقد فصلا ممتعا عن لغة الأمازيغ الحاليين، وفي نظره أنهم سلالة اللوبيين القدماء، وقد أورد نماذج لكلمات من هذه اللغة، وقارن بينها وبين كلمات مماثلة في اللغة الهيروغليفية الفرعونية من خلال النطق والمعنى، وانتهى إلى نتيجة، هي وجود مفردات لوبية في لغة المصريين. ويعلل ذلك باختلاط اللوبيين بالمصريين في الدلتا ومصر العليا والواحات. ويلفت هذا المؤرخ نظرنا إلى بقاء اللغة اللوبية في بعض الواحات المصرية، وخاصة سيوة، ويعتبر ذلك دليلا على استمرار العنصر اللوبي الذي عرفته مصر الفرعونية[3].

لغة سكان واحة "سيوة"(أمون قديماً) هي اللوبية ولا يزالون يتكلمونها إلى الوقت الحاضر. وقد وضع الفرنسي "لاووست"(Laoust) معجماً للهجة السيوية في أواخر العشرينات، طبع سنة 1931[4].

ويرى "محمد شفيق"[5] أنّ علاقة اللّغة الهيروغليفية القديمة باللوبية أمر محقق، لأن المفردات تتطور بسرعة في أشكالها الصوتية ومضامينها الدلالية. ومع ذلك لا تزال أكثر من مائة لفظة

---

[1] مختار السويفي، المرجع السابق ، ص ص 91-92.

[2] نفسه، ص ص 91-92.

[3] مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 35.

[4] محمد شفيق، حفريات في اللغة قد تفيد المؤرخ، النشر العربي الأفريقي، الرباط، المغرب، 1993، ص18.

[5] **محمد شفيق**: هو أستاذ فاضل ولد بمنطقة فاس بالمغرب، يوم 17 سبتمبر سنة 1926، حصل على الإجازة في التاريخ وشهادة في التفتيش التربوي. تولى العديد من المناصب منها عميداً للمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية ما بين سنتي=

مشتركة المعاني في اللغتين مثل: "ئغص- ئقص" العظم، و"ميس"، ابن، و"فود" الركبة، و"سو"، اشرب، و"سين" اثنان...إلخ[1].

وتتجلى تلك العلاقة بصورة أوضح لا غبار عليها في وحدة جل الضمائر، المتصلة منها والمنفصلة، ووحدة عدد لا بأس به من حروف المعاني، كحرف الإضافة (ن-n) وحرف التشبيه (م-ام-m-am)، وحرف الغاية والانتهاء (خر-غز-xr-ghr). وتتجلى بالخصوص وبصورة قاطعة في ما سمي بالعربية في النحو الأمازيغي، "الصيغة الموصولية" و"الصفة المشبهة بالفعل". وتتجلى كذلك في وجود أفعال ينحصر عدد حروفها، أي عدد حروف مادتها الأساسية في حرفين اثنين[2].

كما عثر في جدران المعابد "بتانيس" على أسماء أعلام مدونة بالهيروغليفية مثل: "يزار"، وهو أمير لوبي، و"يبشي" و"مزدر"، بالإضافة إلى أفعال، مثل: "يباد" أي ذهب، و"سور" بمعنى شرب، وهذا في ظاهرة لم تعهد إلا في النصوص المصرية القديمة[3].

كما يوجد في آخر أسماء عدد من ملوك مصر الفرعونية، الحروف "ماس" (Mes) وموزيس (Mosis) ومازيس (Masis) مثل الملك إمانيماوس (الأسرة الرابعة عشرة) والملك أمازيس (الأسرة الثامنة عشرة) ابن كاميس كما نلاحظ أيضاً وجود أسماء توثموسيس (Touthmosis) ورمسيس (Ramses) ومسرائيم (أو مصرائيم) الجد التقليدي الذي

= 2001 و2003 عُيّن عميداً للمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية. وفي سنة 2002 حاز على جائزة "كلاوس" للثقافة والتنمية من الأمير الهولندي (ألكساندر). له العديد من المؤلفات منها كتابه (33 قرنا من التاريخ الأمازيغي)، و(المعجم العربي الأمازيغي)، ومن نشاطاته الصحفية مشاركتُه في تأسيس مجلة (تيفاوت). من أقواله: **"الواقع أن للأمازيغ ثقافة خاصة بهم توارثوها عبر العصور منذ آلاف السنين، يصعب على الباحث أن يتتبع مراحل تطورها فيما يخص الجوانب المعتمدة للكتابة. واللغة الأمازيغية تخلّت عن أبجديتها منذ دخول البربر الإسلام، حسب ما تدل عليه القرائن، ولم يحتفظ بها إلاّ قبائل التوارق، غير أن حروفا منها لا تزال تندرج في زخارف الزربية المغربية"** ينظر: عبد العزيز سعيد الصويعي، عبد العزيز سعيد الصويعي، اللغة الليبية القديمة وكتابتها، ط1، دار الرواد، طرابلس- ليبيا، 2013م، ص 187.

[1] محمد شفيق، المرجع السابق ، ص ص 187-188.

[2] نفسه، ص 17.

[3] Oric Bates,Op-Cit, PP 82-83.

أعطاه العرب واليهود إلى المصريين. كما أن الكلمة ماس (Mes) الفرعونية وميس اللوبية تعني في كلتا الحالتين ابن[1].

بعد استعراض الحروف الأبجدية المصرية، وُجد أن عدداً منها يشبه إلى حد كبير الرموز التي حوتها لوحة جبارين "القربان"[2]، بغض النظر عن المعنى اللفظي للحروف المصرية التي أصبحت واضحة لدى الباحثين، والمعنى اللفظي للرمز اللوبي الذي لم يتضح بعد[3]. مع مراعاة البعد الزمني الذي امتد بين الفترة التي أنجزت فيها لوحة جبارين في لوبيا، وآخر مرحلة تطوير شهدتها الكتابة الهيروغليفية المصرية حتى صارت أبجدية مستقلة[4]. وقد وضع الصويعي مقارنة أولية بين الرموز اللوبية والرموز المصرية: (**ينظر، الشكل رقم:11**)

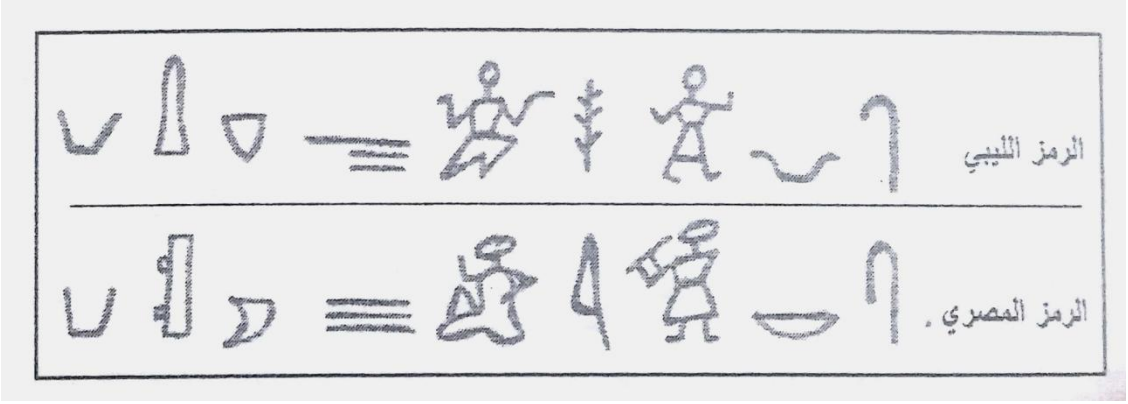

الشكل رقم:11 مقارنة بين الرموز اللوبية والرموز المصرية.

نقلا عن: سعيد عبد العزيز الصويعي، اللغة الليبية القديمة، المرجع السابق، ص 264.

وخلص إلى نتيجة مفادها: أن الرموز الكتابية اللوبية – رغم قلّة عددها وغموض معانيها– جديرة بالوقوف عندها وتدبر أمرها بعناية. وأنه تمت محاولة قراءتها بالمفهوم الذي تعنيه الحروف المصرية التي تقابلها في الشكل، إلاّ أن خبراء المصريات لهم في ذلك شأن آخر، فقد يصل أحدهم

[1] فتيحة فرحاتي، المرجع السابق، ص34.

[2] سأتحدث عن هذه اللوحة بالتفصيل في العناصر الموالية.

[3] يلاحظ في هذا الصدد أن الكتابة الهيروغليفية القديمة تتشابه مع الكتابة اللوبية في قراءتها من اليمين إلى اليسار، ومن أعلى إلى أسفل ومن اليسار إلى اليمين، ومن أسفل إلى أعلى تلك الظاهرة توحي ربما بأن هناك عنصر مشترك بين الكتابتين المصرية القديمة واللوبية القديمة. ينظر: J.G.Février, Histoire de l'écriture, Payot, Paris, 1948 , PP 323-324.

[4] عبد العزيز سعيد الصويعي، اللغة الليبية القديمة وكتابتها، المرجع السابق، ص 264.

–في يوم ما– إلى المعنى الحقيقي الذي تحويه لوحة جبّارين وغيرها من اللوحات والكتابات المتناثرة هنا وهناك على امتداد الصحراء اللوبية[1].

يذكر علي فهمي خشيم أن "بينفي"(Benfey) استنتج أن اللغة الهيروغليفية القديمة كانت ذات صلة قريبة بمجموعة اللغات البشرية من بينها الأفريقية، وقد لاقت وجهة نظره قبولا لدى عدد كثير من العلماء، من بينهم "دي روجيه"(E.de Rougé)، "إبرز"(Ebers)، "بروغش"(Brugsch)، وجميعهم كانوا علماء مصريات[2].

وكان شامبليون الذي فكّ رموز الكتابة الفرعونية قد اطّلع على أقدم قاموس حديث للغة البربرية لمؤلفه فونتور دو بارادي (Ventur de Paradis) واستنتج منه وجود قرابة بين اللغتين البربرية والمصرية القديمة[3].

ويذهب الباحث "مصطفى أعشي" إلى تأكيد التشابه في معاني الكلمات المصرية واللوبية، ويدل هذا الأمر على قدم الاحتكاك البشري والثقافي ما بين الشعبين، منذ الألف الرابع قبل الميلاد، وربما كان الاتصال والاحتكاك قد بدأ قبل ذلك بوقت طويل خلال عصور ما قبل التاريخ[4].

2– علاقة اللغة اللوبية بالهيراطيقية: يمكن ملاحظة الشبه الكبير بين حروف كتابة قدماء اللوبيين و حروف كتابة قدماء المصريين خصوصا الكتابة الهيراطيقية المشتقة من الكتابة الهيروغليفية، بما في ذلك الرموز التي لا تتوافق في المعنى اللفظي للحرف في كلا اللغتين[5].**(ينظر الشكل رقم 12 ص93)**

[1] عبد العزيز سعيد الصويعي، اللغة الليبية القديمة وكتابتها، المرجع السابق، ص 264.

[2] علي فهمي خشيم، آلهة مصر العربية، مج1، ط1، الدار الجماهرية للنشر والتوزيع والاعلان، بنغازي، 1990م، ص 113.

[3] محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص ص 204.

[4] مصطفى أعشي، جذور بعض مظاهر الحضارة الأمازيغية خلال عصور ما قبل التاريخ، مركز طارق بن زياد، الرباط، 2002، ص.ص 50-51.

[5] عبد العزيز سعيد الصويعي، اللغة الليبية القديمة وكتابتها، المرجع السابق، ص 284.

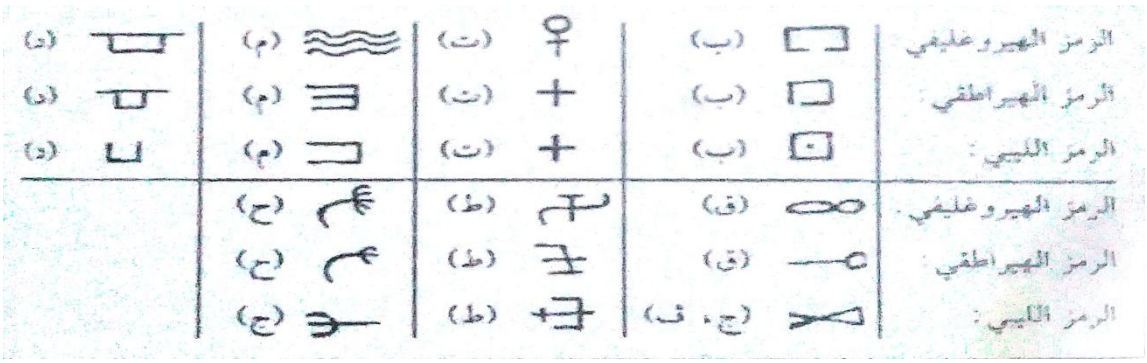

الشكل رقم:12 جدول يوضح الشبه بين حروف قدماء اللوبيون والمصريين

نقلا عن: عبد العزيز الصويعي، اللغة الليبية القديمة، المرجع السابق، ص 284.

ومن خلال ما سبق، يلاحظ أن اللوبيين القدماء قلدوا أو حرفوا أو اقتبسوا من اللغات المصرية القديمة.

3- علاقة التيفيناغ باللغة المصرية القديمة: يذكر عبد العزيز الصويعي أن الجرمنتيين[1] (سكان منطقة فزان بالجنوب الليبي) هم أول من استعمل كتابة استمدت أصولها الأولى من الكتابة المصرية. وهذا الاعتقاد تؤيده العلاقات التي كانت تربط الجرامنتيين بالمصريين خصوصا الصعيد. وإذا تم التسليم بمسألة تقليد الجرمنتيين لقدماء المصريين في طرق كتابتهم[2]، فإن ذلك حصل في زمن سابق لظهور قوة نوميديا في الشمال، أي قبل ظهور الكتابة البونيقية والنوميدية. حيث يذكر الصويعي أن المؤرخين الأوربيين صرحوا أن بعض الرموز الخطية التي وجدت على الأواني الفخارية المصرية القديمة جدّا، تتطابق مع تلك الموجودة في الرموز اللوبية الترقية[3].

مما لفت الأنظار أيضا أن اللهجة الترقية(touareégue) هي الأكثر قرابة من المصرية القديمة. والواقع هو أن الترقية هي اللهجة الأكثر محافظة على جذور اللوبية وأصولها، وذلـــــــك

[1] **الجرامنت:** هم سكان فزان ويظهر أنه كانت لهم دولة تسيطر على الطرق الصحراوية وعاصمتهم "جرمة"، ويعيش فيها قوم كثيرو العدد، وكانوا يطوعون الصحراء بعرباتهم ذات الخيول الأربعة، يطاردون الحيوانات كالفيلة والنعام .ينظر: تشارلز لزدانيلز، الجرمنتيون سكان جنوب ليبيا القدماء، تعريب: أحمد اليازوري، ط1، دار الفرجاني، طرابلس، 1973،ص ص7.5.

[2] وجدت العديد من الشواهد الكتابية في مدينة جرمة بالجنوب الليبي، وكل ما أمكن معرفته هو أنها كتابة تعتمد على خطوط أفقية وعمودية كتلك التي وجدت على بعض الأواني في صعيد مصر. وإذا تأكدت الصلات الحضارية بين الجرمنتيين وقدماء المصريين في فترة الألف سنة السابقة للميلاد، لابد أن تؤثر الكتابة الأبجدية المستعملة آنذاك على الكتابة الجرمنتية. للمزيد ينظر: عبد العزيز سعيد الصويعي، اللغة الليبية القديمة وكتابتها، المرجع السابق، ص271.

[3] نفسه، ص296.

بمفعول انعزال التوارق وانزوائهم في الصحراء[1].

ويذكر محمد الطاهر العدواني في هذا السياق أن الكتابة الترقية، التي يطلق عليها (التيفيناغ) حاليا إنما يسميها الطوارق (التمحاك) أيضا، وهناك قرابة لا شك فيها بين (التمحو) و(التمحاك)[2]، ويحتاج ذلك لمزيد من التحري بالبحث والدراسة لاثبات طبيعة العلاقة مع اللغة المصرية القديمة.

وإذا تمت ملاحظة أحد المعطيات وهو الفعل الذي معناه: بنى، يبني. ذلك الفعل هو "ئسكا"(iska) "ئصكا"، "ئزكا"، "ئصشا". منطوقاً هكذا في الماضي بالسين أو الصاد أو الزاي المفخمة، حسب اللهجات الأمازيغية الحالية. أما اللهجة التي فيها الفعل "ئسكا" معنى آخر، فهي الترقية بالذات أي اللهجة الأكثر احتفاظا بالأصول: "ئسكا- ئزكا" فيها هو: دفن، أقبر، قبر. ومن مشتقاته: "تازكوت"(tazekkawt)، بمعنى الدفن والاقبار، و"ازكا"(azekka) بمعنى القبر. فهل بالمصادفة أطلق اسم "تازكا" في المغرب، قرب مدينة "تازا"، على جبل هرمي الشكل مدرج حينما ينظر إليه من جهة الغرب[3]؟ ربما يكون ذلك دليل على وصول التأثيرات المصرية إلى غاية المحيط الأطلسي.

ثانياً- الصلة بين اللغتين من خلال هيرودوت: حسب كتاب هيرودوت نجد أوجه تشابه في بعض الألفاظ اللوبية والمصرية فعلى سبيل المثال: كلمة "بت" في المصرية تعني الملك، وأول ملك إغريقي في قورينة أطلق عليه اسم "باتوس" كاسم علم، وهي كلمة متداولة إلى جانب الكلمة الشهيرة "مس" وتعني الملك، وهناك الكثير من الكلمات المتداولة والتي تؤدي نفس المعنى والنطق في المصرية واللوبية والإغريقية[4].

حيث ذكر هيرودوت اسم أول ملك إغريقي في قورينة "باتوس": "**والقول عندي إن الرجل لم يعرف بهذا الاسم إلا بعد أن حط رحاله في ليبيا، فهناك اتخذ هذا الاسم، حسب**

[1] محمد شفيق، المرجع السابق، ص 17.

[2] محمد الطاهر العدواني، المرجع السابق، الجزائر منذ نشأة الحضارة، المرجع السابق، ص 225.

[3] محمد شفيق المرجع السابق، ص 19.

[4] سارجيو دونادوني، مصر في الألفية الأولى قبل الميلاد، تر: أحمد الصمعي ومحمد بن مراد، منشورات أليف، تونس، ص09.

ما ورد على لسان العرافة في معبد دلفي، ثم لصق به بحكم المقام العالي الذي تبوأه هناك فكلمة باتوس تعني في لغة الليبيين الملك."[1]، وقد قرن بعض المؤرخين هذا اللقب بالكلمة المصرية بت(Bit) التي تعني في اللغة المصرية القديمة **"ملك الوجه البحري"**[2].

ثالثاً– فرضيات الأصل المشترك: لقد تأكد حديثا، لمعظم الباحثين وجود تجانس داخلي بين المجموعات اللغوية المصرية القديمة واللوبية القديمة والكوشية والتشادية، وهو الأمر الذي سمح لهؤلاء العلماء مقابلة هذه المجموعات بالمجموعات المعروفة باسم السامية[3].

حيث يذكر "محمد علي عيسى" أن الكثير من الباحثين اللغويين يؤكدون بأن اللغة الهيروغليفية ذات صلة أكيدة بما يسمى اللغة السامية الأم، ويستدل أولئك الباحثون على هذه الصلة من خلال احتوائها لحروف الحاء والعين والقاف، وشيوع المصدر الثلاثي لألفاضها، واستخدامها صيغة المثنى، والتأنيث باضافة التاء، واستخدام باء النسبة وكاف الغائب ونون الجمع، وتشابه عدد الضمائر فيها مع الضمائر في ما يعرف بالسامية الغربية، واشتراكها مع اللغات السامية بعدد وافر من الألفاظ[4].

وقد أجريت دراسات معاصرة توصل من خلالها باحثون في مجال اللغة والكتابة اللوبية، مثل: جوزيف هالفي[5]، وفيكتور روبو[6]، وغيرهما إلى أن اللغة اللوبية مشتقة من جذور سامية،

---

[1] هيرودوت، المصدر السابق، تر: عبد الإله الملاح، ص350.

[2] مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص36.

[3] محمد علي عيسى، الجذور التاريخية لسكان المغرب القديم من خلال المصادر الأثرية والأنثروبولجية واللغوية، ط2، المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس– ليبيا، 2012، ص 270.

[4] المرجع نفسه، ص 270.

[5] **جوزيف هالفي** (J.Halévy) : قام بدراسة مستفيضة لأكثر من مائتين وخمسون نقشا تضمنه كتابه "دراسات بربرية (Des études bérbères)" استخدم هالفي طريقة المقارنة بين رموز الأحرف اللوبية ورموز بعض الكتابات السامية. ينظر، مها العيساوي، النقوش النوميدية في بلاد المغرب القديم، ط1، جسور النشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 32.

[6] **فيكتور ريبو**: اهتم بموضوع اللغة والكتابة اللوبية – بالرغم من أنه كان طبيبا – حيث قام بدراسة إحصائية للمقابر اللوبية وذلك بالتعاون مع الجنرال فيدراب قائد الناحية العسكرية في مدينة عنابة، فأحصيا حوالي 186 نقشا، ودرساها دراسة وصفية ضمنت في فهرس كامل، وهي التي استعان بها شابو فيما بعد عندما وضع كتابه حول النقوش اللوبية (RIL). ينظر: مها العيساوي، النقوش النوميدية، المرجع السابق، ص 75.

معتمدين في ذلك على سلسلة من البحوث الفيلولوجية. وقد واصل البحث في ذلك العالم الألماني أوتوروسلر، وتوصل إلى نتيجة مفادها، أن:"**اللغة النوميدية[1] لغة سامية، انفصلت عن اللغات السامية الأخرى في الشرق في مرحلة مغرقة في القدم، ثم تطورت بعد ذلك في اتجاه خاص جعلها تبدو مختلفة عن باقي اللغات السامية**"[2]. من خلال النص يبدو أن اللغة اللوبية القديمة سامية مثلها مثل فروع السامية المتواجدة في شبه الجزيرة العربية والشام وبلاد الرافدين ووادي النيل وشرق إفريقيا[3].

مما سبق نستنتج أن أصل اللغتين اللوبية والمصرية واحد، إلا أن تأكيد ذلك يعتبر دربا من دروب المجازفة العلمية في ظل غياب أدلة مرجعية كافية.

فقد تعددت آراء العلماء فمنهم من يؤكد الأصول الكنعانية للغتين اللوبية والمصرية، غير أنهم يدرجون اللغتين –أحيانا– ضمن العائلة الحامية في حالة فصلهما عن الكنعانية، ثم يدرجونها –أحيانا أخرى– ضمن العائلة السامية في مقارنتهما بالكنعانية[4].

لا يهم هنا هذه الأصول الغير ثابتة للسكان أو اللغة المهم هو إثبات الأصل المحلي وهو الأقرب للواقع والأكثر ثبوتاً، والتوصل إلى نتائج منطقية تثبت التواصل اللغوي بين المنطقتين من خلال مقارنة الألفاظ اللوبية بالأفاظ المصرية.

إذن، فالتأثير الحضاري الذي ظهر على مخلفات اللوبيين والمصريين لم يكن فقط بسبب الحروب وملاحقة الجيوش واقتناص الأسرى، وإنما الهجرات الأولى التي تشكل منها الوجود البشري

---

[1] اصطلح المؤرخون على الكتابة اللوبية القديمة اسم (الكتابة النوميدية)، وبالتالي لابد من وجود أثر نوميدي معين عليها. ويعتقد أن هذا الأثر إنما هو مرحلة تطويرية لكتابة كانت قائمة قبل وجود النوميديين أصلا. ينظر: عبد العزيز سعيد الصويعي، اللغة الليبية القديمة، المرجع السابق، ص 280.

[2] Otto Rossler, Die Numider, Herkunft, Schift, Sparch, p.33.

[3] تكمن أهمية هذا التصنيف لأنه جعل سكان بلاد المغرب والعرب منتسبين إلى أصل واحد، ويعتبر هذا أول تصدي يسجل ضد المدرسة التاريخية الاستعمارية على صعيد المعرفة، وأول خطوة في دحض المعلومات المغلوطة التى تحولت لدى المثقفين الغارقين في حمأة الاستعمار الثقافي إلى قناعات ثابتة. ينظر: محمد المختار العرباوي، اللغة البربرية لغة عربية قديمة، ط1، دار نقوش عربية، تونس، 2012، ص 12.

[4] عبد العزيز سعيد الصويعي، اللغة الليبية القديمة، المرجع السابق، ص150.

في مصر كان لها أثرها على الحضارة المصرية. وأن مسألة الشبه بين الآثار الكتابية اللوبية والمصرية، لا تخرج عن نطاق انتقال الأفكار الحضارية مع أصحابها من مكان إلى آخر تحت تأثير عدة عوامل.

إلا أنه يجب المزيد من الدراسة للغة اللوبية ولهجاتها حتى يصبح في استطاعة عالم اللغة أن يعيد تكوين لغة القبائل اللوبية التي اختلطت بالمصريين القدماء، ونتعرف على بعض مظاهر حضارة سكان بلاد المغرب على قدر ما تسمح به المعلومات المستمدة من الآثار المصرية.

المبحث الثاني: العلاقات الدينية: بما أن منطقة بلاد المغرب محاذية للبحر الأبيض المتوسط، فقد كان من الطبيعي أن يتشربوا معتقدات الشعوب المجاورة لهم، مع التأثير فيها كذلك. ولم يقف اللوبيون عند حد التأثير فقط، بل ساهموا في إثراء المعتقدات الدينية وتنويعها[1]، وبحكم الجيرة بين المنطقتين اللوبية والمصرية نشأت حركة تفاعل ديني، لكن هناك صعوبة بالغة في تحديد وتصنيف أشكال التأثير والتأثر وأي المنطقتين كانت أسبق؟ وأيهما كانت بفاعلية تأثيرية أقوى؟ كما يجد الباحث صعوبة في تحديد ودراسة أشكال التأثير والتأثر، ودرجة التفاعل الموجود بين المنطقتين[2].

وبالنظر إلى العلاقات التي تربط المنطقتين منذ أزمنة بعيدة، تزداد صعوبة التحديد والفصل، خاصة وأنهما تمتلكان عمقاً مشتركاً وبعداً دينياً بينهما[3].

حدثت هجرات عديدة خلال مراحل الجفاف مع نهاية العصر الحجري القديم الأعلى وبداية الانتقال إلى العصر الحجري الحديث، حيث اضطر الإنسان اللوبي إلى الرحيل باتجاه الأودية والمناطق التي يجد فيها مأكله ومشربه، وانتقلت مجموعات بشرية من الصحراء نحو الواحات المصرية ووادي النيل[4]. ولا شك أنها حملت معها عاداتها وتقاليدها ومعبوداتها الدينية إلى المنطقة، ليحدث

---

[1] جميل حمداوي، الديانة عند الأمازغيين، شبكة الألوكة، متاح على الرابط: www.alukah.net، تاريخ الرفع: 2015/06/08 على الساعة 17.20. ص03.

[2] Morenz (S.),La religion Egyptienne(assai d'interprétation ,Trad. , Jospin (L.) ,Payot, Paris, 1962,P.297.

[3] Leglay (M.),Les religions orientales dans l'Afrique ancienne(d'après les collections du Musée de Gsell (S.), éd.,Gov.,gé.,Alger, 1956,P 427.

[4] محمد بيومي مهران، المغرب القديم، المرجع السابق، ص46.

نوع من التمازج الديني بين منطقة شمال إفريقيا ومصر[1]. ويدفعنا التشابه الموجود بين الرسوم الصخرية لتلك المناطق إلى طرح جملة من الإشكاليات حول أصول الكثير من العبادات إن كانت من أصل لوبي أم من أصول مصرية؟ لذلك سأحاول التطرق للموضوع من خلال دراسة مجموعة من الآلهة.

أولا– الآلهة اللوبية في مصر: تأثر المصريون بالعبادات اللوبية ويتوضح ذلك فيما يلي:

1– الإله آمون: كان "آمون" من المعبودات المشتركة بين بلاد المغرب القديم ومصر، إذ تم العثور على رسوم وآثار تمثله على امتداد الأطلس الصحراوي والهقار والتاسيلي[2]. حيث وجد هناك تشابه واضح بين الرسوم الصخرية التي حملت صورة الكبش الذي يحمل على رأسه رمزاً بيضاوياً، والذي وجد في كل من: الجنوب الوهراني وبرقة، وبين الكبش المصري الذي يحمل على رأسه رمز الشمس، ويمثل الإله "أمون رع"[3] في مصر القديمة[4].

مما يطرح فكرة التواصل الديني بين المنطقتين، في حين هناك من يرى بمحلية "أمون" المغربية، لأن عبادة أمون أقدم في المغرب منها في مصر، والتأكيد على أن كباش الرسوم الصخرية بالجنوب الوهراني، غير مدينة أمون طيبة الذي كان في طور الميلاد، ولم يظهر إلى الوجود إلا ابتداء من عصر الدولة الوسطى(2100–1700 ق.م)[5]، خاصة وأن "أمون" لم يتخذ له مركزاً دينياً

[1] عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص ص،201–202.

[2] محمد الهادي حارش، أصول عبادة أمون في المغرب القديم، **مجلة الدراسات التاريخية**، العدد 07، جامعة الجزائر، 1993،ص11.

[3] يظهر الإله "آمون رع " في شكل هيئات عديدة، فهو يظهر على شكل إنسان برأس كبش، ويعد خالق الطبق الذهبي في "طيبة" وأضيفت إليه الصفة الإخصابية، ويحمل صفة الكبش الذي يوحي بالخصوبة والحياة المتجددة. للمزيد ينظر: Chevrier (H), une Chapelle de Sésostris a Karnak, Caire,1956,p165.

[4] محمد بيومي مهران، المغرب القديم، المرجع السابق، ص 51.

[5] محمد الهادي حارش، أصول عبادة أمون، المرجع السابق، ص12.

إلاّ مع بداية توحيد مصر واتخاذ مدينة "طيبة" مركزاً للعاصمة الموحدة، بدءا من عهد الأسرة التاسعة، حيث اقترن "أمون" بـ "رع"[1].

ويعتقد بأن عبادة "أمون" في مصر قد انتشرت بعد سيطرة العناصر الطيبية[2]، إذ قبل أن يتربع آمون على عرش الآلهة المصرية، ليصبح إله الدولة وأباً لفراعنتها، كان مجرد إله ثانوي في مجموعة آلهة تمثل محل عبادة في مدينة صعيدية في مصر، هي "شمنو" "هرموبوليس"، ومجموع آلهة هذه المدينة ثمانية، منها: "آمون وآمونت"، حيث يُمثل الخفاء الذي لا يرى أو الهواء. وبالتالي يظهر آمون أو الهواء على هذه الحال شبه مغمور، حتى اختاره ملوك الدولة الوسطى ورفعوا من شأنه فجعلوه إله الدولة. حيث نقله مؤسس الأسرة الثانية عشر(1994-1781 ق.م) أمنمحات الأول(1994-1781 ق.م) من مدينته القديمة –شمنو- إلى طيبة (الأقصر)، واتخذها عاصمة له، وبنى له معبداً واعتبره حامي الأسرة، وجعل منه ملوك الأسرة الثانية عشر الإله الرسمي للدولة الوسطى[3].

وكان أمون طيبة المصرية، في الأصل إلها كبشيا، ونتيجة انتقال مقر الحكم من "منف" إلى "طيبة" التي كان فيها آمون الإله الإقليمي، حدث امتزاج بين أمون إله طيبة، الذي دخل إليها من المنطقة الغربية و"رع" إله الدولة القديمة، فظهر "أمون رع"[4]، أي أنه في آن واحد كبش وشمس[5]، وهذا المزج ليس الأول من نوعه، إذ سوف يقوم الفينيقيين الذين استقروا في قرطاجة بالمزج بين

---

[1] Rachet (Marguerite),Rome et les Berbères (un problème militaire d'Auguste à Dioclétien) éd. , Latomus, Bruxelles, 1970 , p.15.

[2] محمد الهادي حارش " أصول عبادة أمون، المرجع السابق، ص12.

[3] أم الخير عقون، المصادر الدينية المشتركة بين مصر والمغرب القديمين، المؤرخ العربي، عدد 41، جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، 2007، ص ص، 2-4.

[4] محمد الهادي حارش، أصول عبادة أمون، المرجع السابق، ص13.

[5] هناك ثلاثة أجيال للإله آمون: - الثعبان "كم أت أف" الذي اندمج مع آمون معبود الكرنك.

– الثعبان "إير-تا" الذي اندمج مع آمون الأقصر فيصور كرجل واقف وعضوه التناسلي منتصب ليؤكد قواه الخالقة.

- آمون وهو ضمن الثمانية آلهة التي خلقها "إرتا" وهو الذي تطور إلى إله الدولة، وأصله من طيبة وليس من "هرموبوليس". للمزيد ينظر: أم الخير عقون، المصادر الدينية المشتركة ، المرجع السابق، ص ص 03-05.

"بعل –حمون" أو "بعل – أمون"، وكذلك فعل الإغريق الذين استقروا في قورينة، والذين مزجوا بين "زيوس" إله الإغريق و"أمون" إله اللوبيون، فظهر "زيوس – أمون"، وهو أيضا ما فعله الرومان فيما بعد الذين عبدوا "جوبتر – أمون"[1].

وكان معتقد الشمس "رع" واضح المعالم في مصر القديمة، وهذا لم يمنع من حصول بعض اللبس بينه وبين الإله آمون[2] الذي يرمز إليه بحيوان الكبش(في فترة متأخرة) فاعتقد بعضهم أن "آمون" هو إله الشمس[3]. وتوحد بذلك مع الطبيعة المشتركة بين الاثنين وعدته النصوص بمعبد الأقصر المعبود الذي تتجسد فيه أرواح الآلهة جميعاً ثم توحد مع "أمون سيوة"، والذي عبرت النصوص عن هيمنته على مقاليد الخلق واتخاذه صفة الكبش، ويقوم بدور منح الحياة للملوك والبشر[4].

ترجع عبادة الشمس في مصر إلى عصور سحيقة في القدم، فكانت الشمس هي الظاهرة الطبيعية التي تسيطر على كل شيء، ولم يكن الضوء والحرارة مبعث تقديسها فقط بل ينظر إليها بأنها مصدر للحياة مثل النيل[5]، لذلك اتخذ قدماء المصريين من الشمس إلهاً، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك فاعتبروها الإله الأكبر الخالق للكون. ولأن القبائل اللوبية كانت تنتقل ما بين وادي النيل شرقاً والمحيط الأطلسي غربا، فإن ذلك سمح لها بالاحتكاك بعبادة "آمون" في "سيوة"، وقدموا له القرابين والنذر[6].

---

[1] محمد الهادي حارش، عبادة أمون، المرجع السابق، ص 13.

[2] بعد أن ترقى آمون إلى إله الإمبراطورية المصرية في الأسرة الثامنة عشر وفي منصبه الجديد، امتزج مع الإله رع، فأصبح يعرف باسم "آمون رع" بغية اكتساب صفات رع ونفوذه القوي بين الناس، وأيضا ليعطيه الشرعية. ينظر: أم الخير عقون، المصادر الدينية المشتركة ، المرجع السابق، ص06.

[3] العقون أم الخير، العلاقات الحضارية والسياسية، المرجع السابق، ص287.

[4] Griffith,(J.G.) ,The origine of Osiris and his cult, London,1980,pp 30-31.

[5] فرانسوا ديماس، آلهة مصر، تر: زكي سوس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998، ص 214.

[6] محمد الصغير غانم، بعض ملامح الفكر الديني الوثني في بلاد المغرب القديم، مجلة الحوار الفكري، عدد 02، قسنطينة، 2001، ص 60.

ونجد ذلك بالرجوع إلى الكتابات الكلاسيكية، حيث أشار هيرودوت إلى وجود علاقة بين الإله آمون والشمس بقوله: "**ولدى الأمونيين[1] نبع آخر يصدر الماء الدافئ عند الصباح الباكر، ثم يبرد عند افتتاح السوق، ويصبح أشد برودة عند منتصف النهار. وفي هذا الوقت بالضبط يتم ري البساتين. وكلما تقدم النهار يبدأ الماء في فقدان برودته بالتدريج. وانطلاقا من بعد غروب الشمس يأخذ الماء في الدفء، وترتفع درجة حرارته لتبلغ درجة الغليان عند منتصف الليل. وبعد منتصف الليل تشرع درجة حرارة الماء في التراجع تدريجيا حتى الفجر. يسمى هذا نبع[2] الشمس**"[3]. يمكن أن اسم نبع الشمس له علاقة بالشمس الموجودة بين قرني كبش الإله أمون[4]. ونظرا لأهمية الشمس في حياة سكان الواحات، فقد اتخذوها شارة وضعت وضعت بين قرون الكبش[5].

ويشير هيرودوت في موضع آخر أن قدماء اللوبيين كانوا يقدمون القرابين لإلهي الشمس والقمر، ولم يذكر شيئا عن صفات هذا الإله واسمه حيث يقول: "**هكذا يقدم الرحل القرابين: يقومون بقطع جزء من أذن الحيوان الأضحية كباكورة المحصول ثم يلقونه فوق مسكنهم. وعندما يتم هذا، يلوون عنق الأضحية. وهم لا يقدمون القرابين إلا للشمس والقمر**"[6].

---

[1] **الأمونيين**: مجموعة بشرية لوبية تنتسب إلى معبودهم أمون. ينظر هيرودوت، المصدر السابق، تر: مصطفى أعشي، هامش ص 60.

[2] مازال هذا النبع موجود في التاسيلي في منطقة (نبع تيهوبار-ن- أفلة-Tihoubar-n-Afella) ومن المعروف عن هذا النبع المائي، أن توعية مياهه ساخنة، تبلغ 34 درجة مئوية، وقد تصل إلى درجة الغليان تحت سطح الأرض، ومياه هذا النبع لها مذاق هيدروجيني خفيف وكبريتي، يساعد على الشفاء من الأمراض الجلدية. ينظر: إبراهيم العيد بشي، تيهوبار من المراكز الحضارية المجهولة الغنية بالمياه، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الثاني، جوان 2011، الجزائر، ص 61.

[3] نفسه، ص 59.

[4] والجدير بالإشارة هنا أن هناك نبع ماء في واحة سيوة يحمل لحد الآن اسم جوبا و كليوباترة. فهل له علاقة بالملك يوبا الثاني وزوجته كليوباترة سيليني؟ لا ندري لأنه حتى عندما سأل بعض سكان واحة سيوة عن هذين الإسمين فإنهم اكتفوا بالقول بأنهم وجدوا إسم هذا النبع يحمل هذين الاسمين، ويعتقدون أن اسم كليوباترة الموجودة بجانب يوبا هي كليوباترة المعروفة بمحاولاتها المتعددة مع القادة الرومانيين أنطونيو ويوليوس قيصر من أجل إنقاذ مصر من السقوط تحت الاحتلال الروماني. ينظر: هيرودوت، المصدر السابق، تر: مصطفى أعشي، الهامش ص60

[5] المصدر نفسه، ص 60.

[6] المصدر نفسه، ص 71.

كما ذكر هيرودوت أيضا أن الأطرانط[1] (Les Atarantes) يلعنون الشمس حيث يقول: "**وهم يلعنون الشمس ذات الحرارة المفرطة ويطلقون عليها كل أصناف النعوت لأنها تتسبب في إيذاء القوم وأرضهم**"[2].

ومن خلال النصين يمكن أن نستنتج أن سكان بلاد المغرب يقومون بعبادة الشمس اتقاء لحرارتها التي تسبب الهلاك للإنسان والنبات والحيوان خاصة في المناطق الصحراوية الشديدة الحرارة في أعماق الصحراء الكبرى.

يذكر محمد الهادي حارش[3] أن "ماكوربيوس" يؤكد أن اللوبيين يجسدون بقرني كبش "الإله آمون"، والكاتب "سرفيوس" فكان أكثر تحديدا: "اللوبيون يدعون الكبش أمون"، بينما خص القديس أثناسيوس اللوبيون بعبادة الإله الكبش الذي يسمونه "أمون".

وعثر منذ عصر ما قبل الأسرات، على نقوش تصور ثوراً يحمل بين قرنيه قرص الشمس، كما صور قرص الشمس على أحد الأواني من حضارة "جرزة"، التي ترجع إلى عصور ما قبل التاريخ[4]. وما من شك فان عدداً من الآلهة اللوبية تبناها سكان الدلتا الغربية في مصر في عهد ما قبل الأسرات، وصارت آلهة مصرية في عهد ملوك الأسرة الأولى[5].

وزاوج المصريون بين "رع" إله الشمس وبين "رع حور أختي"، وتم تصويرهما على هيئة إنسان برأس صقر يواجه أمامه الكواكب[6]، كما تقمص طائر الصقر في تحليقه العالي، الذي جعل جعل المصريين يتخيلونه رفيقاً للشمس، ولهذا أشاروا إليه بقرص الشمس ذي الجناحين المنشورين. وبهذه الصفة أيضا عرف باسم "حورس" أو "حور أختي" أي "حورس الأفق"، وكان "حورس"

---

[1] **الأطرانط**: اسم مجموعة بشرية كانت تقطن منطقة تبعد عن الكرامانيين بمسيرة عشرة أيام. ويذكر هيرودوت أنهم لا يحملون أسماء شخصية، إذ يطلقون على كل شخص منهم أطرانط. للمزيد ينظر: المصدر نفسه، ص 65.

[2] المصدر نفسه، ص 65

[3] محمد الهادي حارش، أصول عبادة أمون، المرجع السابق، ص14.

[4] أم الخير العقون، المصادر الدينية المشتركة ، المرجع السابق، ص.285.

[5] Budge (W.), The Gods of the Egyptians, Dover Publications, New-York,1969,p,27.

[6] محمد الصغير غانم، الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال أفريقيا، دار الهداية، الجزائر، 2005، ص.79.

أول إله للدولة المصرية لأنه حقق لها الوحدة السياسية، وبالتالي فحورس هو أول إله شمسي عرفته مصر منذ العصور الأولى، وهو صورة من صور إله الشمس رع[1].

لقد مثلت نقوش الكباش على الصخور، والتشابه بينها وبين صورة كبش "آمون" المصري، مما دفع إلى الاعتقاد بأن كبش النقوش الصخرية متأثر بكبش "آمون المصري"، إلاّ أن هذا الطرح أصبح متجاوزاً من خلال المقارنة حيث تبين أن كبش النقوش الصخرية أقدم بكثير من كبش "أمون" المصري[2].(**ينظر الشكل رقم:13 ص 103**)

[1] أم الخير عقون، المصادر الدينية المشتركة، المرجع السابق ، ص287.

[2] مصطفى أعشي، المرجع السابق، ص 46.

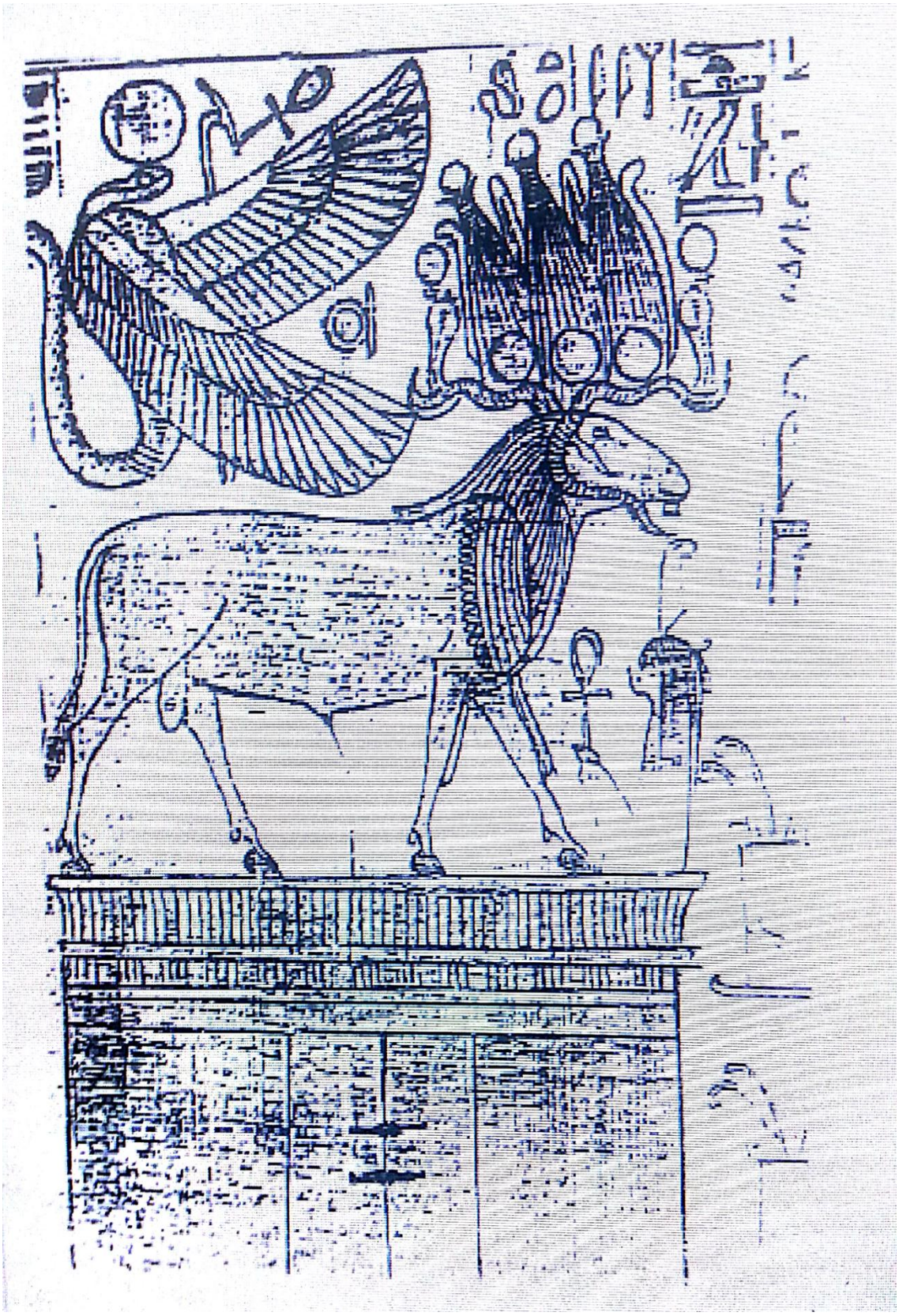

الشكل رقم:13 يوضح كبش أمون رع المصري

نقلا عن: مصطفى أعشي، المرجع السابق، ص 47.

وتعد عبادة الكبش عبادة لوبية محلية وأقدم منها في مصر، وذلك بالنظر إلى المعطيات الآتية:

1- تماثيل الكباش والتي تنتهي برأس كبش وقد عثر عليها في "تمنطيط"(أدرار) و"تازروك" (الهقار)، تصنف من العبادات اللوبية التي يؤرخ لها ما بين (9500 - 7500 ق.م).

2- أن الكبش المعبود في منطقة الطوارق هو انتقالي بين العنزة والكبش ويرجع ذلك زمنياً إلى الفترة ما بين (9500-7500ق.م)[1].

أي نفس الفترة التي سبقت عهد (ما قبل الأسرات) في مصر، وإن كانت عبادته لم تظهر أكثر إلاّ خلال عصر الدولة الوسطى، كما يلاحظ أن عبادة الشمس في بلاد المغرب القديم تميزت بالانتشار عبر كافة بلاد المغرب القديم، ويظهر ذلك في:

أ- الجنوب الوهراني في منطقة بوعلام زناقة وقصر زكار وآفلو، وعين الناقة والقاضي بورنان.

ب – الشرق القسنطيني بمنطقة بوحجار و"كهف تاسنغة".

ج – الصحراء الشرقية بفزان والطاسيلي[2].(**ينظر الشكل رقم:14**).

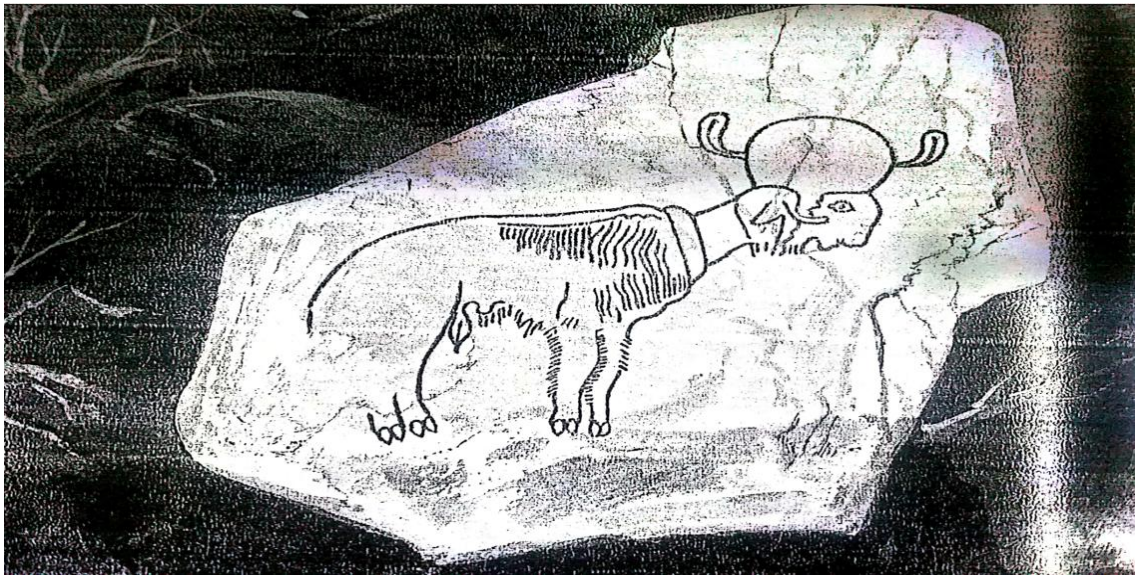

الشكل رقم:14 يوضح الكبش أمون اللوبي

نقلا عن: موسوعة تاريخنا، المرجع السابق، ص 86.

[1] محمد الهادي حارش، أصول عبادة آمون ، المرجع السابق، ص ص 14-15.

[2] Leglay (M.) ,Op-Cit , p.422.

ويعتبر محمد الهادي حارش أن بلاد المغرب ومصر كانتا منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة مسرحاً لعبادة الكباش المقدسة، واستمرت ممارسة هذه العبادة في كلا الوسطين حتى بعد ظهور المسيحية. والتشابه الموجود بين العبادة المغربية لآمون والعبادة المصرية لنفس الإله، يدل على عمق عقائدي مشترك ناجم عن اتصال مبكر بين تلك الشعوب المجاورة، ويبدو أن خصوبة وادي النيل كانت وراء جذب المغاربة نحو مصر من جهة، كما كان للتصحر الذي بدأ ينتاب المناطق الجنوبية للمغرب الدور الحاسم في دفع السكان للهجرة، بحثاً عن المصادر الدائمة للمياه[1].

ومن ثمة نخلص إلى أن عبادة حيوان الكبش أو البقرة كانت موجودة في بلاد "لوبيا" و"مصر"، مع تفاوت تسميتها من حمون جرز أو جرزة أو أمون رع أو بعل حمون.

2- الإلهة "نت"[2]: تعتبر "نت" من الآلهة التي عبدت في بلاد المغرب القديم ومصر، حيث يجد الباحث أن المعبود "نت" أو"نيت"(Neith)، (والأصح تانيت) أم للطبيعة وتتصف بالخصب، وقد عبدت أكثر في غرب الدلتا كربة صيد، ويعتقد بأنها ربة من أصل لوبي[3]، غزت مصر منذ أمد بعيد[4] وعبت في كامل مصر القديمة، كانت تمثل بِدِرع وسهمين كربة للصيد وقد تسمت ملكات مصر باسمها، مثل:"نت-حتب" و"مريت-نت"، وقد أقيم لها معبد في عصر الملك "مينا"[5].

ظهرت "تنيت"عند سكان المغرب القديم، كوشم على الذراع والسيقان في أغلب رسوماتهم، واتخذتها قبيلة "الجرامنت" كرمز للحياة، وصنعوا لها الشواهد على شكل كف ولونوها باللون الأحمر كرمز للحياة، كما مثلت بالقمر الذي يهدي المسافرين ليلا في الصحراء[6]. ومعبد

---

[1] محمد الهادي حارش، أصول عبادة أمون، المرجع السابق، ص15.

[2] تعد (نيت) صاحبة القوس وهي إلهة مدينة "سايس" – صا الحجر- في غرب الدلتا وكانت إلهة الصيد وذكرت منذ عهد ما قبل الأسرات على فخار "نقادة"، لعبت دورا هاما في المعتقدات الجنائزية، تصور على هيئة سيدة تلبس تاج مصر السفلى الأحمر وتمسك بيدها قوسا وسهمين، للمزيد ينظر: خزعل الماجدي، الدين المصري، دار الشروق، عمان، 1999، ص81.

[3] Mercier (S.A.B) ,The religion of Ancient Egypt, Luzac and Co , London, 1979,pp.203-207.

[4] Oric Bates,Op-Cit ,pp.203-207.

[5] علي فهمي خشيم، آلهة مصر القديمة، ج1، المرجع السابق، ص.274.

[6] دراز عبد الحليم، المرجع السابق، ص ص 208-209.

هذه الإلهة في "سيس"، يحمل نقشا ترجمته كما يلي:" **أنا كل ما وجد وكل ما هو موجود وكل ما سيوجد، ولم يكشف أحد طرف ردائي**"[1].

3- **عبادة "أوزيريس"**[2]: يذهب الباحث "مصطفى أعشي" إلى الاعتقاد بأن هذا المعبود ما هو إلا رب صحراوي انتقل إلى شمال بلاد المغرب، قبل انتقاله إلى مصر، معتمداً في ذلك على دراسة أصل الكلمة "ست" و"إيزيس" فست يحتمل أنها تنتمي لآلهة الغرب "التنحو"، وأن هذا المعبود ذو صلة بالمعبود اللوبي الجنوبي "ددن"[3]، وهو رب النبات وإله الغلال[4].

في حين يعتمد "علي فهمي خشيم" على دراسة الباحث "واليس بدج" في أن "أوزيريس" يعني صانع عرشه، على أساس أنّ "أس" تعني عرش، و"إري" تعني يصنع أو يعمل، ولكنه لا يهمل دراسة "بيتس" في أنّ هذا المعبود لوبي النشأة والأصل ويحتوي على الجذر "و س ر"، والتي تعني القديم أو العتيق، والذي أيده الباحث "شارف"(Scharff) بالاشارة إلى أن عددا كبيرا من الآلهة المصرية كانت لوبية الأصل وبوجود لقب أوزيريس في المصرية يعني القديم أو العتيق[5]، إذ من خصائصه دون بقية أعضاء مجمع الآلهة المصرية، أنه كان ملكاً وإلهاً ميتاً، وهو بذلك يعني عالم الموتى، وعدالة الدينونة في الدار الأخرى[6].

يذكر "فرانسوا ديماس" أن أوزوريس يعد منذ أقدم العصور سيد الجبانة ويقوم بدور في التحنيط وفي منح الحياة التي تضفى على المومياء. وكان يشترك في محاكمة الموتى، وتظهر صورته في الرسوم الزخرفية التي تصاحب الفصل المائة وخمسة وعشرين من "كتاب الموتى" وهو يتحقق من

---

[1] عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص 146.

[2] أوزيريس: يعتبر ربا نباتيا وتمثل دوره الأساسي في مجال الزراعة والنبات، ويعد نموذجا للانبعاث ورمز للخلود وإله الموتى والأمل والقاضي، كما يمثل الشمس بعد غروبها وهو زوج إيزيس ووالد حورس. للمزيد ينظر: واليس بدج، الديانة الفرعونية، تر:نهاد خياطة، العربي للطباعة والنشر، دمشق، 1986، ص ص.103-104.

[3] مصطفى أعشي، المرجع السابق، ص ص 51-52.

[4] دراز عبد الحليم، المرجع السابق، ص 208.

[5] علي فهمي خشيم، آلهة مصر العربية، ج1، المرجع السابق، ص ص315-316.

[6] ياروسلاف تشرني، الديانة المصرية القديمة، تر: أحمد قدري، دار الشروق، القاهرة، 1996، ص.42.

مؤشر الميزان وكان يسمى عادة "حارس باب الجحيم"[1].

ومن بين ألقاب هذا الإله العديدة بصفته راعي الأموات لقب "سيد الامنتيت" وامنتيت هو الغرب ويرمز لعالم الأموات، والواقع أن أوزيريس اعتبر إله الغرب وسيد عالم ما بعد الحياة في مصر القديمة، ولارتباط هذا الإله بالغرب علاقة بالليل ووحشية الظلمة ورغبة الإنسان في النوم وهذه حالة مؤقتة تمثل الموت، وكان رمزه في "أبيدوس" صندوقاً يحتمل أنه يحمل رأساً أو زيراً، وترتبط بالصندوق ثعبان وريشتان تمثل الإله، والريشتان والأفعى من مميزات اللوبيين فالأفعى من معبوداتهم القديمة[2].

4- الإله أش(Ash): ورد ذكر اسم هذا الإله في نقوش الأسرة الخامسة المصرية. ويدل الأسلوب الذي ذكر فيه هذا الإله في نصوص الملك "سحورع"، أنه كان له مكانة معتبرة في لوبيا، ولكن لا يعرف عن طبيعة هذا الإله ووظيفته شيء محدد حتى الآن[3].

يبدو أن الإله "أش" معبوداً لوبياً، وقد وجد منذ عصر الأسرة الثانية على أختام "خع سخموى" برأس الإله "ست"، مما يبين صلة الاثنين بعضهما ببعض، وهو إله الصحراء الغربية، ويسمى غالبا "سيد لوبيا"، وفي عصر الأسرة السادسة والعشرين صور بثلاث رؤوس ترمز لربات مصرية ثلاث، هي: رأس اللبؤة والعقاب والصل، مع لقب يدل على ذلك هو "أش كثير الوجوه"[4].

ويذكر "باتس" أن إلهاً لوبيا باسم "أش" ذكر منذ الأسرة الرابعة في نقوش الملك "ساحور رع" ويمكن الحكم من الشكل الذي يبدو به هذا المعبود في تلك النقوش، أنه كان ذا شهرة في لوبيا الشرقية في عصر الدولة القديمة[5].

5- الإله بوصيدون (Poseidon): يشير هيرودوت إلى أن اللوبيين كانوا يعبدون إله البحر

---

[1] فرانسوا ديماس، آلهة مصر، المرجع السابق، ص94.

[2] عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص 194.

[3] رجب عبد الحميد الأثرم، المرجع السابق، ص75.

[4] عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص 201.

[5] Bates, Op-cit, p 184.

بوصيدون، وأن المصريين أخذوه عن اللوبيين حيث يقول :" **إن اسم الرب بوصيدون لم يكن موجودا، ومنذ البداية، عند أي شعب من الشعوب غير الليبيين الذين ظلوا على الدوام يعظمون هذا الرب**"[1]. ونحن لا نستطيع أن نقرر ما إذا كان هذا الإله لوبي الأصل أم أنه قدم إلى لوبيا مع شعوب البحر، التي تحالفت مع اللوبيين في غزو مصر[2].

ثانياً– تأثر الليبيون بالآلهة المصرية.

1– إيزيس: حول عبادة "ايزيس" في بلاد المغرب نجد ضالتنا في الأساطير اليونانية وكتابات هيرودوت، والآثار اليونانية التي كشف عنها في قورينة وصور تم العثور عليها في الصحراء اللوبية إلى الغرب من إقليم برقة، حيث نستخلص منها أن عبادة إيزيس كانت منتشرة بين اللوبيين منذ عصور ما قبل التاريخ[3].

وقد كان اللوبيون يحرمون أكل لحم البقر وتربية الخنازير احتراماً لهذه الإلهة. وفي هذا السياق ذكر، هيرودوت:**"فمن مصر إلى بحيرة تريطونيوس يعيش الليبيون الرحل الذين يأكلون اللحم، ويشربون اللبن. والسبب نفسه الذي دفع المصريين إلى الامتناع عن أكل لحم البقرة، والامتناع عن تربية الخنازير، فالليبيون بدورهم يعرضون عن لحم البقرة وعن تربية الخنازير. بل إن نساء قورينة يعتبرون أن أكل لحم البقرة نوعاً من الإثم احتراماً لإيزيس الربة المصرية التي يكرمونها بالصيام والاحتفالات. كذلك تمتنع نساء برقة عن أكل لحم البقرة والخنزير بسواء"**[4].

يمكن القول أن اللوبيون الشرقيون تأثروا بالحضارة المصرية ومعتقداتها أو هم الذين أثروا فيها، افتراضا من أن هذه العادات كانت في الأصل صحراوية قبل أن تصبح مصرية، وخاصة المتعلقة بعدم أكل لحم البقر وشرب لبنها، وقد كانت عبادة إيزيس في عهد هيرودوت منتشرة كثيرا

[1] هيرودوت، المصدر السابق، تر: مصطفى أعشي، ص30

[2] رجب عبد الحميد الأثرم، المرجع السابق، ص75.

[3] عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص 196.

[4] هيرودوت، المصدر السابق، تر: مصطفى أعشي، ص68.

في كل من مصر وخارجها، وكانت لها صفة رسمية[1].

يبدو أن شخصية ايزيس قد اقترنت بالبقرة وإنما قدست في هذا الحيوان، وأنه قدس من أجلها، وقد رسمت على الآثار المصرية في هيئة بقرة بقرنين يتوسطهما قرص الشمس، وقد وجدت صورة تمثل البقرة بهذا الوصف في "مايا ديب" بجبال طرابلس، كما مثلت إيزيس أيضا في صورة امرأة واقفة أو جالسة على عرش برأس بقرة، كما مثلت وهي ترضع طفلها "حورس" ويقاس فيها وفاء الزوجة وحنان الأمومة[2].

2- الإله "حورس": هو من المعبودات التي عبدت في لوبيا ومصر، وقد تعددت ألقاب هذا الإله وأسماؤه والآلهة التي مثلها أو مثلت فيه، ويرتبط اسم حورس في اللغة المصرية بمعنى الارتفاع والسمو، ويرتبط أكثر بالصقر الذي ربما اتخذ رمزاً لهذا الارتفاع، وقد مثل هذا الإله في المعتقد المصرية أيضاً إنسان برأس صقر، أما في لوبيا فنجد المنطقة التي يعبد فيها "حورس" قورينة، فهي تقع عن نقطة تتمثل فيها بجلاء فكرة هذا الارتفاع حتى لتبدو وكأنها واقعة فوق السحاب فعلا، وذلك في بعض أيام الشتاء التي تكثر فيها السحب الشديدة الانخفاض، فهذه السحب تخفي موقع قورينة عن أعين من يشاهدها من المناطق المنخفضة عنها، كما أن الصقر من الطيور الجارحة التي تكثر بالمنطقة وتتخذ من فجوات صخورها الشاهقة أوكاراً تلجأ إليها[3].

وصلة "حورس" بـ "التمحو" واضحة، حيث نجد بين ألقاب "حورس" العديدة لقباً يربطه مباشرة بهذا الشعب، هو: "حورتحنو" ولقباً آخر هو "تحنوى"، أي صاحب تحنو، كما أنّ عبادة "حورس" رغم انتشارها في كل مصر فإنها تركزت في الدلتا الغربية، حيث كان يطلق على هذا الإله "اللوبي ذو الذراع المرفوعة"[4].

ومن هذا العرض لحياة اللوبيين الدينية نجد أنه كان من الطبيعي أن يشعر اللوبيون، وهم ينتقلون من مكان إلى آخر صيداً أم رعياً لمواشيهم، بحاجتهم إلى التماس الحماية من إله ويكون

[1] هيرودوت، المصدر السابق، تر: مصطفى أعشي، ص 68.
[2] عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص 196.
[3] نفسه، ص 195.
[4] نفسه، ص ص 195-196.

لهم هادياً ومرشداً، يعينهم ببركاته في تنقلاتهم هذه عبر الصحراء والواحات ويكشف لهم عما يجهلونه وينبئهم به. ولهذا فإنهم مارسوا الطقوس والمعتقدات الدينية بعمق في مضمونها، وأثروا في البيئات المجاورة وتأثروا بها. وفي هذا الصدد يشير بتيس(Bates): إلى أن أوجه الشبه بين الديانتين المصرية واللوبية، وخاصة منها فيما يتعلق بعبادة الثور والكبش، توضح أن العلاقة بين الطرفين كانت قوية ولم تكن عدائية دائما[1].

ثالثا– مظاهر الحضارة الفنية: يمكن حصر أقدم النماذج الفنية للإنسان المغربي القديم، فيما كان ينجزه من نقوش ورسومات على الصخور، وفي بعض الأدوات الضرورية التي يصنعها كالحلي والأواني، وقد يكون ذلك الإنسان ينجز نقوشه ورسوماته بغرض مصلحي، وليس لغرض المتعة، أو لدوافع فنية بحتة كما أن اكتشاف مجموعة من المقابر، ذات الشكل الهرمي، والمخروطي يفضي إلى تشكيل تصور متقدم، لما وصل إليه ذلك الإنسان القديم من تطور في فن العمران، هذا بالإضافة إلى نشاطات فنية أخرى كالموسيقى والغناء والرقص والتمثيل.

1– الرسوم والنقوش: تزخر الصحراء بسجل حافل من النقوش والرسوم التي صور فيها القدماء مشاهد عن حياتهم اليومية، فجاءت لوحاتهم واقعية مجسمة لتاريخ حياتهم، وليس هناك من شيء أوضح من تاريخ الفن بالصحراء الكبرى[2]، حيث صنع سكان بلاد المغرب لوحات فنية لم تتأثر بالسريالية ولا بالكلاسيكية ولا بالتجريدية، ولا بغيرها من مدارس الفنون التشكيلية المعروفة عندنا، بل كان كل ذلك من صميم أفكارهم البدائية التي تعتمد على الطبع والسليقة والفطرة فقط[3].

تعتبر النقوش المنحوتة على الصخور[4] في بلاد المغرب بمثابة السجل المفتوح يسمح للمهتمين بقراءة تاريخ هذه البلاد –منذ حقب زمنية قديمة– قبل اكتشاف الإنسان للكتابة، لذا

---

[1] Bates, Op-cit, p 207.

[2] محمد سليمان أيوب، جرمة من تاريخ الحضارة الليبية، ط1، دار المصراتي للطباعة والنشر، طرابلس، 1969، ص 166.

[3] عبد العزيز الصويعي، تاريخ الحضارة الليبية، المرجع السابق، ص305.

[4] يشير مصطلح الرسم الصخري في علم الآثار إلى أي علامات ينشأها الانسان القديم على الصخر الطبيعي. وتنقسم إلى نوعين: أ– النقوش الصخرية وتعني النحت على سطح الصخر.

ب– اللوحات الصخرية (الرسم التصويري) وتعني اللوحات على الصخر والكهوف. ينظر: أزهري مصطفى صادق علي، الرسوم الصخرية في المملكة السعودية، جامعة الملك سعود، كلية الساحة والآثار، ص 2.

فقد حاول الإنسان المغربي أن يسجل تاريخه ومعتقداته بوسيلة تعبيرية مبتكرة، وتتمثل في لغة الخطوط الهندسية، وألوان مستمدة من الطبيعية[1].

إن هذه الرسومات والنقوش الصخرية الرائعة –بدون شك– تعكس المستوى الحضاري لتلك الشعوب، وتاريخ انتشار هذا الفن وأساليبه في شتى أقطار بلاد المغرب، ومدى أثر التلاقح الحضاري بين شعوب المنطقة والحضارة المصرية[2].

هذا ما أدى بالباحث محمد سليمان أيوب[3] إلى الاشارة قائلاً: **"وليس هناك من شيء أوضح من تاريخ الفن بالصحراء الكبرى، فمنذ العصور الموغلة القدم، بل قبل أن تظهر الصحراء، عندما كانت الوديان التي نراها قاحلة أقاليم مليئة بالمياه".**

وظل ذلك السجل الثري بالمعلومات المتنوعة، والفنون الرائعة مطوياً ومهملاً ويرجع الفضل في الكشف عنه إلى أفواج العلماء والباحثين الأوروبيين[4].

وبالعودة إلى الأحجار والأصباغ والدهون والألوان المستعملة في تلك اللوحات يندهش المرء إذا علم أن البحوث التي أقامها العلماء على التحليل الكميائي لتلك المواد، حيث أظهرت أن السكان القدماء استخدموا خلطات كميائية من هيدروكسيد الحديد ممزوجة بلازب مقاوم يرجع إليه الفضل في احتفاظ اللوحات بألوانها كل هذه المدة[5]. لذلك سأحاول دراسة هذه النقوش والرسوم في منطقتين من بلاد المغرب تاسيلي ناجر وجرمة.

---

[1] بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص ص 47- 48.

[2] باول جراتسيوسي، دليل الفن الصخري في الصحراء الليبية، تر: إبراهيم أحمد إمحمد المهدوي، ط1، منشورات جامعة قاريونس، ليبيا، 2008، ص11.

[3] محمد سليمان أيوب، جرمة وحضارتها، طبعة دار المصراتي للطباعة والنشر، طرابلس ليبيا، 1983، ص ص 166- 167.

[4] انطلقت حملات البحث عن النقوش المنحوتة على الصخور ببلاد المغرب في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، بمبادرة من جورج بارتليمي فلاموند (J.B.Flamande) الذي واصل أبحاثه طيلة أربعين سنة تقريباً. وكانت النقوش محل بحث من قبل الباحث أ.ف قوتيه (E.F Gautie) وتلي أبحاث قوتييه في الأهمية أبحاث كل من هنري بوري (H.Breuil) وريغاس (M.Reggasse) وهنري لوث (Henri Lhote) الذي يعتبر متكشف مراحل الفن الصخري في منطقة التاسيلي- ناجر. ينظر: ول ديورانت، قصة الحضارة ، تر: الدكتور زكي نجيب محمود، ج6، ط3، 1965، ص 167.

[5] عبد العزيز الصويعي، تاريخ الحضارة الليبية، المرجع السابق، ص 350.

أ- تاسيلي ناجر: قيل أن حضارة بلاد المغرب القديم حضارة فنية وأن الحجارة المكتوبة (Les pierres écrites) أصبحت مرجعاً مفيداً لكتابة تاريخ منطقة التاسيلي-ناجر[1].

وقد فتنت تلك النقوش والرسومات الفنية المنتشرة عبر هضبة التاسيلي كثيراً من العلماء والفنانين، واعتبر موقعها المنبسط في الهواء الطلق، من أضخم وأعظم المتاحف في العالم. وهذا ما جعل بوزياني الدراجي يذكر مقولة الباحث والرحالة السويسري "جورج غير ستر":**"تذكرت معرض "لوت هنري" في باريس، فذكرت أن صور تاسيلي قد أغنت العالم بكنوز من الجمال الفني "** [2].

إن فن التصوير والنقش على الصخور في منطقة التاسيلي- ناجر وصل إلى قمة النضج في بعض موضوعاته الفنية، وإن لم يتجاوز ذلك أغراضاً أخرى، فتبقى فوائدها التاريخية محدودة إلى حد بعيد، والصور المرسومة إلى حد كتابة هذه السطور لم نعثر لها عن تفسير واضح وجازم من ناحية تحديد أهدافها التي رسمت من أجلها، وحتى معانيها تبقى غامضة[3].

إن أغلب الرسوم الموجودة في منطقة التاسيلي- ناجر من أقدم الأعمال الفنية الصخرية في أفريقيا، وهي تمثل الجودة وسط آثار النشاط الثقافي للإنسان[4] من حيث الدقة والتنسيق في مزج الألوان، ورقة الحس الفني الظاهر في معظم تلك المشاهد التي قل ما يوجد مثلها في مناطق أخرى من العالم[5].

فبعض المشاهد الموجودة في التاسيلي الناجر تمثل مجموعات كثيرة من الحيوانات، ومجموعة بشرية تظهر بملابس جميلة، وشعور ممشوطة ومنظمة، يوجد المشهد في منطقة "ابرين تاسيلي". ويرجع ذلك إلى بداية الدور الرعوي أي في الفترة ما بين (6000-5000 ق.م). وهذا دليل أن

---

[1] Malika Hachid, Le tassili des Ajjer, (EDIF-Paris méditerranée, 2000,P.98.

[2] بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 53.

[3] إبراهيم العيد بشي، البنية الجغرافية والحضارية، المرجع السابق، ص 122.

[4] نفسه، ص 324.

[5] إبراهيم العيد بشي، أهم دلالات الألوان رسوم التاسيلي- ناجر أنموذجا، دط، دار الهلال، دت، دم، ص 01.

ثقافة التاسيلي سابقة زمنيا الحضارة المصرية[1].

يقول "غوتييه" في ذلك: **" وإذا كان من الواضح أن طريق الحضارة قد سارت من مصر إلى المغرب، فلا يصح ذلك بالنسبة لما قبل التاريخ. فمهما كانت الحضارة المصرية قديمة فقد لزمها وقت من الزمن لتتكون فيه. ولعل سكان الصحراء قد هجروها في الطور الرابع بفعل الجفاف ليتمركزوا على ضفاف النيل. وقد دلت النقوش القديمة على التشابه بين المغرب ومصر. ولكن أيهما أثر في الآخر أولا، ابن الطوارق أم المصري؟ أغلب الظن أنه الطارقي، الجد الأول لأبناء الطوارق الحاليين"**[2].

يبدو أنه بحلول سنة 1000 ق.م كانت الصحراء قد إتخذت شكلها الحالي تقريباً، مما عرقل إستمرارية وتواصل هذه النهضة الحضارية النيوليتية بالصحراء فكان مآلها في الأخير الإندثار، ولولا ذلك لكانت ستتطور وتعرف حضارة راقية على منوال جارتها المصرية[3].

تبين لنا بعض المشاهد الموجودة في منطقة التاسيلي- ناجر، أوجه الشبه بين المصريين وسكان تاسيلي القدماء، حيث اكتشف الباحث الفرنسي "هنري لوت" (Henri Lhote) في "وادي جبارين" لوحتان مهمتان وملفتتان للنظر، الأولى: (لوحة الآلهات الصغيرات)، والثانية:(لوحة القربان). وكان يشك في أن رساميها إما أن يكونوا من الأسرى أو من التجار المصريين الذين وجدوا بتاسيلي، وإما أن اللوبيين الذين أقاموا بمصر هم الذين حملوا لوطنهم هذا الأسلوب في الرسم[4].

اختلفت الآراء حول تفسير الرسمين وتأريخهما ودلالتهما وعلاقتهما بالتأثير المصري، ويستدل على التأثير المصري في صورة "الإلهات الصغيرات" من خلال رؤوس الفتيات التي تبدو

---

[1] إبراهيم العيد بشي، البنية الجغرافية والحضارية، المرجع السابق، ص 266.

[2] غوتييه، ماضي شمال إفريقيا، تر: هاشم الحسيني، ط2 ، منشورات تواليت الثقافية، ليبيا، 2010م، ص16.

[3] جراية محمد رشدي، الصحراء الجزائرية خلال العصر الحجري الحديث (6100 ق.م-1000 ق.م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، إشراف عبد العزيز بن لحرش، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية:2007 /2008، ص 149.

[4] L'Hote (H.) , A la découvert des frésques du Tassili , Arthaud , Paris , 1973 , P .72.

على هيئة تشبه رأس الطائر "أبيس" الذي وجد في آثار مصرية تعود إلى عصر ما قبل الأسرات، وكذلك تسريحة شعرهن المشابهة لتلك التي كانت عند النساء المصريات قديماً[1].

ويذكر عبد العليم أن "مصطفى بازامه" يعطيها تفسيراً يقوم على الربط بينها وبين التقويم المصري، وهو تفسير يسند فرضية التأثير المصري[2]، بل أضاف تأكيده للشبه بين شخصيات اللوحة اللوبية بالإله "تحوت"[3] المصري، وقد جعل "بازامه" اللوحتين ذات دلالة، وشرح كل حركة فيهما بأسلوب منطقي، وهذا مجمل شرحه عن كتاب الصويعي[4]:

ب- اللوحة الأولى (الآلهات الصغيرات): وهي عبارة عن لوحة رُسمت عليها أربع فتيات عاريات باستثناء غطاء الرأس، يقمن بحركات يدوية كما لو كن يرقصن. واللوحة من الناحية الفنية تمثل مرحلة انتقال الكتابة من الأسلوب التصويري (البيكتوغرافي) إلى الأسلوب الرمزي (اللوغوغرافي) أي أن الصورة بدأت تتحلل إلى رموز ذات مدلول لغوي. واللوحة بهذا الشكل جاءت مفسرة لفلسفة فكرية ورؤية فلكية كانت تشغل جهابذة وادي جبّارين. إلا أن هذا التقسيم الذي تحويه اللوحة عرف –فيما بعد- في الآثار المصرية ونسب للإله تحوت[5].

وقد شُرحت هذه اللوحة باستعراض التقويم المصري، ثم استخراج أربعة أرقام مهمة، وهي: الرقم (3) الذي يرمز إلى عدد الفصول، والرقم (4) الذي يرمز إلى عدد الأشهر في الفصل الواحد، والرقم (30) الذي يرمز إلى عدد الأيام في الشهر الواحد، والرقم (5) الذي يرمز إلى أيام النسيء التي زادها توت، فأصبحت السنة المصرية 365 يوما. وتمت مطابقة ذلك على اللوحة اللوبية، فوجد أن عدد الأيدي المرسلة كان (3). وأن عدد الآلهات كان (4). وأن عدد الأصابع

---

[1] Ibid, P 73.

[2] عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص 214.

[3] **تحوت**: إله الكتابة في مصر وهو معبود المقاطعة الخامسة عشر من مقاطعات مصر العليا أو الصعيد.ينظر: Rachet (G.) Op-Cit. , P 254.

[4] اعتمدت على كتاب الصويعي اللغة الليبية القديمة لأني لم أتمكن من الحصول على كتاب بازامه محمد مصطفى، تاريخ ليبيا.

[5] عبد العزيز سعيد الصويعي، التيفيناغ رحلة الحروف العروبية بين الكنعانيين والتوارق، ط1، اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام، ليبيا، 2006، ص 66.

غير المخفية كان (30). وأن عدد الأيدي المرفوعة كان (5) [1].(**ينظر الشكل رقم:15**)

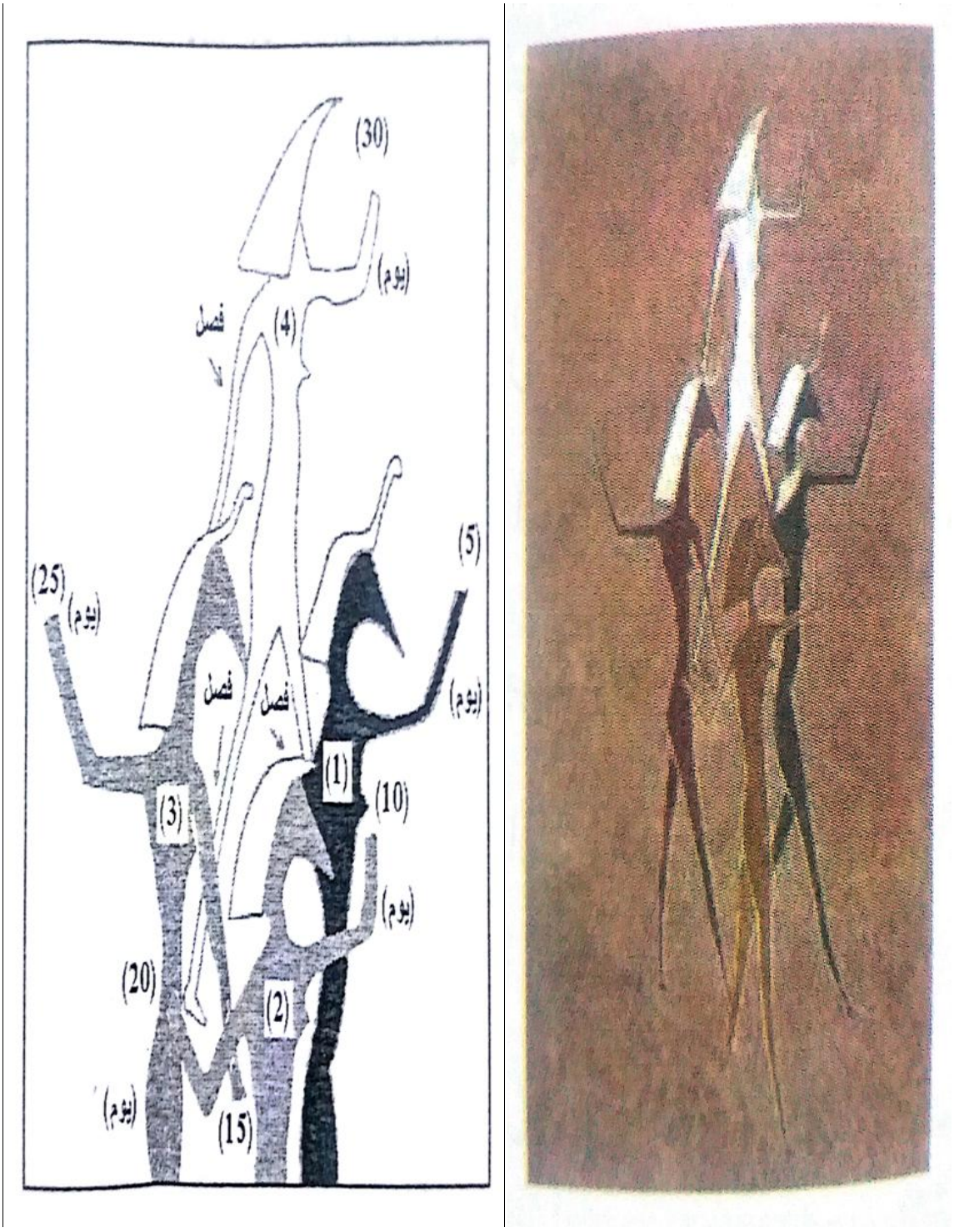

الشكل رقم:15 يوضح لوحة الآلهات الصغيرات

نقلا عن: إبراهيم العيد بشي، أهم دلالات الألوان، المرجع السابق، ص 46؛ الصويعي، اللغة الليبية، المرجع السابق، ص 260.

[1] عبد العزيز سعيد الصويعي، اللغة الليبية القديمة، ص 260.

وقال بازامه شارحاً لذلك :**"من الجائز أن تكون المعبودات الأربع رمزا للأشهر الأربعة التي يتكون منها كل فصل، وأن تكون الأيدي المرسلة الثلاث يرمزن إلى الفصول الثلاث، والأيدي الخمس المرفوعة إلى أيام النسيء الخمسة، والأنامل غير المستورة رمز لعدد أيام كل شهر"**[1].

ج- اللوحة الثانية(القربان): هذه اللوحة عكس اللوحة السابقة، فهي ليست متشابكة المكوّنات المرسومة، بل تسير على محور أفقي موحَّد، مما يجعلها أكثر قربا لأسلوب الكتابة. (ينظر الشكل رقم:16)

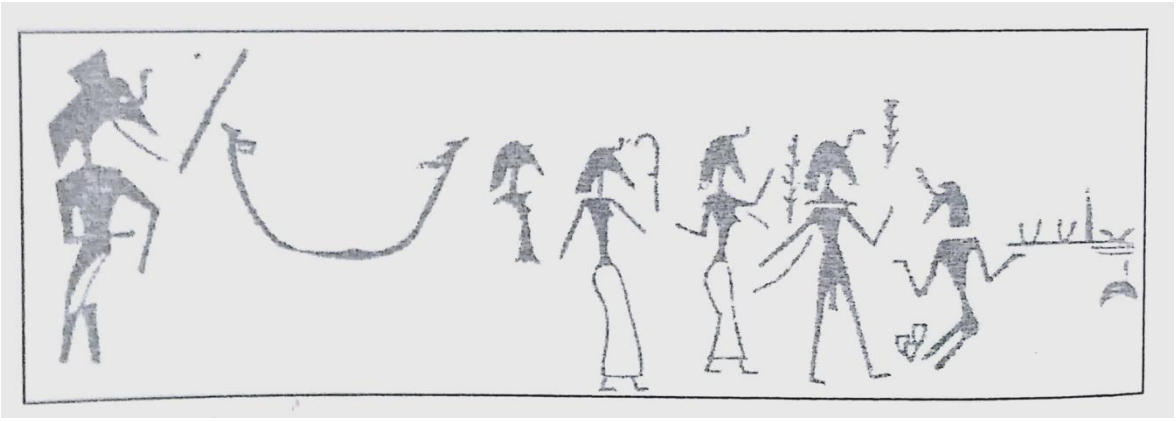

الشكل رقم:16 لوحة القربان

نقلا عن: الصويعي، اللغة الليبية القديمة، المرجع السابق، 261.

تحتوي اللوحة على: **"ستة أشخاص (ثلاثة ذكور وثلاثة إناث) وقارب، وأكواب ثلاثة، وثلاثة رموز إحداها على شكل العكّاز المعقوف الرأس، والآخران كأنهما أغصان شجر أو مقدّمة (جريدة نخل بسعفها)، وأخيراً بعض الأشكال المركّبة من خط أفقي طويل، فوقه ما يشبه الكوبين، والمسّلة والصحن أو قرنين، وتحته خطان أفقيان يمتدان ما بين المسلة وآخر الخط، وأسفلها خط عمودي وشكل يشبه الهلال المفتوح إلى أسفل"**[2].

والفرق بين اللوحتين – إلى جانب عدم تشابك المحتويات المرسومة من عدمه- هو أن النساء في اللوحة الأولى كنّ عاريات تماماً باستثناء غطاء الرأس، بينما احتفظت نساء اللوحة الثانية

[1] عبد العزيز سعيد الصويعي، اللغة الليبية القديمة، المرجع السابق، ص 260.

[2] عبد العزيز سعيد الصويعي، التيفيناغ، المرجع السابق، ص 67.

بهذا الغطاء مع ارتداء ثياب تغطي نصفهن الأسفل. أما الرجال فقد وضعوا على خصورهم جراب العورة على عادة قدما اللوبيين، بالإضافة إلى بعض الأشكال الأخرى المكمّلة –على ما يبدو لمعنى– اللوحة الثانية[1].

لم يقم "بازامه" – وكذلك "لوت"– بشرح هذه اللوحة كما فعل مع سابقتها، إلا أن الناظر فيها قد توحي له بعدة تفاسير: فقد تكون تجسيماً لطقوس دينية تقام عادةً في مواسم جني المحاصيل، وقد تكون مراسيم تقديم قرابين لأحد الآلهة –كما تخيلها لوت–، وقد تكون تجسيدا لعملية محاسبة الأجراء أثناء تسليم انتاجهم إلى مستأجرهم، وقد تكون رقصات خاصة ابتهاجاً بتأمين مخزونهم السنوي من الطعام، وغيرها من الاحتمالات التي لا تخرج عن نطاق كونها تسجيلا لأحد المواكب الرسمية التي كان سكان جبّارين يقومون بها في موعد معيّن أو في موسم معيّن في كنف ضمان لقمة العيش وبالطريقة التي ترضى بها آلهتهم[2].

إلا أن بازامه اقتنص شخصية مصرية يمكن الوقوف عندها ومطابقتها بالشخصيات اللوبية المجسمة على لوحتي وادي جبّارين، وهي شخصية المعبود "تحوت" المصري.(**ينظر الشكل رقم:17**)

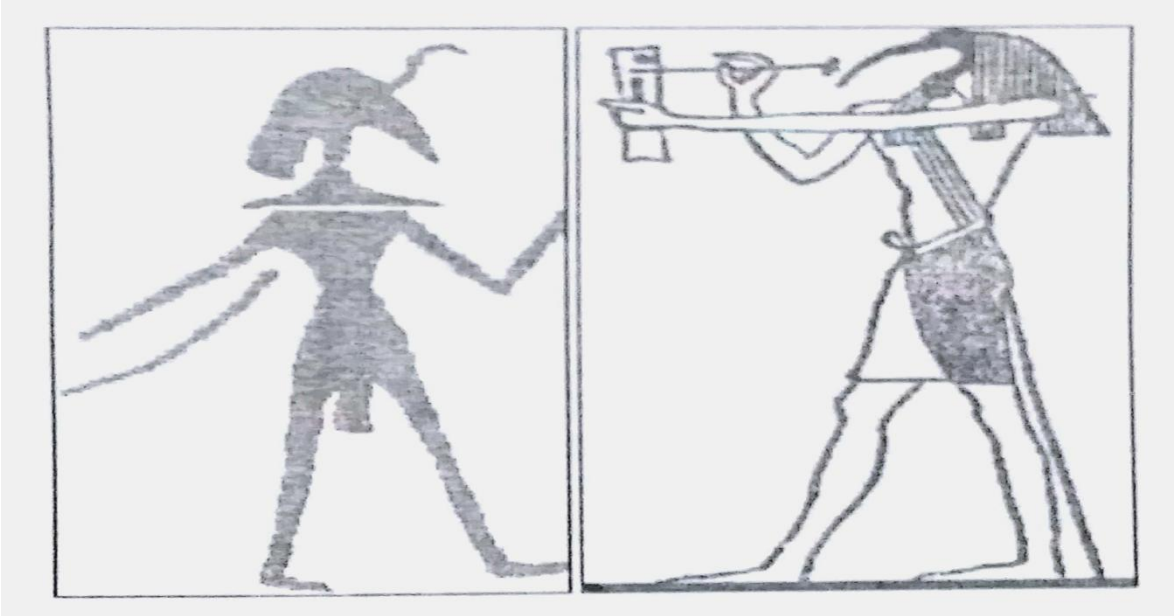

الشكل رقم:17 تحوت المصري

نقلا عن: الصويعي، اللغة الليبية القديمة، المرجع السابق، ص 262.

[1] عبد العزيز سعيد الصويعي، اللغة الليبية القديمة، المرجع السابق، ص 261.

[2] نفسه ص 262.

2- الشخصية المصرية: اعتقد قدماء المصريين أن لغتهم من مصدر إلهي، وهو المعبود "تحوت" الذي اخترع لهم الحساب والطب والحكمة وكل العلوم والفنون، وهو الذي وضع الكلمات الهيروغليفية. وكانوا يرسمونه على صورة إنسان له رأس الطائر "أبيس"، يحمل لوحةً بيده اليسرى وقلماً بيده اليمنى[1]. وهي صورة غنية بالتفاصيل التي تظهر بوضوح قناع الطائر "أبيس"، وغطاء الرأس، والقلائد حول الرقبة، والصدرية ذات الشريط، الرابط بين الكتف الأيمن والجهة اليسرى من الحزام، والتنّورة التي تغطي جزءاً من نصف الجسد الأسفل، وما يشبه الذيل الطويل الذي يصل إلى الأرض.

3-الشخصية اللوبية: رسم اللوبيون إحدى شخصيات لوحة تقديم القربان، بشيء من التجريد دون الاهتمام بالتفاصيل، رغم ذلك يظهر بوضوح قناعُ الطير بمنقاره الطويل الشبيه بالطائر أبيس، وغطاء الرأس، وجراب العورة باعتباره ذكراً، وفي الخلف يظهر خط يشبه الذيل، وهي عادة معظم قدماء اللوبيون[2].

ويتضح من هذه المطابقة الشبهُ بين الشخصيتين. غير أن الشخصية اللوبية التي حوتها لوحة "تقديم القرابين" كان قد أرجعها مكتشفها إلى زمن ما قبل تأسيس الأسرات في مصر، أي قبل الألف الرابع قبل الميلاد. أي أنها سابقةٌ لزمن رسم الشخصية المصرية المتمثلة في الإله "تحوت". ويؤكد هذا الرأي علماء الآثار الفرنسيون الذين قالوا: **" إذا تصفحنا تاريخ مصر القديم اتضح لنا أن إحدى القبائل الأفريقية التي يرجع تاريخها إلى 4000 سنة ق.م. شنّت الغارة على مصر وتسلطت عليها واختلطت بأهلها، وكوّنا معا المصريين المعروفين في ذلك الزمان تحت حكم الأسرة الفرعونية الأولى، وأن هذا الشعب هو ولا شك الذي اخترع الكتابة الهيروغليفية وجمع قواعدها"**[3].

من هنا نطرح السؤال: هل يمكن اعتبار "تحوت" الصحراوي كان أسبق زمنيا من "تحوت" النيلي؟ وهذا ما يحتاج إلى مزيد من التنقيب والبحث والدراسات الأكاديمية الجادة.

---

[1] زكي أنطوان، مفتاح اللغة المصرية القديمة، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2003، ص12.

[2] عبد العزيز سعيد الصويعي، اللغة الليبية القديمة، المرجع السابق، ص 263.

[3] زكي أنطوان، المرجع السابق، ص ص 13-14.

وفي إطار مقارنة الأساليب الفنية في الرسوم التي اتخذها كل من الرسّام اللوبي في وادي جبّارين والكاتب المصري في وادي النيل، ترد مجموعة من الملاحظات.

وذلك مثل الأخطاء الفنية التي وقع فيها كلاهما، حيث كان رسم الشخصيات يعتمد على توجيه الرأس والوجه إلى جهة جانبية (بروفايل Profile)، بينما يكون الصدر والجدع الأعلى في مواجهة المشاهد، تخرج منه اليدان متجهتان إلى نفس اتجاه الوجه، بينما تكون الرجلان في نفس الاتجاه دون التفريق بين الرجل اليمنى والرجل اليسرى. كما تتميز الشخصية الرئيسية في اللوحة الواحدة باتخاذ الحيّة في مقدمة غطاء الرأس (تعبيرا عن الإيمان بالحياة الثانية) وأحيانا قرني حيوان، ومسك العصا أو الصولجان (تعبيراً عن امتلاك السلطة)، وذلك مثل الصورتين التاليتين:(**ينظر الشكل رقم:18**)

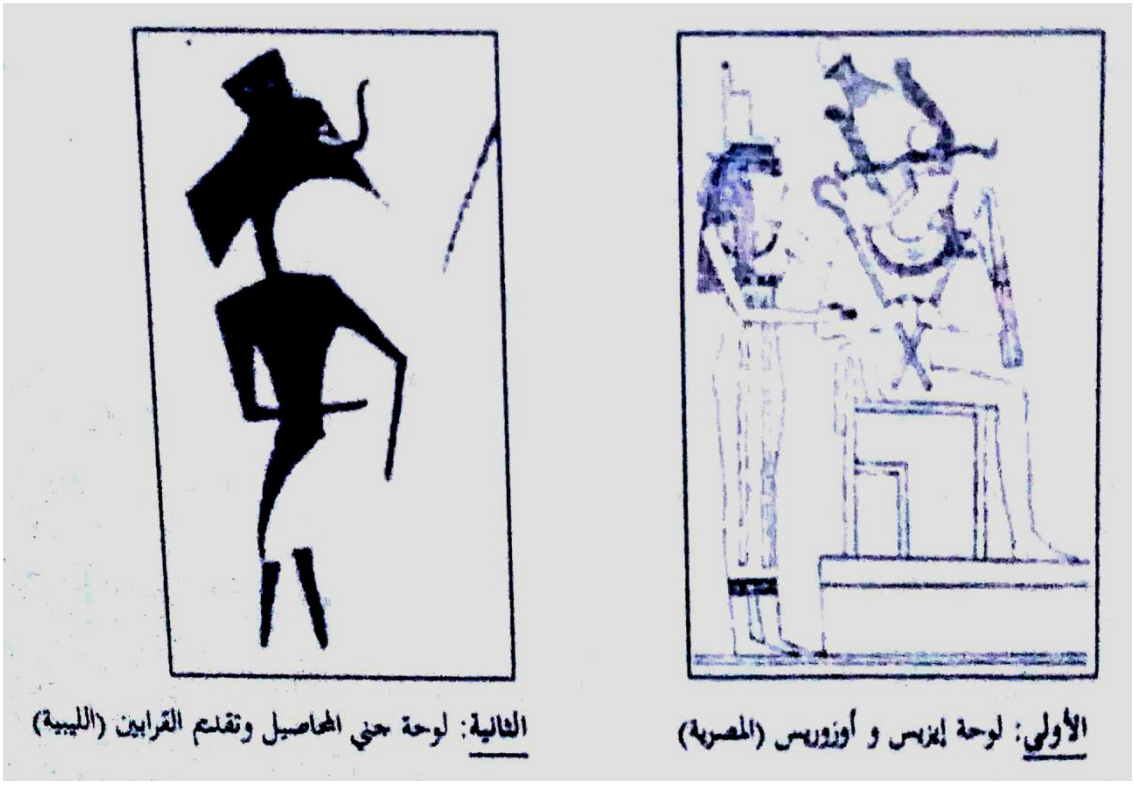

الشكل رقم:18

نقلا عن: الصويعي، اللغة الليبية القديمة، المرجع السابق، ص 265.

وإذا حاولنا البحث عن سر هذا التوافق، هل يمكن افتراض أن شخصية المثال الأول (اللوبية) هي عبارة عن خطوط أولية (كروكي Croquis) لشخصية المثال الثاني (المصرية) التي تطورت فيما بعد، وأصبحت تمثل إله الكتابة (تحوت) المصري؟ والشيئ الباعث إلى مثل هذه

الاحتمالات والافتراضات، بعض الحقائق التاريخية التي يؤيدها هنري لوت نفسُه، وذلك عند حديثه عن لوحة القربان اللوبية عن الصويعي، إذ يقول: **" يلاحظ أيضا بعض الأكواب الشبيهة بتلك التي لعصر ما قبل الأسرات، وخاصة التقارب الديني لمصر العليا..."**[1]. إلى جانب ذلك يذكر التاريخ أن اللوبيون سكنوا الدلتا منذ ذاك الزمن، أي **''قبل توحيد الدلتا والصعيد سنة 3200 قبل الميلاد''**[2] على يد "نعرمر".

هذه الحقائق تدعوا إلى افتراض أن الذين رسموا المثال الأول قد يكونون هم من رسم المثال الثاني، مع مراعاة ارتقاء الفكر ومواكبة التطور، حيث أن الزمان والمكان اللذين أُنتجا فيهما الميثالان قد تباعدا وتغيرا. فالمؤرخون هم من أطلق على سكان وادي جبارين اسم "لوبيون" وعلى سكان وادي النيل "مصريون"، وذلك بقصد التفريق بين الزمنين والمكانين وليس بين الشعبين وحضارتهما، بل يعترفون دائما بالامتداد البشري والحضاري بين لوبيا ومصر منذ تلك الأزمنة القديمة[3].

أ– الجرامنت: كان الجرامنت بدائيين في رسومهم ونقوشهم، إذا ما تمت مقارنتهم بغيرهم من الشعوب أو القبائل الأخرى، فقد كانت رسومهم ونقوشهم في بدايتها تمثل: خطوط هندسية تعبيرية غير واقعية ولا توجد بها حركة، وأهم الأمثلة على تلك الرسوم والنقوش ما تم العثور عليه في: زيجزا (Zigza) في شمال فزان، وبجبل غنيمة في الجنوب، وفي جبل زنككرا قرب مدينة جرمة[4].

وقد تطورت الفنون في الفترات اللاحقة وأصبحت أكثر واقعية وأكثر حيوية، ويلاحظ عليها الحركة وملامح بشرية واضحة، ونلاحظ كل تلك الأشياء بوضوح في الرسومات الجرامنتية المتأخرة، وخاصة في حركة رسوم الحيوانات التي تم رسمها[5].

---

[1] عبد العزيز سعيد الصويعي، اللغة الليبية القديمة، المرجع السابق، ص 266.

[2] علي فهمي خشيم، آلهة مصر العربية، المرجع السابق، ص 51.

[3] عبد العزيز سعيد الصويعي، اللغة الليبية القديمة، المرجع السابق، ص 266.

[4] عبد اللطيف البرغوثي، المرجع السابق، ص 322.

[5] محمد سليمان أيوب، جرمة وحضارتها، المرجع السابق، ص 168.

ومن خلال هذه النقوش اعتبرت العربة من أكثر العناصر الثقافية (الحضارية) الجوهرية الأكثر انتشاراً في الصحراء الكبرى، مما يؤكد أن ظهور العربة في لوبيا كان قد حدث عن طريق مصر قبيل منتصف الألف الثاني ق.م، وثبت ذلك عن طريق الرسوم والنقوش التي تظهر العربة، وتعتبر العربة ذات العجلات أحد الاختراعات العظيمة في التاريخ الإنساني، كانت تستخدم على نطاق واسع في العالم القديم، مثل مصر ولوبيا[1].

أما فيما يتعلق بالتماثيل فلم يعثر بجرمة القديمة سوى على عدد قليل من أجزائها، وجميع التماثيل التي وجدت أقل من الحجم الطبيعي للشخصيات التي تمثلها، ويمكن أن تكون هذه الأجزاء قد نحتت في مصر، لأن بعض القطع المنحوتة من الحجر الرملي النوبي، منها صدر شخص يلبس إزاراً، والقطعة الأخرى تمثل: جزءاً من الكتف واليد لنفس التمثال[2]، من خلال المادة المستعملة في صنع التماثيل يمكن أن يكون قد حدث تلاقح مع المصريين في هذا المجال.

4-الفن المعماري: ربما يكون أقدم إنجاز معماري بدائي شيده الإنسان القديم، هي تلك المصاطب أو القبور، التي طرأ عليها تطور تدريجي، بحيث أضحت تشيد في أشكال هندسية ملفتة للنظر، وهذا ما يمكن ملاحظته من خلال الهياكل الضخمة التي تجلت في شكل مخروطي، أو على صورة أهرامات صغيرة، وقد تطور حجمها، وتصميمها من البساطة إلى أوضاع فنية متقنة. وربما كان قبر الرومية[3] هو الشكل الأكثر تطوراً بين مجموعة الأهرامات المخروطية المنتشرة في بلاد المغرب، هذا بالإضافة إلى ضريح المدراسن(قرب باتنة)، وجدار الرابض في منطقة الأجدار(غرب تيارت)[4].

5-فنون الموسيقى والرقص: تعتبر الموسيقى من العناصر الثقافية المرتبطة بالتكوين الروحي والنفسي للمجموعة البشرية. وهي ذات أطر متنوعة من الأنغام والألحان تستعمل من الجميـــــع

[1] باول جراتسيوسي، المرجع السابق، ص44.

[2] محمد سليمان أيوب، جرمة وحضارتها، المرجع السابق، ص 171.

[3] التسمية الجديدة للقبر المدعو بالرومية هي قبر كليوباترا سيليني (ومعناها القمر) زوجة يوبا الثاني. يقع الضريح الملكي بين الجزائر وشرشال على رأس احدى مرتفعات الساحل تعلو سطح البحر بمقدار 261 متر. ينظر: منير بوشناقي، الضريح الملكي الموريطاني، تر: عبد الحميد حاجيات، ط1، الوكالة الوطنية للآثار وحماية المعالم والنصب التاريخية، الجزائر، 1991، ص 7.

[4] بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص ص 57- 58.

وبأي كلمات تناسبها، تنبع من الوجدان الجماعي وتعد من أقدم المكونات الثقافية للمجموعة[1].

وأهميتها لا تكمن في أغراضها الفنية والجمالية فحسب، ولكن في كونها مصدراً للمعرفة والبحث العملي، إذ يمكن عن طريقها وبالدراسات المقارنة إثبات الصلات الثقافية بين الشعوب والجماعات[2].

اهتم سكان بلاد المغرب بفنون الموسيقى والرقص بدليل أن اللوتس اللوبي كان ذا شهرة ذائعة، باعتباره نباتاً عجيباً له خصائص مخدرة، ولكونه تصنع منه أدوات موسيقية أشهرها الناي، الذي يسمى في لوبيا "النحيل"، ويسمى في مصر "الأرغول"[3].

وقد اشتهرت النايات المصنوعة من ساق اللوتس اللوبي باعتبارها أفخر النايات في العالم القديم، ويذكر الجغرافي "بليني الأكبر" في كتابه التاريخ الطبيعي، مزايا اللوتس حيث يذكر: "**وخشبه ذو لون أسود. وهو مطلوب لعمل النايات المطربة**"[4]، ويذكر عبد الحليم دراز أن المؤرخ "اثيناوس" يؤيده في مؤلفه مائدة الفلاسفة:**"إن أهل الإسكندرية يتخذون نايات مصنوعة من اللوتس وهو شجر ينمو في ليبيا"**[5].

أما أكثر الآلات الموسيقية اللوبية تقدماً. وهي آلة وردت عليها إثباتات قديمة. فقد كانت القيثارة الصغيرة ذات الزاوية القائمة. وقد كان هذا النوع من القيثار شائع الاستعمال في مصر إلى جانب أنواع أخرى من القيثارات التي كانت أكثر منه تعقيدا. ولعل اللوبيين كانوا يستعملون جميع الآلات الموسيقية المذكورة في وقت واحد في مناسبات الاحتفالات العامة، إذ أننا نجد أحد النقوش المصرية يمثل جميع هذه الآلات أثناء استعمالها في آن واحد[6].

أما الآلات الموسيقية الأخرى، التي تعرفنا عليها من خلال النقوش والصور المصرية فإنها

---

[1] محمد مختار العرباوي، اللغة البربرية لغة عربية قديمة، المرجع السابق، ص 108.

[2] من المؤسف أن المغرب القديم لم تظهر فيه بعد الدراسات الشاملة والمقارنة في حقل الموسيقى والفن عامة. وكان الأجانب – كما هو الحال في عدّة مجالات– الرّواد في هذه الناحية الفنية.

[3] عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص 228.

[4] علي فهمي خشيم، نصوص من بليني الأكبر، الكتاب الثالث عشر، فقرة 32، ص92.

[5] عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص228.

[6] عبد اللطيف البرغوثي، المرجع السابق، ص 118.

تتحدث عن اللوبيين وموسيقاهم، ومن هذه الرسوم نعثر على أربع آلات: 1- المضرب وهو أداة ناقرة على شكل عصا تنتهي بنصف دائرة بارزة، 2- الطبلة ذات الجانبين وكانت تصنع من الفخار أو الخشب بزخارف وتزويقات، ويوضع على جانبيها جلد مربوط حولهما، وتشد إلى العنق بسير أو رباط ويضرب على جانبي الطبلة باليدين، ومن الجائز أن كل جنب في الطبلة يحدث صوتاً مختلفاً ليحدث التناغم اللازم، 3- أما الآلة الثالثة فهي تشبه البوق بنهاية واسعة ولها عدة ثقوب ينفخ فيها وتحرك الأصابع على الثقوب لتأتي بالنغم المطلوب، 4- والآلة الرابعة تشبه القانون، وهي أداة وترية وتعرف بالقيتارة وهي تستعمل في مصر كثيرا، وهذه الآلات كانت تستعمل بصورة إجمالية، أي تعزف في آن واحد بأنغامها المختلفة، ويدل على ذلك أن الرسوم المصرية تصورها مجتمعة[1].

ويبدو أن اللوبيين كانوا يستخدمونها في المناسبات المختلفة أو ساعات اللهو والاستمتاع، وذلك العزف الجماعي يشير إلى مرحلة متقدمة من فن الموسيقى، إذ أن التناغم يحتاج إلى قدر كبير من الدقة والتمرين والأذن الموسيقية المدربة بعكس العزف المنفرد الذي يعتمد على فرد واحد يرسل أنغامه كيف شاء دون الارتباط بالعازفين الآخرين[2].

وينقل "أوريك بيتس" عن النقوش المصرية رقصة حربية كان يؤديها أفراد من قبيلة "تمحو" اللوبية، حيث انقسموا إلى مجموعتين: يقوم ثلاثة رجال بقرع العصي بتوقيت زمني منتظم، بينما يؤدي اثنان آخران حركات قتالية راقصة موزونة بقرع العصي أيضا[3]. وهذه الرقصة تذكرنا برقصة التحطيب المصرية[4].

ومن الطريف الإشارة إلى أن هذه الرقصة كان لها مثيلها في الفلكلور الليبي الحديث تعرف باسم الكسكا(Kaska) التارقية في وقتنا الحاضر[5]. مما يشير إلى أن قدماء اللوبيين تركوا شيئا من آثارهم الفنية وعاداتهم وتقاليدهم في مواقعهم الأولى، بينما حملوا نماذج منها إلى وادي النيل أثناء

---

[1] عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص 229.

[2] نفسه، ص 229؛ رجب عبد الحميد الأثرم، المرجع السابق، ص 89.

[3] Bates, Op-cit, p.p 155.156.

[4] عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص ص 229-230.

[5] رجب عبد الحميد الأثرم، المرجع السابق، ص89.

هجرتهم إليه.

لقد كان الرقص عند قدماء اللوبيين وسيلة تعبيرية معروفة في الحرب والقتال، وفي المناسبات الدينية أيضاً، فإلى جانب رقصة البحيرة والتي كانت احتفالا سنوياً منظماً، يذكر المؤرخون رقصة آمون، حيث تدخل الفتيات المعبد وهن يغنين ويرقصن باحترام لصاحب المعبد وربه، يمكن القول أن الرقص كفن تعبيري كان معروفاً في لوبيا القديمة وله أصوله وطقوسه وحركاته وإيقاعه ونظمه وأساليبه باعتباره فناً وعبادة[1].**(ينظر الشكل رقم:19)**

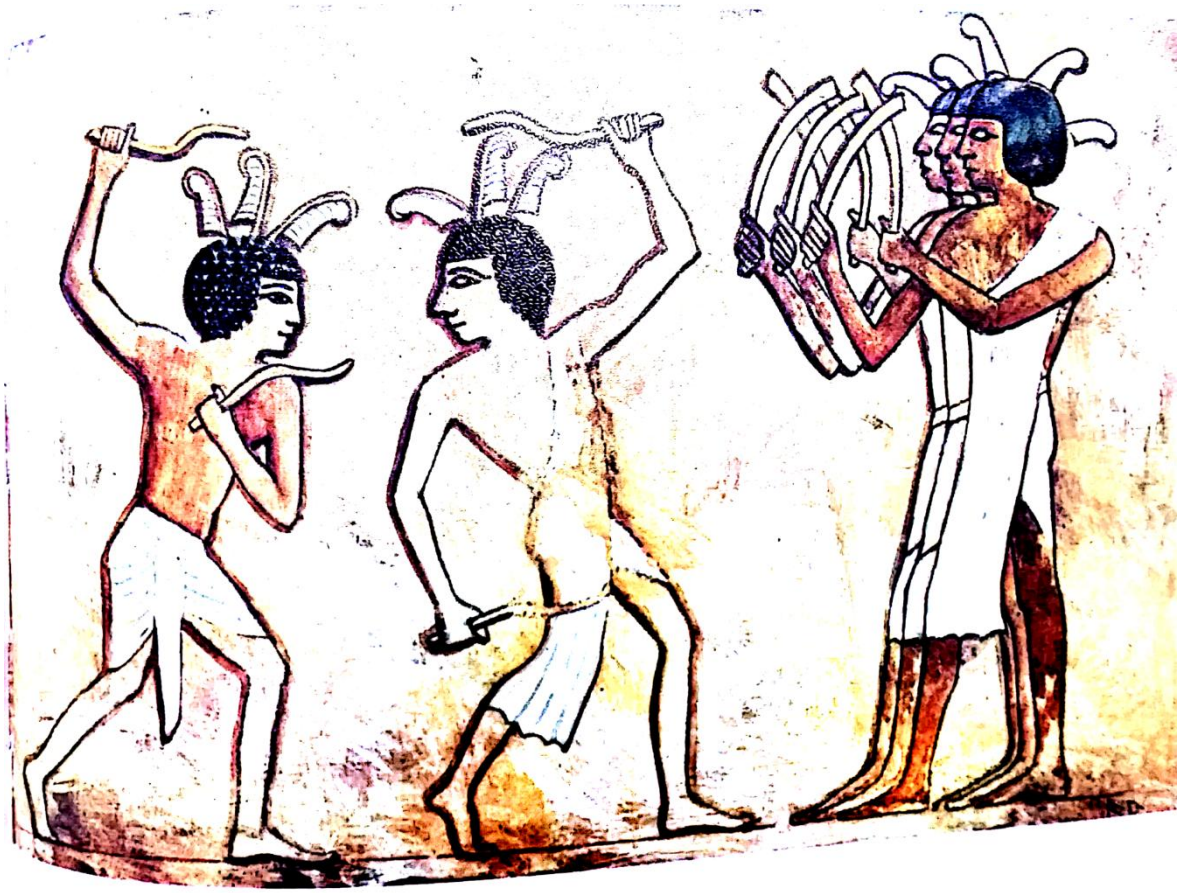

الشكل رقم:19 فرقة موسيقية لوبية من الألف الثانية ق.م

نقلا عن: موسوعة تاريخنا، المرجع السابق، ص 136.

ومن الواضح أن المواكب كانت تشكل جزءاً من الاحتفالات اللوبية الدينية، فقد كان الأوزيون يكرمون إلهتهم أثينا(الأوزية) بموكب سنوي، يدورون فيه حول بحيرة "تريتونس Tritonis"(شط الجريد بتونس)، كما أن طقوس عبادة الإله آمون كانت تتميز بالمواكب.

[1] عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص 230.

ويذكر البرغوثي أن "سيليوس الإيطالي" قد وصف مواكب الحداد حول جثمان الأميرة اسبستي(Asbystae). وكان هنالك أيضا موكب سنوي مقدس يحمل خلاله رموز آمون، إله طيبة ويدار به في لوبيا طيلة اثني عشر يوما[1].

5- سر التوافق والتشابه بين مختلف المظاهر الثقافية والاجتماعية: وإذا تساءلنا عن سر هذا التوافق والتشابه بين الكثير من المظاهر الثقافية والاجتماعية بين اللوبيين والمصريين؟ نلاحظ أن الهجرات التي انهالت على وادي النيل كان مصدرها الشرق والغرب أيضا كان له نصيبه. وربما كانت تلك الهجرات متزامنة مع بعضها البعض، أو متفاوتة تفاوتاً بسيطاً، وذلك بسبب التأثير المناخي الذي طرأ على المنطقتين، الواقعتين على نفس خط عرض 25° شمال خط السرطان، يفصل بينهما —طوليا- أخدود البحر الأحمر. وقد ثبت تاريخياً أن التغيير المناخي والتشكل الحضاري الذي مر بالصحراء اللوبية تزامن مع ذاك الذي حدث في الصحراء العربية، وأن الهجرة إلى وادي النيل كانت تأتيه من الشرق والغرب على دفعات مما جعل هذا الوادي بوتقة انصهار كبرى[2] اجتمعت فيه مختلف سلالات بشرية متنوعة من مناطق مختلفة بثقافاتها وعاداتها ولغاتها.

يذكر علي فهمي خشيم[3] أن هذا الانصهار الذي كان منذ بدء التاريخ هو الذي جعل الباحث "آرثر إيفانز" (Arthur Evans) المكتشف الفعلي لحضارة "كريت"[4]،يعبر عن الأثر اللوبي- المصري (Egypto-Libyan) في أساس الحضارة "المنوية" باعتبار أن سكان غربي الدلتا الذين أثروا في هذه الحضارة كانوا كتلة واحدة من المصريين واللوبيين. وليس هنا مجال مناقشة أسس الحضارة "المنوية" أو "الكريتية"[5].

---

[1] عبد اللطيف البرغوثي ، المرجع السابق، ص ص 119-118

[2] علي فهمي خشيم، آلهة مصر العربية، ج1، المرجع السابق، ص 25.

[3] ولد الأستاذ الدكتور علي فهمي خُشيم بمصراتة بليبيا عام 1936. حصل على ليسانس آداب بالجامعة الليبية ببنغازي 1962، وعلى ماجستير فلسفة بجامعة عين شمس بمصر 1966، له العديد من المؤلفات والمترجمات في الفلسفة واللغة والتاريخ والآداب...يربو المنشور منها عن الأربعين مؤلّفاً. ينظر: موقع مجمع اللغة العربية المصري (arabicacademy.org.eg)

[4] **كريت**: من أهم الحضارات التي عرفتها بلاد الإغريق في بحر إيجه كانت الحضارة المنوية (نسبة إلى الملك الأسطوري مينوس حاكم الجزيرة)، وتعود إلى حوالي 2000 سنة ق.م. ينظر: عبد العزيز الصويعي، تاريخ الحضارة الليبية القديمة، ص119.

[5] علي فهمي خشيم، آلهة مصر العربية، ص ص 25-26.

وبالتالي فإن قدماء اللوبيين كانوا من بين السلالات البشرية التي بدأ الوجود البشري يتشكل منها على ضفاف النيل بوجهيه البحري والقبلي. يبدو أن اللوبيين –عندما هاجروا إلى مصر– حملوا معهم مفاهيمهم الفلكية ومعتقداتهم الدينية وطرق تجسيدهم لتلك المفاهيم والمعتقدات التي كانوا يرسمونها على جدران كهوفهم[1].

وبالتالي فإن قدماء اللوبيين كانوا من بين السلالات البشرية التي بدأ الوجود البشري يتشكل منها على ضفاف النيل بوجهيه البحري والقبلي. يبدو أن اللوبيين –عندما هاجروا إلى مصر– حملوا معهم مفاهيمهم الفلكية ومعتقداتهم الدينية وطرق تجسيدهم لتلك المفاهيم والمعتقدات التي كانوا يرسمونها على جدران كهوفهم[2]. وهذا ما يدفعني إلى افتراض أن اللوبيين ساهموا منذ البداية في بناء الحضارة المصرية.

وفي نهاية هذا الفصل نستنتج أن التأثير الحضاري الذي ظهر على مخلفات اللوبيين والمصريين كان بسبب الحروب وملاحقة الجيوش واقتناص الأسرى، والهجرات الأولى التي تشكل منها الوجود البشري في مصر، وبغض النظر عن طبيعة العلاقات اللوبية المصرية فقد سمحت بالتواصل المستمر والاحتكاك الذي أدى إلى التفاعل والتعاطي الحضاري والثقافي بين سكان المنطقتين في المجالات المادية والمعنوية، وإن مسألة الشبه بين الآثار الكتابية اللوبية والمصرية، كانت على نطاق انتقال الأفكار الحضارية مع أصحابها من مكان إلى آخرو تحت تأثير عدة عوامل.

كما حدث تلاقح بين الديانتين المصرية واللوبية خلال فترات التاريخ، أدت إلى انتقال الكثير من المعبودات اللوبية القديمة إلى مصر وانتقال المعبودات المصرية إلى بلاد المغرب القديم، ونلمس التواصل أيضاً في جوانب أخرى عديدة كالفنون المختلفة والعمارة.

[1] عبد العزيز الصويعي، تاريخ الحضارة الليبية القديمة، المرجع السابق، ص 150.

[2] المرجع نفسه، ص 150.

الباب الثاني:

العلاقات الاجتماعية والثقافية الفينيقية – القرطاجية مع سكان بلاد المغرب.

الفصل الأول: الفينيقيون وصلاتهم بالمغرب.

الفصل الثاني: التواصل الاجتماعي اللوبي – القرطاجي.

الفصل الثالث: جوانب من المبادلات الثقافية بين اللوبيين والقرطاجيين.

الفصل الأول:

الفينيقيون وصلاتهم بالمغرب.

المبحث الأول: التواجد الفينيقي ببلاد المغرب.

المبحث الثاني: تأسيس الدولة القرطاجية والمدن الثلاث.

عندما كان اللوبيون يترأسون السلطة السياسية والعسكرية والدينية في دلتا النيل ابتداءً من القرن العاشر ق.م، تعرضت بلاد المغرب لبعض التغيرات السكانية، كان أهمها هجرة الفينيقيين في القرن الثامن ق.م.

حسب الدراسات القديمة والحديثة يرجع أول اتصال فينيقي ببلاد المغرب إلى نهاية الألف الثانية ق.م(1150 ق.م)، مع تأسيسهم لأقدم مستوطناتهم التجارية في اتجاه الساحل المتوسط الغربي، كمستوطنة ليكسوس في الساحل المغربي الأطلسي، وأوتيكا في الساحل التونسي حاليا، بالإضافة إلى مستوطنات أخرى منتشرة عبر السواحل الغربية للبحر الأبيض المتوسط.

كانت أهم مستوطنة أسسوها في شمال إفريقيا وهي قرطاجة، هذه المستوطنة التي أصبح لها شأناً كبيراً، خاصة بعد الضعف الذي آلت إليه المدن الفينيقية في الحوض الشرقي، وسمح لقرطاجة أن تأخذ الريادة الإستراتيجية في البحر الأبيض المتوسط، من هنا بدأ عصر التاريخ الفينيقي يترسّخ في بلاد المغرب، لأن الفينيقيين صنعوا فيها أحداثاً تاريخيةً هامةً، اتجه صوبها المؤرخون بطريقة كانت تفتقدها المنطقة من قبل. إذ بدأ الصراع (اللوبي- الروماني) يشتد على السواحل وفي عمق البحر المتوسط، خلال ما عرف بالحروب البونيقية. وعلى هذا الأساس بدأت تظهر مسميات جديدة في تاريخ بلاد المغرب مثل (الشعب البونيقي) و(الحضارة البونيقية) و(الكتابة البونيقية). وكلها مقومات الحضارة الشرقية التي أقيمت على سواحل بلاد المغرب القديم، والتي ساهم في انجازها اللوبيون بفعل الاحتكاك والتفاعل الإيجابي، الذي حصل بين الطرفين على مدى أجيال. سأقوم في هذا الفصل بدراسة تمهيدية للتعريف بالفينيقيين وصلاتهم ببلاد المغرب.

المبحث الأول: التواجد الفينيقي ببلاد المغرب: لقد كان للفينيقيين أدوار حضارية في عدة مناطق من العالم، هذا نتيجة تحركاتهم البحرية والبرية، فقد أقاموا جسراً حضارياً بين حوضي البحر الأبيض المتوسط الشرقي والغربي مستفيدين في أواخر الألف الثانية قبل الميلاد من سقوط البحرية الإيجية على يد الدوريين، وتطور تقنيات بناء السفن والملاحة البحرية وبذلك أضحت الأساطيل الفينيقية تصل بين ضفاف البحر الأبيض المتوسط، وقد أشار المؤرخون القدامى إلى الحضور الفينيقي في منطقة شمال إفريقيا والتي كان يطلق عليها اسم لوبيا.

أولا- التعريف بالفينيقيين: سأحاول في التمهيد لهذا العنصر بإعطاء لمحة عن الفينقيين.

أ- التسمية: اختلف المؤرخون في أصل تسمية الفينيقيين وظهرت الكثير من الآراء والنظريات في هذا السياق، فمصطلح "فينيقي" هو لفظ يوناني جاء في صيغة (Phoinikes) وجمعه (Phoinik) باللغة اليونانية[1]، ظهرت هذه التسمية بداية عند هوميروس[2] في القرن الثامن قبل الميلاد[3]، وقد تباينت الآراء حول أصل هذه التسمية، إلا أن من المرجح إشارتها للون الأحمر الأرجواني الذي اشتهر به الفينيقيون، والذي كانوا يستخرجونه من محار بحري يتوفر بكثرة على ساحلهم، واستخدموه في صبغ المنسوجات[4]. وتارة قصد بها النخلة التي تنمو على شواطئ المدن الفينيقية ويعتقد أن طائر فينيق[5] الأسطوري عند الإغريق هو الذي اشتق منه هذا اللون الأرجواني ومن هذه التعريفات نشأ اسم فينيقيا[6].

ويمكن أن يكون اليونان قد استعملوا الكلمة المصرية "فنخو" بعد تحريفها إلى (Phoivikes) للدلالة على فينيقيا و(Phoivikn) للدلالة على الفينيقيين، كما أن الرومان بدورهم أطلقوا لفظ بوني (Poeni) للدلالة على القرطاجيين وغيرهم من الممثلين لهذا الشعب في غرب البحر المتوسط وهو لفظ محرف لاتينياً من اللفظ اليوناني، ومع ذلك فقد فرّقوا بينهم وبين الفينيقيين في الشرق حيث أطلقوا هؤلاء اسم فوينيقي (Poenices) وإن كانوا يعترفون بانتمائهم إلى جنس واحد[7].

ورغم أن النصوص الأكدية وبعض النصوص المصرية بل والفينيقيين أنفسهم استخدمـــــوا

---

[1] موسكاتي سباتينو، الحضارة الفينيقية، تر: نهاد خياط، مطابع دار العلم، دمشق، 1988، ص 17.

[2] **هوميروس**: (**Homeros**) أشهر الأدباء اليونان، جاء من الساحل اليوناني لآسيا الصغرى، ولايعرف شيئا عن حياته، مؤلف ملحمتي الالياذة والأوديسا في القرن التاسع أو الثامن قبل الميلاد . للمزيد ينظر: باورا. س. م، الأدب اليوناني القديم، تر: محمد علي زيد، أحمد سلامة محمد، دار القومية العربية للطباعة والنشر، القاهرة، دت، ص08.

[3] كونتو جورج، الحضارة الفينيقية، تر: محمد عبد الهادي شعيرة،الهيئة العربية للكتاب، القاهرة، 1948، ص 324-325.

[4] محمد حسين فنطر، الفرق بين الفينيقيين والبونيقيين، مجلة الفكر، عدد 08، دون دار النشر، ماي 1970، ص 46.

[5] **فينيق**: أسطورة إله تتجسد في قالب طائر يشبه النسر شكلا وحجما يكسو عنقه وصدره ريش أحمر وكان هذا الطائر يحرق نفسه ثم يبعث حيا من رماده وكانت عبادته خاصة عند الإغريق يمارسونها باحتفال سنوي عند موته وعند قيامه. ينظر: يوسف السودا، تاريخ لبنان الحضاري، ط2، دار النهار للنشر، بيروت، 1979، ص 28.

[6] يوسف السودا، المرجع السابق، ص 28.

[7] محمد أبو المحاسن عصفور، المدن الفينيقية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1981، ص 14.

لفظ كنعان[1] للدلالة على البلاد التي استوطنوها ولفظ الكنعانيين للدلالة على أهلها[2]، فإن اليونان والرومان لم يستعملوا الاسم "الكنعاني" ومشتقاته في أي صورة من الصور، بينما استعمل لفظ "كنعان" للدلالة على موطنهم في الكتاب المقدس[3].

وقد اختلف المؤرخون في أصل كلمة كنعان فمنهم من يرى أنها كلمة سامية وأنهم سموا بذلك نسبة إلى جدهم الأول كنعان على عادة العرب القدماء في تسمية قبائلهم[4]، وكان بني كنعان يقيمون في أرضهم المنبسطة على ساحل الخليج العربي حيث نسبت إليهم وأطلق عليها أرض كنعان، وعند مغادرتهم هذه المنطقة حملوا معهم اسمهم واسم بلادهم إلى وطنهم الجديد[5]، وهناك رأي آخر يرى أن كلمة كنعان مشتقة من أصل سامي (كنع) أو (خنع) وهي تعني المنخفض أي الأرض المنخفضة التي سكنوها على عكس المرتفعات المجاورة لها[6].

وبعد حوالي 1200 ق.م أصبحت كلمة فينيكس مرادفة لكلمة كنعاني وصارتا شيئا واحداً حيث ربطت بين هذه الشعوب وبين اللون الأحمر الأرجواني[7]، وقد كان اسم كنعان والكنعانيين في بادئ الأمر يطلق على الساحل وغربي فلسطين ومن ثم صار يشمل المنطقة السورية والفلسطينية بكاملها[8].

وهكذا اتفقت التسمية السامية القديمة والتسمية اليونانية في أن تربط بين هذه الشعوب وبين اللون الأحمر، وإن كانت تسميتهم القديمة بالكنعانيين والإغريقية بالفينيقيين وكلاهما علم على

[1] من المعروف أن الكنعانيين هو لفظ مركب وعام يعكس طبيعة الشعب والحضارة، وأن الفينيقيين لفظ جزئي من الحضارة الكنعانية. ينظر: محمد بيومي مهران، المغرب القديم، المرجع السابق، ص 158.

[2] الموسوعة العربية الميسرة، تحت إشراف محمد شفيق غبريال، ط2، دار الشعب، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، 1959، ص 1356.

[3] محمد أبو المحاسن عصفور، المدن الفينيقية، المرجع السابق، ص ص 14-15.

[4] أحمد سليم، في تاريخ الشرق الأدنى، مصر- سورية القديمة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1993، ص 311.

[5] محمد بيومي مهران، المغرب القديم، ص 160.

[6] محمد أبو المحاسن عصفور، معالم حضارات الشرق الأدنى القديم، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، 1987، ص 158.

[7] أحمد سليم، مصر- سورية القديمة، المرجع السابق، ص 312.

[8] فيليب حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، تر: كمال اليازجي، ط2، دار الثقافة بيروت، 1957، ص87.

شعب سامي واحد.

ب- أصلهم: تجمع معظم الدراسات التاريخية، بأن الفينيقيين ليسوا من السكان المحليين، وإنما وفدوا إلى منطقة بلاد الشام في النصف الأول من الألف الثالث قبل الميلاد(حوالي 2500 ق.م)، ضمن الهجرة الأمورية[1]، واستقر بهم المقام على الساحل الشرقي للبحر المتوسط[2]، إلا أن الجدل الذي لازال دائراً حول تحديد الموطن الأصلي الذي جاءوا منه، فقد أشار استرابون إلى وجود معابد تشبه معابد الفينيقيين، ومدن صيدا وصور وأرواد على الخليج العربي[3]. في حين يذكر المؤرخ اللاتيني يوستين[4] (Justin) أنهم تركوا بلادهم بعد حدوث هزات أرضية فيها واستقروا في شواطئ شواطئ المتوسط، حيث بنوا مدينة صيدون لتوفر الثروة السمكية فيها[5].

يبدو أن ما ذكره يوستين معقولا وهو هجرة الفينيقيين بحثاً عن ظروف معيشية أفضل، ويتجه معظم الباحثين إلى الاعتقاد بأن الموطن الأصلي للساميين[6] كان جزيرة العرب[7]، حيث يعيش الإنسان في بيئة قليلة الموارد الغذائية ولا تستطيع أن تؤمن لسكانها الرحل العشب الكافي

---

[1] **الأموريين:** تعني كلمة أمور (Amurre) سكان الغرب بالنسبة لجيرانهم سكان بلاد ما بين النهرين أي البلاد الواقعة إلى الغرب من الفرات. وهي غير سامية، وقد أطلقها السومريون لأول مرة على مدينة ماري عاصمة الأموريين ثم توسع مدلولها في عهد البابليين فأصبحت تشمل شمال سوريا ووسطها. ينظر: محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1982، ص20.

[2] نفسه، ص 20.

[3] Strabo,Geography,éd. H.L. Jones, Londres, 1917, XVI.3.4

[4] **جوستين:** مؤرخ لاتيني من القرن الثاني وصاحب كتاب "التاريخ العالمي".

[5] Justin, Histoire universelle, Tome II, L. XV III, III, Traduction J.Pierrot et E. Boitard, Edition Pankouk, Paris, 1833.

[6] **الشعوب السامية:** تسمية أطلقها الباحث الألماني (شلتزر) في عام 1781 وذلك قياسا على سلسلة نسب سام بن نوح في الاصحاح العاشر من سفر التكوين، وهي مكونة من الأراميين والفينيقيين والعبريين والعرب والبابليين والأشوريين. ينظر: التوراة العهد القديم، سفر التكوين، الاصحاح العاشر، فقرة 31؛ موسكاتي سباتينو، الحضارات السامية القديمة، تر: يعقوب بكر، دار الرقي، بيروت، 1986، ص 42.

[7] الموسوعة العربية الميسرة، المرجع السابق، ص 1356.

لماشيتهم[1]، ولما كانت شبه الجزيرة العربية محاطة بالبحار من جهاتها الثلاث الشرقية والغربية والجنوبية فإن المجال الوحيد والسهل هو الانتقال نحو الشمال والشمال الغربي[2]، حيث المياه الجارية طول أيام السنة مثل نهري العاصي والأردن وغيرها من الأنهار الصغيرة التي تساعد على الاستقرار[3]، وقد كانت شبه الجزيرة بمثابة الخزان البشري الهائل والذي ما أن يمتلئ حتى يفيض بسكانه الذين يبحثون عن أيسر الطرق للوصول إلى أهدافهم[4].

خلاصة القول أن الفينيقيين هم سكان الساحل الشرقي لحوض البحر المتوسط من خليج "إسيوس" (Issus) شمالاً حتى رأس الكرمل جنوباً ومن سلسلة جبال لبنان[5] التي تفصل بينها وبين سوريا شرقاً إلى البحر الأبيض المتوسط غرباً.

ثانياً: التواجد الفينيقي في بلاد المغرب: سأشير في هذه الجزية لأسباب تواجد الفينيقيين ببلاد المغرب ومراحل توسعهم في المنطقة.

1- دوافع خروج الفينيقيين إلى حوض البحر المتوسط: تعددت واختلفت تنوعت أسباب خروج الفينيقيين من مدنهم الأصلية واتجاههم إلى حوض البحر الأبيض المتوسط وتأسيسهم مدن فينيقية جديدة على طول السواحل الإفريقية والأوروبية، ولهذه الأسباب صلة وثيقة بتاريخ منطقة الشرق الأدنى القديم في نهاية الألف الثانية وبداية الألف الأولى ق.م (1200ق.م)، ويمكن تحديدها بأسباب طبيعية وسياسية واقتصادية واجتماعية، نذكر منها:

أ- الصراعات السياسية والاقتصادية الدائرة في منطقة الشرق الأدنى القديم وخصوصاً الساحل الفينيقي بغرض الاستيلاء عليه من جانب القوى الدولية الكبرى[6] والتي تتمثل في الدولة المصرية بوادي النيل والدولة الحيثية في آسيا الصغرى والدولة الآشورية في بلاد الرافدين والدولة

[1] ول ديورانت، قصة الحضارة، ط1، تر: محمد بدران، مج1، ج2، الإدارة الثقافية، جامعة الدول العربية، 1973، ص 9.

[2] فيليب حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، المرجع السابق، ص 67.

[3] أحمد سليم، مصر- سورية القديمة، المرجع السابق، ص 265.

[4] عبد اللطيف محمد البرغوثي، المرجع السابق، ص 299.

[5] **لبنان** أو لبن (LBN) التي تعني الأبيض، بسبب الثلوج التي تغطي جباله لفترة طويلة من السنة. ينظر: كونتينو ج، المرجع السابق، ص 31.

[6] محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي المتوسط، المرجع السابق، ص42.

الميتانية في شمال وشرقي سورية، بالإضافة إلى الأراميين[1] في سورية الداخلية والعبرانيين في كنعان[2]، وبالتالي كانت منطقة الحوض الغربي للبحر المتوسط بعيدة عن الصراعات التي كانت سائدة في شرقه.

ب- البحث عن المواد الأولية التي تحتاجها الصناعة الفينيقية وعلى ما يبدو يعتبر هذا من الدوافع الرئيسية لرحلاتهم الخارجية والتي يقصد بها أيضا تصريف المنتجات المختلفة في مقدمتها المجوهرات والمنسوجات الأرجوانية[3].

ج- انكباب سكان لوبة على اقتناء البضائع المصنعة التي كان يأتي بها الفينيقيون ومقايضتها بالمواد الخام التي كانت متوفرة لديهم مثل تبر الذهب وجلود الحيوانات المفترسة، ثم الملح والأسماك المجففة[4].

د- توفر المعادن الثمينة في شبه جزيرة إيبيريا، وعلى رأسها معادن الفضة والقصدير ثم الرصاص، ووجود الأخشاب بكثرة في جبال الأطلس وذلك ما ساعدهم على إصلاح قواربهم وسفنهم التي كانت وسيلتهم الوحيدة في ارتياد البحر[5].

هـ- وجود الخلجان الطبيعية في سواحل غربي المتوسط والتي كانت تساعدهم على الرسو ليلاً للاستراحة من عناء التجذيف أثناء النهار أو عندما تضطرهم العواصف الهوجاء لذلك[6].

و- أما العوامل الاجتماعية فقد كان لها أثر بارز في خروج الفينيقيين من وطنهم نتيجة تزايد أعداد السكان وانحسارهم في شريط ساحلي ضيق من الأرض بين البحر والجبل[1]، بالاضافة

---

[1] **الأراميون:** شعب سامي من الرحل، كانوا يتنقلون من جبال لبنان غربا حتى نهر الفرات شرقا، أسسوا العديد من الدويلات من أشهرها نذكر (ارام صوبا-ارام دمشق).ينظر: هنري عبودي، معجم الحضارات السامية،ط2، جروس برس، طرابلس، 1991، ص18.

[2] رشيد الناضوري، المغرب الكبير، المرجع السابق، ج1، ص ص 158-159.

[3] لطفي عبد الوهاب يحي، اليونان مقدمة في التاريخ الحضاري، دار النهضة العربية، بيروت، 1979، ص 30.

[4] محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، ج3، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 12.

[5] نفسه، ص 12.

[6] نفسه، ص20.

إلى حياتهم في مدن محصنة تقاتل الواحدة الأخرى مما جعلها فريسة سهلة للقوى الكبرى، وكذلك الصراع السياسي بين الطبقات الحاكمة في المدن من أجل السيطرة على الحكم نتج عنه خروج البعض منهم إلى المناطق البعيدة[2]. (**ينظر الخريطة رقم:03**)

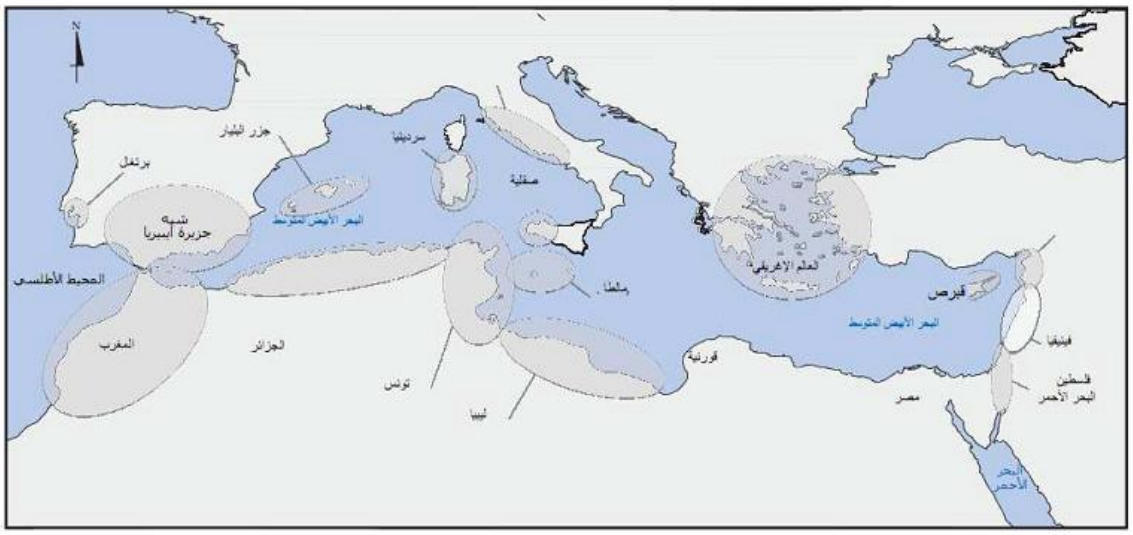

خريطة رقم:03 : أهم مناطق التوسع الفينيقي في حوض البحر الأبيض المنوسط

نقلا عن: محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية، المرجع السابق، ص 79.

يتضح مما سبق أن عوامل خروج الفينيقيين متعددة تفاعلت فيما بينها لتدفع بالعنصر الفينيقي نحو الهجرة والبحث عن مراكز استيطان جديدة، توفر للمجتمع حاجياته، وتفتح له الطريق نحو نقل كل ماهو حضاري نحو المناطق التي عرفت استقرار الفينيقيين بها.

2- مرحلة الاكتشاف والتجارة: تكاد تجمع أغلب المصادر التاريخية على أن بداية التوسع الفينيقي في الحوض الغربي للبحر المتوسط تزامن مع غزو شعوب البحر، خاصة وأن الموكيين كانوا يهيمنون على الطرق في حوض البحر المتوسط إلى غاية حدود القرن الثاني عشر قبل الميلاد، مما

[1] عبد الحفيظ فضيل الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا،ط1، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية،طرابلس، 2001، ص100

[2] محمد بيومي مهران، المغرب القديم، المرجع السابق، ص 163.

ساعد الفينيقيين على تنمية وزيادة نشاطهم البحري بعد تقهقره بسبب المنافسة الإغريقية نتيجة غزوة شعوب البحر[1].

يذكر الباحث محمد حسين فنطر أن الفينيقيين كانوا قد بدأوا التردد على غربي البحـــــــر المتوسط منذ أواخر الألف الأولى قبل الميلاد، حيث أقاموا جسراً عملاقاً بين الحوضين مستفيدين في ذلك من ظروف عسكرية وتقنية، منها أفول نجم الأسطول الإيجي، مما جعل أبواب البحر مفتوحة أمامهم وقد كان ذلك في حدود 1200 قبل الميلاد[2].

هذا وقد أشار استرابون إلى أهمية ساحل شمال إفريقيا كأداة ربط أساسية بين شرق المتوسط وغربه حيث يقول: **"أن التجار الفينيقيين الذين اجتازوا أعمدة هرقل، كانوا قد أسسوا مدنا على شواطئ البحر الخارجي، وأيضا بالقرب من وسط الساحل الليبي بعد وقت قصير من نهاية حرب طروادة"**[3].

كان الفينيقيون يدركون أهمية سواحل شبه جزيرة إيبيريا وبلاد المغرب التي جذبت انتباههم بمعادنها الثمينة ومواردها الخام المتوفرة وغير المستعملة، فأسسوا قادس "Cadex" في شبه جزيرة إيبيريا في أواخر الألف الثاني ق.م التي تعتبر من أقدم المستوطنات الفينيقية وأهمها في تلك البلاد[4]، وقبلها في نفس الفترة تقريبا أسسوا محطة ليكسوس (Lixus) مدينة العرائش على السواحل الأطلسية بالمغرب الأقصى، وقد أشار إلى ذلك استرابون (Strabon) كما بينا سابقا.

أما عن تأسيس محطة أوتيكا (Utique) يذكر بلين القديم أن مستوطنة ليكسوس أقدم

[1] عبد الحفيظ الميار، المرجع السابق، ص 104.

[2] محمد حسين فنطر، الحرف والصورة في عالم قرطاج، مطبعة أليف، منشورات البحر الأبيض المتوسط، مركز النشر الجامعي، تونس، 1999، ص 11.

[3] Strabon, I. II. III.

[4] يولي بركوفيتش، الحضارة الفينيقية في اسبانيا، تر: يوسف أبي فاضل، ط1، جروس برس، بيروت، 1988، ص 08.

من أوتيكا[1]، فقد أسست حوالي 1101 ق.م. وذلك في الناحية الغربية من خليج تونس الحالي بالقرب من مصب نهر المجردة[2].

تشير عدة مصادر إلى أن الفينيقيين كانوا يفضلون الإبحار قريبين من اليابسة نظرا لصغر سفنهم ذات المجاذف خوفا من التعرض للعواصف بعيدا عن البر. وهذا يعني أنهم لم يغامروا بالتوغـــل في عمق البحار والمحيطات، بل كانوا يبحرون بمحاذاة الشواطئ[3].

تميز التواجد الفينيقي في بلاد المغرب في الفترة الممتدة بين نهاية القرن الثاني عشر إلى غاية القرن التاسع ق.م بكونها تمثل مرحلة ارتياد واستكشاف، ذلك أن الآثار المادية التي تركها الفينيقيون التي تعود إلى هذه الفترة نادرة جدا[4].

3- مرحلة الاستقرار وتثبيت الاستيطان: بلغت صور ذروة مجدها في غضون الألف الأولى قبل الميلاد، عندما تفوقت على المدن الفينيقية الأخرى خلال القرن الثالث عشر قبل الميلاد في قيامها بتحويل المحطات التجارية الفينيقية إلى مدن استقرت فيها جاليات من سكان المدن الفينيقية الأصلية[5]، وذلك منذ القرن الثاني عشر قبل اليلاد. وحتى إذا شاركت بعض المدن الفينيقية الأخرى في عملية الاستيطان تلك، فقد فعلت ذلك تحت راية مدينة صور وبأمر منها[6].

استطاع الفينيقيون تأسيس وامتلاك شبكة واسعة وهامة من المراكز والمحطات التجارية على السواحل الغربية للمتوسط، وبلغ عددها على سواحل شمال إفريقيا حوالي ثلاثمائة محطة ومركز تجاري[7]، إذ كانت رحلاتهم التجارية نحو غرب المتوسط وبخاصة نحو قادس الإسبانية وليكسوس

---

[1] Pline L'Ancien , Histoire Naturelle, Texte traduit par J.André, Collection des Universités de France, 1962, XIX, p 63.

[2] محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية والتراثية، المرجع السابق، ص13.

[3] مع استثناء المضائق التي كانوا ينفذون منها بين كتل اليابسة، مثل: البسفور بين آسيا وأوروبا، وجبل طارق بين أفريقيا وأوروبا، ودوفر بين فرنسا وبريطانيا، وربما أيضا المضائق الواسعة نسبيا، مثل: ما بين اللاذقية وقبرص، وبين صقلية وتونس، وبين الجزر اليونانية بما فيها جزيرة كريت وغيرها. ينظر: عبد العزيز الصويعي، تاريخ الحضارة الليبية، المرجع السابق، ص 109.

[4] فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو امبراطورية البحر، تر: عز الدين أحمد عزو، ط1، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع،دمشق،1996،ص 43

[5] محمد بيومي مهران، المغرب القديم، المرجع السابق، ص 173.

[6] محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية والتراثية، المرجع السابق، ص14.

[7] شريف محمد الهادي، تاريخ تونس، تر: محمد الشاوش، ط3، دار سراس للنشر، 1988، ص 15.

على المحيط الأطلسي دافعا قويا لتمتين العلاقات مع المغاربة القدماء، هذه الأخيرة التي تطورت لتجسد الحضور الفينيقي في كافة أرجاء المغرب القديم[1].

وبمرور الوقت تطورت العلاقات بين الطرفين وقامت تجارة رائجة في المنطقة على أساس الاستيراد والتصدير، فتطورت تلك المحطات التي كانت في أساسها قرى صغيرة شيئاً فشيئاً إلى قرى كبيرة، بسبب تزايد عدد الفينيقيين فيها، والذين تركوا وطنهم دون أن تكون لديهم أدنى فكرة بالعودة، فاستقروا فيها حاملين معهم تنظيماتهم الأصلية الاجتماعية والثقافية إلى جانب اللوبيين[2].

فحرصوا على اختيار مواقعها جغرافياً: فمن ناحية البحر بأن يكون شاطئها صالحا لرسو السفن، ومن ناحية البر بأن يكون لها ظهيراً زراعياً يمدها بالغلال الزراعية اللازمة لمعيشتهم وتجارتهم، وأن تكون المسافة بين المحطة والأخرى محددة بمسيرة يوم واحد عبر البحر، وسادت بين الطرفين علاقات سلمية قائمة على أساس حسن الجوار تمثلت في التعامل الاقتصادي والاجتماعي والحضاري بشكلٍ عام بين سكان البلاد الأصليين والجماعات الوافدة[3].

ويبدو أن هذا الاستيطان كان يستجيب للمتطلبات الداخلية والخارجية للمدن الفينيقية كامتصاص الفائض السكاني التي كانت تعاني منه فينيقيا، وحماية المكتسبات في حوض البحر التوسط من الأطماع الأجنبية من جهة والعمل على الاستغلال الأحسن للمستوطنات ودعم الوطن الأم من جهة أخرى، لم يختر الفينيقيون مواقع هذه المستوطنات بمحض الصدفة وإنما لتوفر بعض الشروط التي ينشدوها في كل موقع فينيقي يصلح للاستقرار كمحطة على الطريق[4].

---

[1] عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، ط1، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2001، ص100.

[2] راضية أبو عجيلة صالح بن خليفة، أوجه التشابه والاختلاف بين الاستيطان الفينيقي والإغريقي في ليبيا القديمة، ط1، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ليبيا، 2009، ص157.

[3] نفسه، ص 157.

[4] Cintas P , Fouille puniques à Tipaza Peuve Africaine 1949, P 01.

وقد شكلت هذه المستوطنات همزة وصل هامة بين شرقي المتوسط وغربه، بل كانت الصورة الحقيقية للحضور الفينيقي البوني في المنطقة.(**ينظر الخريطة رقم:04**

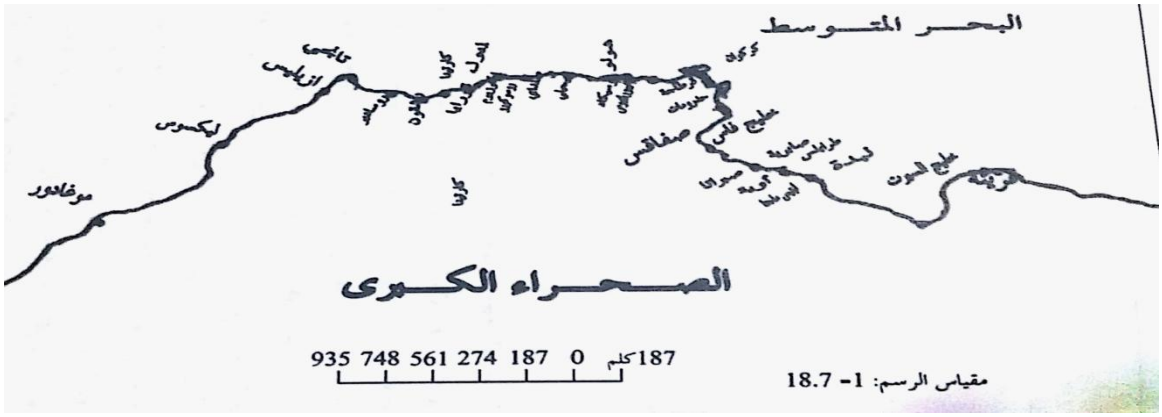

خريطة رقم 4 المستوطنات الفينقية في بلاد المغرب القديم.

نقلا عن: غانم، المظاهر الحضارية، ج.2، المرجع السابق، ص90.

المبحث الثاني: تأسيس الدولة القرطاجية والمدن الثلاث.

أولا– تأسيس الدولة القرطاجية: كانت قرطاجة منذ نشأتها الأولى، تمثل مستوطنة فينيقية هامة في الحوض الغربي للبحر المتوسط، حيث كان لها تأثيرات حضارية واجتماعية مهمة في بلاد المغرب.

1– قرطاجة بين الأسطورة والحقيقة التاريخية: تكاد تتفق المصادر على اعتبار سنة 814 ق.م سنة تأسيس قرطاجة[1] من طرف الأميرة "عليسة" التي فرت من شقيقها "بقماليون"[2] بكنوز زوجها "عشرباص" الذي أغتاله صهره.

والروايات التي تروي قصة تأسيس قرطاجة بالرغم من أهميتها التاريخية، لكنها محاطة أيضا بالاساطير، مما يصعب تحديد الظروف والأسباب الحقيقية لتأسيس هذه المدينة، والمعطيات المتنوعة وصلتنا خاصة من "تيمايوس التاورومى" (Timée) (340-250 ق.م) الذي اطلع على النصوص البونيقية وكان بامكانه أن يستخبر مباشرة من القرطاجيين، و"ميناندروس الافيسوسى" (Ménandré, d'Ephese) الذي استند على الحوليات الصورية، وأخيرا من يوستينوس (Justin) الذي عاش في القرن الثاني الميلادي[3].

وقد أورد ستيفن قزال رواية "جوستين" كالتالي: **" ترك موتو (Muto) ملك صور وريثا له هو ابنه "بيغماليون" وكذلك ابنته "عليسة" وكانت فائقة الجمال لكن الشعب آثر**

---

[1] يؤكد ستيفن غزال تاريخ تأسيس قرطاجة بقوله:**" إن قرطاجة أسسها الصوريون بالتأكيد، على أرجح الظن في سنة 813–814 ق.م في عهد الملك بِقماليون"**. ينظر: ستيفن غزال، المرجع السابق، ص 317؛ ويذكر أحمد الفرجاوي إن المعطيات الأثرية الحالية تفيد وجود علاقات تجارية كانت تربط قرطاجة بالشرق الفينيقي من ناحية، والعالم الإغريقي من ناحية أخرى، في الربع الثاني من القرن الثامن، وتشهد على أن تأسيس هذه المدينة حدث قبل تلك الفترة. ولذا فهي تحث على الثقة في التاريخ المتداول (814-813 ق.م) أو على الأقل في فترة قريبة منه. ينظر: أحمد الفرجاوي، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون والمعهد الوطني للتراث، تونس، 1993، ص29.

[2] **بقماليون:** ملك صُور، خلف أباه "ماتان" حكم أولا مع أخته اليسا لكنه انفرد بعد ذلك بالحكم لمدة سبعة وسبعين عاما، في السنة السابعة من حكمه قتل "هيابارص" زوج أخته ليخرج أول فصل من تاريخ قرطاجة. ينظر: فرانسوا دوكريه، المرجع السابق، ص 57.

[3] محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، ط1، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1992، ص ص 44-45.

تسليم الملك إلى بيغماليون أما عليسة فتزوجت عمها "هيابارص" الكاهن الأعظم لمعبد الربة "عشتروت"[1]. وقد عُرفت أليسا كذلك باسم ديدون (المتجول-الهائم)[2].

كان "هيابارص" يمتلك ثروة كبيرة خبأها في باطن الأرض خوفا من الملك، لكن بيغماليون تمهيدا للإستيلاء عليها قتل عمه وصهره في نفس الوقت، فصارت عليسة تكن له حقدا كبيرا، ثم راحت تحضر عملية فرارها سرا، كانت جزيرة قبرص أول محطة في سفرهم وتواصلت الرحلة إلى أن وصلت إليسا إلى أحد خلجان إفريقيا، سعت لتنال مودة السكان الذين أحسوا بالسعادة لوصول هؤلاء الأجانب الذين سيمكنهم الاتجار معهم بالمبادلات[3]. ثم إنها اشترت قطعة أرض[4] تكفي لبناء "قِرتْ حَدَشتْ" (Qrt hdšt) التي تعني المدينة الجديدة[5] وهو ما فسر على أن المدينة قد ورثت مركزا أكثر قدما منها في ذلك الموقع، أو أنها أُلحقت به، وبالتالي قد تعني مدينة جديدة بالنسبة "لأوتيكا" الأقدم منها والتي لا تبعد عنها سِوى ثلاثين كلم[6]. وهكذا تأسست قرطاجة بموافقة الجميع. وحددت إتاوة سنوية عن كراء الأرض[7].

بنيت المدينة في خليج "أوتكنسيس" (خليج تونس حاليا)، وقد أُختير مكانُ التأسيـــــس

---

[1] **عشتروت**: أم الالهة وزوجة الاله ايل، لها مفهومان مفهوم خير وهو الخصب ومفهوم مدمر وهو الحرب والقتال، غالبا ما صورت وعلى رأسها قرنا كبش كما صُورت على شكل امرأة عارية تقف غالبا على ظهر أسد، ترمز إلى الخصوبة والأمومة. ينظر: رينيه ديسو، الديانات السورية القديمة، تر: موسى الخوري، الأبجدية للنشر، دمشق، 1969، ص ص 42-43.

[2] فيرجيل، الأنيادة، تر: عنبرة سلام الخالدي، دار العلم للملايين، بيروت، 1975، ص 89.

[3] اصْطيفان أكْصيل، تاريخ شمال أفريقيا القديم، تر: محمد التازي سعود، ج1، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 2007 ، ص ص 302 - 305

[4] يقولون في التاريخ القديم أن الأميرة طلبت من الملك اللوبي أن يبيعها قطعة من الأرض تسع جلد ثور. فقال الملك وجماعته لنسلم إليها هذه القطعة ولنعلم بعد ذلك ماهي فاعلة بها. وهذه البقعة لا تكفيها لنصب خيمة فلما تم عقد البيع، أخذت جلد ثور كبير وقطعته إلى شرائط رقيقة جدا وأدارتهم حول المركز الذي عزمت على تخطيطه، فكان مساحة كبيرة. ولم يسع الملك وجماعته إلا قبول ذلك الطلب. ولا شك أنه قد أعجب في نفسه بهذه الحيلة اللطيفة. غير قارئ لعواقبها أي حساب. ينظر: أحمد توفيق المدني، قرطاجنة في أربعة عصور من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.ص 25.

[5] هنري عبودي، المرجع السابق، ص 682.

[6] فرانسوا دوكريه، قرطاجة أو امبراطورية البحر، المرجع السابق، ص 53.

[7] اصْطيفان أكْصيل، ج1، المرجع السابق، ص 305.

بعناية فائقة، فهو يقع وسط الطريق الواصل بين شرق وغرب المتوسط[1]، كما أنه يعتبر موقعا محميا طبيعيا بفضل كثرة الرؤوس البحرية المجاورة له كرأس "ديماس" و"كاب بون"[2].

على ضوء هذه الرواية، يمكن الاستنتاج أن تأسيس قرطاجة كان نتيجة للصراع بين القصر والمعبد[3]، لكن هذه الفرضية تصطدم بغياب البغضاء والعداوة بين قرطاجة وصور في أخبار القدامى، وبالمقابل أخبرنا هؤلاء بالاعتبار الكبير الذي كانت تكنه قرطاجة لمدينة صور[4]، عبر تاريخها[5]، وبالتالي فالمرجح أن تأسيس المدينة الجديدة كان عملا منظما جرى تحضيره رسميا من طرف حكومة صور[6]، التي كانت مكتظة آنذاك بما يزيد عن حاجتها من السكان، كما كانت مهددة على الدوام من الممالك المجاورة لها[7] وهذا أقرب إلى المنطق.

وهكذا انطلق على ظهر أسطول كبير محمل بكنوز معتبرة حشد كبير متمثل في النخبة الأرستقراطية ورجال المعبد والملاحين والخدم، وقدمت لهم قبرص –عند مرورهم بها– الولاء الديني، والمعروف أن الجزء الشرقي من قبرص كان تابعا لمنطقة النفوذ الفينيقي، كما ان "عوتيقة" سارعت بإرسال الهدايا إلى الوافدين الجدد. كل ذلك يقدم أبلغ دليل على أن الرحلة البحرية تمت برعاية ومساندة "صور" لتأسيس "صور" جديدة تخدم مصالحها السياسية والاقتصادية وترعاها[8].

---

[1] Gras (M) & Rouillard (R) & Texidor (J), L'univers phénicien, Paris, édit Arthaud, P140.

[2] ستيفن غزال، ج1، المرجع السابق، ص 298.

[3] محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 46.

[4] فاسم بيغماليون الذي شاع استعماله في قرطاج. وجد مكتوبا في النقوش، البنوية التي تربط قرطاج بصور، أكَّدتها قصة تلك البعثات التي كانت تنطلق كل سنة من قرطاج، لتحمل الجزية إلى الوطن الأم. للمزيد ينظر: مادلين هورس ميادان، تاريخ قرطاج، تر: إبراهيم بالش، ط1، منشورات عويدات، بيروت، 1981، ص 40.

[5] محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 46.

[6] أحمد السليماني، المكنون الحضاري الفينيقي القرطاجي في الجزائر، ط1، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، الجزائر، 2007، ص 63.

[7] عبد المنعم المحجوب، رحلة حنُّون والطواف حول الأرجاء الليبيّة وراء أعمدة هرقل، ط1، دار تانيت– مجلة لسان العرب، تونس، 2012، 14.

[8] أحمد السليماني، المرجع السابق، ص 63.

2- تشكل الامبراطورية القرطاجية: وقع الاختيار على قرطاج لتصبح "المدينة الجديدة" لأن أصلها ملكي ولأن قسماً من ارستقراطية صور قد هاجر مع ثرواته إليها[1]. لكن استطاعت قرطاجة مع مرور الوقت أن تظهر كمدينة مستقلة مستغلة ضعف صور وبقية المدن الفينيقية الشرقية بعد سقوطها في يد ملك الأشور "نبوخذ نصر" سنة 574 ق.م[2]، وهكذا غدت قرطاج صوراً جديدة جديدة وذاعت شهرتها لموقعها الجغرافي ولأنها ورثت عن مدينة صور دورها التاريخي[3].(**ينظر الشكل رقم:20**)

شكل رقم 20: مخطط مدينة قرطاجة.

نقلا عن: غانم، المظاهر الحضارية، ج.2، المرجع السابق، ص 107.

[1] مادلين هورس ميادان، المرجع السابق، ص 51.

[2] Cintas (P), Manuel d'archéologie punique, Paris, 1970, p56.

[3] مادلين هورس ميادان، المرجع السابق، ص 51.

وإذا كانت بداية قرطاجة متواضعة وظلت تدفع الجزية للأهالي لمدة أزيد من ثلاثة قرون (814-480 ق.م)، فإنها سرعان ما تمكنت من فرض نفسها كقوة ابتداء من القرن الخامس، وتطورت من مركز تجاري إلى قوة بحرية تعمل على السيطرة على الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط[1]، وأصبحت مسؤولة على إمبراطورية مترامية الأطراف[2]، قاعدتها في شمال أفريقيا وامتدادها وصل حتى سردينيا وصِقلية الغربية وجزر البليار وسواحل اسبانيا[3].

وقد ترتب عن ذلك أن احتكرت قرطاجة تجارة الحوض الغربي للبحر المتوسط وألزمت روما وحلفائها بعدم تعاطي التجارة على شواطئه الجنوبية قبل أخذ إذن القرطاجيين. ولعل دليل القوة ذلك كان قد تمثل في المعاهدات التي كانت قد أبرمتها قرطاجة مع روما خلال تلك الفترة والتي كانت في معظمها لصالح القرطاجيين، لاسيما المعاهدة الثانية منها (348 ق.م) والتي كانت معظم بنودها لصالح القرطاجيين[4].

سبَّبت سياسة التوسعات التي اعتمدتها الإمبراطورية القرطاجية خاصَّة في السواحل الجنوبية الأوروبية تنافسا كبيرا، انقلب إلى حُروب طويلة مع الإغريق أولا بين سنوات (480-264 ق.م)، ثم مع الرومان بين سنوات (264-146 ق.م) والتي عرفت في كتب التاريخ بالحروب البُونية (Bellum-Punicum)[5].

ثم استمر الأمر يسير على تلك الوتيرة حتى القرن الثالث ق.م، حيث فقدت قرطاجة سيادتها على صقلية وإسبانيا، ثم انكمشت حدودها السياسية عقب نهاية الحرب البونية الثانيـــــة

[1] أسهمت أسرة "ماغون" القرطاجية الغنيَّة بشكل بارز في بناء عظمة المدينة. فقد أوقف الماغونيون بين سنة 535 وسنة 450 ق.م المسيح التوسع اليوناني في المتوسّط. ورعوا التجارة في اسبانية وجزر البليار وجزيرة سردينية وفي جزء من صقلية، ورفع هؤلاء عن كاهل قرطاج الجزية التي كانت تدفعها للافريقيين منذ تأسيسها. للمزيد ينظر: نفسه، ص 54.

[2] محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 47.

[3] Fantar (MH), Visite de Carthage, Tunisie, Maison tunisienne d'Edition, 1973, p 05.

[4] محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية والتراثية، ج3، ص26.

[5] Gsell (S), Histoire Ancienne de L'Afrique du Nord, T2, Tunis: Librairie Hachette, Paris, 1913,1927, PP 460-461.

201ق.م فاقتصرت على شمال تونس[1].

وقام م.ليقلي (M. Le Glay) بدراسة تاريخ قرطاجة، مُبيِّنا التطورات التي طرأت عليها، حيث قسمه إلى سبع مراحل تاريخية هي:

1- القرن الثاني عشر ق.م: نزول الفينيقيين في صالمبو (Salambo).

2- القرن التاسع ق.م: تأسيس قرطاجة من طرف معمرين صوريين وقبارصة.

3- نهاية القرن السابع: تأسيس القوة القرطاجية.

4- القرن السادس: قرطاجة مدينة شرقية.

5- القرن الخامس: تراجع قرطاجة ودخولها إلى إفريقيا.

6- القرن الرابع: الصراع مع الإغريق.

7- القرن الثالث وما بعده: الحروب البونيقية وتدمير قرطاجة 146 ق.م[2].

ثانيا- تأسيس المدن الثلاث: لابد أن يكون الفينيقيون أثناء رحلاتهم التجارية إلى غرب البحر المتوسط قد مروا بالساحل الليبي للاحتماء به عند اشتداد العواصف بسبب عدم قدرة سفنهم على الإبحار في عرض البحر، ولهذا أسسوا مراكز عليه للتزود بالمؤن والماء وتصريف بضائعهم وتحميل المنتجات المحلية عن طريقها والراحة فيها من عناء السفر الطويل[3]، وهذه المراكز هي كاراكس (Charax) (سلطان الحالية) وماكوماديس (Macomades) (سرت الحالية) وماكوماكا (Macomaca) (تاورغاء الحالية)، ولبدة الكبرى وويات (Uiat) (طرابلس الحالية) وصبراتن (Sabratan) (صبراته الحالية) وزوخيس (Zuchis) (بحيرة البيبان) وتكاباي[4]، ولم تصبح بعض هذه المراكز ثابتة إلا في فترة متأخرة تحت حماية مستوطنة قرطاجة والتي

[1] محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية والتراثية، ج3، ص18.

[2] Le Glay. (M), Nouveauté punique, R.Af.N°432-433, 1952, p 415.

[3] عبد اللطيف البرغوثي، المرجع السابق، ص 305.

[4] محمد علي عيسى، مدينة صبراته منذ الاستيطان الفينيقي حتى الوقت الحاضر، الإدارة العامة للبحوث الأثرية والمحفوظات التاريخية، طرابلس، 1977، ص ص 8-9.

أصبحت على قدر كبير من النفوذ والقوة[1].

1- لبدة: تطورت بعض هذه المراكز إلى مستوطنات دائمة والتي من أهمها مستوطنة لبدة وإسمها على ما يبدو مأخوذ من الاسم الفينيقي (لبقى) أو (لفقى) وأقدم ذكر لهذا الاسم ورد من خلال العملة القرطاجية والتي تعود للقرن الأول ق.م والبعض الآخر إلى أوائل القرن الأول الميلادي[2]، وذكر سالوست أن مجموعة من مهاجري مدينة صيدا خرجوا من مدينتهم نتيجة صراعات داخلية بين السكان نتج عنها خروجهم منها وذهابهم اتجاه الغرب، حيث أسسوا مستعمرة لبدة[3]، ولم تستوطن المدينة بصفة دائمة قبل أواخر القرن السادس ق.م[4].

2- صبراته: تعتبر المراكز التي أنشأها الفينيقيون على الساحل الغربي من الإقليم مستوطنة صبراته، وقد ذكرها الشاعر سيليوس[5] إيتاليكوس (Silius Ltalicus) عندما تحدث على أن مهاجرين من مدينة صور قد أسسوا صبراته بعد خروجهم من بلادهم الأصلية[6]، وعلى ما يبدو فإن تاريخ تأسيسها غير محدد بصورة واضحة كون المصادر القديمة لم تذكرها في نصوصها قبل نهاية القرن الرابع ق.م، وقد ظهر اسم صبراته على العملة البونيقية على هيئة صبراتن (Sabratan) خلال القرن الأول ق.م بالإضافة إلى كتابة اسمها في النقوش اللاتينية بصيغة صبراته (Sabratha)[7].

3- ويات(طرابلس): تعتبر طرابلس من المراكز الهامة والتي جاء اسمها على ما يبدو من تسمـــــية

---

[1] عبد اللطيف البرغوثي، المرجع السابق، ص 306.

[2] طه باقر، لبدة الكبرى، الإدارة العامة للآثار ليبيا، طرابلس، دت، ص 16.

[3] عبد الحفيظ الميار، المرجع السابق، ص 111.

[4] نفسه، ص 112.

[5] **سيليوس أيتاليكوس**: (ولد سنة 25م وتوفي سنة 101م) شاعر ملحمي لاتيني وهو مؤلف الملحمة البونيقية التي تعتبر أطول ملاحم الشعر اللاتيني، فهي تحتوي على أكثر من أثني عشر ألف بيت شعر تحدث فيها عن حرب الرومان الثانية ضد القرطاجيين، وتحدث فيها عن الجرامنت. ينظر: أندريه لاروند، برقة في العصر الهليسنستي من العهد الجمهوري حتى ولاية أغسطس، ط1، تر: محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 2002، ص 219.

[6] أحمد أنديشة، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث، ط1، الدار الجماهرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراتة، 1993، ص 35.

[7] أحمد أنديشة، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث، المرجع السابق، ص 10.

القبيلة اليبية المعروفة بـ آيات (Ait) وقد وجدت عملة فينيقية عليها صيغة ويات، وهي إحدى التسميات القديمة لهذه المستوطنة[1]، ولم يعرف تاريخ تأسيس مستوطنة ويات وقد رجح بعض الباحثين تعود إلى القرن الخامس ق.م[2]، وقد ذكر الشاعر "سيليوس إيتاليكوس" أن ويات استعمرت من قبل سكان جزيرة صقلية الفينيقيين بعد هجرتهم من بلادهم الأصلية إلى هذه الجزيرة، ومنها إلى تأسيس مستوطنة ويات بالتعاون مع السكان اللوبيين بما يتماشى ومصلحة الطرفين[3].

يتبين مما سبق أن معرفة الفينيقيين بالحوض الغربي للبحر المتوسط كانت مبكرة، حيث استوطنوه وأسسوا مراكزهم التجارية فيه، ولم تلبث تلك المراكز أن تحولت إلى مستوطنات دائمة أصبحت قبلة لإخوانهم في الشرق بعد أن ضاقت بهم السبل، وما لبثت إحدى تلك المستوطنات –قرطاجة– أن نمت وتطورت بشكل سريع، وأصبحت زعيمة للعالم الفينيقي في غرب التوسط. وهناك عدة أسباب رئيسية جعلت الفينيقيين ينجحون في استقرارهم في بلاد المغرب منها: الموقع الجغرافي الممتاز الذي سمح لهم بإنشاء مرافئ صالحة لرسو سفنهم، وتوفر المحاصيل الزراعية، ووجود المياه الصالحة للشرب، وتوفر الحيوانات البرية.

إضافة لذلك فإن طبيعة الفينيقيين السلمية وعدم ميلهم للعنف كان لها دور كبير في استقرارهم، حيث عرفوا كيف يستميلون السكان المحليين عن طريق التعاون والتبادل التجاري.

[1] محمود الصديق أبو حامد ومحمود عبد العزيز النمسي، مدينة طرابلس منذ الاستيطان الفينيقي حتى العهد البيزنطي، مصلحة الآثار، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1978، ص ص 8-9.

[2] أحمد أنديشه، المرجع السابق، ص 36.

[3] رجب عبد الحميد الأثرم، المرجع السابق، ص 196.

الفصل الثاني:

التواصل الاجتماعي اللوبي – القرطاجي.

المبحث الأول: الروابط الاجتماعية اللوبية – القرطاجية.

المبحث الثاني: مظاهر من التأثيرات الاجتماعية المتبادلة اللوبية – القرطاجية.

لما حلت سفن الفينيقيين في ربوع بلاد المغرب القديم في نهاية الألف الثاني ق.م، كانت البلاد مأهولة بالسكان الأصليين فتعايشوا مع اللوبيين، الذين كانوا يعمرون هذا المجال من السرت الأكبر إلى المحيط الأطلسي، ويكونون "وحدة عرقية حضارية" لها مميزاتها اللغوية والبيئية وسبل عيشها، ونشاط متواصل في مجال البحر المتوسط وعلاقات كثيفة مع الشعوب التي كانت تعيش في سواحله جمعت بينها عناصر حضارية متوسطية جلية في سائر الأقطار المطلة على البحر[1].

المبحث الأول: الروابط الاجتماعية اللوبية–القرطاجية: إن أول ظاهرة اجتماعية يلمسها الدارس لتأثير الفينيقيين الوافدين على بلاد المغرب هي الامتزاج الواضح والانفتاح الحضاري فقد أصبح بذلك المجتمع المغربي مجتمعاً مختلطاً تبلورت فيه أنماط جديدة مما ساعده على الانتقال من مجتمع منعزل نسبياً قائم على النظام القبلي المحدود في نشاطاته الاجتماعية إلى مجتمع ذو فعالية في تاريخ منطقة البحر الأبيض المتوسط والقارة الأفريقية[2].

ومن بين العوامل التي ساعدت على التواصل الاجتماعي طول مدة التواجد الفينيقي في بلاد المغرب يعود إلى فترة زمنية مبكرة، عندما كان الفينيقيون يقومون برحلاتهم الاستكشافية. ولكن من المؤكد أن الاستقرار الفينيقي في بلاد المغرب قد بدأ في نهاية الألف الثانية ق.م عندما بدأوا في تأسيس المحطات والمراكز التجارية التي تطورت إلى مدن[3].

وبتأسيس قرطاجة في 814 ق.م كان قد مرَّ حوالي ثلاث قرون من الزمن على التواجد الفينيقي في بلاد المغرب، واستمرت قرطاجة لأكثر من خمسة قرون ونصف إلى غاية تدميرها على يد سيبيون الإيميلي في 146 ق.م[4]، أي قرابة التسعة قرون من الزمن بشكل دائم ومستمر جعل الشعبين القرطاجي واللوبي يعيشان جنبا إلى جنب في نفس المجال الجغرافي، وهذا ما سمح للوبيين ملاحظة جيرانهم والاحتكاك معهم ثم التأثر بهم.

[1] الطاهر ذراع، المرجع السابق، ص. ص 60-61.

[2] مسعودي أحمد، التأثيرات الثقافية والاجتماعية للسكان الوافدون على بلاد المغرب القديم، قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية، العدد التجريبي، جامعة تلمسان، ديسمبر، 2008، 181.

[3] محمد الصغير غانم، التوسع، المرجع السابق، ص ص 88-100.

[4] نفسه، ص04.

وقد تنبّه قوتيه (E.F. Gautier) إلى أهمية وأثر العامل الزمني في التأثير الحضاري القرطاجي على اللوبيين حيث قال: **"ومن واجبنا أن لا نغفل أثر الفينيقيين في أفريقيا والمغرب ذلك الأثر الذي دام نحو ألف عام أي بمعدل ضعفي عمر الإمبراطورية الرومانية وذلك في الفترة الواقعة بين منتصف القرن الثاني عشر ق.م وسنة 146 ق.م السنة التي دمرت فيها قرطاجة"**[1]. وبالتالي طول المدة الزمنية من بين العوامل الأساسية التي جعلت الشعبين يقيمان علاقات بينهما مختلفة ومثمرة.

إضافة لذلك فإن عامل الجوار بين القرطاجيين وسكان بلاد المغرب يبرز كعامل من العوامل الأساسية التي أدت إلى انتقال التأثير القرطاجي نحو المغاربة.

ويبدو أن الحدود الفاصلة بين القرطاجيين والنوميديين تمثل نقاط التواصل بينهما[2].فتوسيع قرطاجة والمدن التابعة لأقاليمها بعد القرن الخامس جعل بعض النوميديين يدخلون ضمن حدودها ويخضعون لسيطرتها السياسية ومن ثمة تأثروا بها اجتماعيًا وثقافياً.

تنوعت العلاقات اللوبية الفينيقية بين الطرفين، فكانت سلمية في كثير من الأحيان، وعدائية في أحيان أخرى، وللتعرف على ذاك التنوع في العلاقات بين الطرفين، تم تقسيمها وفقاً للتسلسل الزمني والتاريخي، أحدهما يمثل الجانب السلمي، ويشمل الفترة الممتدة منذ وصول الفينيقيين إلى غاية القرن الخامس ق.م والآخر يمثل الجانب العدائي، ويشمل الفترة منذ ظهور قرطاج كإمبراطورية نامية قوية في القرن السادس ق.م وتزعمها السيادة على كافة المستوطنات الفينيقية في غربي حوض المتوسط حتى نهايتها وتدميرها على يد الرومان سنة 146 ق.م.

أولا– منذ البدء وحتى القرن الخامس ق.م: إن أهم ما يميّز هذه الحقبة هي قوة الروابط والمبادلات التي قامت بين الطرفين اللوبي والقرطاجي وعلى جميع المستويات من مظاهر الحياة، سواء في الروابط الاجتماعية أو في اللغة والعقيدة والفن والعمارة، إلا أن هذا الجانب يعد موضوعا شائكا بسبب قلة المصادر الكتابية والمادية التي تخص تطور هذه العلاقات بين الشعبين القرطاجي

[1] Gautier.(E.F), Le passé de l'Afrique du nord, siècles obscures, Payot, Paris, 1952, P 43.

[2] محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية، ج2، المرجع السابق، ص 328.

واللوبي، ولكن هذا لا يعني انعدام الوثائق إطلاقا لأن الواقع يثبت وجود وثائق نادرة تسلط وتكشف على بعض أوجه الروابط بين القرطاجيين واللوبيين في وقت مبكر يعود إلى فترة القرن الخامس ق.م[1].

1- المجتمع اللوبي وموقفه من الاستيطان الفينيقي الباكر: فيما يخص الاستيطان المبكر للفينيقيين وعلاقتهم باللوبيين القدماء لا يوجد في هذا المجال وثائق كثيرة يعول عليها في الحصول على أخبار موثوقة عن أحوال الفينيقيين واللوبيين القدماء ويمكن استثناء ما ورد في الكتاب المقدس العهد القديم أي التوراة حول بعض الأخبار والتي تشير إلى البواخر الفينيقية وبحاريها الذين كانوا يتاجرون مع "قادس" في غرب المتوسط، وجاء ذكر اللوبيين، فكل هذا إشارة إلى علاقات عابرة ولكنها غير واضحة كما هو الأمر بالنسبة إلى الفترة اللاحقة التي نرى فيها هذه العلاقات أكثر وضوحا مع العلم أنه قبل اعتلاء أسرة "ماجون" في القرن السادس ق.م العرش في قرطاجة، نجد أن القرطاجيين لم يكن في حوزتهم أي تراب محدد الذي يمكن اعتباره كمركز تبادل وعلاقات مع الجيران اللوبيين[2].

حيث لم تكن قرطاجة –حتى القرن الخامس- سوى قوة بحرية مهيمنة على قسم كبير من سواحل الغرب، وليس لها مع ذلك منطقة حكم مباشر في إفريقيا. بحيث أن البلاد خارج أسوار قرطاجة كانت ملكا للأهالي، بل كانت هي تؤدي منذ تأسيسها إتاوة سنوية عن استأجار التربة التي قامت عليها[3].

وفي الحقيقة أنه بسبب قلة المصادر التاريخية والمادية يجد الباحث نفسه عاجزا أمام بداية ونوعية العلاقات الباكرة الفينيقية اللوبية في غربي المتوسط لأننا إذا تمعنا في طبيعة هذه العلاقات في فترات قديمة نجد إشارات تاريخية يغلب عليها الطابع الأسطوري في الغالب وفي المصادر التي تذكر لنا بعض الإشارات إلى تلك العلاقات، لدينا ما ذكره المؤرخ الإغريقي "تيميوس" ونقلها عنه فيما بعد المؤرخ "جوستانيوس" وتشير هذه المصادر الآنف ذكرها أن اللوبيين في أول وهلة كانوا قد

[1] أحمد السليماني، المرجع السابق، ص 123.
[2] نفسه، ص 124.
[3] أصطيفن غزال، ج1، المرجع السابق، ص 361.

رحبوا بالتجار الفينيقيين الذين جاءوا بلادهم وذلك لأنهم كانوا مسالمين وغايتهم سلمية فهي لا تتعدى إنشاء مراكز تجارية تتم فيها المبادلات[1].

لقد كانت العناصر البشرية المكوّنة للمجتمع اللوبي القديم قبل وصول الفينيقيين محلية خالصة، إذ كانت تتكوَّن من العرق اللوبي، وأولئك يعودون في جذورهم الأولى في فترة ما قبل التاريخ إلى الإنسان العاتري والقفصي والوهراني والمشتوي الذي نشأ في بلاد المغرب القديم، ولعل ذلك يعني أن العناصر البشرية الوافدة من الفينيقيين لم تكن لتشكِّل زيادة سكانية ذات تأثير واضح المعالم في النَّسيج الاجتماعي اللوبي الأصيل[2].

في الوقت الذي استوطن فيه الفينيقيون المناطق الساحلية لبلاد المغرب القديم، كانت القبائل اللوبية غير مستقرة تجوب المناطق الساحلية والمناطق الداخلية مثل قبائل النسمونيين وقبائل اللوتفاجيين، وهذا ما سمح للفينيقيين بالاستقرار في مناطق كان يقطنها اللوبيون موسمياً، وهذا هو الذي أدى بدوره إلى تغيير طفيف في النسيج الاجتماعي لسكان المغرب القديم خلال الألف الأولى ق.م، أي في عصر الرحلات الفينيقية البحرية الأولى لكن في مناطق خصبة ومحددة[3].

وفي هذا السياق نعود لرواية تأسيس قرطاجة التي أشرت إليها، ويعنينا هنا ما تذكره الرواية عن الأهالي "الماكسيتاني" وملكهم "هيرباس" الذين تعاقدت معهم المجموعة المؤسسة لقرطاج على دفع ضريبة سنويّة[4]، عربونا للصداقة وحفاظا للمكان الذي أنشأوا فيه مدينتهم الجديدة[5]، وقد دام ذلك في بداية تأسيس قرطاجة حتى القرن الخامس ق.م[6].

هذا ما أعطى المؤرخين المهتمين بالدراسات البونية وخاصة المؤرخ محمد الصغير غانم إشارة تاريخية مهمة ألا وهي: إنه كان هناك نظام قبلي منظم يحكمه شخص عرف باسم "هيرباس" كان

[1] محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية والتراثية، ج2، المرجع السابق، ص321.

[2] مها عيساوي، المرجع السابق، ص 183.

[3] نفسه، ص183.

[4] الشاذلي بورونية محمد طاهر، قرطاج البونيّة تاريخ حضارة، مركز النشر الجامعي، تونس، 1999، ص 194.

[5] لكن المؤسف أن معرفة طبيعة التنظيم السياسي للأهالي المذكورين ومدى قدرتهم على فرض التزام ضريبي على قرطاج تبقى محدودة جداً. ينظر: نفسه، ص 194.

[6] أحمد السليماني، المرجع السابق، ص 124.

يفوض له الاضطلاع بشؤون قبيلته، مما يدل على قدم النظام السياسي والاجتماعي للوبيين في المغرب القديم[1].

2- التواصل السيميائي بين اللوبيين والفينيقيين: يعد جهل الطرفين لغة الآخر حافز للتوصل إلى ابتكار لغة إشارات وإيماءات وطرق معاملات سيميائية مفهومة عالميا، ولذلك يعد نص المساومة الصامتة الذي أورده هيرودوت خير مثال لعملية التفاهم فيما بين اللوبيين والوافدين الفينيقيين وكذا طبيعة العلاقات السلمية الباكرة فيما بينهما، ومضمون النص كالآتي: **"يوجد خارج أعمدة هرقل منطقة في ليبيا، يعيش فيها سكان يأتي إليهم القرطاجيون ويفرغون بضائعهم على شاطئ البحر، ثم يعودون إلى سفنهم ويوقدون نارا ذات دخان لإخبار السكان الأصليين. وعندما يشاهد هؤلاء الدخان يقتربون من الشاطئ ويضعون بجانب السلع القرطاجية ذهبا مقابل البضائع ثم ينسحبون بعيدا عنها"**[2].

ثم **"ينزل القرطاجيون من جديد من سفنهم إلى الشاطئ ويتأملون الذهب، فإذا ظهر لهم أن كمية الذهب توافق قيمة البضائع يأخذونه ويعودون من حيث أتوا. وإذا ظهر لهم العكس، يعودون إلى سفنهم ثم ينتظرون. فيعود السكان الأصليون ويضيفون الذهب إلى أن يقنع القرطاجيون. طيلة هذه العملية لا يخدع أي فريق الآخر. فالقرطاجيون لا يأخذون الذهب إلا بعد أن يوافق قيمة بضائعهم، كما أن السكان الأصليين لا يمسون البضائع إلا بعد أن يأخذ القرطاجيون ذهبهم"**[3].

يلاحظ من خلال النص أن العلاقات اللوبية الفينيقية كانت سليمة ذات طابع اقتصادي[4]، استفاد منها اللوبيون في الخروج من العزلة التي كانوا يعانون منها بسبب بعد منطقتهم الجغرافية عن منطقة حضارات الشرق الأدنى القديم[5].

[1] محمد الصغير غانم، المملكة النوميدية والحضارة البونية، ط2، دار الهدى، الجزائر، 2006، ص28.
[2] هيرودوت، المصدر السابق، تر: مصطفى أعشي، المصدر السابق، ص100.
[3] نفسه، ص100.
[4] محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص99.
[5] الطاهر ذراع، المرجع السابق، ص 81.

كما يتحدث هيرودوت هنا عن ما يسمى بالتجارة الصامتة بين مجموعة بشرية لوبية والفينقيين، والسؤال الذي أطرحه هو: هل بالفعل هي تجارة صامتة؟ يعني بدون اتصال مباشر بين الجانبين، إذ كان الاتصال الوحيد يتم عبر السلع المعروضة. وأعتقد أن هذه التجارة حتى ولو أصبحت صامتة، فإنها في الأساس جاءت نتيجة اتصال، لأنه لا يمكن أن يتم تبادل سلع دون أن يكون هناك اتصال مباشر واتفاق بين الجانبين، على مجموعة الإجراءات التي يجب اتباعها ونوع السلع التي يرغب فيها كل جانب.

وبتقدم الزمن تحولت بعض المراكز الفينيقية إلى مستوطنات ومدن قارة تجمع حولها المغاربة لتسويق بضائعهم المحلية المتمثلة في جلود الحيونات وريش النعام والذهب، وبعض المعادن الأخرى غير مصنعة، وبالمقابل كانوا يبتاعون من التجار الفينيقيين كل أنواع الزينة والأواني المصنعة الزجاجية منها والمعدنية والزخرفية[1].

كما سمحت النشاطات التجارية للنوميديين بالدخول إلى المدن القرطاجية بهدف العمل فيها والمتاجرة مع المقيمين فيها، وبالمقابل سمحت للقرطاجيين بالتوغل نحو الداخل والتعريف بحضارتهم، ويقول أ. ألبرتيني (Albertini) في ذلك: **"إن التجار القرطاجيون لم يتوقفوا عند حدود تبادل السلع فقط، بل أن النوميديين الذين كانوا في علاقات دائمة معهم تعلموا اللغة والديانة البونيقية أيضا"**[2].

من خلال النص نستنتج أن التجارة لعبت دورا بارزا في تنقل التأثيرات الحضارية البونيقية إلى النوميديين وإلى أبعد الحدود، فالاحتكاك الدائم بين هؤلاء التجار سمح للمغاربة أن يتعرفوا على الحضارة القرطاجية ويتعلموا لغتهم، ويتعرفوا على المعتقدات الدّينية القرطاجية، ثم التعلق بها ومن ثم تبنيها فيما بعد.

في هذه الفترة كانت العلاقات الفينيقية اللوبية سلمية اقتصادية استفاد منها اللوبيون في الخروج من العزلة التي كانوا يعانونها في جزيرة المغرب منذ فترة ما قبل التاريخ. كذلك عرف

[1] محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية، ج2، المرجع السابق، ص321.

[2] Albertini. (E), Op-cit, p 43.

اللوبيون بفضل احتكاكهم بالفينيقيين نظام الاستقرار وتأسيس المدن. هذا إلى جانب أخذهم حروف الكتابة البونية التي كانت سببا في دخولهم الفترة التاريخية[1] وهذا ما سأحاول دراسته في هذا الفصل.

بدأت العلاقات اللوبية القرطاجية في التدهور منذ القرن الخامس ق.م وكان لذلك التدهور أسبابه الخاصة سنتطرق إلى بعضها في الصفحات الآتية:

ثانياً– ما بعد القرن الخامس وحتى ضعف قرطاجة: احتكرت قرطاج لنفسها تجارة بلاد المغرب البحرية والبرية الصحراوية، وفرضت عليها ضرائب باهضة مقابل تلك الحماية، كما طلبت من السكان مد يد العون والمساعدة من جند وموؤنة وعتاد وقت الحرب وألزمتهم بذلك –لا سيما أثناء حروبها ضد روما[2]– عندئذ تغيرت العلاقات اللوبية القرطاجية من طورها السلمي إلى طورها العدائي، ومن هنا يبدأ طور العلاقات العدائية بين الطرفين لاسيما حينما بدأ تذمر الأهالي واستياؤهم ظاهراً للعيان نتيجة تلك السياسة[3].

لأن قرطاج كانت تنظر للسكان في بلاد المغرب على أساس أنهم مواطنون من الدرجة الثانية، حيث لم تساوهم مع المواطنين داخل قرطاج نفسها، حيث كانوا يعاملون معاملة المستغلين[4].

يذكر ستيفن غزال أن علاقة قرطاج بالأهالي خلال القرن السادس ق.م اتخذت منعرجا جديدا وفقاً لما ذكره "يوستينوس" –ولكن من غير تدقيق– أن القرطاجيين بقيادة "مالوكس" (Malchus) **"قاموا بأعمال عظيمة ضد الأفارقة"** في منتصف القرن السادس ق.م فهل

[1] محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية والتراثية، ج2، المرجع السابق، ص 323.

[2] تسمى بالحروب البونية وهي سلسلة من الصراعات الحربية بين قرطاج وروما وكانت جزيرة صقلية على الخصوص هي ميدان الحرب البونية الأولى (264-241 ق.م) أما الحرب البونية الثانية (218-201 ق.م) فكان ميدانها إيطاليا ولكنّها انتهت في زاما بأفريقيا، وفي الحرب البونية الثالثة (194-146 ق.م) وهي الأخيرة قضي على قرطاج نهائيا. ينظر محمد العربي عقون، ثورة الجند المأجور، المرجع السابق، ص 209.

[3] راضية أبو عجيلة صالح بن خليفة، المرجع السابق، ص159.

[4] نفسه، ص159.

يقصد أنهم صدوا أو هاجموا جيرانا يهددون؟ بقي ذلك مجهولا[1]، إلا أن المؤكد أن قرطاجة حاولت وضع حدّ للالتزام الضريبي المفروض عليها[2]. وتواصل ذكر هذه الحملات خلال الربع الأخير من نفس القرن من خلال حملة "عزربعل الماجوني" ضد الأفارقة. وتنص المصادر على فشل هذه الحملات الأولى في المجال الإفريقي[3].

لكن يمكن دراسة العلاقات السياسية والإدارية بين قرطاج من جهة واللوبيين والنوميديين من جهة ثانية من خلال أحداث المرحلة الممتدّة من القرن الخامس ق.م إلى حدود حرب الجند المأجور والأفارقة إثر الحرب الأولى[4]، حيث بدأ القرطاجيون في تغيير سياستهم الإفريقية من سنة 480 إلى 450 ق.م وبإصرار من أسرة الماغونيين[5]، وكان السبب في ذلك هو هزيمتها لأول مرة أمام الإغريق في معركة "هيميرا"[6] (Himère) سنة 480 ق.م[7] مما أدى إلى تراجع نفوذها في في صقلية، ونظرا للانعكاسات المستقبلية العميقة لهذا الحدث فإن "ج.ش بيكار" يعتبره منعرجا محدّدا في تاريخ قرطاج، فالتراجع الظرفي لنفوذها في الجزيرة كان حافزا لنشاة مجال حيوي جديد

---

[1] أصطيفن أكصيل، المرجع السابق، ج1، ص 361.

[2] لقد استمرت قرطاجة في دفع هذه الضريبة طوال عهدتها كقوة بحرية عظمى ومن المفارقات أنها تملصت من هذا الإلتزام بعد أن تحطم عنفوانها. ينظر: H.Basset, Les Influences Puniques chez les Berbères, R.A.,n°62, 1921, O.P.U, Alger, p 342.

[3] الشاذلي بورونية، محمد طاهر، المرجع السابق، ص 194.

[4] نفسه، ص 196.

[5] **الماغونيين**: إحدى أكبر أسرتين تنازعتا الحكم في قرطاج إلى جانب البرصيين، أنجبت رجال دولة وعسكريين قادوا قرطاج في أشهر حروبها، وقد استطاعوا إخضاع جزء من تونس الحالية بينما مثل خط منكسر يربط بين تبسة وقفصة وسفاقص الحدود الجنوبية لهذا التوسع، وهكذا تكون قرطاجة قد بسطت سيطرتها على أجود أراضي الشمال الشرقي. ينظر: Albertini (E) & autres, Afrique du Nord française dans l'histoire, éd. Archat , Lyon (sans date), p42.

[6] **هيميرا**: من أكثر المدن الاغريقية في صقلية الغربية قربا من ممتلكات قرطاج، وقعت عندها المعركة التي حملت اسمها بين جيش تحالف فيه "جيلون" حاكم "سراكوزا" و"ثيرون" حاكم "أقريجنتي"، ضد الجيش القرطاجي الذي كان يقوده "هميلكار" سنة 480 ق.م وتزامن ذلك مع هزيمة الفرس ضد الاغريق في موقعة سلامين جنوب اليونان. للمزيد ينظر: Walter (G), La Destruction de Carthage, Ed. Albin Michel, Paris, 1947, pp 42-44.

[7] محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية والتراثية، ج3، المرجع السابق، ص 26.

على حساب اللّوبيين المجاورين لقرطاج والنّوميديين وهو ما يمكن أن نؤرخه بين 480 و450 ق.م[1]، وهذا ما أدى إلى تغييرات كبرى في سياستها:

أ)– الانفصال النهائي عن الوطن الأم.

ب)– التنكر (ما بين 475-450 ق.م) للضريبة التي كانت تدفعها للأهالي وشرعت في احتلال أراضي المغاربة، بعد أن حدت المعركة من نفوذها البحري[2].

ج)– انطلاق رحلات طويلة حُفضت في كتب التاريخ القديمة أشهرها رحلتي، "هميلكان" (Himilkon) وحنون (Hannon)[3] إلى جنوب بريطانيا وجنوب غرب إفريقيا بحثا عن أراضي وأسواق جديدة[4].

د)– اكتساب بوادي عريضة تزودها، ولو بقسم من الأقوات الضرورية لها، كما أن الأرستقراطية التي تحكم المدينة كانت لا شك تودّ، بتملكها لضيعات مهمة، أن تضمن لنفسها مصدرا للثروة يكون أقل ريبا من التجارة البحرية[5]، على حساب السكان الأصليين.

هـ)– فرض ضرائب جديدة وتجند المرتزقة[6] من أبناء السكان الأصليين[1]، وتشهد المصادر التاريخية التاريخية

---

[1] Picard (G), Le Monde de Carthage, Paris, édit Corréa Bushet, 1956, pp 76-77.

[2] محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية والتراثية، ج2، ص 27.

[3] يذكر بلين (Pline): "في الوقت الذي كانت فيه قوة قرطاجة مزدهرة ذهب حنّون من قادس، ودار حول إفريقيا حتى قاصية البلاد الغربية، وعرف هذه الرحلة البحرية بمكتوب، وكذلك حملكون أيضا الذي بعث في نفس العهد لاستكشاف الأقسام الخارجية من أوروبا" يظهر من خلال النص أن الرحلتين كانتا متعاصرتين. ينظر: ستيفن غزال، المرجع السابق، ص 367.

[4] Décret (F), Carthage ou l'empire de la mer, éd. Du sud, 1977, p 123.

[5] ستيفن غزال، المرجع السابق، ج1، ص 362.

[6] هم المرتبطين بعقدة عمل تنتهي بنهاية الحرب التي انخرطوا من أجلها خصوصا. وكانت قرطاجة تأخذهم من كل مناطق البحر الأبيض المتوسط الغربي ومن بلاد الإغريق. فتارة كان تجنيدهم يتم على يد قائد يحارب في أرض مجاورة لهم، أو في نفس الأرض التي يؤخذون منها، وأحيانا كان يتم تجنيد الذين كانوا يحاربون. وتارة كان المنتدبون يذهبون إلى الشعوب الأجنبية ويعودون بالرجال الذين حشدوهم. وكان يقوم لهم بدور الوساطة حَشدة الجنود (Racoleurs) ورؤساء الجماعات المسخرة (Condottières). وكانت هذه العمليات تتطلب مساعدة السلطات المحلية، أو على الأقل موافقتها. ولابد أن تكون المعاهدات قررتها أو ساعدت عليها. فبعد الحرب البونيقية الأولى منع الرومانيون على قرطاجة تجنيد المرتزقة من المناطق التي كانت خاضعة لهم (أي الهضبة الإيطالية). وبعد الحرب الثانية منعت عليها تجنيدهم من أي بلد كان. للمزيد ينظر: أصطيفن أكصيل، المرجع السابق، ج2، ص 261.

على أهمية الجنود النوميديين[2]، وعددهم الكبير في الجيوش القرطاجية حيث أشار لذلك "تيت ليف" فيقول في هذا الشأن: "**وكان معظم هؤلاء المرتزقة ليبيين، فقد كانوا محاربين أشداء في جيش حن بعل**"[3] خلال الحرب البونية الثانية (218-201 ق.م)، ويقول بوليب:"**كان النوميديون يشكلون معظم الجيش القرطاجي في إسبانيا**"[4]. وكان معظم الجنود الذين أرسلتهم قرطاجة إلى صقلية في 241 ق.م لوبيون، فلم يكن لدى قرطاجة صعوبة في تجنيد فرق جديدة من المرتزقة حيث كانت أعدادهم كبيرة جدا في الجيوش القرطاجية[5].

كان هؤلاء الجنود يتعرضون للاحتكاك اليومي والمستمر مع القرطاجيين خلال هذه الحروب، ومن ثم ينقلون هذه التأثيرات الحضارية التي تعلموها إلى أوطانهم البعيدة عقب نهاية تلك الحروب، ويقول "كامبس" في ذلك:"**يبدأ التأثير بالمرتزقة الذين يعودون إلى منازلهم**"[6]، ويتجلى التأثير أيضا من خلال ما قاله "غوتيه": **"لقد كان معظم الجنود الذين شاركوا في الحروب البونيقية الأولى يتحدثون البونيقية"**[7].

---

[1] محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية والتراثية،ج3، المرجع السابق، ص 27.

[2] كثير من النصوص تذكر أن من بين جنود قرطاجة يوجد اللوبيون، وباللاتانية الأفري (Afri). ففي سنة 480 ق.م كانوا بالجيش الكبير الذي قاده عملكار بصقلية. حيث شارك اللوبيون في جميع الحروب بصقلية، منذ نهاية القرن الخامس إلى أواسط القرن الثالث. ففي سنة 311 ق.م كانوا يشكلون جيشا من 10000 فرد داخل جيش متكون على ما يقارب من 40000 راجل. كما يذكر ستيفن غزال أن أهل بلاد البربر مقاتلين بارعين. فهم نحيلو الأجسام عصبيو المزاج، سريعو الحركة، قنوعون ويصبرون على المشاق والحرمان، ويحسنون الاستفادة من وضعية الأرض لتهييء المعارك، ويرتمون في قلب المعركة بنوع من الجنون. للمزيد ينظر: ستيفن غزال، المرجع السابق، ج2، ص ص 262-264.

[3] Titius Livius, Histoire romaine, liv. XL, texte établi et traduit par. CH.Gouillard, Ed.les Belles Lettres, Paris, 1986, II, XX III,18,1.

[4] Polybe, III, 15.33.

[5] Babelong. (J), Observation sur quelques monnaies de Libye, acte du 79 congrès national des sociétés savantes, Alger,1954, Paris, imp.nat, (1957), p 25

[6] Camps. (G), Les berbères mémoiires et identités, Ed. Errance, Paris, 1995, p 33.

[7] Gautier. (E.F), Op-cit, p 265.

و)– منع سكان بلاد المغرب من الاحتكاك بالشعوب الأخرى احتكاكاً مباشراً، الأمر الذي أضاع عليهم فرص الاستفادة بالفنون والصناعات المختلفة[1].

ز)– تشكيل منطقة استيطان جديدة لاستيعاب الفائض السكاني الذي أصبح مهددا في صقلية[2].

وقد تحدث سترابون عن ذلك حينما كتب: **"في ليبيا (ويقصد هنا أفريقيا الشمالية كلها)، استطاع الفينيقيون أن يسيطروا على جميع الأراضي الحضرية"(التوثيق)** ويبدو أن الوجود البوني في أراضي تونس الحالية كان قد وصل إلى أعماق هذه البلاد. فقد استوطنوا في "سيكا" (الكاف)، وفي أواسط وادي نهر المجردة حيث أصبحوا سادة منطقة "السهول الكبرى"[3]، إن هذا الإجراء كان لقرطاج ضرورة أملتها ظروف جيوسياسية، ولكنها كانت خطأ استراتيجيا سيُصيب قرطاج في مقتل ولو بعد عشرات السنين[4].

خلال تلك الفترة التي تشمل فرض السيطرة القرطاجية، والتوسعية في الحوض الغربي للمتوسط، عرفت بلاد المغرب ركوداً واضمحلالاً في تجارتها الخارجية، وفي مسيرتها الحضارية بمختلف جوانبها، لاسيما الجانب العمراني، ذلك ما أكدته الحفريات الأثرية، وربما هذا راجع إلى طبيعة الفينيقيين التجارية، فقرطاج على سبيل المثال رغم أنها كانت تمثل أغنى مدينة في عالم البحر المتوسط، إلا أن ثروتها التجارية تلك لم تترك آثاراً تتفق مع ما اشتهرت به من غنى وجاه. وإن آثارها الحالية هي أقل بكثير من المدن الكبرى الإغريقية والرومانية التي ترجع لنفس الفترة[5].

ثالثا– ثورات المجتمع اللوبي ضد السياسة القرطاجية: توالت ردود الفعل اللوبية ضد قرطاجة، حيث أصبحوا ينظرون إلى الحكم "الأوليجارشي" (Oligarchique) في قرطاجة

[1] راضية أبو عجيلة صالح بن خليفة، المرجع السابق، ص159.

[2] Déceet (F) & Fantar (MH), L'Afrique du nord dans L'antiquité, Paris, Payot, 1981, pp66-67.

[3] فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو امبراطورية البحر، المرجع السابق، ص119.

[4] رغم أن قرطاج قد حكمت على نفسها بالمتاعب إلا أن ضمها لأراضي اللوبيين جعل منهم مواطنين فتحت لهم أبوابها على مصرعيها. ينظر: Basset (H), Op-cit, p 343.

[5] راضية أبو عجيلة صالح بن خليفة، المرجع السابق، ص159.

على أنه شوكة غريبة في جسمهم، وبالتالي أصبحوا ينتهزون فرص الأزمات الصعبة التي تمر بها قرطاجة ليتمردوا عليها[1]، ظهر ذلك في عدة مناسبات نذكر أهمها:

1- ثورة الجند المأجور: تعد ثورة الجند المأجور أو الحرب اللوبية القرطاجية[2] من أبرز الأحداث التي ميَّزت المجتمع اللوبي في نهاية عهد السيطرة القرطاجية على بلاد المغرب القديم، وذلك إثر نهاية الحرب البونية الأولى ضد روما والتي انتهت بمعاهدة لوتاتيوس في صيف سنة 241 ق.م، إلا أن تلك المعاهدة لم تدم طويلا وانتهت في سنة 238 ق.م، حيث تُقر أغلب المصادر القديمة وفي مقدمتها مؤلَّفات بوليبيوس على أن حرب اللوبيين أخطر من الحرب التي دارت بين قرطاجة وروما.

وتعرف أيضا بتمرد المرتزقة المشهور (241-237 ق.م) ضد قرطاجة بمشاركة سكان المدن النوميدية فقام أملكار برقة بالقضاء عليه ومعاقبة المدن المشاركة في هذا التمرد[3]، ففي منتصف القرن الثالث ق.م شهدت قرطاج حدوث حركات تمرد وعصيان داخل جيوشها من المرتزقة[4] نظراً لتأخر صرف مرتباتهم[5].

---

[1] محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية، ج3، ص 31.

[2] عرفت هذه الحرب بعدة أسماء وهذا التعدد ليس اعتباطيا فلكل اسم معنى وتأويل، إذ وصفها بولييوس بحرب اللاهوادة ، وهي بالنسبة للدولة القرطاجية الممثلة للسلطة السياسية المركزية حرب مرتزقة، وهي أيضا الحرب اللوبية الشعبية عند الرأي العام البوني غير الملتزم بالموقف السياسي الرسمي للدولة القرطاجية، لأنهم كانوا يرون فيها حربا واجهت إخوة وحدت بينهم الأرض والثقافة والدولة منذ عدة قرون، أي الأرض اللوبية والثقافة البونية والدولة القرطاجية، فهي من هذا المنظور أعمق وأخطر من أن تكون مجرد حرب عادية. ينظر: مها العيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب، المرجع السابق، ص 219.

[3] Diodor, XX, 17-1.

[4] **ثورة الجنود المرتزقة:** هي عبارة عن عصيان أو تمرد قام به جنود قرطاجة بعد انتهاء الحرب البونية الأولى (241-237 ق.م) بقيادة ماطو (Mathos) وهو لوبي يمتاز بالشجاعة والجرأة وسبينديوس العبد الروماني للمطالبة بدفع الأجور المتأخرة، انتصر القائد القرطاجي حملقار بعد أن حاصرهم في عدة مناطق وأفنى منهم أربعين ألفا وإذا كانت الأرقام الواردة في المصادر حقيقية فإن ذلك بمثابة قتل جماعي للشعب كله، بعد ذلك انتقل حملقار نحو اسبانيا سنة 236 ق.م في محاولة لتجديد قوة الجيش بعيدا عن قرطاجة. للمزيد ينظر: محمد العربي عقون، من تداعيات الحرب البونية الأولى على قرطاج ثورة جندها المأجور (241-237 ق.م)، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 21، جوان 2004، ص ص 199-212.

[5] الناجي منصور الحربي، الليبيون في جيش قرطاجة، مجلس الثقافة العام، سرت-ليبيا، 2010، ص 180.

ويطلق عليها ديودوروس حرب لوبة لأن القيادة في مستوى القمة كانت لوبية، والتعبئة على مستوى القاعدة كانت تعبئة لوبية، والشعارات التي رفعت كانت شعارات لوبية، والمجال الجغرافي الذي دارت فيه رحى الحرب كان مجالا لوبيا[1].

وقد لا تهمنا في هذا المجال أسباب وتفاصيل هذا العصيان والشخصيات التي قادته بقدر ما يهمنا مشاركة سكان المدن اللوبية والنوميدية الداخلية لا سيما بعد ما عمدت قرطاجة للعقاب الجماعي وفرض الضرائب الجائرة على المحليين لتسديد الديون (32000 تالنت) التي خرجت محملة بها إثر معاهدة نهاية الحرب بين روما وقرطاجة وفقدان أملاكها في صقلية[2].

إنّ انضمام الآلاف من الأهالي اللوبيين والنوميد إلى الجند المأجور حوّل التمرّد إلى ثورة حقيقية، ولا ريب أنّ موجة التذمّر التي امتدّت إلى جميع السكّان لم تتوقف عند حد، بما في ذلك البونيون أنفسهم، ونحن لا نتبنى تأويل المؤرخين الغربيين الذي انساق وراءه الكثير والذي يجعل الحرب بين شعب وشعب، بل نرى أن الثورة "الشعبية" وعواملها كانت كامنة، تنتظر الفرصة السانحة للاندلاع، وهي ثورة الشعب على نظام طبقي، يقوم على حماية مصالح أوليغاريشية تجارية، لا تتردد في ارتكاب أي جرم مقابل الاحتفاظ بنفوذها وثروتها، وما الإبادة التي تعرض لها الجند المأجور – لأنه طالب برواتبه- إلاّ دليل قاطع على ذلك[3].

إن اشتراك الأهالي في الحرب أعطى للثورة بعد أعمق، فالأمر الذي ميزها بأنها ليست من أجل المطالبة برواتب الجند، ولكنها كانت تتطلع إلى تحسين الأوضاع[4]، لأن حالة التذمر العام من نفوذ الأوليغارشية التجارية في قرطاج، وتعسّفها، كانت عامة، وشملت البونيين أيضا، وحتّى عبيد قرطاج انخرطوا في صفوف الثوار[5]، كذلك النساء اللوبيات، وبعفوية الدافع الوطني، تبرعن بجميع حليهن وجواهرهن وأغطيتهن للدفاع، ولزيادة عزيمة وقوة الثوار، ولمجابهة المصاريف اللاّزمة للمقاومة

[1] مها العيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب، المرجع السابق، ص 219.
[2] محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية، ج3أ ص 31.
[3] محمد العربي عقون، ثورة الجند المأجور، المرجع السابق، ص 210.
[4] الناجي منصور الحربي،المرجع السابق، ص 189.
[5] محمد العربي عقون، ثورة الجند المأجور، المرجع السابق، ص 210.

والكفاح[1]، فكل رعايا قرطاج من اللوبيين أصبحوا يتقاسمون التذمر والشعور بالقهر مع الجند المأجور.

وكان القرطاجيون ينظرون للسكان داخل المستوطنات الفينيقية اللوبية على أساس أنهـــــــــــم مواطنون من الدرجة الثانية، ولم تساوهم مع المواطنين داخل قرطاج نفسها، كما أن الضرائب المفروضة من قبل قرطاجة كانت تشكل عبئاً ثقيلاً على كاهل السكان، بالإضافة لمنعهم من الاحتكاك بالشعوب الأخرى احتكاكاً مباشراً، الأمر الذي أضاع عليهم فرص الاستفادة بالفنون والصناعات المختلفة[2]، ومنه نستنتج أنّ الاستعداد للثورة كان موجودا وأنه ينتظر الوقت المناسب لإعلان الثورة.

ومن أهم النتائج التي خلفتها الحرب اللوبية هي أن قرطاجة قد غيرت معاملتها مع سكان المدن اللوبية الداخلية، حيث فرضت العقاب الجماعي عن طريق زيادة الجباية في أوقاتها، وقد رجع القائد عبد ملقرت إلى قرطاجة محملاً من تلك المناطق بالغنائم[3].

كما كانت هذه الحرب منعرجا خطيراً في تاريخ العلاقات بين الشعب اللوبي والجالية البونية المنحدرة من الفينيقيين، هؤلاء الذي تحدث الكثير عن تعلّقهم بالسلم والوفاق الذي ظلّ يحكم علاقاتهم بالأهالي اللوبيين منذ وصولهم إلى الشواطئ الأفريقية إلى تأسيس قرطاج وتحوّلها إلى إمبراطورية تجارية كبرى[4].

لكن من الواضح أن صمت المصادر والانقطاع التاريخي الملموس في ذكر التاريخ اللوبي من هذه الحرب إلى ظهور ماسينيسا كان له ما يبرره، ذلك أنه طوال الفترة السابقة كان استعداد اللوبيين للتحضير إلى طريقة أخرى لمواجهة قرطاجة دون اللجوء إلى العمل العسكري، وإنما بالحل السياسي ممثلا في الاتحاد القبلي الذي سيُفرز ظهور المملكتين النوميدية الشرقية والغربية[5].

[1] الناجي منصور الحربي، المرجع السابق، ص 188.
[2] راضية أبو عجيلة، المرجع السابق، ص159.
[3] محمد الصغير غانم، المملكة النوميدية، المرجع السابق، ص 48.
[4] محمد العربي عقون، ثورة الجند المأجور، المرجع السابق، ص 200.
[5] مها العيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم، المرجع السابق، ص 225.

2- ثورة ماسينيسا ضد قرطاجة: لقد انتفض اللوبيون وورّثوا غضبهم للأجيال المتلاحقة فلا عجب أن يتحالف ساستهم مع الرومان إنتقاما لرعيتهم التي ذاقت الأمرّين من القرطاجيين، وكان هذا أحد أسباب الصراع الذي نشأ بين القرطاجيين والنوميديين بين عامي (193-152 ق.م) إذ أن "ماسينيسا"[1] النوميدي كان يطمح لإعادة نفوذ أسلافه فوق تلك الأراضي، متحالفا مع الرومان بعد هزيمة قرطاج في معركة زاما سنة 201 ق.م وتوقيع معاهدة مع روما منعتها من خوض أي عمل عسكري خارج حدودها، ضد أصدقاء الشعب الروماني[2]، أو ستدخل في حرب ضدها والمقصود بأصدقاء الشعب الروماني هم اللوبيون تحت قيادة ماسينيسا[3]، الذي تمكن من افتكاك أراضي كثيرة من القرطاجيين كاقليم أمبوريا (Amporia) بين 193 و192 ق.م ومنطقة السهول الكبرى[4]، وفي سنة 174 ق.م ضم أكثر من سبعين مدينة تقع في شمال غربي تونس الحالية[5]، وأصبحت مدينة لبدة الكبرى (Lepti magna) بليبيا تابعة له بعد أن كانت أكبر مركز تجاري قرطاجي[6].

[1] **ماسينيسا**: النص الليبي الذي يقدم إسمه يكتبه (Msnsn)، فيكون نطق إسمه إذن ماسينيسا (Massinissa)(سيدهم). في نهاية حرب هانيبال كان يبلغ ماسينيسا 37 سنة من العمر، فقد حارب في إفريقيا وفي إسبانيا وغزا مملكة الماصيل مرتين ومني بالفشل، تعتبر من أعظم ملوك نوميديا التي وحّدها بعد تحالفه مع الرومان ضد الملك سيفاكس الذي تحالف مع قرطاج، كان ماسينيسا جميلا، ذا قامة طويلة وقوة نادرة، فبإمكانه أن يظل واقفاً أو على ظهر الحصان نهاراً كاملاً، وهو صاحب الثمانين سنة يقفز على الحصان دون أي مساعدة ويتحدى البرد والمطر برأس عارية، تقدمه النقود بالغا من العمر أربعين أو خمسين سنة بقسمات منتظمة وشعر طليق ولحية مدببة. ينظر: محفوظ قداش، الجزائر في العصور القديمة، تر: صالح عباد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1993، ص ص60-61؛ ينظر:.16 Polybe, Histoire, XXXVI, Tradution D.Roussel, Gallimard. Paris, 1970.

[2] أصطيفن أكصيل، تاريخ أفريقيا الشمالية، ج3، ص 314..

[3] M.Gaid, Les Bérbers dans L'Histoire, TI,Ed, Mimouni, Alger, 1990, p101.

[4] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 81.

[5] Titius Livius, II, 23,24.

[6] محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية، ج3، ص 63.

وأقليم توسكى (Tusca) بين 153-152 ق.م[1]، كما استعاد ماسينيسا أراض كثيرة كانت قرطاجة قد ضمتّها إليها مستغلا في ذلك بنود معاهدة زاما بعد الحرب البونية الثانية، وبضمه لمناطق السيرت زال الطوق القرطاجي الذي كان يعزل عمق الشمال الأفريقي عن العالم الخارجي، وأصبحت المملكة النوميدية منفتحة على العالم الأغريقي، وتحررت من الثنائي القرطاجي الروماني لترتبط بعلاقات تجارية مع الإغريق فتسربت تأثيرات الحضاة الإغريقية إلى المنطقة[2]، وخلال نصف قرن من العمل الدؤوب، بنى الملك ماسينيسا مملكة موحدة، تمتعت بالاستقرار وتوسع بها النشاط الزراعي، وتخلصت من الاحتكارات التجارية القرطاجية، وأصبحت لها عملتها وأسواقها، وجيشها النظامي[3].

وما يهمنا من هذه الأحداث هو استنتاج انعكاستها الاجتماعية والثقافية، حيث عقب ضم الإقليد النوميدي ماسينيسا لأراضي ومدن قرطاجية، استعاد أراضي أجداده وجميع المدن التابعة لها[4]، وبالتالي ضم إلى مملكته سكان مُتأثرون بالحضارة القرطاجية، إضافة إلى أنه كان هو نفسه متأثرا بالحضارة القرطاجية، وبعد سقوط قرطاجة حاول الملوك النوميديون بناء دول حقيقية متخذين من قرطاجة نموذجا لهم[5]، ضم الملوك النوميديون والموريون تلك المدُن –التي كانت تابعة لقرطاجة- الساحلية إلى ممتلكاتهم[6]، وربما كان ذلك بهدف إدخال الحضارة البونيقية إلى المدن

---

[1] محمد بن عبد المومن، قمح بلاد المغرب القديم بين المادة الغذائية والسياسية، دورية كان التاريخية، ع12، 2010، ص 38.

[2] محمد العربي عقون، ماسينيسا (238-148 ق.م) من كفاحه لاستعادة حقه في العرش الماسيلي إلى بناء الوحدة النوميدية، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة باتنة، العدد 22، جوان 2010، ص 101.

[3] محمد العربي عقون، ماسينيسا من كفاحة لاستعادة العرش، المرجع السابق، ص 102.

[4] Salluste, DEuvres Complète (Guerre de Jugartha, Conjuration de Catilina , Histoire Romaine), trad.Par : Charles du Rozier et Yves Germain, éd. Paléo, Paris, 2003, V.

[5] Piganil. (A), La religion et les mouvements sociaux dans le Magreb antique, Cahier d'Histoire Mondiales, vol. III, 1957, p 819.

[6] Mahdjoubi. (S), Histoire de la Tunisie, Maison Tunisienne d'éditiion, (S.D), pp 103-106 .

الأخرى التابعة لهم مهما يكن من الأمر، فإن الإنسان اللوبي كان منذ القديم يقدس الأرض وتثور ثورته، ثم يرد بعنف على كل من يحاول المساس بمقدساته التي من بينها الأرض، وبذلك تكون قرطاجة قد أخطأت التقدير في حق حلفائها من هذا الجانب[1].

المبحث الثاني: مظاهر من التأثيرات الاجتماعية المتبادلة المغربية – القرطاجية:

تمثلت في حدوث ذلك التمازج والانصهار بين العناصر المحلية والعناصر الفينيقية الوافدة، فكان هناك تواصل وتبادل بين العناصر السكانية في المنطقة، يتضح ذلك من خلال العادات والتقاليد الاجتماعية والدينية والسياسية التي تمت مبادلتها بين الأطراف المتواجدة في المنطقة. يقول في ذلك فرانسوا ديكريه: **"إن تغلغل القرطاجيين في المجتمعات الأفريقية أسفر عن تمازج أدى إلى رابطة إثنية وثقافية وثيقة"**[2].

يفهم من النص السابق أن المغاربة قد أخذوا من القرطاجيين قدوة في الشؤون المادية والاقتصادية، واقتفوا آثارهم في سائر الميادين الأخرى، فأخذوا عنهم ما كانوا يتحلون به من أخلاق وديانة وتنظيمات سياسية واجتماعية[3].

مع العلم أنه عندما وصل البحارة الفينيقيون إلى السواحل المغربية وجدوا مجتمعا قائما بنظمه الاجتماعية والسياسية، وبأعرافه وتقاليده ومعتقداته، وعندما كانت قرطاج تنمو عمرانياً وديمغرافياً واقتصادياً كان ذلك بفضل سكان البلاد الذين تعود إليهم أفرقة قرطاج (Africanisation de Carthage)، بحيث لم يكن العنصر الفينيقي في المدينة يمثل أكثر من طبقة تجارية حاكمة أما المجتمع في عمومه فكان مغربياً ماسيلياً[4].

ويرى محمد الصغير غانم أنه يجب أن نفرق في شمال إفريقيا بين المستوطنات الفينيقية والقرطاجية من جهة وبين تلك التي تفينقت من تلقاء نفسها منجذبة نحو الحضارة البونية لما في الأخيرة من غلبة ثقافية ويدخل في هذا المضمار إنفتاح تلك التجمعات السكانية العائدة إلى فترة

[1] محمد الصغيرغانم، المظاهر الحظارية والتراث، ج3، المرجع السابق، ص28

[2] فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو امبراطورية البحر، المرجع السابق، ص 119.

[3] محمد محي الدين المشرفي، أفريقيا الشمالية في العصر القديم، دار الكتب العربية، ط4، 1969، ص 46.

[4] محمد العربي عقون، ماسينيسا من كفاحه لاستعادة العرش، المرجع السابق، ص 84.

العصر الحجري الحديث والتي انجذبت نحو الحضارة البونية ففتحت لها أبوابها طواعية ونتيجة لذلك فقد اندمج بعض الفينيقيين مع السكان المحليين في المناطق المجاورة للمستوطنات الفينيقية أو تلك القريبة منها، ثم عملوا كمزارعين وصناع أو تجار[1].

أولا- مكانة الليبوفينيقيين في الامبراطورية القرطاجية: سأتطرق لتعريف الليبوفينيقيين وأسباب ظهورهم ومكانتهم في الدولة القرطاجية.

1- مفهوم الليبيوفينيقيين: اختلفت الآراء حول تحديد مفهوم عنصر الليبيوفينيقي الذي ظهر في بلاد المغرب، وكان من العناصر المؤثرة في المنطقة خاصة في العصر القرطاجي، فيرى معظم الكتاب القدامى[2] أن هذه التسمية قد أطلقت على الأبناء الذين أُنجبوا من أباء فينيقيين وأمهات لوبيات أو العكس، وبذلك ظهر عنصر جديد ذو دم مختلط أطلق عليه عنصر الليبوفينيقي[3].

درج المؤرخون القدماء على استعمال ليبوفينيقيين لتحديد مفهوم يخص النتيجة العرقية لاختلاط في الدم العرقي والتمازج السكاني للأقوام الآتية من الشرق مع العناصر المحلية[4]، وأعطى س.ف بوندي (S.F.Bondi) بعداً جديداً لهذه القراءة مختصرا تأويل تسمية اللوبي- فينيقيين في فئة الفينيقيين الذين يقطنون خارج مدينة قرطاج أي الطبقة المهيمنة في المجال القرطاجي وهي العمود الفقري لنظام ضمن لقرطاج سلما داخليا طويلاً وثراء اقتصادياً[5].أعطيت هذه التسمية

[1] أحمد السليماني،المرجع السابق، ص ص 124-125.

[2] تيت ليف، ديودور الصقلي، إفيان.

[3] Fantar Mouhamed ,L'Afrique du Nord dans l'antiquite, histoire et civilisation, payot, Paris, 1980, P60.

[4] يذكر محمد علي دبوز لولا الجنس المغربي العتيد الذي طعم الدماء الفينيقية ولولا اختلاط الفينيقيين بالمغاربة وتأثرهم بهم لاستمروا على الضعف الذي أصاب دولتهم في المشرق ولا يكونون على القوة والشباب وطول العمر الذي حظيت به دولتهم. ينظر: محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص109.

[5] رشيد بورونية، المرجع السابق، ص 213.

للفينيقيين الذين سكنوا في مستوطنات الساحل الأفريقي[1]، وبعد القرن الخامس ق.م أصبحت هذه التسمية تطلق على اللوبيين الذين يقطنون المدن القرطاجية وتأثروا بحضارتها[2].

إن لفظ ليبيين فينيقيين يعني بالضبط فينيقيي لوبيا. ولكن يظهر أنه أخذ معنى إدارياً وقانونياً، ليدل على مواطني المدن الفينيقية أو البونيقية المرتبطين بقرطاجة، والمتمتعين بنفس الحقوق المدنية التي لمواطني العاصمة قرطاج، والذين كانت لهم أنظمة بلدية مماثلة. فلا شك أن هذا هو المعنى الذي يجب أن يفهم به هنا[3].

ولفظ "ليبيين فينيقيين" قد أخذ عدة من المعاني. فبعض الكتاب الذين هم أحدث عهداً من سترابون يطلقون على بعض سكان القسم الذي خضع من تونس للقرطاجيين. بينما اللوبيون الفينيقيون عند "بلين القديم" وعند "بطلمي" لم يسكنوا سوى مناطق ضيقة جدا[4].

والملاحظ غياب الدّلائل العرقية في المصادر باستثناء "تيت ليف" الذي يرى أن الليبوفينيقيين **"خليطا من الفينيقيين والأفارقة"**[5]. يفهم من النص إن الليبوفينيقيين كانوا بمثابة عناصر بشرية تنتمي إلى دم مختلط من الناحية العرقية، نصفه فينيقي والنصف الآخر لوبي، ويمكن أن نقول أنهم ينتمون إلى ثقافة مزدوجة[6] وهي عبارة عن زرع ثقافي أو بذرة ثقافية ومعنى هذا أنه في الميدان العرقي نجد أن العنصر الفينيقي الذي جاء من الشرق كان يمثل أقلية بالمقارنة مع السكان المحليين، حيث جرى بسرعة اندماجه، وفرضوا نظم وعادات، أو مميزات خاصة تطبع الحضارة الفينيقية، وهذا الإندماج المتبادل كان يتطلب فترة طويلة، قد تم ذلك في عهد كان

[1] فرانسوا ديكريه، المرجع السابق، ص 119.

[2] Warmington. (B.H), Histoire et civilisation de Carthage, 814-146 Av.J.C, trad. Guillemin. (S.M), Payot, Paris, 1961, p 76.

[3] أصطيفن أكصيل،المرجع السابق، ج1، ص 371.

[4] نفسه، ج2، ص 74.

[5] Tite-Live, XX V III, 17.

[6] Fanter, et Décret, L'Afrique du Nord dand l'antiquité,Op-cit, P 136.

لقرطاجة امبراطورية معتبرة في الحوض المتوسط، هكذا فإن قرطاجة لم تعد مدينة فينيقية بإفريقيا، ولكنها مدينة إفريقية وأن ثقافتها يطبعها الطابع الفينيقي وهو الغالب أو المرجح[1].

وقد حدثنا ديودور الصقلي عن الليبوفينيق في أثناء روايته لمغامرة الطاغية "أجاثوكليس"[2] الصقلي بأفريقيا (القرن الرابع ق.م). فقال ما فحواه أن لوبيا يتقاسمها أربعة أقوام[3] على عهد "أجاثوكليس":

أ- الفينيقيون ويسكنون قرطاجة.

ب- الليبوفينيق وهم سكان معظم المدن الساحلية والذين تربطهم بالقرطاجيين علاقات قرابة ونسب. وإلى هذه المصاهرة وما نتج عنها ترجع تسميتهم بهذا الاسم.

ج- اللوبيون وهم الأعرق أصلا والأكثر عددا (مزارعون) وهم يكرهون القرطاجيين كرها شديدا لما يقاسونه من سطوتهم وقساوة حكمهم لهم.

د- البدو الرعاة الذين ينتشرون في معظم الإقليم وحتى تخوم الصحراء.

هذه الفقرة بالذات لعلها أول إشارة موثقة عن بدء عملية التمازج والإنصهار بين الفينقيين واللوبيين خلال القرن الرابع ق.م أو قبله[4].

ويتحدث فرانسوا ديكريه بأن تسمية الليبيوفينيقيين[5] أعطيت للفينيقيين الذين سكنوا في المستوطنات، ومن ثم شملت اللوبيين الذين أخذوا بالعادات البونية، ويعتقد أن هذه التسمية تدل على طبقة اجتماعية في المدن البونية تمتعت بنفس الحقوق الإدارية التي كانت لسكان العاصمة

---

[1] أحمد السليماني، المرجع السابق، ص 137.

[2] **أجاثوكليس** (**Agathocles**) هو قائد إغريقي كان قد نقل الحرب من صقلية إلى إفريقيا لأول مرة في حوالي نهاية القرن الرابع ق.م (310-307 ق.م) حيث قام بغزو ممتلكات غرب قرطاجة، ويذكر ديودور الصقلي بأنه بعد الانتصارات الأولى التي سجلها أجاثوكليس على القرطاجيين عاد إلى صقلية وترك مسؤولية مواصلة الحملة إلى ابنه أرخقاثوس(Archegathos). ينظر: Diodore, XX,57,5-6.

[3] Ibid, XX,L. V,4.

[4] محمد مصطفى بازامه، سكان ليبيا في التاريخ، المرجع السابق، ص ص 90-91.

[5] يذكر دوكريه: "لو أردنا استخدام تعبير أخف لقلنا "أفروفينيقيين". ينظر: فرانسوا دوكريه، قرطاجة الحضارة والتاريخ، تر: يوسف شلب الشام، دار طلاس، دمشق، 1994، ص119.

قرطاج. حقيقة لقد نهلت هذه الحضارة القادمة من الشرق من أفضل المصادر في الأراضي التي اختارتها، حيث كانت تلك المستوطنات عبارة عن مراكز لحضارة مختلطة انتشرت على طول الساحل الشمالي لأفريقيا باتجاه المحيط[1].

2- وضعيتهم في الدولة القرطاجية: يذكر ديودور أن اللوبيين الفينيقيون الذين يقطنون المدن الساحلية الكثيرة يتمتعون بحقوق المواطنة القرطاجية مثلهم في ذلك مثل سكان قرطاجة[2]، وعلى الرغم من أن الليبوفينيقيين كان لهم نفس المزايا ونفس حقوق القرطاجيين، كحق الزواج من القرطاجيات وحق تولي المناصب في الدولة القرطاجية، بل ولهم حق الإعفاء من الضرائب والخدمة العسكرية[3]، إلا أن لهذا العنصر الجديد لغته وكتابته الخاصة به، والتي كانت مزيجاً بين اللغة المحلية واللغة الفينيقية[4]، وهذا ما سنتطرق إليه في الفصل الموالي حول العلاقات الثقافية.

وقد تبنى المؤرخ ستيفان قزال فكرة على أن الليبيوفينيقي له معنى إداري وله صبغة بونية، ويدل على أولئك اللوبيين الذين كانوا يتمتعون بنفس الحقوق المدنية التي كان عليها المواطنون القرطاجيون في مدينة قرطاجية، والذين كان لديهم مؤسسات بلدية موازية. ومع ذلك فإنه يرى أن هذا العنصر رغم الحقوق التي يتمتع بها، فإن منتسبيه يعدون مواطنين من الدرجة الثانية في الدولة، مثلما كان اللاتين في الامبراطورية الرومانية، ذلك أنهم لم يكن لهم حق المشاركة في الحياة السياسية، وخاصة تولي المناصب العليا المنبثقة عن مجلس الشيوخ[5].

---

[1] فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو امبراطورية البحر، المرجع السابق، ص 119.

[2] Diodore, XX,L. V,4.

[3] فرانسوا ديكريه، قرطاجة الحضارة والتاريخ، المرجع السابق، ص 70.

[4] هذا ما يشبه جنس السواحلية في شرق إفريقيا في التاريخ الحديث الذي ينحدر من آباء عرب وأمهات أفريقيات، فقد عثر في شبه جزيرة البيرنيه على نقود مكتوب عليها بالخط اللوبي الفينيقي، فمن الجائز أنه كان لمزيج من السكان المغاربة والفينيقيين الذين نقلتهم قرطاجة من إفريقيا إلى أسبانيا لتحكم سيطرتها هناك. ينظر: تسيركين يولي بركوفيتش، الحضارة الفينيقية في إسبانيا، تر: يوسف أبي فاضل، مراجعة: ميشال أبي فاضل، جووس بروس، بيروت، 1988، ص62.

[5] أصطيفن أكصيل، ج1، المرجع السابق، ص 291.

تحدثنا المصادر القديمة على الليبيوفنيقيين منذ عهد الملك "حنون"، وهم الذين شاركوا في رحلة حنون في القرن الخامس ق.م الذي قام أثناءها بتأسيس مستوطنات لليبوفينيقيين[1].

3- رحلة حنون:

تعتبر من الرحلات المهمة التي سجلها لنا التاريخ وهي وصف رحلة حنون (Hannon) القرطاجي، إذ أشار إليها العديد من المؤلفين اليونانيين واللاتين. ولقد علّق حنون روايته البطولية في معبد بعل (Baal) حيث كان للقرطاجيين أنفسهم ولجميع الزائرين أن يطّلعوا عليها[2]. (**ينظر خريطة رقم 05، ص 169**.).

[1] أحمد السليماني، المرجع السابق، ص 136.

[2] محمد حسين فنطر، اكتشاف حنّون لعالم جديد، تونس أعلام ومعالم، الوكالة القومية للتراث- المعهد الوطني للتراث، مارس 1997، ص48.

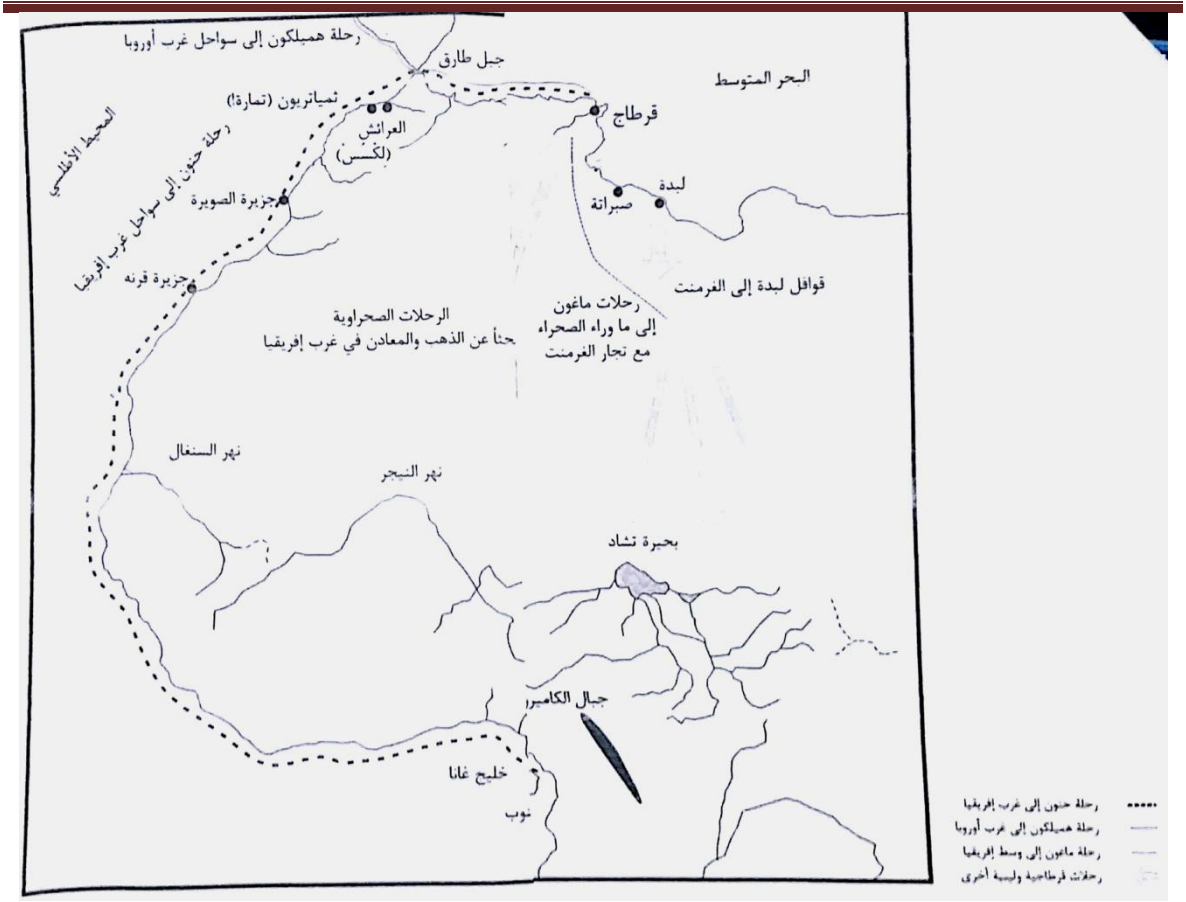

خريطة رقم 05: رحلة حنون إلى غرب إفريقيا

نقلا عن: عبد المنعم المحجوب، المرجع السابق، ص 62.

انطلقت الرحلة من مدينة قرطاجة في حوالي القرن الخامس ق.م، ووصلت أخبارها عن طريق ترجمتها الإغريقية[1]. وقد اشترك في هذه الرحلة الليبيون إلى جانب القرطاجيين.

يلاحظ بأن الرحلة لم تشير إلى أنها سلكت شواطئ بلاد المغرب أو شواطئ جنوب غربي أوروبا فيما عدا ذكرها لاجتياز "أعمدة هرقل" التي هي مضيق جبل طارق الحالي. غير أن اشتراك الليبيين في هذه الرحلة ووقوعها بعد معركة هيميرا (Bataille d'Himère) 480 ق.م والتي انهزمت فيها قرطاجة لأول مرة أما الزحف الإغريقي في جزيرة صقلية ثم انتهاج القرطاجيين

[1] نقشت أخبار رحلة حنون على لوحة برونزية بلغتها البونية، ثم أودعت بعد ذلك في معبد الإله بعل حمون الذي يقابل الإله الإغريقي كرونوس (Cronos). وقد ضاعت الكتابة الأصلية ولم تبق إلا الترجمة الإغريقية. ينظر، محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية، ج 2، المرجع السابق، ص 195.

بعد ذلك لسياسة إفريقية تعتمد على الاستيطان، يجعلنا نرجح بأن رحلة حنون كانت قد سلكت شواطئ المغرب القديم قبل اجتيازها لأعمدة هرقل[1].

أورد المصطفى مولاي رشيد ترجمة لهذه الرحلة وتحدث عن رواية حنّون ملك القرطاجيين كالتالي:" **لقد قرر القرطاجيون أن يتجاوز حانون أعمدة هيركليس، وأن يؤسس مدنا لليبيون الفينيقيين. بستين سفينة ذات الخمسين مجدافا، ورافقه حوالي ثلاثون ألفا من الرجال والنساء، زُوِّدُوا بالأغذية وبكل المعدات اللازمة**"[2].

كُلف حنون إذن بإنشاء المستوطنات في إفريقيا، فيما وراء مضيق جبل طارق. فماهي أسباب هذا القرار؟ هل يعني ذلك التخفيف على قرطاجة من تزايد السكان، من عناصر مشوشة؟ هل يعني إنعاش أو تعويض مراكز فينيقية قديمة كانت على الساحل المغربي، فتدهورت وربما تدمرت؟

كان يوجد ثلاثمائة ألف مواطن بقرطاجة، وفي هذه المدينة بالذات جرى ضغط ديمغرافي كان بمثابة مواجهة هجرة ذات نطاق واسعا، فكانت هناك مجموعات كثيرة من الوافدين على العاصمة القرطاجية حبا في مغرياتها المادية[3].

وخلق ذلك نوع من البطالة مما جعل الدولة القرطاجية تبحث عن مخرج لهذه الأزمة والضيق، فبحثت في وسيلة ذهاب هذه الجموع الوافدة على قرطاجة فوجدت الحل في تنظيم رحلات بحرية منها رحلة حنون التي كانت تهدف إلى الاستكشاف وفتح أفاق ومستوطنات جديدة ترفع عن مدينة قرطاجة أعباء التدفق الديمغرافي على العاصمة قرطاج[4].

جرت رحلة حنون في القرن الخامس ق.م، وقد استغرقت مدة عامين ونصف، وكانت مسافتها خمسة وعشرون ألف كلم، إن رحلة حانون تعد كهمزة وصل بين قرطاجة واللوبيين، والتي

[1] محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية، ج 2، المرجع السابق، ص 195.

[2] المصطفى مولاي رشيد، المغرب الأقصى عند الإغريق واللاتين القرن السادس ق.م، القرن السابع ميلادي، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط1، 1993، ص14.

[3] أصطيفن أكصيل، تاريخ أفريقيا الشمالية، ج1، ص477.

[4] أحمد السليماني، المرجع السابق، ص 136.

عبر من خلالها بسفنه على الساحل القرطاجي، ثم عرج على سواحل نوميديا[1]

لقد كانت نتائج رحلة حنون هي تأسيس ست مستوطنات على سواحل المغرب، وأخرى عند مصب الساقية الحمراء، تقريبا في مواجة جزائر الكناريا[2]، كما أتاحت الإطلاع على النماذج الحضارية لبلاد المغرب وزادت من التواصل الاجتماعي الليبي القرطاجي.

4- دور الليبوفينيقيين الحضاري: إن الحضارة البونية في إفريقيا الشمالية تمثل ثمرة تعاون حميم وهي تظهر ويمكن تشخيصها في معالم أثرية نتيجة هذا التعاون والتفاعل الحضاري مثل مقام دوقة[3] بتونس[4]، وقد شكل هذا العنصر (الليبيوفينيقيين) حلقة الوصل بين الفينيقيين والسكان المحليين، وسهل عملية الاندماج التي حدثت فيما بعد بين القادمين الجدد وبين اللوبيين، خاصة بعد القرن الخامس ق.م، مما ساعد على استقرار الثقافة واللغة البونية بين الأهالي[5].

وفي الواقع فإن لهذا الرأي ما يدعمه- وبشكل قوي- إذا ما تتبعنا الظروف التي مر بها الفينيقيون في شمال أفريقيا، عند التحول القرطاجي نحو الفضاء الإفريقي عقب هزيمة هيميرا، فخرج القرطاجيون من مدينتهم وامتلكوا العديد من الضياع، واستوطنوا المناطق الريفية، وكونوا تجمعات سكانية فينيقية بين السكان المحليين، مما أتاح لهم فرصة الاحتكاك أكثر بالسكان، واستخدم بعضهم في فلاحة الأراضي التابعة للقرطاجيين، كما أن الازدحام السكاني في قرطاجة وتحول أعداد لا بأس بها من اللوبيين من الأرياف إلى المدينة سواء كانوا باحثين عن عمل، أو منخرطين في الجندية، نجد أن هذا أدى إلى التمازج أكثر بين العنصرين[6].

---

[1] أحمد السليماني، المرجع السابق، ص ص 29 – 30.

[2] أصطيفن أكصيل، المرجع السابق، ج1، ص 394.

[3] **معبد دوقة:** كانت مدينة دوقة (Dougga) من أهم المدن الداخلية التي وردت الإشارة إليها في الوثائق الكتابية والأثرية، وقد اقترن اسمها بالملك ايلماس (Ailymas) الذي يعود تاريخه إلى القرن الرابع ق.م. ينظر: Diodore de Sicile, XX, 17,1 et 18,3.

[4] أحمد السليماني، المرجع السابق، ص 137.

[5] مفتاح محمد سعد البركي، الصراع القرطاجي الإغريقي من القرن السادس حتى منتصف القرن الثالث ق.م وأثره على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية في قرطاجة، مجلس الثقافة العام، سرت-ليبيا، 2008، ص 253.

[6] مفتاح محمد سعد البركي، المرجع السابق، ص 253.

إضافة إلى نزوح عائلات قرطاجية بأكملها نحو المراكز الداخلية التي سكنها القرطاجيون واللوبيون جنباً إلى جنب مثل: دقة ومكثر وكركوان[1]، قد أدى إلى زيادة الاختلاط مع السكان المحليين، كما أن حاجة القرطاجيين إلى حلفاء جدد لهم من الأفارقة –يمثل لهم عمقاً إستراتيجياً من حيث توفر المؤن والجند في صراعهم ضد الإغريق– كان وراء ذلك التقارب مع السكان المحليين، والاتصال بزعماء القبائل، وببعض الممالك المحلية كالنوميديين مثلاً، فجاء هذا التقارب في صور شتى، كالامتزاج داخل المدن الداخلية، وزيادة التعامل التجاري، والمصاهرة[2].

يمكن أن نستخلص من ذلك أن القرطاجيين هم نتاج تزاوج بين الشعبين الفينيقي واللوبي، الذين أخذوا اسم البونيقيين، وبذلك يمكننا القول أن الحضارة البونيقية هي نتاج حضارتين[3]، حضارة ذات أصول فينيقية وحضارة مغربية أصيلة.

وليس لدينا أية حجة على أن محكومي قرطاجة استطاعوا بسهولة اقتناء الحقوق المدنية والسياسية التي كانت للمواطنين. غير أن عددا كثيرا من اللوبيين، سواء في أرض وطنهم أو في الجيش، قد تعلموا لغة سادتهم، وعرفوا الآلهة التي كانوا يعبدونها، كما ألموا إلى حد ما بحضارتهم. ولهذه الأسباب نجد تعبير "ليبيين فينيقيين" قد خصص إطلاقه في أول الأمر على الغير، ثم أطلق من بعد على قسم من ذريتهم[4].

نتيجة للاختلاط والتمازج الذي وصل إلى حد بعيد، حتى أصبح يطلق على كل الطبقات العامة من الجانبين تسمية: الليبوفينيقي، خاصة بعد القرن الخامس ق.م، حيث لم نجد أثراً لهذه التسمية قبل تلك الفترة، وهذا التزاوج والتمازج وإن كان من المرجح أنه قد حدث مع بداية قدوم الفينيقيين، ولكن الإندماج الكامل قد جاء– كما ذكرت– نتيجة التحول القرطاجي إلى الفضاء الأفريقي، والاعتماد على بدائل اقتصادية أخرى غير التجارة البحرية كالتوسع في مجال الزراعة، بعد

[1] محمد الصغير غانم، المملكة النوميدية والحضارة البونية، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1998، ص ص 148-156.

[2] مفتاح محمد السعد البرمكي، المرجع السابق، ص 254.

[3] Albertini.(E), Marçais.(G), Yver.(G), L'Afrique du nord françaies dans l'histiore, Ed. Archat, Lyon, Paris, 1937, p 43.

[4] أصطيفن أكصيل، المرجع السابق، ج2، ص 226.

إن أصبح الخطر الإغريقي يهددهم في البحر، حيث نتج عن هذا الاندماج أن أصبحت هذه التسمية تطلق حتى على الفينيقيين أنفسهم القاطنين في المراكز الأخرى خارج قرطاجة[1].

ومع ذلك فأكثرية الأهالي كانت تكره السيطرة البونيقية. وربما لم تكن هذه الكراهية بسبب الخدمة العسكرية، ووجوب الذهاب للمشاركة في حروب بعيدة لم يكن جانبهم يراعى فيها، بل بسبب فداحة الضرائب التي صارت لا تحتمل بسبب العنف والابتزازات التي يقوم بها المكلفون بالجباية. ولم يكن للقرطاجيين فن اجتذاب القلوب من أجل تسهيل العملية[2].

كان النوميديون المجاورون للمنطقة البونيقية، يعاملون معاملة الأتباع حقيقية، بحيث كانوا إذا خرجوا من الحلف يُنظر إليهم كعصاة. وقد ذكرت حتى الأتوات المفروضة على البعض منهم. وعمليا كادوا يكونون رعايا، إن لم يكونوا كذلك قانونيا. وللتأكد من وفائهم كانت قرطاجة تضع الحاميات بمدنهم وتطالبهم بالرهائن. (فمدينة تفست Thevest سلّمت سنة 247 ق.م ثلاثة آلاف منهم إلى الملك حنّون). وكانت وضعيتهم شبيهة بوضعية الفودِراتي (Foederati) (الحلفاء) الذين كانوا يسكنون خارج الحدود العسكرية للإمبراطورية الرومانية، ولكنهم يخضعون لسلطتها. ولربما أن الذين لم يكن بالإمكان التغلب عليهم بالرهب، كانوا ينالون بعض الهبات المالية. وحين تحتاج إليهم الدولة يضعون في خدمتها مجموعات المجندين –الخيالة منذ القرن الثالث ق.م على الأقل– التي يتفق على تحديد أعدادها، والمعتقد هو أن قرطاجة كانت تتكفل بالإنفاق على هذه الجيوش[3].

ولم يكن هؤلاء النوميديون دائمي الوفاء، بحيث كانوا إذا حدثت أزمة لقرطاجة، يفضلون الانضمام إلى أعدائها، ويقتحمون منطقتها لينهبوها. وكانت تنتقم منهم حسب الظروف والقوات التي تتوفر عليها، بالغزوات وحتى بالتقتيل. وقد تقبل عروض الصلح والخضوع التي كانوا سرعان ما يتقدمون بها بمجرد حدوث تغير ما[4].

[1] مفتاح محمد سعد البركي، المرجع السابق، ص 256.
[2] أصطيفن أكصيل، المرجع السابق، ج2، ص 226.
[3] نفسه، ج2، ص 227.
[4] نفسه، ج2، ص ص 227-228.

أما المال فكان ضريبة منتظمة ومقدارها يحدد مسبقاً لكل قبيلة، وكان الرؤساء المسؤولون عن المقادير المفروضة هم الذين يجمعونها، كما كانت الضرائب أداءات فوق العادة يطالب بها القادة حسب هواهم. ولقد كانت هذه التكاليف العسكرية والمالية تثقل كاهل الأهالي كثيراً الذين كانوا لا يطيقون زيادة على ذلك كبرياء وقسوة القرطاجيين[1].

يرى ستيفن غزال أن قرطاجة، إذا كانت قد ملكت إمبراطورية مكونة من مستوطنات بحرية متناثرة ومن بعض الولايات التي يسكنها الرعايا، فإنها لم تقم بتنظيمها. فقد مكثت أجنبية عن سكانها الذين كانوا يختلفون عنها[2]، والذين لم يكونوا يحبونها. كما لم تعمل هي لتكون محبوبة. وكان يمكن أن تدوم مدة أطول لو أنشأت في إفريقيا الشمالية أمة بونيقية بالرجال الذين كان باستطاعة هذه المنطقة تقدمهم لها، وبالحضارة التي كان بالإمكان هي أن تهبها لهم أو تفرضها عليهم. وهي مهمة تجعلها بنية البلاد صعبة على مدينة نائية بإحدى زوايا الرباعي المكون لأرض المغرب، ولكنها مهمة تجاهلت قرطاجة القيام بها[3].

وتساءل الأستاذ محمد العربي عقون عمّا إذا كان القرطاجيون يشعرون بانتمائهم إلى بلاد المغرب؟ أم أنّ انتماءهم كان قاصرا لا يتجاوز تعلّقهم بالمال والتجارة؟ حيث صعب على الفينيقيين استبدال حب المال بالتضحية بقسم منه في سبيل الوطن، ولعل فكرة الوطن كانت عندهم في أحسن الحالات لا تتجاوز أسوار قرطاج[4].

ثانيا– المواطنة: كان يوجد عدد كثير من اللوبيين ممن سكنوا في مدينة قرطاجة بصفتهم سكاناً أحراراً، إذ حصلوا على حقوقهم المدنية مقابل الخدمات التي أدوها للدولة، كجنود في جيشها بشكل خاص[5]، والحصول على المواطنة في المدن التابعة لقرطاجة ليس في مستوى الصعوبة التي

[1] أصطيفن أكصيل، المرجع السابق، ج2، ص232.

[2] استنتج الأستاذ محمد الصغير غانم بأن القرطاجيين ارتضوا لأنفسهم البقاء غرباء رغم استقرارهم في المنطقة أكثر من ثمانية قرون. ينظر: محمد الصغير غانم، المملكة النوميدية والحضارة البونية، المرجع السابق، ص45.

[3] أصطيفن أكصيل، المرجع السابق، ج2، ص ص 232-233.

[4] محمد العربي عقون، ثورة الجند المأجور، المرجع السابق، ص 207.

[5] فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو امبراطورية البحر ، المرجع السابق، ص 78.

كان عليها الحال بالنسبة للمواطنة في مدينة أثينا أو روما مثلا، إذ يكفي أن يكون الأب قرطاجياً. وكانت الدولة تمنح المواطنة للأجانب بقرار، عندما ترى المعنيين بذلك جديرين بها. وجاء في نصوص المعاهدة التي وقعت بين القائد حنبعل والملك فيليب الثالث المقدوني عام 215ق.م أن جميع أتباع (بمعنى رعايا) قرطاجة يتمتعون بنفس الحقوق، ويخضعون لنفس القوانين التي تسري على القرطاجيين أنفسهم، وفي ذلك إشارة إلى التمتع المتساوي بالحقوق السياسية والمدنية، بغض النظر عن أماكن إقامتهم في تراب الإمبراطورية القرطاجية[1].

إن المواطنة يعود الحق فيها إلى أحفاد الآباء القرطاجيين، وكانت ممنوعة عن العبيد والعتقاء. وفي مقابل ذلك كان يقيم بين هذه المجموعة السكانية عدد من الغرباء منهم اللوبيون كرجال أحرار فإن بعضهم يكتسب حق المواطنة مكافأة لهم على جدارات نالوها وبصورة خاصة كجنود[2].

لقرطاج عمق قاري يميزها عن المدينة الأم صور في حدّ ذاتها حيث دعّم مواردها الاقتصادية وأثّر في بُنية مجتمعها، لكن هل ارتبط ذلك بآلية اندماج اجتماعي في العاصمة البونيّة؟ يمكن القول أن المواطنة في تعبيرها الاجتماعي تبدو مقتصرة على الأحرار من القرطاجيين رغم أنّنا نفتقر لتحديد شروطها لكن من المرجح أنها بقيت في حدود القرطاجيين ذوي الأصل الفينيقي.

يشير محمد حسين فنطر إلى إمكانية وجود مجالس أو لجان في صلب مجلس الشعب، لها إمكانية إسناد المواطنة القرطاجية ويطرح افتراضا بخصوص اللّوبيفينيقيين. وذكر كل من تيتيوس ليويوس وآبيانوس إسناد المواطنة في ظروف استثنائية، حيث عرض حنبعل قبيل معركة كانّي (Cannes) سنة 216 ق.م على جنوده من الحلفاء مكافآت عديدة منها أن يصبحوا مواطنين قرطاجيين إن رغبوا في ذلك[3].

وقد برزت عائلة من برقة أثناء الحرب الأولى ضدّ روما وجّهت بعدها سياسة قرطاج، فقد

[1] محمد البشير شنيتي، الجزائر قراءة في جذور التاريخ وشواهد الحضارة، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص ص 195-197.

[2] فرانسوا دوكريه، قرطاجة الحضارة والتاريخ، المرجع السابق، ص61.

[3] Fantar (M.H), Carthage. Approche d'une civilisation. T1, Tunis, 1993, P 175.

اعتمدت سياسياً على الشّعب[1] الذي يمثّل بعدا أساسيا في المجتمع القرطاجي. ويشمل الشّعب فئة الأحرار التي نجدها مبدئيا ممثلة ضمن التجار والحرفيين، والمالكين العقاريين، لكن يبقى الغموض حول المنزلة القانونية للّوبيين والنوميديين الأحرار والخاضعين لإدارة القرطاجيين والذين كانوا يوفّرون للعاصمة البونية إحتياجاتها الرئيسية من الحبوب. فمن غير المستبعد أن تكون قرطاج قد تصرّفت تجاههم من منطلق المتحكّم في "الملكية السّامية للأرض" وفي ذلك ضمان لتواصل الانتاج من جهة ولتغيّر مقدار الضرائب حسب احتياجات الدولة القرطاجية من جهة أخرى[2].

ثالثا– المدن: ولعل أهم أشكال التجاور بين الشعبين اللوبي والقرطاجي كان في المدن التي لعبت دورا بارزاً في نقل التأثيرات القرطاجية إلى المغاربة، حيث كانت تُمثل مراكز للاحتكاك المباشر بين الشعبين في مختلف الميادين، وقد شهدت نهاية القرن الثاني عشر ق.م إنشاء أول المراكز الفينيقية في الجزء الغربي من المتوسط[3]، وهي ليكسوس (حوالي 1111 ق.م) وأوتيكا في نفس الفترة الزمنية (1101ق.م)[4] كانت هذه المراكز التجارية والمدن البونيقية عبارة عن مراكز إشعاع لنشر الحضارة والثقافة البونيقية[5].

ويظهر أن هذه المدن قد لعبت دورا ملموساً في عملية التأثر الحضاري بفضل انفتاحها وعدم عنصرية سكانها الشرقيين[6]. ففي هذه المدن التقى السكان المحليون بالقرطاجيين، حيث كانت عبارة عن مراكز استقطاب للسكان المحليين، فأقاموا في تلك المراكز العمرانية الساحلية

[1] سلطة الماجونيين هي سلطة قادة عسكريين مكّنوا قرطاج من أهم عمليات التوسّع سواء في صقلية وسردانيا أو في المجال الإفريقي. للمزيد ينظر: الشاذلي بورونية، المرجع السابق، ص 173.

[2] نفسه، ص 259.

[3] Basset. (R),Recherches sur la religion Berbères : Extrait de la revue de l'histoire des religions. Tome 61, 1910, éd. Laroux, Paris, 1910,p04.

[4] Warmington.(B.H), Op-cit, p 15 .

[5] Camps. (G), Berbères aux marges de l'Histoire, Des Hespérides, Toulouse, 1980, p 110.

[6] Gautier. (E.F), Le passé de l'Afrique du nord, siècles obscures, Payot, Paris, 1952, p 119.

وخاصّة تلك التي أقامها الفينيقيون منذ حلولهم على شواطئ المغرب القديم[1] وزار الكثير منهم قرطاجة كحليف أو أقام بها كرهينة، وهناك من النوميديين من آثروا العيش في مدينة قرطاجة وتركوا قبائلهم. وكان اللوبيون الذين يحيطون بقرطاجة يأتون ليقدموا خدماتهم لها[2]، وعلى كل الأراضي التي كانت تديرها قرطاجة.

وفي هذا السياق يقول شارل أندري جوليان: **"وقد كان تأثير المدينة البونيقية بطبيعة الحال في بلاد البربر الشرقية. فقد بهرت الأمراء النوميديين الذين أقام العدد الكثير منهم في قرطاج، وتزوجوا بنات طبقتها النبيلة وسموا أباءهم بأسماء قرطاجية، ومنحوا مدنهم دساتير منسوخة عن دساتير المستعمرات الساحلية وعبدوا الآلهة السامية وحرضوا رعاياهمم على العمل بأساليب ماغون الفلاحية"**[3].

يفهم من النص أن الكثير من هؤلاء النوميديين أمراء وحلفاء قرطاجة قد زاروا هذه المدن وشاهدوا عظم الحضارة القرطاجية فتأثروا بها[4]، وقد ظهرت مدن نوميدية متأثرة بالحضارة البونيقية منها سيرتا، دوقه، تيديس ومكثر، وقد أشار "تيت ليف" (Tite-Live) إلى مدى التأثر البونيقي في سيرتا قائلا: " **أن سيرتا كانت متأثرة بالحضارة البونيقية إلى حدّ بعيد"**[5]، ويؤكد هذا هذا الآثار المادية التي عثر عليها بقسنطينة وضواحيها[6].

ففي القرن الثاني كانت سيرتا عاصمة حقيقية ولكن الوثائق النقوشية التي بين أيدينا تكشف أن هذه العاصمة النوميدية كانت تكتسي طابعا بونيا في الأساس، ويؤكد كابريال كامبس أن ما هو حقيقي في سيرتا وفي مدن أخرى أقل أهمية هو مواطنيها، حيث ينحدر أغلبهم من تجار بونيين يحتفظون بديانة آبائهم وينشرونها في محيطهم، وقد أصبحت المدن النوميدية في عهد الملوك

---

[1] Basset. (R), Op-cit, p 06.

[2] أصطيفن أكصيل، المرجع السابق، ج4، ص 46.

[3] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 103.

[4] Basset. (R), Op-cit, p 07.

[5] Tite-Live, Histoire Romaine, trad. Par: Lasser (E),éd. Librairie Garnier frères, Paris, 1950, XXIX, 4-5.

[6] Cintas. (P), Fouille punique à Tipaza, R. Af. N° 416-417, 1948 , pp 290-296

النوميد عبارة عن نماذج مصغرة لقرطاج، لأنهم هم الآخرون تشربوا من رقي الديانة والتقاليد واللغة والكتابة البونية[1].

يكون ماسينيسا وميكيبسا قد شعرا بالقلق من الانتشار الواسع للتأثير البوني ولذلك اعتمدا سياسة الإقبال على الهلينية وبذلا جهودا مضنية لجلب اهتمام الإغريق والإيطاليين إلى مملكتهما، ولكن الحضارة البونية كانت قد تجذّرت في الأرض النوميدية إلى درجة أنّ الإغريق ذاتهم التحقوا في سيرتا بواقع الحياة العامّة فعبدوا بعل أمون وتكلّموا البونية وأعطوا لأبنائهم أسماء بونية[2].

هذا ما كان قبل تدمير قرطاجة، واستمر بعد ذلك **"وواضح أثر قرطاجة في هذه البلاد، فإذا كانت المدينة نفسها قد اندثرت فإن المدن الفينيقية الأخرى التي أوجدتها لم تزل في الوجود"**[3]. فالملاحظ أن بعد سقوط قرطاجة انعدم أي ذكر للفينيقيين، لأنهم انصهروا في البوتقة اللوبية، وكذلك بالنسبة للوبيين، حيث بدأ يرجعهم المؤرخون أولا إلى القرطاجيين والبونيقيين، ثم إلى تسميتهم الإغريقية القديمة: بربر، وأحيانا يسمونهم بقبائل المور، وأحيانا أخرى يقولون عنهم: أفارقة، ومغاربة، ويقسّمون المنطقة الغربية إدارياً إلى نوميديا وموريتانيا، والمنطقة الشرقية إلى برقة وطرابلس[4].

ثالثا– الحياة اليومية: حسب القرابة وتشابه اللغة والطباع استحسن المغاربة وجود الفينيقيين، فأخذوا عنهم كافة فروع النشاط الاقتصادي كالزراعة والصناعة والتجارة التي وسّعت أمور المعيشة في البلاد وشغّلت كثيراً من الرجال الذين كانوا قبل ذلك معطّلين، وأخذوا عنهم العديد من مظاهر التمدّن الشرقي[5]. ويقول "قوتييه":**"فعلى شاطئ سرت شرقي قرطاج جرى التعرّف على عشرين عشرين مدينة فينيقية ولم يسلك القرطاجيون في تلك المدن مسلكاً عنصرياً، بل تمازجوا بسكانها**

[1] كابريال كامبس، في أصول بلاد البربر، المرجع السابق، ص ص 319-321.
[2] نفسه، ص 321.
[3] غوتييه، المرجع السابق، ص 91.
[4] عبد العزيز سعيد الصويعي، اللغة الليبية القديمة وكتابتها، المرجع السابق، ص 46.
[5] بن مسعود محمد، تاريخ ليبيا القديم والعالم قبل الفتح العربي، ط2، مطابع الوفاء، بيروت، 1963، ص 24.

الأصليين عن طريق الزواج"[1].

كانت مظاهر الحياة اليومية البونيقية من ملبس ومأكل ومسكن وسلوكات اعتيادية محل تقليد من قبل النوميديين وسكان المغرب عموماً، وذلك بحكم المعايشة والاحتكاك الدائم بين الطرفين، خاصة في المدن وما جاورها، ولذلك كان تخلي الطبقة الوجيهة من النوميديين والمور عن عادات لوبية قديمة، والتحلي بدلها بعادات حضرية ذات طابع فينيقي، ومنها بعض مظاهر اللباس والحلاقة، كما يظهر في رسومهم على النقود والتماثيل والأنصاب، وهذا التقليد مظهر من مظاهر الانصهار الحضاري الفينيقي المغربي[2]. فالوجود القرطاجي ببلاد المغرب ترك أثراً عميقاً في الحياة اليومية فالطابع القرطاجي مازال يسم المعادن والجلد والخزف المذهب والأصباغ والنسيج والآلات الفلاحية والملابس والأعراف[3].

كان الزي البونيقي عبارة عن ثوب واسع وطويل حتى القدمين، يكون أحيانا فضفاضا، ويُشدّ على الخصر بحزام أحيانا أخرى، وهو كما سُمي من طرف الكتّاب الإغريق واللاتين بالجبة الفينيقية (Tunicata poenulus)، وكان ذا أكمام طويلة وعريضة تغطي الذراعين حتى الأيدي، ومنه قصير الأكمام الذي يترك الزند عاريا. وربما الثوب الذي وصفه ترتوليان بالمعطف (Pallium) ذي الشكل المربع، الذي يربط على الخصر، ويُشد على الكتفين فيتدلى على الجسم، له علاقة بالجبة الفينيقية. وقد برز هذا الثوب في رسوم الأشخاص الممثلة في الأنصاب. وهناك ثوب للرجال والنساء عبارة عن قطعة طويلة تلف العنق وتتدلى على الجسم كما نلاحظها في رسوم الأنصاب كذلك[4].

وكان الزيّ يختلف تبعا لوظائف الأشخاص، فلباس الكاهن غير لباس الموظف، ولباس التاجر يختلف عن لباس الفلاح من حيث شكل الثوب ونوعيته، أما لباس المرأة فكان يشبه ما نراه

[1] غوتييه، المرجع السابق، ص ص 90-91.

[2] محمد البشير شنيتي، الجزائر قراءة في جذور التاريخ، المرجع السابق، ص 199.

[3] عبد العزيز بن عبد الله، تاريخ المغرب العصر القديم والعصر الوسيط، نشر وتوزيع مكتبة السلام ومكتبة المعارف، الرباط، دت، ص46.

[4] محمد البشير شنيتي، الجزائر قراءة في جذور التاريخ، المرجع السابق، ص199.

مشخصاً في زيّ النساء الإغريقيات، فكان طويلا يضيق عند الخصر وله أكمام قصيرة. ولما يخرج النسوة يضربن على رؤوسهن بمعطف يصل إلى القدمين تحشما، على عادة المشرقيات[1].

ويبدو أن السكان المحليين قد قلدوا الفينيقيين في لباسهم حيث انتشرت الجلابيب الفضفاضة بدون حزام مع استعمال قبعة لغطاء الرأس، وكانت هذه الجلابيب عبارة عن أردية طويلة من الصوف يبدو أنها تعود في أصولها إلى بلاد الرافدين وهي في كل الأحوال تحمي من برد الشتاء وحرارة الصيف[2].(**ينظر الشكل رقم:21**)

شكل رقم 21: يوضح أنواع الملابس

نقلا عن: شنيتي، الجزائر قراءة في جذور التاريخ، المرجع السابق، ص 198.

[1] محمد البشير شنيتي، الجزائر قراءة في جذور التاريخ، المرجع السابق، ص199.

[2] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 117.

وإضافة إلى الجلابيب، انتشرت في شمال أفريقيا بصفة عامة أنواع أخرى من الملابس أطلق عليها الأردية القبرصية، وكانت عبارة عن أردية داخلية من الكتان، تعلوها طبقات من الأردية الخارجية التي تتدرج في القصر والعرض، والتي تم استخدامها واقتناؤها من قبل اللوبيين والفينيقيين، واستمرت مستعملة حتى العصر الروماني[1].

تحدث ترتوليان (Tertullen) عن رداء رباعي الشكل، محصور حول القفا، تربطه المشابك على الكتفين وينزل من كل جهة، ويبدو أن هذا الرداء كان يستعمل وقت البرد والمطر[2]، وكانت الملابس والمنسوجات الحريرية والصوفية[3] ذات الصبغة الأرجوانية -التي يرجح أنها من صناعة صور- من بين المقتنيات التي كانت تمتلئ بها خزائن الملابس في منازل السكان. ومن خلال مخلفات بئر الضريح البونيقي بمدينة صبراتة، اتضح وجود بعض القواقع من بينها عدد من قواقع المرّيْق (Murex) التي يظهر في قشورها ثقوب مصطنعة يرجح أنها عُملت كي لا يموت الحيوان في أحواض التربية، كما أن هذه الثقوب ربما استخدمت لاستخراج الإفرازات الرخوية، علماً بأن مخلفات القواقع ترجع إلى نهاية القرن الثالث الميلادي[4].

إن تواجد هذه الرخويات سواء التي يتم تربيتها أو التي يتم صيدها واستخراج الصبغة منها، يؤكد على وجود صناع مهرة يعملون في صناعة الصبغة الأرجوانية، لاستغلالها في صباغة الملابس التي يتم صناعتها في المنطقة، والتي استمرت على الأرجح إلى العصر الروماني[5].

وكان الرجال والنساء البونيقيين على السواء يزينون معاصمهم بالأساور، إذ عُثر في الضريح البونيقي بصبراته على تمثال يمثل امرأة ملتفة برداء وتلبس في رسغها سواراً كما تحمل على صدرها قرباناً، ومارس الفينيقيون بعض العادات الإجتماعية، منها عادة الوشم من أجل الزينة أو للحماية

[1] أحمد محمد أنديشه، الحياة الإجتماعية في المرافىء الليبية وظهيرها في ظل السيطرة الرومانية، ط1، منشورات جامعة التحدي، سرت-ليبيا، 2008، ص 167.

[2] أصطيفن أكصيل، تاريخ شمال إفريقيا القديم، ج4، ص 144.

[3] محمد سليمان أيوب، جرمة من تاريخ الحضارة الليبية القديمة، ص212.

[4] أحمد محمد أنديشه، الحياة الإجتماعية في المرافىء الليبية، المرجع السابق، ص 167.

[5] نفسه، ص ص 167-168.

من الأرواح الشريرة أسوة باللوبيين على الأرجح[1].

رابعا– الأسرة والزواج: تعد المعلومات الموجودة حول هذا الموضوع شحيحة جداً بالنسبة للتأثيرات الفينيقية في بلاد المغرب ولذلك سأعتمد على ما ذكر في هذا الصدد حول مدينة قرطاجة لعلها تعطينا صورة واضحة إلى حد ما حول هذا الموضوع.

تبين من خلال النقوش البونيقية التي عثر عليها قيام المجتمع البونيقي على النظام الأسري، واهتمامهم بالمحافظة على الروابط الأسرية، وهو ما يتضح من تكريمهم لآبائهم وأمهاتهم، وإقامة الأضرحة الفخمة تخليدا ووفاءاً لذكراهم إذ تعتبر الأضرحة البونيقية المتعددة في بلاد المغرب خير دليل على ذلك[2].

1– المرأة: إن التوثيق الأدبي القابل لأن ينير سبيلنا ويفيدنا بأوضاع المرأة في قرطاجة ضاع إلى الأبد، فلقد كتب على مواد قابلة للتّلف فلم يصمد أمام تحطيم هذه المدينة سنة 146 ق.م، وبالمقابل بقي مصدرا آخر ليس دونها أهمية. ويتمثل في نحو 767 نقيشة جنائزية تمتد زمنيا من أواخر القرن الخامس ق.م إلى منتصف القرن الثاني ق.م، إن هذه النصوص تشكل معينا لا ينضب من المعلومات الصادرة مباشرة عن القرطاجيات بأنفسهن وبإمكانها إيفادتنا عن أصولهن وأوضاعهن الإجتماعية والمكانة التي احتللنها في حياة قرطاجة سواء في الميادين الاجتماعية والاقتصادية أو في الدينية والسياسية[3].

أ– الأصول اللوبية للنساء بقرطاجة: إلى جانب النساء اللاتي يحملن مثل أجدادهن أسماء بونية وهن الأغلبية، فإننا نعثر في النقائش على أسماء أعلام سامية، لوبية ويونانية أو غير واضحة المعنى إلى حد اليوم، وما يهمنا من هذه الوثائق النقائش المتعلقة بنساء يحملن أسماء لوبية أو ذات جد لوبي وهي كثيرة، وتدل على حضور مهم للنساء من أصل محلي. إن تداول أسماء الأعلام بين محلية وسامية في سلسلة نسب هؤلاء النساء هي بدرجة تجعلنا نتساءل عمّا إذا كانت الأسماء البونية

[1] أحمد محمد أنديشه، الحياة الإجتماعية في المرافىء الليبية، المرجع السابق، ص ص 153– 174.

[2] نفسه، ص153.

[3] أحمد الفرجاوي، النساء في قرطاجة من خلال الوثائق النّقائشية، معرض المرأة التونسية عبر العصور، المرسى– تونس، 1997، ص27.

لعدد من النساء تخفي في الواقع أصلا لوبيا لهنّ. وإن مثل هذا الحضور يكشف أهمية التغلغل اللّوبي في الحاضرة البونية التي صارت بعد فترة من تاريخها، مدينة لوبية من حيث أصول قسم من السكّان مع استمرارها رغم ذلك، شرقية بثقافتها ومدينتها. وهكذا أتاحت النساء للقرطاجيين واللّوبيين الترابط عبر وسائط الدّم والثقافة[1].

إن ما وصلنا عن مركز المرأة في قرطاجة يدل على وجود احترام خاص بها فالقاعدة العامة عند الرجال هو الاكتفاء بزوجة واحدة. إذ عثر على كثير من القبور التي تحتوي عظام الزوجين. هذا بالاضافة إلى أن النساء في قرطاجة كن يحصلن على ثقافة واسعة وكن يشتركن في الأنشطة الاجتماعية وخاصة السياسية والدينية[2].

يبدو أن العنصر النسائي قد لعب دوراً هاماً في بلاد المغرب القديم في الفترة البونية وكان – إذا أخذنا بما روته الأساطير والمصادر- حاسما في بعض الحقب التاريخية، ويكفي للدلالة على ذلك أن نذكّر ببعض الأسماء الرموز منها:

ب- عليسة الملكة الحاكمة: تعد شخصية عليسة من أشهر الشخصيات النسائية وأكثرها تأثيرا في المجتمع القرطاجي، تعتبر مؤسسة لمدينة بل لامبراطورية قد هيمنت لقرون عدّة على كل العالم المتوسطي[3]، ومن ثمة ارتبط تاريخ المدينة في النصوص الأدبية بإسم مؤسستها ديدون[4].

وقد تحدثنا سابقا عن نسبها ومجريات تأسيسها لمدينة قرطاجة، أشرفت الأميرة الوافدة من صور على أعمال البناء والتشييد داخل مملكتها منذ أن وطأت قدمها أرض بلاد المغرب، ثم أقامت أسس نظام حكم يعتمد على مؤسسات تشريعية وقضائية نظمت بواسطتها الحياة العامة

[1] أحمد الفرجاوي، النساء في قرطاجة، المرجع السابق، ص 27.

[2] Gilbert Et Colette C.P., Daicy Life In Carthage, Traaslated From The Frence By A.G. Feoter, Rusxia House Georgeallea And Unwia Lid, First Published, London, 1968, P 128.

[3] محمد حسين فنطر، عليسة بين الأسطورة والواقع، معرض المرأة التونسية عبر العصور، المرسى-تونس، 1997، ص 15.

[4] بتتبع معطيات النصوص، اتضح ان اسم ديدون اقترن بالأميرة الصورية بعد تأسيس قرطاج، فقد أطلق الأهالي المحليون هذا الاسم عليها نظرا لتنقلاتها العديدة، رغم أن هناك من يشكك في وجود هذه الأميرة على الأراضي الإفريقية.

داخل المدينة، وساهمت هذه المؤسسات في شهرة قرطاج وإشعاعها في الحوض المتوسطي. فقد باشرت شؤون رعيتها وهي ملكة قابعة في بلاطها، فحكمت بالعدل وسنت القوانين ووزعت المهام بين موظفيها، ثم خططت لمستقبل بلدها الجديد، ونهجت بذلك سياسة داخلية شاملة اقتبستها من صور منذ نعومة أظافرها وهي أميرة، أهلتها لكي تكون سفيرة لبلدها توصل إليها حضارتها ولغتها وديانتها وأفكارها[1].

عندما ازدهرت هذه المدينة عرض هيرباص زعيم قبيلة الماكسيتنايين الزواج على الملكة عليسة، فكان الطمع في ضم المدينة لسلطته هو محور الزواج وهدفه[2] وهددها بالحرب والقتال في حالة رفضها لطلبه[3]، فدبرت الملكة حيلة للحفاظ على إشعاع المدينة، بعدما تنبأت بفطنتها وذكائها إلى مراميه، خصوصا وأن قرطاج أضحت مدينة معلمة في الحوض المتوسطي. فطلبت منه أن يمهلها حتى تقيم احتفال لتوديع ذكرى زوجها الأول.

اتخذت الملكة عدة تدابير عندما قررت التخلص من كل قيودها، فظلت طيلة الأيام التي تلت ذاك العرض منعزلة، ثم أمرت كل عائلة أن تحضر عددا كثيرا من الأخشاب لتقديم أضاحي كبيرة لروح زوجها وأوصت أن يوضع عرشها في قمة المحرقة، بعدئذ طعنت قلبها بالسكين وارتمت في النار[4].

بعد التمعن في شخصية عليسة نجد أن انتحارها ما هو سوى رفضا صريحا لإخضاع شعبها ومدينتها لهيمنة أجنبية. فلقد ضحت بنفسها حتى يعيش شعبها حرا متمتعا باستقلاله طالما أن هذا الزواج لم يكن حسب هيرباص مجرد علاقة زوجية عادية بقدر ما هو وسيلة لبسط نفوذه على قرطاجة والاستفادة من ثرواتها. فكيف لها أن تقبل بذلك وهي تحدت أخيها ومنعته من الاستحواذ على ثروة زوجها ؟، وهل يعقل أن تتخلى بسهولة عن هذه المدينة التي تعد المفتاح الذي يفتح لها

---

[1] Hubac (P), Carthage, Ed, Les Belles Maud , Paris, 1952, P 86.

[2] Tertullien, De la monogamie, III,XVII.P.De Labriolle, Ed, Alphonse, Picard et fils, Paris, 1906.

[3] محمد الصغير غانم، المملكة النوميدية، المرجع السابق، ص 46.

[4] Camps (G), L'Aafrique du nord au féminin, Héroïnes du Maghreb et du Sahara, Perrin, Paris, 1992, p 50.

الباب على مصراعيه لتحقيق مشاريعها الرامية إلى تأسيس مملكة ؟ كما أنه يبرز مدى قوة شخصيتها بكل ما تتضمنه هذه العبارة من معاني كالشجاعة والإقدام والذكاء...الخ، فمن الصعب عليها الخروج من مملكة كانت قد بلغت درجة من الرقي الحضاري وعبور البحر لتأسيس مدينة برقعة جغرافية يقطنها شعب ليس في نفس المستوى الحضاري الذي تعودت عليه، هذا من جهة ومن جهة أخرى لا ينبغي أن ننسى الظروف المحيطة بخروجها من مدينة صور والتي كانت غير عادية طالما خرجت هاربة من أخيها، وبالتالي لا يمكنها في حالة فشلها في تنفيذ مخططها العودة إلى موطنها خاصة وأن ذلك يوقعها في يد أخيها الذي قد ينتظر الفرصة للانتقام منها[1].

جـ- صفونيسبة (الملكة زوجة الملك): تحتفظ المصادر ببضعة أسماء لنساء حصلن على لقب ملكة إثر زواجهن بالملوك، ورغم أهمية الدور الذي كان لبعضهن في البلاط الملكي، إلا أنه لم تسند لهن أي مهام سياسية محددة[2]. ونذكر في هذا السياق ملكة من أصل قرطاجي اسمها البوني هو "صفنبعل" أي رعية الإله بعل، وعرفت كذلك بصفنيبة[3]، وهي من أصل أرستقراطي فوالدها[4] عزربعل بن جرسكن، يرجح أنها ولدت حوالي 221 ق.م في السنة التي أصبح فيها حنبعل قائدا أعلى للجيش القرطاجي في إسبانيا[5].

[1] خديجة منصوري، أصناف النساء ببلاد المغرب القديم من خلال المصادر المادية والمصادر الأدبية، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ع:25، أفريل 2008، ص 272.

[2] نفسه، ص 276.

[3] زيادة على ما قدّمه اللغويون في اسم صوفونيسب أراد محمد العربي عقون تقديم مقاربة تدلّ على الأثر الليبي الأمازيغي في اسم هذه الأميرة وهو المتمثل في حرف النون الذي يفيد الملكية في اللغة الأمازيغية فيكون اسمها البوني المتمزّغ صوفو نّس بـ(ال)(l) Sophonnes أو صوفون بال(Sopho n' bal) والمعروف أنّ النون الساكنة التي تعقبها باء تقلب ميما ولذلك كُتب اسمها في نصّ أثري هكذا:(Saphambalis (au génitif. ينظر: محمد العربي عقون، ماسينيسا من كفاحه لاستعادة حقه في العرش، المرجع السابق، ص 93.

[4] كان أبوها عزر بعل من سادة قرطاجة، قام بدور مهم أثناء الحرب الرومانية القرطاجية الثانية (219-201 ق.م)، حيث كان له اتصال مع الملك سيفاكس لذلك زوجه ابنته. ينظر: محمد الصغير غانم، العلاقات الحضارية ج3، المرجع السابق، ص 387.

[5] محمد حسين فنطر، الحرف والصورة، المرجع السابق، ص ص 27-28.

كانت صفونيسيبة كما يذكر المؤرخون آية في الجمال والثقافة[1]، اعتنى أبوها بتربيتهـــــــا وتثقيفها[2] وليس من الغريب أن تمنح من رحيق الأدب والفن عن طريق معلمين فلاسفة وأدباء مبدعين، فكانت تحسن لغات عصرها فضلا عن الرقص والموسيقى حتّى وصفوها بالأديبة الحسناء يرتاح لمنطقها الفكر ويخشع لها السمع والبصر[3].

وردت أخبار متفرقة عنها من خلال ذكر مرحلة ضعف الدولة القرطاجية وعلاقتها بالدولة النوميدية، حيث كانت ستتزوج من الملك ماسينيسا[4] لولا أن المجلس القرطاجي ضغط على والدها كي يزوجها لصفاقس الذي كان في نظره حليفا قويا لقرطاجة[5].

تزوج العاهل النوميدي من صفونيسيبة سنة 205 ق.م وأصبحت سيدة القصر طلباتها أوامر مطاعة فكانت دائماً وراء الملك تغريه وتحرّضه على مواصلة القتال مشدوداً إلى صفوف قرطاج يقول في ذلك تيت ليف:" **بدأت الترتيبات في المدينة والقرية، وأرسلت التعليمات إلى سيفاكس الذي كان حماسه أكبر لبدء الحرب. واستطاعت زوجته أن تفوز بقلبه بدلالها، لكنها استخدمت أسلحة أخرى أكثر تأثيرا على قلب زوجها المتيم، كالتوسل وإثارة عطفه وشفقته ببكائها، وتوسلت إليه بدموعها المنهارة ألا يخون والدها ووطنها**"[6]. يبدو من من النص التأثير الواضح والدور المهم الذي لعبته الملكة القرطاجية في تحالف سيفاكس مع قرطاجة. ويذكر المؤرخ الإغريقي بوليب أن صفونيسيبة فعلا شاركت زوجها في تسيير أمور

[1] محمد الصغير غانم، العلاقات الحضارية، ج3، المرجع السابق، ص 387.

[2] معلوم أن الأسر الميسورة في قرطاج كانت تعير اهتماماً كبيراً لتربية الأبناء والبنات لتزويدهم بثقافة متينة تساعدهم على شقّ طريقهم في الحياة وتجعل منهم زينة وفخرا.

[3] محمد حسين فنطر، عليسة بين الأسطورة والواقع، المرجع السابق، ص 25.

[4] كان ماسينيسا من بين الذين أتوا قرطاج لينهلوا من معين حضارتها ويتدرّبوا على أساليب العمل فيها والتّرف، قيل أنّه تعرف على صفونيسيبة الحسناء فهام بها وقيل أن أباها وعده بتزويجه إياها فتحمّس الأمير وهو في عنفوان الشباب ولم يتردد في التحوّل إلى اسبانيا على رأس كتيبة من الفرسان الأشاوس منضمّا إلى الجيش القرطاجي وساهم في معارك شتّى حتى أصبح معروفاً لدى القيادة الرومانية بشجاعته، فلا غرو أن تعمل مصالحهم المختصّة على ربط الصلة به وتحاول إغراءه بما لا يستطيع القرطاجيون لا سيما في ظروف مكنت الرومان من التّفوّق في اسبانيا. ينظر: نفسه، ص 26.

[5] مها العيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب، المرجع السابق، ص 206.

[6] Tite Live, XXX,7.

الدولة[1]، وكانت علاقتها بزوجها خاضعة لإعتبارات مصلحية وسياسية خالصة، ظهرت في إستراتيجية التخطيط عندما خططت صوفونيسبة لكسب حليف قوي لوطنها قرطاج في محنته. ويصور لنا المؤلف اللاتيني "كورنيوس نيبوس" (Cornelius Nepos)[2] (100-25 ق.م) تفاصيل هذا المخطط الذي أملته على زوجها، بل الأدهى من ذلك أنها كانت متتبعة لتطوراته[3]، وهي قابعة في قصرها في سيرتا تنتظر ما يسفر عنه من نتائج .

وتابعت خيوط مخططها عن كثب وتحكمت بمساره من خلال رؤيتين رؤية الملكة، ورؤية الزوجة الذكية. وقد حاول القائد العسكري سكيبيون من جهته أن يقنع الملك النوميدي بالعدول عن مناصرته للقرطاجيين، غير أنه لم يفلح في ذلك، وأرجع بعض المؤرخين فشل هذا الأخير في مهمته إلى قوة شخصية صوفونيسب ومدى تأثيرها على زوجها، الذي كانت تشاركه الحكم[4].

انهزم سيفاقص وسقط بين يدي سيبيون وبقيت صفونيسيبة في سيرتا تنظم المقاومة والدفاع وتمكنت من ربط الصلة بالأمير النوميدي ماسينيسا فلمّا فتح المدينة كان اللّقاء مثيراً وقد استقبلته بجمالها ومفاتنها جاثمة على عتبة القصر يقول تيت ليف:**"كان جمال صوفونيسب أخاذ، وهي في ريعان شبابها، توسلت إلى ماسينيسا وهي تتمتع بأنوثة طاغية، ورغم كونها جاثية على ركبتها فهي متدللة أكثر من متوسلة، فرق قلب البطل لحديثها، ووقع في حب أسيرته بأمر من الإلهة فينوس، وارتبطت روحه بها وتملكه كلامها الناعم، فرافقته إلى القصر"**[5]. فلم يستطع تأجيل الزواج منها فكان زواجا لم يحظ برضى سيبيون[6].

ولعل أهم ما يلفت الانتباه هو مدى قوتها ورزانة عقلها وتمسكها بالديانة القرطاجية، هذا ما يتجلى من سجودها لماسينيسا المنتصر إثر انهزام القرطاجيين وخليفتهم صيفاقس في الحرب

---

[1] Polybe, Histoires, Tradution D.Roussel, Gallimard. Paris, 1970, XIV,7.

[2] Cornelius Nepos, Œuvres de Cornelius Nepos, Texte établi et traduit par, A.M. Guillemin, Ed. les Belles Lettres, Paris, 1923. XX II, 3.

[3] Tite Live, XXX, 12,17.

[4] محمد الصغير غانم، علاقة نوميديا بالرومان، مجلة التراث، العدد الثاني،1987، ص 13-35.

[5] Tite Live, XXX, 12,17,18.

[6] محمد حسين فنطر، عليسة بين الأسطورة والواقع، المرجع السابق، ص 24

البونية الثانية حسب ما تمليه عليها ثقافتها البونية، هذا السجود الذي هو تعبير صريح عن هزيمتها وفي نفس الوقت سجودا للآلهة التي حققت النصر للمنتصر، هذا من جهة ومن جهة أخرى مدى تمسكها بأصالتها واعترافها بذلك الامتزاج الحضاري بين القرطاجيين والنوميد بدليل أنها فضلت تسليم نفسها لماسينيسا والزواج به عوض الوقوع في يد الرومان، غير أن هذا الزواج دام يوما واحدا فقط بسبب الضغط الذي تعرض له ماسينيسا لتسليمها للسلطات الرومانية حتى تعامل حسب ما يقرره الرومان، لأن ماسينيسا حتى وإن كان من المنتصرين إلا أن صوفونيسبة لم تكن أسيرته طالما أن الحرب اندلعت تحت إشراف الآلهة الرومانية التي حققت لهم النصر، وبالتالي لا يجوز حرمان هذه الأخيرة من غنائمها[1].

زيادة على ذلك كان الرومان يعتقدون أن ماسينيسا أراد أن يعبر من خلال هذا الزواج عن وراثته لعرش صيفاقس بعد احتلاله مدينة سيرتا والاستيلاء على قصره، دون أن ننسى تخوف سيبيون من مدى تأثير صوفونيسبة مستقبلا على ماسينيسا ودفعه للتخلي عن مساندة الرومان. ولما عجز الملك النوميدي في الاحتفاظ بها وكان سيسلمها للرومان ضحت بنفسها وانتحرت سنة 203 ق.م عوض الظهور في احتفالات النصر التي كان سيقيمها الرومان والتي تعبر عن هزيمة وطنها وآلهتها[2].

نخلص مما تقدم، أن صوفونيسبة إختارت بمخططها ما يمكن أن يسهم في التعبير عن بعد رؤيتها الفكرية، والإفصاح عن خطاب سببه الصراع الدائر بين خصمين، حتى أن بعض المؤرخين المعاصرين نسب إليها أفعالا شيطانية بسبب قدرتها الفائقة على التخطيط ودرايتها العميقة بسيرورة الأحداث ومصير التحالفات. إضافة إلى شخصيتها المؤثرة في شخص زوجها، ونلمس في هذا المسار الأحادي في التخطيط لمصير الأحداث الجسيمة غريب على تجربة إمرأة، وهذا يعني أن الملكة صفونيسب هي أول من كسر هذه القواعد الحربية للوصول إلى أهدافها حاملة لشواغل وطنها قرطاج[3].

[1] خديجة منصوري، المرجع السابق، ص ص 276-277.

[2] نفسه، ص ص 276-277.

[3] Vanayol.V, Hannibal, France-Empire, Paris, 1895, P220.

بينما تمثل هدف الملك سيفاكس من هذا الزواج في رفع شعار إفريقيا للأفارقة وخدمـــــة السياسة الداخلية للمنطقة وكسب حلفاء في محنته، ولا تمثل قصة الحب والتأثير إلا الجانب العاطفي في الموضوع الذي لا يصمد أمام الأهداف السامية التي عاش من أجلها العاهل المتمثلة في الدفاع عن العرش والأرض[1].

من الصعب أن نربط موقف الملكين (سيفاكس- ماسينيسا) بالتنافس حول إمرأة، لأن الأمر يتخذ أبعادا سياسية أخرى عبرت عنها النصوص الأدبية بصيغة غير مباشرة، وأن كل ما قيل على هذه الشخصيات لا يعدو أن يكون مجرد روايات من وحي الخيال، فسر مواقفها المؤرخون اللاتين حسب أهوائهم، وربما لها علاقة ببعض المبالغات ورغم ذلك يبدو أن المرأة القرطاجية لعبت دورا في العلاقات السياسية وتدخلت في تسيير الشؤون الداخلية للممالك الليبية فكانت بمثابة سفيرة قرطاج في نوميديا وطرفا فاعلا في الشؤون السياسية للممالك اللوبية المجاورة لقرطاج[2].

د- زوجة أصدر بعل: ضربت زوجة أسدربعل (Hasdrubal)[3] مثالا في التضحية والتفاني، وأبانت عن شجاعتها وقوة شخصيتها وموقفها من زوجها الضعيف، الذي تخلى عن جنوده بعدما وثقوا فيه ليلتجأ إلى القنصل الروماني ويطلب منه الحياة شرط أن يلتحق بعد ذلك بصفوف العدو[4]. ولقد لفتت شجاعة هذه المرأة واستماتتها في التحصن في مدينتها قرطاج اهتمام جمهرة من المؤلفين، أمثال المؤرخ اللاتيني فلوروس (Florus)(70-140م) وذلك حين وصف وحشية روما حين خربت قرطاج، فتصدت لها بكل ما أوتيت من قوة ورفضت الانصياع لأوامر قادتها[5].

---

[1] محمد الصغير غانم، المملكة النوميدية والحضارة البونية، المرجع السابق، ص82.

[2] Picrd (G), Ch, Le monde de Carthage, Buchet Chastel, Paris, 1956, P 62.

[3] أطلق المؤرخون على هذه المرأة الشجاعة "زوجة أسدر بعل" فلم تذكرها المصادر بإسمها.

[4] Polybe, XXXV III, 20.

[5] Florus, Abrégé de l'Histoire romaine, Texte traduit par, P.JAL, les Belles Lettres, Paris,1967, I, 12, 13.

تحصنت زوجة أسدربعل في معبد الإله إسكولاب (Iscolabe)[1] في قرطاج عند اجتيـاح الرومان للمدينة، وتحملت مع طفليها ما لا يحتمل، ولما ألقي عليها القبض رفضت موقف زوجها الضعيف والإهانة التي لقيها من طرف خصومه، وأبت الانصياع ورمت نفسها في النار للتخلص من المهانة التي لحقتها، فخلدت ذكراها في قرطاج حيث أنشئت مقبرتها في بيرسا (byrsa) فوق هضبة مرتفعة تشرف على المدينة ككل[2].

وبموقفها هذا، تكون قد قدمت صورة لإمرأة عاشت في مأزق، وهذا وضعها في حالة اختيار: بين الذل والمهانة الذي كان مصير زوجها الضعيف في حاجته إلى الحماية، وهو يعيش في صراعاته خوفا من سلطة روما، وما نتج عن هذا التأثير على علاقتهما الزوجية، وتيقن الزوجة في عدم قدرته على حمايتها وحماية أطفالها الصغار، وبين الاحتفاظ بكرامتها والسعي نحو حرية مدينتها، لتجعلها متفردة في فضاء الزمن ثم الذاكرة والتاريخ.

وسجلت نصوص أخرى مواقف متباينة للمرأة وسعيها وراء تحقيق النصر وتفادي شبح الهزيمة، فقد تبرعت القرطاجيات بحليهن لضمان أجور الجنود المدافعين على قرطاج[3]، كما وهبن جدائل شعورهن الطويلة لاستعمالها كحبال للمنجنيق (Catapultes)[4] بغرض تحقيق النصر وحماية المدينة من أي هجوم مفاجئ، وحفرت المرأة القرطاجية إلى جانب الجنود موانئ لتسهيل مرور ورسو السفن الحربية إبان الحروب البونية[5].

2- **المصاهرات اللوبية–القرطاجية:** إنشاء مستوطنات دائمة للفينيقيين ساعدتهم على التماس مع السكان المحليين، فأصبحوا على إتصال مباشر معهم، واحتكوا بهم من خلال تبادل السلع بينهم، واستخدموهم في المرافئ التي أنشأوها على تلك السواحل، هذه الظروف ترتب عليها

[1] هو إله الطب ابن أبولون، وهو أسكلبيوس عند اليونان. تقول الأسطورة إن إسكولاب لقي فجأة قدراً من النجاح في إنقاذ الأرواح جعل إله الجحيم هاديس يشتكي منه إلى الإله زيوس كبير الآلهة، الذي أنزل صاعقة قاتلة على إسكولاب خشية أن يمنح الخلود للآدميين.

[2] أصطيفن أكصيل، المرجع السابق،ج3 ، ص239.

[3] Polybe, I, 72, 5.

[4] Diodore, XXX II,9

[5] أصطيفن أكصيل، المرجع السابق، ج3، ص 233.

الاندماج التدريجي بين القادمين الجدد وأصحاب البلاد الأصليين، وليس من المستبعد أن يكون قد أدى ذلك إلى زواج بعض هؤلاء التجار من نساء ليبيات، فبقاؤهم لفترة طويلة بعيدين عن بلادهم في الشرق يحتم عليهم تكوين أسر جديدة في وطنهم الجديد[1].

كما أن مثل هذا الزواج كان من شأنه أن يكون وسيلة تقربهم أكثر من المجتمع الجديد، ويمكنهم من ممارسة تجارتهم بشكل أفضل، ويوفر لهم الأمان، وقد يعود على الأهالي بالنفع أكثر من ذي قبل، عندما يكونون أصهاراً لأصحاب تلك البضائع التي يحتاجونها ويدفعون فيها الذهب، وبذلك فإن مثل تلك المصاهرة من شأنها أن تعود بالمنفعة المشتركة على الطرفين، خاصة إذا ما عرفنا أن الفينيقيين كانوا شعباً منفتحاً على الشعوب الأخرى، يزوجونهم ويتزوجون منهم، فكثير من القرطاجيات تم زواجهن من غير القرطاجيين، خاصة من اللوبيين، وكثير من القرطاجيين تزوجوا من أجنبيات، وأنجبوا منهن شخصيات كان لها أهميتها في التاريخ القرطاجي[2].

وتبين من الجماجم التي تم العثور عليها في المقابر القرطاجية على أن أصحابها من أعراق متباينة، وكذلك الشأن بالنسبة للذين خلدوا أسماءهم على أنصاب نذرية أو جنائزية ومنهم ليبيون، حيث نقرأ في تلك الأنصاب مثلا: مغرسن (Megarsn) وسقلان(Saqalan) وملمان (Malman) وقوفان(Qofan) ويبتان(Yeptan) ومغراوة(Magraua) ولوبي(Louby) الذي مؤنثه لوبات (Loubat)[3].

فكانت مجتمعات المدن متنوعة الأعراق والأصول أتى أفرادها من جهات مختلفة. فالقرطاجيون مثلا، لم يكونوا يميزون بينهم وبين الأعراق الأخرى المنحدرة من أجناس مغايرة لهم، حيث كانت القرطاجيات تتزوجن من الأمراء والملوك النوميد. وتشير النصوص إلى أن بعض عظماء قرطاجة كانوا هجينا من زواج مختلط ليبي- فينيقي[4].

[1] مفتاح محمد سعد البركي، المرجع السابق، ص 251.

[2] نفسه، ص 251.

[3] محمد البشير شنيتي، الجزائر قراءة في جذور التاريخ وشواهد الحضارة، المرجع السابق، ص 195.

[4] نفسه، ص195.

هذا ولدينا عدد من الأمثلة على روابط النسب والزواج بين العائلات الأرستقراطية البونية والنوميدية. فالنصوص القديمة أورت لنا أخبار حول عدة زيجات أو وعود بالزواج، فمع تأسيس مدينة قرطاجة خلال القرن التاسع ق.م، نسمع عن طلب الملك اللوبي "هيارباس" يد الأميرة أليسة للزواج[1]، والقائد القرطاجي "أميلكار برقة" بعث برقية وعد فيها بتزويج إحدى بناته إلى أمير نوميدي هو "ناراواس" (Naravas) أثناء حرب الجند المأجور[2] ويذكر أن هذا الأمير قد وقف إلى جانب القرطاجيين في حروبهم ضد ثورة الجند[3] التي وقعت عقب الحرب البونية الأولى[4].

أما "أوزالكيس" (Oezalcès) عمّ ماسينيسا فقد اختار كزوجة إمرأة قرطاجية من أرقى العائلات، والتي يرجح أنها ابنة أخ "حنبعل" (la nièce d'hanabal)[5] وهو نفسه زوّج إحدى بناته لقرطاجي وهو "أدربعل"[6].

وأشرنا في موضع سابق لمثال مشهور عن المصاهرات اللوبية القرطاجية إذ ورد في كتاب تيتوس ليفيوس (Titus Livius) أن الملك ماسينيسا طلب يد القرطاجية "سوفونيسبة" للزواج من والدها هدربعل ووافق هذا الأخير على طلبه في البداية، لكنه سرعان ما تراجع تحت ضغط مجلس قرطاجة الذي زوجها لصيفاقس ملك مملكة مصيصيليا قبل أن تبلغ سن العشرين سنة 205 ق.م، مقابل تحالفه مع القرطاجيين في حربهم ضد الرومان[7]. وكما سبق ذكره.

---

[1] Justin, XV III,6.

[2] أحمد السليماني، المرجع السابق، ص 258.

[3] وعد هاميلكار الأمير النوميدي بأنه سيجعله مستشارا له، بل وتعهد بأنه سيزوجه بابنته إن بقي على وفائه لقرطاج، ويبدو أن القرطاجيين سعوا إلى كسب بعض القيادات النوميدية إلى جانبهم على أمل أن تستعمل تلك القيادات نفوذها فينضم إليها المزيد من الأنصار مما يستنزف قوى الثائرين، وتزويج الملوك النوميد بأميرات قرطاجيات يدخل ضمن الصفقات التجارية التي يبرمها حكام قرطاج لضمان نفوذهم في المملكة النوميدية. ينظر: محمد العربي عقون، ثورة الجند المأجور، المرجع السابق، ص 204.

[4] مفتاح محمد سعد البركي، المرجع السابق، ص 254.

[5] نفسه، ص 254.

[6] Tite – Live , XXIX, 29, 19.

[7] Ibid, XXIX,23,4.

وماسينيسا نفسه قد زوج إحدى بناته من أحد الأمراء من ذوى المكانة في قرطاجة، ويعتقد أن ذلك الزواج كان محاولة من الأمير النوميدي لكسب أنصار له في قرطاجة، بعد وقوفه إلى جانب الرومان في معركة زاما 202 ق.م، حيث يرجح أن له أنصاراً في قرطاجة يعملون للتعاون معه، وربما يدعون إلى الاتحاد معه بشكل كامل[1]، وقد كان هناك إمتزاج دم وتفاعل حضاري بين النوميديين والقرطاجيين، حيث جرى في عروق الطرفين الدم القرطاجي والدم النوميدي كما هو الحال بالنسبة للبطل حنبعل[2].

تعد هذه الإرتباطات بين الساسة من الطبقة الأرستقراطية والقادة العسكريين بإسم الزواج، من أهم السبل إلى ضمان التحالفات ضد عدو مشترك، إلا أن كامبس يرى أن سبب ارتباط القادة الأفارقة بالنساء الأرستقراطيات في قرطاج هو إعجابهم بعطرهن وحليهن حيث جسدن هؤلاء الآلهة الصورية[3]، ولم يكن ذلك في نظره لإعتبارات سياسية محضة وليست تحالفات ضد مصالح روما بالمنطقة[4].

في ظل هذا الوضع، كان من المنتظر أن تسفر هذه التطورات عن إعادة رسم الخريطة السياسية لإفريقيا الشمالية وفق المصالح القرطاجية، حيث سعت بنات العائلات الأرستقراطية إلى التخطيط لعلاقات تخدم المصالح المشتركة بين بين القادة الليبيين والقرطاجيين داخل العائلة الواحدة، أساسها الولاء والتحالف.

وعلى الرغم من أن تلك المصاهرات كانت تتم في أغلبها لمصالح سياسية أكثر منها اجتماعية، إلا أن ذلك يبين لنا مدى الاندماج الذي حدث بين الشعبين عقب القرن الخامس ق.م، والذي أملته الظروف التي مرت بها قرطاجة، والضغط الذي أحدثه الصراع ضد الإغريق

---

[1] Fantar Mouhamed, L'Afrique du Nord dans l'antiquite, Op-cit, p59.

[2] أحمد السليماني، المرجع السابق، ص 258.

[3] كانت المرأة البونية عامّة والقرطاجية على وجه الخصوص تتمتع بحسّ جمالي مرهف جدّا، حيث كانت تعتني بتنمية طاقتها على الإغراء بما في ذلك بالتأنق في الزينة وبالتسريحات النادرة والمتنوّعة. للمزيد ينظر: علياء قرندل بن يونس، المرأة البونية إغراء وتأنّق، معرض المرأة التونسية عبر العصور، المرسى-تونس، 1997، ص49.

[4] Camps (G),Les Berbères mémoiires et identités, Op-cit, P 110.

وجعلها تتجه نحو الأفارقة، وتقترب إليهم بشتى الوسائل، حتى أصبح التمازج بينهما واضحاً، فعاشوا في ظروف واحدة.

مما سبق اتضح أن التأثير الحضاري القرطاجي الأشد على المغاربة لم يبدأ إلا خلال القرن الخامس ق.م عندما تغيّرت السياسة القرطاجية بتوجهها نحو إفريقيا وإعطاءها الأهمية اللازمة لها، بمحاولاتها توطيد علاقاتها مع الملوك النوميديين.

إن توسع القرطاجيين على حساب الأراضي الأفريقية أسفر عنه تغلغلهم بين المجتمعات المغربية مما أدى إلى رابطة إثنية واجتماعية وثيقة، لقد فرضت حضارة قرطاجة نفسها شيئا فشيئا، كما أن بعضاً من عادات السكان الأصليين أثّر في عادات أولئك الفينيقيين نتيجة مجموعة من العوامل بشرية، تاريخية وجغرافية هذه العوامل تمثلت في الجوار بين الشعبين القرطاجي والنوميدي وطول مدة التواجد الفينيقي القرطاجي في نوميديا، ومختلف العلاقات التي نشأت بين القرطاجيين والنوميديين.

ترتب على التوغل القرطاجي في الفضاء الإفريقي اختلاطهم بالسكان المحليين، وصل إلى حد التزاوج معهم، وهذا الأمر نتج عنه ظهور عنصر جديد في المجتمع القرطاجي "الليبو فينيقي"، وهذا الامتزاج أدى إلى تطور اجتماعي وثقافي مهم، كانت أبعاد تلك الموجة الفينيقية قد أحدثت في الواقع تغييرات جذرية أدت إلى التلاحم والإنصهار العرقي، وإلى المزج والتوحد اللغوي والتطبع بذات الطباع.

والواقع أن عملية تأثر النوميديين بالحضارة القرطاجية لم يكن نتيجة عمل مُنظم ومقصود قامت به قرطاجة، إنما كان بطريقة غير مباشرة وبشكل سلمي وهو النتيجة الطبيعية لتجاور شعبين لمدة زمنية طويلة جداً.

الفصل الثالث:

جوانب من المبادلات الثقافية بين اللوبيين والقرطاجيين.

المبحث الأول: الامتزاج اللغوي.

المبحث الثاني: الاندماج الديني بين اللوبيين والفينيقيين.

المبحث الثالث: الحياة العلمية.

بعد دخول الفينيقيين إلى شمال إفريقيا وتأسيسهم لمدينة قرطاجة ثم تفاعلهم مع اللوبيين، خرجت بلاد المغرب القديم من التقوقع الذي كانت تعانيه قبل ذلك، مما أتاح لها الفرصة لأن تصبح مسرحاً لنشاط اقتصادي وسياسي، ثم ثقافي هام. ولعل الفضل في ذلك يعود إلى التقارب السلمي الذي استمر العمل به بين المجتمعين القرطاجي والمحلّي منذ اللقاءات الباكرة[1].

الحقيقة أن الحضارة البونية ليست تلك الحضارة الفينيقية الشرقية، بل هي نتيجة احتكاكات واتصالات طويلة بين الفينيقيين واللوبيين. فأصول قرطاجة وغيرها من المدن البونية كانت عبارة عن مزوّدين بشريّين أساسيين هما السكان المحليون الذين يشكلون الغالبية المطلقة والفينيقيون، وهذا يبرهن على تواجد التبادل المبكر بين الحضارتين الفينيقية الشرقية واللوبية المغربية.

غير أن ضياع مكتبة قرطاجة أثناء حرق المدينة سنة 146 ق.م من قبل الرومان والذي أشار إليه كل من سالوستيوس وبلينوس القديم، ثّم القديس أغسطين، كان قد أعاق الإطلاع على طبيعة تلك العلاقات إلى حد كبير، لا سيما في الميدان الفكري[2].

توالت الأحداث سريعة في بلاد المغرب. حيث استقر الفينيقيون نهائياً ببلاد المغرب. ثم ظهرت روما وادعت أحقيتها في السيطرة على بحيرة المتوسط، وضربت القلاع القرطاجية التي امتدت إلى الجزر الإيطالية، وقامت بين الطرفين حروب ثلاث عُرفت بـ (الحروب البونيقية) وكانت الغلبة أخيرا للرومان الذين دمّروا قرطاج وحرقوا مقوماتها الحضارية سنة 146 ق.م، فدخلت بلاد المغرب في مرحلة جديدة من تاريخها الكفاحي والحضاري معاً. فقد رمت بعض القبائل الليبية بثقلها في خضم الأحداث، واشتهرت منها قبيلتا (ماسولا ومازيسولا) وزعيماها (ماسينيسا وسيفاكس) في منطقة نوميديا بالجزائر حاليا. وبدأ الجميع يأخذ بأسباب الحضارة الفينيقية، حيث استقر البدو، وارتادوا مجالات التجارة والرحلات البحرية، وتوغلوا في أعماق الصحراء الأفريقية لجلب خيراتها. وظهر في ذلك العهد أثر التواصل الاجتماعي والامتزاج الثقافي اللوبي الفينيقي[3].

ويمكن هنا أن نشير إلى ما ذكره كابريال كامبس: بأن الوبيون والحضارة الفينيقية مثاقفـــــة

[1] محمد الصغير غانم، العلاقات الحضارية، ج3، ص 110.

[2] نفسه، ج3، ص 110.

[3] سعيد عبد العزيز الصويعي، اللغة الليبية القديمة، المرجع السابق، ص 280.

ناجحة حيث يقول:" **تبدو لنا الحضارة البونيقية إذاً تكاملاً وثيقاً وناجحاً بين معطيات ثقافية من حقبة قبيل التاريخ يحق لنا أن نسميها بالليبية أو البربرية القديمة، ومساهمات مشرقية من الحضارة الفينيقية. وإذا كانت هذه المساهمة المشرقية لم تخلّف إلا القليل من الآثار المادية على الأرض الإفريقية فلقد أثرت بشكل عميق على العقلية البربرية**"[1].

يفهم من النص أن الحضارة البونية لم تكن حضارة الفينيقيين، ولكنها نتيجة لقاء بين الفينيقيين والسكان، وأن أصول قرطاجة والمدن البونية كانت من إسهامات فينيقية ولوبية، وهذا يبرهن على وجود مبادلات وطيدة بين حضارتين شرقية ومغربية، وأن ميلاد هذه الحضارة يتميز بمظاهر خاصة من الناحية الثقافية كاللغة والتعليم والعبادات.

المبحث الأول: الامتزاج اللغوي: تعتبر اللغة والكتابة من أهم الخصائص الحضارية الجديدة التي جلبها الفينيقيون، والتي عُرفت باللغة الفينيقية، ثم تطورت وأصبحت تعرف باللغة البونية والبونية الجديدة نتيجة تأثرها باللغة اللوبية[2]، حيث أقبل اللوبيون على الثقافة الفينيقية واتخذوا من اللغة البونية لساناً للتعبير، لفظا وكتابة، عن أفكاهم وخلجات صدورهم بحماس لا يقل حرارة عن حماسهم الوجداني إزاء المعبودات الفينيقية، فمكّنوا لهذه اللغة من التعايش مع لغتهم اللوبية في تكامل ووئام قروناً عديدة، بعد زوال الدول التي نمت في كنفها وازدهرت وهي دولة قرطاجة والممالك النوميدية والمورية.

أولا–أسباب تأخر ظهور الكتابة في بلاد المغرب: تميز المغاربة القدماء عن جميع الوافدين من الفينيقيين وأحفادهم البونيين والرومان بلهجتهم الخاصة، غير أنه ليس هناك ما يثبت بأن هذه اللهجة كانت تكتب لا سيما في الفترة الباكرة، وفي حوالي منتصف القرن الثاني ق.م عُرفت هذه اللهجة بعد أن اكتملت شروط كتابتها[3] التي تضم حوالي ثلاثة وعشرون علامة باللغة اللوبيـــــة،

[1] غابريال كامبس، البربر ذاكرة وهوية، تر: عبد الرحيم حزل، دط، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2014، ص ص187-199.

[2] مفتاح محمد سعد البركي، المرجع السابق، ص 277.

[3] تشير الأبحاث الأثرية والتاريخية إلى أن أول كتابة لوبية عثر عليها يعود تاريخها إلى حوالي سنة 139 ق.م أي إلى السنة العاشرة من حكم الملك مسيبسا (Micipsa) بن الملك ماسينيسا. وقد عثر على هذه الكتابة منقوشة على معبد دوقة. ينظر: J.B. Chabot, Chabot. (J.B), Recueil des inscriptions libyques, Paris, imprimerie nationale, 1940,P 4.

وأطلق عليها فيما بعد اسم اللغة النوميدية[1].

وبالتالي تأخرت بلاد المغرب قرابة ألفي سنة عن ولوج العصر التاريخي[2]، ولم تتبين أية إشارة أو أدلة لاستعمال المغاربة القدماء الكتابة والتدوين إلاّ في العهد الفينيقي أي حوالي الألف الأولى ق.م[3]، فهناك من الباحثين من يذهب إلى أن الكتابة أداة عرفها اللوبيون عن طريق الفينيقيين والقرطاجيين[4]، ثم اخترعوا لأنفسهم الرموز التي تؤدي معاني الكلمات والجمل، وبذلك جاءت رموزهم مستقلة عن الكتابة الفينيقية والبونية، وهذا الرأي يترتب عنه معاصرة اختراع الكتابة اللوبية للمستوطنات الفينيقية الباكرة التي أقيمت على سواحل بلاد المغرب[5].

يبدو أن خبراء الحفريات وعلماء الآثار والمؤرخين استهوتهم سهولة الحصول على المصادر والوثائق التاريخية المتعلّقة بتاريخ الكتابة بالمشرق العربي، فأقبلوا عليها إقبالا كبيرا، وأغفلوا ـ بشيء من السلبية ـ منطقة المغرب. فكانوا السبب الرئيس في وجود فجوات واسعة وعميقة، آخذةً في التوسع والعمق كلما تطورت وسائل التنقيب والبحث عن التاريخ أو إعادة كتابته، خصوصا فيما يتعلّق بالفترة الممتدة على طول الأربعة آلاف سنة السابقة للميلاد، وهي الفترة التي بدأ فيها التاريخ الموثّق يترسّخ في المشرق القديم. وإذا سُئل المؤرخون عن سبب عزوفهم عن متابعة تاريخ لوبيا القديمة بنفس الحماسة التي أبدوها مع تاريخ غيرها، لكانت لهم حججهم. ومهما كانـــــت

[1] محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية، ج2، ص 213.

[2] إذا اعتبرنا أن العصر التاريخي في العالم القديم قد بدأ مع بداية استعمال شعوبه الكتابة والتدوين، فإن بلاد ما بين النهرين ووادي النيل قد بدأ فيهما العصر التاريخي في حدود الألف الثالث ق.م. ولكن في بلاد المغرب لا يمكننا اعتبار الرسوم والنقوش الصخرية التي تعود إلى الألف السابع ق.م كتابة خاصة بالتوثيق والتدوين، لأنها لا تحول إلى كلام ولا تحمل نصوصا تاريخية كالتي كُتبت بالمسمارية في بلاد الرافدين والهيروغليفية في وادي النيل. فالمرحلة التي توصل إليها الإنسان للكتابة كانت مرحلة السكن على حواف الأودية دائمة الجريان في عصر الجفاف، أما في بلاد المغرب ـ خصوصا جنوبها ـ فقد غادر السكان كهوفهم الموشّاة بالرسوم في زمن استفحال الجفاف وقبل التوصل لاختراع الكتابة بمفهومها اللغوي الصريح لهذه الأسباب تأخرت بلاد المغرب في دخول العصر التاريخي. ينظر: عبد العزيز الصويعي، تاريخ الحضارة الليبية، ص 105.

[3] نفسه، ص ص 105-106.

[4] الطاهر ذراع، المرجع السابق، ص 79.

[5] محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية، ج2، ص212.

تلك الحجج مبرّرة أو غير مبرّرة[1]، فإن الأسباب تكمن في العوامل الرئيسية التي من أهمها:

1- **ندرة النصوص القديمة:** إن ندرة النصوص القديمة التي تتناول تاريخ اللغة اللوبية[2] في المصادر الكتابية، وتردد المؤرخين القدامى في دراستها، والظروف الاستعمارية التي مر بها المغرب القديم، بالإضافة إلى اقتصار معظم الشواهد الأثرية على الجانب الديني[3] قد جعل الباحثين الذين يحاولون التصدي للبحث في هذا العنصر الأساسي من عناصر الحضارة اللوبية[4] يعانون من شحة المادة المعرفية والخوف من الخوض في هذا الموضوع الهام والخطير في نفس الوقت، خاصة بعد محاولات المستعمر الفرنسي التفرقة بين سكان المغرب من مصر إلى المحيط الأطلسي.

إضافة إلى أنه تعرقل فك رموز الكتابة اللوبية وذلك بسبب العديد من الصعوبات كاختلاف وتنوع حروف النقوش اللوبية من منطقة جغرافية إلى أخرى، وتغير كتابة النصوص اللوبية وفقا للغة المصاحبة لها في النصوص المزدوجة، إضافة إلى قصر النصوص اللوبية يشكل هو الآخر عائقاً في ميدان اكتشاف أسرارها[5].

2- **غياب الجدية في التنقيب ودقة البحث:** تفسر أسباب الفشل المتعلق بالدراسات اللوبية ببساطة في:

أ- أن المتبربرين قليلون وهم مهتمّون بجرد مختلف اللهجات الأمازيغية المحلية.

ب- لم يركّزوا بعد على اللغة اللوبية، ويعتبرون أن كتابتها غير ذات أهمية.

---

[1] عبد العزيز سعيد الصويعي، أصول الحرف الليبي، المرجع السابق، ص ص 270-271.

[2] لم تُعر المصادر المكتوبة اهتماما للغة اللوبية، فلم يُقدم هيرودوت وسترابون وبليني الكبير أية ملاحظة أو تعليقات حول اللغة التي كان يتكلم بها اللوبيون.

[3] سعيد عبد العزيز الصويعي، أصول الحرف الليبي، ص 271.

[4] نالت اللغة اللوبية اهتمام الباحثين الأجانب منذ الفترة الاستعمارية فكان لهم دراسات وبحوث في هذا الميدان. ومن بين أهم العلماء نذكر العالم الفرنسي ف.دوصولسي (F.De Saulcy) الذي كان أول من انكب على دراسة نقش دوجة واستطاع بعد دراسة جادة أن يعطيها المعنى القريب من محتواها. كذلك نذكر الطبيب جوداس (Dr.Judas) وهالفي (J.Halevy) وشابو (Chabot) ومنهوف (C.Mainhof) وتوفار (A.Tovar) وجورج مارس (G.Marcy). ينظر: محمد الصغير غانم، النقوش الليبية في شمال إفريقيا، المصطلح والرموز الكتابية، دار الشؤون الثقافية العامة، ص 33.

[5] المرجع نفسه، ص ص 30-31.

جـ- أما الهواة أو الجامعيون غير المتبربرين المهتمين بالنصوص اللوبية بسبب قيمتها التاريخية أو الأثرية فإنهم غير مزوّدين بوسائل البحث في هذا المجال.

د- إن المنظومة الكتابية اللوبية الخالية من الحروف الصوتية (Voyelles) لا تساعد الباحث على إعادة التركيب الكامل للغة[1].

هـ- اكتفاء الكثير من العلماء العرب والمغاربة بالمصادر والأبحاث والكتب التاريخية التي أنجزها الخبراء الأوربيون، والتي اتضح أن بعضها أو معظمها مدفوعٌ بدوافع وأغراض سياسية قد لا تتصف بالنزاهة العلمية[2].

د- إلى جانب تبني الكتاب الأوروبيين لأفكار المحتلين الإغريق والرومان ونظرتهم الدونية للسكان المحليين الذين يصفونهم دائما بالبربرية والتوحش[3].

و- أنانية بعض الكتاب العرب والمغاربة المتعصّبين لأقطارهم والمتقوقعين داخل حدودهم الإدارية الحالية والمتأثرين بالنزعات العرقية والإثنية والثقافية التي أفسدت الشعور العام بالانتماء لهذه الأرض، وأضعفت الانحياز العلمي الكامل عند طرح الأفكار والآراء، وفَوّتت على الجميع فرصة تكاثف الجهود من أجل كتابة تاريخ مستفيض وحقيقي لهذا الجزء الهام[4] في حياة الحضارة البشرية.

ص- إضافة إلى عدم الجدية في التنقيب ودقة البحث من قبل علماء العصر لإزالة الركام من على الآثار التي لا تزال مدفونة تحت رمال الصحراء المغربية.

3- عوامل طبيعية وبشرية: ساهمت مجموعة من العوامل الطبيعية والبشرية في تأخر الكتابـــــة في

---

[1] محمد العربي عقون، الأمازيغ عبر التاريخ نظرة موجزة في الأصول والهوية، المرجع السابق، ص 14.

[2] ظهرت العديد من النظريات التوفيقية التي تعود إلى القرنين التاسع عشر والعشرين، إلا أنها لا تلقى تأييدا كبيرا، لأنها كانت تؤسس لفكرة قبول كيان إسرائيلي في فلسطين ليجد القبول من شعوب المنطقة والدليل أن جل العاملين في هذا الحقل المعرفي هم من اليهود أمثال: م.كوهين (M.Cohen) الذي اقترح في 1924 إلحاق الأمازيغية بعائلة اللغات المسمّاة: حامية-سامية (Chamito sémitique). ينظر: نفسه، ص 14

[3] حاول بعض الدارسين إحاصة موضوع الكتابة بالغموض لزرع بعض الطروحات التي تدعّم نظرية "القصور الحضاري للمغاربة"، مثل النظرية التي وضعها وروّج لها إميل قوتيي وهي أنّ المغاربة عاجزون عن أي إبداع حضاري وأنّهم على الدوام يبدعون في ثقافات الآخرين، وهي النظرية التي وضع على أساسها كتابه: ماضي شمل أفريقيا.

[4] عبد العزيز سعيد الصويعي، اللغة الليبية القديمة وكتابتها، ص ص 276-277.

بلاد المغرب منها:

أ- الرقعة الواسعة التي كانت تشغلها بلاد المغرب آنذاك، والممتدة من النيل شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً.

ب- إلى جانب امتداد فترات الجفاف على حساب الفترات المطيرة.

ج- وخلو البلاد من أنهار غزيرة دائمة الجريان تحقّق التوازن الطبيعي.

د- والأخطر من ذلك هو أنّ الصحراء طغت في امتدادها، وظلّت تتوسّع حتى أطلّت على المتوسط بين السيرتين، ولم تترك للمنطقة التلية إلاّ شريطا ضيّقاً في الشمال[1].

و- اعتماد بعض القبائل اللوبية القديمة على الترحال وبساطة العيش، في مناخ جاف وشحيح الأمطار، مما جعل معظم اللوبيين القدامى بعيدين عن الرخاء والترف بالمفهوم الذي يمكنهم من الاستقرار وبناء حضارة طويلة الأمد لتترك آثارها من بعدهم.

هـ- ونزوع البعض الآخر إلى الغزوات والحروب، خصوصا جيران مصر، واعتمادهم على القوة في امتلاك مقدرات حياتهم[2].

ع- تشتت القبائل اللوبية القديمة بحكم رحابة المكان واتساعه وتنوع تضاريسه، فلا يقيمون الدولة القوية والموحّدة، خصوصاً بعد تدجين الحصان ثم الجمل، مما ساعدهم على سهولة وسرعة التنقل بين الأماكن المتباعدة.

ص- وعدم إقامة حضارات مستقرة قبل الألف الأولى قبل الميلاد، حتى ينهل منها اللوبيون ويتأثرون بمؤثراتها، مثلما تأثر البدو في الهلال الخصيب بالحضارة السومرية وغيرها، فساهموا في فعاليات الحضارات التي أقيمت فيما بعد[3].

كل هذا أثر في تعميق المعارف حول ما يتعلق بالمستوى اللغوي عند أفراد المجتمع المغربي، ومدى تعامل أبنائه بها في الساحة الثقافية المغربية التي كانت تعج -آنذاك- باللغات المتوسطـــــة

[1] محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع، المرجع السابق، ص 12.

[2] عبد العزيز سعيد الصويعي، اللغة الليبية القديمة وكتابتها، المرجع السابق، ص ص 276-277.

[3] نفسه، ص ص 276-277.

كاللغة البونية واللغة اليونانية واللاتينية والفينيقية وحتى المصرية[1] .

حتى وإن ثبت وجود هذه الأسباب التي أدت إلى شح المصادر التاريخية اللوبية القديمة أو إلى قلب حقائقها، فإننا واثقون من أن تاريخ هذه المنطقة لا يقل غزارة عن غيره. فقد تكون وثائقه عبارة عن صفحات من الحجارة، أو هي رُقم من الطين المشوي، أو ربما صفحات من البردي أو أي نبات آخر كانت تجود به طبيعة ذاك الزمان. ومن يدري أن هذه الجبال الهائلة من رمال الصحراء تجثم على صدر التاريخ وتحتفظ بأسراره وتغطي آثار قدماء اللوبيين[2].

ثانياً– اللوبية لغة المغرب القديم: أعالج في هذا الجزء لغة وكتابة سكان بلاد المغرب القديم أشكالها وتطورها وانتشارها ومكانتها بين لغات شعوب البحر المتوسط من خلال العناصر الآتية:

1– الأصل السامي للكتابة اللوبية: إن الفرضية الأكثر انتشارا حسب ما اطلعت عليه في المصادر والمراجع التي تحصلت عليها في بحثي هذا مفادها: أن أصل الأبجدية اللوبية هو الأصل السامي، ويستدل على ذلك من النصوص المزدوجة والأسطر الأفقية وعدد حروفها ثلاث وعشرون حرفاً وأن حروفها ساكنة[3].

وتعتبر هذه الفرضية من أدق الفرضيات حسب اطلاعي، حيث أكد بعض المؤرخين أن اختراع الكتابة اللوبية يعود إلى احتكاك المغاربة بالقرطاجيين مما جعلهم يخترعون كتابة خاصة تحاكي الكتابة البونية والبونية الجديدة، وهما المتطورتان عن الكتابة الفينيقية ذات الأصول السامية. ويعلل أصحاب هذا الرأي فكرتهم بتواجد معظم النقوش اللوبية في المناطق التي تأثرت بالحضارة البونية شمال تونس الحالية و شرقي الجزائر[4].

وذكرنا سابقا أنه أجريت دراسات معاصرة توصل من خلالها باحثون في مجال اللغة والكتابة اللوبية مثل: جوزيف هالفي وفيكتور روبو أوتوروسلر وغيرهما إلى أن اللغة اللوبية مشتقة من جذور

[1] مها العيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم، المرجع السابق، ص 331.

[2] عبد العزيز سعيد الصويعي، اللغة الليبية القديمة، المرجع السابق، ص 277.

[3] Salem Chaker, Les études de linguistique Berbère pendant la période Coloniale, libyca , Tomes (30-31), (1982-1983), P. 218.

[4] محمد الصغير غانم، نصوص بونية ليبية مختارة، المرجع السابق، ص 120.

سامية، معتمدين في ذلك على سلسلة من البحوث الفيلولوجية[1]، ونجد عدداً كثيرا من الكتاب مثل: كابريال كامبس[2] يقرون أن الألف باء اللوبية ما هي إلا نسخة من كتابات الحضارات الشرقية[3].

ويعتمد الآخذون بالأصل السامي على طابع الحروف المتحركة والتشابه الخفيف بين بعض كتابات جنوب شبه الجزيرة العربية والكتابة اللوبية، على أن الكتابة السامية الوحيدة التي يمكن أن يكون المغاربة قد عرفوها هي الكتابة البونيقية[4]، غير أنه من خلال دراسة الأبجديتين ومقارنتهما ببعضهما البعض من قبل الباحثين، يلاحظ أن الأبجدية اللوبية لها خصائصها القائمة بذاتها، وشكل الحروف بعيد عن الحروف البونيقية. فالكتابة البونيقية تتميز حروفها بالشكل المقوس والحلزوني، أما الحروف اللوبية فهي مستقيمة أو مقرنة[5].

أما فرضية ليدزبارسكي التي تريد ربط الكتابة اللوبية بالبونية الجديدة، فإنها لا تلقى قبولاً من قبل الباحثين في الموضوع لأن أحد النقوش اللوبية المؤرخة، وهو النص الإهدائي في معبد دوقة[6] دوقة[6] (139ق.م) يعود إلى فترة قبل ظهور الكتابة البونية الجديدة المنبثقة من الكتابة البونية

---

[1] Otto Rossler, Die Numider, Herkunft, Schift, Sparch, p.33.وتكمن أهمية هذا التصنيف لأنه جعل سكان بلاد المغرب والعرب منتسبين إلى أصل واحد، ويعتبر هذا أول تصدي يسجل ضد المدرسة التاريخية الاستعمارية على صعيد المعرفة، وأول خطوة في دحض المعلومات المغلوطة التى تحولت لدى المثقفين الغارقين في حمأة الاستعمار الثقافي إلى قناعات ثابتة. ينظر: محمد المختار العرباوي، اللغة البربرية لغة عربية قديمة، ط1، دار نقوش عربية، تونس، 2012، ص 12.

[2] كابريال كامبس: هو أحد الباحثين الفرنسيين الذين اهتموا بدراسة فجر التاريخ وبداية الفترة التاريخية في شمال أفريقيا.

[3] هذا اعتراف لغابريال كامبس وهذا الأخير لا يختلف كثيراً عن هؤلاء الكتاب الذين ينتقدهم، ومنذ السطور الأولى في كتابه انطلق من هذه النتيجة رغم أنه قياسا مع الآخرين أقل تشويهاً.ينظر: غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر، المرجع السابق،ص 324.

[4] وقد رأى بعض المحققون أنها حامية الأصول، ومتأثرة بالسامية تأثيراً بارزا (هذا بالطبع إذا صحت هذه التقسيمات التوراتية التقليدية للتراث الإنساني على أنه لا يخرج من حدود ثلاث أسس: سامية وحامية ويافثية) وما يعزز هذا الرأي هو قربها الواضح من اللغة المصرية القديمة، كما أن أبجديتها تلتقي في كثير من الأحيان مع الأبجدية العربية القديمة المعروفة بالمسند، بفروعها الثمودية، والليحانية، والصفائية. ينظر: غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر، المرجع السابق، ص 324؛ محمد المختار العرباوي، المرجع السابق، ص 11.

[5] James Février, Histoire de l’écriture, éd . payot, Paris, 1959, P.324.

[6] **معبد دوقة (Mausolée de Dougga)**: يقع هذا المعبد على بعد 300 م من موقع مدينة دوقة النوميدية، وهو من نوع المعابد ذات الأدوار، مزين من الزوايا الأربعة بأربعة أعمدة وينتهي في الأعلى بحلزونيتين، وهو النوع المعروف بالتاج الأيولي. يصل طول

الأولى، ولأن هذا النص النقوشي اللوبي ذاته كتب أفقيا فهو مصنف ضمن النصوص الحديثة وليس القديمة، ومن حسن الحظ أن الوضع الأقدم هو الوضع العمودي، وهذا دليل على أن الكتابة اللوبية عرفت منذ سنة 139 ق.م بعض التطور بعد احتكاكها بالكتابة البونية ولكن حسب الباحثين، فإن نص دوقة النقوشي استثنائي من خلال طوله أو من خلال مضمون الكتابة لذلك يصعب أن نقيم على أساس نموذج أصلي نصوصاً مختلفة كثيراً عن باقي النصوص النقوشية اللوبية[1].

وبالرغم من ذلك فلا يمكن نكران أن النوميديين أخذوا عن القرطاجيين فكرة الأبجدية ذات الأحرف الساكنة واقتبسوا منها ما يناسب لغتهم، وطوروها حسب مفاهيم خاصة بهم، وكدليل على ذلك اهتمام الإغليد[2] النوميدي "ماسينيسا" بالكتابة إذ يقول دبوز:**"وقد اعتنى الملك ماسينيسا بالخط البربري (اللوبي) في القرن الثاني ق.م فرقّاه وزاد في حروفه فصار على النحو الذي نجده اليوم"**[3].

والأرجح أن ماسينيسا أمر بتطوير الأشكال وتبسيطها، ربما اقتداءً بالبونيقيين الذين طوّروا –من جانبهم– حروف الأبجدية الفينيقية، فكان ذلك على مراحل، حيث ظهر –فيما بعد– خمسة حروف كانت غير موجودة ضمن النصوص القصيرة التي أظهرت تلك الحروف العشرة، وهي عبارة عن خطوط أفقية وعمودية، تشبه تلك التي بلوحة "تقديم القرابين" المكتشفة في وادي "جبّارين".

المعبد إلى 21 م، وهو على شكل هرم، لم يعثر على غرف دفن، وداخل المعبد وجد حجارتين لها نفس الطول كتب على الأولى نص بالكتابة اللوبية وعلى الأخرى نص بالكتابة البونيقية. ينظر: فتيحة فرحاتي، المرجع السابق، ص ص 311-312.

[1] غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر، المرجع السابق، ص 324.

[2] إغليد: في اللغة اللوبية القديمة تعني: ملك.

[3] محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص65.

ثم توالت الزيادات حتى اكتملت حروف الكتابة اللوبية القديمة (النوميدية)، فوصلت إلى 27 حرفاً، إلا أنه القيم الصوتية لخمسة منها مجهول، إذ يبدو أنها أشكال إضافية للحروف السابقة[1]. **(كما هو موضح بالشكل رقم:22، ص 205)**

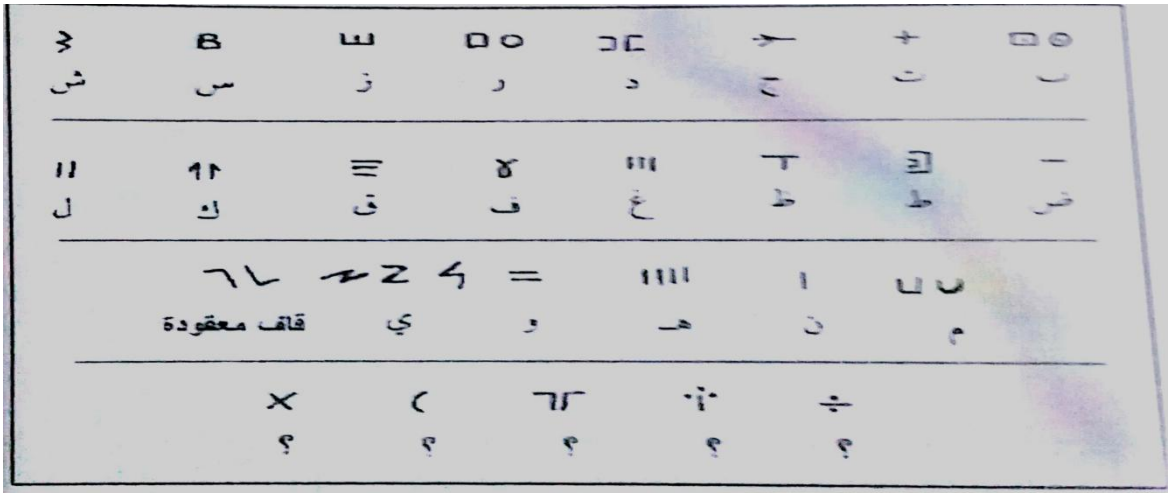

شكل رقم 22: يوضح الكتابة اللوبية القديمة وما يناسبها من مخارج صوتية

نقلا عن: الصويعي، اللغة الليبية القديمة، ص 283.

وقد أجمع كثير من المؤرخين على أن هذه الكتابة لها أصول فينيقية بحكم اختلاط الوبيون بالفينيقيين وانصهارهم في بوتقة بلاد المغرب. حتى أن الفينيقيين لا يوجد ذكر لهم في التاريخ بعد العام 332 ق.م. لأن معظمهم صار بونيقياً، وقليلهم صار يعرف بالتجار السوريين خاصة في أوروبا القديمة. إذن لابد أن يكون التأثير الفينيقي على الكتابة اللوبية القديمة (النوميدية) تأثيرا مباشراً[2]، **(ينظر الشكل رقم:23.)**

[1] عبد العزيز الصويعي، اللغة الليبية، المرجع السابق، ص 283.

[2] عبد العزيز الصويعي، اللغة الليبية، المرجع السابق، ص ص 283-284.

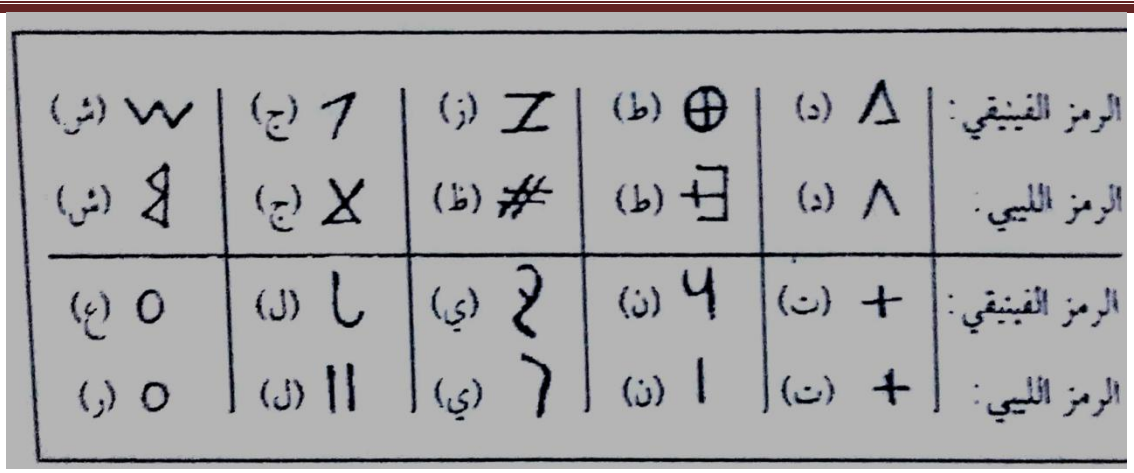

الشكل رقم 23: أمثلة عن التأثير الفينيقي على الكتابة اللوبية القديمة

نقلا عن: الصويعي، اللغة الليبية القديمة، المرجع السابق، ص 284.

ومن هنا نلاحظ أن اللوبيين القدامى قلّدوا أو حرّفوا أو اقتبسوا أحرفهم من الكتابة الفينيقية في كثير من الرموز. كما قام الباحثين بدمج الحروف النوميدية مع حروف "التيفيناغ" التي سأتحدث عنها باعتبارها حروفا لوبية قديمة ولها هي الأخرى علاقة بالفينيقية[1].

أثرى الكثير من المؤرخين نظرية الأصل الفينيقي للتيفيناغ وتشيّعوا لها. فهذا "جورج جيرستر" يقول ــ نقلا عن الصويعي ـ في حديثه عن النقوش الصخرية في الجبال بمنطقة التوارق: **"وتحمل الصور الصخرية للجمال عادةً كتابات منقوشة من الحروف الفينيقية التي كانت مستعملة في البحر الأبيض المتوسط عندما كانت قرطاجة في ذروة قوتها، ولا ريب أن كتابة التوارق تقوم دليلاً على ذلك"**[2]. ويعترف المؤرخون المغاربة بهذا التأثير، حيث يقول محمد علي دبوز: **"وكان تأثر البربر (اللوبيين) بالفينيقيين الذين حلّوا في قرطاج وأنشأوا فيها دولتهم العظمى كبيراً، وقد اقتبسوا منهم كثيراً من العادات وتأثروا بهم في كل نواحيهم، كما تأثر الفينيقيون بالبربر (اللوبيين)، وإذا كان اعتداد البربر بخطّهم... فلابد أن يرقّوه ويتمّموه ويحسّنوا حروفه، ويزيدوا في عددها باقتباس بعض الحروف الفينيقية"**[3].

وبغضّ النظر عمّا أثبته المؤرخون من تأثير فينيقي على الكتابة اللوبية القديمة، إلاّ أنه يكفينا هنا اعتراف التوارق أنفسهم بذلك. فهم من أطلق عليه اسم تيفيناغ ويعني الحروف الفينيقية، ولا يعني ما ذهب إليه قدماء اللوبيين وبعض المؤرخين المعاصرين من أنه يعني "الحروف المنزّلة من عند الله"[4].

ويستند علماء اللغة على أن أصل كلمة تيفيناغ مشتقة من الجذر (ف ن ق) وتعني في اللغة السامية القديمة الفينيقيات، وبالتالي فأصل الكتابة اللوبية من الكتابات السامية، ولكن حتى صاحب هذه الفكرة سالم شاكر يعتبر بأنه من الصعب إيجاد فك صحيح لرموزها أو الجزم بأصلها

[1] عبد العزيز سعيد الصويعي، اللغة الليبية القديمة، المرجع السابق، ص 285.

[2] نفسه، ص 301.

[3] محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص 65.

[4] عبد العزيز سعيد الصويعي، اللغة الليبية القديمة، المرجع السابق، ص 302.

السامي، كون دراساته من الدراسات المقارنة مع اللهجات الأمازيغية الحديثة[1]. وهذا الموضوع يحتاج إلى مصدرية دقيقة ونتائج موضوعية تعتمد على المنهج العلمي الحقيقي.

علاوة على هذه الآراء التي تعرضت لها آنفا في هذا الفصل، فإن هناك من يعتقد أن سبب ظهور رموز الكتابة اللوبية يعود إلى ظروف داخلية أملتها على المغاربة مرحلة الانفتاح التي عاشوها في ظل الحضارتين البونية واللاتينية، ولذلك كان عليهم أن يخترعوا رموزاً كتابية تفرد شخصيتهم عن الدخلاء عليهم من الخارج، وهذا رأي يحتاج إلى دراسة عميقة موثقة، ويعتبر هذا كرد فعل على سياسة الرومنة المنتهجة من قبل المحتلين في بلاد المغرب القديم[2].

ومهما كانت تلك الافتراضات، فإن أصل الكتابة اللوبية لا يزال يحتاج إلى أبحاث عميقة يكون هدفها إنارة الطريق أمام الباحثين في هذا الميدان، حيث يعتبر المهتمون والمختصون بجمع وتدوين مفردات اللغة الأمازيغية الحالية قليلون، خاصة وأن الموضوع كان إلى الوقت القريب من المحرمات السياسية، أما الهواة والجامعيون فليس لهم في الغالب الكفاءات الضرورية لخوض هذا الموضوع، خاصة إذا علمنا أن الأبجدية اللوبية تتكون من الحروف المتحركة (Consonantique) وهو ما يزيد في تعقيد قراءتها وفك رموزها وفهمها والبحث بها في تاريخ المغرب القديم [3].

2- اشكالية اللغة والكتابة اللوبية: تحدث سكان بلاد المغرب لغة تطورت عن اللغة القديمة الشفهية التي ظهرت منذ بداية الفترة التاريخية، واصطلح عليها المؤرخون باللغة اللوبية، وقد كتبت في بداية الأمر بحروف فينيقية ثم حاكت البونية والبونية الجديدة، لتستقل بأصواتها ومعانيها.

أ- اللغة اللوبية: تدل اللغة على الأصوات المنطوقة التي تكون كلمات وجملا، وهي أداة تعبير عن المشاعر والأحاسيس والأفكار والتواصل بين الأفراد والمجتمعات، وهي منظومة نحوية صرفية قبل كل شيء، لأن المفردات تظهر وتزول من عصر إلى آخر أمّا المنظومة النحوية الصرفية الإعراب، الضمائر، الأزمنة، الأفعال فهي التي تستمر كقواعد للنطق والكتابة وقد قسمت من قبل اللغويين

[1] محمد الصغير غانم، نصوص بونية ليبية مختارة، المرجع السابق، ص 120.

[2] نفسه، ص 120.

[3] محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص 204.

المختصين إلى أسر حسب اشتقاقها وتفرعاتها عن بعضها البعض، ويستنتج هذا التفرع من التقارب الذي يظهر في منظومة النحو والصرف[1].

وقد اعتمد سكان بلاد المغرب القديم على المشافهة، وفي هذا الصدد يقول الباحث باسي (BASSET): أن المعلومات قليلة عن اللغة اللوبية، وذلك لأنها لغة لم تكن رسمية مثل: البونية أو اللاتينية، ويمكن بواسطتها تسجيل المعلومات أو الآداب اللوبية مشافهة عن طريق التوارث، وبالرغم أن اللغة اللوبية كانت معاصرة للغات متطورة مثل: الفرعونية واللاتينية اللتين كانتا تتمتعان بالحماية في كنف القوة السياسية لدولهما ومع ذلك اندثرتا من الوجود وكأنهما ارتبطتا بالنظام، بينما استمرت اللغة اللوبية التي فقدت السند السياسي منذ زوال المملكة النوميدية، وفي هذا المجال استخلص الدارسون أن لهجات اللغة اللوبية المستمرة إلى الآن وجدت سندها في العائلة والتضاريس الجغرافية ولذلك استمرت في المناطق الجبلية بوجه خاص ولم تتأثر بالغزوات التي حلت ببلاد المغرب عبر التاريخ[2].

ويبدو أن العزلة واتساع الرقعة الجغرافية لبلاد المغرب قد تسببت في ظهور لهجات[3]، لكل منها خصوصياتها، رغم أنها تنحدر جميعها من اللغة اللوبية، والتنوع اللهجي ليس نقصا أو عشوائية في التعبير، وإنما النظام اللغوي عند المجتمعات الصغيرة الفرعية مبني دائما على التقابل والتباين والاختلاف وللعوامل الجغرافية دائما أثرها الواضح في ذلك[4].

واللهجات الأمازيغية افتقدت الارتكاز على قاعدة ثابتة تنطلق منها وتتطور على أساسها. ولا نقصد –هنا– القاعدة التاريخية، وإنما نقصد القاعدة العلمية التي تُبنى عليها اللغات. فاللغة العربية –مثلا– كانت لها قاعدة تاريخية امتدت لآلاف السنين. ولكن قاعدتها العلمية

[1] محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع، المرجع السابق، ص 206.

[2] المرجع نفسه، ص 207.

[3] كثيرا ما يقع الخلط في موضوع اللغة واللهجة ولذلك لابد من توضيح هذه المسألة، فاللهجة هي: الطريقة التي تنطق بها لغة ما في إقليم أو مدينة أو مجتمع محلي، وهي مشتقة من اللغة، ولكن لا تتقيد بقواعد النحو والصرف وفيها تصحيف الكلمات وقلب الحروف ولذلك يجد الباحث عدة لهجات في اللغة الواحدة كاللغة العربية، التي تختلف لهجاتها من بلد إلى آخر، والحال أن أية لغة كانت في البداية لهجة ثم تطورت إلى لغة بقواعدها. ينظر: المرجع نفسه، ص 206.

[4] خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2000، ص ص 55-47.

والاصطلاحية بنيت بوضوح في عهد الإسلام، عندما اهتم بها المسلمون وقيّدوها بالضوابط العلمية التي وضعت لها حدودا منعت عنها التغريب والتشريق، فاحتفظت بشخصيتها الخاصة بها طيلة الأربعة عشر قرنا الماضية[1].

أما في بلاد المغرب فقد احتفظ سكانه بلهجاتهم الأولى التي توارثوها أبا عن جد، والتي يعود تاريخها إلى بداية الوجود البشري على هذه الرقعة الممتدة من النيل شرقا إلى المحيط الأطلسي غرباً، وعندما ارتحل الفينيقيون إلى بلاد المغرب، اندمجوا في المجتمع اللوبي القديم، ومن ثم لم تعد اللهجة الفينيقية لهجة فينيقية خالصة ولم تبق اللهجات اللوبية القديمة لهجات لوبية خالصة أيضاً. وعلى هذا الأساس يشير شارل أندري جوليان إلى أن: **"لهجات ليبيا من المحتمل أن يكون أصلها البعيد هو أصل اللغات السامية"**[2].

من هنا، لا يمكننا أن نسمي اللغة اللوبية لغةً بمفهومها المطلق، لأنها كانت لهجات تقترب وتبتعد عن بعضها البعض بحسب قرب وبعد القبائل اللوبية. ولكنها –رغم كل ذلك- فهي متشابهة، تماماً مثل لهجات العرب الأخرى قبل الإسلام[3]. يقول شارل أندري جوليان: **"ولا شك أن هذه الوحدة قد ظهرت قديماً في ميدان اللغة، وقد لا يكون ذلك باستعمال لغة واحدة في البلاد كلها، في أغلب الظن باستعمال لهجات متقاربة تكون مجموعتها المسماة اصطلاحياً: الليبية"**[4].

ونظراً لاتساع رقعة بلاد المغرب، واختلاف مناخات مناطق الجذب، وتنوع النواحي التضاريسية به تباعدت مراكز العمران مشكّلةً فجوات شاسعة بينها، كما توغلت بعض قبائل البدو الرحّل في أعماق الصحراء، في بحث دائم عن الكلأ والماء، والتجأ بعضها الآخر إلى المغارات والكهوف متخذين من الجبال سكناً ومستقراً. فصار –بذلك- لكل منها لغته أو لهجته الخاصة به. ولكنهم يتفقون في أساسيات لغوية معينة، وهذه أكبر مقومات وحدة أجدادنا اللوبيين

[1] سعيد عبد العزيز الصويعي، اللغة الليبية القديمة، المرجع السابق، ص 151.

[2] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 5.

[3] سعيد عبد العزيز الصويعي، اللغة الليبية القديمة، المرجع السابق، ص 152.

[4] شارل أندري جوليان، المرجع السابق،، ص66.

القدامى وأقوى مرتكزات حضارتهم[1].

والحقيقة أن المعلومات المتوفرة عن ظهور تلك اللهجات قليلة، وقد نتساءل هل هي قديمة منذ الفترة الرومانية؟ أم هي أحدث؟ والحق أن أهم هذه اللهجات المستمرة حتى الآن –حسب محمد العربي عقون–[2] هي:

1-**السيوية:** وهي لهجة واحة سيوة قرب الحدود المصرية الليبية، حيث كانت تلك الواحات بوابة بلاد المغرب من الجهة الشرقية.

2-**النفوسية:** وهي لهجة جبل نفوسة ومدينة زوارة اللوبية وجزيرة جربة بتونس.

3-**ورغمة:** لهجة أمازيغية انتشرت في عدة جهات بتونس وهي في طريق الانقراض.

4-**الزناتية:** وتنتمي إليها لهجة الظهرة من تيبازة إلى مستغانم والشاوية في الشرق الجزائري، والميزابية في واحات غرداية وورقلة، والزناتية في الونشريس، وقلعة السند (تونس) وواحات تيميمون وقورارة وكذا لهجة ناحية تلسمان (بني سوس والغزاوت).

5-**لهجة كتامة:** أو القبائل الصغرى تنتشر هذه اللهجة في المنطقة الساحلية ما بين مدينتي سكيكدة وجيجل.

6-**الصنهاجية:** وهي لهجة زواوة قبل جرجرة وكذلك لهجة التوارق في الجنوب.

7-**الصمودية:** تنتشر في المغرب الأقصى ومنها اللهجة الشلحية.

وتنوع هذه اللهجات يعود للغة واحدة في منظومتها النحوية والصرفية، فقد كان اللوبيون يتكلمون هذه اللغة كما تحدثت عن ذلك النصوص التاريخية .

وبالرغم من الاختلاف الملحوظ في نطق المفردات، فإنها تبرز محليتها ووحدتها من خلال قرائن عديدة كأسماء المواقع الجغرافية التي تعود في أصلها إلى ما قبل الوجود البوني، مثل: ما ذكرته المصادر القديمة عن القبائل اللوبية وأسماء الأعلام[3].

---

[1] عبد العزيز سعيد الصويعي، اللغة الليبية القديمة، المرجع السابق، ص 152.

[2] محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع، ص ص 207-208.

[3] Salem Chaker, La situation linguistique dans le Maghreb antique, libyca, Tomes : (28,29), 1980,1981, P 173.

ويذكر الجنرال فيدراب[1] أن القديس أغسطين (354-430م) قد تحدث عن لغة مشتركة للقبائل المحلية، ولكنه عجز عن تحديد طبيعة تلك اللغة التي ظلت عنده محاطة بالغموض، فأطلق عليها اسم اللغة لا اللوبية، ولكن هل كان في زمن القديس أغسطين خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين ما يشير إلى أنها تسمى بالكتابة أو باللغة اللوبية[2] ؟

وقد اعتقد الجنرال فيدراب أن القس فولجانسيوس (Fulgensius) وهو المواطن الروماني الذي عاصر زمن الدخول الوندالي إلى المغرب القديم كان أكثر تركيزاً في دراسته على الحياة الثقافية للأهالي، وبذلك كان أول من سماها باللغة والكتابة اللوبية[3].

وفي دراسة مقارنة لاحظ المتخصصون أن هيمنة اللغات المتطورة جعل اللغة اللوبية واللهجات المنحدرة منها تدمج مفردات تلك اللغة ضمن مفرداتها وتخضعها لقواعد النحو والصرف اللوبي لتركيب لغة عملية تساير الواقع، ومع أن هذا الوضع جعل بعض المفردات البونية تتسرب إلى اللغة اللوبية وتندمج فيها.

ومع ذلك فإن المفردات اللوبية تسربت هي الأخرى إلى اللغات القديمة التي جاء بها الغزاة، فقد نقل الكتاب القدامى عدداً من المفردات التي أتت من اللوبيين وأخضعوها لقواعد إعراب اللغات التي كتبوا بها إغريقية ولاتينية وقد أحصى منها المؤرخ غزال حوالي خمسة عشر كلمة، ثم خلص بعد تعمقه في الموضوع إلى أن استئناس الباحثين المتخصصين بلهجات اللغة الأمازيغية قد يفيد في دراسة لغة السكان المغاربة واكتشاف معاني الكثير من الأعلام الجغرافية والشخصية المغاربية[4].

ويظهر من خلال اطلاعي على المصادر والمراجع أن اللغة اللوبية، كانت لغة محلية تكلمها سكان المغرب القديم منذ فترة قريبة نوعا ما، ولكن يرجح أنها ظهرت خلال الألف الأولى ق.م

---

[1] وهو أحد الضباط العسكريين الفرنسيين المتخصصين في دراسة النقوش.

[2] Faidherbe, Collection complète des inscriptions Numidiques, Librairie, Franck, Paris, 1870, P.12.

[3] Ibid, P.12.

[4] Stéphane Gsell, H.A.A.N, T :I, librairie Hachette, Paris, 1913.1927. p.316.

أي إلى الفترة التي بدأ الفينيقيون يستوطنون ربوع المغرب القديم وينشرون فيه حضارتهم بين سكان المنطقة وتعاقبت لغات وكتابات كثيرة حيث استخدمت اللغة البونية كلغة رسمية خلال الفترة القرطاجية[1].

وبحكم تبني أسرة الملك ماسينيسا الحاكمة للثقافة الهلينية، فإن اللغتين البونية واليونانية، كانتا لغتان لهما مكانة مرموقة في المملكة النوميدية، وإذا كانت البونية هي لغة الطبقة الثرية في المجتمع النوميدي، واليونانية لغة الطبقة المتهلينة، فإن اللغة اللوبية كانت لغة عامة المجتمع النوميدي باختلاف أصواتها ونطقها من قبيلة إلى أخرى في المدن الداخلية والقرى.

وهكذا احترم النوميديون لغتهم واعتزوا بها[2]، بصفتها جزء من شخصيتهم وحضارتهم رغم وجود لغات أجنبية منافسة لها من: فينيقية وبونية، حيث أصبح الوضع اللغوي متباينا في بلاد المغرب وحلت تلك اللغات الواردة محل اللغة والكتابة المحلية اللوبية، في بعض المناطق التي كان فيها الوجود الفينيقي قوياً.

أما في مناطق أخرى، فقد تعايشت الكتابة واللغة اللوبية معها، إذ أننا لا ننكر أن اللغة البونية أنتجت كتابة على مستوى عال في الوضوح والمستوى لتفرض نفسها على اللغة المحلية، التي أصبحت محصورة التداول بين سكان المدن والقرى ذات المنشأ اللوبي، واقتصرت عملية تدوينها في المناطق الداخلية على احتياجات دينية.

وهكذا حدث التناوب اللغوي فهيمنت الكتابة البونية في مناطق والكتابة اللوبية في مناطق أخرى من بلاد المغرب القديم[3]. والحقيقة فإن اللغة تظل قوية عبر العصور إذا توفر لها سند ثقافي وسياسي وديني، وقد تضعف اللغة ولا تستمر في الوجود إذا فقدت ذلك السند الذي ذكرناه سلفا.

خلاصة لما سبق يمكن القول أن اللغة اللوبية هي أصل اللهجات الأمازيغيــة المعاصرة، وقد

---

[1] S,Chaker, La situation linguistique dans le Maghreb, Op, cit, P. 173.

[2] مها العيساوي، المجتمع اللوبي، المرجع السابق، ص 331.

[3] S.Chaker, La situation linguistique dans le Maghreb, op, cit, P. 173

أجمع جل علماء اللغة على أن أصلها من العائلة الحامية السامية (chamito – Sémitique)، وكانت لغة مختلف القبائل اللوبية في بلاد المغرب القديم.

ب– الكتابة اللوبية: تعرف الكتابة اللوبية أيضاً بالكتابة النوميدية[1]، حيث كانت مستخدمة من قبل النوميديين والموريتانيين. وهي كتابة صوتية وليست مقطعية كما هو الحال في الكثير من الكتابات القديمة[2]، وقد أكد ذلك القس فولجانسيوس (Fulgensius) وكان أول من أشار إلى أن الكتابة اللوبية أبجدية وليست رموزا، وقد كانت كتابة متكونة من ثلاثة وعشرون حرفا، كلها أحرف صامتة ولا تحتوي على حروف متحركة.

وقد عثر على كتابة مستخدمة في شواهد نذرية[3] تدل على أنها أبجدية ذات هدف واحد مسخرة للنوع الجنائزي، ومن ثمة فإن الكتابة اللوبية هي تلك الرموز المدونة التي وضعها سكان بلاد لوبة للتعبير عن لغتهم المحلية، وتتميز بطبيعتها المحلية، وإتقان الأهالي لها دون غيرهم من الدخلاء على البلاد من المحتلين[4].

ويلاحظ في هذا الموضوع أن الآداب المدونة بالكتابة اللوبية شحيحة، ومن هنا فإننا أمام إشكالية قلة المادة الأدبية في النقوش والمصادر الكتابية. وما اطلعنا عليه في المراجع الحديثة عن الكتابة اللوبية أنها علامات بارزة للغة كان يتكلمها سكان المنطقة قديما وإلى الآن، وقد تفاعلت في هذه الكتابة عوامل عديدة، نميزها في النقطتين الآتيتين:

1– سعة المساحة المنتشرة فيها، حيث تمتد من واحة سيوه شرقاً إلى سواحل المحيط الأطلسي غرباً،

---

[1] حيث أطلق عليها هذه التسمية الجنرال فيدراب (Faidherbe)، وقد علَّلَ دوافعه في ذلك بأن أعلى نسبة من النقوش اللوبية قد عثر عليها في المملكة النوميدية الشرقية أي بلاد الماصيل، وبالتالي فإن التسمية الأكثر ملائمة لها من ناحية احترام التسلسل الزمني هو أن يقال: الكتابة النوميدية. ينظر: Faidherbe, Op-Cit, P.6.

[2] J.Février, Op-Cit p.321

[3] **النذر**: هي جمع نذر، وهو طقس تقديم القرابين تمارس يوميا في المعابد والأضرحة، على أساس أن الآلهة تحتاج إلى ذلك. وعليه فإن عملية تقديم القربان هي عبارة عن شعيرة ثابتة في الطقوس الإلهية اليومية، وتضاعف أثناء الاحتفالات الدورية والمناسبات الدينية الهامة، وقد كانت الحيوانات تذبح في ساحة خاصة أمام المعابد. ينظر: محمد الصغير غانم، النصب البونية القسنطينية المحفوظة في متحف اللوفر بفرنسا، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 21.

[4] J.Février Op-Cit P.321.

ومن ضفاف البحر المتوسط شمالاً إلى أطراف الصحراء جنوباً.

2- ظاهرة التدخل الأجنبي في بلاد لوبة، بحيث تعرضت لتأثير اللغات والكتابات الدخيلة، كالكتابة البونية والبونية الجديدة[1].

غير أن الإشكال في هذا هو أن الكتابة اللوبية تفتقد حتى الآن لأبحاث أكاديمية تجعلها في مصاف النقوش اللاتينية والبونية التي درست في بلاد المغرب، كما أنها لازالت في حاجة إلى الاعتناء البحثي من قبل الأثريين والمؤرخين.

لقد سمحت النقوش اللوبية للباحثين في هذا المجال معرفة طبيعة الكتابة اللوبية وأبجديتها، حيث كان للنوميد خارج مجال الحضارة القرطاجية لغتهم ومنظومتهم الكتابية، وإذا كانت هذه الأداة الحضارية قد انتظمت خارج التأثير الفينيقي، فإن ذلك يقدم الدليل على أن الأفارقة تجاوزوا المرحلة البدائية، وأحسوا بالحاجة إلى تثبيت حركة الفكر والخطاب بالكتابة[2].

وحسب المراجع فإن الشكل العمودي هو البارز في اتجاه الكتابة في جل النقوش التي عثر عليها وغالبا ما تكون الكتابة وحيدة خالية من نصوص مرافقة بونية أو لاتينية بعكس النصوص المزدوجة، التي يتأثر فيها النص اللوبي بالنص المرافق له فمثلا عندما يكتب النص البوني بطريقة أفقية، يكتب النص اللوبي أيضا بالطريقة نفسها، والمظهر نفسه بالنسبة للنص اللاتيني الذي يكتب من اليسار إلى اليمين[3].

وتقرأ النصوص المزدوجة بكل وضوح وذلك بالاعتماد الكلي على أبجدية النص المرافق لها كما هو الحال في نقشي دوقة الأول والثاني وقد لا يفهم معناها ذلك لأن لغتها مازالت غامضة بعيدة عن البونية التي قد توضحها.

وتبقى النصوص اللوبية وحيدة الكتابة غير مقروءة، وقد لا يفهم منها إلا بعض أسماء الأشخاص فقط، وتعتبر بذلك الرموز الكتابية في النقوش اللوبية الرموز الوحيدة البعيـدة عن قانون

[1] مها العيساوي، النقوش النوميدية في بلاد المغرب القديم، المرجع السابق، ص 65.

[2] غابريال كامبس، المرجع السابق، ص 322.

[3] مها العيساوي، النقوش النوميدية في بلاد المغرب القديم، المرجع السابق، ص 68.

أساسي يحدد اتجاه سطورها[1].

ومع أن للألفباء اللوبية حروفها الخاصة التي تميزها عن الأبجدية الفينيقية، فإن شكل الحروف في ذاته بعيد كثيراً ومتعارض مع المظهر الانسيابي بالأساس للحروف البونية، هذه الأخيرة هي كتابة تجار يخطونها بسرعة على شمع أو على ورق البردي، فالأحرف البونية كلها منحنية وحلزونية الشكل أما الحروف اللوبية فعلى العكس مستقيمة الخطوط ومزواة (Anguleux) وتكون أشكالا هندسية أساسية، وأشار كامبس أن هذه الكتابة استعملت على ما يبدو في نقش نصوص على الحجر أو على مادة صلبة.[2]

جـ- توزيع النقوش اللوبية: إن هذه النقوش محصورة ما بين جنوب مدينة الطارف وغرب مدينة بوحجار وشمال شرق مدينة تاقاست (سوق أهراس)، وبأقل كثافة ما بين شمال وشرق وجنوب مدينة قالمة. وتبدأ في التباعد عن بعضها البعض بشرق مدينة قسنطينة لتتكاثف أكثر بجنوبها ما بين أولاد رحمون وسيقوس وشرق عين مليلة وكذلك غرب مدينة قسنطينة، تتكاثف نوعا ما بمدينة ميلة بالجهات الأربع ومن الناحية الغربية حتى مدينة فج مزالة، وجنوبا حتى واد العثمانية وتلاغمة. لتتباعد مرة ثانية بالهضاب العليا، ما بين عين البيضاء وجنوب عين مليلة[3].

إن النقوش اللوبية حسب هذا التوزيع يبين أن التكاثف الموجود والمحصور بين جنوب الطارف وغرب مدينة بوحجار نجده في أماكن تكاثف قبور الدولمان الداخلية، أثبتت النقوش أن هذه المناطق هي أماكن استقرار قبيلة "ميزيسيني" من خلال وجود بعض النقوش التي تحمل هذا الاسم ببعض المقابر وعددها ما بين خمسة وعشرة نقيشات تحمل الأحرف الأساسية لإسم هذه القبيلة. وبالتالي نلاحظ أن جل أماكن استقرار القبائل شرق المملكة النوميدية تتكاثف بها النقوش اللوبية كقبيلة نوميديا، جنوب وجنوب شرق عنابة، وشبه انعدام وجود هذه النقوش بالمدن القديمة

[1] لا يعلم ما هو السبب الحقيقي لذلك هل كانت الكتابة اللوبية كتابة بدائية تفتقر إلى أصول وقواعد؟ أم أنها كانت محاصرة من قبل الدخلاء في الفترة الرومانية خاصة؟ وهل تعد كتابتها اجتهادات فردية من ناقشي النصب؟ هي في الحقيقة مسألة يكتنفها غموض يحتاج لدراسات تاريخية متخصصة وعميقة.

[2] غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر، المرجع السابق، ص ص 322-327.

[3] مجموعة مؤلفين، الجزائر النوميدية، معرض منظم في إطار الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007، المتحف الوطني سيرتا، ص120.

والمعروفة، يؤكد على عدم اتخاذ هذه الكتابة اللوبية ككتابة رسمية، بينما كثافتها خارج هذه المدن دليل على استعمالها من طرف عامة المجتمع[1].

د- تصنيف الكتابة اللوبية: لقد توصل الباحثون إلى تقسيم الكتابة وتصنيفها بناء على اتجاه الأسطر أفقية كانت أم عمودية، ومناطق تواجد النقوش التي احتوت النصوص اللوبية، فميدان النقش الأثري ثري بمادة معرفية غزيرة إذ تتوزع في مناطق شاسعة في بلاد المغرب القديم بداية من جبل نفوسة بليبيا إلى جنوب المغرب وجزر الكناري وبلاد الطوارق والأهقار والتاسيلي ناجر. ويعد النقش الأثري على الصخور آلاف النماذج، وهو تراث يستحق الإحصاء والاهتمام حتى تتوفر المادة الخبرية لدى الدارسين والباحثين ويؤرخ لحضارة النوميد[2].

1- الكتابة اللوبية الشرقية: تسمى الأبجدية الشرقية، كانت تدون على النصب بشكل أفقي، وقد انتشرت في نوميديا الشرقية وعرفت بكتابة قبائل الماصيل[3].

وردت نصوصها مزدوجة الكتابة في النقوش منها البونية – اللوبية، ومنها البونية الجديدة – اللوبية، وفي مرحلة لاحقة برزت النقوش المزدوجة الكتابة اللاتينية – اللوبية.

واعتمادا على المنهج المقارن، تمكن الباحثون من معرفة معاني رموز الكتابة اللوبية، وهي التي أطلق عليها: الأبجدية النوميدية، لأنها كانت تمثل وجه الإنتاج الثقافي للنوميديين، بحيث وجدت في كل مناطق الماصيل على مجموعة النقوش مثل: نقوش دوقة والنقوش المكتشفة في بعض المدن الداخلية[4] مثل: (ماكتريس وبونة وتيفست وكيرتا وسيقا).

2- الكتابة اللوبية الغربية: كانت الأبجدية اللوبية معروفة لدى مجموع السكان المغاربة وظلت طيلة التاريخ القديم تستعمل في نوميديا الشرقية (الماصيل)، لكن مدونة الأب شابو(Chabot) والاكتشافات التي تلتها تبين أنها كانت معروفة لدى الماصيصيل ولدى المور والجيتول، هؤلاء استعملوها فترة أطول، وتقدم النقوش المسماة لوبية بربريـــة (Libyco-berbére) في المناطق

[1] مجموعة مؤلفين، الجزائر النوميدية، المرجع السابق، ص 120.

[2] الطاهر ذراع، المرجع السابق، ص 226.

[3] (J.B) Chabot, Op-cit, P.3.

[4] مها العيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم، المرجع السابق، ص ص 341-342.

الجنوبية (الأطلس المغربي- الجنوب الوهراني- تريبوليتانيا) نمطاً مزيجاً بين اللوبي والتيفيناغ[1].

لقد دونت الأبجدية الغربية بطريقة عمودية، ولا تزال القيم الصوتية للحرف الكتابي بها مجهولة لدى الباحثين لأن معظم النصوص كانت فردية يصعب مقارنتها بكتابة رسمية وتحليلها اللغوي مثلما جاء في نقوش دوقة وإنما كانت وحيدة الكتابة[2]. ويبدو أن النقوش العمودية قد استخدم أغلبها في الريف المحافظ وهي ذات طابع جنائزي.

وهكذا في كل الأحوال تعتبر الكتابتين اللوبيتين الشرقية والغربية، قد جاءتا من الابتكار المحلي لأفراد المجتمع المغربي القديم، وغرضها هو تدوين بعض القضايا التي رأى فيها السكان ضرورة لأن تدون بتلك الكتابة حسب متطلبات حياتهم.

ثالثاً- اللغة الفينيقية[3]: تأثر المغاربة القدماء بالحضارة الفينيقية ومن مظاهر هذا التأثير انتشار اللغة الفينيقية التي تعتبر عنصرا تاريخياً انتشر في بلاد المغرب، وذلك لسببين أساسيين هما: أن اللغة الفينيقية، كانت أولى اللغات السامية المكتوبة التي تعلمها اللوبيون في زمن مبكر، واستمدوا عن طريقها كثيرا من عناصر الثقافة الشرقية.

والسبب الثاني: يتجلى في كون اللغة الفينيقية تبناها سادة القوم وأعيانهم، وأصبحت لغة التعامل لديهم فاحتوت بذلك على معلومات تاريخية ذات أهمية بالنسبة لتاريخ الممالك المغربية القديمة. لذلك فإنني أحاول التعرف على اللغة الفينيقية وعوامل انتشارها في بلاد المغرب وهل استمر تداولها في بلاد المغرب؟ أم اندثرت بعد سقوط قرطاج؟

---

[1] غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر، المرجع السابق، ص 323.

[2] فتيحة فرحاتي، المرجع السابق، ص 316.

[3] **اللغة الفينيقية** (La langue phénicienne) تتفرع اللغة الفينيقية عن جذع اللغات السامية الشمالية الغربية مثل الأوغاريتية والعبرية ثم المؤابية وسائر اللهجات الآرامية، ويمكن الحديث عنها ابتداء من القرن الثاني عشر أو الحادي عشر قبل الميلاد، كما أنها تتميز عن لغات الألفية الثانية لهذا الجدع باختزال نظامها الصوتي، فلقد استبدل الحرفان اللهويان الداخليان "غ" و"خ" بالحرفين الأذنيين "ع" و"ح"، وعوضت الحروف الأسنانية "س" و"ذ" ثم "ث" بحروف الصفير "ص" أو "ز"، وانقلبت حركة النصب الطويلة " L" إلى حركة ضم طويلة "و"، وانقلبت حركتا النصب والجر القصيرتان (ه) و(أ) إلى حركتا جر بالإمالة ـــي. أما حركة الضم، فانقلبت مفتوحة، واختزلت الحركة المزدوجة، حيث أصبحت حركة ضم طويلة و———. ينظر: محمد الصغير غانم، نصوص بونية ليبية مختارة، ط1، المرجع السابق، ص40.

توجد مادة معرفية شحيحة عن اللغة الفينيقية وذلك لعدة أسباب منها:

أ)– ضياع التراث اللغوي الفينيقي على يد الغزاة الأجانب الذين اجتاحوا منطقة الساحل الفينيقي ابتداء من غزو شعوب البحر المدمرة حتى الاحتلال اليوناني للساحل الفينيقي في شرقي المتوسط وتدمير قرطاجة من طرف الرومان في الحوض الغربي للبحر المتوسط.

ب)– الفينيقيين على العكس من السومريون والأشوريون الذي سجلوا تراثهم على ألواح طينية مقاومة للفناء لا تؤثر فيها العوامل الطبيعية، ولذلك إندثر الكثير من التراث الفكري الفينيقي، إلا ما سجل على المواد الصلبة مثل: الصخور واللوحات المعدنية[1].

ج)– إن زمن ازدهار الفينيقيين لم يدم مدة طويلة حتى يسمح لهم بالالتفات إلى الناحية الأدبية والتاريخية فيسجلوا الكثير منها في شتى مجالات الحياة.

د)– تحيز المؤرخين اليونان واللاتين والعبرانيين، الذين كتبوا عن الفينيقيين حيث كانت كتاباتهم بعيدة عن الموضوعية وفيها تحيز وتزييف للحقائق التاريخية، سواء أكان ذلك عن قصد وقناعة أو بسبب جهلهم للغة الفينيقية[2].

1– دراسة اللغة الفينيقية: نتيجة للأسباب السابقة سأحاول التطرق لموضوع اللغة الفينيقية بما توفر لي من مراجع تاريخية كتبها المختصون في هذا المجال منها ما يأتي:

أ– أسماء الأعلام: تتفرع اللغة الفينيقية عن اللغة الكنعانية، وتتشابه مع اللغات السامية الأخرى في مدونة الألفاظ والتصريف الذي يطرأ على مصادرها، وغالباً ما يتكون فعلها من ثلاثة أحرف، وتتفق مع الكتابات السامية الأخرى في عدم كتابة الحركات حتى تزيل شكوك التردد والخطأ في النطق بكلماتها. وعلى هذا المنوال جاءت أسماء الأعلام الفينيقية عبارة عن أوصاف تشير إلى خاصية من الخواص، مثل:الابتهال أو إظهار الإيمان أو الثناء على الرب[3].

ب– النقوش الإهدائية: تشمل النقوش الإهدائية كل الأشياء المهداة إلى الرب تقربـــــا إليه لنيل

[1] محمد الصغير غانم، نصوص بونية ليبية مختارة من تاريخ الجزائر القديم، المرجع السابق، ص 31.
[2] نفسه، ج2، ص 30.
[3] نفسه، ج2، ص 31.

رضاه والاستعانة به في قضاء المآرب والوقاية من الكوارث. وغالباً ما تحتوي صيغة الإهداء تلك على وصف القربان ثم تطلب في الأخير إنزال البركة.

ج- الأدب الفينيقي: يجهل الكثير عن الأدب الفينيقي، وما وجد منه قليل لا يتعدى بعض الأساطير النادرة المتعلقة بفكرة الخلق عند الفينيقيين، والمناظرات الأدبية التي تتمثل في النزاع السنوي بين إله النبات عليان بعل وخصمه الإله موت[1]. وهناك موازنات ومقاربات من حيث اللغة والأفكار بين الأدب الذي ظهر على الألواح الأوغاريتية[2]، وما جاء في التوراة خاصة في الأوزان الشعرية. ومن أشهر المؤرخين الفينيقيين الذين وصلتنا أخبارهم نذكر الكاهن "سانخونياتون" (Sanchoniaton) الذي عاش في القرن الحادي عشر قبل الميلاد، وقد اقتبس عنه فيلون الجبيلي[3] في حوالي القرن الأول ميلادي، وفي حوالي القرن الرابع ميلادي أخذ المؤرخ اليوناني أوزيب - والملقب بأبي التاريخ الكنسي - آراء سانخونياتوس عن فيلون وانتقدها.

وتجدر الإشارة أيضا إلى نصوص تقارير رحلتي حانون وخملكن الاستكشافيتين والوصف الشامل للأماكن التي بلغتها رحلتا القائدين القرطاجيين، وقد ترجم التقريران من الفينيقية إلى اللاتينية ثم إلى لغات العالم الأخرى. كذلك نذكر أيضاً في ميدان التاريخ والأدب الفينيقي النقش الذي سجل عليه حملات حنبعل على إيطاليا ثم أودعه في معبد جونو (Junon) وكان هذا النقش مزدوج اللغة فينيقية يونانية، ولذلك أخذه المؤرخ الرومـــــــــــــــــــاني تيت-ليف

[1] **الإله موت:** أشار فيلون الجبيلي أن موت هو ابن الإله كرونوس الإغريقي والإلهة هيرا، كان أبوه قد ألهه بعد وفاته ويدعوه الفينيقيون ب" تاناتوس"(Thanatos) أو "بلوتون"(Pluton) ينظر: محمد أبو المحاسن عصفور، المدن الفينيقية، المرجع السابق، ص ص 141- 142.

[2] **الألواح الأوغاريتية:** لقد اكتشفت الألواح الأوغاريتية سنة 1929، وكانت تتضمن أساطير كنعانية، كتبت في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وكانت تلك الأساطير تعبر عن رغبة الإنسان الطبيعية في التعرف على الكون والإجراءات الأخرى التي تشير إلى خصوبة الإنسان والحيوان ثم النبات، كما صورت مجمع الآلهة السامية في علاقاتها المتشابكة ونظرتها إلى الكون العلوي والسفلي.جان مازيل،تاريخ الحضارة الفينيقية(الكنعانية)، تر:ربا الخش،ط1،دار الحوار للنشر والتوزيع،سوريا، 1998،ص 43

[3] **فيلون الجبيلي (Philon de Byblos):** كاتب يوناني ولد في فينيقيا حوالي عام 42م، لقب باسم هيرينيوس (Herennius) كان حيا أيام الامبراطور الروماني هادريان، وهو الذي نقل لنا فكرة الديانة الفينيقية عن خلق العالم بالاستعانة بالكتب القديمة التي سبقته، والتي من بينها كتاب سانخونياتوس. ينظر: محمد الصغير غانم، نصوص بونية ليبية مختارة من تاريخ الجزائر القديم، المرجع السابق، ص 32.

.[1](Tituis Livius)

يضاف إلى ذلك، كتب الموسوعة الزراعية التي ألفها القرطاجي ماغون (Magon)[2] خلال القرن الثالث قبل الميلاد، والتي أمر مجلس الشيوخ الروماني بعد تهديم مدينة قرطاجة بترجمتها إلى اللغة اللاتينية للاستفادة منها في ميدان الزراعة.

لقد أجريت الكثير من الأبحاث وتم التوصل للعديد من الاستكشافات الأثرية لكشف الستار عن الكتابة الفينيقية التي تضاربت أراء المختصين واللغويين حول طريقة كتابتها.

يعتقد المختصون في ميدان اللغات السامية أن الأبجدية الفينيقية الأولى كانت قد اشتملت على اثنان وعشرين حرف صامتة أضيف إليها فيما بعد الشكل والحركات، ولم تتخلص تلك الأبجدية الفينيقية الأولى من الكتابة الرمزية فحسب، بل تخلصت من كل المقاطع اللفظية، حيث أنه لا يستعمل أي مقطع لفظي ليدل على المقطع السابق له[3].

كما يلاحظ أن الكتابة الفينيقية الأولى هي كتابة لفظية غير متكاملة، ذلك لأنها تسجل الحروف الصامتة فقط، ومع تخلصها تقريبا من كتابة الرموز، فإنها لم ترقى إلى النطق السليم وذلك لتعدد اللغات التي كانت تكتب بها[4].

2- انتشار الفينيقية في غربي البحر الأبيض المتوسط: قدم التجار الفينيقيون إلى غربي المتوسط ومعهم موروث حضاري متطور يتمثل في اللغة والكتابة الفينيقية[5]، التي ارتكزت في بداية تواجدها بالمستوطنات الفينيقية الساحلية على امتداد الشواطئ المغربية كلها، ثم توسعـــــــت في

---

[1] محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية، ج2، المرجع السابق، ص 31.

[2] **ماغون:** عالم قرطاجي عاش خلال القرن الثالث قبل الميلاد صنف موسوعة تشمل ثمانية وعشرون سفرا مخصصة للاقتصاد الريفي، وقد اعتبره القدماء من إغريق ورومان مؤسسا لعلوم الزراعة ومؤسسا لعلم الاقتصاد الريفي وهو ما تشير إليه العبارة اللاتينية (Parens rusticationis) التي أوردها العالم الروماني قلوملة (Columella) الذي نوه بعبقرية ماغون القرطاجي في كتاباته خلال القرن الأول قبل الميلاد. ينظر: الطاهر ذراع، المرجع السابق، ص 113.

[3] محمد الصغير غانم، نصوص بونية ليبية مختارة، المرجع السابق، ص 34.

[4] نفسه، ص 35.

[5] لا توجد إشارات تاريخية تؤكد استخدام اللوبيين القدامى لأي نوع من أنواع الكتابة، باستثناء الرسوم الكهفية التي عكفوا على انتاجها آلاف السنين قبل أن يرتحلوا عنها في كل الاتجاهات. إذ يبدو أن الكتابة الفينيقية استهوتهم فاستعملوها كغيرهم من الشعوب. ينظر: عبد العزيز سعيد الصويعي، اللغة الليبية القديمة وكتابتها، المرجع السابق، ص 274.

الأرياف المجاورة فتعلمها الريفيون، الذين تعاطوا العلاقة التجارية مع الفينيقيين، وبعد ظهور قرطاجة كدولة أضحت لغة عامة للسكان الذين احتكوا بها ببلاد المغرب[1].

ومع ذلك فإن اللغة الفينيقية سرعان ما ضعفت أمام اللغة المحلية للسكان الأصليين، ودخلتها تعابير وأسماء محلية أبعدتها عن طابعها الشرقي الأصيل[2]، ربما بحسب ما أملته ظروف البيئة الجديدة، وبتأثير ثقافي ولغوي وامتزاج حضاري واجتماعي واقتصادي فرضته المرحلة، وصارت الفينيقية تعرف بالكتابة البونيقية. وهذه التسمية يُصرّ البعض على أنها مركبة تركيباً مزجياً من اللفظين "ليبو-فينيق"، ثم اختصرت إلى "بونيقية" وأيضاً إلى "بونية"[3].

من جهة أخرى فإن التعابير التي تسربت إلى اللغة الفينيقية في المغرب تناولت التراكيب ومخارج الأصوات التي تؤديها وتجاوزت المرحلة السطحية، بل أصبحت أكثر عمقا[4].

ثالثاً- تطور اللغة البونية والبونية الجديدة: عُرفت فترة بداية استقرار الفينيقيين ببلاد المغرب بالعصر القرطاجي، نسبة إلى عاصمتهم الجديدة حيث مارست قرطاجة تأثيراتها في بلاد المغرب من خلال عاصمتها وجميع المدن التابعة لها على السواحل الإفريقية، وبطبيعة الحال شمل التأثير جميع المناطق الواقعة جنوب المدن القرطاجية، ولكن التأثير كان أقوى على حدود مدينة قرطاجة أي المناطق المتاخمة لها.

يقول قوتييه: **"جل ما يهمنا من تاريخ قرطاجة معرفة الأثر الذي أحدثته هذه المدينة في بلاد المغرب، والاطلاع على ما خلفته فيه بعد زوالها" "وواضح أثر قرطاجة في هذه البلاد فاذا كانت المدينة نفسها قد اندثرت فان المدن الفينيقية الأخرى التي أوجدتها لم تزل من الوجود"**[5]، حيث انتشرت الثقافة واللغة البونية بين الأهالي، ولم تندثر بسرعة بعد سقوط سقوط قرطاجة عام 146 ق.م، فيقول سالوست في معرض حديثه عن لبدى الكبرى: إن

[1] محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية، ج2، المرجع السابق، ص 28.
[2] محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي، المرجع السابق، ص125.
[3] عبد العزيز سعيد الصويعي، اللغة الليبية القديمة وكتابتها، 274.
[4] محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي، المرجع السابق، ص 125.
[5] قوتييه، المرجع السابق، ص 68.

سكانها قد حافظوا على أخلاقهم وقوانينهم لكن لغتهم قد تغيرت جراء التزاوج مع النوميديين[1]، وهذه إشارة إلى تأثر لغتهم باللغة المحلية.

ومنذ اندلاع الحرب الأولى مع الرومان بدأ القرطاجيون يوطّدون علاقتهم بقدماء اللوبيين –أكثر فأكثر– طلباً لمناصرتهم ضد الخطر القادم من روما. ومن ثم بدأ ذلك العصر يُعرف تاريخاً بالعصر البونيقي أو البوني، نسبةً إلى تلك الحروب الثلاثة المشهورة. وبهذا الاندماج البشري اندمجت اللغتان الفينيقية واللوبية، واصطلح على تسميتها باللغة البونيقية[2].

1– اللغة البونية في بلاد المغرب: كان المغرب القديم متفتحاً على لغات وثقافات البحر المتوسط، حيث جعل السكان من اللغة الفينيقية لغة خاصة بهم وهي اللغة البونية والبونية الجديدة (Néopunique)[3]، وهي من اللغات القديمة التي وصلت إلى المستوى العجمي[4] ولغة التجارة والمعاملات، ولغة الأدب والثقافة الرفيعة لدى الأوساط المتحضرة، لذلك اعتمدت كلغة رسمية في الممالك النوميدية والموريطانية، حتى ما بعد تهديم قرطاجة[5]، وباللغة البونية قدمت النذر إلى الآلهة في المعابد والنصوص الإدارية والسجلات الرسمية التي عثر عليها ولما استعملت أيضا تلك اللغة في كتابة الشواهد القبرية وعلى العملة.

كذلك فيما يخص لغة الإدارة والعملة التي ضربت داخل المملكة النوميدية، فإنها تدعو إلى الاعتقاد هي الأخرى، بأن العاهل الماسيلي ماسينيسا كان قد تبنى اللغة البونية، وبـــذلك فإن هذه

[1] سالوست، حرب يوغرطة، صفحات من تاريخ شمال أفريقيا، تر: محمد التازي سعود، جامعة محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، 1979، ص 161.

[2] سعيد عبد العزيز الصويعي، اللغة الليبية القديمة، المرجع السابق، ص277.

[3] الأثر الذي أحدثه المغاربة في اللغة الفينيقية هو إخضاعها لنطقهم وهو ما أدى إلى ظهور لغة جديدة متكونة من اندماج اللغة الفينيقية باللغة اللوبية وهذه اللغة الجديدة هي اللغة البونية، ثم اللغة والكتابة البونية الجديدة (Néo-punique) التي ظهرت بعد سقوط قرطاجة. ينظر: محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع، المرجع السابق، ص 205 .

[4] بمعنى أن البونية لغة متطورة وكتابة لها منظومتها النحوية والصرفية الخاصة بها.

[5] كانت مدينة قرطاجة قد هدمت سنة 146 ق.م، ثم انتهت سياسيا وعسكريا، غير أن إشعاع ثقافتها وحضارتها قد استمر تأثيرهما بين السكان المغاربة القدماء، وذلك حتى بداية الفتوحات العربية الإسلامية لشمال أفريقيا، لاسيما في مناطق الأرياف. أحمد مسعودي، المرجع السابق، ص 186.

الأخيرة كانت هي لغة القصر والإدارة المركزية والمعاملات الرسمية للملك[1].

وحسب المعطيات التاريخية والأثرية فإن اللغة البونية بقيت مستعملة كلغة رسمية ولغة التداول اليومية ببلاد المغرب القديم على مدى خمسمائة عام تقريبا بعد تهديم قرطاجة، وهذا اعتماداً على المخَّلفات النقوشية التي عثر عليها في بلاد المغرب ولاسيما في نوميديا الشرقية (الشرق الجزائري)[2].

وحتى النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي كان عدد من سكان مدينة أويا[3] يتكلمون البونيقية، فقد أشار أبوليوس في دفاعه أن سيكينيوس بودينس (Sicinus Pudens) ابن زوجته بودينتيلا (Pudentilla) قد نسى اللغة اليونانية التي تعلمها من أمه، كما نسى اللغة اللاتينية تماماً، وكانت البونيقية اللغة الوحيدة التي يتكلمها بطلاقة[4].

وفي بداية القرن الثالث الميلادي كانت اللغة البونيقية قد سادت بين الطبقات العليا حيث تتحدث بعض المراجع أن "سبتيميوس سيفيروس" كان يتحدث اللاتينية بلسان بونيقي، بل أن بعض أفراد أسرته كانوا لا يتحدثون اللاتينية، لذلك أضطر سبتيموس إلى إرجاع أخته اوكتافيلا (Octavilla) إلى لبتيس ماجنا محملة بالهدايا عند زيارتها له في مدينة روما، منعاً للإحراج فهي بالكاد كانت تتحدث اللاتينية[5].

ويؤكد ستيفن غزال أن في العهد الإمبراطوري (القرن الثالث ميلادي)، كانت اللغة البونيقية منتشرة انتشارا واسعا خارج المدن، على الخصوص في ولاية طرابلس، وبالشمال الغربي من القطر التونسي وبالشمال الشرقي للقطر الجزائري. ولايوجد برهان كافي لإثبات ذلك، فالنقوش قليلة العدد لأن الفلاحين الذين كانوا يستعملون البونيقية لم يكونوا قد تعلموها في المدرسة، وقليل منهم كان يعرف كتابتها، بل إن النصوص وعلى الخصوص ما كتبه القدّيس أوغسطين، هي التي لا

[1] محمد الصغير غانم، العلاقات الحضارية، ج3، المرجع السابق، ص 113.

[2] أحمد السليماني، المرجع السابق، ص ص 191-192.

[3] سأتحدث عن هذه المدينة لاحقاً.

[4] Apulius, Apol, Epistulae, Meta Morphoses, Loeb Classical Library, XCV III.7

[5] Ward-Perkins, J.B, Roman Imperial Architecture, 2nd Edition 1981, P.373.

تترك شائبة شك في هذا المضمار. فحتى عهد الدولة السفلى، بل حتى عهد السيطرة البيزنطية، كان الناس يتحدثون بالبونيقية في بوادي مقاطعة طرابلس ونوميديا. وكثير ممن تمسكوا بلهجة أجدادهم اللوبية[1].

ونقرأ كتابات بالحروف البونيقية على نقود لسيفَكْس ولابنه وِرْمينا (Vermina)، ولماسينيسا المتوفى سنة 148 ق.م، وكانت اللغة البونيقية الجديدة مستخدمة على نقود ملك نوميديا يوبا الأول المتوفى سنة 46 ق.م، وكذلك على نقود ملك موريطانيا بوكوس المتوفى سنة 33 ق.م[2]. لقد اضمحل اللسان الفينيقي بالمشرق أمام الآرامية والإغريقية، أما بالمغرب فقد بقي حيا مدة قرون خصوصا في البوادي[3].

2- الكتابة البونية: صحب الاندماج اللغوي اندماج في الكتابة، أو ربما تأثرت الكتابة الفينيقية بالبيئة الجديدة، بحكم أن التاريخ لا يسجل لقدماء اللوبيين ارتيادهم مجال الكتابة حتى تختلط بالكتابة الفينيقية أو تتأثر بها. وقد تزامنت تلك الحروب وظهور اللغة المدمجة مع تدمير المدائن الفينيقية في جبال لبنان على يد الإسكندر[4] سنة 332 ق.م، وبقى للفينيقيين مدائنهم الجديدة المقامة على السواحل الغربية لحوض البحر المتوسط فقط وأهمها جميعا قرطاجة. من هنا بدأت جميع المقومات الحضارية تُعرف بالبونيقية أو البونية، من بينها كانت الكتابة. وقد أكّد المهتمون بالكتابات الشرقية أن الحروف البونبقية إنما هي آخر شكل من أشكال الكتابة الفينيقية. وليـــس

[1] اصطيفن غزال، المرجع السابق، ج6، ص99.

[2] نفسه، ج6، ص 102.

[3] نفسه، ج4، ص 140.

[4] **الإسكندر**: كان الإسكندر الأكبر من أعظم القادة العسكريين في تاريخ الإغريق، حيث حكم مقدونيا بعد اغتيال والده سنة 332 ق.م، واستطاع في فترة وجيزة أن يوطّد أركان دولته ويجمع كلمة الإغريق، ويُكون جيشاً قوياً ومنظماً، وأن يزحف به نحو الشرق سنة 334 ق.م، وينتصر في كل معاركه الحربية ضد الفرس ويدخل مصر سنة 332 ق.م، وأسس مدينته سنة 332 ق.م على الساحل المصري التي حملت اسمه، وكان لها دورٌ مهمٌ في مجال نشر الحضارة الهللينيستية في أرجاء الشرق الأدنى القديم وشمال إفريقيا. ينظر: فادية محمد أبو بكر، دراسات في التاريخ الهلينيستي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2001، ص ص 60-62.

من الغريب أن تتميز الكتابة البونية القديمة والمتأخرة عن الكتابة الفينيقية الأم في أشكالها[1].

أما الكتابة البونية فقد تميزت بمظهر حروفها المائلة والمنحنية في بعض الأحيان. وتعد البونية هي الكتابة الرسمية في قرطاجة العاصمة، وكامل مستوطنات إمبراطوريتها في غربي المتوسط ابتداء من نشأتها 814 ق.م حتى تاريخ سقوطها سنة 146 ق.م. وقد استمر تداول الكتابة البونية حتى بعد هذه الفترة بدليل النقوش التذكارية للأمراء المغاربة، والكتابة على المسكوكات[2].

والحق أن الكتابة البونية الجديدة، كانت قد حلت محل الكتابة البونية القديمة[3] ابتداء من سقوط قرطاجة سنة 146 ق.م[4].

ويرى بعض الباحثين المتخصصين في علم الكتابات السامية أن الكتابة البونية الجديدة تعد آخر مراحل الانحطاط التي وصلت إليه الكتابة الفينيقية في بلاد المغرب القديم، حيث أصبح القائمون بنقش هذه الكتابة يميلون إلى السرعة وإلى قلة الاعتناء في إعطاء الحرف الهيئة التي يستحقها وعلى سبيل المثال فإن حرف الباء –ب–، والدال–د– والراء–ر– أصبح لا يفرق بينهما بل تكتب على شكل ربع دائرة أو قوس (’)، مما يجعل الشك والاضطراب ينتاب دارس رموز الكتابة البونية الجديدة[5].

وعند مقارنة الكتابة الفينيقية ووليدتها البونيقية، نجد أن الكتابة الأم كانت تفصـــل كلماتها

[1] سعيد عبد العزيز الصويعي، اللغة الليبية القديمة، ص 278.

[2] محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي، المرجع السابق، ص 126.

[3] كان الانتقال من الكتابة البونية إلى البونية الجديدة قد حدث بالتدرج وعلى مراحل، حيث استمرت الكتابة البونية ثم تسربت إليها في بداية الأمر بعض الحروف البونية الجديدة، وبعد ذلك حلت هذه الأخيرة محل الكتابة البونية القديمة.

[4] في الحقيقة ليس هناك فرق جوهري بين فينيقي وبوني، فالمصطلح واحد، والفرق بينهما هو أن كلمة بوني تتفرد بأنها تطلق على تسلسل الحضارة الفينيقية في غربي المتوسط، لا سيما بعد تأسيس مدينة قرطاجة وانفصالها عن صور الأم في شرقي المتوسط على الساحل اللبناني ثم دخول عنصر جديد مع الفينيقيين في بلاد المغرب وهم المغاربة، وبعبارة أوضح فإن مصطلح بوني، وبوني جديد هو عبارة عن تسلسل زمني مرت به الكتابة الفينيقية في بلاد المغرب. ابتداء من تأسيس قرطاجة وانفرادها بالحكم في غربي المتوسط حتى ما بعد سقوطها سنة 146 ق.م. ينظر: محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي، المرجع السابق، ص 126.

[5] محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي البحر الأبيض المتوسط، المرجع السابق، ص 76.

بخط، ثم اختفت تلك الفواصل وأصبحت حروف الكلمات متداخلة، مما صعّب قراءتها. إلاّ أن البونيقيين أسرفوا في مد الحروف إلى أسفل أكثر من ذي قبل، وهذه العملية تُعرف بالتعريقة في الكتابة العربية. إلى جانب أن معظم حروف البونيقية ساكنة، شأنها شأن الأبجدية الأم، إذ لا يمكن احتساب حرفي "الواو" و"الياء" أحرفاً صوتيةً خالصةً **"بل هي نصف صوتية، أما الأحرف الصوتية فقد أهملتها هذه الأبجدية، فيمكننا أن نقول أنها أبجدية ساكنة نقية صافية"**[1].وربما حدث ذلك بتأثير من لهجات قدماء اللوبيين، فإلى حد الآن لا زالت اللهجات المغربية ساكنة، إذ يقولون (عْنَبْ، عْسَلْ، شْمَعْ، لْبَنْ، سْمَنْ)[2].

وبعد دراسة النقوش البونية تبين تفوق أعداد النقوش البونية على مثيلاتها البونية الجديدة، ويمكن أن يكون ذلك راجعاً إلى عدة أسباب من بينها:

أ)– أن الفترة التي استغرقها التعامل بالكتابة البونية يفوق الفترة الزمنية التي استغرقتها الكتابة البونية الجديدة حيث بدأ التعامل بها بعد تهديم مدينة قرطاجة – كما سلف الذكر –.

ب)– كانت الكتابة البونية هي التي تؤدى بها اللغة الرسمية في الدولة القرطاجية، بينما ظهرت البونية الجديدة في بعض المناطق المتأثرة بالحضارة البونية، أي قليلة الانتشار ومحصورة في مناطق محدودة.

ج)– غياب كتابات رسمية تنافس الكتابة البونية في بلاد المغرب القديم، قبل تهديم قرطاجة، بينما على العكس من ذلك وجدت الكتابة البونية الجديدة منافساً خطيرا يتمثل في الكتابة اللاتينية بعد الغزو الروماني وسياسته التي تهدف إلى القضاء على الثقافة المحلية[3].

وقد وجدت آثار الكتابة البونيقية على امتداد الشريط الغربي للبحر المتوسط خصوصاً في تونس وليبيا والجزائر. ومن أهم المكتشفات الأثرية المتعلقة باللغة البونية مجموعة نقوش معبد الحفرة

[1] حاتم عماد، في فقه اللغة وتاريخ الكتابة ، ط1، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا،1982، ص 220.
[2] نفسه، ص 220.
[3] محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي، المرجع السابق، ص 127.

البونيقي بقسنطينة[1] التي تم العثور عليها ربيع عام 1950م وهي تتكون من حوال 278 نقيشة منها 32 كتبت بالكتابة البونية الجديدة و246 كتبت بالحروف البونية، ورغم الطابع النذري لهذه النقوش فإن لها قيمة تاريخية بالنظر لما تتضمنه من معلومات عن مجتمع مدينة سيرتا آنذاك ومنها اللغة التي كان يستعملها أفراده في حياتهم اليومية[2].

كان ذلك الاكتشاف مثيرا للدهشة وقد عبر "ألبير غروني" على ذلك الإحساس قائلا:"**إن ما يدعو للإعجاب هو أن يوجد في سيرتا وفي عمق بلاد البربر إشعاع قرطاجة الحضاري**"[3]. ويتضح من خلال النص مدى تغلغل اللغة البونيقية إلى ذلك العمق النوميدي.

وقد كتبت النصوص النقوشية الرسمية المتعلقة بالمملكة النوميدية باللغة البونية وكانت واحدة منها ذات طابع ديني مزدوجة الكتابة، تحتوي على الترجمة اللوبية لنص بوني، ويتمثل هذا في النص الإهدائي المنقوش على لوح في معبد ماسينيسا بدوقة، وينبغي على الباحثين التمحيص، لأن النص البوني متبوع بجلمة أخيرة لا مقابل لها في الترجمة اللوبية. وإذا كان النص البوني يحتل المكانة الأولى في إهداء معبد ماسينيسا، فإن ذلك ليس أمرا عاديا لأن البونية كانت اللغة الرسمية في المملكة النوميدية.

بينما توضح وفرة النقوش اللوبية في دوقة أن اللغة والكتابة النوميدية كانت معروفة عند سكان تلك المدينة خلال القرن الثاني ق.م، مثلما لوحظ في نص إهدائي خاص على غرار نص ضريح أتبان (Ateban) نجد النص اللوبي يسبق النص البوني على اليمين[4].

---

[1] **معبد الحفرة البوني بقسنطينة:** يقع عند نقطة تقاطع طريق سطيف والطريق المؤدي إلى مطار عين الباي، تم العثور فيه على ما يقرب من 900 نقيشة مابين سنوات 1875 – 1950م، حيث عثر في هذه الحفرية الأخيرة فقط على 700 نقيشة وهي عبارة عن نصب وأنصاف نصب إهدائية، غير أنها لا تخلو من الأهمية، ذلك أنها زودت الباحثين بمعلومات قيمة تطرقت إلى كثير من الوظائف والمهن ثم الحرف المنتشرة في سيرتا في عهد ملوكها النوميديين خاصة، حيث قدمت لنا تلك النصب، ولأول مرة تقريبا تواريخ مضبوطة تعود إلى عصر بعض هؤلاء الملوك. لمزيد من المعلومات ينظر: فتيحة فرحاتي، المرجع السابق، ص9.

[2] A.Berthier et L'abbé René charlir, Le Sanctuaire punique d'El hafra à Constantine, Paris, 1955, P. 10.

[3] Ibid, P.P (10-11).

[4] غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر، المرجع السابق، ص. ص (319- 320).

والحقيقة أنه يصعب على الباحث حصر عدد النقوش البونية والبونية الجديدة، ذلك لأنها حتى الآن لم تجمع في كتاب واحد أو تبوب حسب أهميتها ومناطقها الجغرافية، غير أنها لا تزال متبعثرة بين المكتبات ودور الأرشيف الجزائرية والتونسية والمغربية والعالمية.[1] لقد تم العثور على نقائش بونية عديدة في ربوع الممالك النوميدية المورية لاسيما في الحواضر ومنها سيرتا[2] العاصمة النوميدية.

وكان للكتابة البونية حضور مكثف في المدن المطلة على سواحل غربي ليبيا، لاسيما في مدينة طرابلس وفي سبراطة ولبدة الكبرى، التي توجد أطلالها قرب مدينة الخمس الليبية. وفي تونس حظيت اللغة البونية بظروف مواتية جعلتها تتألق وتتسع رقعتها حتى شملت ربوعا مترامية الأطراف تمتد من وتيكة وقرطاجة إلى رمال الصحراء، ففي ضواحي تطاوين ورمادة عثر على نقائش بونية تؤكد أن الغزو الروماني فشل في إقصائها وتحويلها[3].

تثبت تلك النقائش بكمها ومضمونها مدى انتشار القراءة والكتابة في المجتمعات البونية اللوبية. ومن الطرائق ما تم العثور عليه في ضواحي مدينة قالمة بالقطر الجزائري نصب عليه نقيشة بونية سطرت بالحرف النسخي تدعو عابر الطريق أن قف واقرأ. فهي شاهد على انتشار التعليم في

---

[1] محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي، المرجع السابق، ص 135.

[2] **سيرتا أوكرتان (Kirtan)**: تسمية سامية فينيقية تعني المدينة مثل: قرت حدشت أي المدينة الجديدة. وهي مدينة نوميدية توجد بالشرق الجزائري، تحمل اليوم اسم قسنطينة، كانت من أكبر عواصم المملكة النوميدية المازيسيلية، أطلالها تشهد على عمق الحضارة البونية فيها ويتجلى ذلك في معالم دينية وجنائزية منها معبد التوفاة والنصب التي أقيمت إجلالا لبعل حامون وتانيت، نذكر منها ضريح الملك ماسينيسا أو ما يعرف بضريح صومعة الخروب. أما عن اسمها القديم كرتن، فقد ورد مكتوبا على النقود التي ضربت في عهد الملوك النوميديين. وقد ركز الباحثون الفرنسيون اهتمامهم أكثر في دراسة تاريخ وآثار قسنطينة على الفترة الرومانية، لأن الفترة القديمة بالنسبة للكثير منهم كانت مرادفا للفترة الرومانية فقط التي اعتبروها ارثهم الحضاري، لذلك لابد من ابراز قيمتها كعاصمة نوميدية متفتحة على الحضارات الأخرى، وكمدينة وصلت إلى العالمية بفضل وجود فئات بشرية متنوعة، بونية وإغريقية وإيطالية وغيرها امتزجت مع سكانها الأصليين لتجعل منها مدينة غير عادية، تماثل المدن الكبرى آنذاك. من جهة أخرى، يتوزع تاريخ الأطلال النوميدية – البونية التي أزيح عنها التراب في كرتان على مابين القرنين الثالث والأول قبل الميلاد. لمزيد من المعلومات ينظر: جهيدة مهنتل مقروس، حاضرة قسنطينة كرتا النوميدية والرومانية، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص. ص (3-4).

[3] الطاهر ذراع، المرجع السابق، ص 118.

المدن والأرياف البونية النوميدية[1].

هذا بالإضافة إلى بعض النقوش التي وجدت على المسكوكات والفخار، وغالباً ما تكون قصيرة بحيث لا تتجاوز أسماء الأعلام[2].

إن بقاء اللغة المنقولة من سوريا إلى إفريقيا واستمرارها حية حول مدينة هيبون حتى القرن الخامس للميلاد، ليشهد بأن هذه المدينة قد كانت موطنا مهما للحضارة الفينيقية[3].

استخرج من مياه ميناء قيصرية صنج من البرنز عليه كتابة بونيقية لا يظهر أنها متأخرة عن القرن الثاني ق.م ولا نعرف بشرشال وجودا لأي قبر يمكن التأريخ له بالحقبة التي ندرسها هنا. ومع ذلك فيحتمل جدا أن القطعة المنحوثة المعثور عليها بهذا المكان، هي جزء من غطاء تابوت يمثل الميت، حسب عادة اقتبسها الفينيقيون من المصريين. ونشير أيضا إلى الجعارين (Scarabées) المصرية الفينيقية. كما أن عدة من الكتابات المنقوشة بالخط البونيقي الجديد، التي ترجع إحداها لعهد الملك النوميدي مِسِبْسا (Micipsa)، وبعض المخلفات الأثرية الأخرى توضح باستمرار اللغة والحضارة القرطاجيتين[4].

وقد درج علماء الآثار على اعتبار النقوش المكتوبة باللغة القرطاجية والتي ترجع لعهد ما بعد قرطاجة آثار بونية جديدة وتكثر هذه النقوش في تونس وشرقي الجزائر. وهناك أمثلة عديدة من آثار وتسميات تاريخية تدل على عمق الأثر الذي تركته في بلاد المغرب. ولكن يصعب تحديد الفترة التي ظل فيها هذا الأثر ماثلا فيه[5].(**ينظر الشكل رقم: 24 ص230**)

3- **وضع اللغة البونية أثناء الاحتلال الروماني**: تبنى النوميديون اللغة البونيقية وتشبعوا بثقافة الشرق ومن الأدلة التي تثبت ذلك أن مجلس الشيوخ الروماني اعترف لهم بذلك وسلمهـــم

[1] الطاهر ذراع، المرجع السابق، ص 118.
[2] محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية، المرجع السابق، ص 228.
[3] أصطيفن أكصيل، المرجع السابق، ج2، ص 112.
[4] نفسه، ج2، ص 119.
[5] قوتييه، المرجع السابق، ص 68.

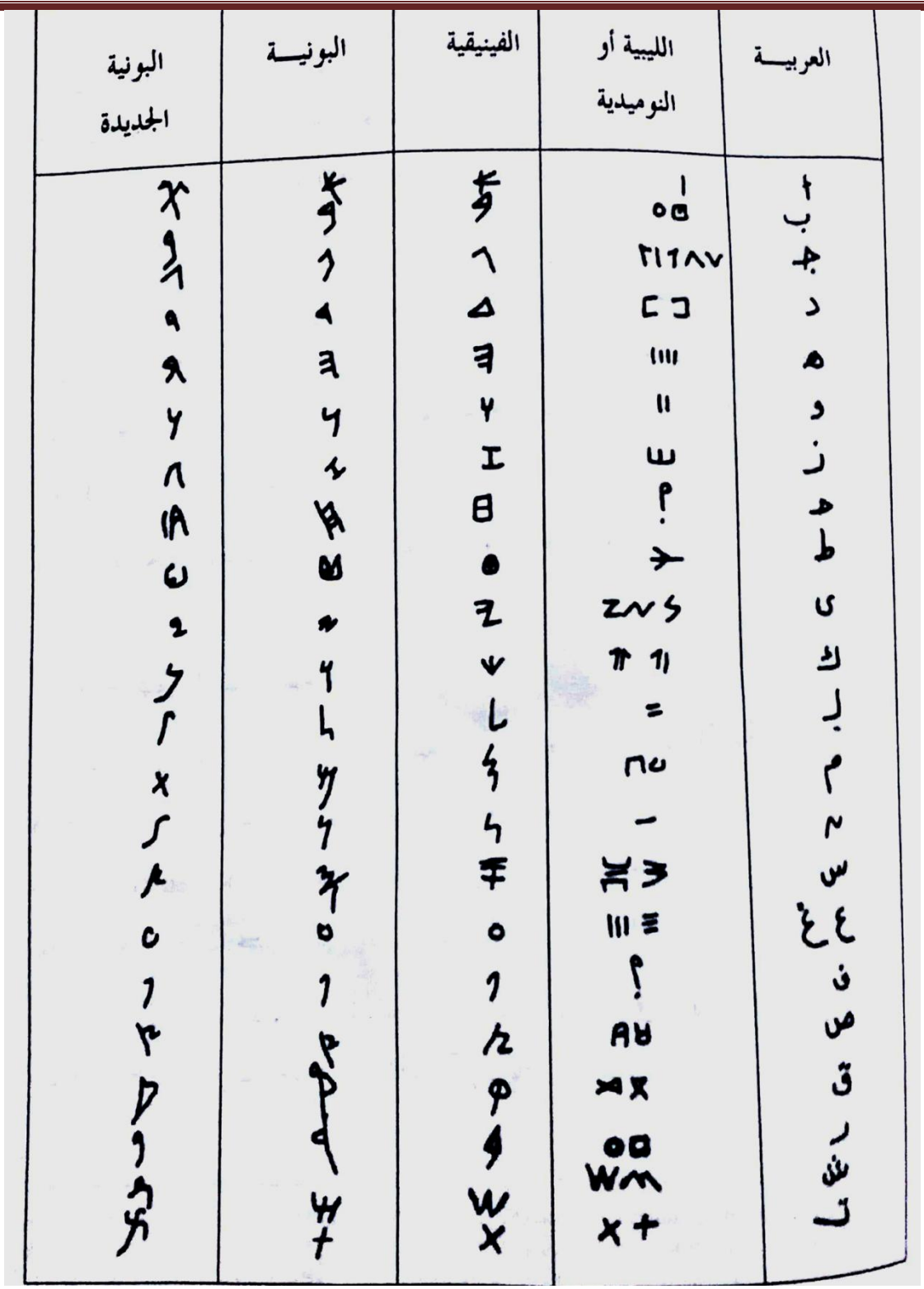

العربيـــة	الليبية أو النوميدية	الفينيقية	البونيـــة	البونية الجديدة
أ				
ب				
ج				
د				
ه				
و				
ز				
ح				
ط				
ى				
ك				
ل				
م				
ن				
س				
ع				
ف				
ص				
ق				
ر				
ش				
ت				

الشكل رقم:24 جدول خاص بترتيب حروف الكتابة الأبجدية اللوبية البونية في المغرب القديم

نقلا عن: غانم، المظاهر الحضارية، ج.2، المرجع السابق، ص 209.

الكمية التي تجاوزتها النيران في مكتبة قرطاجة[1]، وكانت تلك المكتبة قبل سقوط قرطاجة سنة 146 ق.م ذات شهرة بحيث نافست مكتبة الاسكندرية[2] بمصر، ويمكن أن نضيف بأنّ ذلك التسليم اعتراف رسمي من طرف روما بالهوية الثقافية للمملكة النوميدية[3]، والتي اصطبغت الثقافة البونيقية عند النوميديين بطابع مغربي، حيث خالطتها عناصر ثقافية محلية فأصبحت مزيجا من الثقافتين الفينيقية الأصلية واللوبية العريقة[4].

وقد أكد الكاتب غابريال كامبس: "**أن أفريقيا لم تصطبغ بالحضارة البونية تماما إلا بعد نهب قرطاج في 146 ق.م ويبين لنا التاريخ الأفريقي الذي لا لبس فيه أن ماسينيسا استلم من يدي سيبيون الإميلي الضمان المادي لإرث قرطاج الروحي وهو مخطوطاتها التي سلمت من الحريق**"[5]. يستنتج من خلال النص أن الثقافة البونية زاد امتدادها أثناء الاحتلال الروماني، حيث حافظت الكثير من المدن على استعمال اللغة البونيقية خلال هذه الفترة، ومنها مدينة طرابلس ولبدة ودوقة، حيث تدل الوثائق الأثرية على استمرار اللغة البونيقية بتلك المدن إلى القرن الثاني بعد الميلاد رغم غزو اللاتينية للمدن والحواضر المغربية[6].

ولقد بقيت اللغة البونيقية متداولة لزمن طويل إلى ما بعد زوال الممالك المحلية، فقد كان الناس لا يزالون يتكلمون البونيقية تحت حكم "ماركوس أوريليوس" (Marc Aurèle) في

---

[1] تحدث كثير من الكتاب الإغريق واللاتين عن أهمية المكتبة القرطاجية مشيرين إلى محتوياتها القيمة، والظاهر أن آخر المستفيدين منها هو يوبا الثاني الذي اعتمد على ماورد في بعض كتبها الجغرافية عندما كان يعد رحلاته الاستكشافية بحثاً عن منابع النيل. ينظر: الطاهر ذراع، المرجع السابق، ص 120.

[2] عرفت باسم مكتبة الإسكندرية الملكية أو المكتبة العظمى، شيدها بطليموس الأول ويقال أنه تم تأسيسها على يد الإسكندر الأكبر ويقال أيضا أنه تم تأسيسها على يد بطليموس الثاني في أوائل القرن الثالث قبل عام(285 – 247 ق.م).

[3] يذكر ستيفن غزال أن الكتب التي نجت من التدمير سنة 146 ق.م، كانت ذات جدوى على مُلاّكها الجدد، وبالخصوص على هيمبْسال (Hiempsal) الذي يبدو أنه هو نفسه قد قام في اللغة الفينيقية بعمل واحد أو أكثر في ميدان التاريخ. وليوبا الثاني (Juba II) العالم المجتهد الذي لا يكل، ذي التآليف العديدة. ينظر: اصطيفن أكصيل، تاريخ شمال إفريقيا القديم، ج4، ص 161.

[4] محمد البشير شنيتي، أضواء على تاريخ الجزائر القديم، دار الحكمة، الجزائر، 2003، ص 159.

[5] غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر، المرجع السابق، ص 318.

[6] مها العيساوي، النقوش النوميدية في بلاد المغرب، المرجع السابق، ص 67.

مدينة لبسيس، ولكنهم يكتبونها بأحرف إغريقية (كما نراها في كتابة نقوشية على أحد الأعمدة في قوس النصر). وفي المنطقة نفسها شواهد كثيرة قد استُعملت فيها الأحرف اللاتينية في كتابة اللغة البونية[1].

كما ظل التخاطب بالبونيقية متواصلا ببعض الأرياف القريبة من المدن ذات العراقة البونيقية إلى القرن الخامس الميلادي، وهو ما شهد به الأسقف أوغسطين الذي ذكر بأنه كان يواجه صعوبات في إفهام جمهور الريف ما يريده باللغة اللاتينية، وأنه كان مضطر لاستصحاب المترجمين الذين يجيدون اللغة البونيقية[2].

شكك كورتوا (Ch. Courtois) ومجموعة من المؤرخين، فيما ورد عن أوغسطين معتقداً أن البونيقية زال أثرها قبل عهد أوغسطين بكثير وأن الرومنة قد عمت الحواضر النوميدية والأرياف المحيطة بها وأنه ربما اختلط الأمر على أوغسطين فاعتقد أن اللوبية هي البونيقية[3].

الحقيقة أن الاكتشافات الأثرية الجديدة أكدت صحة رواية أوغسطين جاعلة فرضية كورتوا مجرد شكوك باطلة بعيدة عن الصحة العلمية والموضوعية التاريخية.

وتذكر المصادر التاريخية أن اللغة البونيقية قاومت الغزو اللاتيني في المدن بصورة متفاوتة، حيث ضعفت في مدينة سيرتا أمام كثرة المجتمع اللاتيني، الذي أقبل عليها منذ سقوط مملكة نوميديا عام 46 ق.م على يد قيصر الذي منح مرتزقة سيتيوس سيرتا وإقليمها،[4] بينما صمدت كلاما (قالمة) ومكثر ودوقة مدة أطول في وجه المد اللاتيني مما جعل البونيقية تستمر بها إلى فتـــرة

---

[1] غابريال كامبس، البربر ذاكرة وهوية، المرجع السابق، ص 194.

[2] M.Benabou, La Résistance africaine à la romanisation, éd.Maspéro et l'Univérsité de Paris-Sorbonne Paris, 1976, P P.(483- 489).

[3] Ch.Courtois, « Saint Augustin et le problème de la survivance de Punique » Rev. Af. T : XC IV, 1950, P.P (259-282).

[4] عندما آل الحكم الروماني إلى الإمبراطور أكتافيوس اغسطس وانتهاء العهد الجمهوري بروما، أصبحت المقاطعتان الإفريقيتان، القديمة والجديدة تحت سيطرته خلال الفترة الممتدة ما بين سنة 36-27م وهي الفترة التي دخلت فيها مدينة كرتا النظام الروماني بصورة مباشرة وواضحة، حيث منحها الإمبراطور اكتافيوس لقب مستعمرة (Colonia Julia Cirta) وهو نفس الاسم الذي ذكرها به بطليموس (كرتا يوليا كولونيا). ينظر: جهيدة مهنتل مقروس، المرجع السابق، ص 104.

أطول[1].

بعد الغزو الروماني رفضت روما الاعتراف باللغة البونيقية في الدوائر الرسمية، كما شجعت الأهالي على تعلم اللاتينية والإقبال على ثقافة روما وجعلت من ذلك معيارا يؤهل صاحبه للحصول على امتيازات مدنية ومنها درجة المواطنة الرومانية وذلك نوع من الإغراء للترومن والأخذ بثقافتها والتخلص من الثقافة البونيقية[2].

هذا وقد ساهم النوميديون في تطوير اللغة البونيقية التي تواصل انتشارها على أيديهم ببلاد المغرب مدة طويلة، بينما تراجعت الفينيقية بالمشرق أمام ضغط لغات أخرى كالإغريقية التي غزت مجتمعات الشرق ابتداء من توسعات المقدونيين هناك.

ويتجلى مظهر التطور في بروز خط جديد دعي بالبونيقي الحديث، حيث كان أكثر قابلية للكتابة العادية، التي كانت ترقم على سطوح مرنة كألواح الطين، ثم ما لبث هذا النموذج الخطي أن أصبح هاماً يكتب على الألواح التذكارية والنذرية المنحوتة على الحجارة[3].

خلاصة القول يمكن أن نستنتج أن النقوش البونية تشكل مصدرا أساسا لا يستهان به في دراسة تاريخ وحضارة المغرب القديم في غياب المصادر الكتابية.

هذا بالإضافة إلى أن اللغة والكتابة البونية في المغرب قد عايشتا اللغة والكتابة اللاتينية حتى القرن الخامس ميلادي، لاسيما في المناطق التي كانت بعيدة عن الاستعمار الروماني[4].

المبحث الثاني: الاندماج الديني بين اللوبيين والفينيقيين: صاحب التوسع القرطاجي في الأراضي المغربية وبسط سيادة الدولة في الداخل اندماج ثقافي في مجال الديانة، وانتشار العبادات القرطاجية هي الأخرى أيضا، حيث استقر الكثير من التجار القرطاجيين في المراكز الداخلية، وكان لابد لهؤلاء من ممارسة عباداتهم وطقوسهم الدينية، وإنشاء المعابد لآلهتهم، فنتج عن ذلك ديانة لوبية فينيقية متميزة لها سماتها الخاصة، وأتاح الفرصة لبلاد المغرب لأن تصبح

[1] محمد البشير شنيتي، أضواء على تاريخ الجزائر القديم، المرجع السابق، ص 158.

[2] نفسه، ص 158.

[3] محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية والتراثية، ج2، المرجع السابق، ص 230.

[4] محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي المتوسط، المرجع السابق، ص 06.

مسرحاً لنشاط اجتماعي وثقافي مهم[1]، وتضافرت عدة عوامل ساعدت على سرعة انتشار المعتقدات الفينيقية بين السكان المحليين، لعل من أهمها هو: **أ–** التقارب السلمي بين المجتمعين: الفينيقي والمحلي منذ لقاءاتهم الباكرة[2]، **ب–** إلى جانب سرعة تقبل السكان المحليين لمختلف عناصر الثقافة الفينيقية.

وقد تجسدت في الكثير من المعالم الخاصة بالدين، في المعابد والمقابر والنصب الجنائزية والمذابح والتماثيل المشيدة للآلهة والمعبودات التي تمت عبادتها في المنطقة، فمن ناحية المعبودات فقد جمع العنصر الوافد والمحلي بينهما، حيث اشتركوا في عبادتها وأقاموا لها الاحتفالات الدينية[3].

أولا– انتشار الديانة الفينيقية في المغرب القديم: كانت بلاد المغرب مسرحا لتلاقي معتقدات وثقافات مختلفة بتلاقي أقوام وأعراق بشرية على أرضها، وهو ما جعل المعتقدات الليبية القديمة تتشابك مع معتقدات الشعوب المجاورة كالمصريين ثم المعتقدات الفينيقية التي تأثر بها الأهالي حيث اعتنقدوا الكثير من المعبودات وتمسكوا بتقديسها وممارسة طقوسها حتى في العهد الروماني.

1– لمحة عن الديانة الفينيقية: احتل الدين المكانة الأسمى بين شعوب العالم القديم لارتباطه بحياتهم اليومية، خاصة السامية منها، فجاءت الديانة مرتبطة بالطبيعة مباشرة، فكانت الآلهة هي المسؤولة عن كل شيئ، فهي الراعية والمانحة والحامية والمدمرة والمسببة للأعاصير والمرسلة للرياح القوية، وهي جالبة الانتصارات ومسببة الهزائم، وهي التي تختار الأسرة الحاكمة ومن يتولى العرش، وكان الملك أو الحاكم هو المنفذ لمشيئة تلك الآلهة على الأرض، وكان على الشعب طاعتها طاعة تامة، وإقامة الشعائر الدينية لها، وبناء المعابد واللجوء إليها عند الشدائد، وتخصيص أناس يقومون على خدمتها، وكان على الناس تقديم القرابين والنذور والذبائح والأضاحي لها.

والفينيقيون –كشعب سامي– كان للدين دور بارز في حياتهم، ومكـــــــــانة عظيمة في

[1] رشيد الناضوري، المدخل في دراسة بعض جوانب العطاء الفكري لإنسان الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت 1969، ص 144.

[2] محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غرب المتوسط، المرجع السابق، ص68.

[3] راضية أبو عجيلة صالح بن خليفة، المرجع السابق، ص 196.

نفوسهم، فقد دلت أسماء القادة والملوك –سواء الفينيقيون أو القرطاجيون بعدهم– على هذه الأهمية، حيث ارتبط الكثير من تلك الأسماء، بأسماء الآلهة مثل: "ايتو بعل– حنبعل– وأدون– حامليكار– أشمون حنو...الخ"، وهذا يعني ترضية الآلهة والتبرك بها[1].

2– **تعدد الآلهة الفينيقية:** تعددت الآلهة الفينيقية في شرق البحر المتوسط بتعدد مدنهم هناك، فكان لكل مدينة إلهها الخاص بها، يكون على رأس مجموعة من الآلهة الأخرى التي كان يختص كل منها بشأن معين من شؤون الحياة، وقد كانت في بعض الأحيان تتبدل مهامها حسبما تقتضيه الأمور[2].

ومع ذلك فقد كانت هناك آلهة لها عبدةً في كل المدن، كالإلهة عشتارت التي كانت تمثل إلهة الإخصاب في معظم الحضارات الشرقية القديمة، فوجدت في بلاد الرافدين، وبلاد الشام، ولدى الفينيقيين[3]. أما بقية الآلهة الأخرى، فقد كان هناك على سبيل المثال: إله للإخصاب، وإله البحر، وإله العواصف والرياح، وإله الحرب، وإله الجفاف، وإله الموت...الخ.

ولكن إله الخصب والنماء كان هو الأكثر شهرة بين تلك الآلهة، فهو الذي يمثل الحياة ، ويوفر سبل المعيشة، ويرسل الأمطار، ويعيد دورة الحياة في مزارع الفلاحين، وغالباً ما يكون هو حامي المدينة. وكان من صفات وطبائع تلك الآلهة أنها تتزواج وتنجب الأبناء[4]، وتموت وتعود للحياة من جديد، وكانت الألوهية لا تقتصر على الرجال، فقد احتلت آلهة أنثى مراكز مرموقة في مجمعات الآلهة، أمثال: عشتارت وبعلة وتانيت وعنات، وكان دورهن غالباً ما يكون في الجانب العاطفي وفقاً لطبيعة المرأة، كالحب والكراهية. وكانت هذه الآلهة قد جمعت في مجمع واحد بصور عندما أصبحت لها السيادة على المدن الفينيقية في الشرق[5].

---

[1] محمد بيومي مهران، المدن الفينيقية، دار النهضة العربية، بيروت، 1994، ص 345.

[2] Lancel,(S), Carthage , Céres, Tunisi, 1992, P 272.

[3] فراس السواح، لغز عشتارت، الألوهية المؤنثة وأصل الدين والأسطورة، ط7، دار علاء الدين، دمشق، 2000، ص ص 50-56.

[4] Ribihini, Sergio, Belifs and Religous life, in Sabation Moscati, The Phoenicians, I.B, Tauris Publisher, London. New York, 2001, P 129.

[5] Ibid, P 122.

3- انتقال المعبودات الفينيقية لبلاد المغرب: انتقل الفينيقيون إلى غرب البحر المتوسط حاملين معهم معتقداتهم وآلهتهم وطقوسهم وشعائرهم الدينية، فارتبطت قرطاجة في بداية تأسيسها ارتباطاً وثيقاً بالشرق الفينيقي، خاصة في الحياة الدينية فكانت آلهتهم شرقية صرفة جلبت من مدن الساحل الفينيقي، فشيدوا لها المعابد، وأنشأوا الساحات التي مارسوا فيها طقوسهم، وقدموا فيها القرابين لتلك الآلهة، ومع أني لست بصدد الحديث عن الديانة الفينيقية أو القرطاجية بشكل مفصل، لأنها ليست موضوع الدراسة، إلا أني سأحاول تسليط الضوء عليها بقدر ما يفيدنا في إدراك مدى تأثيرها وتأثرها بالديانة المحلية في بلاد المغرب[1].

إن دراسة الحياة الدينية في قرطاجة ليست بالأمر السهل، والوصول فيه إلى حقائق يظل صعب المنال، وذلك لغياب الأدلة الأثرية التي يمكن من خلالها تكوين فكرة تامة عن تلك الديانة، ولصمت المصادر الكلاسيكية عن الحديث عنها، يضاف إلى ذلك إحراق مدينة قرطاجة من قبل الرومان عند تدميرها عام 146 ق.م، مما أدى إلى طمس الكثير من الوثائق القرطاجية التي تكون الدليل الذي لا يدحض في الوصول إلى حقيقة تلك الديانة، ولذلك تظل المحاولة محدودة من خلال دراسة الآلهة الفينيقية في الشرق، ومن خلال بعض المعابد وعلى رأسها معبد "صلامبو" بتونس التي تجري فيها الحفريات الأثرية، وبعض الموجودات في القبور البونية المنتشرة في غرب البحر المتوسط، من أساور وقلائد وتمائم وجعلان تحمل نقوشاً وصوراً، تسلط الضوء على بعض المعبودات ورموزها، فقد وجدت بعض المحالق النحاسية التي صورت الأشكال الإلهية والشعارات الدينية المقدسة، وقد حمل بعضها التأثيرات المصرية، وكان البعض الآخر على النمط البوني[2].

أما المصدر الأهم في معرفة تلك الديانة فقد تمثل في الأنصاب التي استقى منها الباحثون أهم تفسيراتهم للطقوس الدينية القرطاجية، فقد حملت تلك الأنصاب نقوشا ورموزاً دينية عديدة ومهمة، حيث كانت النقوش على تلك الأنصاب تبين مدى أهمية النصب والغـــــاية من تقديمه،

[1] خلايلة إبراهيم خليل، مصادر البحث عن الحضارة الفينيقية البونية في تونس (المصادر التاريخية، المصادر الأثرية – النقائش)، رسالة شهادة الدراسات المعمقة، جامعة تونس الأولى، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 1995، ص 151.

[2] نفسه، ص 151.

وتعطي معلومات قيمة عن أهم الآلهة ومسمياتها[1].

ومن أهم الرموز التي ظهرت على تلك الأنصاب رموز الإلهة تانيت والإله بعل حمون، التي تمثلت في قرص الشمس المجنح، والصولجان، والكف المبسوطة، كما أنها تحوي صوراً لبعض الحيوانات التي قدمت كأضحية للآلهة[2].

لذلك يبدو أن القرطاجيين مثل عدة شعوب أخرى، قد أحبوا وأشركوا معبودين أو ثلاثة في صلواتهم وأيمانهم أو في حفلاتهم الدينية وداخل معابدهم، فكانت الازدواجات (Couples) والثواليث (Triades) إطارات يدخلون فيها مختلف الآلهة. والأسباب التي دفعت لهذه الاشتراكات تبقى خفية[3].

ثانيا– أهم المعبودات القرطاجية: تبرز العلاقات الفينيقية اللوبية ممثلة في الامتزاج الديني الذي تمثله مجموعة من الآلهة التي تعددت في قرطاج بتعدد سكانها، فقد احتوت على العديد من الآلهة التي عبدت فيها، ولكنها اختلفت من حيث مركز الصدارة في مجمع الآلهة القرطاجي من فترة إلى أخرى، حسب الظروف التي كانت تمر بها الإمبراطورية، وحسب تطورها الزمني، فقد ظهرت بها آلهة احتلت السيادة فيها عند بداية تأسيسها، ثم ظهرت آلهة أخرى كان لها الصدارة فيما بعد، وكانت معظم هذه الآلهة فينيقية الأصل، كما وجدت إشارات إلى آلهة أخرى محلية وأجنبية عبدت في المدينة، كاليونانية والمصرية[4].

وهذا إن دل على شيئ فإنما يدل على فسيفسائية التركيبة الاجتماعية، ومدى الحرية التي كان يتمتع بها سكان قرطاجة بشكل عام، والذي انعكس على حرية ممارسة الشعائر الدينية بشكل خاص، فعلى سبيل المثال: عُثر على تمائم وجعلان تحمل صوراً للربة "إيزيس" المصرية في قرطاجة، كما عُثر على عبادة إلهتين إغريقيتين هما: "ديمتر وكوري" في قرطاجة، ويبدو أن عبادتهما قد دخلت قرطاجة مع بداية القرن الرابع ق.م، ومن المرجح أنها اقتصرت على الجاليات الأغريقية

[1] خلايلة إبراهيم خليل، المرجع السابق، ص 197.

[2] محمد علي أبو شحمة، المعتقدات الدينية الفينيقية في المدن الثلاث الليبية، مجلة البحوث الأكاديمية، دت، ليبيا، ص489.

[3] أصطيفن أكصيل، المرجع السابق، ج4، ص 180.

[4] نفسه، ج4، ص ص 179-181

في المدينة[1]. وقد أخذت قرطاج عن صور آلهتها، مع العلم أن غايات العقيدة ومظاهرها تخضع لمؤثرات المكان والزمان معا فعندما انقلبت الديانة الفينيقية إلى إفريقية طرأت عليها تغيرات حتمية[2].

أما أهم الآلهة القرطاجية، فقد وجدت عبادة الكثير منها، سنعرض إلى أهمها في هذه الدراسة، وهي:

1- ملكارت: يتركب اسم ملكرت من كلمتين هما:"ملك-قرت"، أي ملك المدينة، أو ملك القرية[3]، وقد كان هذا الإله هو إله مدينة صور الرئيس وحاميها، وجاء على رأس الآلهة التي وجدت في مجمع المدينة الإلهي[4].

لم يكن ملكارت إلهاً معروفاً بين الآلهة الفينيقية خلال الألف الثانية ق.م، ولكن ظهوره جاء بشكل مفاجئ خلال القرن العاشر ق.م في مدينة صور في نقش آرامي على لوحة تذكارية خصصت له[5]، علا شأن هذا الإله عندما أصبحت السيادة الفينيقية لمدينة صور، وأصبح هذا الإله حامياً لها، وكان في بادئ الأمر ذا طبيعة سماوية ممثلة في الشمس، ولكنه لم يلبث أن أصبح ذا طبيعة بحرية، إذ أصبح إلهاً بحرياً بعد ركوب الصوريين البحر وتحولهم نحو الغرب[6].

انتشرت عبادة هذا الإله في مختلف المراكز الفينيقية في غرب البحر المتوسط تبعاً للسيطرة الصورية هناك، فقد وجدت عبادته في صقلية وسردينيا وقادس وقرطاجة، كما ظهرت أسماء كثير من القرطاجيين التي تقترن باسم هذا الإله، مثل: "عبد ملقرت، حملقرت، حبيب ملقرت، بيد ملقرت"[7]، وقد انتقلت عبادته إلى قرطاجة في وقت مبكر، ويبدو أنه كان معبودها الرئيس حتى

---

[1] محمد علي أبو شحمة، المرجع السابق، ص 486.

[2] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 98.

[3] عصفور محمد أبو المحاسن، المدن الفينيقية، المرجع السابق، ص145.

[4] كونتو (ج)، الحضارة الفينيقية، ص 120.

[5] Ribichini Sergeo, Op-cit, P127.

[6] Ibid, P 128.

[7] - أحمد الفرجاوي، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة، المعهد الوطني للتراث، تونس، 1978،ص 172.

القرن السادس ق.م، أو القرن الخامس ق.م، حيث يذكر أن قرطاجة كانت ترسل عُشر محصولها وعُشر غنائم الحرب للإله ملقرت في الشرق[1]، كما وجدت صورة الإله ملقرت على بعض النقود القرطاجية، مما يدل على استمرار عبادة هذا الإله على المستوى الرسمي للدولة، حيث أن العملة القرطاجية سكت إلى نهاية القرن الخامس ق.م[2].

2- أشمون: تشير الآثار إلى أن بداية عبادة هذا الإله قد ظهرت في بيروت، ثم انتقلت إلى صيدا وأصبح إلاهها الرئيس[3]، ولم يحمل لقب بعل[4]، وكان يعرف بإله الشفاء والطب في العالم الفينيقي الفينيقي بشكل عام[5]، واشتقاق الاسم غير معروف على وجه اليقين ويرى "كونتو" أنه صيغة مشتقة من شيم بمعنى الاسم الأعظم، وشيم من الألقاب الربانية التي بطلت عندما ظهر لقب إشمون، فيكون لفظ إشمون أيضاً مجرد وصف كمعظم الأوصاف التي تطلق على البعولة الأخرى[6].

وقد انتقلت عبادته إلى العالم البوني عند تأسيس قرطاجة، وشيد له معبد على قمة بيرصة، وهي أعلى قمة في المدينة، ويعتبر من أكبر المعابد فيها[7].

اقترن اسم بعل أشمون بكثير من الأسماء، مما يدل على مكانته في العبادة القرطاجية مثل:"أشمون حنو، أشمون يرعاه، أشمون تاماس"[8]، حيث لم يعرف للقرطاجيين إله حربي على غرار غرار شعوب المتوسط، وكان أشمون يتولى الدفاع عنهم ويصون مدينتهم وكيانهم[9]، استمرت عبادة هذا الإله حتى سقوط قرطاجة، ولكن منذ القرن السادس ق.م ظهرت عبادة إلهين جديدين دون شأن كبير في الشرق الفينيقي، ارتبطا ببعضهما ارتباطاً وثيقاً، واستمر في بلاد المغرب حتى بعد

[1] أحمد الفرجاوي، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة، المرجع السابق، ص 173.

[2] خلايلة إبراهيم خليل، المرجع السابق، ص 174.

[3] أصطيفن أكصيل، المرجع السابق، ج4، ص 235؛ الماجدي خزعل، المعتقدات الكنعانية، دار الشروق، عمان، 2001،ص 169.

[4] كونتو (ج)، المرجع السابق، ص 122.

[5] محمد الخطيب، الحضارة الفينيقية، ط2، دار علاء الدين، سوريا-دمشق، 2007، ص 130.

[6] كونتو (ج)، المرجع السابق، ص 122.

[7] محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غرب البحر الأبيض المتوسط، المرجع السابق، ص ص 102-103.

[8] فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو إمبراطورية البحر، المرجع السابق، ص 136.

[9] الطاهر ذراع، المرجع السابق، ص 189.

سقوط قرطاجة، هما: الإله "بعل حمون" الذي تعددت التفسيرات حول اسمه وطبيعته ومدى تأثيره وتأثره بالعبادة المحلية، والإلهة "تانيت" التي دار جدل عميق حول أصلها وعلاقتها بالشرق الفينيقي وبالسكان المحليين، فأصبحت عبادة هذين الإلهين هي العبادة الرئيسية في الدولة القرطاجية منذ القرن السادس ق.م تقريباً، وسأحاول تسليط الضوء على عبادتهما في المنطقة.

3- بعل حمون: يعتبر بعل حمون أحد أشهر الآلهة الفينيقية في قرطاجة، على الرغم من أنه كان إله مغمور في الشرق الفينيقي، وقد ظهرت اختلافات كثيرة حول أصول هذا الإله في بادئ الأمر نتيجة بروزه بقوة في شمال أفريقيا، وتأخره في المشرق، ويعود أول ظهور له في الشرق الفينيقي إلى القرن التاسع ق.م على نقيشة "زنكرلي"[1]، ثم انتقلت عبادته إلى بلاد المغرب بعد تأسيس قرطاجة، قرطاجة، وانتشرت انتشاراً واسعاً في العالم البوني في غرب البحر المتوسط، خاصة بعد بروز قرطاجة كزعيمة للمدن الفينيقية في المغرب، فكانت له السيادة في مجمع الآلهة في قرطاجة، وظهرت رموزه على الأنصاب، وبدأ اسمه يتكرر في النقوش، وكان أول ظهور له في قرطاجة وفق النقيشتين الساميتين 5684-5685[2].

اختلفت الآراء والتفسيرات حول اسم هذا الإله مما أدى إلى ظهور آراء عدة انعكست على طبيعته وأصوله في بادئ الأمر، فقد كان الاسم يتركب من كلمتين هما: "بعل-حمون"، وكلمة بعل (B'L) أي (Baal) هنا ليست مشكلة في حد ذاتها، فقد اتفقت معظم الآراء حول معناها وبداية ظهورها، فهي تعني بشكل عام: الرب، السيد، الملك، الزوج ودائما لابد لها من مبين أي تكملة توضح الشيء المملوك[3]، لقد مثل بعل جيلاً بكامله من الآلهة الكنعانية ظهر في بلاد فينيقيا منذ القدم، ويأتي بعد جيل أيل "سيدة الآلهة"، ويذكر أن بعلا هو ابن أيل[4]، وهو سيد الآلهة الكونية، ومنه تفرعت هذه الآلهة، وبالتالي أخذ أغلبها هذه الصفة، فارتبط اسم بعل بالربوبية والسيادة[5] - كما ذكرت سابقاً-.

[1] محمد عصفور أبو المحاسن، المدن الفينيقية، المرجع السابق، ص ص 140-141.

[2] الفرجاوي أحمد، بحوث حول العلاقات، المرجع السابق، ص 167.

[3] أصطيفن أكصيل، المرجع السابق، ج4، ص 182.

[4] الماجدي خزعل، المرجع السابق، ص 135.

[5] عبد العزيز الصويعي، تاريخ الحضارة الليبية القديمة، المرجع السابق، ص273

ولكن اختلاف التفسيرات إنما جاء في الجزء الثاني من الاسم، أي في كلمة "حمون"، فهناك من اعتبرها جاءت نتيجة تمازجه مع الإله اللوبي آمون سيوة[1]، حيث أن حروف بعل حمون لم تلبث أن نسيت، وشاع رسم الاسم "بعل أمون"[2].

وقرطاجة تكون قد اتخذت أمون (Ammon) وشخصته في بعل حمون (Baal HMN) ويكون الكثير من الأهالي عباد أمون، صاروا يعبدونه في حلته الفينيقية[3]، وهذه أقدم التفسيرات المعتمدة، وهناك رأي آخر يرجح أن الكلمة اشتقت من حرارة الشمس والنار، وهي تعني "حمن"، ولذلك أعطت الإله الطبيعة النارية، فقيل: إنه الإله الناري، وإنه إله سماوي، حيث يرمز له بالشمس والقرص المجنح[4]، ووردت آراء أخرى تقول: إن معنى حمون هو سيد مذبح البخور، حيث تكثر عملية حرق البخور في معبده[5].

بينما يرفض محمد فنطر هذه التفسيرات كلها، ويأتي برأي جديد مفاده: أن كلمة حمون قد اشتقت من الجذر حمى، والنون للجمع، وهو ما يعني الحماية، وبذلك فهي تعني حامينا، أي أن الإله هو حامي قرطاجة[6].

ظهرت اختلافات كثيرة حول معنى هذه الكلمة والتي يمكن من خلالها تحديد ماهية هذا الإله، وبالتالي يصعب تقديم أجوبة نهائية حول طبيعة هذا الإله القرطاجي وأصله ومعنى تسميته لندرة المعلومات التي تخص الموضوع. إلا أن معظم الدارسين اعتبروه إله الفلاحة والخصوبة والضامن لثراء المدينة، وهي محاور تجد دعماً لا يستهان به إذا قبل مبدأ نسبة بعض الرموز التي توجد على العملات مثل سنابل القمح التي تلاحظ بيد الإله المجسم على بعض المسكوكات المتأخرة زمنـــيّا

[1] Bates (O), Op-cit, P 198.

[2] كونتو (ج)، المرجع السابق، ص 128.

[3] أصطيفن أكصيل، المرجع السابق، ج4، ص212.

[4] محمد بيومي مهران، المدن الفينيقية، المرجع السابق، ص 348.

[5] الميار عبد الحفيظ، الحضارة الفينيقية في ليبيا، المرجع السابق، ص 208.

[6] Fantar Mohamed , Carthage, Approch de une civilization, Tom2, Alife le Editions de la Meditrranee, 1998, P 264.

والمكتشفة في هدرمتوم خاصة[1].

ظهر أول ذكر لعبادة بعل حمون في بلاد المغرب خلال القرن السابع ق.م تقريباً[2]، واحتل مركزاً مرموقاً وسط الآلهة القرطاجية المتعددة، فانتشرت معابده في مختلف المدن الفينيقية وفي بلاد المغرب، فكانت في قرطاجة وأوتيكا ومكثر وسيرتا[3]، وكذلك في موقع يسمى أرض الكتاب جنوب غرب مدينة صبراتة الحالية، وفي معبدين آخرين في رأس المنفاخ قرب مدينة صبراته، وفي منطقة الغيران إلى الغرب من ويات "طرابلس الحالية"[4]، وقد استمرت عبادته على رأس الديانة القرطاجية حتى منتصف القرن الخامس ق.م حين اقترنت به الإلهة تانيت[5].

ظهرت نظريتان حول أصول هذا الإله القرطاجي، تقول أقدمها: إنه إله مركب من إلهين، هما: بعل الفينيقي وآمون اللوبي، وبذلك أدمج الإلهان وأصبح "بعل حمون" يدعى أحياناً "بعل عمون"، ويستندون في ذلك على انتشار عبادة الإله "آمون" في شمال إفريقيا على نطاق واسع[6]، وكذلك ظهور بعض صفات الإله "آمون" على الإله "بعل حمون" كالقرص الشمسي، وقرني الكبش.

أما النظرية الثانية فهي التي تقول بأصوله الشرقية، وينادي بها أغلب الباحثين الحاليين، وهي الأرجح على ما يبدو، على الأقل في ظل الاكتشافات الحديثة، ففي ظل ما أورده "فرزات" بوجود منطقة في الشرق تحمل اسم حمون[7]، وبما أنه لأغلب المدن الفينيقية بعولة يقدسونها، فكل

---

[1] الشاذلي بورونية، المرجع السابق، ص 277.

[2] الفرجاوي أحمد، بحوث حول العلاقات، المرجع السابق، ص 167.

[3] Fantar Mohamed, Carthage, Op-cit, P270.

[4] عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، المرجع السابق، ص 210.

[5] Fantar (M.H), Carthage Approche d'une civilisation, Op-cit, PP 272-273.

[6] محمد بيومي مهران، المدن الفينيقية، المرجع السابق، ص 340.

[7] يذهب محمد فرزات إلى أن كلمة حمون هي اسم لمنطقة في بلاد الشام الحالية، استناداً إلى بعض النقوش التي عُثر عليها في منطقة أم العواميد، حيث جاء في إحداها: " أن هؤلاء الناس من حمون" وجاء في أخرى تحت اسم ملقرت: "رب حمون" ينظر: فرزات محمد حرب، الديانة الفينيقية وعناصر الميثولوجيا في سوريا القديمة مراجعة لمصادر دراستها وأهم ملامحها، مجلة دراسات تاريخية، العددان 41-42، 1992، ص56.

بعل يوصف في الغالب باسم المكان الذي يعبد فيه. مثل بعل روش (سيد الرأس) وبعل آسافون (سيد الشمال) وبعل شمين (سيد السماوات) وبعل لبنان (سيد لبنان)[1].

إضافة إلى صدارته لمجمع الآلهة في مدينة فينيقية إنما أصبحت مركزاً للفينيقيين بشكل عام هي قرطاجة، وطغيانه على الآلهة الأخرى، وبروزه في وقت يسبق القرن الخامس ق.م الذي يعده الكثير من المؤرخين نقطة تحول في حياة قرطاجة الدينية[2] باتجاههم نحو اللوبيين، وتأثرهم بهم بشكل أكثر، هذه الأمور تجعلنا نرجح شرقية أصوله، ولكن ذلك لا يغلق الباب تماماً أمام الفرضية الأولى نظراً للتواصل الحضاري بين الشرق الفينيقي وغرب البحر المتوسط منذ الألف الثانية ق.م، فالشكوك التي تحوم حول هذا الموضوع كثيرة، وهناك أسئلة كثيرة تحتاج إلى إجابة عليها، حتى نستطيع أن نجزم بأصل هذا الإله، فمثلاً: لماذا لم يقترن اسم هذا الإله بأسماء البشر، كما كان يحدث مع الآلهة الأخرى "عبد أشمون- عبد ملقرت...الخ؟ أم أنه اكتفى بالإشارة إليه من خلال ذكر بعل؟ وهل أصبحت كلمة بعل تعني "بعل حمون"؟

هذا ما لا نستطيع أن نجزم به، لأن كلمة بعل صفة أخذها كثير من الآلهة، وإذا لم يكن كذلك، فإن الحديث السابق عن بعل يعد خاطئاً، وتذهب التفسيرات التي وردت في هذا الخصوص أدراج الرياح.

ويثير عدم ظهور الإله بعل حمون على العملة القرطاجية شكوكاً تدفعنا إلى الإعتقاد في أن كلمة "بعل" هي صفة وليست إسماً حيث إن العملة في قرطاجة لم تُسك إلا في نهاية القرن الخامس ق.م[3]، ولكن ذلك لا يعني إغفال صورة بعل فيها، بينما ظهرت صورة تانيت عليها بكثرة، وتانيت هي وجه "بعل"، واستمرت كذلك حتى سقوط قرطاجة، في حين ظهرت صورة للإله ملقرت مع الفيل على إحدى العملات في بعض المراكز البونية الأخرى، وكل هذا يحتاج إلى إيضاح حتى نتمكن من الوقوف على ماهية هذا الإله، وبالتالي يمكننا أن نجزم بأصله وطبيعته، كان الإله بعل حمون الأكثر شهرة، وكانت عبادته الأوسع انتشاراً، وتدل على ذلك كثرة النصب التي

[1] كونتو (ج)، المرجع السابق، ص122.

[2] الشاذلي بو روينة، المرجع السابق، ص 279.

[3] خلايلة إبراهيم خليل، المرجع السابق، ص ص 174- 279.

دلت عليه، والنقوش التي ذكرته، وقد جاء مسبوقاً بكثير من الألقاب، فقد دعي في بعضها بلقب: "أدن"، أي السيد، كما سبق اسمه بـ "إل" وبالمولى[1].

أما عن تمثيل الإله بعل حمون فقد أشار ديودور الصقلي إلى تمثال كان موجوداً في منطقة قرطاجة مصنوعاً من البرونز يمثل الإله بعل حمون، وقد مثّلت معظم الوثائق التي عثر عليها بعل حمون على شكل رجل كثيف اللحية جالس على العرش في وضع مهيب يرفع أحياناً يده للمتعبدين[2]، وقد ظهرت رموزه على الكثير من الأدوات المستعملة في قرطاجة، خاصة أدوات الزينة، كالحلي والجواهر، والتي عُثر عليها في بعض القبور القرطاجية. فقد عُثر على قرص الهلال المجنح والهلال المقلوب على إحدى القلادات الذهبية[3].

وكان اسمه لا يرد دائماً في بداية النقش، فقد جاء في المرتبة الثانية بعد "تانيت"، وأحياناً في المرتبة الثالثة، مثل ما ورد في النقيشة التي تحمل رقم "3778" بعل شميم، تانيت، بعل حمون، بعل منجم[4]. وقد انفرد مع تانيت بخصوصية تقديم الأضاحي البشرية من أبكار أبناء قرطاجة[5] من الجنسين وعلى مختلف مستوياتهم الاجتماعية[6].

كان لسيطرة القرطاجيين على بلاد المغرب الدور الأبرز في انتشار عبادة الإله بعـــل حمون

---

[1] خلايلة إبراهيم خليل، المرجع السابق، ص ص 168-303.

[2] رشيد بورونية، المرجع السابق، ص277

[3] خلايلة إبراهيم خليل، المرجع السابق، ص 137.

[4] نفسه، ص 304.

[5] يلاحظ أن التضحية البشرية تكاد تكون شيئا معتادا في المجتمعات القديمة الوثنية المتواضعة على ضفاف البحر المتوسط، حيث مارسها الإغريق منذ الألف الثانية ق.م. ولم يتوقف العمل به عند الرومان إلا في القرن الأول ق.م، كما مارسها الغاليون أثناء حملة قيصر، غير أن أكثر الشعوب ممارسة لشعيرة التضحية البشرية هم: الساميون الذين بالغوا فيها ونقلوها من الفردية الإرادية إلى الجماعية الرسمية، حيث كان العبرانيون والفينيقيون-قرطاجيون كلما أحسوا بأخطار مادية تهدد وجودهم اعتقدوا بأن الآلهة غاضبة عنهم وحتى ترضى لا بد من إراقة الدماء البشرية لها، وذلك ما أشار إليه ديودور الصقلي الذي يذكر أنه أثناء غزو أجاثوكليس لأول مرة لمدينة قرطاجة سنة 310 ق.م، بادر سكانها بالتضحية بمئات الأطفال من أبناء الطبقة النبيلة عسى أن ترضى عنهم الآلهة وتدفع عنهم الخطر الذي بات يهدد مدينتهم. ينظر: محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية، ج1، المرجع السابق، ص 416.

[6] ميادان مادلين هورس، المرجع السابق، ص 65.

في المنطقة، حيث يبدو أن تلك العبادة اقتصرت على قرطاجة وبعض المراكز الرئيسة مثل: عتيقة، ولكن منذ القرن الخامس ق.م بدأت عبادته تنتشر في داخل الأراضي المغربية وإن تراجعت على الصعيد الرسمي خلال القرن الخامس نتيجة اصلاحات سياسية ودينية حصلت بقرطاج بسبب تراجع العائلة الماغونية التي كان هذا الإله يسهر على رعايتها. غير أنه لم يتمكّن من تجنيبها الهزائم التي تكبدتها[1].

ولكن هذا الرأي يحتاج إلى دليل خاصة إذا علمنا أن الآلهة كانت غير مرتبطة بالأسر، وإنما كانت خاصة بالمدن. وقد انتشرت عبادته بين السكان المحليين عن طريق القرطاجيين الذين توغلوا في داخل البلاد، واستوطنوا المراكز الداخلية، وتمت مطابقته بالإله آمون في "سيوة" الذي كان يتمتع بشهرة واسعة في المنطقة منذ القدم[2]، وكان رمزه المقدس هو رأس الكبش، فظهر "بعل حمون" في صورة بشرية مرتدياً ثوباً طويلاً، وإلى جانبه نحتان بارزان على شكل خروفين، وعلى رأسه قرنان معقوفان على هيئة قرني كبش[3].

ومن الواضح أن القرطاجيين قد أضفوا إلى إلههم بعض الصفات التي كان يتمتع بها الإله آمون اللوبي، حتى عده بعض المؤرخين بأنه ذو أصل ليبي، أو على الأقل أن اندماجاً قد حصل بين الإلهين إلى الحد الذي ذهب فيه "بيتس" إلى الاعتقاد بأن قرطاجة كانت قد عبدت الإله اللوبي تحت اسم: "بعل هامون" فيقول: " **لقد كان بعل هامون بالفعل شكلا قرطاجياً من أشكال الإله الليبي آمون، ومما يدل على ذلك شكله الذي يظهر به أحياناً، وهو هيئة الكبش المقدس"**[4]، وفي هذا تبيان لمدى تأثر الإله القرطاجي بمظاهر الإله اللوبي.

4- تانيت: ظهرت عبادة الربة تانيت وانتشرت كإلهة رئيسية على المستوى الرسمي في قرطاجة منذ القرن الخامس ق.م، واحتلت الصدارة في الفترة الموالية لذلك[5]، ويذكر شارل أندري جوليان أن في

[1] الشاذلي بورونية، المرجع السابق، ص 277.

[2] أحمد السليماني، المرجع السابق، ص178.

[3] الميار عبد الحفيظ، الحضارة الفينيقية في ليبيا، المرجع السابق، ص 208.

[4] Bates, Op-cit, P 198.

[5] محمد الصغير غانم، المملكة النوميدية والحضارة البونية، المرجع السابق، ص 205.

في كثير من الأحيان نجد على الحجرات النذرية إلى جانب بعل حمون إلهة مساعدة تسمى تانيت بينيبعل (أي وجه بعل) لا تزال شخصيتها غامضة. وقد يكون مثل بعل حمون نفسه مزيجا من إله بربري وإله فينيقي[1].

أما عن رموزها المعروفة فهي متعددة منها ثمرة الرمان، وطائر الحمام، والسنابل، كما يرمز إليها بامرأة تُرضع طفلاً في إشارة إلى تمتعها بصفتي الخصوبة والأمومة، إضافة إلى ذلك هناك الهلال والقرص اللذان يظهران على كثير من اللقى الأثرية[2].

وقد حدث جدل واسع بين الباحثين حول أصول هذه الربة وماهيتها، فحاولوا تسليط الضوء على رموزها لتحديد طبيعتها وبداية ظهورها كمعبودة، ومعرفة بلدها الأصلي، وأسباب بروزها بقوة خلال القرن الخامس ق.م، فتعددت الآراء والنظريات، وتباينت حولها، ولازال الجدل قائماً حول بداية ظهورها ومكانه.

برزت مجموعة من النظريات في هذا المجال، ولكن أهم النظريات التي شدت انتباه الباحثين نظريتان:

أ- النظرية الأولى: ترتكز هذه النظرية على جملة من المعطيات التي أوردها الباحثون والقائلون بها، والتي قادتهم إلى اعتبار أن الإلهة تانيت هي إلهة محلية اعتنقها الفينيقيون عقب القرن الخمس ق.م لدعم مركز الإله بعل حمون فقرنوها به، وأصبحت تلازمه على معظم الأنصاب، وفي أغلب التقدمات النذرية[3].

فأول هذه المعطيات هي بروز هذه الإلهة بعد التحول القرطاجي نحو الفضاء الأفريقي عقب هزيمة هيميرا، حيث حدثت تحولات مهمة في حياة القرطاجيين، وكان على رأس هذه التحولات: التحول الديني، فكان من علاماته بروز هذه الإلهة، بل وتصدرها الديانة القرطاجية، حتى إنها جاءت قبل "بعل حمون" المعبود الرئيس للقرطاجيين، وأصبحت تسمى "تانيت بنى

[1] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 98.

[2] أحمد الفرجاوي، حول العلاقات، المرجع السابق، ص 102.

[3] Fantar (M.H), Carthage la Prestigieuse Cite d'Elissa, Maison Tunisienne de l'Edition 1970, P 160.

بعل"[1]، أي تانيت المقابلة لبعل، أو تانيت وجه بعل، ويذكر بيكارد (Picard): **إن تانيت هي إلهة ليبية الأصل، وإنها استطاعت أن تصل إلى قمة الهرم الديني إلى جانب "بعل حمون"، محتلّين مكانة "ملكارت" و"عشترت"، نتيجة التبدلات التي حدثت إبان القرن الخامس ق.م في قرطاجة، وأصبحت تسمى "تانيت بني بعل"**[2]، فأصبح لا يكاد يذكر بعل حمون إلا وتقدمته تانيت، مما اعتبره البعض إشارة إلى تراجع عبادة بعل والتحول إلى عبادة هذه الإلهة الجديدة[3].

وقد جاء ذلك في إطار تقرب القرطاجيين من السكان المحليين ومحاولة الاندماج معهم[4]، حتى يتسنى لهم التوغل في الفضاء الأفريقي لإيجاد عمق إستراتيجي لهم في صراعهم ضد الأغريق، بعد أن شعروا أن هناك قوة جديدة تنافسهم في البحر، وقد تحاصرهم أيضاً، فيصبحوا محاصرين من البر والبحر، هذا فضلاً عن تدهور مركز المدينة الأم "صور" في الشرق، وخضوعها لإمبراطوريات الشرق، كالبابليين والآشوريين والفارسيين، لذلك سعى القرطاجيون لإيجاد وطن جديد، وأهالي جدد من الأفارقة، وهذا لا يتأتى إلا من خلال الاندماج مع السكان المحليين على كافة الأصعدة، وخاصة في الجانب الروحي المتمثل في الديانة، فعبدوا إلهتهم "تانيت"، هذا فضلاً عن تحديد نشاط الإله "بعل حمون" بإقرانه بإلهة أنثى، خاصة وأنها كانت يرمز لها بإلهة الخصب[5].

أما الدليل الثاني فهي تتبع اسم الإلهة ذاتها حيث ورد ذكر عبادة الإلهة "تانيت" المصرية في بلاد المغرب، فقد كان اسم (TNT) من الأسماء المؤنثة لدى المغاربة، واللغة الليبية تبدأ بتاء ساكنة وتنتهي بتاء التأنيث، وكانت تلك القبائل تميل إلى عبادة الأنثى عن الإله الذكر[6]، وقد انتقلت عبادتها إلى مصر نتيجة التواصل الحضاري والتأثيرات الليبية على المصريين، ولقبت في مصر

[1] بورونية الشاذلي، المرجع السابق، ص ص 278-279.

[2] Picard (G), Ancient peoples and places, The Phoenicians, London, 1962, P89.

[3] Lancel (S), Op-cit, P 277.

[4] مادلين هورس ميادان، المرجع السابق، ص64

[5] محمد بيومي مهران، المغرب القديم، المرجع السابق، ص 212.

[6] Bates, Op-cit, P 76.

منذ القدم "بالإلهة الكبيرة"، أو "أم الآلهة"، ودعيت في بعض الأحيان "بابنة رع"[1] دلالة على مكانتها لدى المصريين.

أما الدليل الثالث، فإن أصحاب هذا الرأي يقولون: إن الآلهة تانيت غاب اسمها في مجمع الآلهة برأس شمرا، ولا في مجمع الآلهة بصور[2]، بل إنّ تانيت غير معروفة هناك تماما رغم تجنُّد كل مؤرخي الساميات تقريبا لإثبات فينيقيتها، وحتّى الاكتشافات الأثرية لم تثبت أيّ شيء في هذا المجال[3]، وإن وجد ذكر لها في الشرق، إذا ليس من المعقول أن إلهة مغمورة في الشرق تظهر فجأة هكذا، وتتصدر مجمع الآلهة في قرطاجة.

ب– النظرية الثانية: ظهرت هذه النظرية مؤخراً منادية بشرقية أصل الإلهة تانيت، وقد أيدها الكثير من الباحثين بعد الاكتشافات الحديثة التي تم التوصل إليها، والتي تتحدث عن وجود آثار لها في الشرق الفينيقي. فقد تم العثور على أسماء الكثير من الأماكن التي تحمل اسم تانيت[4]، كما عُثر على نقش في "قرية الصرفند" إلى الجنوب من صور يحمل رمز تانيت مع الإلهة عشترت، ويعود النقش إلى القرن السادس أو السابع ق.م[5]، أي قبل ظهور هذه الإلهة في قرطاجة، كما أن هذه الإلهة كانت قد أخذت الكثير من خصائص الإلهة الشرقية عشترت، هذا فضلا عن وجود نقش نذري مهدَى إلى الربة عشترت وتانيت لبنان، وجد هذا النقش في قرطاجة، مما عده أنصار هذه النظرية تصريحاً بأصول تانيت الشرقية[6].

[1] محمد علي أبو شحمة، المرجع السابق، ص 486.

[2] الفرجاوي أحمد، المرجع السابق، ص 193.

[3] محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع، المرجع السابق، ص 215.

[4] عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، ص 204.

[5] محمد الصغير غانم، المملكة النوميدية والحضارة البونية، المرجع السابق، ص 209.

[6] محمد حسين فنطر، الحرف والصورة في عالم قرطاجة، المرجع السابق، ص 74.

ومما تقدم، يمكن أن نرجح أن تانيت من أصل أفريقي[1]، أما وجودها في الشرق فلا يعـدو كونه انتقال لعبادة هذه الإلهة إلى هناك، إما عن طريق التأثيرات المتبادلة من خلال التجار الفينيقيين الذين ارتادوا غرب البحر المتوسط في وقت مبكر، وإما أن يكون عن طريق مصر –كما ذكرنا–، حيث انتقلت من ليبيا إلى مصر، ومنها إلى الشرق الفينيقي، فتمازجت الديانتان الليبية والمصرية منذ أقدم العصور، حتى أصبح من الصعب التفريق بين الآلهة ذات الأصول الليبية، والآلهة ذات الأصول المصرية[2].

إن البحث في تحديد أصل ومنشأ الإلهة تانيت في ضوء المعطيات المتوفرة لدينا أمر يصعب التوصل فيه إلى نتيجة حاسمة، وتظل الأحكام مجرد فرضيات لا يمكن الجزم بها.

ثالثا– تمازج المعتقدات القرطاجية بالمحلية: سأتناول في هذا العنصر عملية تمازج المعتقدات المحلية بنظيرتها القرطاجية، ورصد عملية التأثير والتأثر بين الطرفين.

يقول شارل أندري جوليان: **"وقد اندمجت الآلهة الفينيقية مع الآلهة الأفريقية"**[3]، من خلال النص يفهم مدى الاندماج الثقافي في مجال الديانة بين القرطاجيين، وبين العناصر السكانية المحلية.

1– التأثير القرطاجي: جاء الفينيقيون إلى سواحل بلاد المغرب حاملين معهم معبوداتهم من الشرق فعبدوا آلهتهم ومارسوا طقوسهم الدينية داخل مدنهم دون أن يتأثروا بالعبادات المحلية أو يؤثروا فيها بشكل واضح طيلة ثلاثة قرون من الزمان تقريباً، لكن ومع حلول القرن الخامس ق.م بدأ التحول القرطاجي نحو الفضاء الأفريقي نتيجة مجموعة من العوامل التي كان على رأسها: الصراع القرطاجي الأغريقي[4].

[1] يذكر محمد العربي عقون أنه لو تم البحث في إثنوغرافيا الشعب الأمازيغي لأُكتشف بأن هذه الإلهة لا يزال لها وجود إلى يومنا هذا، فهي مجسدة في الإبزيم الفضّي الذي تمسك به المرأة لباسها وفي الوشم الذي يكون في جبهة المرأة على الخصوص. ينظر: محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص 216.

[2] محمد علي أبو شحمة، المرجع السابق، ص 488.

[3] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 120.

[4] محمد الصغير غانم، المملكة النوميدية والحضارة البونية، المرجع السابق، ص38.

وبدأ الاحتكاك بين الشعبين، والاختلاط الذي نتج عنه تمازج فكري ديني، فعلى الرغم من محاولة الفصل بين معتقدات كل شعب على حدة من قبل الكتاب المعاصرين، إلا أن التأثير القرطاجي بدا واضحاً على سكان البلاد الأصليين، من حيث انتشار الكثير من المعبودات الفينيقية بينهم، وتغلغلها حتى في الأوساط الشعبية، فقد انتشرت عبادة الإله بعل حمون بين الناس، وأصبح الإله الرسمي في الإمبراطورية القرطاجية، وقدم له اللوبيون الأضحي والقرابين[1]، وحمل العديد منهم أسماء بونية ارتبطت ببعض الآلهة[2]، وليس هذا من المستغرب إذ أن الفينيقيين كانوا هم أصحاب السيادة في البلاد.

يتجلى الانصهار الديني والروحي بين الفينيقيين والنوميديين والمغاربة عامة، في الأسماء، وكان كثيرها مشتقا أو مركبا من أسماء الآلهة أو صفاتهم، حسب ما يظهر من الأسماء المنقوشة على الأنصاب، والواردة في النصوص التاريخية القديمة، إذ يظهر أن الناس كانوا ينشدون البركة وزين الفأل بإطلاق أسماء الآلهة على أبنائهم، كما كانوا يرون في ذلك تقربا إلى المعبود والاحتماء به. نذكر من تلك الأسماء: عبد شمون، حنبعل (مختار بعل)، مطون بعل (هبة بعل)، حانون (المفضل)، عبد ملقرت (عبد ملك القرية أو عبد رب المدينة). وقد حمل الكثير من أبناء وأحفاد ماسينيسا أسماء من هذا القبيل: أذربعل، صدربعل،مستنبعل[3].

2- التأثير المحلي على المجتمع القرطاجي: أما عن الجانب الآخر-وهو مدى التأثير المحلي فإنه يبدو جلياً واضحاً على الحياة الدينية القرطاجية، فقد بلغ درجةً جعلت بعض المؤرخين يعتبرون أن الآلهة القرطاجية ربما تكون مغربية الأصل[4] وحتى إن تم تفنيد ذلك، فإن تلك الآلهة أخذت من الرموز والشعائر ما جعلها تمتزج مع الآلهة المحلية بشكل يكاد يكون كلياً[5].

---

[1] محمد الصغير غانم، المملكة النوميدية والحضارة البونية، المرجع السابق، ص38.

[2] Ferjaoui (A), Reeherches sur les relation entre L'Orient Phoenicien et Carthage, Ed-Beit Al Hikma, Carthage, Tunisie, 1992, P 329.

[3] محمد البشير شنيتي، الجزائر قراءة في جذور التاريخ، ص 201.

[4] محمد حسين فنطر، مدينة كركوان مدينة بونية بالوطن القبلي، الحياة الثقافية، مجلة تصدرها وزارة الثقافة بالجمهورية التونيسية، العددان 69-70، 1995، ص 4.

[5] عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، المرجع السابق، ص 235.

فعلى سبيل المثال إن الإله القرطاجي الرئيس "بعل حمون" قد أخذ بعض المظاهر الخاصة بالإله الليبي "آمون"، مثل: قرني الكبش واللحية التي ظهر بها، حتى اعتبر بعض المؤرخين أن "بعل حمون" هو نفسه الإله الليبي "آمون سيوه"، والذي أصبح يسمى "بعل أمون"، ولقد كان الرمز "قرني الكبش"، هو رمز ليبي أصيل، حيث ثبت وجود تقديس هذا الرمز خلال الرسوم والحفريات التي ظهرت في ليبيا قبل قدوم الفينيقيين إليها[1].

كما لا ينكر القرطاجيون قوة الآلهة الأجنبية، ويؤدون لها الاحترام عندما تدعوهم لذلك المصلحة أو الخوف. ولما اتخذت قرطاجة آمون (Ammon) كبير آلهة الليبيين، فإنها ربما كانت تبحث عن استمالة رب الأرض التي استولت عليها[2].

أما عن تانيت فإننا لا نستطيع التحدث عنها في إطار التأثير، لأننا بالتالي نكون قد أعطينا حكماً حول أصل هذه الإلهة مع ميلنا لأصولها الليبية، ولكن الفصل في هذا الأمر سيظل معلقاً إلى حين دراسة الديانة الليبية القديمة بشكل وافٍ.

ولكن يمكننا القول: إنها إذا كانت شرقية الأصل فإن عبادتها انتشرت بين السكان المحليين بشكل يكاد يكون أقوى من أي إله آخر عقب القرن الخامس ق.م، وتغلغلت عبادتها في المناطق الداخلية لبلاد المغرب.

وإن ثبت أنها إلهة ليبية الأصل، فإن ارتقاء عبادتها إلى قمة الهرم الديني في قرطاجة، وتقدمها الإله الرئيس بعل حمون، وسيادتها في مجمع الآلهة في قرطاجة لدليل على مدى التأثير المحلي على عبادة القرطاجيين، وفي كلتا الحالتين فإن هذا يعتبر دليلاً قوياً، ومثالاً واضحاً على مدى التمازج الفكري، وتمازج المعتقدات الدينية بين الشعبين، فضلا عن ظهور بعض المعتقدات المحلية بين القرطاجيين، مثل: الإعتقاد بوجود الأرواح الشريرة، والذي دل عليه ظهور بعض الأقنعة التي بدا عليها النمط الأفريقي لدى القرطاجيين، معتقدين أنها تطرد تلك الأرواح، أو أنها تضحكها، فتبطل مفعول شرها[3].

[1] محمد بيومي مهران، المغرب القديم، المرجع السابق، ص 212.

[2] أصطيفن أكصيل، تاريخ شمال إفريقيا القديم، ج4، ص 177.

[3] محمد علي أبو شحمة، المرجع السابق، ص 490.

علاوة عن ظهور بعض التأثيرات اللوبية على الفينيقيين في عادات الدفن، خاصة في الطقوس الجنائزية، وصبغ جسد الميت باللون الأحمر، الذي يعني لون الحياة، ما يعني أن الفينيقيين في المغرب ربما ساورهم الاعتقاد في الحياة بعد الموت مثلما كان يعتقد الليبيون، وربما هــذا الاعتقاد كان غامضا لديهم في الشرق[1].

لاحظ هيرودوت أن كل الليبيين كانوا يقدمون القرابين للشمس والقمر وليس لأي اله آخر، ووصف طريقة تقديم هذه القرابين، فكانت الطقوس تبدأ بقطع أذن الأضحية، والقائها على مساكنهم، ثم يقتلون الحيوان عن طريقِ لَيِّ رقبته[2].

ولما كانت عبادة القمر عبادة فينيقية، فانه من الراجح أن تكون قد انتقلت إلى الليبيين عن طريق المدن الفينيقية في طرابلس[3]، ومعروف أن عبادة الأجرام السماوية اشترك فيها المشارقة والمغاربة على السواء، حيث تعلق بها المصريون والرافديون والكنعانيون. كما تعلق بها الليبيون، الذين كان احساسهم بالدين قوياً. ومن المعبودات التي تبوأت منزلة رفيعة لديهم نذكر "آمون" حيث اقترن اسمه بإله الشمس "رع". ولعل تعلق الأهالي الشديد بآمون جعلهم يقبلون على "بعل حامون" لتقاربهما وتماثل طقوسهما، خاصة من حيث العلاقة بقوى الطبيعة والكواكب[4].

المبحث الثالث: الحياة العلمية: أتطرق هنا إلى وضع التعليم في قرطاجة لتوفر المرجعية التاريخية مقارنة ببلاد النوميد والمور، ولارتباطها بسكان المغرب القديم وبعض المؤسسات التعليمية كالمدارس والمعابد ودور الكتب التي كانت موجودة في تلك الفترة.

أولا– المدارس: لا تزال المعلومات الخبرية التي تناولت هذا المجال في قرطاجة ضئيلة لا تشفي غليل الباحثين والدارسين الناشئين لتغطية الإجابة عن الإشكالات المطروحة. إلا أن هناك نصوصاً قديمة تشير إلى متابعة الأسرة القرطاجية واهتمامها بتربية أبنائها، فقد استفاد حنبعل وإخوته من

[1] عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، المرجع السابق، ص 251.

[2] هيرودوت، المصدر السابق، ص

[3] عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص 74.

[4] محمد البشير شنيتي، الجزائر قراءة قراءة في جذور التاريخ، المرجع السابق، ص 199.

تربية متينة جمعت بين الأصالة القرطاجية والتفتح على حضارات البحر الأبيض المتوسط كالإغريقية والرومانية.

وقد أفلح أبوهم عبد ملقرت في اختيار المعلم الكفء لتعليمهم وتدريبهم على مختلف الثقافات والفنون، حيث استفادت صفينيسيبة (صفنبعل بنت عزربعل بن جرسكن) من تعليم جيد يتضمن تثقيف الفكر وتحصيل المعارف، وتهذيب النفس وإرهاف المشاعر والوجدان عن طريق دراسة الموسيقى، فكانت أديبة حسناء تجيد العزف والغناء، حتى أنها كانت تجذب الحكام والأمراء لما تمتعت به من موسيقى وفن الرقص[1]. هكذا ساهمت المدارس القرطاجية مساهة بارزة في تعليم أبناء الحكام والطبقة الثرية.

ثانياً– المعابد: ذكرت بعض المعابد القرطاجية كمؤسسة تعليمية ودينية، في النصوص الأدبية الكلاسيكية والوثائق المنقوشة، غير أن معرفتنا لها مازالت تحتاج إلى مادة خبرية تجيب عن مجالات الدراسة المطلوبة، وقد حاولت الإفادة بما تيسر لي من مرجعية أرى أنها في حاجة إلى بحث أوسع وأعمق مستقبلا. وبالمقابل فإن الآثار التي كشف عنها في التنقيبات، كانت قليلة العدد[2].

كان من المرجح أن اللغة القرطاجية كانت تدرس في مؤسسات تعليمية في تلك المعابد للقيام بواجب الكهانة على الوجه الأكمل[3]. هذا ناهيك عن القرابين التي كانت تقدم للآلهة، وكان مقدموها يحرصون على توثيقها على أنصاب يدونون عليها نوع القربان واسم مقدمه، ولذلك نجد الكثير من الأضحي والقرابين منتشرة أنصابها بين القبور، وفي المعابد القرطاجية أينما وجدت، ويبدو أن لذلك التوثيق دوراً مهماً في حفظ القربان من الزوال، فمادام ماثلا أمام الإله يظل يذكره برعاية مقدمه، ومن هنا جاء حرص مقدم القربان على توثيقها[4].

[1] الطاهر ذراع، المرجع السابق، ص 118.

[2] مادلين هورس ميادان، المرجع السابق، ص67

[3] محمد حسين فنطر، الحرف والصورة في عالم قرطاجة، المرجع السابق، ص 66.

[4] مفتاح محمد سعد البركي، المرجع السابق، ص 284.

وهذا من شأنه أن يدفع الكثيرين لتعلم القراءة والكتابة للقيام بتلك المهمة بأنفسهم دون اللجوء إلى الآخرين. ومما يقوي هذا الإعتقاد أن النقوش التي وجدت كانت تشمل كل فئات المجتمع القرطاجي من سادة وعبيد وأجانب[1].

كما أن التغيرات المناخية ووضع طبقات أبنية جديدة فوق القديمة تعود إلى فترة الحكم الروماني، جعلت الباحثين يفتقدون تلك المادة المعرفية عن الفترة السابقة للعهد الروماني، فظهـــــــــــرت دراسات اعتمدت على الفرضيات والتخمينات تفتقر للدقة المعرفية وغلبت عليها نزعة العمومية[2].

وإذا أخذنا بعين الاعتبار الآثار القليلة التي وصلت إلى الباحثين في هذا المجال، فمن الصعب تصور جميع الأدوار والنشاطات التي كانت تقوم بها المعابد، في مجالات الحياة الثقافية والاجتماعية في العهد القرطاجي، لذلك فإن المسعى سيكون أكثر مجازفة وخطورة أمام الباحثين، وعليهم التدبر والموضوعية واعتماد الفكر العلمي الدقيق والمنهجية الأكاديمية، عندما يحاولوا أن يعالجوا دور المعابد التعليمي[3].

والواقع أن المشكلة تعود مرة أخرى وبشكل أساس للمصادر نفسها التي هي على الرغم من تنوعها وأهميتها لا تتضمن إلا تلميحات وشذرات يبقى تفسيرها في حدود الفرضيات والشحة المعرفية.

كما نجد ندرة في المعابد البونية فالبعض منها فقط كانت آثاره قابلة للدراسة وعلى رأسها نجد اثنا عشر معبداً منتشرة في العالم القرطاجي المتوسطي، إضافة إلى ذلك أنها من حيث الزمان والأسلوب متباعدة فيما بينها، بحيث يصعب أن نحددها في نظرة موحدة متماسكة[4].

لكن يبدو أن المعابد قامت بنشاطات تربوية وتعليمية باستيعاب الأطفال وتعليمهم القراءة والكتابة وتلقينهم أسس التربية التي مازلنا نجهل عنها الكثير، فالنصوص التي تم العثور عليها في قرطاجة والمدن البونية الأخرى تختلف من حيث المضمون وقد صعب فك رموزها وفهمها، لكنها

[1] نفسه، ص 284.

[2] فرانسوا دوكريه، قرطاج أو امبراطورية البحر، المرجع السابق، ص144.

[3] نفسه، ص 144.

[4] نفسه، ص111.

تعتبر دليلاً على انتشار القراءة والكتابة في المجتمع القرطاجي. ومهما كان الأمر فيبدو أن التربية في قرطاجة كانت تعتمد مبادئ أخلاقية منها: المسؤولية الذاتية والاتكال على النفس والابتعاد عن الرذيلة وعن كل سلوك مشين[1].

وهكذا رغم شحة المادة الخبرية فإنني قد حاولت إعطاء صورة حسب ما توفر من معلومات حول دور المعابد في التعليم خاصة وفي المجال الثقافي عموما عند القرطاجيين.

ثالثا– دور الكتب في قرطاج: ذكر المؤرخون القدامى دور الكتب القرطاجية والتي أطلق عليها أبلينيوس الأكبر ببليوتيقا وهو لفظ يعني دار الكتب. وقد أضاف قائلاً: **" لما كان غزو قرطاج قرر مجلس الشيوخ الروماني توزيع ما في دور كتبها على ملوك أفريقية "**[2]، كما أثبت الكاتب الأفريقي أبولي مادور وجود دار الكتب في قرطاج الرومانية على ربوة بيرصة قرب معبد أمنقولبيوس وهو إله الطب عند الرومان، وكان المعبد المشار إليه متربعا على قمة الربوة مشرفا على البحر.

ويبدو أن هذه الدور كانت منتشرة في نواحي مختلفة من بلاد قرطاجة، كما كان للمعابد مكتباتها ولها مخازن للوثائق والمحفوظات، ومعلوم أنها كانت تأوي بعض المجالس والهيئات السياسية التي تجتمع فيها، فيستفيد أعضاؤها من وثائق مكتباتها[3].

إن دار الكتب في قرطاجة، مهما تعددت مواقعها وتنوعت محتوياتها، إلا أنها تستجيب لحاجة الكهنة والأطباء والأدباء والمؤرخين وغيرهم مما يسعون وراء الغذاء الثقافي والأدبي أو التقني من صناعة وتجارة وفلاحة. وقد وجدت في الكتب البونية جوابا لكل من يريد التعرف على قرطاجة، فبما أنهم من أهل الحرف والعلم لا عجب أن تراهم يسجلون مختلف أوجه حياتهم ويعبرون كتابة عن أفكارهم وعواطفهم وهواجسهم على كسرات الفخار والعاج والعظم والأخشاب والمعادن فضلا عن الحجارة والجلود والبردي[4].**(ينظر الشكل رقم:25، ص 256)**

[1] الطاهر ذراع، المرجع السابق، ص ص 118-119.

[2] محمد حسين فنطر، الفينيقيون بناة المتوسط، ط1، أليف – منشورات البحر الأبيض المتوسط- تونس، 1998، ص 83

[3] الطاهر ذراع، المرجع السابق، ص119.

[4] محمد حسين فنطر، الفينيقيون بناة المتوسط، المرجع السابق، ص83.

حيث حرصت الأسرات الملكية النوميدية على تعليم أبنائها، وقد مكنت هذه التقاليد الثقافية أبناءها من الأخذ بنصيب وافر من معارف العصر، وهو ما ساعد بعضهم على ممارسة هوايته الأدبية والفنية، فبرز كتاب أمراء وملوك أمثال يمسال الثاني (110-60 ق.م) حفيد مستنبعل، ويعد يمسال هذا أول الأدباء النوميديين الملوك المعروفين لدينا، ولقد ألف كتبا كثيرة في التاريخ والجغرافيا باللغة البونيقية التي كان ضليعا فيها، وذكر سلوستيوس صاحب كتاب "حرب يوغرطة" أنه استقى معلوماته المتعلقة ببلاد المغرب من كتب يمسال الذي كان محتفظاً ببقايا مكتبة قرطاجة، وحسبه فإنّ بعض تلك الكتب القرطاجية متعلق بتاريخ المغرب وجغرافيته وسكانه. ولسوء الحظ أنّ تلك الكتب فقدت مثلما فقدت كتب يمسال نفسه[1].

(أ)

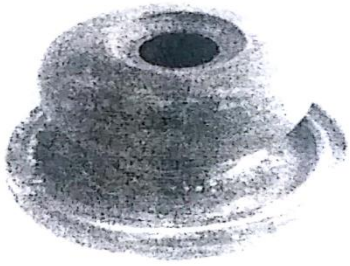

(ب)

(أ) : أبجدية فينيقية على كسرة من فخار تستخدم في تعليم القراءة والكتابة مما يثبت أن التعليم كان منتشرا في المجتمع القرطاجي حوالي القرن الرابع ق .م .

(ب) : محبرة قرطاجية عثر عليها في قبر محفوظة في متحف قرطاج وتعود للقرن الرابع ق .م .

[1] محمد البشير شنيتي، أضواء على تاريخ الجزائر القديم، المرجع السابق، ص 160.

شكل رقم 25.

نقلا عن: مها العيساوي، المجتمع اللوبي، الرجع السابق، ص 230.

وقد تحدث كثير من الكتاب الإغريق واللاتين عن أهمية المكتبة القرطاجية مشيرين إلى محتوياتها القيمة، والظاهر أنّ آخر المستفيدين منها هو يوبا الثاني الذي اعتمد على ما ورد في بعض كتبها الجغرافية عندما كان يعدّ رحلاته الإستكشافية بحثا عن منابع النيل[1].

جاء في كتب القدماء من إغريق ورومان، أن نصوصاً كانت تعلق في المعابد ويقبل الناس على قراءتهما والاستمتاع بها[2]، ولكنها اندثرت بسبب الحريق الذي كان سنة 196 ق.م، ولم يبق من تلك الرسائل والوثائق البونية على اختلافها وتعدادها إلا دمغات تحملها أقراص من فخار زادها الحريق صلابة وصموداً أمام الزمن، وقد أورد إبلوتركوس وثائق بونية نجت من الحريق لأنها كانت مقبورة في مناطق بعيدة عن الخطر، وأغلب هذه الأقراص محفوظة في مخازن المتحف القومي بقرطاجة[3].

ومن خلال النقائش التي تم العثور عليها يثبت مدى انتشار القراءة والكتابة في المجتمع القرطاجي. ومن الآثار ما تم العثور عليه في ضواحي مدينة قالمة بالقطر الجزائري نقيشة بونية سطرت بالحرف النسخي[4]، قرأها ونقلها إلى الفرنسية (جامس جرمان فيفري) بما معناه **"قف أيها المار واقرأ"**. واستنادا إلى هذه النقيشة رأى العالم الفرنسي أن التعليم كان منتشرا في المدن والأرياف البونية[5].

وقد تبنى هذا الرأي آخرون نذكر منهم: بيارسنتاس (Biyarsantas) وقد كتب:**"إنه من الخطأ الفادح تصور الكتابة وقفا على كبار القوم وعلى الساطرين في دور الكتب أو على الكهنة في المعابد فالخربشات العديدة التي تحملها كسرات من فخار عثر عليها بين**

[1] نفسه، ص 160.

[2] وهي عادة نجدها عند العرب قبل الإسلام وقد كانوا يأتون الكعبة لرؤية المعلقات والابتهاج بها وحفظ ما دون فيها من روائع وأخبار. ينظر: الطاهر ذراع، المرجع السابق، ص 120.

[3] أندريه إيمار، جاتين أبوايه، روما و إمبراطورياتها، مج 2، عويدات للنشر، بيروت، 2003، ص 59.

[4] الطاهر ذراع، المرجع السابق، ص118.

[5] محمد حسين فنطر، الفينيقيون بناة المتوسط، المرجع السابق، ص 66

صخور جزيرة مجادورة تثبت أن المغامرين والصيادين الذين ترددوا على تلك البقاع بعيدا عن العواصم كانوا يقبلون على الكتابة. ففي كل مكان وحتى في أقصى الأرياف تجد من كان يسطر بالمرشق اسما أو بدايته على جنب آنية أو على قعرها"[1].

من خلال هذا الرأي، يبدو أن التعليم قد احتل مكانة هامة داخل المجتمع القـــــرطاجي، حيث القراءة والكتابة لم تكن مقتصرة على كبار القوم وأبناءهم، بل عمت حتى الصيادين والحرفيين والفئات الضعيفة من الشعب.

مما سبق يمكن ملاحظة الامتزاج الواضح بين الثقافتين الفينيقية والليبية، وأنهما ظلتا تتغذيان من مصدر واحد، وهو المجتمع المحلي القديم ببلاد المغرب، بكل أطيافه، كما أن تسرب الحضارة والثقافة البونية إلى دواخل الإقليم، وتشرب السكان المحليين لتلك الثقافة جعل من عملية استمرارها مدة طويلة من الزمن، أمر في غاية الأهمية، واستطاعت مقاومة التيار الحضاري القادم مع المستعمرين الجدد الرومان، فقد بقيت الحضارة البونية بكل معطياتها الثقافية والدينية واللغوية تضفي بظلالها على المجتمع المحلي، خلال فترة الاستعمار الروماني.

إذا لقد ترتب عن التوسع القرطاجي في الفضاء الأفريقي انتشار اللغة والديانة الفينيقية بين السكان من خلال المراكز التي أنشئت في بلاد المغرب وكذلك تأثر القرطاجيين باللغة والعبادات المحلية مما أحدث تمازجاً بين ثقافة القادمين الجدد وأصحاب البلاد الأصليين، حيث أصبح من الصعب التفريق بينهما أثناء الاحتلال الروماني، هذا التمازج الذي أفرز لنا ما عُرف في التاريخ القديم باسم الحضارة البونية.

[1] نفسه، ص 67.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أدرار

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية

قسم: العلوم الإنسانية

العلاقات الاجتماعية والثقافية بين المغرب القديم وشعوب البحر الأبيض المتوسط

(من الألف الأولى قبل الميلاد إلى 431م)

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في التاريخ القديم

ج2

إعداد الطالبة:

وفاء بوغرارة

إشراف الأستاذ الدكتور:

الطاهر ذراع

	الاسم واللقب	الصفة	الرتبة	الجامعة الأصلية
1	أحمد الحمدي	رئيساً	أستاذ التعليم العالي	جامعة أدرار
2	الطاهر ذراع	مشرفاً ومقرراً	أستاذ التعليم العالي	جامعة أدرار
3	بلقاسم رحماني	عضواً مناقشاً	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2
4	عبد المالك بوعريوة	عضواً مناقشاً	أستاذ محاضر	جامعة أدرار
5	بومدين بن موفق	عضواً مناقشاً	أستاذ محاضر	جامعة الجزائر 2
6	محمد رشدي جراية	عظواً مناقشاً	أستاذ محاضر	جامعة الواد

السنة الجامعي:1438-1439هـ/2017-2018م

الباب الثالث:

مظاهر الامتزاج الثقافي بين المجتمع اللوبي والإغريقي

الفصل الأول: الإغريق وصلاتهم بالمغرب القديم.

الفصل الثاني: العلاقات الاجتماعية

الفصل الثالث: التأثيرات الثقافية المتبادلة بين اللوبيين والإغريق.

الفصل الأول:

الإغريق وصلاتهم بالمغرب القديم.

المبحث الأول: التعريف بالإغريق.

المبحث الثاني: الصلات بين الإغريق وبلاد المغرب القديم.

بلاد الإغريق واحدة من الدول الكبيرة التي ذاعت شهرتها الآفاق، لما قدمته للإنسانية من إنجازات حضارية شملت جميع مجالات الحياة وأشكالها، حيث تمكن الإغريق من بناء حضارة عريقة، قدمت الكثير من النهضة الفكرية والثقافية والعلمية واستفاد منها شعوب البحر المتوسط، فقد كانت المدن الإغريقية الكبرى في صقلية وجنوبي إيطاليا وقورينائية (Cyrénaïque/Cyrenaica)[1]، عظيمة التطور ومراكز للفنّ والفكر ومختلف العلوم، فعرف عن الإغريق منافستهم للفينيقيين منذ زمن بعيد في التوسع الاستيطاني، وإنشاء المدن على امتداد السواحل التوسطية،وقد اتجهوا بأنظارهم نحو السواحل الأفريقية.

ويتناول هذا الفصل الأسباب التي شكلت عوامل ضاغطة أدت إلى نزوح الوافدين الإغريق، ودفعتهم للهجرة نحو لوبيا، بالإضافة إلى العوامل المساعدة في المجتمع اللوبي والتي أسهمت بشكل واضح في تدعيم ذلك الاستيطان. وقبل الشروع في الحديث عن الصلات بين سكان بلاد المغرب والإغريق، لا بد من التعريف بهؤلاء، في عرض موجز كي يتسنى للقارئ فهم الأحداث.

المبحث الأول: التعريف بالإغريق.

أولا: أصول الأغريق: تدل الدراسات الحديثة على أن البلاد المعروفة حاليا باسم اليونان كانت مأهولة في الفترة الزمنية السابقة لظهور اليونان المحدثين والذين درج تسميتهم باسم الإغـــــــريق[2]

[1] قورينائية (Cyrénaïque) هي إقليم في أقصى شمال شرقي بلاد المغرب القديم، ما بين خليج السيرت الكبير إلى الحدود المصرية، وبالضبط الإقليم الممتد من السلوم(كاتاناثموس/Katanathmous) شرقاً إلى العقيلة(أوتومالاكس/Automalaks) غرباً، لكن بعض المؤرخين اعتقد أن هذا التحديد غير دقيق، لأن حدود الإقليم كانت غير واضحة فالشرقية منها تقع عند خيرونيوس اخيليدس(Achlides Chrionuous)(رأس التين) الواقعة إلى الشرق من طبرق الحالية، أما الغربية كانت تقع عند ضريح الأخوين فيليني(Philaen)، وينبغي أن ينال من الدارسين والباحثين نفس العناية لأنّ الدراسات التقليدية اعتادت اعتبار الشمال الأفريقي لا يتعدى منطقة النفوذ البوني قديما والاستعمار الفرنسي حديثا. ينظر: محمد احمد سالم: الحياة الدينية والفكرية في قورينائية أثناء العصر الإغريقي، دار الكتب الوطنية، بنغازي-ليبيا، 2008م، ص 20؛ محمد العربي عقون: الإقتصاد والمجتمع، المرجع السابق، ص 67.

[2] **الإغريقية:** اشتق اسم الإغريق من الاسم اللاتيني "جرايس"، واستخدم للدلالة على الشعب الذي كان يقطن في الأزمنة القديمة في القسم الشمالي من البلاد، ومازال هذا الاسم يطلق عليها ويعرف بالانجليزية (Grèece)، أما مصطلح إغريق: نسبة إلى بلاد الإغريق ويعني كل سكان المنطقة الذين لهم ثقافة أيونية. ينظر: إبراهيم العيد بشي، تاريخ مختصر للحضارة الإغريقية والرومانية في العصور القديمة، الهلال، الجزائر، دت، ص ص 4-7.

الهيلينيين[1]، وكانت الشعوب التي سكنتها مؤلفة من خليط من الأجناس البشرية التي كونت السكان الأصليين للمنطقة[2].

تعود بداية أصل الأغريق إلى العصر الحجري، حيث سكن شبه جزيرة البلقان شعب زراعي، استوطن أجزاءها جميعاً من تساليا في الشمال إلى شبه جزيرة البلوبونيز في الجنوب[3].

وفي أوائل الألف الثالث ق.م دخلت شبه الجزيرة حضارة جديدة، هي حضارة عصر البرونز، وذلك مع شعب جديد انتشر في أنحائها، كما انتشر في جزر بحر إيجة وفي الجنوب الغربي من آسيا الصغرى. عندما وفد هذا الشعب الجديد على شبه الجزيرة من ناحية الجنوب، ثم إمتد فيها شمالا، ولكن لم يصل إلى تساليا، فظلت بها حضارة العصر الحجري كما كانت، بينما انتشرت في بقية شبه الجزيرة حضارة المعادن[4].

ويعتقد بأن البلاسجيون هم أول من قطن بلاد اليونان 2200 إلى سنة 1600 ق.م، وكان هذا الشعب يملك كل من آسيا الصغرى وبلاد اليونان وإيطاليا لكنهم انقرضوا[5]، بسبب قدوم مهاجرين جدد، لهم حضارة مختلفة عن سابقتيها، قدموا من ناحية الشمال، وأقاموا أولاً في الشمال الغربي من شبه الجزيرة، ثم اتجهوا جنوباً في أعداد وفيرة استطاعت أن تقضي على لغة السكان الأصليين، وأن يسيطروا عليهم سيطرة كاملة[6].

ويعتقد الكثير أن هؤلاء المهاجرين الجدد هم الأغريق الذين اشتهر من بينهم حينـــــــذاك

---

[1] الهيلينية في جوهرها لا تتميز بطابع جغرافي أو لغوي، إنما هي نظام اجتماعي ثقافي إغريقي ما بعد الإسكندر المقدوني، ولقد كانت الهيلينية طريقة متميزة من طرق الحياة تمثلت في منظمة عليا هي "دويلة المدينة" وكان كل امرئ يعيش على النسق الذي تنتهجه ديلة المدينة تلك يعدّ هيلينيا دون النظر إلى أصله ومنبته.(ينظر، ثروت عكاشة، الإغريق بين الأسطورة والإبداع، ج.15، ط.2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1994م، ص 15.

[2] علي عكاشة وأخرون، اليونان والرومان، دار الأمل للنشر والتوزيع، القاهرة، 1410هـ/1991م، ص 51.

[3] أ. بتري، مدخل إلى تاريخ الإغريق وأدبهم وأثرهم، تر: يوئيل يوسف عزيز، ط2، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، 1977، ص 8.

[4] فوزي مكاوي، تاريخ العالم الإغريقي وحضارته، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 1999، ص 26.

[5] جرجي ديمتري سرسق، تاريخ اليونان، المرجع السابق، ص ص، 3-4.

[6] عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ اليوناني "العصر الهللادي"، ج2، دار النهضة العربية، بيروت، ص 681.

عنصران مهمان، هما العنصر الآخي والعنصر الدوري. وقد فرضوا لغتهم على السكان الأصليين ونظامهم السياسي أيضا، وعبادتهم للإله الأكبر "زيوس"[1].

وجاء بعدهم المهاجرون الشرقيون(قولونيات) وذلك من سنة 1600 إلى 1300 ق.م، ويعتقد أنهم هاجروا من سواحل النيل وفينيقية، كما هاجر إلى اليونان كذلك الهيلانيون منذ سنة 1400 إلى 1300 ق.م، وكانوا يسكنون في تساليا وهم من أقارب البلاسجيين وهم ينقسمون إلى أربعة قبائل أصلية هي: الإخائيون الذين استوطنوا في تساليا ثم انحدروا إلى شبه جزيرة البيليويونبز وجزيرة كريت وبقية جزر بحر ايجه، والثانية الأيوليون الذين تفرقوا في وسط وغرب اليونان، والقبيلة الثالثة هم اليونانيون والدوريون الذين لقبوا أنفسهم بالأثينيين وإسبرطيين[2].

وتعتبر غزوات قبائل الدوريين من أعنف الغزوات التي أدت إلى اجبار القبائل السابقة لهم بتغيير اماكن اقامتها والفرار إلى جزر بحر ايجه وشواطيء آسيا الصغرى وافريقيا وسواحل الأدرياتيك الغربية، وأخيراً جاء الآخيون مابين القرن 9 و8 ق.م الذين تميزوا بقاماتهم الطويلة وشعورهم الشقراء، وكانوا يطلقون على انفسهم اسم الهيللينيين، وسيطروا على المنطقة وأسسوا الحضارة الإغريقية التي عرفها الغرب[3].

هذه هي الآراء السائدة عن أصل الأغريق، وكلها افتراضات لا تستند إلى معرفة أكيدة، وكل ما يمكن معرفته هو أنه حوالى عام 1000 ق.م كان الإغريق الآريون قد استقروا ـ بعد سلسلة طويلة من الهجرات استمرت عدة قرون ـ على شواطئ آسيا الصغرى، وفي البلاد التي تعرف اليوم باسم شبه جزيرة البلقان، وفي الجزر التي تقع بين هذه وتلك في بحر إيجة[4].

ثانيا: تسميتهم: اعتاد اليونان إطلاق اسم الهيللينيين على جميع الشعوب التي تتكلم اللغة اليونانية بينما يطلقون اسم البرابرة على غيرهم، ويعودون باسم هيلين إلى أسطورة دوقاليون الذي تزوج من بيرها أنجبا ولداً اسمه هيللين الذي ينسب اليونان انفسهم اليه، وقد انجب هيللين ولدين

[1] علي عكاشة وآخرون، اليونان والرومان، المرجع السابق، ص 51.

[2] – جرجي ديمتري سرسق، تاريخ اليونان، المرجع السابق، ص ص، 3-4.

[3] – علي عكاشة وأخرون، المرجع السابق، ص 51.

[4] – نفسه، ص ص 51-52.

هما: دوروس وايولوس، وحفيدين هما: ايون وأخيتوس[1]، ومن هؤلاء تنحدر القبائل اليونانية الأربعة المشار إليها سابقاً.

وقد سميت هذه القبائل عند الأمم الأخرى بالإغريق واليونان، أما سبب تسميتهم بالإغريق فتعود إلى الرومان الذين اشتقوا الاسم من اسم قبيلة غرايكوي اقرب القبائل اليونانية إلى ايطاليا، ومنها اشتقوا اسم غريكي(Grciky)[2]. أما اسم اليونان فقد أطلق على المستعمرات التي انشأها الأيونيون على الشاطيء الجنوبي من آسيا الصغرى، وعرف باسم "هيلاس" ثم حرف إلى هيليني ثم جرى على الألسن يونان ويوناني وإن لم تبلغ الكلمات "هيليني" و"هيلاس" مبلغ الكلمتين: "إغريق" و"إغرقي" غير أنها كانتا منتشرتين لفترة من الزمن، وكلمة "هيلاس" كانت فيما يبدو اسماً للمنطقة الواقعة حول رأس خليج مالياك وهي الحد الفاصل بين وسط اليونان وشماله، وكانت تحتوي على الكثير من المعابد منها: معبد إله الأرض، ومعبد أبوللو(دلفى)، ومعبد أرتميس في أنثيلا، وكان يسكنها شعوب الأمفيكتيونيز(الجيران)[3].

ثالثا– البلاد: تعتبر بلاد اليونان القديمة من أحسن البقاع وأجملها بأراضيها المستوية وتربتها الخصبة وهوائها النقي، ويحيط بها البحر من شتى جوانبها، وإن الذي يسمع بشهرتها وعظمتها يظنها بلاداً واسعة ولكنها تعتبر من بين أصغر الممالك الأوروبية مساحة، فهي لا تزيد عن: 57511 كلم^2، وهي احدى شبه الجزر الثلاث الواقعة في جنوبي القارة الأوروبية، يحدها شمالاً جبال الألب الشرقية التي تلاصقها جبال بندوس وجبال كامبنيان وأولموس وأوسا وأيتا وبارناس وهيمات وتايجبت، ويحدها جنوبا البحر المتوسط[4].

إلا أن هذه البلاد تخفي تحت ظاهرها موطناً قاسياً على أهله، فهناك شتاء قارص شديد البرودة، يقابله صيف حار، غير مطير، وهناك سيول جارفة، صاخبة أثناء الشتاء، تتخلف عنها مجار صخرية جافة طوال الصيف، ثم هناك سلاسل من الجبال تكتنف البلاد في كل أركانهـــا، ولا

[1] – علي عكاشة وأخرون، المرجع السابق، ص ص، 51-52.

[2] – نفسه، ص 52.

[3] – ثروت عكاشة، الإغريق بين الأسطورة والإبداع، ج.15، المرجع السابق، ص ص، 13-14.

[4] – جرجي ديمتري سرسق، تاريخ اليونان، دون دار النشر، بيروت، 1876م، ص ص، 1-2.

تترك للوديان الصالحة للزراعة سوى مساحات ضيقة محددة[1].

وعلى هذا فإن شبه الجزيرة الإغريقية ذات طبيعة جبلية فقيرة، تقل بها الوديان التي تصلح للزراعة، ومن ثم لم توفر للسكان سبل العيش، في حين وجدت مجموعة من الموانئ الطبيعية على الشواطئ، وتناثرت في بحر إيجة مجموعات من الجزر التي كونت جسراً طبيعياً بين بلاد الإغريق وآسيا الصغرى، فاندفع الإغريق نحو هذا البحر وعبروه، ثم استقروا على شاطئه الشرقي، وزحفوا بعد ذلك نحو شواطئ البحر الأسود، كما اتجهوا غرباً، ونزلت أفواج منهم جنوبي إيطاليا، وفي جزيرة صقلية. وهكذا اتسعت رقعة العالم الإغريقي، وغدا بحر إيجة مركزاً لهذا العالم[2].

رابعا: لمحة عن التاريخ اليوناني: عرف الأغريق في بحر إيجه الحضارة المينوية – نسبة إلى الملك الأسطوري مينوس حاكم الجزير- وتعود إلى حوالي 2000 سنة ق.م، تدل عليها العمارة المتمثلة في قصر كنوسوس وفايستوس، وكذلك بقايا كتابات من الطراز المقطعي التي تطورت إلى ما يُعرف عند المؤرخين بـ(Liner A)[3].

ومع نهاية القرن السابع عشر قبل الميلاد ألمت بالجزيرة نكبة مدّمرة لعلها بفعل زلزال عنيف هز قصورها، ولكن سرعان ما أعيد تشييدها، وظلت قائمة إلى أن جاء الإغريق الآخّيون في حدود 1400 ق.م، وقضوا على حضارة جزيرة كريت المنوية، وحلّت محلّها الحضارة الموكينية، الممثلة في عدة مدن بشبه الجزيرة اليونانية وشبه جزيرة البلوبونيز(المورة)[4].

كانت بلاد اليونان برها وجزرها تخضع لحكومات مدينة كل منها مستقلة تماماً عن حكومات المدن الأخرى، وكانت حكومة مدينة أثينا على البر اليوناني وحكومة مدينة اسبارطة على شبه جزيرة البلويونيز، أشهر اثنتين من هذه الحكومات المدينية التي كانت علاقاتها ببعضها البعض علاقات عداء وحروب أكثر الوقت[5].

---

[1] لطفي عبد الوهاب يحي، اليونان، دار النهضة العربية، بيروت، 1979، ص ص 39-40.

[2] نفسه، ص 40.

[3] عبد العزيز الصويعي: تاريخ الحضارة الليبية القديمة، المرجع السابق، ص 119.

[4] نفسه، ص ص، 119-120.

[5] عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص 155.

وقد قام الموكينيين بمغامرات ضد طروادة وذلك عندما كانت الحياة في بلاد اليونان تدور حول الحرب والحصار والمعارك عكس ما كان يحدث في جزيرة كريت زمن الحضارة المينوية، فنزلوا في رودس وقبرص وشمال سوريا والساحل الجنوبي الغربي لآسيا الصغرى، وآخر محاولاتهم التوسعية كانت مع الطرواديين، فحاصروا مدينتهم لسنوات عديدة قبل أن يحتلوها ويدمروها حوالي سنة 1200 ق.م، ثم انتهت الحضارة الموكينية بقدوم الدوريون من الشمال الذين دمّروا الحصون وطردوا الآخّيين عبر البحر أو إلى أطراف بلاد اليونان بفضل أسلحتهم الحديدية التي أظهرت تفوقها على أسلحة الآخيين البرونزية[1].

يمكن القول بأن الجغرافية هي الأخرى لعبت دوراً أساساً في صناعة تاريخ اليونان، فقد كان تشتتهم على مجموعات من الجزر مؤشر صحة وليس مؤشر ضعف، فالجزر الصغيرة كانت غير صالحة للعيش الرغد، ولكنها علمته في الوقت نفسه كيف ينتصر على الشتات بقهر البحر، فأصبح شعباً بحاراً ينتقل جنوباً وشرقاً وغرباً، وينقل معه بعضاً من حضارته الفكرية والعلمية والسياسية، بنى فلسفته على التنظير تارة وعلى الواقعية تارة أخرى، وربط الفكر الفلسفي بالفكر السياسي، وما تزال كلمة "الديمقراطية" التي خرجت من المعطف اليوناني تغري بالاتباع[2].

وقد لعب البحر الذي هجر اليوناني القديم دوراً مهما في تسويق معه تاريخه بكل ما يحفل به من فكر سياسي وفلسفي وفن نحتي ورقي لغوي، لا تدري الشعوب الأخرى بالتقدم اليوناني لولا البحر الذي كان سبيلا لتنتقل الحضارة اليونانية إلى بلاد المشرق وبلاد المغرب وحتى أوروبا، فلو لا البحر ما قام الإسكندر بغزواته وبنى مدينة الإسكندرية التي أسست لمدرسة خاصة في الفلسفة تجاوبت فيها الثقافة اليونانية مع الثقافة المصرية[3].

ويمكن القول بأن هذا البحر هو الذي دفع إلى قيام المغامرون اليونان برفقة باطوس وتأسيس مستوطنة قورينا بليبيا لتختلط فيها الثقافة اليونانية بالثقافة اللوبية القديمة، فتتأسس بها

[1] – عبد العزيز الصويعي: تاريخ الحضارة الليبية القديمة، المرجع السابق، ص 120.

[2] – عبد الكريم غلاّب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، مغرب الأرض والشعب عصر الدول والدويلات، ج.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت–لبنان، 1426هـ/2005م، ص 12.

[3] – نفسه، ج.1، ص 13–14.

حضارة مرموقة أضاءت بنورها على جميع سكان بلاد المغرب القديم وعلى مصر وحتى على اليونان بحد ذاتهم.

وكانت للاستعمار الإغريقي عدّة مظاهر خاصّة، في مقدمتها أنّ المواطنين الذين يخرجون من وطنهم الأصلي، وينشئون مستعمرة جديدة على شواطئ آسيا الصغرى أو شواطئ البحر الأسود، أو غيرهما من الأماكن، كانوا لا يفقدون صلتهم بالوطن الأصلي، وإنما يظلون على ولائهم له، ويرتبطون معه بأوثق روابط الود والصداقة[1] ما يدل على أنّ الدولة كانت تنظم حركة الاستعمار بإتقان، واضعة لها الأسس والقوانين التي تكفل بقاءها أطول فترة ممكنة.

والاستعمار الإغريقي إلى ذلك كان يُعتبر عملاً رسمياً أو شبه رسمي على الأقل، يتم في الغالب بناءً على رغبة الدولة في التخلص من مواطنيها الذين ترى أن بقاءهم غير مرغوب فيه، ولهذا كان المهاجرون لا يذهبون إلى المستعمرة الجديدة بوصفهم مجرد مغامرين يسعون وراء الثراء الشخصي، وإنّما بوصفهم مكلفين بعمل رسمي من قبل وطنهم الأصلي[2].

وباختصار شديد يُمكن القول: إنّ المدن اليونانية التي انتشرت على الشواطئ المختلفة للبحر المتوسط، وأسهمت في إشاعة نوعا من الوحدة الحضارية اليونانية في حوض هذا البحر، على سبيل المثال هي: ميليتوس وإفسوس على الساحل الغربي لشبه جزيرة آسيا الصغرى، ونيابوليس (نابولي) في إيطاليا، ونيكاية (نيس) وماسيليا (مارسيلسا) ومونويكوس (موناكو) على ساحل غالة (فرنسا) وامبريون (امبرياس) في اسبانيا، ونقراطيس (نقراش) بمصر[3].

المبحث الثاني: الصلات بين بلاد المغرب القديم والإغريق: سنتعرف على نوع الصلات بين سكان بلاد المغرب القديم والإغريق من خلال العناصر الآتية:

أولا– لوبيا في كتابات الإغريق: اتضحت في المرحلة الكلاسيكية (القرنين الرابع والخامس ق.م) رعاية واهتمام المؤرخين الإغريق بالأحداث المعاصرة لهم ومن بين المناطق التي تحدثوا عنها

[1] أ. بتري، مرجع سابق، ص ص 13-15.

[2] نفسه، ص ص 13-15.

[3] لطفي عبد الوهاب يحي، مرجع سابق، ص 32.

بلاد المغرب القديم[1]، التي كتب عنها النائرون والأيونيون، وقد أجمع أولئك المؤرخون، وفي سعي حثيث منهم لتحري الحقائق والكثير من المعلومات التاريخية عن تاريخ المنطقة.

1)– هوميروس: يبدو أن الشاعر اليوناني هوميروس(HOMERUS) الذي عاش في القرن التاسع قبل الميلاد أول من ذكر إسم لوبيا في أشعاره، فقد ورد ذكرها مرتين في ملحمته "الأوديسة"(ODISSEA)[2] الأسطورية، حيث سرد لينا حديثاً جرى بين إثنين من شخصيات ملحمته، فنرى "منلوس أومينيلاوس" يعدِّد لـ"تليماك" ابن "أوديسيوس" البلدان التي زارها خلال أسفاره الطويلة، فذكر أنّه بعدما زار كريت وقبرص وفنيقية ومصر، ذهب إلى إثيوبيا وإيرمبي، واحتك بأهل صيدا الفينقيين، ثم توجه إلى زيارة لوبيا وذكر ما نصه:**"لوبيه...ورؤوس الشاه والوعل هذه..الوعل الوحش السائم...والشاه التي تمدنا بخيرها بغير حساب..."**[3].

لا بد لنا من البحث عن الغاية التي قصدها هوميروس بكلامه هذا، لأنه لا يمكن أن تكون لوبيا مجهولة بالنسبة إليه فهو قد علم بأمرها، فهل يريد أن يقول لنا أن لوبيا كأقليم أو كقارة لم يكن يعرفها أحد من تلك الشعوب بهذا الإسم؟ هذا جائز، ولكن يجب أن لا ننسى بأن هوميروس إنما كان يتحدث عن غير عصره، ولذلك فقد يتعمد تجاهل عدد من الحقائق ليخلق جواً يلائم أبطال روايته، ومهما يكن من أمره في تجاهله فاننا نخرج من روايته باسم لوبيا وحسب، دون أن نُكّون أية فكرة جغرافية عنها فهي ليست في الشرق ولا في الغرب ولا يعرف لها مكان ولا توجد اشارة تساعد على تعيينها عنده[4]. لذلك بقت ليبيا في أشعار هوميروس غامضة.

---

[1] بقيت بلاد المغرب في ذلك الوقت في مرتبة أقل اهتماما في تقديم المادة التاريخية، التي كتبت بنظرة شمولية، وقلة المساحة المكانية والزمانية، التي تغطيها الروايات التاريخية.

[2] الأوديسا أو الأوديسيا: هي ملحمة شعرية تعود لهوميروس وهي ملحة ثانية بعد الإلياذة، وقد نالت الأوديسة شهرة كبيرة لا تقل عن الإلياذة، وقد تم الحديث فيها والتغني بعودة البطل أوديسيوس من طروادة، وهي حافلة بالعديد من الصور والمغامرات البحرية التي خاضها هذا البطل في طريق عودته إلى وطنه بالرغم من الصعوبات، وهناك فرق بين الأوديسة والإلياذة، فالأولى فتتمحور حول السلم، وأما الأخيرة تتحدث عن الحرب بوقائعها وأحداثها.(ينظر، إبراهيم العيد بشي، تاريخ مختصر للحضارة الإغريقية والرومانية في العصور القديمة، المرجع السابق، ص 24.

[3] – هوميروس: الأوديسّة، تر: دريني خشبة، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، 2013م، ص 43.

[4] محمد مصطفى بازمه، ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية، ط.2، منشورات مكتبة قورينّا للنشر والتوزيع، ليبيا، 1975م،ص 86.

وإن لوبيا لم تكن مجهولة للإغريق في أيّام شاعرهم "هوميروس" تماماً –سواءً كانت معرفتهم بها مباشرة، أم أنهم سمعوا عنها بواسطة المصريين– إلاّ أنّها ظلّت خارج نطاق اهتماماتهم الاعتيادية، ولكي يدرك المرء مدى عدم اكتراث الإغريق آنذاك بلوبيا، فما عليه سوى أنْ يعقد مقارنة بين إشارة "هوميروس" الخاطفة عن لوبيا في الأوديسّا، وبين المكانة الهامّة التى احتلتها مصر في أبيات الملحمة[1].ولا ندري لماذا هذا التمييز بالرغم من أن لوبيا كانت قريبة من البلاد الإغريقية كمصر.

الحقُّ أنّ رحلة الملك "مينيلاوس" الأسطورية التي صاغها "هوميروس" في ملحمته الأوديسّا قد تركت آثاراً لغويّة في التّسميات الجغرافية الهلّينيّة لنقاط الساحل اللوبي، فهيرودوت[2] الذي قصّ عليه الكهنة الفراعنة من جانبهم أسطورة مغامرات الملك "مينيلاوس" في مصر، أن هذا البطل الإغريقي قد هرب إلى لوبيا[3]، كما يشير في فقرة أخرى إلى وجود ميناء يسمّى "ميناء مينيلاس"، يقع في المنطقة التي تسكنها قبيلة "الجيليجاماي" اللوبية، قرب خليج "بمبا"، أي غير بعيد عن طرف "قورينائية" الشرقي[4].

فهل يتوجّب اعتبار إضفاء اسم "مينيلاوس" الإغريقي على ذلك الميناء اللوبي القديم دليلا على أن الإغريق قد حلّوا بإقليم "قورينائية" في زمن سابق على استيطانهم لها في عهد الملوك الباطيين ؟ والذي يذهب إلى هذا الرأي مُخْطئ ذلك أنّ "مينيلاوس" كان البطل الإغريقي الوحيد

[1] – فرنسوا شامو: في تاريخ ليبيا القديم الإغريق في برقة الأسطورة والتّاريخ، تر: محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي– ليبيا، 1990م، ص ص، 56–57.

[2] – هيرودوتس: هو مؤرخ إغريقي ولد في مدينة هاليكارناسوس(Halicarnassus) إحدى بلديات جنوب غرب آسيا الصغرى بين سنتي 490و480 ق.م وحدد البعض ولادته بسنة 484 ق.م، كانت أسرته موسرة الحال وذات شهرة محبة للعلم والشعر والأساطير، تتعاطى السياسة وتنادي بالحرية والخلاص من ظلم الطغاة، أقام هيرودوت في ساموس مدة من الزمن ومنها قام بأغلب أسفاره ليستقر أخيراً بحدود سنة 444 ق.م بمدينة ثورى(Thurii) بجنوب إيطاليا حيث أكمل كتابه، الذي سماه(Jotopins Attoaeieve) أي تمحيص أو إثبات الإخبار، فكلمة(Jotopins)بالإغريقية تعني الفحص أو البحث، وبهذه الكلمة جمع هيرودوتس معلومات جغرافية وتاريخية ودينية وقصصية في كتابه، وتوفي في نحو سنة 426 أو 425 ق.م ينظر، إبراهيم العيد بشي، تاريخ مختصر للحضارة، المرجع السابق، ص ص، 27–28.

[3] – هيرودوت: المصدر السابق، تر: عبد الإله الملاح، ص 185.

[4] – نفسه، الكتاب الرابع، ص 360.

الذي يُفترض أنّه تجوّل على طول هذا الساحل القورينائي شبه المهجور آنذاك[1].

أما عن اللوبيين (اللوتوفاجة) عند نفس الشاعر فقد ذكرهم مرتين ولم يقدم لنا سوى أنهم قوم يعيشون على شجرة اللوتس وثمارها وشراب يستخرجونه منها يجعل من يتذوقه أو يأكل ثماره ينسى ذويه، ويبغض وطنه فلا يرغب في العودة إليه، وهكذا نخرج من روايات هوميروس من غير أية فكرة عن لوبيا أو عن اللوبيين تساعدنا الحصول على معلومات جغرافية مهما كانت قليلة[2].

وقد ورد ذكر حدائق الهيسبيريدس(مدينة بنغازي) في إليادة نفس الشاعر الإغريقي –هوميروس– بمناسبة زواج الملك بليوس ملك فيتيا بذيتس عروس الماء، وتنازع كل من الإلهة هيرا ومنيرفا وفينوس على التفاحة الذهبية التي القتها بينهن ربة الخصام، وكانت كل واحدة منهن تعتقد بأنها أحق من غيرها، وتغنى هوميروس بالتفاحة الذهبية وبحدائق الهيسبيريدس، التي كانت معروفة بين الإغريق على ما يبدو[3].

وبعد هوميروس نجد ذكراً لاسم لوبيا عند كل من الشاعر اسكيلوي(ESCHILOS) والشاعر بنداروس(PINDAROS) لولوع والأخير كان معاصر لهيودوت ولم يكن بينهما سوى زمن يسير[4]. لاشك أن الرياح قد قادت السفن الإغريقية إلى بعض النقاط الساحلية اللوبية، ولعل ما اشتهرت به بعض الواحات من خصوبة قد استقطب إليها بعض المرتزقة من محاربي الإغريق الذين كانوا ينخرطون في الجيش المصري[5].

إلا أن المصادر الإغريقية ذات الطابع الأسطوري لا تقدم لنا شيء عن ذلك أو عن ما يفيدنا في تحديد موقع لوبيا الجغرافي، وهي تنبأنا على جهل الإغريق الحقيقي أو المفتعل بلوبيا على الأقل حتى تاريخ اتصالهم بها واستقرارهم في أراضيها وإقامة مستوطنة لهم عليها، وهذا قد تم في

[1] – فرنسوا شامو،المرجع السابق، ص 57.

[2] – محمد مصطفى بازمه، ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية، المرجع السابق، ص ص، 86-87.

[3] – محمد امحمد سالم:الحياة الدينية والفكرية في قورينائية أثناء العصر الإغريقي، المرجع السابق، ص 34.

[4] – محمد مصطفى بازمه، ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية، المرجع السابق، ص 31.

[5] – فرنسوا شامو، المرجع السابق، ص 63.

أواسط القرن السابع قبل الميلاد[1].

2- هيقاطوس: يبدو أن أول من كتب عن لوبيا من المؤرخين اليونان وجغرافييهم هو هيقاطوس الذي ألف كتاب في آواخر القرن السادس أو أوائل الخامس ق.م، والمصنف يتألف من قسمين: قسم يتعلق بأوروبا، وقسم خاص بآسيا، وقد أردف هذا القسم بالتحدث عن جغرافية لوبيا، وكان هيقاطوس قد سافر إلى مصر وأقام بها واستفاد من أهلها في كتاباته حول لوبيا، وقد ضاع كتابه وخاصة الجزء الكبير المتعلق بسكان لوبيا حيث سلم نحو ثلاثون نبذة فقط تتعلق في الغالب بأسماء مدن أو جزر التي ضلت مبهمة، في المقابل ضاع الشيء الكثير عن أصل السكان وعاداتهم وأسمائهم، مع ذلك الكتاب مهم حيث اعتمد عليه هيرودوت كثيرا[2].

3- أناكسيماندر براكيادس: الفيلسوف والجغرافي اليوناني "اناكسيماندر راكيادس" - عاش خلال القرن الخامس ق.م - ورسم خريطة كاملة لما كان يعرفه عن العالم، وجعل من ليبيا قارة ثالثة تمتد من نهر النيل إلى جبال الأطلس، وتضم ليبيا الحالية وتونس والجزائر وأجزاء من المغرب الأقصى وتشاد وغيرها، أما مصر فكان معظم اليونان يحصرها فيما حول النيل وينسبونها كجزء من آسيا، وكانت معظم الاراضي الغربية من دولة مصر الحالية إما تتبع اقليم لوبيا أو محل نزاع بين القبائل اللوبية والمصرية[3].(**ينظر الخريطة رقم:07**).

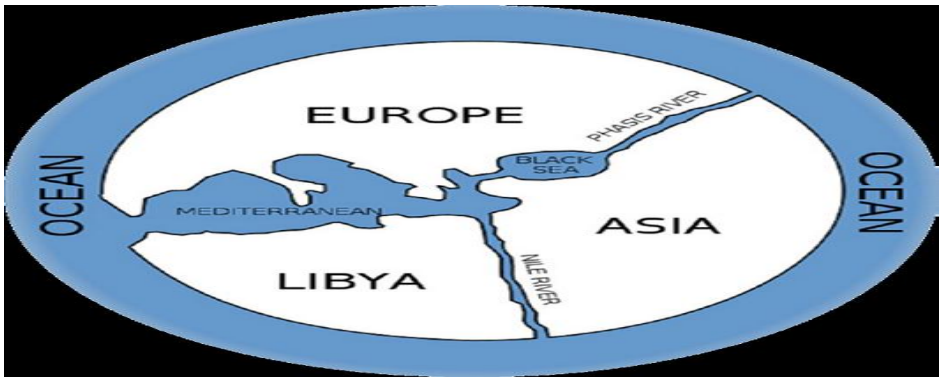

خريطة رقم 07: توضح موقع ليبيا في العالم القديم للجغرافي أناكسيماندر

نقلا عن: مجلة تاريخ ليبيا، عدد أكتوبر 2015م، المرجع السابق، ص 12.

[1] محمد مصطفى بازمه، ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية، المرجع السابق، ص 88.

[2] عثمان كعاك، المرجع السابق، ص 13.

[3] - خالد الهدار، ليبيا القارة الثالثة لدى الجغرافيين اليونان، مجلة تاريخ ليبيا، أكتوبر 2015م، ص 12.

4)– هيرودوت: أما إذا انتقلنا إلى هيرودوت – الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد – وتاريخه فنجد لديه لوبيا مرسومة على الشكل التالي Λιβυη ليبيا(LIBUWA)، كما نجد عنده كلمة اللوبيين مرسومة على الشكل التالي Λιβυες الليبيون(LIBYES) [1].

ولوبيا عند هذا المؤرخ اليوناني اتخذت مفهوماً يغاير في تعبيرها الجغرافي ما تعنيه بتعبيرها الأتنولوجي، فلوبيا عنده مرادفة في معناها لكلمة إفريقيا في عصرنا، ولا يطلق اسم اللوبيين إلاّ على الجنس الأبيض الذي يسكن شمال القارة، أما سكان الجنوب فهم عنده جنس آخر سماهم الأثيوب[2]. وهو نفس المفهوم الذي نجده لدى الفيلسوف والجغرافي اليوناني "اناكسيماندر راكيادس".(**ينظر الخريطة رقم:08**)

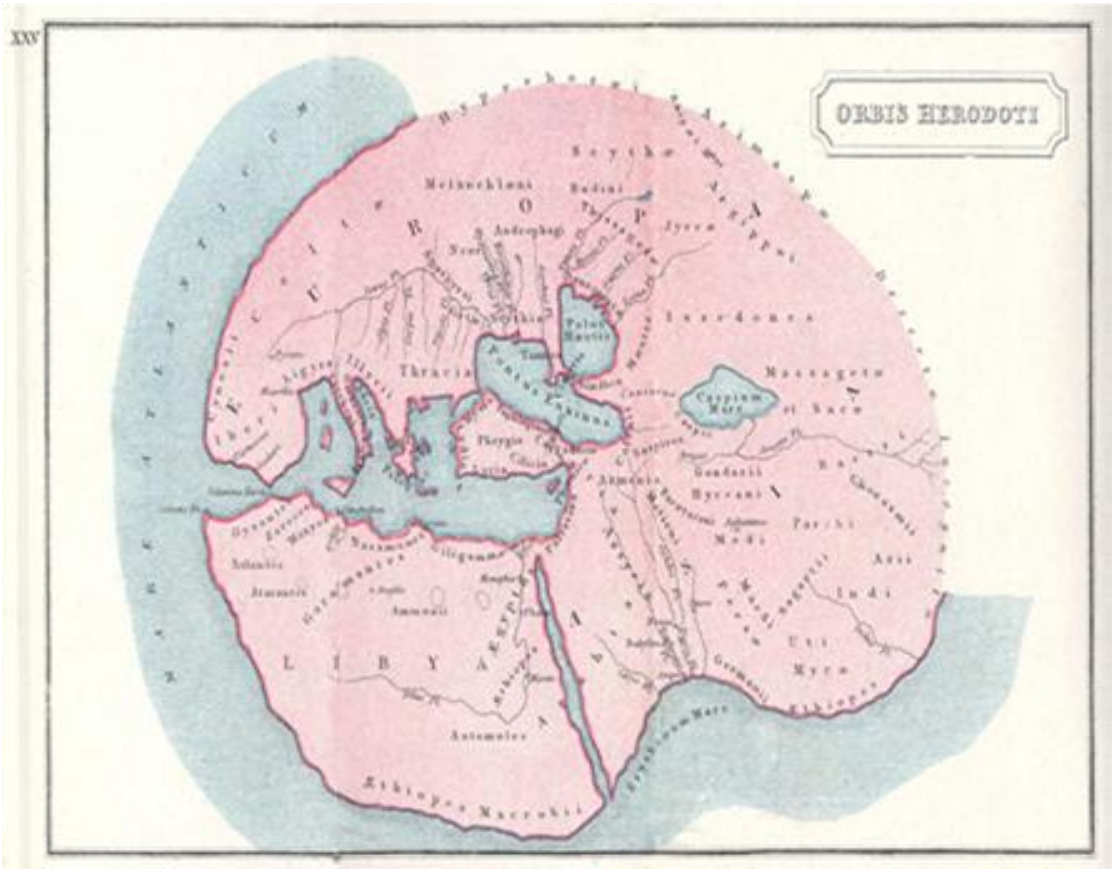

خريطة رقم 08: توضح موقع ليبيا في العالم القديم حسب هيرودوت

نقلا عن: مجلة تاريخ ليبيا، عدد أكتوبر 2015م، المرجع السابق، ص 14.

[1] محمد مصطفى بازمه، ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية، المرجع السابق، ص ص، 31-32.

[2] هيرودوت، المصدر السابق، تر: الملاح، الكتاب الرابع، ص 369.

يقدم هيرودوت في تاريخه ما يفيد بأن معرفة أهل ذلك الزمان بلوبيا قد تقدم كثيراً، حيث نجده يناقش مسألة حدود لوبيا مع مصر مناقشة تفيد أن الفكرة السائدة قبله كانت مغلوطة، ذلك أنها تجعل من النيل الحد الفاصل بين قارتي آسيا ولوبيا، ورأيه في هذا أن الدلتا من مصر بهذا المعنى يصعب وضعها في أي من القارتين، وقد خرج بعد مناقشة دقيقة بأن لوبيا هي تلك الآرض التي لا يرويها النيل بمياهه وتقع إلى الغرب منه، وهي عنده قارة[1].

ويبدو أن الفينيقيين هم أول من أشاع اسم إفريقيا على لوبيا منذ اتصالهم الأول بسكان القارة، وربما أخذوه من اسم القبيلة البربرية اللوبية "الأفارق"(AFARIK) أو الاواريغ (AWARIGHA) أو "أوراغن(AWRAGHEN)، التي كانت تقطن الساحل الشمالي الشرقي من تونس، أما عن ليبيا كأقليم فقد استمر الرومان في تسمية ما كان يُكَّونُ المستعمرات اليونانية باسم ليبيا حتى عصر متأخر[2].

أما اللوبيين عند هرودوت فهم أولئك الأقوام التي تسكن كل الشمال الإفريقي فيما بين مصر(شرقاً) والمحيط(غرباً) والبحر المتوسط(شمالاً) والصحراء الكبرى(جنوباً)، ويميزهم بالبشرة البيضاء عن بقية سكان القارة، أما بقية السكان في هذه القارة فهم عنده الاثيوب وليسوا بلوبيين، ويذكر بأن لوبيا مسكونة من أربعة أجناس هي: اللوبيون الذين يسكنون البقاع الشمالية من البلاد، والإثيوب الذين يسكنون في الجنوب، والإغريق، والفينيقيون، والأخيران دخيلان وليس من أهل القارة الأصليين[3].

لعل المؤرخ الإغريقي هيرودوت أول من ذكر الجرامنت باسمهم، حيث ذكر:"**وإذا تابع المسير نحو الغرب مسافة مثل تلك وجد نبعٌ وتلاٌ مثلما صادفه، وفي هذا الموقع أشجار نخيل مثمرة، مثل مناطق الينابيع الأخرى، ويعيش هنا الجرامنت، وهم كثيرو العدد ويعملونفي الزراعة، وأسلوبهم في ذلك مد طبقات من التربة فوق الملح ثم نثر البذور عليه، وأقصر طريق بين الجرامنت واللوتوفاجي مرحلة من ثلاثين يوماً... والجرامنت يطـــــاردون**

[1] – محمد مصطفى بازمه، ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية، المرجع السابق، ص 88.

[2] – نفسه، ص ص، 89-90.

[3] – هيرودوت، تاريخ هيرودوت، الكتاب الرابع، المصدر السابق، ص 369.

سكان الكهوف الأثيوبية، ويستخدمون في مطاردتهم عربات تجرها أربعة جياد"[1].

ويظهر أن الاغريق القدماء كانوا يعرفون الجرامنت وكانت أساطيرهم تذكر بأنهم يرجعون إلى أصل كريتي أو إلى شعوب البحر المتوسط، فقد نُقل عن الكاتب السكندري أبولونيوس الرودسي(Apollonis Rhodes) المولود سنة 220 ق.م، في روايته "أَرجو"(Argo) أنّ: "كافاراس(Caphauras) قتل أحد بحارة السفينة ارجو المدعو كانتو(Kanto) وكان كافاراس هو أكبر أبناء فوباس ليساس(Phoebus Leceus) من محبوبته أكاكاليس(Akakallis) وهي نفسها ابنة الملك مينوس، ولقد نفاها والدها إلى شواطيء لوبيا عندما علم بأنها على وشك وضع مولودها الالهي وهناك أنجبت أكاكاليس المدعو امبليثنيكس(Amplishenex) الذي أُطلق عليه اسم جراما(Garama) ولقد احب جراما بدوره الخنثى تريتونيا(Tretonia) وانجب منها نسمون(Nasamon)"[2].

وبعد هيرودوت نجد "لوبيا" عند كثير من شعراء وعلماء ومؤرخي الإغريق الآخرين، وعن اليونان شاعت هذه التسمية كتعبير جغرافي للدلالة على الإقليم وعلى القارة الافريقية عدا جزء من مصر أو جميعها، وعنهم أخذ الرومان هذا الإسم فيما بعد[3]. فقد قام العالم والجغرافي اليوناني "إيراتوسثينس" المولود بقوريني حوالي سنة 276 ق.م برسم خريطة هو الآخر وظلت لوبيا في تلك الخريطة تطلق على ليبيا الحالية وعلى ما اكتشفه الإغريق آن ذاك من إفريقيا، وتمثل ليبيا الحالية أكبر جزء فيه، فيما لم يدركوا شيئا كثيراً عن الجزء الجنوبي من القارة[4].

5)- استرابون (Strabon): يجب اعتماد ما دونه الجغرافي اليوناني استرابون الذي عاش خلال القرن الأول الميلادي، ويتميز عن سابقيه بأمرين: الأول كثرة ترحاله ومشاهداته للأماكن

[1] - هيرودوت، تاريخ هيرودوت، الكتاب الرابع، المصدر السابق، ص 364.

[2] - محمّد سليمان أيوب، حِرْمَةُ من تاريخ الحضارة الليبية، المرجع السابق، ص ص، 38-39.

[3] - محمد مصطفى بازمه، ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية، المرجع السابق، ص 32.

[4] - خالد الهدار، المرجع السابق، ص 12.

التي وصفها ورسمها في خريطة كتابه، والأمر الثاني أن كتابه الموسوعي الموسوم بـ"الجغرافية"[1]، وصل كاملا ولا يزال يطبع ويترجم، وقد خصص الجزء السابع عشر منه لوصف لوبيا[2].(**ينظر الخريطة رقم:09**)

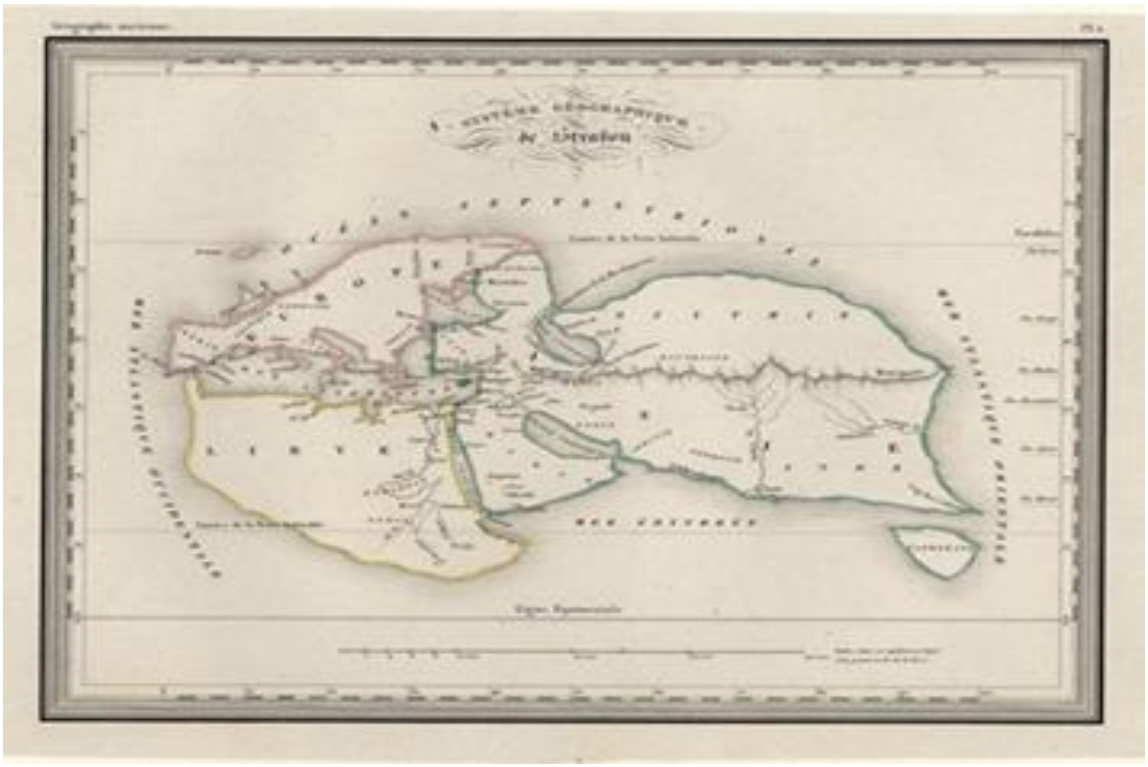

خريطة رقم09: توضح موقع ليبيا في العالم القديم حسب استرابون

نقلا عن: مجلة تاريخ ليبيا، عدد أكتوبر 2015م، المرجع السابق، ص 13.

تحدث استرابون عن جغرافية المغرب القديم بالتفصيل حيث ذكر مساحة لوبيا وموقعها بين القارات وواصل تحديد المنطقة ولكن وفق طبيعة المناخ الذي عاينه آنذاك، فذكر:"**..إن لوبة تأتي بعد آسيا في مساحتها، وتأخذ شكل مثلث قائم الزوايا**"[3]، وتنقسم إلى ثلاث مناطق هي:

[1] الكتاب ليس جغرافياً فحسب بل هو موسوعة العالم، وهو أيضا مثلما يسمى الآن الجغرافيا السياسية أو فلسفة للجغرافيا لما يحويه من بحوث في اتصال الفلسفة بهذا العالم، ولما بثه فيه من آراء في السياسة والتاريخ والجندية وارتباطها بالجغرافيا. علي فهمي خشيم، نصوص ليبية من استرابون، المصدر السابق، ص 58.

[2] – خالد الهدار، المرجع السابق، ص 13.

[3] Strabon, P.2.

أ- **المنطقة الأولى**: تمتد على طول بحرنا، وهي خصبة وتتاخم الحدود القرطاجية إلى غاية موريتانيا وأعمدة هرقل.

ب- **المنطقة الثانية**: تمتد على طول المحيط، وهي أقل خصوبة من الأولى.

ت- **المنطقة الثالثة**:هي منطقة مشتركة بين المنطقة الخصبة والمنطقة الصحراوية، وهي لا تنبت سوى نبات السلفيوم"[1].

وتجدر الإشارة هنا أيضا إلى أن جغرافية استرابون تعد المصدر الوحيد الذي تناول جغرافية المغرب القديم على هذا النحو من التفصيل.

6)- إراتوستينس القوريني: فيلسوف وجغرافي وعالم كبير، يعتبر من المؤسسين الحقيقيين لعلم الجغرافيا وعلم رسم الخرائط، وأول من دمج خطوط الطول في الخرائط الجغرافية، وأحد أوائل من أدركوا كروية الأرض ورسمها كذلك، ومن رواد علماء الجغرافيا الذين تمكنوا من قياس محيط الكرة الأرضية بهامش خطأ بسيط جداً عما هو معروف اليوم، ولد في قورينا بليبيا حوالي سنة 276 ق.م، وتميزت خريطته بالدقة مقارنة بسابقتها خصوصا في رسم مسارات الأنهار وحدود القارات والجزر والمضائق والبحار وغيرها، ومشتملة على مناطق أكثر خصوصا في آسيا وأروبا، وظلت ليبيا تطلق على ليبيا الالية، وعلى ما كان قد اكتشفه الإغريق آن ذاك من افريقيا، وتمثل ليبيا الحالية أكبر جزء فيها[2].**(ينظر الخريطة رقم:10، ص 277)**

7)- الليبيقيات: اعتنى اليونان بتصنيف كتب عن لوبيا وسكانها سموها ليبيقيات، مع الأسف أننا لا نعرف عنها الشيء الكثير، ويظهر أنها تآليف وضعها أصحابها بالنقل عن مصادر أخرى، ومن بين تلك المؤلفات نذكر: ليبيقالوقوس الغجيوني من أهل القرن الرابع ق.م الذي صنف كتاباً في تاريخ لوبيا، وكتاب ليبقا في ثلاثة أسفار ألفها اغرويطاس القرناوي من أهل برقة خلال القرن الثالث ق.م، وتاريخه اسطوري ميثولوجي يعنى بميلاد برقة وما جاورها، ولدينا كتاب ليبيقا في ثلاثة أسفار منسوبة إلى هيسيياناقس الذي عاش في أوائل القرن الثاني ق.م، وكتاب ليبقا من وضع

[1] Ibid, P.2.

[2] خالد الهدار، المرجع السابق، ص 13.

بوسيذيونوس الالبي من أهل القرن الثاني أيضا، وكتاب ليبيقات في ثلاثة أسفار للإسكندر بوليهستور الذي صنيفه بإيطاليا في القرن الأول ق.م، وكتاب ليبيقا لشارون القرطاجي وهو رجل عاش بقرطاجة في عصر مجهول، وألف تصنيفا في مشاهير الرجال والنساء ورحلة في البحر الأطلسي فيما وراء أعمدة هرقل[1].

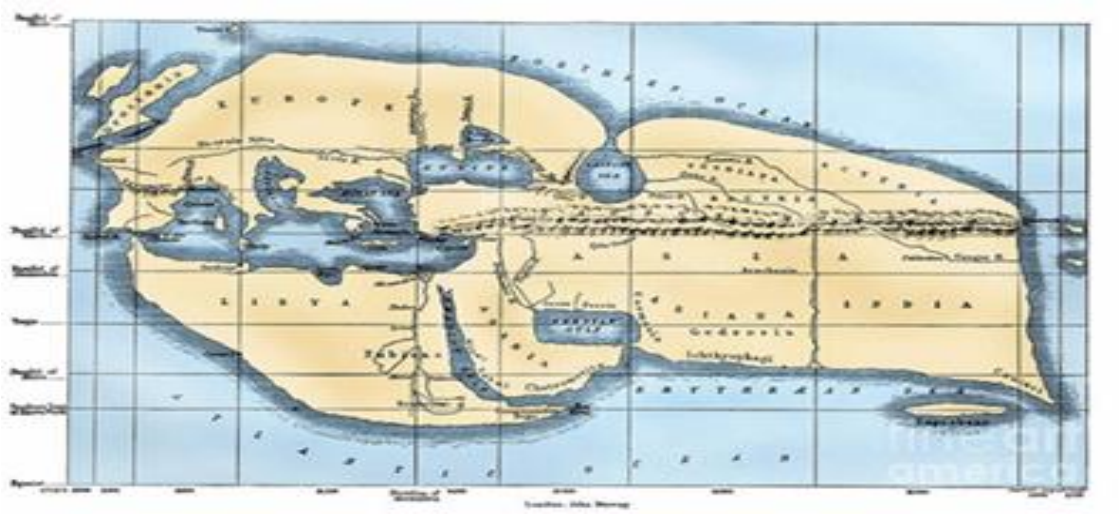

خريطة رقم 10: توضح ليبيا في العالم القديم حسب إيراتوسثينس

نقلا عن: مجلة تاريخ ليبيا، عدد أكتوبر 2015م، المرجع السابق، ص 12.

ونستطيع تقسيم اليونانيين الذين كتبوا على بلاد المغرب القديم إلى ثلاثة أقسام وهم:

أ) – **النوع الأول:** اليونانيون الذين كانوا يعيشون بقرطاجة البونيقية ويؤلفون باليونانية لقراء بونيقيين منهم:

فيلينوس الجرتنتي(من صقلية) الذي ألف تاريخ الحرب البونيقية الأولى وقد مال إلى صف قرطاجة ضد الرومانوسوسيلون ورفيقه سينوس اللذين كانا يرافقان القائد حنبعل، وقد وضعا تصانيف في ترجمته، كما ألفت صفونيسيبة في آداب اليونان وفنونهم الموسيقية.

ب)–النوع الثاني: اليونانيون الذين كانوا يعيشون بقورينا، وهي عاصمة من بين عواصم الحضارة اليونانية مثل: أثينا والإسكندرية وشرشال، فهؤلاء المؤرخون يعتبرون من أبناء بلاد المغرب القديم.

[1] – عثمان كعاك، المرجع السابق، ص ص، 23-24.

ج)- النوع الثالث: يشمل المؤرخون والجغرافيون اليونان الأصليين أو الذين هم من بلاد الشرق اليونانية أو المتهلينة أي المتأثرة باليونانية. نستطيع أن نضيف إلى هؤلاء أهل شرشال الذين تبنت عاصمتهم الحضارة اليونانية، لاسيما على عهد الملك المتهلين يوبا الثاني[1].(ينظر الخريطة رقم 11)

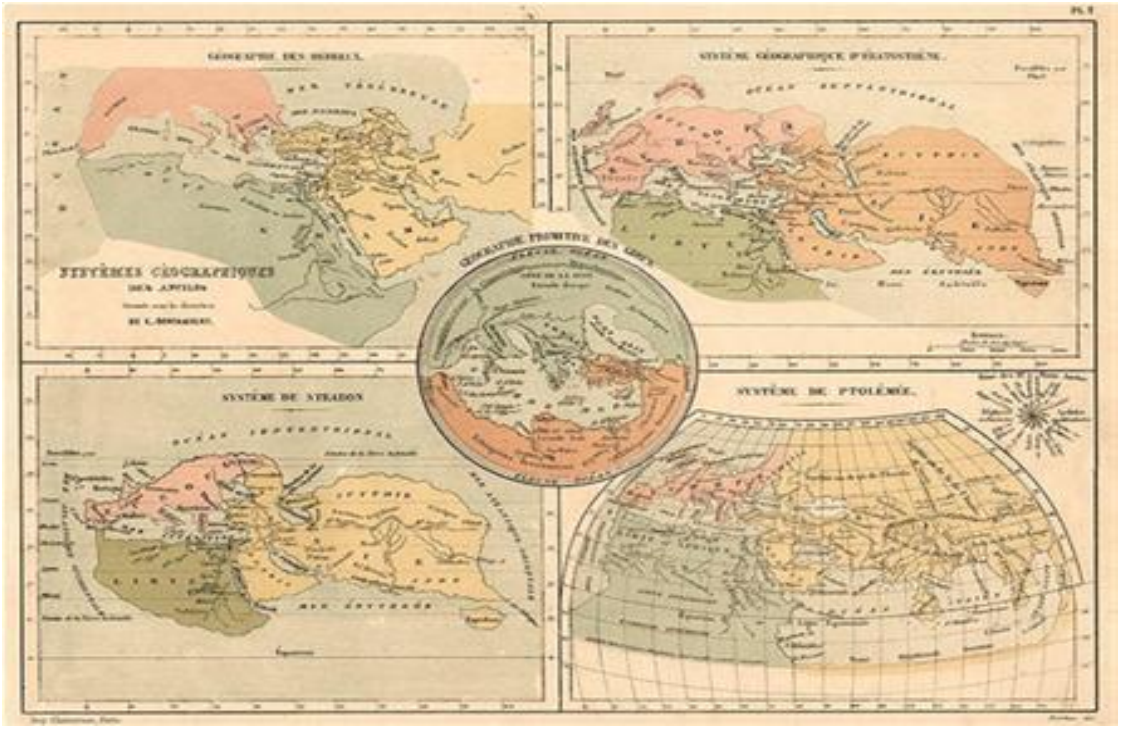

خريطة رقم 11: توضح مقارنة بين خرائط سترابون وايراتوسثينس وبطليموس

نقلا عن: مجلة تاريخ ليبيا، عدد أكتوبر 2015م، المرجع السابق، ص 14.

8)- تسمية لوبيا عند الأغريق: كان الإغريق يطلقون لفظ ليبوس(Libyes) للدلالة إما على مجموع سكان شمال إفريقيا أو على قسم منهم[2]. ويوجد في الميثولوجيا اليونانية ارتباط وثيق بين لوبيا والسباع، فقورينه العذراء رسمت وهي تفتك بأسد بينما رسمت لوبيا وهي تتوجها وباطوس يشفى من بسبب زئير الأسد[3].

[1] - عثمان كعاك، المرجع السابق، ص 24-25.

[2] - اصْطيفان اكْصيل، ج.5، المرجع السابق، ص 94.

[3] - محمد مصطفى بازمه، ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية، المرجع السابق، ص 52.

يذكر هيرودوت بأن معظم الإغريق يحسبون أن لوبيا اكتسبت اسمها من امرأة من أهل البلاد[1]، يرى البعض أن كلمة لوبيا مشتقة من الكلمة اليونانية "ليبس"(LIBS) التى تدل على ريح الجنوب الغربي أو على ريح القبلي، وقد تعني مع مراعاة موقع لوبيا من بلاد اليونان في اللغة اليونانية القديمة انها بلد الجنوب أو أنها البلد التي تهب منها رياح ليبس هذه، في حين يقول البعض أن معنى لوبيا في اليونانية المطر، والأمطار الهاطلة على بلاد اليونان في الخريف انما تأتي من جهة لوبيا[2].

لا يمكننا الوثوق بسهولة لهذه الفرضية اليونانية دون الرجوع إلى النقد الذي قدمه المؤرخ الليبي مصطفى بازمه على هذه النظرية، وأنا أوافقه الرأي، فالمشهور هو أن صلة اليونان بلوبيا وباللوبيين تعود فقط إلى النصف الأخير من القرن السابع قبل الميلاد، ومصطلح لوبيا يسبق هذا التاريخ، والمفروض أن بعض اليونان على الأقل كانوا من بين أقوام البحر الذين غزوا مصر متحالفون مع الليبو على عهد "مرنتباح"، أي أن صلة الشعبين تعود إلى نفس الفترة التي يطالعنا فيها اسم "الليبو" على نقش الكرنك، بل أن أخبار هؤلاء الطارئين على البلاد قد وردت لأول مرة في ذات النصوص(الكرنك)، وما دامت المسألة كذلك، فان احتمال اشتقاق اسم ليبيا من ليبس جائز أيضا من وجهة النظر الزمنية على الأقل، غير أن الاعتراض على هذه النظرية هو كون التسمية عن الأصل اليوناني للشعب اللوبي، وقبل أن تكون لليونان سيطرة على البلاد وأهلها فالأمر يحتاج إلى مراجعة [3].

يمكن القول بأن أصل اللفظ إفريقي، فالوثائق المصرية الراجعة لما قبل الألف الأول ق.م، تذكر الربو(Rebou) أو اللّبو(Lebou) على أنهم عشيرة(Peuplade) كانت تسكن بين وادي النيل وخليجي سدرة، وقد عرف الإغريق هؤلاء اللّبو، إما عن طريق غير مباشرة أو مباشرة، وقد أسموهم باسم ليبوس(Libyes) وسموا أرضهم ليبوي، وهو الاسم الذي نجده في الأوديسة[4].

[1] – هيرودوت: الكتاب الرابع، المصدر السابق، ص 310.

[2] – محمد مصطفى بازمه، ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية، المرجع السابق، ص 45.

[3] – نفسه، ص 50.

[4] – اصْطيفان اكْصيل، ج.5، المرجع السابق، ص 94.

وقد أطلق هذا الاسم منذ القرن السادس على جميع القارة الإفريقية، والخلاف الذي وقع سوى بشأن الحدود الشرقية للوبيا، فبعضهم كان يرى أنها هي نهر النيل والآخر خليج السويس والبحر الأحمر، أو الحدود الغربية لمصر، وفي بعض الأحيان لا يدل على القارة كلها بل على شمالها فحسب، وقد أختلف كذلك حول سكان لوبيا فالبعض أطلقه على جميع سكان إفريقيا الشمالية من مصر إلى المحيط، ومن البحر الأبيض المتوسط إلى الأراضي التي يعيش بها الأثيوبيون، ويدخل ضمنهم النوميديين والموريين[1].

أما العلاقة بين الجهة التي تهب منها رياح الخريف والمطر وموقع لوبيا من بلاد اليونان، فلعل الجائز افتراض أن يكون العكس، أي أن تكون كلمة "ليبس" في أصلها البعيد هي ليبية بمعنى اشتقاقها من ليبيا أي أن اليونان سموا تلك الرياح التى تهب من جهة ليبيا باسم ليبس، تماما كما يقول اليوم أهل واحة جالو عن الرياح الشمالية الغربية بأنها (غربي أوجلي) نسبة إلى موقع أوجلة من جالو، وليس هذا أن لا يكون لهذه الرياح اسم آخر في اليونانية القديمة[2].

ثانياً: تأسيس مدينة قورينة[3]: تمكن الإغريق من تأسيس عشرات المستعمرات على امتداد السواحل المتوسّطية، وفيما يتعلّق ببلاد المغرب القديم نلاحظ نزول الإغريق في منطقة قورين (Cyrenaica)، وقد تحوّل التواجد الإغريقي هناك إلى استعمار استيطاني إذ لم يكتف الإغريق بتنظيم هجرات جماعية إلى المدن الخمس (Pentapolis) وأراضيها، واحتكار الأنشطة التجارية والحرف بل تجاوز ذلك إلى الاستيلاء على الأراضي الزراعية وإجلاء القبائل المحلّية منها بالتدريج، ومن نتائج ذلك تواصل اجتماعي واحتكاك ثقافي بين اللوبيين والإغريق.(**ينظر الخريطة: رقم:12، ص 281.**).

[1] – اصْطيفان اكْصيل، ج.5، المرجع السابق، ص ص، 94-95.

[2] – محمد مصطفى بازمه، ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية، المرجع السابق، ص ص، 50-51.

[3] – قورينة: يقال أن هذا الإسم استوحى من نبات القورا(الزنبق البري) الذي كان ينمو فيها بكثرة، وهو عبارة عن نبات له سيقان طويلة تخرج منه زهور بيضاء، على هيئة نجم تفوح منه رائحة المسك، حيث كانت له شهرة مثل شهرة نبات السلفيوم الذي عرف فيها لاحقاً.(ينظر، راضية أبو عجيلة صالح بن خليفة، المرجع السابق، ص 124).

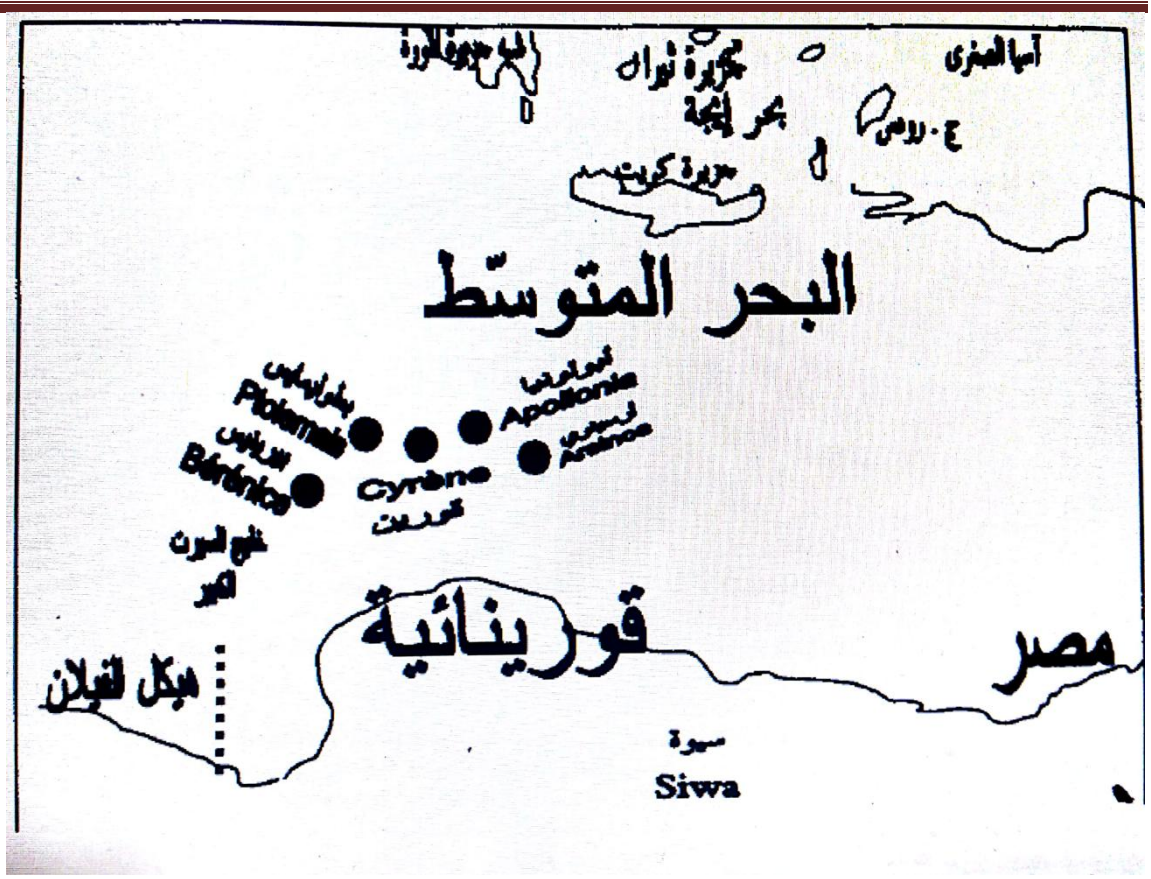

خريطة رقم 12: المستعمرات الإغريقية(المدن الخمس)

نقلا عن: عقون، الاقتصاد والمجتمع، المرجع السابق، ص 75.

1)– أسباب هجرة الإغريق نحو بلاد المغرب: ندرس في هذا العنصر الأسباب التي أدت بالأغريق الهجرة إلى بلاد المغرب ومنها:

أ)– أسباب بيئية: ذكرت سابقا أن بلاد اليونان جبلية قليلة الموارد لذلك كانت تشكو الفقر في معظم الأوقات، وقد نتساءل هنا هل هذه الأسباب هي التي دفعت الإغريق الاتجاه إلى الاستيطان في أماكن بعيدة ؟ قد تكون تلك البيئة المحددة الموارد إلى حدٍ بعيد هي التي ساعدت الإغريق بشكل أو بآخر على الاستعمار ؟ ولم تكن أمامهم إلا القيام بأعمال النهب والسرقة، وكذلك القرصنة، وخوض غمار صراع عنيف دفعاً لشبح الفاقة المخيف الذي فرضته الظروف الجغرافية[1]، فاضطر الإغريق إلى النزوح من بلادهم بحثاً عن أوطانٍ جديدة تمدهم بمزيد من الرزق، حتى يحيون فيها حياة آمنة ؟.

[1] جون رايت، رايت، تاريخ ليبيا، تر: عبد الحفيظ الميار وأحمد اليازوري، دار الفرجاني، طرابلس، ط1، 1972، ص20.

لا ننسى كذلك أن الحضارة اليونانية على خلاف الحضارة المصرية لم تبق متقوقعة على نفسها في بلاد الإغريق، والموقع الجغرافي لعب دوراً في ذلك، فاليونانيين أبناء مجموعة جزائر وليسوا أبناء جزيرة واحدة محاطة بالنيل كما هو في مصر، فالجزر اليونانية كانت متفتحة على بعضها البعض في وسع قوارب متوسطة اجتيازها، وأرض الشرق قريبة، حيث كان للاسكندر أن يحط الرحال بكل تراث اليونان الحضاري والفكري والسياسي[1]، وكانت سواحل شمال المغرب القديم هي الأخرى قريبة لهم وهذا عامل من بين العوامل التي ساعدت "موحي دلف" بأن يوجههم نحوه.

ب)– أسباب اجتماعية: ترجع إلى صراع الطبقات في المجتمع الإغريقي وسيادة الأسرات الكبيرة الأرستقراطية، كان له دور بارز في دفع الأغلبية العظمى من السكان إلى الهجرة والنزوح للبحث عن سبل عيش أفضل[2].

ساهمت القوانين الاجتماعية السائدة في تلك الفترة في عملية الهجرة كأفضل خيار، ففي المدن الإغريقية الكبرى كاسبرطة وأثينا كانت التشريعات بهذا الخصوص هي نفسها لا بيع ولا وصية ولا هبة[3]، يُضاف إلى ذلك كثرة الديون التي أثقلت كاهل الفقراء وعدم تمكنهم من سدادها، الأمر الذي أفقدهم حريتهم فتحولوا إلى عبيد[4]، وكانت هذه المشكلة تزداد حدة بتزايد عدد السكان وبسبب قوانين الإرث التي كانت تعطي تركة الأب للإبن الأكبر على حساب إخوته الآخرين، فكان ينتج عن ذلك أن أعداداً كثيرة من الإخوة والأخوات كانوا يجدون أنفسهم فجأة ولا أملاك لهم، وبالتالي لا مناص لهم من الهجرة إن أرادوا البقاء على قيد الحياة[5].

ويبدو أن مسألة إنشاء مستوطنة إغريقية في ليبيا[6] كان يُتَّخذ في هذه الحالة كما في حالات استيطان إغريقية كثيرة وسيلة لحل مشكلة اجتماعية قاهرة، تتمثل في الاكتظاظ السكّاني ونقص

---

[1] عبد الكريم غلاّب، ج.1، المرجع السابق، ص ص، 12-13.

[2] إبراهيم السايح، المرجع السابق، ص 78.

[3] محمود فهمي، تاريخ اليونان، مكتبة ومطبعة الغد، القاهرة، 1999، ص66.

[4] سيد أحمد الناصري، المرجع السابق، ص ص 133-134.

[5] – عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص 155.

[6] سأعتمد مصطلح ليبيا بدل لوبيا للدلالة على الموقع الجغرافي للمدن الإغريقية الموجودة في ليبيا الحالية.

الأراضي الصالحة للزراعة في بلاد الإغريق قديماً، وقد تولت الدولة نفسها الإشراف على عملية البحث عن مستوطنات ووضعت الشروط والمواصفات لذلك، وخصصت مسبقاً عقوبات رادعة يتم إنزالها بكلّ من يخرق أوامرها ويتراجع عن الهجرة، أما "موْحي دلفي"، فإنه لم يُستشر من جانب السلطات الرسميّة في الجزيرة إلاّ لإضفاء مباركة أعلى سلطة دينية على عملية أقرّت أصلا حتى قبل استشارة هذه السلطة المتمثّلة في موحي "أبوللو"، ولعل الدولة قد لعبت في هذه المسألة دوراً مهماً في جمع المعلومات الجغرافية وإرسال المعمِّرين نحو أصقاع جديدة، ولذا يحتمل أن تكون دولة الجزيرة هي التي أشارت على الثيرانيين بالإبحار إلى ليبيا التي كانوا يجهلونها[1].

كذلك كانت روح المغامرة التي جُبل عليها الإغريق عاملاً آخر من عوامل الاستعمار، فهم شعب يحب الاستطلاع، ويستهويه البحر، فكانت حركة الاستعمار وسيلة لإشباع هذه الرغبة في نفوسهم[2].

جـ)– أسباب دينية: يُضاف إلى تلك العوامل وعي كهنة المواحي خاصة موحى دلفي، بالمشكلة وشدة إيمان الإغريق بتلك المواحي، حيث أدركوا أن توسعهم خارج بلادهم كان واقعاً لا محالة كقضية حتمية في تاريخهم، إذ كان الدين يلعب دوراً هاماً في حياة الإغريق القدماء، ويؤمنون إيماناً قوياً بما تُلقيه إليهم آلهتهم المختلفة على ألسنة كهنة مواحيها[3]، الذين كانوا على وعي بمشكلات بلادهم، وبضرورة تشجيع مواطنيهم على الهجرة إلى الخارج باعتبار أن الهجرة أفضل الحلول لتلك المشكلات[4]. السياسية والاجتماعية والإقتصادية.

يلاحظ أن الديانة الإغريقية ساهمت في الدفع بالإغريق إلى الاستيطان، ولا ريب أنّ المعابد وسدنة الآلهة كانوا دهات إلى درجة أنّهم كانوا يدركون دور الدين في تحريك العامّة ودفْعها نحو التنفيذ دون نقاش أو تردّد، إنّها حركة استيطان تقودها الآلهة، وذلك سيؤدي إلى المواجهة بين

[1] – فرنسوا شامو: المرجع السابق، ص ص، 134-135.

[2] عاصم أحمد حسين، المدخل إلى تاريخ وحضارة الإغريق، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1991، ص ص 124- 125.

[3] عبد اللطيف محمود البرغوثي، التاريخ الليبي القديم، المرجع السابق، ص ص 235-236.

[4] Goodchild (R), Cyrene and Apollonia Published by the Department of Antiquilies Libyan Arab Republic, 1970, PP.10.

الإغريق واللوبيين لا محالة[1].

د)– أسباب إقتصادية: كان لصعوبة ممارسة مهنة الزراعة قلة الأرض اللازمة لذلك، جعل الإغريق يمارسون مهنة أخرى هي التجارة، وينافسون بها غيرهم من الشعوب، لا سيما التجارة البحرية التي نافسوا الفينيقيين عليها. في البداية كانت تجارتهم محلية على مستوى المدن الإغريقية نفسها الموجودة في الوطن الأم، وحينما نمت الصناعة فيها وتطورت كان على هذه المدن أن توسع نشاطها، فتبحث عن المواد الأولية التي كانت تنقصها، وعن الأسواق التجارية الجديدية لتسويق منتجاتها، فشملت بهذا التوسع كل المستوطنات الإغريقية المنتشرة في حوض المتوسط شمالاً وجنوباً، كما ان انتعاش التجارة بين أجزاء مختلفة من العالم الإغريقي أدى إلى ظهور خدمة جديدة تختص بالنقل البحري حيث تنقل بواسطتها التجار بين المستوطنات والوطن الأم[2].

ويبدو أن الأسباب التي شجعتهم على التجارة وركوب البحر تكاد تكون هي نفسها عند الفينيقيين، لاسيما وأن بلادهم عبارة عن جزر وأشباه الجزر تحيط بها مياه البحر وتفصلها عن بعضها البعض، بالإضافة إلى توفر الأخشاب اللازمة لصناعة السفن المستخدمة في عمليات النقل البحري، يُضاف إلى ذلك موقع بلاد الإغريق الاستراتيجي في حوض البحر المتوسط الأمر الذي جعل الإغريق يتحكمون في الممرات البحرية، لا سيما التي تقع في شمال المتوسط، بحيث مكنت بعضهم من ممارسة أعمال القرصنة وسلب السفن المارة بالقرب منهم[3].

هـ)– أسباب سياسية: تعتبر الظروف السياسية التي كانت تمر بها بلاد اليونان من الأسباب التي جعلت الإغريق يفكرون في الاستعمار، فقد كان الحكم آنذاك في أيدي الأرستقراطيين الأشراف الذين بغوا على كثير من المواطنين، واستحوذوا على الأراضي الزراعية[4]، وأصبحت الأرستقراطية هي المتمسكة بزمام الأمور في المجتمع، تُسيره وفق مصالحها ومآربها، وحفاظاً على مكاسبها، عملت على تشجيع وتنظيم حركة الهجرة، لا سيما العناصر الساخطة والمناهضة لحكمها للتخلص

[1] – محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع، المرجع السابق، ص 72.

[2] راضية أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 74.

[3] نفسه، ص 74.

[4] إبراهيم نصحي، إنشاء قوريني وشقيقاتها، منشورات الجامعة الليبية، ط1، بنغازي، 1970، ص 10.

منها، ومنعها من القيام بالثورات ضدها[1].

كما أن الطبيعة الجغرافية للبلاد تركتهم غير قادرين على إقامة دولة موحدة قوية – كما حدث للفينيقيين من قبلهم- بل جعلتهم ينقسمون إلى وحدات سياسية صغيرة متناثرة تفصل بينها الجبال والبحر، عُرفت بنظام المدينة ـ الدولة أي المدينة التي تتخذ شكل ومقومات الدولة، تتنافس فيما بينها وأحياناً تدخل في نزاعات وحروب وتطاحن ضد بعضها البعض، وهذا ما شجع حركة الهجرة وتأسيس مدن جديدة إغريقية الطابع[2].

ولهذا فإن حركة الهجرة وإقامة المستعمرات في أماكن أخرى بعيداً عن بلاد الإغريق قد ساعدت على بقاء الحكم الأرستقراطي فترة طويلة فيها، فلو أن تلك العناصر الساخطة بقيت في أوطانها لحركت الثورات ضد حكم الأرستقراطيين للتخلص من ظلمهم وجورهم[3].

غير أن أهم الأسباب التي دفعت الإغريق إلى حركة الاستيطان خارج بلادهم، هو تدهور السيطرة الفينيقية على البحر، والتي كانت تحد من نشاط الإغريق في تلك المناطق، بالإضافة إلى انهيار حضارات الشرق، خاصة مصر التي كانت في دور الانحطاط، ما افقدها نفوذها[4].

فكأنما قد خلا للإغريق وجه البحر، وبذلك بدأوا يفكرون في تكوين مدناً لهم على سواحل المتوسط شرقاً وغرباً، وجنوباً وشمالاً، ينتقون الأماكن ذات العائد الاقتصادي، وتلك التي تحقق لهم العمق الاستراتيجي، وحيثما نزل الإغريق كانوا يؤسسون مستعمراتهم على غرار المدن الأصلية التي هاجروا منها، ويقيمون بها المنشآت العامة التي ألفوها في أوطانهم، ويتعبدون فيها لنفس آلهتهم الأولى، وهكذا يُخيل لزائر المستعمرة كأنما يزور مدينة إغريقية أصلية في الوطن الإغريقي الأصيل[5].

2)- العوامل المساعدة على الاستيطان: كان المجتمع اللوبي يعاني فراغاً وضعفاً وتفكـــــــكاً

[1] رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص 47.

[2] راضية أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 81.

[3] إبراهيم السايح، تاريخ اليونان، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1998، ص 76.

[4] عبد اللطيف محمود البرغوثي، التاريخ الليبي القديم، المرجع السابق، ص 235.

[5] إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص 10.

سياسياً واقتصادياً وحربياً، كلها عوامل دعمت عملية الاستيطان الإغريقي وإنجاحها، ومن تم عملية التوسع ومد النفوذ على حساب اللوبيين أنفسهم.

أ)– الفراغ السكاني: كانت ليبيا في تلك الفترة من التاريخ تعاني من الفراغ السكاني الذي يعتبر عاملاً لا يجب إغفاله ساعد الإغريق في تأسيس مستوطنتهم بكل سهولة على أرض ليبيا، وذلك نتيجة لتلك الحروب الطويلة التي خاضتها القبائل الليبية ضد السلطة الفرعونية بمصر، حيث انطلقت هذه الحروب من الألف الثانية ق.م واستمرت حتى منتصف الألف الأول ق.م، وقد أمدتنا النقوش الفرعونية الموجودة على جدران المعابد، – لا سيما معبد الكرنك– أرقاماً عديدة لعدد القتلى من الليبيين في تلك الحروب، يتراوح ما بين 12000 و13000 قتيل في الحرب الواحدة[1]. وربما تكون تلك الأرقام مبالغ فيها وقد وضعت بغرض الدعاية للفراعنة، ولكن مع ذلك تبقى مخلفات تلك الحروب سبب من أسباب نجاح الإغريق في تأسيس مستوطنات لهم بسهولة في أرض ليبيا.

ب)– الفراغ السياسي: لعل الفراغ السياسي وكذلك الحضاري، وعدم وجود دولة ذات نظام سياسي وعسكري محكمين على الساحل الشمالي لأفريقيا الممتد من غرب الدلتا حتى المحيط الأطلسي غربا، قد شجع الإغريق على ارتياد هذه المناطق، لأنها غير تابعة لأية قوة سياسية منظمة تملك جيش يرد المستعمرين على أعقابهم، ومنعدمة بها نظام حكم يحتويها ويصون سيادتها على أراضيها[2].

فقبائل الليبو كانت تخضع لنظام قبلي يلعب فيه رئيس القبيلة الدور الأكبر في قيادة القبيلة سواء في السلم أو الحرب، وكان هذا المنصب وراثياً يتوارثه الأبناء عن الآباء، ويعاون رئيس القبيلة مجلساً يتكون من كبار السن، وكانت منزلة القائد تتفاوت بين قومه، ولعل هذا ما جعل بعضهم يتحلّى بريشة واحدة أو ريشتين بحسب مكانته في القبيلة، وكانت قوانين القبيلة لا تبيح للرئيس إذا هزم البقاء في منصبه، بل عليه أن يتخلى عن منصبه لشخص أقدر، ونظراً لحياة التنقل والترحال الدائم فأن القبائل كانت في نزاع دائم فيما بينها، إلا في حالات قليلة عندما تضطرها الظروف إلى

[1] – راضية أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 83.

[2] – نفسه، ص 86.

الاتحاد مع بعضها بعضاً، كما حدث أثناء تحالفها وزحفها على مصر في عهد فرعون مرنبتاح ورمسيس الثالث[1].

هكذا يتبين لنا أن النظام السياسي كان نظاماً هشاً، بسبب الحياة البدوية التي دأبت عليها القبائل اللوبية، وحافظت عليها منذ عصور قديمة، ومن ثم عجزوا على إقامة نظام سياسي موحد يستطيع الوقوف في وجه الأطماع الاستعمارية الإغريقية[2]، من ثم كانت المنطقة وكأنها جاهزة لاستيعاب أي نوع من الاستعمار الجديد.

ويمكن تعليل السبب الذي دفع الليبو إلى القبول بالثيرانيين الإغريق وعدم مقاومتهم أو الحد من توسعهم الإستيطاني في الإقليم إلى استيائهم من أسلوب الفينيقيين في استثمار البلاد، فقد كانوا يحصلون على الأرباح الوفيرة بدون معاناة[3].

ج)– الموقع الاستراتيجي لليبيا: يأتي الموقع الاستراتيجي لليبيا في مقدمة العوامل التي أسهمت في تشكيل الاستيطان فيها، ذلك أن موقعها في الجزء الجنوبي الأوسط للبحر المتوسط يعطيها أهمية استراتيجية ملحوظة بالنسبة للبحر نفسه، وما يمكن أن يدور فيه من نشاط بحري[4].

كما أدى موقع جزيرة ثيرا المتوسط لسلسلة جبال كريت القريب من السواحل الليبية إلى محاولة الثيرانيين إلى إستكشافها، فقد أرسلوا برسالة إلى كاهنة دلفى لتزودهم بمعلومات عن ليبيا وسكانها، فردت على سؤالهم بوصفها لهم بأنها:"**بلاد غنية بالمراعى الخضراء**"[5]. وربما لعب نبات السلفيوم – الذي كانت مدينة برقة الليبية تشتهر به منذ عهد سولون(SOLONE)– دوراً هاماً وراء محاولة الإغريق الثيرانيين إكتشاف ليبيا[6].

[1] – محمد امحمد سالم، المرجع السابق، ص 27.

[2] – نفسه، ص 28.

[3] – غوليالم ناردوتشى، إستيطان برقة قديماً وحديثاً، تر: إبراهيم أحمد المهدوي، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، بنغازي– ليبيا، 1425م، ص ص، 23–24.

[4] راضية أبو عجيلة، المرجع السابق، ص87.

[5] – غوليالم ناردوتشى: المرجع السابق، ص 20.

[6] – نفسه، ص ص، 20–21.

يُغفل الكثير القرب الجغرافي بين ليبيا ومصر الذي يعتبر أحد الأسباب المهمة لمجيء الإغريق، وذلك لأنه في عهد الأسرة السادسة والعشرين الفرعونية، كثر عدد الإغريق في مصر[1]، خاصة منذ اعتلاء باسمتيك الأول[2] العرش ففتح الأبواب لنفوذ الإغريق[3] وشجع التجارة الأجنبية، وشجع قيام المستوطنات التجارية في مصر، فأنشأوا مدن لهم احتفظت بروحها الإغريقية، مثل مدينة نقراطيس[4] فـ" **المستعمرات الإغريقية في قورينائية وفي مصر منذ النصف الثاني من القرن السابع والنصف الأول من القرن السادس ق.م لها ميزات خاصّة مختلفة عن بعضها البعض...، فلقد ظلّت قورين مستوطنة فلاحية حسب تقاليد القرن السابع، بينما كانت المستعمرات الإغريقية في مصر ذات طابع تجاري بصورة رئيسية...، ثمّ تطعّمت بقوة عسكرية أساسها فرق الجند المأجور**"[5].

غير أن هذه العلاقات الودية سرعان ما أصابها التوتر إثر كثرة الوافدين من الإغريق ومحاولتهم الإنفراد بالشيء الكثير من نشاط أهل البلاد، فمنعت مصر قبول هجرات منهم، فكان على الإغريق بُداً من محاولة النزوح إلى شمال إفريقيا. والخيار الوحيد المتبقي أمامهم كان الساحل الإفريقي الممتد من مصر إلى خليج سرت، حيث كانت قرطاجة في هذا الوقت تبسط سيادتها من خليج سرت الكبير وتعمل على منع الأجانب من التجارة على هذا الساحل[6].

وربما ذلك يُفسر لنا أنّ الأسطورة الثيرانية التي لا يُمكن تصديقها بسهولة، إذ جاءت معلوماتها التفصيليّة عن قوريني من هؤلاء الإغريق الذين عاشوا في مصر فترة مكنتهم من التعرف

---

[1] حسن سليمان محمود، ليبيا بين الماضي والحاضر، مؤسسة سجل العرب، 1962، ص 55.

[2] بسامتيك الأول (Psammétik 1er) مؤسس الأسرة الفرعونية السادسة والعشرون تولى الحكم مابين (663-609 ق.م) قام باصلاحات كبيرة في الجيش المصري. ينظر: Larousse pluridictionnaire, édition 1977, P 1128.

[3] Mercier (E), Histoire de l'Afrique septentrionale (Berbérie), depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête fraçaise, Tome I, Paris 1888, P 3.

[4] نجيب ميخائيل إبراهيم، مصر من قيام الدولة الحديثة إلى دخول الاسكندر، ط3، دار المعارف بمصر، الإسكندرية، دت، ص 368.

[5] Laronde (A.), Cyrène et la libye hellénistique. Libykai, études d'antiquités africaines. Editions du CNRS. Paris 1997. Pp 73-74.

[6] حسن سليمان محمود، المرجع السابق، ص 55.

على موقع قوريني الممتاز، علاوة على قربها من الموطن الأصلي (بلاد اليونان)، حيث أن المصادر الكلاسيكية تُشير إلى أن ليبيا عَرفت عناصر قادمة من بلاد اليونان ممن سبقوا الغزو الدوري لبلاد اليونان في القرن الثاني عشر ق.م[1].

كما أنّ الشاعر "بنداروس" يذكر أنّ عناصر من أهل طروادة في آسيا الصغرى قدمت إلى برقة هاربة من طروادة المدمرة في الوقت ذاته[2].

غير أن اسم ليبيا غائب الذكر في النصوص الإغريقية التي ترجع إلى ما قبل الاستعمار الإغريقي سوى مرتين فقط، كلتاهما في أوديسة هوميروس[3]، ويبدو أن الإغريق كانوا يعرفون من ليبيا بعض مقاطعاتها الساحلية التي تلجأ إليها سفنهم التجارية، ولعلهم عرفوا أيضاً شيئاً عن واحاتها الداخلية التي اجتذب ثراؤها بعض الجنود الإغريق ممن كانوا يعملون في جيوش فراعنة مصر في العصر الصاوي، فيما عدا ذلك لم يكن في ليبيا ما يُغري الإغريق بارتيادها، فهي بلاد صحراوية، ولأهلها عادات وتقاليد غريبة، وقد روج عنها الفينيقيون أساطير مخيفة لا تُشجع على اقتحامها، حتى لا يُزاحمهم الإغريق على شواطئها[4].

د)– الفراغ الاقتصادي: نحن نجهل الكثير عن الأوضاع الإقتصادية للقبائل اللوبية، والثابت انها كانت قبائل متنقلة تهيم وراء قطعانها، ومن هنا فإن حياة اللوبيين كانت تعتمد بالأساس على الرعي، وإن كانت هناك بعض النشاطات القليلة فيما يخص الزراعة والتجارة، حيث أشارت بعض المصادر الإغريقية أن مجموعة من القبائل كانت تقوم بجني ثمار النخيل وتزاول القنص، ومن المحتمل أن تكون بعض القبائل قد مارست الزراعة في المناطق الخصبة التي اغتصبها منهم باطوس الثاني فيما بعد، كما مارست بعض القبائل التجارة، حيث حصل المصريون منهم على الزيت والعاج والأخشاب والجلود وغيرها[5].

---

[1] عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص 236.

[2] نفسه، ص 236.

[3] فرانسوا شامو، المرجع السابق، ص ص 56-57.

[4] فوزي فهيم جاد الله، مسائل في مصادر التاريخ الليبي (ليبيا في التاريخ)، المرجع السابق، ص 43.

[5] محمد امحمد سالم، المرجع السابق، ص ص، 26-27.

وقد نزل الإغريق في سواحل ليبيا ونالوا ثقة السكان فمنحوهم امتياز النزول على الشواطئ وإقامة محطّات للراحة والتبادل التجاري، فقد كانت بلاد المغرب كما هي اليوم غنية بثرواتها، ولم يشعر السكّان هنا بالحاجة إلى المغامرة أو الإبحار إلى أوطان أخرى، وكان هذا خطأ قد ترتب عنه نتائج في صالح البلاد، فسرعان ما نمت المصالح الإغريقية لتسيطر جالياتهم على الممرات البحرية والتوسع في الداخل على حساب الأراضي الزراعية[1].

كما احتكر إغريق قورين إنتاج وتصدير نبتة السيلفيوم (Sylvium) التي كانت سلعة استراتيجية فترة طويلة لأهميتها الطبية، وكانت المنتجات الفلاحية والأنشطة التجارية تدرّ عليهم أرباحا طائلة، وكانت المدن المرفأية القورينية تستفيد من تجارة العبور باعتبارها همزة وصل بين الشرق والغرب[2].

وبالتالي نلاحظ أن اللوبيين غفلوا عن هذا الزحف الاستعماري إلا بعد أن وصلت الأمور حد الإستنزاف لإنتاج الأرض، وبلغت مرحلة الطرد والإبعاد عن الأراضي الخصبة، والموانئ التجارية.

3)– تأسيس مستعمرة قورينة[3]: يمكن القول أن الإغريق انتظروا طويلا قبل أن يقرروا ارتياد أفريقيا والإستيطان في جزءٍ منها بقورينائية[4]، وقد اتسمت فترة الاستيطان الباكر (775-675 ق.م) بوصول مستوطنين فرادى بحثا عن أراضي خصبة لاستغلالها، بعد أن ضاقت بهم الأوضاع في بلادهم، أما الفترة ما بين 675 و550 ق.م، فقد ظهر فيها الاهتمام بالتجارة، وهي الفترة التي شهدت تأسيس مستعمرة قورينة 637 ق.م[5].

---

[1] محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع، المرجع السابق، ص 59.

[2] نفسه، ص 75

[3] يصف ديودور الصقلي قورينة بقوله:**"ويتميز ذلك الجزء من البلاد الذي بالقرب من قورينا بتربة خصبة وهو يحمل محاصيل متنوعة، إذ لا ينتج الحنطة فحسب بل إن فيه مزارع كروم شاسعة وبساتين زيتون، وغابات لم يستنبتها أحد، وأنهاراً ذات نفع عظيم"**. ينظر: علي فهمي خشيم، نصوص ليبية من الصقلي، فقرة 50، ص 116.

[4] فرنسوا شامو، المرجع السابق، ص 62.

[5] محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع، المرجع السابق، ص 69.

تأسست مستعمرة قورينة بادئ الأمر من قبل جماعة من المهاجرين الهللينيين لا يتجاوز عددهم المائتين مهاجر، هاجروا إليها من جزيرة ثيرا في سفينتين من ذوات الخمسين مجدافاً بقيادة زعيم عُرف في المصادر القديمة باتوس(BATTOS) (639-599 ق.م)[1].

وقد ذُكرت عدة تواريخ متباينة لتأسيس الإغريق لمدينة "قوريني"، من بينها: سنة 1336 ق.م، وسنة 761 ق.م، وسنة 631 ق.م، فالتاريخ الأول مستنبط من حوليّة "يوسيبيوس" الذي أخذ معلوماته عن العالم القوريني "إراتستينيس"، أما التاريخ الثاني والثالث فيرجعان تأسيس "قورينا" إلى "باتوس"(639-599 ق.م) ولجماعته من الثيرانيين، ولكن البون شاسع بين التاريخ الأول والتاريخين الأخيرين[2].

وهناك رواية أخرى تقول بأن الهلينيين كانوا قد سبقوا الثيرانيين إلى قورينا بعدما فروا من الغزو الدّوري لبلاد الإغريق، وبالتالي أسّسوا في ليبيا مستعمرة إغريقيّة أولى قبل نزوح الثيرانيين إليها بعدة قرون[3].

مهما يكن من أمر فإن الثيرانيون زعموا بأن الإله "أبوللو" هو الذي دعاهم –بواسطة كاهنة معبده في دلفي– إلى استعمارها، وأنه استحثهم على ذلك ثلاث مرّات، متوعداً بإنْزال عقوبات صارمة بهم إن رفضوا الانصياع للأوامر، وعندها فقط تغلّبت رهبتهم من عقاب إلههم الأسطوري[4].

ومفاد ذلك أن أهالي جزيرة ثيرا كانوا قد بعثوا وفداً منهم لاستشارة موحى دلفى في سبب انحباس المطر عن جزيرتهم، من بينهم:جرينوس(Grinnus) بن اينسانيوس أو ايزانيوس(Aesanius) سليل ثيراس(Theras) وسيد جزيرة ثيرا، وقدموا قرباناً قوامه مائة ضحية نيابة عن أهالي الجزيرة، وكان من بين من ذهبوا في ركبه باتوس بن بوليمنيستوس فأجابتهم الكاهنة بضرورة تأسيس مدينة في ليبيا، فتجاهل الوفد وعلى رأسهم جرنوس أمر موحى دلفى،

[1] – هيرودوت: تاريخ هيرودوت، الكتاب الرابع، المصدر السابق، ص 352.

[2] – فرنسوا شامو، المرجع السابق، ص ص، 68-69.

[3] – نفسه، ص 75.

[4] – نفسه، ص 64.

وغادروا دون اتخاذ أي اجراء عملي بهذا الصدد لأنهم كانوا يجهلون موقع ليبيا، لذلك أحجموا عن ارسال جماعة إلى مكان كانوا يجهلون حتى موقعه، وعرفت السنوات السبع التالية عدم تساقط الأمطار في جزيرتهم وعم الجفاف، وإزاء هذا الوضع المزري أرسل أهالي ثيرا إلى "موحى دلفى" يستشيرونه ثانية فذكرهم بوجوب إقامة المستوطنة التى تناسوا أمرها، فبعثوا سفنهم إلى ليبيا[1].

نتساءل هنا هل كان لموحى دلف دراية ومعرفة بليبيا وأراضيها الخصبة؟ وإن كان كذلك فلماذا أحجم عن إمداد الأهالى بأدلاء لمساعدتهم الوصول للأراضي الليبية، وتركهم يحجمون في المرة الأولى عن المغامرة بإرسال سفنهم لإرتياد شواطئها ومن ثم يتجاهلون أوامر إلههم المبجل؟ ثم يضطرون بعد ذلك إلى الرجوع إليه مرة ثانية للإستشارة فيذكرهم بما قال لهم في المرة الأولى، وفي هذه المرة كذلك لم يساعدهم وتركهم يتخبطون في البحث عنها، وهذا يعطينا إنطباع بأن اليونان وآلهتهم كانوا يجهلون ليبيا ولا يعرفون الشيء الكثير عن ليبيا، وربما يعرفون منها سوى الإسم.

يبدو أن موحي معبد دلفي كان ملماً بظروف جزيرة ثيرا وبأحوال اهلها، ولديه تفاصيل جغرافية دقيقة عن الأماكن المستهدفة، كما كان ملما بالتراث الإغريقي منذ عصر هوميروس، وهو التراث الذي تناقلته الأجيال الإغريقية جيلاً بعد آخر، إذ أن وصفه للأغنام الكثيرة في ليبيا يتطابق مع ما ذكره هوميروس في الأوديسة، ومن المرجح أن معبد دلفي كان مركزاً لجمع المعلومات التي ترد إليه تباعاً من المدن الإغريقية والمدن الأخرى المنتشرة في حوض البحر المتوسط، وكان لديه حشد كبير من كهنة المعابد وسدنتها والوسطاء، الذين كانوا يأتون بالخبار والمعلومات الدقيقة، ويعتقد أن الدولة كانت تعوزها المعلومات الجغرافية التفصيلية عن موقع المستعمرات، ومن ثّم كانت الكاهنة تلقي بالنبوءات وتسدي النصائح، وكان معبد دلفي يوجه جحافل المستعمرين[2].

وقد أشار هيرودوت أنه ما كان على الوفد الذاهب إلى دلفى سوى أن يبعثوا ببعض رجالهم إلى جزيرة كريت ليبحثوا فيها على من زار منهم ليبيا، فيخبرهم شيئاً عن أحوالها، وظل أعضاء الوفد يطوفون إلى أن بلغوا قرية "ايتانوس" حيث صادفوا رجلاً يدعى "كوربيوس"، الذي يعتبر شيخ الصيادين في الجزيرة، فأخبرهم أنه بينما كان في إحدى رحلاته الصيدية هبت عليـــــه

[1] – هيرودوت، تاريخ هيرودوت، الكتاب الرابع، المصدر السابق، ص ص، 350-351.

[2] – محمد احمد سالم، المرجع السابق، ص 49-50.

عاصفة هوجاء ورمت به إلى جزيرة تدعى "بلاطية" (بومبا) قبالة السواحل الليبية، فعادوا به إلى ثيرا قصد إصطحابه معهم لإستطلاع تلك الجزيرة لقاء مبلغ من المال[1].

أما الرواية القورينية فهي تختلف عن رواية الثيرانيين السابق ذكرها، حيث تقول إن الملك إيتارخوس(Etearchu) ملك لبدة واكوس/كريت كانت له ابنة تدعى فرونيمي(Phronime) فقدت أمها، فاضطر الملك أن يتزوج من امرأة أخرى، ولكن زوجته الجديدة اتهمت الفتاة بسوء الخلق –رغبة في التخلص منها– وأقنعت زوجها فاستدعى تاجراً من ثيرا يدعى "تميسون"(Themison) وطلب منه التخلص من ابنته، فأخذها التاجر معه إلى ثيرا حيث اتخذها أحد وجهائها حضية له فأنجبت له ولداً عييَّ النطق اطلق عليه اسم "باتوس"[2].

توجه هذا الصبي بعد مدة إلى كهنة دلفي ليستنبئ عن نطقه ولعثمة لسانه، فأجابته:**"ياباتوس ! أنت تطلب لساناً سليماً لكن مولاك فابيوس أوللو يرسلك، لتنشئ وطناً في ليبيا، حيث تكثر الأغنام"**[3]. فلم يجد الثيرانيون بداً من الإبحار معه إلى ليبيا.

ومن خلال استعراض الروايتين يتضح أن الرواية الثيرانية قد أعطت للملك "غرينوس" الدور الأكبر في التخطيط والتوجيه، فهو الذي أدرك الوضع المزرى في الجزيرة ومن ثم ذهب رفقة باتوس وجماعته إلى دلفي، بينما يختلف الأمر في الرواية القورينية التي جعلت من باتوس الشخصية الأولى، التي لعبت دوراً بارزاً في إنشاء المستعمرة، إذ أن الكهنة خاطبته مباشرة وأمرته بالتوجه إلى ليبيا، حيث تكثر الأغنام، ومن جهة أخرى فإن الرواية جعلت باتوس ينحدر من أم كريتية، وهي إشارة إلى الصلات القديمة التي كانت تربط كريت بليبيا[4].

حط باتوس وقومه في البداية الأمر في المنطقة المسماة "أزيريس"(Asiris)(وادى الخليج)، وهو موقع بديع يمر به أحد الأنهار وتحيط به الوديان من جانبيه، وبعد مضي ست سنوات على استقرارهم بتلك المنطقة غادروها حين أقنعهم الليبيين بوجود أرض طيبة أفضل من أرضهم، فمضوا

[1] – هيرودوت، تاريخ هيرودوت، الكتاب الرابع، المصدر السابق، ص 351.

[2] – محمد احمد سالم، المرجع السابق، ص 46.

[3] – نفسه، ص 46-47.

[4] – نفسه، ص 48.

بهم إلى الشط الغربي وراعوا في سيرهم أن يدركهم الليل وهم يمرون بمكان يقال له "أيراسا" –لعله أم الرزم وهو أخصب مكان في بلادهم–، حتى لا تقع أعين الإغريق عليه، إلى أن وصلوا بهم إلى مكان يقال له نبع أبوللو، حيث قالوا لهم: **"هذه أرضكم لتستقروا فيها، لأن السماء هنا مثقوبة يسيل منها الماء بلا انقطاع"**[1].

يتضح من الرواية السابق ذكرها أن الليبو الذين قادوا إغريق ثيرا إلى نبع أبوللو إنما هم "الجيليجاماى"، ويبدو أنهم حرصوا على إخراج الإغريق من مواطنهم والذهاب بهم إلى مواطن جيرانهم "الأسبوستاي" حيث نبع أبوللون، ولم يبخل عليهم الأسبوستاى بالمساعدة في إنشاء مستعمرة قوريني في عام 631 ق.م[2]. حيث كان النزاع القائم بين القبائل اللوبية عامل مساعد على نجاح الإغريق في تكوين مستوطنة بكل سهولة لهم في ليبيا، دون مقاومة تذكر من القبائل.

يضم إقليم قورينائية عددا هاماّ من القبائل اللوبية ذكرها هيرودوت بشيء من التفصيل، من بينها:

أ ــ الأديرماخيد (Adyrmachides): وهم مجموعة بشرية تسكن على الساحل وهي أول قبيلة يذكرها هيرودوت انطلاقا من مصر ويمتد مجالهم من ميناء بلينوس وكانت هذه المنطقة تمثل الحدود بين برقة ومصر[3].

ب ــ الكيليكام (Giligammes): تمتد أرضهم غرباً حتى جزيرة أفروديسياس[4]، وفي الوسطتقع بلاطية[5]، وهي الجزيرة التي استوطنها القورينيون[6].

ج ــ الأسبيست (Asbystes): يقطنون إلى الداخل من قورينة، وقد أجلاهم الإغريق مـــن

---

[1] – هيرودوت: تاريخ هيرودوت، الكتاب الرابع، المصدر السابق، ص 355.

[2] – مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق، ص 56.

[3] هيرودوت، أحاديث هيرودوت عن الليبيين، المصدر السابق، ص 36.

[4] ربما جزيرة كرسه غرب درنة بليبيا الحالية كانت توجد غرب بلاطية.

[5] بلاطيه (Platea): أشار إليها هيرودوت مرات عديدة. أسس فيها الثيريون اليونان مؤسستهم الأولى بليبيا خلال القرن السابع ق.م. وحسب ما ذكر هيرودوت فقد كان لها اتساع مدينة قرينة. ينظر: هيرودوت، أحاديث هيرودوت عن الليبيين، المصدر السابق، ص 38.

[6] نفسه، ص 38.

أراضيهم التي تأسست بها مستعمرة قورين وأبعدوهم نحو الجنوب، مع أنّ علاقتهم بالإغريق في البداية كانت حسنة، ويتميز الأسبيست عن كل الليبيين بركوبهم عربات تجرها أربعة خيول[1].

قامت مستوطنة قوريني كما اتضح فيما بعد ونظراً لما يمتاز به موقعها على أساس زراعي بالدرجة الأولى ثم تجاري بعد ذلك، لتصبح في وقت قصير دولة مدينة(City State) متكاملة الأركان المتعارف عليها لقيام دولة، بدليل منشآتها الدستورية، منذ زمن مبكر من قيامها وعلاقاتها مع غيرها من مدن المنطقة أو مدن العالم الهلليني أو الروماني فيما بعد[2].

كان باتوس الأول (639-599 ق.م) الذي حكم أربعون سنة زعيم المهاجرين الذين استوطنوا قوريني قد أصبح ملكاً عليها أو عليهم، وكان قد جمع في يديه كافة الاختصاصات الدينية والمدنية والعسكرية، ويبدو من الأحداث التالية ومما تمتع به هذا الزعيم بعد وفاته من تقدير وتقديس ومما يُنسب إليه كملك، أن صورة الغزو والاحتلال التي كُشفت فيما بعد ظلت طيلة عهده مقنَّعة[3].

3)- **توسع حركة الاستيطان الإغريقي:** بعد تأسيس مدينة قوريني أصبحت مركز عبور للإغريق فكانوا يأتون إليها ثم ينطلقون منها إلى مواقع أخرى على ساحل برقة، حيث يقيمون مستوطنات إغريقية جديدة، وقد تَكّون هنالك مستوطنات إغريقية أقامها إغريق قادمون مباشرة من بلاد اليونان، إلاّ أنّ الغالب هو أن يأتوا إلى قوريني أولاً، ثم ينطلقون منها لإقامة مستوطنات جديدة، وقد أخذ الاستيطان الإغريقي يتوسّع تدريجيا وسيبلغ مداه بازدهار المدن الخمس (Pentapolis)[4]، فأقاموا بالإضافة لكيريني وبرقة مدن "توكرة" التي يرجع تاريخ تأسيسها إلى ما ما بعد إنشاء قوريني سنة 631 ق.م، حيث أسسها قادمون من برقة[5].

---

[1] ويذكر هيرودوت في هذا المجال أن اللوبيين من قبيلة الأسبوستاي قد قاموا بتدريب الإغريق على فنون ركوب العربات. ينظر: نفسه، ص 40.

[2] جميلة عبد الكريم محمد، قورينائية والفرس الأخمينيون منذ إنشاء قوريني حتى سقوط أسرة باتوس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، د.ت.ن، ص 294.

[3] نفسه، ص 294.

[4] محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع، المرجع السابق، ص 71.

[5] عبد اللطيف البرغوثي، المرجع السابق، ص 263.

ومدينة "يوسبيريدس" إذ يذكرها قودشايلد (Goodchild) بأن مستوطنين من برقة هي الأخرى قدموا إليها قبل سنة 515 ق.م[1]، و"طلميثة" التي تعد من أهم الموانئ، ويرجح أنها أقدم من برقة بالرجوع إلى الآثار التي اكتشفت بها، و"أبولونيا" والتي من المحتمل أن أهل قوريني قاموا بتأسيس ميناء لمدينتهم فوقع الاختيار على المكان الذي لا تزال آثاره قائمة إلى الآن بمدينة سوسة و"دارنيس" و"انتيبرجوس" وغيرهما من المواقع التي لا يمكن أن يفوت الإغريق فرصة الاستفادة منها واستغلالها[2].

على أن هذا الإقليم كان يتمتع بمناخ ووضع جغرافي جعل منه الإمتداد المنطقي لحضارة بحر إيجة، حيث لا تبعد كريت عن ساحل شمال إفريقيا الشرقي إلاّ بالمسافة التي تبعد بها عن أثينا[3] ولأن الأرض كانت بيت القصيد الذي أزعج الإغريق ودفعهم للبحث عنها في أماكن بعيدة فيما يُعرف بحركة الاستعمار، فقد كان كل مستوطن جديد يصل إلى إقليم قوريني يُمنح قطعة أرض لاستغلالها. ولهذا لعبت الأرض الزراعية دوراً مهماً في تاريخ المنطقة، حتى أن صراعا اشتعلت نيرانه بين السكان الأصليين (اللوبيين) وبين الوافدين (الإغريق)، أدت حروب هذا الصراع إلى طرد أهل الأرض ودفعهم إلى المناطق الصحراوية، وبسرعة قام الإغريق بالاستيلاء على أغلب المناطق وأسسوا المدن والقرى، وقاموا باستغلال الإقليم بكل ما يملكون من طاقة لضمان البقاء بصفة دائمة[4] وأطول فترة ممكنة.

وإذا ما رسمنا خريطة بخصوص توزيع المناطق التي استوطنها الإغريق، والمجالات التي كانت تقطنها القبائل الليبيّة، نلاحظ أن الإغريق قد احتلوا تقريباً كل "الهلال الخصيب" في قورينائية، أي أنّهم احتلُّوا الجبل الأخضر وهضبة مدينة برقة، وكل امتداد القطاع الشمالي الغربي للشريط الساحلي، ما بين "تاوخيرا" (العقورية) و"أبوللونيا" (سوسة) وإقليم "يوسبيريدس" (بنغازي) هو

---

[1] Goodchild, R.G, Benghazi the story of city, Department of antiquities, Cyrene (Shahat), Cyrenaica, Libya, 2nd Edition, Lamin Hasni's Press, P 1.

[2] عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص ص263- 267.

[3] فرانسوا شامو، المرجع السابق، ص 187.

[4] نفسه، ص 187.

وحده الذي يُستثنى من هذه المنطقة التي تتجاوز كمية الأمطار فيها ثلاثمائة ملمتر، وهذا التطابق الطبوغرافي بين المنطقة التي ترويها مياه الأمطار وبين منطقة الإستعمار الاستيطاني الإغريقي كانت مدروسة، فالإغريق الذين كانوا قد حطُّوا في شرقي قورينائية بقوا فيه فترة قصيرة دون أن يتركوا وراءهم مستوطنات دائمة هناك، والشيء الذي كان يتطلّع إليه هؤلاء هو الإستقرار في مناطق صالحة للزراعة، فصادروا جميع الأراضي الزراعيّة، وتركوا لليبيين مناطق السهوب الجرداء التى أُرغموا للنزوح إليها[1].

بذلك نشب النزاع بينهم وبين جيرانهم الليبو، بسبب أنهم أرادوا التوغل في المناطق الداخلية للبلاد والاستيلاء على أراضي القبائل الخصبة، فلجأ الثيرانيون إلى استخدام القوة لتحقيق طموحاتهم في الإستيلاء على المزيد من الأراضي الخصبة، على الرغم من أن علاقتهم في البداية كانت ودية مع الليبو حيث عقدوا معهم معاهدة صداقة وحسن جوار[2].

ثالثا– علاقة نوميديا بالإغريق: يبدو أن احتكاك أمراء نوميديا باليونانيين يعود إلى الألف الثالثة قبل الميلاد، خلال هجمة شعوب البحر على ساحل شمال إفريقيا، حين هُزِم أحدُ الملوك الليبيين المتحالفين معهم ضد مصر، وربما تكون الصلات قد حدثت منذ زمن أبعد يرجع إلى العصر المينوسي في كريت[3].

1)- **نوميديا في كتابات الإغريق:** تجدر الإشارة إلى ما يطبع علاقة نوميديا ببلاد الإغريق يستحق التوقف عنده، وذلك للطابع السلمي الاقتصادي والثقافي الذي ساد تلك العلاقات. وقد تمثل الحضور الإغريقي في نوميديا في نصوص المؤرخين الإغريق والرومان الذين أشاروا فيها إلى الدولة النوميدية ووجود النقوش الإغريقية نفسها.

تحدثت النصوص الإغريقية خلال الحرب البونيقية الثانية عن مملكتا نوميديا وموريطانيا، والأكيد أن تاريخ هاتين المملكتين هو أقدم من ذلك بكثير[4]، حيث يكون قد تعاقب على حكم

[1] – فرنسوا شامو، المرجع السابق، ص ص، 285-286.

[2] – غوليا لم ناردوتشى، المرجع السابق، ص 23.

[3] – بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 84.

[4] – محمد الهادي حارش، محاضرات، المرجع السابق، ص 97.

المملكة ملوك عديدون متسلسلون من يرباس (Hiarbas) إلى قايا (Gaïa) على امتداد فترة طويلة (814؟-206؟ ق.م) ولكن لا نعرف شيئا، لأن المصادر الأفريقية تعرّضت للتلف، في أعقاب تدمير قرطاج وحرق مكتبتها، وبالمقابل فإنّه منذ بداية الحروب البونية حملت لنا المصادر الإغريقية معلومات مهمّة عن الشمال الأفريقي عموما وعن مملكة الماسيل على وجه الخصوص[1].

والإغريق على غرار القرطاجيين كانوا لفترة طويلة من التاريخ يطلقون اسم نوميد على كّل الأفارقة غير الخاضعين لحكم قرطاجة، مفضلين في ذلك الاحتفاظ باسم ليبيا في الإشارة إلى الأهالي الساكنين في الإقليم الخاضع لتلك المدينة(قرطاجة)، وفي ما يتعلّق بالسكّان الليبيين في أقصى الغرب، نراهم يطلقون عليهم اسم المور بدل النوميد[2]، فالمور أو موروسيوي(Maurousioi) استعملت في النص الإغريقي الذي نقشه حنيبعل بلغتين، كما استعمله ديودور الصقلي في الكلام على أحداث جرت خلال نهاية القرن الخامس ق.م، وقد استخدم بعض الإغريق في العهد الإمبراطوري مصطلح موروي(Mauroi) عوضا عن موروسيوي(Maurusioi)، وقد استخدم الرومانيين الذين كانوا يستعملون المراجع الإغريقية الإسم بصيغة موروسي(Maurusii)[3]، وفيما يلي عرض لأهم النقوش والمؤلفين الأغريق الذين كتبوا عن نوميديا:

أ)- النقوش الإغريقية: هناك نص إغريقي يتعلق بكتابة كان حنيبعل قد نقشها بلغتين في إيطاليا وذكر فيها الشعوب الإفريقية التي حشد منها الفرسان سنة 219-218 ق.م، من بينهم النوميديين كلاً من المسيليين(Iassyles) والماسيسيليين(Massassyles) والمكويين (Maccoiens) وذكر الموروسيين(Maurusiens)، وإبان حرب الجند المأجور والحرب البونيقية الثانية ذُكر اسم الميكنيين(Micatanes) وهم نوميديون ثاروا على قرطاجة، وكذلك الشأن بالنسبة لنوميديين أخرين يدعون باسم الآرْياكيديين(Aréacides) وكان زعيمهم قد

[1] محمد العربي عقون، ماسينيسا من كفاحه لاستعادة العرش، المرجع السابق، ص 84.

[2] - غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر ماسينيسا أو بدايات التاريخ، المرجع السابق، ص ص، 177-178.

[3] - اصْطيفان اكْصيل، ج.5، المرجع السابق، ص ص، 83-84.

جعل نفسه رهن إشارة حنيبعل حين كان بهَدْروميت(سوسة) سنة 203-202 ق.م[1].

كما قدر عدد النقوش التي عثر عليها في مدينة سيرتا بحوالي 12 نقشا وهي تعود في معظمها إلى القرن الثاني ق.م وما بعده[2].

وقد أرجع "ل.روبير" (L.Robert) انتماءات مقدمي النذر بمعبد سيرتا إلى المرتزقة الثاروسيين (Tharossiens) والمقدونيين (Les Macedoines) الذين بقيت أسماؤهم ضمن أسماء الأعلام الواردة في نصوص النقوش التي عثر عليها في نصب سيرتا[3].

وترجع هذه النقوش للإغريق الأوائل الذين استقروا في مدينة سيرتا، ولذلك كانوا قد قدّموا نذرهم للإله بعل حمون الفينيقي. كذلك فإن تانيت في النقوش الإغريقية كانت قد كتبت تينيت (Thinit) أو ثينيت (Theineth). كما ذكرت في نقيشتين تحت اسمها الحقيقي تانيت. ومن خلال القراءة الصحيحة للنقوش الإغريقية صوبت قراءة ونطق بعض الأسماء البونية، ذلك لأن الكتابة البونية فرع من السامية لا تستعمل الحركات[4].

ب)- إراتُسْطين (Eratosthène): يبدو أن السواحل النوميدية كانت لا تزال مجهولة لدى الإغريق فإن إراتُسْطين(Eratosthène) كتب في الثلث الأخير من القرن الثالث ق.م مؤلفاً ضخماً في الجغرافية، ذكر فيه المقاييس العامة للأرض المسكونة، وبالنسبة لإفريقيا فإنه اعتمد على رحلة حنّون ويحتمل أنه استخدم وصفاً لسواحل المحيط لأحد معاصري "أكاطُكْليس" وهو أوفلاس(Ophélas) المتأمر على مدينة قورينة، ويبدو أن صاحب المؤلف جمع معلوماته عن مقال في الموانئ ألفه القائد البحري الإغريقي المصري "تيموسْطين"(Timostène) في سنة 260 ق.م وكان يجهل السواحل فيما بعد قرطاجة، ذلك لأن القرطاجيين كانوا يمنعون من

[1] - اصْطيفان اكْصيل، ج.5، المرجع السابق، ص ص، 82-83.

[2] A.Berthier et L'A. Charlier (A.B), Le sanctuaire punique d'El-Hofra à Constantine, Arts et métiers graphiques, Paris, 1955, pp 167-169.

[3] L.Robert, variété. Revue Archéol.,1933,II,pp141-177.

[4] محمد الصغير غانم، الفن الزخرفي والكتابة البونية في نصب سيرتا النوميدية، دار الهدى، الجزائر، 2013، ص ص 142-145.

الوصول إليها[1].

جـ)– آتيني: وقد خلف الكاتب اليوناني المصري "آتيني" الذي عاش خلال القرن الثالث ق.م ذكرى الرحالة الاستكشافي القرطاجي "حنون الماغوني" الملقب بقطاع البحور، حيث كان هذا الأخير قد قام برحلة حوالي سنة 480 ق.م بأمر من ملك قرطاجة، ووصل إلى ما وراء أعمدة هرقل وأسس مدنا إقتصادية قرطاجية بسواحل بلاد المغرب القديم[2].

د)– بوليبيوس (207–126 ق.م): إلتقى المؤرخ اليوناني بوليبيوس[3](Polybe) الذي كان بصحبة القائد الروماني "سيبيون الإيميلي"(Seipion Emilien) بالملك النوميدي مسينيسا، وخصه ببعض الوصف الجسماني والمعنوي، منه أن هذا الأخير كان شديد البأس قوي الإرادة ذا عزيمة لا تثنيها المحن والعوائق والأخطار، وكان طويل القامة قوي البنية محتفظاً بحيويته ونشاطه ومقاوماً الشيخوخة من صحته ولم تأثر عليه السنون والأهوال[4]، كما يفهم أيضا من نصوص بوليبيوس، بأن "جايا" أحد أجداد ماسينيسا كان أول من اعتلى عرش نوميديا الشرقية[5] ويصادف حكمه ثورة الجيش المأجور (241–237 ق.م). وقد انظم إلى جانب القرطاجيين في حروبهم ضد سيفاقس، وذلك سنة 213 ق.م[6].

يعد كتاب "التواريخ" لبوليبيوس مصدراً هاماً بالنسبة للمؤرخين المتخصصين في الفترة

---

[1] – اصْطيفان اكْصيل، المرجع السابق، ج.5، ص ص، 18–19.

[2] – حفناوي بعلي، أثر الأدب البونيقي الإفريقي في الأدب اللاتيني والعالمي، إنانا للطباعة والنشر، دمشق–سوريا، 2010، ص ص، 20–21.

[3] – ولد المؤرخ الإغريقي الكبير بوليبيوس الذي يعد مصدرا رئيسيا في تاريخ المغرب القديم حوالي 200 ق.م في ميجا لوبوليس جنوب اليونان، نقل إلى روما كرهينة مع ألف يوناني، حيث قضى عدة سنوات فيها درس أثناءها أخلاق الرومان ونظمهم، وتعرف على أقطابهم منهم ايميليوس وسكيبيو ايميليانوس، ورافق القائد الروماني سكيبيو في حملته الإفريقية 147–145 ق.م. ينظر، أحمد السليماني، تاريخ ملوك البربر في الجزائر القديمة، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007م، ص ص، 36–37.

[4] – محمد البشير شنيتي، أضواء على تاريخ الجزائر القديم بحوث ودراسات، دار الحكمة، الجزائر، 2003م، ص 38.

[5] مملكة نوميديا الشرقية (مملكة الماسيل): نسبة إلى قبائل الماسيل، وقد اعتبر بعض المؤرخين المعاصرين الملك إيلماس (Ailymas)، كأقدم ملوك الماسيل، غير أنه عرفت هذه المملكة أفضل خلال القرن الثالث ق.م بفضل كتابات المؤرخين الإغريق. ينظر: محمد الهادي حارش، الجذور التاريخية للممالك النوميدية، المرجع السابق، ص 277.

[6] Polybe I, XV,13.

البونية، فقد رأى مدينة قرطاجة قبل تنفيذ قرار تحطيمها وحرقها من قبل الفيالق الرومانية سنة 146 ق.م، بوصفه المؤرخ الرسمي للحملة الرومانية، بل هو من بين المؤرخين القلائل الذين قاموا باستكشاف القارة اللوبية عبر سواحلها الشمالية الغربية، وبالتالي اطلع عن كثب على بعض مظاهر حياة المدن والأرياف الليبوفينيقية واللوبية، واحتك بغير القرطاجيين ممن كانوا يسكنون شمال إفريقيا، وقد سمحت إقامته الرسمية في البلاد من التعرف على أبرز معالم الحضارة البونية، وعاين عن كثب بعض مظاهر العلاقات التي كانت تربط اللوبيين بالدولة القرطاجية، ولا شك أنه اطلع على وثائق ومصادر بونية لم يطلع عليها أحد من قبله من الإغريق واللاتين، التي وصلت إلينا بعض مؤلفاتهم[1].

وفي سنة 147 ق.م قدم سِيبْيون رهن إشارة المؤرخ اليوناني بوليبيوس(Polybe) بعض السفن فقام برحلة على طول السواحل متوغلا إلى ما بعد أعمدة هرقل وكان بصحبته إغريقي آخر شهير هو بنابتيوس(Panactius)[2]. ومن ثم يعد كتاب بوليبيوس من أوثق مصادر اليونان عن تاريخ شمال إفريقيا ونوميديا في العصر القديم.

هـ)– أتيمدور الأفْسوسي: كتب أتيمدور الأفْسوسي(Arlémidore d'Ephèse) في نهاية القرن الثاني ق.م مؤلفاً قيّماً في الجغرافيا وصف فيه بالتفصيل شواطئ البحر الأبيض المتوسط، كما قام فيه بعرض بعض الشواطئ التي تقع على بحار أخرى، وكان قد قام برحلات إستكشافية تجاوز فيها أعمدة هرقل، ووصف شواطئ بلاد البربر وقد تجاهل الأهالي[3].

و)– ديودور الصقلي (92–30 ق.م): خلال القرن الرابع نجد ذكرا للملوك النوميديين مرتين: المرة الاولى عند يوستينوس الذى حدثنا عن ملك "ماورى" الذي استنجد به "حنون" للاستيلاء على السلطة في قرطاجة، والثانية عند ديودور الصقلى الذي ذكر تحالف الملك

[1] – حفناوي بعلي، المرجع السابق، ص ص، 32-33.

[2] – اصْطيفان اكْصيل، ج.5، المرجع السابق، ص 20.

[3] – نفسه، ج.5، ص ص، 20-21.

ايليماس[1](Ailymas) مع أجاثوكليس (Agathocles) أثناء حملة هذا الآخير على بلاد المغرب[2].

وقد علق اصطيفان قزال قائلا: **"إن حملة أكاطُكْليس التي وقعت في نهاية القرن الرابع ق.م قد عرّفت الإغريق بالعشائر التي كانت بتونس وبشرق الجزائر، وقد تحدث عنها ديودور الصقلي نقلا عن واحد أو عن عدد من الكُتاب الذين عاصروا الأحداث واستطاعوا الرجوع إلى مصادر حسنة، ومع ذلك فإن روايته لا تهتم بالأهالي إلا قليلا، وبهذا ففائدتنا منه تكون هزيلة جداً"**[3].

رغم هذا الحكم القاسي من قبل المؤرخ ستيفن غزال، إلا أن ديودور الصقلي يعتبر من بين المؤرخين الإغريق الذين كتبوا تاريخ العالم في كتابه الشهير "المكتبة التاريخية" الذي يتألف من 40 كتاباً أو جزءاً، مع الأسف بقى منها سوى الكتب من: 1 إلى 5 ومن:11 إلى 20 وشذرات من بقية الكتب: 21 إلى 40، وقد تعرض الكاتب إلى تاريخ شمال إفريقيا في الأجزاء من 1 إلى 3[4].

ز)– استرابون (60 ق.م–24م): وصف مازسيليا[5]، بأنها كانت منطقة مزدهرة ومستثمرة بصفة أحسن. وفي هذا الصدد يذكر المؤرخ استرابون: أن البعض من المازسيليين كانوا يقطنون أرضا تغل

[1] أشار نفس المؤلف (ديودور الصقلي) إلى أن عاصمة هذا الملك، كانت مدينة توكاي (Tokai) التي يجمع المؤرخون على اعتبارها هي مدينة ثوق. ينظر: محمد الهادي حارش، الجذور التاريخية لمملكة نوميديا، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، العدد: العاشر، القاهرة، دت، ص274.

[2] – Diodore, XX, 17-1 et 18-3.

[3] – اصْطيفان اكْصيل، ج.5، المرجع السابق، ص 18.

[4] – أحمد السليماني، تاريخ ملوك البربر في الجزائر القديمة، المرجع السابق، ص 37.

[5] مازسيليا أو مملكة نوميديا الغربية: نسبة إلى قبائل المازيسيل (Masaesyles)، الذين ظهروا كقوة منذ أواخر القرن الثالث ق.م وأوائل القرن الثاني، وإن كنّا لا نعرف شيئاً تقريباً عن ظروف تشكل هذه المملكة، التي دخلت في حسابات المتنازعين خلال الحرب البونيقية الثانية، والتي كان على رأسها آنذاك الملك سيفاكس، والذي أمتدت حدود مملكته وفق سترابون من وادي الملوية إلى رأس تريتون. للمزيد ينظر: محمد الهادي حارش، الجذور التاريخية للممالك النوميدية، المرجع السابق، ص 275.

مرتين في السنة (أي في الربيع والصيف)[1]، كما أشار إلى أن أراضي قبائل المازسيل كانت تمتد من حدود القبائل المورية غربا والتي يفصلها عنها نهر الملوشة (الملوية) وتنتهي حدودها الشرقية عند "رأس تريتون" (Cap. Trêton)[2].

ويصف هذا المؤرخ–نقلا عن محمد الصغير غانم– المنطقة الماسيلية على الشكل الآتي:**"إنه من قرطاجة إلى أعمدة هرقل كانت المنطقة على العموم ثرية وخصبة، ولكنها مليئة بالحيوانات المتوحشة مثلها في ذلك مثل بقية المناطق لوبة الداخلية، ويطلق اسم (Numadas) على جزء من سكان المنطقة الذين كانوا قد استمدوا اسمهم من الحياة التي كانوا عليها في صراعهم مع الحيوانات المتوحشة التي يستحيل معها امتهان زراعة الأرض"**[3]. ويضيف نفس المؤرخ في نص آخر متحاملا على النوميديين: **" إن النوميديين كانوا يفضلون السطو واللصوصية دون توقف، ويتركون الأرض للزواحف والحيوانات المفترسة، ولذلك فإنهم يسايرون حياة التنقل والبداوة، وهم في ذلك متساوون مع الشعوب الذين تحكم فيهم الفقر نتيجة قحولة أراضيهم وجفاف مناخهم"**[4].

يفهم من نصي استرابون بأن النوميديين في بداية أمرهم كانوا غير مستقرين ويعتمدون على الرعي أكثر من الزراعة التي كانت تجعلها الحيوانات المتوحشة تكاد تكون مستحيلة.

ح)– إبيانوس(95– 165م): تعتبر المصادر الإغريقية المهمة عن نوميديا ما كتبه المؤرخ إبيانوس(95– 165م) حيث وصلت معلوماته عن إفريقيا الشمالية بشكل ناقص أو على شكل مقتطفات وردت ضمن مؤلفات الإمبراطور والمؤرخ البيزنطي قسطنطين بورفير، وكذلك في كتب جنيتو حيث تتناول الحروب البونيقية حتى تدمير قرطاجة 146 ق.م[5].

أما أقدم المؤرخين الإغريق هيرودوت لم يذكر قبيلة أو عشيرة أو أية جماعة تحت لفـــــظ

[1] Strabon, II,5,33 ; XVII, 3,6.

[2] Ibid, XVII, 3,9.

[3] محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، ج3، المرجع السابق، ص 36.

[4] نفسه، ج3، ص 36.

[5] – أحمد السليماني، تاريخ ملوك البربر في الجزائر القديمة، المرجع السابق، ص 37.

"نوميد" بالمعنى الذي شاع به ابتداء من القرن الثالث ق.م عند الرومان، وكل ما أورده هيرودوت من ألفاظ قريبة من صيغة "نوميد" هو ما يتضمن معنى البداوة(Nomadisme) ونعت الأقوام اللوبية على أنها بدوية تعتمد في معاشها على الترحال وتربية المواشي، وقد أخذ المؤرخين الإغريق هذا اللفظ عليه[1].

أمّا التمييز بين الاسمين فلم يتمّ نهائيا إلا بعد أن تعرّف الرومان على وجود مملكة أهلية في المغرب، فهذا أرتيميدور(Artémidore) من القرن الثاني ق.م يعتبر الليبيين الذين يسكنون بجوار أعمدة هرقل نوميداً، وعليه فإن من المحتمل أن يكون التمييز بين النوميد والمور أقدم بكثير إذ كان اسم المور هو مفترض دائما ليس إلاّ تسمية جغرافية من أصل فنيقي، والواقع أنه في عهد هانيبال كان استعمال هذا الاسم شائعاً، ومدوّن في الأرشيف البوني على امتداد قرون[2].

مكنت الحروب البونيقية خلال القرنين الثالث والثاني ق.م الإغريق من معرفة قليلا سكان المغرب القديم، وتلك المعرفة كانت سطحية حيث استمر الغموض حول حياتهم السياسية والاجتماعية وحضارتهم، ومبلغ اهتمامهم بهم هو بقدر ما شاركوا في الصراع الكبير الواقع بين رومة وقرطاجة[3].

2- علاقة النوميد بالإغريق: بدأت العلاقة في عهد قرطاج بعد أن كان الأمراء النوميد يتجاوزون حدود جيرانهم الفينيقيون، ويبحثون عما يجري في بلاد اليونان البعيدة عنهم، إذ كانت بلاد الإغريق بالنسبة إليهم مركز إشعاع حضاري، ومنهل علم ومعرفة، لا بد من الوصول إليه والإغتراف من معينه لتحقيق شرط التمدن.

أ)- عوامل توطد العلاقة بين النوميد والإغريق: ساهمت مجموعة من العوامل في توطيد العلاقة بين الإغريق والنوميد حيث أنه بعد انفتاح الشمال الإفريقي على العالم المتوسطي أثناء التواجد الفينيقي أصبح الإتصال أكثر سهولة ويسراً خصوصاً بعد الإنتشار الإغريقي عبر الحوض الغربي للمتوسط واستقرار جاليات يونانية ببرقة وصقلية وسردينيا وقيام البحارة الإغريق بمحاولاتهم

[1] - مجموعة مؤلفين، الجزائر النوميدية، المرجع السابق، ص 45.

[2] - غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر ماسينيسا المرجع السابق، ص ص، 177-178.

[3] - اصْطيفان اكْصيل، ج.5، المرجع السابق، ص 20.

لاكتشاف البلاد الواقعة خلف القرطاجيين(أي نوميديا وموريطانيا)، لا سيما أن حالات التوتر في العلاقات بين نوميديا وقرطاجة كانت عاملاً مشجعاً للإغريق كي يقدموا على توطيد علاقاتهم بالنوميديين نظراً لاتفاق وجهة نظر الطرفين إزاء القضايا المتوسطية ومنها الرغبة في الحد من هيمنة قرطاجة البحرية ونفوذها التجاري[1].

وقد مكن التوسّع الإقليمي الكبير للمملكة الماسيلية وإمتلاكها قوّة بحرية من وراثة جزئياً الإمبراطورية القرطاجية، فمن المولوشة إلى منطقة طبرقة أصبحت الأساكل[2] البونية مرافئ نوميدية، كما أن امتلاك الإمبوريا في السيرت الصغير والمنطقة الطرابلسية يضمن السيطرة التامة على الصادرات النوميدية باتجاه العالم الإغريقي[3]، وبالتالي زال الطوق القرطاجي الذي كان يعزل عمق الشمال الأفريقي عن العالم الخارجي، وأصبحت المملكة النوميدية مجاورة لقورين الإغريقية ومنفتحة على العالم الإغريقي، وتحرّرت من الثنائي القرطاجي الروماني لترتبط بعلاقات تجارية مع الإغريق فتسرّبت تأثيرات الحضارة الهلينية إلى المنطقة[4]، ومن ثم أصبح الملك ماسينيسا يمتلك كثيرا من الموانىء ذات التقاليد الملاحية العريقة، كما كانت له بحرية تحمي تجارته، وعلى عكس القرطاجيين الذين كانوا يغلقون الموانىء بصرامة في وجه الشعوب الأخرى، قام ماسينيسا باجتذاب التجار الإغريق والمصريين والسوريين والإيطاليين[5].

ب)– عهد الملك سيفاقس: ملك نوميديا الغربية(مازيسولة) سيفاكس كان يقلد ملوك اليونان مع أنه أقرب إلى قرطاجة منهم، بل تزوج من أميرة قرطاجية مع هذا لم يثنه ذلك عن تطلعه نحو المدنية الإغريقية[6]، وأقام علاقات وطيدة مع الإغريق.

---

[1] – اصْطيفان اكْصيل، ج.5، المرجع السابق، ص 20.

[2] الاسكالات: عبارة عن محطات تجارية مؤقتة مبنية بمواد بسيطة سريعة الزوال، يستريح فيها التجار الفينيقيون من عناء السفر عبر البحر ويتزودون فيها بحاجاتهم من الماء والغذاء. ينظر: Cintas (P) Fouille punique à Tipaza, R.AS.N416-417,1948, P 275.

[3] – غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر ماسينيسا أو بدايات التاريخ، المرجع السابق، ص ص، 238-239.

[4] محمد العربي عقون، ماسينيسا من كفاحه لاستعادة حقه في العرش، المرجع السابق، ص 101.

[5] – غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر ماسينيسا أو بدايات التاريخ، المرجع السابق، ص ص، 238-239.

[6] – بوزياني الدراجي، ملامح تاريخية للمجتمعات المغربية– سلسلة العصبية القبيلة–، المرجع السابق، ص 84.

يفسر لنا المؤرخ محمد البشير شنيتي هذا التجاوز بعدم التوافق بين الملك النوميدي سيفاكس والقرطاجيين آنذاك، وأن الخصومة كانت قائمة بين الطرفين حول المدن الساحلية والموانىء الواقعة على سواحل مملكته، إذ كان سيفاكس يعمل على ضم تلك المراكز والعمل على جعلها منفذ لمملكته على العالم المتوسطي، بينما كانت الإستراتيجية القرطاجية تقتضي الإحتفاظ بها لضمان الإمدادات للجيوش المرابطة بإسبانيا من جهة وتواصل الحركة التجارية بين العاصمة قرطاجة والغرب من جهة أخرى[1]. فكانت عملية التوجه إلى اليونان نوع من أنواع المقاومة ضد المد القرطاجي التي إختارها سيفاكس لتفادي التأثر بهم.

جـ)– ماسينيسا والإغريق: ترجع بعض الدراسات الحديثة بداية انفتاح الملك ماسينيسا على العالم الإغريقي إلى مطلع القرن الثاني ق.م من خلال العلاقات السياسية التي ربطته مع ملوك المستوطنة الإغريقية بقورينة[2].

كان ملك نوميديا الكبرى ماسينيسا مولعاً بالمدنية الإغريقية[3]. ومن بين الأمثلة على ذلك القصر الفسيح الذي شيده في عاصمته، حيث كان يجلس في إحدى قاعاته مصغيا إلى معزوفات الموسيقيين الإغريق[4]، وإحياء احتفالات المآدب الفاخرة التي كان يقيمها الملك والتي كانت أوانيها من الذهب والفضة والأشياء الفاخرة[5].

ولكن موقع هذا القصر لا يزال مجهولاً، ويظهر أنه كان بقصبة المدينة التي كانت تشكل أكروبولا مماثلاً لاكروبول مدينة أثينا، ورأى البعض في الرسم الذي على ظهر قطعة نقد نوميدية قديمة صورة طبق الأصل للواجهة الأمامية لذلك القصر، فهي تمثل واجهة مبنى فخم تتقدمه أعمدة جميلة من طراز يوناني، يتوسطها مدخل في شكل قوس كبير يحيط مدخلين صغيرين

[1] – محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص ص، 31-32.

[2] – شامو فرانسوا، المرجع السابق، ص 43.

[3] – بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 84.

[4] – محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص ص، 49-50.

[5] – Titius Livius, XXX, 12.

ينحصران بين الأعمدة، وعلى الواجهة العليا أبراج تبدو وكأنها مرابض حراس القصر[1]. وقد نعته المؤرخ المستشرق كابريال كامبس بأنه كان يقيم بقصره بسيرتا ولائم جديرة بملك هلينيستي[2].

أما موقف ماسينيسا تجاه المدن الإغريقية، فإنه لم يبخل بمد يد الصداقة إلى الكثير منها لا سيما رودس (Rodes) التي كان يقدم لها خشب العفصة والعاج[3]، كذلك كانت له صداقة متينة مع جزيرة ديلوس (Delos) التي كان يزودها بالقمح، وقد حصل من وراء ذلك على كمية معتبرة من العملة الفضية قدمت لمعبد الإله أبولون[4].

ونظرا للعلاقات الوطيدة التي أقامها الملك النوميدي ماسينيسا مع الإغريق قاموا بتخليد اسمه في نصوص أثرية معاصرة له أو ما بعد وفاته، وهي ثلاثة نصوص إهدائية وجدت في ديلوس(Délos) أحدها في نصب أقامه "نيقودوس"[5] ملك بيثونيا[6]، والأخرى ضمن قائمة الألعاب الأثينية[7]، التي ذكر من بين المنتصرين فيها إبنه مسطانبال الذي شاركت خيوله في سباق سنة 168 ق.م[8] ونال على إثرها ميدالية الفوز[9].

أما النص الثالث فهو نص أثري بوني أكتشف في مدينة شرشال وهو عبارة عن نصّ إهدائي جنائزي للملك ميكيبسا، تضمن هو الآخر اسم ماسينيسا، وقد ورد ضبط إسمه في النقوش الإغريقية هكذا (Masannasas)[10].

---

[1] – محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص ص، 49-50.

[2] – غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر ماسينيسا أو بدايات التاريخ، المرجع السابق، ص 224.

[3] أصطيفن أكصيل، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج3، ص 307.

[4] P.Roussel et J.Hatzfeld, Fouilles de Delos, Inscription dédicae du roi Nikomedes au roi Massinissa, Bull. de Corren, T.XXXIII,1909,pp 473-522

[5] أقام نيقوميدوس ملك بيثونيا هذا التمثال في تاريخ لا يمكن أن يكون سابقاً لسنة 149 ق.م (لأنّها السنة التي افتكّ فيها تاج والده بروسياس). ينظر: قابريال كامبس، في أصول بلاد البربر، المرجع السابق، ص ص، 225-226.

[6] P.Roussel et J.Hatzfeld, Op-cit, pp 473-522

[7] – غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر ماسينيسا أو بدايات التاريخ، المرجع السابق، ص ص، 225-226.

[8] Titius Livius, L.

[9] محمد العربي عقون، ماسينيسا من كفاحه لاستعادة حقه في العرش، المرجع السابق، ص 101.

[10] – غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر ماسينيسا أو بدايات التاريخ، المرجع السابق، ص 227.

وهذا تاجر أثيني يتباهى بأنه صديق الملك ويقوم بنصب تمثال له في ديلوس، وقد عرفت ديلوس الجزيرة المقدّسة اسم ماسينيسا من التجّار إجلالا وتمجيدا له، كما احتفظ نصّ آخر منقوش على لوح رخامي يعود إلى ذات الفترة باسم "قولوسا" أحد أبناء ماسينيسا الثلاثة الذين خلفوه[1].

كما كان الملك ماسينيسا وابنه مكوسن قد فتحا أبواب العاصمة سيرتا على مصرعيها للثقافة الإغريقية. ممّا أدّى بالباحثين إلى القول بوجود جالية إغريقية داخل مدينة سيرتا تتكون من الصناع (الحرفيين) والتقنيين والفنانين والأدباء[2].

وهكذا استفادت مدينة سيرتا من علاقات الصداقة التي كانت تربط الملك مسينيسا بالإغريق(اليونان)، حيث انفتحت أبوابها لأرباب الفن والموسيقى والتجار اليونان[3]، وقد بالغ ماسينيسا وخلفاؤه في تقريب العنصر الإغريقي من القصر واستخدمه في مجالات البناء والتعمير، إلى درجة القول بوجود مدارس إغريقية بسيرتا[4].

ويرجع الباحثون وجود العنصر الإغريقي بكثرة في مدينة سيرتا إلى عهد الملك مسينيسا، وقد ازداد عددهم إلى درجة أنهم أصبحوا يشكلون مجموعة كبرى في قلب المدينة، مع ذلك ظل هؤلاء يكونون جالية ضئيلة بالمقارنة مع عدد سكان المدينة النوميديين، ثم أنهم اندمجوا في مجتمع سيرتا اندماجاً معنوياً، ويبدو أنهم قدموا إليها بكيفية تدريجية ولم يأتوها في صورة نزوح استيطاني كما هو الشأن في الجهات الآخر كقورينا، ومن ثم لا يمكن أن نعتقد بأنهم كانوا يشكلون مجموعة مستقلة، خاصة إذا علمنا أنهم مارسوا العبادة المحلية الليبية الفينيقية وكتبوا نذورهم وشواهد قبورهم بالإغريقية[5].

يمكن الاعتقاد أن يكون الشخص إغريقياً لكي يجد الاستقبال الحسن من قبل ماسينيسا،

---

[1] – غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر ماسينيسا أو بدايات التاريخ، المرجع السابق، ص 241.

[2] – Strabon, XVII,3,13.

[3] – J.Heurgon, Les origines campagniennes de la confédération cirtéenne,dans libya, T.5,1957, pp 7-24.

[4] – محمد البشير شنيتي، أضواء على تاريخ الجزائر القديم بحوث ودراسات، المرجع السابق، ص 50.

[5] – نفسه، ص 51.

وكان يتحادث بمودّة مع التجار الإغريق الوافدين على أفريقيا لشراء قردة الماقو، وقد ذكر أحد التجّار الأغريق أنّه صديق الملك وكتب اسمه في نصّ إهدائي على لوح رخامي[1]. كما استقبل بعناية كبيرة بوليب الذي يذكر في كتاباته أخباراً سمعها عنه شخصياً[2].

تجدر الإشارة إلى أنّ ماسينيسا المتشبع بالثقافة البونية استعمل جهده لمواكبة الحركة الهلينية، واعترف له الإغريق على الخصوص بذلك، وتضاعف الاحتكاك ببلاد الإغريق على امتداد حكمه، ولا تزال بعض الشواهد الأدبية والمنقوشة والأثرية من تلك المبادلات والعلاقات قائماً، وهو ما جعل فترة حكمه فترة انفتاح بلاد المغرب على التأثيرات الإغريقية في المدن الساحلية وبالمدن الداخلية التي اتخذها الملك عواصم له[3].

وعرفت سيرتا تطوراً ملحوظاً في عهد مكيبسا(مسيبسا)، حيث تشبعت بالحضارة الإغريقية أكثر من السابق، إلى درجة أن بعضهم وصفها بالإنغماس في الثقافة الهلينستية لكنها ظلت بونيقية اللغة، وقد تزاوجت في عمارتها ومبانيها الأساليب البونيقية الأصيلة والإغريقية الحديثة[4].

وقد واصال ميكيبسا وشقيقيه ماسطانبال سياسة أبيهما المعجب بالحضارة الهلينية، فقد تلقيا تكويناً إغريقياً عميقاً مثلما أخبرنا به المؤرخ الروماني تيتيوس ليفيوس، وخصة مسطنبعل الذي تثقف في بلاد الإغريق وألمّ بآدابها[5].

وتمّ تزيين المدن بأفخر العمائر اليونانية، وازداد نشاط الجالية الأجنبية نموّاً ففي عام 113 ق.م كان عدد التجّار الإيطاليين كافيا لضمان الحماية لأدربال في دخوله إلى سيرتا والاشتراك بفعالية في الدفاع عن المدينة، وكانت إبادتهم السبب الحقيقي للحرب ضدّ يوغرطة، ووجود الجالية الأفريقية في المدينة كان أقدم وأكثر عددا[6].

دلت الاكتشافات الأثرية عن الامتزاج الاجتماعي بين مختلف الشرائح، حيث كانـــــت

[1] – غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر ماسينيسا أو بدايات التاريخ، المرجع السابق، ص 244.

[2] – Polybius, IX, 25.

[3] – غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر ماسينيسا أو بدايات التاريخ، المرجع السابق، ص 239.

[4] – محمد البشير شنيتي، أضواء على تاريخ الجزائر القديم بحوث ودراسات، المرجع السابق، ص 51.

[5] – Titius Livius, L.

[6] – غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر ماسينيسا أو بدايات التاريخ، المرجع السابق، ص ص، 289-290.

سيرتا تأوي التجار الأجانب وأصحاب الحرف من مختلف الجنسيات كما أن أسماء الأعلام الواردة في النصوص البونية تدل على تعايش هذه العناصر الأجنبية[1]، ولعل أفضل الروابط التي جمعت تلك العناصر هي المصلحة الإقتصادية التي كان لكل عنصر فيها نصيب، ولقد اتصف سكان سيرتا من النوميديين بالتسامح إزاء العناصر الأجنبية النافعة، فأظهروا تخلصهم من عقدة العرقية والعصبية الرعناء المنافية للتفتح[2].

يمكن الذهاب إلى ما استنتجه غابريال كامبس وهو أنه بالرغم من أن اليونان تمكنوا من إغراق إفريقيا بموج من المستوطنين فإن الهلينية(Hellénisme) سيكون لها القسم الأكبر فالمدن الأفريقية كانت قد تلقّت شيئا منها عبر العالم الفينيقي دون أن تحقّق شيئا من الرسوخ، وما النقوش الإغريقية بمعبد بعل أمون في سيرتا إلاّ صورة من ذلك الفشل، لأنّ الإغريق في نوميديا هم أيضا تبونقوا [3]!

من خلال ما تم طرحه أستطيع الاستنتاج أن ليبيا كانت ضمن الاستراتيجية التوسعية لدى الإغريق، لأنها كانت ولا زالت تتمتع بموقع جغرافي متميز يتوسط الضفة الجنوبية لحوض المتوسط مما وفر لها استقراراً سياسياً جيداً، كما أن العوامل المساعدة التي توافرت على صعيد المنطقة قد ساهمت بشكلٍ رئيس في تدعيم عمليات الاستيطان.

إن القبائل اللوبية كان لها الفضل الأكبر في تقديم العون والمساعدة الوافدين الإغريق، لا سيما في الفترة الأولى من تأسيس المستوطنات، وفترة تطورها وازدهارها فيما بعد، وذلك رغبة من العنصر المحلي في التواصل الحضاري مع العنصر الوافد في مختلف أوجه النشاط الإنساني.

بعد الإنتشار الإغريقي واستقرار جاليات يونانية بقورينائية ، أقام البحارة الإغريق علاقات وطيدة مع نوميديا وموريطانيا، خاصة بعد توتر العلاقات النوميدية القرطاجة التي كانت عاملاً مشجعاً للتواصل لا سيما في عهد الملك ماسينيسا وأبنائه.

[1] محمد الصغير غانم، الفن الزخرفي والكتابة البونية في نصب سيرتا النوميدية، المرجع السابق، ص11.

[2] – غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر ماسينيسا أو بدايات التاريخ، المرجع السابق، ص 56.

[3] – نفسه، ص 367.

الفصل الثاني:

العلاقات الاجتماعية

المبحث الأول: تواجد المجتمع الإغريقي ببلاد المغرب القديم ومميزاته.

المبحث الثاني: الحياة الاجتماعية.

المبحث الثالث: الحياة اليومية.

تمثلت العلاقات الاجتماعية في حدوث ذلك التمازج والانصهار بين العناصر المحلية اللوبية والعناصر الوافدة من الإغريق، فكان هناك تواصل وتبادل بين العناصر السكانية في المنطقة، يتضح ذلك من خلال العادات والتقاليد الاجتماعية والدينية والسياسية التي تمت مبادلتها بين الأطراف المتواجدة في المنطقة.

المبحث الأول: تواجد المجتمع الإغريقي ببلاد المغرب القديم ومميزاته: سأدرس هذا المبحث من خلال العناصر الآتية:

أولا– العلاقة بين المستوطنين الإغريق والأهالي اللوبيين: شهدت العلاقات اللوبية الإغريقية تنوعاً فيما بينها، فكانت سلمية تارة وعدائية تارات أخرى، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال تتبع سيرها وفقاً لتسلسلها الزمني والتاريخي كما يأتي:

1)– عهد التعايش (639–575 ق.م): عرفت العلاق التعايش السلمي لاسيّما في فترة حكم باتوس الأول (639-599 ق.م) وابنه أركيسلاس (599-583 ق.م)، وكان عدد الإغريق آنذاك قليلا، ذكر هيرودوت أنّهم أبحروا على متن سفينتين بها خمسون جذافاً، وخلى أيّ صدام بينهم وبين الليبيين، وكان التعاون هو السمة المميّزة لعلاقتهم ببعضهم البعض[1].

منذ نزول الإغريق أول مرة على الأرض الليبية نشأت بينهم وبين اللوبيين علاقات طيبة تتسم بالود والصداقة خاصة في عهد باتوس الأول، إلا أن الحذر كان يرافق اللوبيين تجاه الوافدين الجدد، حتى أنّ إقامة المستعمرين الأوائل في جزيرة (بلاتيا) كانت مؤقتة، وإنْ اجتهد الإغريق في اقتطاع إقليما صالحا للزراعة، فالليبيون ـ على ما يبدو ـ عرفوا هدفهم الأساسي[2]، لذلك قادوهم إلى قوريني ليلاً لكيلا يروا أخصب بقعة في شرقي قوريني[3]، وقد كان الليبيون يستحوذون على أرض تتميز بصورة خصبة، وتنتج المحاصيل المختلفة ذات القيمة الاقتصادية مثل السلفيوم والكروم

[1] Masson (O), Grecs et Libyens en Cyrénaïque, d'après les témoignages de l'épigraphie, in Ant.Afr. T.X, 1976, pp 49-62.

[2] إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص ص 39-38.

[3] Boardman,(J), Evidence for the Settlements in Cyrenaia, B.S.A, No61, 1966, PP 149-150.

والزيتون والحنطة[1].

ب)- أركسيلاوس الأول(599-583 ق.م): وبعد وفاة باطوس الأول تولى ابنه أركسيلاوس الأول(599-583 ق.م)، حكم المدينة لمدة ستة عشر عاماً عاصر فيها الفرعون "نيخو"(Necho) (609-594 ق.م) بمصر، وقد كان حكمه على غرار والده فكانت فترة هادئة، وكانت المدينة تنموا اقتصادياً بخُطى واسعة وثابتة، على الرغم من أن المستوطنين بلغ عددهم الأول المائتين، وهو يدل على العلاقات الودية وحسن الجوار مع القبائل الليبو[2].

شهد عهد هذا الأخير هجرات نحو المستوطنة الإغريقية قورينة بسبب عرض أهل قورينة ذاتها بتقديم الأراضي الخصبة لمن يأتي من إخوانهم الإغريق للإستيطان فيها، وكذلك بسبب إعلان موحى دلف نبوءة تقول: **"إن من يتأخر عن الوصول إلى ليبيا أرض السرور والحبور، فيصل بعد أن تكون أرضها موزعة على أصحابها، لا بد وأن يناله الندم"**[3].

مع ذلك يمكن القول بأن العلاقات بين الليبيين والإغريق في عهد باتوس الأول(639-599 ق.م) وابنه أركيسلاس(599-583 ق.م) اتسمت بالهدوؤ والتعايش، حيث كان عدد الإغريق آنذاك قليلا.

ج)- بداية حكم باتوس الثاني: قد رأى "باطوس الثاني"(583 ق.م- 570 ق.م) من الضروري الحفاض على العلاقات الودية مع قبائل الليبو التي كانت تحيط بهم من جميع الجهات[4]، في سبيل تجسيد سياسته الرامية إلى تمكين المستوطنين الجدد المزيد من الأراضي على حساب القبائل اللوبية المحيطة بهم من كل جانب.

حيث عقد هذا الخليط من السكّان الإغريق علاقات طيّبة في البداية مع الليبيّين الذين لم يكونوا آنئذٍ قد فطنوا بعدُ لخطورة قيام مستوطنة إغريقية صغيرة فوق أراضيهم، وتتحدّث البوثيّة التاسعة الذي أنشدها الشاعر للتنويه بانتصار البطل القوريني "تيليسيقراط" في دورة الألعاب البوثيّة

[1] Diodorus,III, 49-50.

[2] - جميلة عبد الكريم محمد، المرجع السابق، ص 295.

[3] - هيرودوت، تاريخ هيرودوت، الكتاب الرابع، المصدر السابق، ص 355.

[4] - غوليا لم ناردوتشى ، المرجع السابق، ص 37.

الثامنة والعشرين التي أُقيمت في بلاد الإغريق سنة 474 ق.م، عن تلك العلاقات الوديّة التي كانت قائمة بين الطرفين الليبي والإغريقي، ففيها نرى الإغريق يخطبون في "إراسا" يد بنت شيخ قبيلة الجيلياماي" اللوبيّة، ونرى اللوبيين والإغرق يشتركون سويًّا في سباق تقرر أن يُقام بمناسبة عرس تلك الفتاة على أن يحظى بها الفائز، وكان الفوز من نصيب الإغريقي "أليكسيداموس" فقوبل ذلك الحدث من جانب الفرسان اللوبيين بالهتاف والتهليل[1].

واتضحت مظاهر العلاقات الودية بعد أن استقرت الأمور للإغريق في برقة، في أن بعض القبائل المجاورة للإغريق اكتسبت بعض عادات وتقاليد المستعمرين الوافدين، وبالمقابل فإن الأثر الديني للوبيين كان جلياً عند الإغريق[2] ما أدى إلى عمليات تزاوج ومصاهرة، وبالتالي إلى المجاملة في العادات والتقاليد[3] حيث ظلت صورة الغزو والاحتلال غير مكشوفة في البداية، إذ لا يعقل أن حوالي مائتي مستوطن استطاعوا وفي فترة قياسيّة من تشييد مدينة تحوي منشآت معمارية ضخمة من دون وجود تعاون كبير بينهم وبين القبائل اللوبية[4].

وليس أدلّ على العلاقات الودية بين الطرفين من أنّ المدينة شهدت مرحلة هدوء واستقرار، ونمو في الاقتصاد رغم قلة عدد المستعمرين[5].

كان من البديهي أن يحاول الإغريق إقامة علاقات ودية مع اللوبيين حتى يطمئنوا إليهم، ويتمكنوا من تنفيذ مخططهم الذي انطلقوا منه، وهو أن الدولة كانت تنظم حركة الاستعمار بإتقان محكم، وتضع الأسس والقوانين الكفيلة لنجاحها، فقد كان الإغريق يعتبرون تأسيس المدن خارج بلادهم عملا رسميا يحدث بناء على رغبة الدولة، وكأن المهاجرون إلى المستعمرة الجديدة مكلفين بعمل رسمي ومنظم من قبل وطنهم تشرف عليه مواحي المعابد وفقا لمخطط يدخل ضمن الاتجاه العام لاستعمارهم.

---

[1] – فرنسوا شامو، المرجع السابق، ص ص، 162-163.

[2] مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص62.

[3] عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص 242.

[4] AL Sa, dawiya.A, The Greek settlement in Cyrenaica, With notes on Pottery discovered There, Libya in History, By University of Benghazi, 1968, P 95.

[5] هيرودوت، أحاديث هيرودوت عن الليبيين، المصدر السابق، ص 45.

2)- عهد التوتر والاضطراب (منذ 575 ق.م): عرفت أن هذه العلاقات التوتر عند انكشاف النوايا الحقيقية للإغريق بعد أن تزايد عددهم وتوسّعوا في الاستيطان والاستغلال.

أ)- باتوس الثاني (583-570 ق.م): أقدم باتوس الثاني[1] على توطين هجرات إغريقية جديدة قدمت من البيلوبونيز (Péloponnèse) ومن كريت (Crète) والدوديكانس (Dudicans)، وأصبح هؤلاء يسيطرون على أخصب الأراضي التي كانت من ذي قبل ملْكاً للقبائل اللوبية[2].

ولكي يكافأ باطوس الثاني المعمّرون الجُدد بالأراضي التي كانوا قد وُعدوا بها مقابل نزوحهم إلى ليبيا، فإنه لابد من اغتصاب أراضي اللوبيّين دون الإلتفات إلى الملاّك الوطنيين، حيث انتزعوا منهم أراضي دون مُداراة، ومنذئذٍ حلّ العداء الصريح محل العلاقات الطيِّبة التي كانت في السابق قائمة بين اللوبيين والإغريق، لذلك فإن قبيلة "الأسبستايْ" اللوبية التي كان يتزعمها شيخها "أديكران" (Adicran) التي استنجادت بفرعون مصر "أبريس" (Aberis)[3] (واح إيب رعْ) لإسترجاع حقها، خاصة وأن علاقات اللوبيّين مع مصر الفرعونية كانت حميمية على مدى عدّة قرون[4]. لاسيما وأن الأسرة السادسة والعشرين كانت من سايس، ومن المحتمل أن يكون ملوكها من أصل لوبي، وكان جيشهم يضم عناصر لوبية[5].

---

[1] لعل باتوس الثاني استدع المهاجرين من كل مكان في بلاد اليونان وفق مخطط إغريقي عام، أو مخطط ثيراني يدخل ضمن الاتجاه العام للاستعمار الإغريقي في القرنين السابع والسادس ق.م، من أجل الاستيلاء على الأراضي الزراعية. ينظر: رجب عبد الحميد الأثرم، المرجع السابق، ص 135.

[2] Mercier (E), Histoire de L'Afrique Septentrionale (BERBERIE) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française, Editions Ernest le roux Paris 1888.

[3] كان طبيعيًا طبيعياً أن يستجيب فرعون مصر لهذا النداء بسبب العلاقات القديمة بين مصر وليبيا ولاسيما بعد استقرار الكثير من اللوبيين في مصر وتأسيسهم للأسرتين الحاكمتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين، بالاضافة إلى وجود أعداد كبيرة من اللوبيين في الجيش المصري. ينظر رجب عبد الحميد الأثرم، محاضرات في تاريخ ليبيا القديم، المرجع السابق،ص ص 135-136.

[4] هيرودت، تاريخ هيرودوت، الكتاب الرابع، المصدر السابق، ص 355؛فرنسوا شامو المرجع السابق،ص ص، 168-169.

[5] - مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 56.

فأرسل فرعون مصر جيشاً تمكن القورينيون الهللينيون من التغلب عليه[1] في معركة "أيراسا"(IRASA)[2]، عند مكان يُدعى نبع تستيش (سنة 570 ق.م)، وأطلق عليها الحرب الهللينية الأولى، وترتب على المعركة تعزيز مكانة الهللينيين بقوريني، وإستيلائهم على مزيد من أخصب الأراضي الليبية[3]. وخضوع الليبو لهم، ولكن هذا الخضوع كان مؤقت اذ سرعان ما تجدد الصراع بين الطرفين على عهد الملك أركيسيلاوس الثاني كما سأبينه في الفقرات الآتية.

لقد قام باتوس الثاني ومن بعده ابنه "أركسيلاوس الثاني" بتوجيه حملتين ضد الليبيين وضد حلفائهم المصريين، وكانت هاتان الحملتان فاتحةً لسلسلة طويلة من الحروب الليبية أو المراقيَّة التى إستمرت طوال تاريخ قوريني[4].

واستمرت سياسة الإغريق في استقدام مستوطنين جُدد، ومن الطبيعي أن يتضخم عدد السكان، وتتطلب الظروف المزيد من المواد الغذائية، وبالتالي إلى الأراضي المنتجة لها، وهذا يعني وجوب توسع قوريني على حساب القبائل اللوبية المجاورة، وبهذا أصبحت نقطة ينطلق منها الإغريق إلى أماكن أخرى على ساحل برقة ليقوموا مستوطنات إغريقية جديدة، متبعين في ذلك أسلوبهم الاستيطاني حتى انتشرت مواقعهم على طول ساحل ليبيا الشرقي[5] فاتضحت نواياهم ومطامعهم الاستعمارية في ظل اشتداد هجرة الإغريق وتوسعهم على حساب اللوبيين[6].

ب)– أركسيلاوس الثاني (570–550 ق.م): بعد وفاة باطوس الثاني سنة 570 ق.م خلفه ابنه "أركسيلاوس الثاني" الملقب بـ"العنيد"، وقد رتب إخوته ثورة ضده[7]، فقد كانوا يمثّلون حزب "الأوليجارشيين" المنادي بضرورة تركيز جميع السلطات بأيدي قلّة من أبناء الارستقراطية القورينّية

[1] – هيرودت، تاريخ هيرودوت، الكتاب الرابع، المصدر السابق، ص 355.

[2] – غوليا لم ناردوتشى، المرجع السابق، المرجع السابق، ص38.

[3] – جميلة عبد الكريم محمد، قورينائية والفرس الأخمينيون، مرجع سابق، ص ص، 298–299. رجب عبد الحميد الأثرم، المرجع السابق، ص 136. إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص 70.

[4] – فرنسوا شامو، المرجع السابق، المرجع السابق، ص 276.

[5] إبراهيم نصحي، مرجع سابق، ص 38.

[6] عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص ص 252–253.

[7] – هيرودت، تاريخ هيرودوت، الكتاب الرابع، المصدر السابق، ص 356.

تحت زعامتهم، وهذا ما جعلهم ينجحون دون عناء كبير في حشد عددٍ من الأنصار ومغادرة قوريني وتأسيس مدينة إغريقيّة جديد هي "باركي"(برقة – المرج)، وأخضعوها منذ البداية لنظام سياسي "أوليجارشي" جماعي، تسيطر عليه النُّخبة الارستقراطية الدُّورية النازحة معهم، لذا فإن "باركي" لم تعرف تلك القلاقل السياسيّة والاجتماعية التي كانت تعْصف بقوريني[1].

يذكر هيردوت أن الإخوة إستطاعوا في بدايات تأسيسهم المدينة الجديدة من التحالف مع الليبيين وإقناعهم بترك موالاتهم لملك قورينة[2]، وقد وجد هذا الأمر صدى لدى الليبو بسرعة خاصة أنهم لم يكونوا قد تناسوا بعدُ ذكرى اغتصاب والد ملك قورينا "باطوس الأول" لأراضيهم، ومعركة ايراسا مع باطوس الثاني، وكانوا من ناحية أخرى قد ضاقوا ذرعاً باحتكار ملوك قورينة لنبات السلفيوم، لذلك حانت الفرصة المناسبة لهم للثأر[3].

وفي المقابل وجد الملك نفسه مجبراً على اخماد هذا التمرد، خاصة بعد أن استطاع إخوته كسب صداقة جيرانهم الليبو بالإضافة إلى تزايد طابور المؤيدين لهم من قورينا[4]. ولا يفوتنا كذلك أن نذكر قرب برقة من مصر الفرعونة واحتمال تأليف حلف ثلاثي قوي ضد قوات قوريني، فقاد ملك قوريني بسرعة حرب ضدهم ولكنه إنهزم في معركة "ليوكون"(Leukon) ومن ثم كروا جميعاً على أهل قوريني وتغلبوا عليهم وذبحوا حوالى سبعة آلاف رجل، وأصيب الملك أركسيلاوس الثاني عقب هزيمته بمرض شديد، ثم مات خنقاً على يد أخيه "ليارخوس" (سنة 544 ق.م) في محاولة منه لإغتصاب العرش، ولكنه قتل هو أيضاً[5]. وبذلك ثَأَرَ الليبو لهزيمتهم في ايراسا.

وبالتالي نلاحظ أن اللوبيين بدأوا يميلون إلى الجانب الذي يشفي غليلهم من أولئك الذين استولوا على أراضيهم واحتكروا تجارة السلفيوم فآووا المنشقين على الحكم في قوريني، وقاموا

[1] – فرنسوا شامو، المرجع السابق، ص ص، 180-181.

[2] – هيرودت، تاريخ هيرودوت، الكتاب الرابع، المصدر السابق، ص 356.

[3] – مصطفى كمال عبد العليم: المرجع السابق، ص 56.

[4] – غوليا لم ناردوتشى،المرجع السابق، ص 39؛ فرنسوا شامو، المرجع السابق، ص 173.

[5] – هيرودت، تاريخ هيرودوت، الكتاب الرابع، المصدر السابق، ص 356.

بمساعدتهم على إنشاء مدينة برقة[1]، حيث أدرك المنشقون عن السلطة أن اللوبيين ساخطون على قورينى، فاستمالوهم إلى جانبهم واستغلوهم في انشاء مدن جديدة[2].

ج)- باطوس الثالث(550-527 ق.م): تميز عهد باطوس الثالث الملقب بـ"الأعرج" بالقلاقل والنزاعات بين أفراد الأسرة الحاكمة وما بين المستعمرين القدماء "الثيرانيين" والمستعمرين الجدد(القادمين من بقية الجزر الإغريقية) الذين أخذوا يطالبون بالمساواة في كافة الحقوق مع السابقين، ومع ازدياد حاجة السكان بالمدينة الإغرقية إلى الديمقراطية ضد تعنّت حكم الأوليغاركية بتلك المدن[3].

أتاحت هذه الأحوال المضطربة في قورينة الفرصة أمام مدينة برقة الفتية لبسط نفوذها على القسم الغربي من المنطقة[4]. وأمام هذه الأوضاع العصيبة التى كانت تمر بها قورينة قرر أهلها إرسال وفد إلى دلفى لاستشارة موحى أبوللو هناك حول أنجع السبل لإقامة أفضل أنواع الحكم في مدينتهم، فأجابتهم كاهنة دلفي بأن عليهم أن يستدعوا أحد رجال مدينة مانتينيا(Mantinea) في مقاطعة اركاديا(Arcadea) لينظم لهم شؤونهم، فتم إرسال المشرع ديموناكس (Demonax) عضو الأكاديمية باركاديا الذي كان يتمتع بشهرة ممتازة وسمعة طيبة في بلده، فقدم إلى قورينا بغرض وضع تشريع أو دستور جديد[5].

إن المستعمرين الأوائل من الإغريق كانوا يهدفون إلى الاحتفاظ بالحقول والاستيلاء على أراضٍ جديدة، ومنحها لمن سيأتون[6] طبقاً لقرار التأسيس الذي يقضي بأخذ واحدٍ من بين كل أخين، على أن يشمل كل القبائل السبع التي كانت تتمركز في ثيرا، ما يوحي بأنها محاولة للربط بين الأسر والقبائل هنا وهناك، وما يُبرهن أيضاً على أهمية الأرض صدور قوانين دينّية تنص على أنه في

---

[1] Bates, Op-cit, P 230.

[2] عبد السلام محمد شلوف، المرجع السابق، ص ص 60-61؛ رجب عبد الحميد الأثرم، المرجع السابق، ص ص 136-137.

[3] - غوليا لم ناردوتشى، المرجع السابق، ص 40.

[4] - عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص 164.

[5] - هيرودت، تاريخ هيرودوت، الكتاب الرابع، المصدر السابق، ص 356.

[6] نفسه، ص 356.

حالة انتشار وباء ما في الريف، فإنّه تُتبع إجراءات التطهير أسوةً بتلك الإجراءات المعروفة في المدينة[1].

ومما يدل على طبيعة الاستعمار الإغريقي الزراعية، موقع مدينتي قوريني وبرقة كأول مدينتين أنشأهما الإغريق وسط إقليم زراعي، ولا علاقة لهما بالساحل إلا فيما بعد التأسيس لمينائي (ابولونيا) و (بلوليماس)[2]، وكرد فعل لذلك فإن القبائل اللوبية بذلت جهدا في اقتناص الفرص للانتقام منهم، مثل حصار قبيلة النسامونيس مدينة "بوسبريدس" سنة 414 ق.م، وقد انهى هذا الحصار الأسطول الإسبرطي الذي رمت به الأقدار إلى المدينة بسبب عواصف بحرية[3].

وتأسيسا على ما سبق فإن طبيعة الوجود الإغريقي كانت استعمارية تتجه نحو الزراعة بالدرجة الأولى، ومن ثّم استغلال الأراضي، بل وسلبها من السكان الأصليين الذين أبعدوا نحو المناطق شبه الصحراوية.

ثانياً– التنظيمات الإجتماعية الإغريقية في ليبيا.

1)– المجتمع الإستيطاني الإغريقي: مما لا شك فيه أن الإغريق بعد تنقلهم للعيش في قورينة بليبيا استمروا في ممارسة عاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية التي ألفوها في وطنهم الأم، وقبل الحديث عن تلك العادات والتقاليد التي مارسوها في مستوطناتهم الجديدة لا بد من معرفة التركيبة الإجتماعية فيها، ومعرفة مميزاتها.

أ)– التركيبة الاجتماعية ومميزاتها: يمكن دراسة المجتمع القوريني منذ أن قرروا الرحيل من اليونان إلى ليبيا وتأسيس مدينة قوريني، حيث قرَّر الثيرانيُّون إيفاد معمِّرين يتم أخذهم من بين أُسر متعددة الأبناء، بواقع ابنٍ عن كل أسرة يتم اختيارهم بطريقة القرعة، على أن يؤخذ هؤلاء المعمِّرون من جميع قرى الجزيرة السبع وأن يكون باطوس رئيساً لهم يُضفي عليه لقب: ملك[4].

[1] عبد العزيز الصويعي، تاريخ الحضارة الليبية القديمة، المرجع السابق، ص124

[2] رجب عبد الحميد الأثرم، المرجع السابق، ص ص 135.

[3] Goodchild (R), Benghzi the story of city, 1962, P 2.

[4] – فرنسوا شامو، المرجع السابق، ص 124.

ونستشف من لوح المؤسسين، أن الثيرانيين الإغريق بعد إنتقالهم إلى ليبيا وتأسيسهم مدينة قوريني كانوا يُمنحون حق المواطنة ويتمتعون بحقوق مدنية متساوية مع باقي سكان المدن الإغريقية، وكان من الواجب عليهم أداء القسم الذي أدّاه الآخرون في سالف الأيّام، وكان عليهم الإجتماع في قبيلة وتكوين تسع جمعيّات سياسية، وأن ينقش هذا الأمر في لوح من المرمر ويوضع بمعبـــــد أبوللو الفيثي العتيد[1].

يؤكد هذا القسم للثيرانيين المقيمين في قوريني حقّهم في الاستيطان بها، وهو الحق الذي تمتّعوا به تقليديّا منذ البداية، وإن كان قد عف عليه الدهر مع مضيّ الأيام فهو في النهاية مرسوم يعبّر عن سياسة تتناول حق المساواة[2].

يمكن القول أن المستوطنات التي كان قد تم انشاؤها بليبيا بواسطة المدن الهلينستية كانت مستقلة ذاتها عن الوطن الأم وتتمتع بالممارسة الاقتصادية الحرة، هذا بالإضافة إلى الإعفاء من دفع الإتاوات السنوية الإجبارية وغيرها من المساعدات الأخرى إلى الوطن الأم، بينما بقى الترابط الروحي قوياً بين المستعمرات الإغريقية، حيث كان المستعمرون الإغريق ينسبون أنفسهم إلى الهلينستية بكل فخر[3].

أما فيما يخص عدد الإغريق في ليبيا وتزايدهم يذكر "هيرودوتس" في تاريخه ما نصُّه:"**ظل سكان المدينة طوال حكم باتوس، مؤسس كورينة، وقد دام أربعين عاماً، على عددهم يوم أقاموا المدينة، لا يزيدون ولا ينقصون، وكذلك في عهد ابنه أركيسيلاؤس، واستمر ستة عشرة عاماً**"[4].

لايمكننا أخذ عبارة "هيرودوتس" المذكورة أعلاه بمحمل الجد، لأن رفاق "باطوس"(639-599 ق.م) إن كانوا قد قدموا فعلاً إلى سواحل ليبيا على ظهر مركبتين من ذوات الخمسين مجذافاً فإن عددهم لن يزيد في هذه الحالة عن المائتين، ولا يمكن أن يكون بوسع قلّة من المهاجرين

[1] – فرنسوا شامو، المرجع السابق، ص 125

[2] – نفسه، ص 127.

[3] – غوليا لم ناردوتشى، المرجع السابق، ص 30.

[4] – هيرودوت، تاريخ هيرودوت، الكتاب الرابع، المصدر السابق، ص 355.

من تشييد مباني ضخمة في مدينة قوريني كمعبد أبوللو، ولا يمكن لهذه الفئة الصغيرة أن تعيش أمداً طويلاً في بلدٍ غريب كليبيا دون أن تعزّز تواجدها هناك أفواج أخرى من المهاجرين، ومن المحتمل أن الثيرانيين الآخرين الذين بقوا في وطنهم الأم قد ظلّوا على اتّصال مستمر مع من سبقوهـــم إلى المستوطنة الناشئة، وأنّ الكثير منهم قرر النّزوح إليها(قورينة) بعد أن علموا بإزدهارها[1].

ولاشك أن تدفق المهاجرين الإغريق بتلك الكثافة الكبيرة على المدينة كان كفيل بإحداث تغيرات في الحياة الإجتماعية بها، فقد شكل الإغريق بعد مدة زمنية من وجودهم في مدينة قورينة جالية هجينة كانت نتاج لتزاوج هليّنيين بنساء لوبيّات، وهي جالية تميزت بأنّها – وإن ظلت إغريقيّة من حيث لغتها- إلاّ أنّها غير دُورِية من حيث سماتها العرقية، وكان لها آلهتها وتقاليدها الخاصة بها، وعند مجيء الثيرانيين إلى ليبيا بعد ذلك في القرن السابع قبل الميلاد، نراهم يمتصُّون أولئك النازحين المهجّنين الأوائل في مجتمعهم، هذا وإن أخذوا عنهم هم أنفسهم بعض صِيَغ لهجتهم المحلية، ثم بذل الملوك الباطيُّون جهوداً في سبيل جعل آلهة وأبطال أولئك المستوطنين الأقدمين جزءاً لا يتجزأ من تراث أسرتهم المالكة[2].

ب)– بنية اجتماعية قائمة على الاقطاع: يمكن القول أن بُنية قوريني الاجتماعية، كانت قائمة على الإقطاع وحيازة وتقاسم الأراضي الزراعية الشاسعة، مما جعلتها على غِرار كُبريات المدن التي استعمرها الإغريق في آسيا الصغرى وفي صقلية، حيث ترعرعت في قوريني طبقة متميِّزة من مُلاَّك الأراضي الإقطاعيين، لا تختلف عن مثيلتها في جزيرة "ساموس" وفي "سيراكوزا" الصقليّة سوى في التسمية[3].

ولذا فإننا نجد أن الريف القوريني والجماعات الإغريقية الوافدة التي عملت في حقل الزراعة قد خُصَّت من قِبل سكان المدينة باهتمام ظل واضحاً طيلة حقبات تاريخها الباطي، لذلك إن الإستيطان الإغريقي في قورينائية لم ينحصر في بضع مدن تعيش بريوع المتاجرة مع اللوبيّن أهل البلاد الأصليين، مثلما هو الحال بالنسبة للمستوطنات الإغريقية الأخرى، وإنما كان تغلغلاً عميقاً

[1] – فرنسوا شامو، المرجع السابق، ص ص، 161-162.

[2] – نفسه، ص 76.

[3] – نفسه، ص 193.

في الدواخل، حيث أنشئت على أيديهم مدن وقرى زراعية تحمل أسماء إغريقية أهمها: قوريني وبرقة[1].

وقد كانت فئة "البيريئيكيين" هم من يعيش في الأرياف، ويحيون عادة ضمن جماعات تقطن قرى ريفية، ويحتلون مكانة أدنى من مكانة المواطنين الكاملي الحقوق، وتتراوح أحوالهم المعيشيّة ووضعهم الاجتماعي ما بين وضع مواطنين من الدرجة الثانية وبين أتباع أذلاّء، في المقابل كانوا إخوانهم في إقليم "لاكونيا" البيلوبونيزي أحرار ويتمتعون بحقّ حمل لقب الإسبرطيين، وينخرطون في الجيش[2].

3)- إصلاحات ديموناكس الاجتماعية.

أ)- تقسيم القبائل القورينية حسب دستور ديموناكس: سببت موجة الهجرات الكثيفة التي قدمت من مختلف أرجاء العالم الإغريقي، ومن بينهم أبناء "بانكيس" الليدنيين، وكان من بين هؤلاء المهاجرين الجُدد عدد كبير من سكّان الجُزر، الأمر الذي حدا بعد بضع سنوات في عهد "باطوس الثالث"(583 ق.م- 570 ق.م)، بالمشرِّع المعروف "ديموناكس المانتيني"[3]. بوضع دستور جديد قسم فيه المجتمع الإغريقي في قورينة إلى ثلاث قبائل جديدة، طبْقاً للمنْشأ الذي قدم منه كل واحد من السكان، وقد ضمَّت **القبيلة الأولى** قُدماء الثيرانيين ومعهم "البيريئكيين"(البيرى أو يكوى)، **أما القبيلة الثانية** فقد ضمّت "البيلوبونيزيين" و"الكريتيين"(جميع القادمين من البلوبونيز وكريت وجميعاً من الجنس الدوري"الإغريقي" مثل الثيرانيين)، **أما القبيلة الثالثة** والأخيرة فقد أُدْمج فيها نسْل أولئك الذين هاجروا إلى قوريني من الجُزر الإغريقية الأخرى[4].

ولا غرابة في ذلك لأن النصوص الكتابية المنقوشة التى تم العثور عليها بليبيا حديثا تشير إلى معاهدة التحالف والصداقة في المستقبل ما بين الثيرانيين بقيادة "باطوس" المقيمين بمدينة قوريني

[1] - نفسه، ص 273.

[2] - فرنسوا شامو، المرجع السابق، ص 276.

[3] - بازامه، سكان ليبيا في التاريخ، المرجع السابق، ص 228.

[4] - هيرودت، تاريخ هيرودوت، الكتاب الرابع، المصدر السابق، ص 356.

وشركائهم بالوطن الأم، حيث تعهد الطرف الثاني باستقبال الثيرانيين في حالة اضطرارهم إلى العودة إليه[1].

وقد أختلف الباحثون حول من هم هؤلاء "البيريئكيين"(البيرى أو يكوى) الذين تم إدراجهم ضمن القبيلة الأولى رفقة الثيرانيين، هناك من قال أنهم أبناء الهللينيين من نساء لوبيات واللوبيين المتأغرقين، الذين ساهموا مع المستوطنين الأوائل في إعمار وتشييد المدينة، وهناك من يُضيف إلى ذلك أولئك الذين طُردوا من اللوبيين إلى خارج المدينة، وتم الاستيلاء على أراضيهم عندما ازداد عدد المهاجرين في عهد باطوس الثاني[2].

وهناك من استبعد أن تكون هذه الطبقة من الليبو أصلاً خاصة وأنهم اشتبكوا في حرب معهم، لذلك تم إستبعادهم من هيئة مواطني المدينة ورجحوا أن المقصود بهم الجماعات الهلينية التي قدمت حديثا إلى برقة دون التنمكم من الحصول على الحقوق السياسية التى كانت للطبقة الممتازة من أهل ثيرا المستعمرين الأوائل[3].

وهذا الرأي الأخير لا يعنى بالضرورة استبعاد اللوبيين كعنصر من عناصر سكان المدينة، ذلك لأن تماثيل قوريني تكشف وجود عنصر محلي بين سكانها، فضلا عن أن نقوش المدينة تحمل بعض الأسماء اللوبية مثل: باكال وألازير، وإذا جاز القول بأن حقوق المواطنة منحت لبعض الأفراد بصفتهم الشخصية، فهل يمكن القول بأن اللوبيين الذين أسهموا بالفعل في إنشاء المستعمرة وتزوج الإغريق من نسائهم قد أدمجوا في أعداد المواطنين ؟[4].

ومن المستبعد جعل العداء القائم بين اللوبيين والإغريق هو حائل دون إدماج الأوائل في هيئة مواطنى المدنية أو تقودنا إلى القول بأن البيرى أواليكوى ليسوا لوبيين، وذلك لأن بعض عناصر قبيلة الأسبوستاى والتي أسهمت منذ البداية في إنشاء المستعمرة وأصهرت إلى إغريقيها

[1] – غوليا لم ناردوتشى ، المرجع السابق، ص 30.

[2] – جميلة عبد الكريم محمد، مرجع سابق، ص 303.

[3] – مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق، ص 56.

[4] – نفسه، ص 59.

ظلت على ولائها للمدينة متعاونة مع أبنائها، ولماذا لا نستطيع الاعتبار طبقة البيرى أو يكوى المقيمة في الريف المدينة كانت في الواقع عبارة عن لوبيين من قبيلة الأسبوستاى المتأغرقة ؟[1].

إضافة إلى ذلك أن "ديموناكس" جاء إلى قورينى عقب انتصار الأرستقراطية الممثلة في إخوة الملك وحلفائهم الليبو الذين كانوا إلى حد كبير أصحاب الفضل في النصر الذي أحرزوه على الملك "أركيسلاوس" الثاني في موقعة لويكون، وربما يكون ديموناكس قد فطن إلى أهمية العنصر اللوبى وخطورته، وأراد في الواقع بادخال هذه الطبقة جنباً إلى جنب مع أهل ثيرا في القبيلة الأولى، حتى يرضى اللوبيين من ناحية، وأن يعترف بالأمر الواقع من جهة أخرى، وأن يعطى المدينة فرصة من الهدوء والاستقرار من ناحية ثالثة[2].

ب)– المواطنة: كان على المشرِّع "ديموناكس" إيجاد حلاً لتلك المشكلة التي ترتبت على حدوث الهجرة الإغريقية الكاسحة على عهد "باطوس الثاني"(583 ق.م– 570 ق.م)، ذلك أن النواة الأولى من المعمِّرين الثيرانيين قد حولتهم الهجرة إلى مجرّد أقليّة صغيرة، ولكنهم نجحوا بعد مدة في أن يجعلوا من أنفسهم طبقة اجتماعية مغلقة تتمتّع بالحقوق السياسيّة في المدينة بمفردها، حيث انفردوا دون غيرهم بالإنتماء إلى القبائل الدُّورية الثلاث الممثّلة للصفوة "الجنتيليسيّة"، التي احتكرت كل المناصب الهامّة في مدينة قورينى، ويجدون في المزارعين الإغريق "البيريئكيين" القاطنين بالأرياف سنداً لهم، وفي مقابل هذه الطبقة الثرية صاحبة الإمتيازات كانت هناك جمهرة من المهاجرين الجدد تنادي بالمساواة في الحقوق بين جميع السكّان[3].

فكل ما كان على المشرِّع "ديموناكس" أن يفعله هو تقنين الكيفيّة التي تُمكّن تلك الفئة من الدُّخلاء الإغريق الجُدد من حيازة حق المواطنة في المدينة، أسْوة بقدماء الثيرانيين، مما أدى بـ"ديموناكس" استحداث تنظيما دستوريا جديداً أكثر انفتاحاً يقوم على أخْذ المنْشأ العرقي في الإعتبار، حيث أحلَّه محلَّ تنظيمها القديم القائم على ممالاة الصفوة الثيرانيّة العتيدة التي كان على

[1] – مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 131–132.

[2] – مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 132.

[3] – فرنسوا شامو، المرجع السابق، ص 177.

قمتها زعيم وراثي هو الملك، ذلك دون المساس بمبدأ تقسيم سكان المدينة إلى ثلاث قبائل، وهو المبدأ الذي كان سارياً من قبل[1].

وأمكن لها بفضل العناصر الجديدة التى ضمت اليها أن تسهم في تيار الحضارة الهيلينية مثل غيرها من المستعمرات الإغريقية الغنية المزدحمة بالسكان في صقلية وجنوب ايطاليا، وحتى في مجال الفن، فبدأت بعض المؤثرات الفنية الجديدة في الظهور إلى جانب تلك التي كانت تفد من ثيرا[2].

وإذا كان الإنطباع العام عن تلك التشريعات يوحي بأن مشكل المدينة كانت في هذا الوقت عرقية بالدرجة الأولى واختلال ميزان بنيتها المدنية أكثر من مشكلة في تفاوت توزيع الثروات فيها[3].

وقد عالج ديموناكس في اصلاحاته عدة مشاكل، بعضها يتصل بوضع المهاجرين الجدد، وبصفة خاصة الوافدين من ثيرا، الذين تزايد عددهم وشعروا بأنهم بالرغم مما يبذلونه من جهد لزيادة مواد المدينة بالعمل في حقلى الزراعة والرعي، فانهم كانوا محرومين من الحقوق السياسية[4].

وبموجب هذا التشريع أعطي المعمِّرين الإغريق الجُدد أو الليبو المتأغرقين حق التمتع بالمواطنة الكاملة في المدينة، أُسوة بجيل الرُّوَّاد الدُّوريين الأوائل، وتمثّلت من ناحية أخرى في إسناد السلطات الملكية إلى حُكّام شعبيين متعدِّدين[5].

ولقد قُسمت القبيلة إلى "بطون" وإلى "منظَّمات" وهذه الأخيرة كانت أقلّ انتشاراً في بلاد الإغريق، حيث عرف فقط في جزيرتي كريت وثيرا، ولذا فإنه من المرجّح أن وجود هذه "المنظَّمات" في قوريني — من حيث هي عنصرٌ تكويني للمدينة — قد تم اقتباسه عن نُظم جزيرة ثيرا[6].

---

[1] – نفسه، ص ص، 177-178.

[2] – مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 133.

[3] – جميلة عبد الكريم محمد ، مرجع سابق، ص 303.

[4] – مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق، ص 128.

[5] – فرنسوا شامو، المرجع السابق، ص 176.

[6] – نفسه، ص 266.

ج)– الانتقاص من سلطات الملك: كانت المشكلة الثانية التي عالجها ديموناكس في اصلاحاته، هى الانتقاص من سلطات الملك وسلطات الملكية خاصة بعد قصر وظيفة الملك على النواحى الدينية، ولمن تؤول اليهم هذه السلطات[1]، لذلك تم الحد من سلطات الملك إذ خصّه ببعض الأملاك كما أصبح يحتفظ بالصفات الدينية المقدسة فقط[2]، وبالتالي أباح لبقية السكان في بعض الامتيازات التي كانت مقصورة على الملوك فقط حتى ذلك الوقت[3].

الحقيقة أن ديمونكاس رأى بعد الصدام الذي وقع بين الملكية والأرستقراطية وأن النصر كان حليف الأخيرة التي استعانت بالليبيين، بأن أسرة باطوس تحولت إلى أسرة ظهرت فيها المنازعات الأسرية، من ذلك مثلا أن ليارخوس قتل أخاه الملك أركيسيلاوس الثاني بعد عودته منهزماً إلى قوريني، ولكن الأخ القاتل لقى مصرعه على يد أروكسو(Eryxo) أرملة الملك القتيل، – كما بينت سابقا– وأمام هذه الملكية الضعيفة كانت الفرصة مهيئة أمام ديموناكس لينتقص من سلطة الملكية، ولذلك فإنه خص الملك بإدارة الأملاك المقدسة والإشراف على الحفلات الدينية فقط[4]. وانتخب من القبائل الثلاثة مجلس شيوخ انتقل إليه حكم المدينة من أُسرة باطوس[5].

د)– زيادة نفوذ الأرستقراطية: لا ينبغى الإعتقاد أن ديموناكس قد أحدث باصلاحـــاته تلك ثـــورة ديمـــقراطية، ولا ينبغى أيضا أن يعطى لكلمة الشعب(demos) معنى الديمقراطية أو الحزب الديمقراطي، ذلك أن قورينى كانت في القرن السادس ق.م مدينة ذات طبيعة أرستقراطية، والغلبة فيها لطائفة ملاك الأرض، وعندما نقول أن السلطة حولت إلى الشعب لأن المستفيد الحقيقى من النظام الجديد هم الأرستقراطية، وهي الطبقة الاجتماعية الوحيدة التى كانت تطمح إلى الحصول على السلطة السياسية، وأن قورينى مثل بقية المدن الإغريقية الأخرى لم تنتقل مباشرة من الملكية

[1] – مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق، ص 128.

[2] – هيرودت، تاريخ هيرودوت، الكتاب الرابع، المصدر السابق، ص 356.

[3] – غوليا لم ناردوتشى، المرجع السابق، ص 41؛ جميلة عبد الكريم محمد، المرجع السابق، ص ص، 302-303.

[4] – مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 133.

[5] – عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص 165.

المطلقة إلى حكومة الشعب الديمقراطية، لذلك وزعت سلطات الملك بين عدد من الموظفين الذين يختارون من طبقة الأرستقراطية، وأصبحوا رقباء على سلطة الملك[1].

أدّى هذا التشريع الجديد إلى إحداث تحوير عميق في حياة الناس بالمدينة، فالهيكل المدني الثيراني القُحّ المتمسك بالتقاليد الطبقية القديمة- الذي كان يميِّز البُنْية الاجتماعية للمدينة- قد انهار بهذا التشريع وصارت قوريني مدينة كبرى، تعجُّ بمختلف الأعراق الإغريقية المختلطة، وتسهم في شتّى تيارات الحضارة الهلينية، شأنها في ذلك شأن المستوطنات الغنية المختلطة الأجناس[2].

المستفيد الحقيقي من هذا الدستور الجديد كانت طبقة الأرستقراطيين من مُلاَّك الأراضي، وهي الطبقة الاجتماعية الوحيدة التي كان بإمكانها – آنذاك – التّطلُّع إلى ممارسة السلطة السياسية في المدينة، فقوريني – شأنها شأن جميع المدن الإغريقيّة الأخرى – لم تقفز من الحكم الملكي المطلق إلى حكم الشعب مباشرة[3].

هكذا نرى أن "ديموناكس" قد وضع تسوية راعى فيها إعادة تنظيم البناء الدستورى لقوريني على أساس المزج بين العناصر القديمة والعناصر الجديدة من المستعمرين على أن يوزعوا في القبائل الثلاث حسب جنسيتهم، والحد من سلطة الملك، وقصرها على الشؤون الدينية، ووزع بقية سلطات الملك على الشعب في مجموعه أو بالأحرى على الطبقة الأرسطقراطية، وهي الطبقة التى أستفادت من إصلاحات هذا المشرع، ويكون دستوره بذلك قد سجل انتصار الأرستقراطية على الملكية، والشيء الذي لم يستطع دستور ديموناكس الحد منه هو المنازعات في المدينة التي تجددت في عهد ابنه "أركيسيلاوس الثالث"[4].

وقد حدثت الكثير من الفتن والإضطرابات حول توزيع السلطات بين الأرستقراطية والعامة من سكان قورينة، لا سيما في سنة 322 ق.م، الأمر الذي استغله بطليموس حاكم مصر للتدخل في شؤون الاقليم، خاصة عندما لجأ إليه بعض الأرستقراطيين لنصرتهم في حربهم تلك ضد

[1] – مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق، ص 134.

[2] – فرنسوا شامو، المرجع السابق، ص 178.

[3] – نفسه، ص 180.

[4] – مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق، ص 135.

العامة، وبعد سيطرة بطليموس على قورينة عمد إلى وضع دستور وزع فيه السلطات على جميع سكانها- محاولا بذلك إيجاد نوع من المساواة- وفق قبائلها، حيث أبقى على تقسيم ديموناسك الأول وضم عليه فئات أخرى تمثلت في اليهود وجنود الحاميات العسكرية المقدونيون وغيرهم من المرتزقة، وكذلك الأجانب وعامة الإغريق الجدد المتوافدين على المنطقة[1].

من خلال ما سبق ذكره يتضح لنا التنظيم الإجتماعي للمستوطة الإغريقية بليبيا، حيث أن الملك وأسرته يأتي على قمة الهرم الاجتماعي، وفئة الأرستقراطيين مُلاّك الأراضي، وتضم الإغريق الثيرانيين المؤسسين الأوائل للمستوطنات، وكذلك جيرانهم اللوبيين المتأغرقين، أما قاعدة الهرم فتتكون من فئة العامة وتضم بقية الإغريق الوافدين من جميع أنحاء العالم الإغريقي، وهم من صغار الملاك والصناع والفنيين والتجار وعمال الموانئ والمزارعين وغيرهم، ويفتقر ذلك الهرم إلى الطبقة الاجتماعية الوسطى[2].

هـ)- الثورات الاجتماعية: ظل دستور والاجراءات المتخذة من قبل ديموناكس سارية المفعول طيلة حياة "باطوس الثالث"، وفور وفاته ثار الشعب في المدينة ضد الإقطاعيين ورفضوا ما جاء في الدستور خاصة منح المناصب والإمتيازات الحكومية المختلفة، ورفض الحاكم الجديد "أركسيلاوس الثالث"(قبل 525 ق.م- بعد 522 ق.م) تطبيق ما جاء في الدستور، وعمل على استرجاع السلطات التي حرمه منها "ديموناكس" ووزعها بين حُكَّام صغار منتخبين، وقد قام الإمبراطور بمحاولتين عقب توليه العرش لإعادة الامتيازات الخاصة بالحكم الفردي المتتع بها أجداده[3].

ولكي يصل إلى هدفه ألّف حزباً من الشعب وحاول التصدّي لملاّك الأراضي الإقطاعيين الذين كانوا المستفيدين الرئيسيين من الإصلاحات التي فرضها المشرِّع "ديموناكس"، ولم تكن أمام هذا الملك أية فرصة لفرض نفسه على أعدائه سوى بالإعتماد على فقراء المدينة المعادون للأثرياء، ولكن هذه الطبقة الكادحة الحضريّة كانت قليلة العدد في قوريني، وينقصها التنظيم لذلك لم تكن

[1] - راضية أبو عجيلة صالح بن خليفة، المرجع السابق، ص 136-137.

[2] - راضية أبو عجيلة صالح بن خليفة، المرجع السابق، ص 136.

[3] - هيرودت، تاريخ هيرودوت، الكتاب الرابع، المصدر السابق، ص 357.

سنداً فعَّالاً للملك، وبالتالي مُنيت محاولته بالفشل[1].

أمام هذا الفشل الذريع وجد "أركيسلاوس الثالث"(527-519 ق.م) نفسه مضطراً للفرار ومغادرة مدينة قورينا رفقه أمه "فاريتيما"(FARETIMA) ابنة الأزير (ALAZIR) ملك المرج وأتباعه والمؤيدون، حيث إلتجأ هو رفقة أتباعه إلى "بوليقراطيس"(POLICRATE) حاكم ساموس(SAMO)، أما والدته فقد فرت إلى جزيرة قبرص[2].

يمكن التساؤل هنا، من قام بطرد أو نفي "أركسيلاوس" الثالث وأمه من المدينة؟، ومن تولى حكمها أثناء غيابهما؟، وهل كانت "فرتيمي" شريكة لابنها في الحكم؟، وهل نحن بصدد ثورة من نوع ما ضد الحكم الملكي؟، وهل يعنى هروب الملك سقوط الملكية؟ وإذا كان كذلك ما نوع الحكم البديل؟ وماهي المدة التي مكثها الملك طريدا لنتمكن من معرفة مدة حكم ذلك النظام البديل؟، للأسف لم تساعدني المصادر والمراجع للإجابة عن هذه الأسئلة.

بقى الملك "أركيسلاوس الثالث" مدة قصير في المنفى، حيث صمم على العودة إلى قورينا والإنتقام من المعارضة، فقام بالترويج والدعاية لأمره بين سكان جزيرة ساموس فالتف حوله الأنصار خاصة أنه وعدهم بمنحهم كافة الأراضي والأملاك التي سيتم مصادرتها من معارضيه بشرط مساعدته في إرجاع حكمه، فكون جيشاً قويا قاد به حملة على قورينا وتمكن من الانتصار على المتمردين[3].

تصرف "أركيسلاوس الثالث" بحزم تجاه المعارضة، حيث أصدر أوامره بالتنكيل بها بإجراء المحاكمات الفورية، ففر الكثير من سكان قورينا إلى قبرص ثم إلى ثيرا، وتم طرد البقية من المدينة حيث تم نفي البعض منهم إلى جزيرة ساموس وثيرا. لكن في الأخير تمكن المعارضين من التخلص

[1] – فرنسوا شامو، المرجع السابق، ص ص، 191-192.

[2] – هيرودت، تاريخ هيرودوت، الكتاب الرابع، المصدر السابق، ص 357.

[3] – نفسه، ص 357؛ غوليا لم ناردوتشى، المرجع السابق، ص ص، 42-43.

من الملك غدرا في مدينة "الأجورا" (المرج = برقة) (AGORA)[1].

تميز الحكم الإغريقي في قوريني هو إشراك المرأة في تسيير أمور المملكة، فقد فوض الملك "أركسيلاوس الثالث"(قبل 525 ق.م- بعد 522 ق.م) لما كان منشغلاً بعمليات تطهير ومطاردة أعدائه أمّه "فريتيمي" أمر تسيير دفة الأمور في قوريني وحكمها باسمه، فترأست جلسات مجلس البولي(الشوري) نيابة عن ابنها، ولقد اندهش الإغريق لمنح مثل هذه الامتيازات السياسيّة لإمرأة، ومن المؤكّد أن ما فعله الملك "أركسيلاوس الثالث"(قبل 525 ق.م- بعد 522 ق.م) هنا يعكس مدى تأثُّر الملوك الباطيين بقوريني بالتقاليد المشرقية القديمة التي كانت تحترم المرأة وتشركها في الحكم، وهذه النظرة للحكم كانت غريبة عن تقاليد الفكر السياسي الإغريقي في تلك الحقبة من التاريخ[2].

في هذه الأثناء كان "قمبيز الثاني" بن قورش قد تمكن من فتح مصر وإخضاعها للإمبراطورية الفارسية الأخمينية، وكانت والدة أركيسيلاؤس تحكم قورينة نيابة عن ولدها، ولكن سرعان ما هربت إلى مصر فور سماعها خبر مصرع إبنها في برقة، واحتمت "بقمبيز"، وطلبت منه الدعم العسكري بدعوى أن ابنها إنما قتل بسبب ميله إلى الفرس، فجهزوا لها جيشاً وذهبا معا إلى برقة حيث اقتصوا من القاتل[3]، وفي هذه الأثناء قام "اركسيلاوس الثالث" بإعلان خضوعه للفرس وقبول بدفع الجزية لهم[4].

سيطر الفرس على قورينا طيلة عهد حكم "باطوس الرابع" (519-475ق.م) و"أركسيلاوس الرابع" (457-449 ق.م) آخر ملوك قوريني من الأسرة الباتوسية، الذي تولى حكم المدينة صغير السن[5]. وبقى في هذه المدينة جالية قليلة ممن كانوا يتمتعون بصلة القربى للأسرة

[1] - هيرودت، تاريخ هيرودوت، الكتاب الرابع، المصدر السابق، ص 358؛ جميلة عبد الكريم محمد، ، مرجع سابق، ص 308؛ غوليا لم ناردوتشى: إستيطان برقة قديماً وحديثاً، المرجع السابق، ص 43.

[2] - فرنسوا شامو، المرجع السابق، ص 195.

[3] - هيرودت، تاريخ هيرودوت، الكتاب الرابع، المصدر السابق، ص ص، 358-359.

[4] - جميلة عبد الكريم محمد، المرجع السابق، ص 309.

[5] - نفسه، ص ص، 314- 318.

الملكية الحاكمة ويؤيدونها[1]. لذلك قام "اركيسيلاوس الرابع" بإغراء الكثير من المستوطنين الإغريق من مختلف أنحاء البلاد اليونانية للقدوم إلى مدينة قورينة، وأرسل مجموعة منهم إلى مدينة "يوسبيريدس" تحت قيادة أخيه "كاروتاس"(Carrhotas) ليجعل منها ملجأً آمناً يأوي إليه إن دعت الحاجة من مثل قيام ثورة ضده في قورينة[2].

حدث تطور كبير في مدينة قوريني فقد كره السكان النظام الملكي الموالي للفرس وحاولوا إقامة نوعاً من الحكم الديمقراطي خلال الخمس عشر سنة الباقية من القرن السادس ق.م(515-500 ق.م)[3]، وقد وقع ما كان يخشاه الملك حيث أثار قدوم المهاجرين الجدد نقمة المهاجرين القدماء فقام هؤلاء في سنة 401 ق.م بثورة ديمقراطية ذات طابع إجتماعي، قتل فيها خمسمائة من الأغنياء وفر الكثير منهم، وضاقت الطبقات الفقيرة في قوريني ذرعاً بالعقبات التى وضعتها في طريقها الحكومة الأوليجارشية، لتحرمها من حقوقها الطبيعية، وخاصة بعد أن زاد عدد الفقراء على عدد أفراد الطبقات الممتازة، وآل الأمر بعد ذلك إلى الحزب الديمقراطي، الذي شرع في إعداد برنامجاً اصلاحياً يستند إلى الأسس الديمقراطية التى كان "كليسثينيس"(Cleisthenes) قد سنها لأثنا، فحلت محل القبائل والعشائر القديمة قبائل جديدة، وامتزجت في المجتمع شتى العناصر، فألغي بذلك دستور "ديموناكس"[4].

يبدو أن العلاقة بين إغريق قورينة وقبائل الليبو في هذه المرحلة استمرت متوترة، حيث استقر بهذه الأخيرة المقام في قلاعها وحصونها على حافة الإقليم الخصيب وشنت الكثير من الغارات على مدنه كلما سنحت لهم الفرصة، خاصة قبائل البكاليس(Bakalec) الليبية القاطنة بين برقة ويوسبيريدس التي شنت غارات مكثفة على المدن الهللينية خاصة مدينة يوسبريدس[5].

4)-الوضعية الاجتماعية من خلال دستور قوريني:

[1] - عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص 169.
[2] - نفسه، ج.4، ص 170.
[3] - عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص 170.
[4] - مصطفى كمال عبد العليم ، المرجع السابق، ص 137.
[5] - جميلة عبد الكريم محمد ، مرجع سابق، ص ص 321-322.

أ)– علاقة الليبو بالإغريق: المصادر الموجودة شحيحة المعلومات لمعرفة عدد سكان مدينة قوريني من الإغريق أو الليبو المتأغرقين، بيد أنه ابتداءاً من القرن الرابع قبل الميلاد تجمعت قرائن منها اتساع المدينة ونموها وراء أسوارها، وعظمة وتعدُّد القرابين المتمثلة في تلك التحف النحتيّة التي تم العثور عليها في المعابد، وكثرة المقابر[1]. وهذه المؤشرات تدلّنا على مدى العظمة التي وصلت إليها هذه المدينة ومدى كثرة سكانها من الطرفين.

إلا أن الوثائق المنقوشة خاصة تلك النقيشة المجسدة على لوحة من الرخام المحفوظة في متحف شحات والتى تتضمن وصفاً لدستور قورينى، تطلعنا على الوضع الاجتماعي بها ووضع الليبو، حيث يتكون الدستور في النقيشة على خمس عشرة مادة، أهمها المتعلق بعلاقة الليبو بالإغريق، حيث تذكر المادة الأولى منه، المواطنون(Politai) هم من مواليد أب وأم من قورينى، ويدخل في تعداد المواطنين أيضاً أولئك الذين ولدوا لسيدات ليبيات من آباء إغريق من قوريني، في المنطقة التى تلي كاتاباثموس(السلوم)، وأهال أوتومالاكس(Automalax)(وهذه تقع إلى الغرب أسفل خليج سرت)، والمنفيين، وأولئك الذين أنزلهم أهل قورينى في مناطق تابعة لمدينتهم بوصفهم مستعمرين عسكريين، وأولئك الذين أنزلهم بطليموس وأعطاهم صفة المواطنين[2].

ب)– البناء الإجتماعي في العصر الملكي: يمكن أن نتصور البناء الإجتماعي والدستوري للإغريق في ليبيا في العصر الملكي قائم على أساس وجود مدن كبيرة، مثل: قوريني وبرقة ويوسبريدس، يحيط بكل منها ريفها الخاص بها، وأن الطبقة الممتازة من الإغريق كانت تَخص نفسها بالسلطات الأساسية في المدن، وترك الريف بقراه للمواطنين الإغريق الوافدين حديثاً من شتى أرجاء العالم اليوناني إلى جانب إغريق ثيرا، فكانوا يكونون طبقة البيرى أو يكوى، وإلى جانب هؤلاء نجد جموع اللوبيين الذين انتزعت أراضيهم لتمنح للمهاجرين الوافدين لدعم العنصر الإغريقي، ويمكن أن نتبين وجود نظاماً على رأسه ملك يتمتع بسلطات واسعة، يقوم إلى جانبه مجلس شيوخ ومجلس شوري، ينبثقان عن هيئة المواطنيين من الطبقة الممتازة، التي ضمت المهاجرين الأوائل من أهل ثيرا، ومن هذه الطبقة كان يختار الايفوروى، وإلى جانبهم هيئة أخرى ربما كانت

[1] – فرنسوا شامو، المرجع السابق، ص 272.

[2] – مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 138.

طبقة البرى أو يكوى التى لا ترقى إلى مكانة الطبقة الأولى، ثم تأتى طبقة اللوبيين الذين ما كان لهم أن يندمجوا مع الإغريق، إلا إذا جاز لنا أن نستثنى أبناء السيدات اللوبيات من آباء إغريق[1].

عند هذا الحد تتبلور في ذهننا صورة واضحة لمجتمع قورينة، فهو مجتمع طبقي هرمي تنقصه الطبقة المتوسطة بينما تتكون قاعدته من الأتباع وتتربع قرب قمته طبقة أرستقراطية من الملاكين ويقوم فوق المجتمع ملك مطلق جمع في يده مقاليد السلطات الدينية والعسكرية والمدينة[2].

نستنتج مما سبق أن تغلغل الإستيطان في أعماق الدواخل، كان يثير على الدوام ردود أفعال عدائية لدى اللوبيين، الذين كانوا في سوادهم الأعظم من الأقوام الرُّحَّل ورعاة الماشية والأنعام، ذلك أن القبائل اللوبيّة القديمة الشديدة البأس التي دفع بها المعمِّرون الوافدون بعيداً نحو السهول شبه الصحراوية، لم تقبل بانتزاع الإغريق لأفضل وخيرة مراعيها منها وتوزيعها على معمِّرين وافدين، فقاومت بكل ما كان باستطاعتها، إلى أن انتهى الأمر بها إلى إرغام هؤلاء المعمِّرين على التزام العيش داخل حزام محدود المناطق على الشريط الساحلي لقورينائية.

المبحث الثاني: الحياة الاجتماعية: لا شك أنه عندما أسس الإغريق مستوطناتهم المنتشرة في ليبيا، نقلوا معهم حضارتهم والمتمثلة في عاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية والدينية بالإضافة لنظمهم وقوانينهم السياسية والاقتصادية والثقافية، التي تأثر بها السكان المحليين وقلدوا بعضاً منها.

أولا– العلاقات الأسرية: سأدرس العلاقات الأسرية من خلال العناصر الآتية:

1)– المرأة: كان للمرأة دور هام في النسيج الاجتماعي ويتوضح ذلك من خلال:

أ)– دور المرأة في رحلة الإغريق: كان الحضور الأول للمرأة الإغريقية في تاريخ إقليم قوريني بعيداً عن الواقع وممتزجاً بالأسطورة ، إذ يورد بنداروس في بوثينيته التاسعة أن المؤَلَه "أبوللو" أُغرم بحورية تدعى كيريني عندما شاهدها تصرع أسداً في غابات تساليا، فانتزعها من عالمها وأتى بها إلى

[1] – نفسه، ص ص، 126-127.

[2] – عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص ص 178-179.

قوريني حيث المكان الذي سيقيم فيه الإغريق مدينتهم، ولا شك أن هذه الأسطورة ماهي إلى عملاً قُصد به إضفاء المزيد من الشرعية على الغزو الإغريقي لليبيا فقط[1].

وما بوسع رفاق "باطوس"(639-599 ق.م) أن يصطحبوا معهم إلى ليبيا نساء إغريقيات من ثيرا، حيث قرَّر الثيرانيُّون إيفاد معمِّرين يتم أخذهم من بين الأُسر متعددة الأبناء، بواقع ابنٍ عن كل أسرة، يتم اختيارهم بطريقة القرعة، على أن يؤخذ هؤلاء المعمِّرون من قرى الجزر السبع وأن يكون باطوس رئيساً لهم يُضفي عليه لقب: ملك[2]. وكان الهللينيين المهاجرين لا يتجاوز عددهم المائتين مهاجر بادئ الأمر، في سفينتين من ذوات الخمسين مجدافاً[3].

من هنا نعرف أن النساء الإغريقيات تغيبن عن بداية تأسيس المستعمرة ولم يحضر سوى الرجال، ويعزز هذا التصرف من قبل الإغريق ما عُرف عنهم من ميل إلى إبقاء المرأة داخل البيت لتغزل خيوط الصوف وتعتني بالأطفال وتتولى شؤون الطبخ، ومن خلال الإطلاع على تاريخ الإغريق نجد أنهم لم يصحبوا معهم زوجاتهم لدى قيامهم بحصار طروادة، كما أن الأوديسا كلها رحلة تصور عودة الرجل المحارب أوديسيوس-وهو أحد أبطال طروادة- إلى منزله حيث تنتظره زوجته بعد طول غياب[4].

لكن من ناحية أخرى لا يمكننا إغفال إشارة هيرودوت إلى وجود بعثتين في عملية إستيطان الإغريق لليبيا، البعثة الأولى أبحرت سريعاً ومن هنا يمكن تبرير إحتوائها على عدد قليل من الرجال الذين لا يتجاوز عددهم 200 شخص فقط، لأن هذه الرحلة كانت استكشافية حيث بقت سنتين فقط في ليبيا ثم عادت إلى دلفى، فأمرهم الموحي بالرجوع إلى ليبيا مجدداً، وبذلك تبدأ الرحلة الثانية حيث استقروا هذه المرة لمدة ستة سنوات في منطقة أزيريس[5]. وفي هذه

[1] - الصديق بودوارة، المرأة الليبية في قورينا وسؤال الهوية، مجلة جامعة ابن رشد في هولندا، العدد الثامن، هولندا، آذار مارس 2013م، ص 118.

[2] - فرنسوا شامو، المرجع السابق، ص 124.

[3] - هيرودوت: تاريخ هيرودوت، الكتاب الرابع، المصدر السابق، ص 352.

[4] - الصديق بودوارة، المرجع السابق، ص 119.

[5] - هيرودوت: تاريخ هيرودوت، الكتاب الرابع، المصدر السابق، ص354- 355.

الرحلة يمكن احتمال اصطحاب النساء مع العائدين إلى ليبيا مجدداً ووصلوا إلى إزيريس حيث سكنوها لمدة ست سنوات، خاصة أنهم أصبحوا أكثر معرفة بالأراض وأكثر تأكداً من الفراغ الحضاري الذي كان يسود المنطقة وكذلك خلوها من المخاطر المفترضة[1].

وقد كانت عادات النسوة وتقاليدهم عبارة عن مزيج وخليط من تلك الإغريقية الوافدة واللوبية المحلية، فهي متشابهة بين الإغريق واللوبيين[2]. وعلى كل حالٍ فقد كانت بعض من النساء اللوبيات شقراوات، يجمعن شعر رؤوسهن في ضفائر مجدولة يتركنها تتدلّى خلفهن أثناء رقصهن بابتهاج مع الشباب الإغريق. وكانت نساء قورينا يعكسن مدى الرقي والإزدهار للحضارة الإغريقية في قورينا، حيث كن لا يجرّؤن حتى على لمس البقر[3]، ويذكر هيرودوت أنهن كن يمتنعن عن أكل لحوم البقر إجلالاً لايزيس المصرية التي يصمن لها ويكرسن الاحتفال تكريماً لها، وكانت نساء برقة تمتنعن عن أكل لحكم الخنزير والبقرة إقتداءا بنساء قوريني، وغيرها من العادات والتعاليم التي تمسّكوا بها[4].

ب)– تميز المرأة القورينية: من إشعاع الأنوثة اللوبية في قورينا نجد آريتيه القورينية (Arete of Cyrene)[5]، ابنة أرسطيفوس الأكبر، ووالدة أرسطيفوس الأصغر الذي سمته أمه على اسم جده. ولدت آريتيه بمدينة قوريني سنة 400 ق.م وتوفيت بها سنة 340 ق.م. تتلمذت في الفلسفة والأخلاق على يد والدها، وقامت بدورها بتعليم ابنها أرسطيفوس الأصغر، ولذا كني هذا الأخير بتلميذ أمه (Matro-didact)[6].

---

[1] – الصديق بودوارة، المرجع السابق، ص ص، 119-120.

[2] – راضية أبو عجيلة صالح بن خليفة، المرجع السابق، ص 137.

[3] – غوليا لم ناردوتشى ، المرجع السابق، ص ص، 150- 152.

[4] – هيرودوت، تاريخ هيرودوت، الكتاب الرابع، المصدر السابق، ص 365.

[5] وهناك من يسميها آراتي (Arate) إلا أن الاسم الأول هو الصحيح لأن هذه الصيغة الأخيرة جدا في اللغة الإغريقية، ولأن علم تخريج الألفاظ "بروزوغرافيا" يرجع التسمية الأولى.

[6] مفتاح عبد الله المسوري، المعين في تاريخ الفلسفة الكيرينية (القورينية)، ط1، دار الرواد، طرابلس-ليبيا،2012، ص 131.

خلفت آريتيه والدها في رئاسة المدرسة الفلسفية القورينية[1]، بيد أن الفضل الكبير يعود إلى ابنها أرسطيفوس في تقنين، وتنظيم منظومة الفلسفة القورينية فيما بعد. درست آريتي في مدرسة قوريني وفي أكادميات آتيكا في بلاد الإغريق، وذلك طيلة خمسة وعشرين سنة من حياتها، وينسب إليها نحو أربعون كتاباً وكان لها أكثر من مائة وعشرة من التلاميذ والأنصار من الفلاسفة، وكانت تحظى بتقدير واحترام كبيرين من قبل مواطنيها في قوريني حيث قام سكان قوريني، بعد وفاتها، بنقش العبارة الآتية على قبرها **" أنها روعة اليونان فهي تملك جمال هيلانة، وفضائل ثيرما، وقلم أرسطيفوس، وروح سقراط، ولسان هوميروس"**[2].

وقال فيها كليمانت السكندري: **"...النساء مثل الرجال قادرات على بلوغ الكمال.. ...كذلك آريتي ابنة أرسطيفوس القوريني التي ربت وعلمت ابنها أرسطيفوس الأصغر الذي اشتهر أكثر بكنية تلميذ أمه"**[3]، وكانت قادرة على تخريج أجيال من العلماء والمثقفين بدليل أن آريتي قامت بنفسها بتعليم ابنها، وذلك خلافاً للعرف السائد آنذاك لأن الأسر الميسورة كانت تختار مؤدبين لأبنائها وبناتها.

ومن النساء البارزات أيضا في تلك الفترة "برنتشي أو برنيكي" فبالرغم من أنها كانت تنحدر من أصل أثيني من "ميليزياديس"(MILZIADE) إلاّ أن أمها "أبامى(APAME) أو "أرسينوى" ربما كانت تنحدر من أسرة السلوقيين (SELEUCIDI) أمّا أبوها "ماجاس" فهو ملك قوريني الذي ربما كان يرجع إلى أصل مقدوني، إلاّ أنه قد ولد في مدينة قورينا[4]. يمكننا ذكر أيضاً الفيلسوفة بطليموسة القورينية من القرن الخامس ق.م، كانت من أنصار المدرسة الفيثاغورسية، وضعت كتاباً بعنوان "في المبادئ الفيثاغورسية للموسيقى"[5]. وهذا دليل على أن المرأة المرأة ساهمت في الحياة العلمية والسياسية، وكان لها فاعلية ومكانة مميزة في المجتمع القوريني.

[1] سأتحدث عن المدارس الفلسفية القورينية في الفصل الموالي.

[2] مفتاح عبد الله المسوري، المرجع السابق، ص 131.

[3] مفتاح عبد الله المسوري، المرجع السابق، ص132.

[4] – غوليا لم ناردوتشى ، المرجع السابق، ص 156.

[5] مفتاح عبد الله المسوري، المرجع السابق، ص 155.

ج)– النساء المحاربات: غاب عن المجتمع المغربي القديم ما يشير إلى الإنتقاص من قيمة المرأة، ولم يستنكف المجتمع اللوبي من قيام المرأة بدور هو حكر على الرجل لدى أمم أخرى كثيرة، مثل القيادة والمشاركة العسكرية والساسية، وقد روى لنا ديودور الصقلي أسطورة[1] نقلها عن سابقيه وهي قصة النساء المحاربات الأمازونيات (Amazones)[2]، مقرهن جزيرة هيسبيري (Hesperie) الواقعة أقصى غرب ليبيا على ضفاف بحيرة تريتونيس[3]،(**ينظر الشكل رقم: 26**)

[1] لا أحد يجهل أهمية الأساطير في دراسة أنظمة التخيل، أنظمة التفكير، أنظمة التعبير لدى الشعوب عموماً، ولدى الشعوب القديمة على الخصوص ولا أحد يجهل، أنه ربما وراء تلك الصور الخرافية المحضة التي تحملها الأسطورة هناك دائماً ما يمكن أن نسميه بصيص من الحقيقة يبقى مرتبطاً بواقع معين، ولو تعلق الأمر بجملة الأفكار وجملة الصور التي تعكسها الأسطورة على الحدث الذي يشكل موضوعها.ينظر:أحمد سراج، المرأة في الأسطورة القديمة، أمل التاريخ ـ الثقافة ـ المجتمع،العدد 13-14،الدار البيضاء،1998،ص 20.

[2] يمكن طرح السؤال عن العلاقة بين كلمة أمازون والاسم الدّال على الغولة في تامازيغت وهو في المفرد: ثامزا وفي الجمع ثامَزْوين بتفخيم حرف الزاي (Tamza, pl. Tamzwin)، وكما هو معروف فإن الغولة في الموروث الشعبي هي امرأة مسترجلة، خاصّة وأنّ هذا الاسم لا يشتقّ منه مذكّر، مثله مثل كلمة أمازونيات التي لا يشتقّ منها مذكّر أيضا. ينظر: محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الأفريقي القديم، المرجع السابق، ص 173.

[3] Diodor, III, 52.

أمازونيتان (فارسة بالرمح وراجلة بالقوس) كما صوّرتهما الفسبفساء الإغريقية

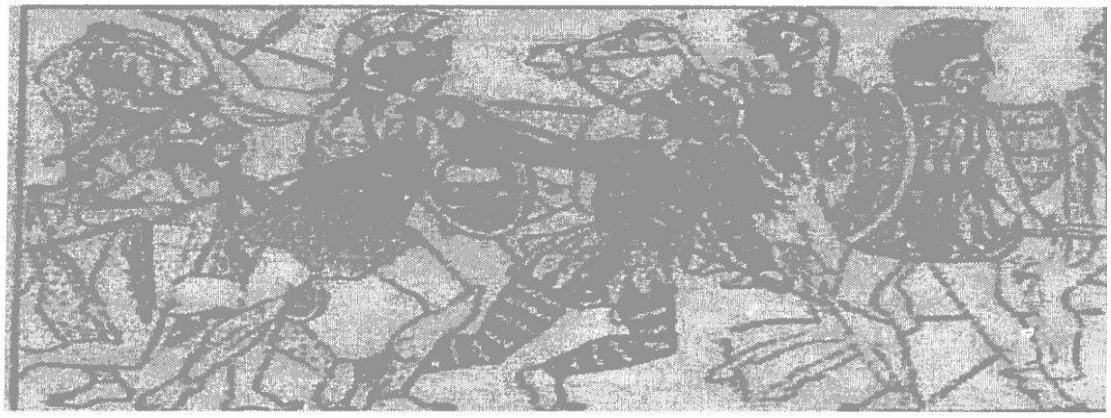

أمازونيات في معركة ضدّ محاربين من الرجال

شكل رقم 26: يوضح النساء الأمازونيات

نقلا عن: عقون، الاقتصاد والمجتمع، المرجع السابق، ص 176.

مارست الأمازونيات التداريب العسكرية، مع الحفاظ على عذريتهن، وكل فتاة تبتر ثديها الأيمن، حيث ساد الإعتقاد أن حجم الثدي يعيق ممارستهن لخوض التداريب التي تتطلب مجهودات جسدية دؤوبة وجبارة[1].

ومن ثم كان العرف يقضي بإحراق أثداء الفتيات العذراوات حتى يتوقف نموها، وهو أصل كلمة "أمازون" كما ورد عند المؤرخ ديودور الصقلي، ويبدو أن هذا الاسم الذي عرفن به جاء

[1] ibid,III,53.

بالنطق الإغريقي، يقصد به النساء اللائي تبتر أثداءهن لكي يسهل عليهن استعمال القوس والنبال بكل مرونة، وبعد انتهاء سنوات الخدمة العسكرية يمكنهن الاقتراب من الرجال لإنجاب الأطفال، وفي نفس الوقت كن يتابعن ممارسة السلطة وإدارة الشؤون العامة[1].

قامت الأمازونات بمحاربة الشعوب المجاورة كالكَوركَونات[2] ثم الأنطلنتس، (شعب الأطلنطتي)، وبعد ذلك انطلقن في غزوة كبرى نحو الشرق حيث اجتاحت تلك النساء شمال افريقيا وبعد ذلك مصر ثم شبه الجزيرة العربية فسوريا ثم آسيا الصغرى حيث انهزمن أما شعب تراس الذي أجبرهن على العودة إلى منطقتهن الأصلية ليبيا[3].

والذي يلفت النظر إلى هذا العنصر النسائي المقاتل، أن اليونانيين حرصوا على تبجيله وتقديره لأن النساء الإغريقيات كانوا يقضون أوقاتهم في المنازل خاضعين دون أدنى حق سياسي[4].

لا أريد هنا الدخول في التفاصيل التحليلية لبنية هذه الأسطورة، وإنما الأخبار المتواترة عن ممارسة الأمازونات للتداريب العسكرية في النصوص الإغريقية، تعكس لنا في تقديرنا إنبهار الكتاب القدماء بمجد تحقق في ليبيا، وانبهارهم بالأدوار التي مارستها المرأة، ومما يعكس حقيقتها استمرار مجد المرأة المغربية التي قادت جيوشا للدفاع عن أرضها ووطنها، حيث يجد الباحث نفسه حائرا بين زخم من الأسماء النسوية التي تولت مهمة قيادة الجيش وبرهنت على براعتها الحربية[5].

2)- الزواج:

---

[1] Diodor, III, 52.

[2] **الكَوركَونات:** وصفتهم مصادر الأساطير الإغريقية، على أنهن مخلوقات غريبة ومخيفة تعيش في الصحراء، وتمت الإشارة إلى جزيرة هيسبيروس واتخذن القرن الغربي كمستقر لهن. ينظر، أحمد سراج، المرجع السابق، ص 22.

[3] Diodor,III,5.3.

[4] أحمد سراج، المرجع السابق، ص 21.

[5] هناك العديد من النصوص التاريخية التي تثبت أن النساء في المغرب القديم كن يشاركن في الحروب إلى جانب الرجال، فهناك نص لهيرودوت عن شعب الأركيس (Les aurcaisses) إحدى قبائل إفريقيا الشمالية والذي يقول: "بأن الرجال حينما كانوا يقومون بغزوة ما، فإن المرأة عندهم كانت تتولى قيادة العربات. ثم يمكن تتبع هذه النصوص حتى نصل إلى القرن السابع، إلى عهد الكاهنة التي أضحت صورة أسطورية من الصور التي تعودت النصوص الخاصة بالفتح الإسلامي لبلاد المغرب أن تتحدث عنها.

أ)– المصاهرات اللوبية الإغريقية: بدأت المصاهرة بين الشعبين منذ الرحلة الأولى التي أقام بها الإغريق بليبيا ودامت سنتين وفي هذه المدة لم يجد الكثيرين منهم بُدّا إلا الاقتران بنساء لوبيات بغية تكوين أُسر لهم في مستوطنتهم الجديدة، والحقيقة أن مثل هذا الزواج المختلط كان مألوفاً في قوريني، وأن هذا من الزواج كان يعتبر غير شرعي إلاّ فيما بعد وفقاً لدستور قورينا[1]. كما وضحت سابقاً والزواج يعتبر أول اتصال تمّ ما بين المستعمرين الأوائل والليبو.

بعيداً عن الأساطير والتخمينات فقد ثبت أن تقدم أحد أبناء "تيليسكاتيس" الإغريقي القوريني إلى ملك الجيليجاماى[2] اللوبي طالبا يد ابنته، ومن بين الشروط التي فرضت عليه مقابل تلبية طلبه هو عليه أن يشترك مع غيره من الإغريق والفرسان اللوبيين في سباق يحظى الفائز فيه بالفتاة ويكون الفوز بالسباق بمثابة مهراً للزوجة، وكان الفائز هو "أليكسيداموس" الإغريقي وقد حياه الفرسان اللوبيون تحية النصر[3].

يمكن الإشارة هنا بأن المرأة اللوبية التي تزوجت من الإغريقيين أو التي تأغرقت بزواجها كانت أقل درجة من الإغريقية الأصيلة، وبالتالي فإن أبنائها قد عانوا هم أيضاً من مشكلة عدم الاعتراف بهم كمواطنين إغريق كاملي الأهلية، خاصة أن الإغريق معروف عليهم الإعتزاز بالهوية واستبعاد الآخرين والحط من مكانته باعتباره بربرياً، وتاريخهم يشهد على ذلك فالدوريون الذين أسسوا إسبرطة عاملوا سكانها الأصليين كطبقة منفصلة يصنفون كعبيد للدولة، وإن تم تحرير البعض منهم يصبحون "نيوداموديس" أي مواطنين جدد أو مواطنون من الدرجة الثانية[4].

ويتضح لنا من الدستور الذي وضعه "باطوس الأول" أن المولَّدين – أبناء الإغريق مـــــن

[1] – غوليا لم ناردوتشى، المرجع السابق، ص ص، 37-38؛ فرنسوا شامو، المرجع السابق، ص 162.

[2] – الجيليجاماي قبيلة لوبية تمتد أراضيها حتى جزيرة الأفروديسياس غرباً، وكان الإغريق أثناء رسوهم على السواحل اللوبية أول مرة قد في مضارب هذه القبيلة قبل أن يبنوا مستوطنتهم قورينة، والجيليجاماي يعيشون نمط الحياة ذاتها التي تعرف بها القبائل اللوبية الأخرى. ينظر، هيرودت، تاريخ هيرودوت، الكتاب الرابع، المصدر السابق، ص 359.

[3] – مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 56.

[4] – الصديق بودوارة، المرجع السابق، ص 122-123.

نساء لوبيات – كانوا هم وحدهم الذين سُمح لهم بالتمتّع بحقوق المواطنة في المدن الإغريقيّة بقورينائية، وليس اللوبيين الأقحاح، لأنه لو سُمح لأعداد كبيرة من اللوبيين بممارسة حقوق المواطنة الكاملة في قوريني، لكان هذا قد ترك أثره البارز في أسماء الأعلام القورينية التي نعرفها حقّ المعرفة، وهناك استثناءات قليلة مثل اسم "باكال" و"ألازير" اللوبين الذين مُنحا حقوق المواطنة في المدينة الإغريقية بصفة شخصيّة[1].

والبنود الواردة في الدياجرا التي صيغت عام 321 ق.م نصت في إحدى بنودها على اعتبار منطقة السلوم الحالية أي كاتاباخموس الكبرى القديمة أقصى الحدود الشرقية لإقليم النساء اللوبيات اللائي يُعترف بزواجهن من الكيرينيين الإغريق[2]. وهو دليل مادي على تصنيف إغريق قوريني أبناء اللوبيات المتأغرقات في منزلة أقل من أبناء الإغريقيات الخالصات، حتى وإن وضعوا في طبقة واحدة مع إغريق المجموعة الأولى.

تظهر بعض التماثيل التي تم العثور عليها في مدينة قوريني أن نسل المولَّدين وذرياتهم ممن ولدوا من أرحام نسوة لوبيّات أنهم اكتسبوا الملامح اللوبيّة القديمة الصحروية، وبالتالي تلك التماثيل لا تمثِّل العنصر اللوبي الخالص، لذلك كانت حضارة قوريني حضارة هلينية صرْفة لا وجود لأيّة مؤثِّرات لوبيّة محلية، اللهم إلاّ فيما يتعلّق ببعض الأمور المحذور على النساء تعاطيها، حيث كنّ يحرِّمن على أنفسهنَّ أكل لحوم الأبقار[3].

ب)– ظاهرة تعدد الزوجات:

كان نظام تعدد الزوجات معروفًا ومعمولاً به في بلاد المغرب، لعل انتشار هذه الظاهرة على نطاق واسع بين اللوبيين هي التي أدت إلى وقوع عدد كبير من الكتاب الإغريق، وفي مقدمتهم هيرودوت في خطأ كبير، عندما تحدثوا عن انتشار ما يشبه الإباحية الجنسية، حيث

[1] – فرنسوا شامو، المرجع السابق، ص 277.

[2] – الصديق بودوارة، المرجع السابق، ص 123.

[3] – فرنسوا شامو، المرجع السابق، ص 278.

يقول عن قبيلة الناسامونيس[1]:**"ومن عادات رجال الناسمونيين أن يتخذ كل واحد منهم عددا كثيرا من الزوجات. وفي مجال العلاقات الجنسيية، فالمرأة مشاعة عندهم مثل ماهو موجود عند (قبيلة)الماساجيت. وإذا أراد أحد منهم معاشرة امرأة، فإنه يغرس عمودا أمام المكان الذي يوجد فيه، إشارة إلى رغبته في امرأة تشاركه الفراش. وعندما يتزوج شخص من الناسمونيين لأول مرة، فمن عادات القوم إقامة حفل خاص بذلك يتعاقب خلاله الضيوف واحدا تلو الآخر على العروس. وبعد مضاجعتها يقدمون لها هدايا أتوا بها من دورهم"**[2].

هناك تناقض في ما أورده هيرودوت حول وضعية المرأة لدى الناسمونيين، فهم من جهة متعددو الزوجات ومن جهة أخرى المرأة مشاعة بينهم. لأن المشاعة الجنسية تلغي وجود الزواج، والمشاعة البدائية حسب التحليل المادي للتاريخ مرحلة مرت بها الإنسانية، كان كل شيئا مشاعا بين البشر: القوت والجنس وغيره. وحتى الظاهرة المتعلقة بمضاجعة العروس ليلة دخلتها وتقديم الهدايا لها، لا ندري هل الأمر يتعلق بالفعل بكل أبناء المجموعة البشرية أم بالأعيان أم بالملك؟ لأن هيرودوت يقول في موضع آخر عن قبيلة الأديرماخيد[3]: **"ومن عاداتهم أيضا أنهم الوحيدون الذين يقدمون للملك البنات البالغات، فإذا استحسن إحداهن افتض بكارتها"**[4].

هذه الفقرة تتضمن معلومتين: الأولى، وجود نظام ملكي لدى هذه المجموعة البشرية، والثانية العادة الخاصة بتقديم البنات للملك. ففيما يتعلق بهذه العادة الأخيرة، فإنها ظاهرة كانت موجودة لدى العديد من الشعوب سواء في العصور القديمة أو في العصور الوسطى، اعتقاداً منهم

[1] **الناسمونيين:** شعب من الشعوب الأمازيغية التي تحدث عنها هيرودوت خاصة في الكتاب الرابع فقرة 172.ويبدو أن الكلمة أمازيغية تتركب من كلمتين إناس وأمون بمعنى قال أمون أو أوحى أمون، مما يبين إذا صح الافتراض، ارتباطهم بالرب أمون وعبادتهم له ويذكرهم هيرودوت في كتابه الرابع في الفقرات: 172 و173 و174 و175 و182. ينظر: أحاديث هيرودوت عن الليبيين، المصدر السابق، ص 26.

[2] نفسه، ص 43.

[3] **الاديرماخيد:** مجموعة بشرية تسكن على الساحل، وهي أول مجموعة ليبية يذكرها هيرودوت انطلاقا من مصر، ويمتد مجالها من ميناء بلينوس. وهذه المنطقة كانت تمثل الحدود بين برقة ومصر. ينظر: أحاديث هيرودوت عن الليبيين، المصدر السابق، هامش ص 36.

[4] نفسه، ص 36.

بقداسة الملك أو باعتباره ممثل الرب على الأرض، أو يتقمص شخصية الرب. ولذلك، وعلى ما يبدو فإن هذه العادة لها علاقة بالاعتقاد الديني والقداسي للملك أكثر من الاعتقاد الدنيوي[1].

وقد ذكر هيرودوت عن قبيلة الجندان[2](Gindanes):" **تزين نساؤهم كواحلهن بحلقات من الجلد. تضع المرأة حلقة من الجلد حول الكاحل عن كل رجل عاشرها، وكلما ازداد عدد حلقات الجلد حول كاحلها، ذاع صيتها وازدادت جاذبيتها، لأن كثرة الحلقات تعني كثرة المعجبين بها من رجال الجندان**"[3].

لا ندري ما نسبة الحقيقة فيما ذكره هيرودوت؟ وما هو مصدره؟ هل المعاينة أو الرواية الشفهية؟ لأن هناك اختلاف بالطبع بين الرواية والمعاينة، وبالتالي فإنه من الصعب القطع في هذا الموضوع. لكن بالرغم من أن هذه الظاهرة تبدو غريبة، إلاّ أن هنالك ما يماثلها في عادات القبائل الصحراوية، وتتعلق بالمرأة، فبدلا من حلقات تزين الكاحل، فإنها كلما ارتفع عدد الأزواج الذين عرفتهم ترتفع مكانتها في أعين الرجال، ويصبح مهرها أكثر غلاء[4].

ولقد قال في الأوسيس[5]:"**نساء الأوسيس مشاعات بين رجالهم، فالرجال لا يتزوجوهن إذ أنهم يعاشروهن كما تفعل السوائم. فإذا ازداد طفل فإنهم ينتظرون إلى أن يشب عن الطوق، ثم يعقد الرجال مجلسا، وهو مجلس يعقد دوريا كل ثلاث أشهر، ويدعون إليه الفتى فيقررون أنه إبن الرجل الأكثر شبها به**"[6].

لقد ناقش العالم الإنجليزي "أورك بيتس"(Oric Bates) هذه الإدعاءات، حيـــــث

---

[1] أحاديث هيرودوت عن الليبيين، المصدر السابق، هميش ص 37.

[2] **الجندان:** لم يذكرهم إلا هيرودوت وبعده إيتيان البيزنطي، الذي نقل عنه، ولا ندري متى اختفى إسمهم؟ هل مباشرة بعد القرن الخامس قبل الميلاد؟ وكيف اختفوا وهل ذابوا في مجموعة بشرية أخرى؟ على كل تصعب الإجابة على هذه الأسئلة. أحاديث هيرودوت عن الليبيين، المصدر السابق، الهامش ص50.

[3] نفسه، ص50.

[4] نفسه، الهامش ص 50.

[5] **الأوسيس:** يقطنون حول بحيرة تريطونيس. ذكر الأوسيس بعد هيرودوت فقط إتيان البيزنطي وأبولودور. ينظر: أحاديث هيرودوت عن الليبيين، المصدر السابق، الهامش ص 56.

[6] نفسه، ص56.

إعتبرها خطأ وقع فيه الكتاب القدامى من إغريق ورومان، لعجزهم عن تفهم ظاهرة تعدد الزوجات. ويورد دليلين اثنين على ذلك، الأول: أنّ الأوسيس كانوا ينزلون عقوبة الموت بالفتاة المشتركة في بعض طقوسهم الدينية، إذا تبين لهم أنها كانت فاقدة عذريتها. وقومٌ هذه صفاتهم لا يمكن أن يصح ما قاله هيرودوت فيهم. والثاني: أنّ نوعا من قرابة الدم كان شائعا في شمال أفريقيا، مما يدل على أنهم كانوا متفقين على نوع من الزواج، يكفي لتحديد قرابة الدم في نطاق الأسرة والقبيلة. إضافة إلى ما دلت عليه النصوص الأثرية المصرية ذات المواضيع العسكرية، لظاهرة تعدد الزوجات فهي إشارة غير مباشرة على الاعتراف بالارتباط الشرعي بين أفراد القبيلة، عكس ما يصوره المؤرخ الإغريقي هيرودوت[1].

3)–تأثر القبائل الليبية بعادات الإغريق:

أ)– قبيلة الأسبوستاي: بعد استقرار الإغريق ببلاد المغرب تأثرت العديد من القبائل بعاداتهم خاصة المجاورة لهم مثل: قبيلة "الأسبوستايْ" الليبية التي تم إجلاء أفرادها عن أراضيهم وأوطانهم نتيجة لعمليات الاستيطان الإغريقي التي كثيراً ما توسَّعت على حسابهم، غير أن أفراد هذه القبيلة ما لبثوا أن تشرَّبوا عادات إغريق قوريني، بحيث نراهم "يتأغْرقون" أكثر من أيّة قبيلة لوبيّة قديمة أخرى، وقد زود هؤلاء "الأسبوستايْ" جيرانهم إغريق قوريني بالأيْدي العاملة المحليّة التي كانت مستوطنتهم في حاجة إليها[2].

يخبرنا هيرودوت أن بلاد: **"الأسبيستاي وبلادهم أبعد من قورينة... ويتميز أبناء هذه القبيلة بين الليبيين بركوبهم عربات تجرها أربعة أحصنة، وهم يجهدون في الإقتداء بأسلوب حياة القورينيين"**[3]. معنى ذلك تبني الحضارة الإغريقية المنتشرة في مدينة قوريني.

ب)– قبيلة البصقال: تعتبر قبيلة البصقال من بين القبائل اللوبية التي تأغرقت وهي تقطن إلى الغرب من القبيلة السابقة، حيث كانت تتربع على أراضي شاسعة بجنوب مدينة برقة وتتصل

[1] Bates , Op-cit , P.113.

[2] – فرنسوا شامو، المرجع السابق، ص 283.

[3] – هيرودت، تاريخ هيرودوت، الكتاب الرابع، المصدر السابق، ص 358.

أراضيها بالساحل بالقرب من بدلة تاوخيره التابعة لبرقة، ولهؤلاء نمط معيشة يشبه كثيراً سكان جنوب مدينة قورينة[1].

جـ)- قبيلة البكاليس: ممن تأغرقوا أيضا لدينا قبيلة "البكاليس" أو"البكالى"(BACALI) صغيرة الحجم، تمتد مضاربها إلى الجنوب والغرب من مدينة برقة مباشرة، وتنتهي مضاربها عند الساحل جنوبي بلدة "تاوخيرا" (العقورية)[2].

من بين الأشياء التي تعطينا فكرة عن تأثر سكان بلاد المغرب القديم بالإغريق التمثال المصنوع من البرونز الذي عثر عليه عالما الأثاء الإنجليزيان في مدينة "قوريني"، وهو يصور لنا أحد نبلاء اللوبيين، وبالتمعن في وجه هذا التمثال نلاحظ أنّه نبيل يقلِّد في هيئته الإغريق، من حيث كيفية تصفيف شعر رأسه ولحيته، ولعل أن صورة التمثال ما هي إلاّ شخصية أحد المولَّدين الذين امتزج دمهم المحلي نتيجة التزاوج بالدم الإغريقي الوافد، ومع ذلك فإن وجه هذا التمثال يظل محتفظاً بكل وضوح بالسِّمات الجوهرية التي تميّز بها أجداده الليبو، فشاربه وشعره صدْغيْه خفيف وأجْعد، وعينه لوزيّة الشكل، وجبهته ناتئة وشفتاه غليظتان[3].

مع وجود كل هذه الأدلة المادية فإن الأستاذ بودوارة ينفي نظرية القائلين بإندماج المرأة اللوبية المتأغرقة في المجتمع الإغريقي القوريني اندماجاً كاملاً لمجرد زواجها من إغريقي، لأن طبيعة الإغريق المعتزة دائما بإغريقيته تحول دون ذلك الإندماج الكلي، ومن الأدلة المؤكدة لذلك ما سجلته المصادر القديمة عن حرص الإغريق في كل منطقة نزلوا بها على تكوين جماعات تتسم بالطابع القومي، ويؤسسون الجمنازيوم وهو بمثابة كيان إغريقي مصغر يحرص على عدم تسرب القوميات الأخري إلى المجتمع الإغريقي، ومن هنا كان هذا الكيان معقل حصين للحضارة اليونانية يتشرب الداخل إليه مبادئ الثقافة اليونانية، وقد أقيمت هذه الكيانات في الإسكندرية ونقراطيس وبطولميس وطيبة وتوخيرا وقوريني[4].

[1] – هيرودت، تاريخ هيرودوت، الكتاب الرابع، المصدر السابق، ص 360.

[2] – غوليا لم ناردوتشى، المرجع السابق، ص 54؛ فرنسوا شامو، المرجع السابق، ص 284.

[3] – فرنسوا شامو ، المرجع السابق، ص 37.

[4] – الصديق بودوارة، المرجع السابق، ص 124.

ثالثا– الحياة اليومية: عكست الحياة اليومية احتكاك وتواصل اللوبيون بالإغريق من خلال المظاهر الآتية:

1)– الملابس والزينة: تعد الملابس والزينة من بين الأمور التي تعطينا فكرة عن تأثر الإغريق باللوبيين هو الثوب الذي يكسو تماثيل أثينا ودرعها إنما أخذه الإغريق عن السيدات اللوبيات، إلا أن ثوب السيدات اللوبيات كان مصنوع من الجلد، ويزين أطرافها بالجلد بدلاً من توشيحها برسوم الأفاعي والحيات، وكذلك نجد عُدة أثينا تشبه عدة اللوبيات المسمات(Aegis)، والثوب الذي يكسو تماثيل إله "بالاس"(Pailss) إنما جاء من ليبيا، لأن النسوة اللوبيات اعتدن لبس جلد الماعز ذي الأهداب – بعد نزع الشعر منه–، فوق ملابسهن ويلونونه باللون الأحمر، وقد قام الإغريق بتغيير اسم جلود الماعز هذه إلى اسم "ايجيس"(Aegis)[1].

أما فيما يتعلق بأدوات الزينة فقد كانت متنوعة، حيث ذكر هيرودوت أن نساء الأديرماخيد كن يلبسن خلاخل:**" تتزين نساؤهم بوضع حلقة من البرونز حول كل ساق"**[2].

وهنا إشارة لوسائل الزينة التي تستعملها المرأة اللوبية، والمتعلقة بالحلقات التي تزين السيقان، فعلى الرغم من صعوبة التمييز بين الحلقات والأساور إلاّ أنه يعتمد على السُمك والمظهر للتفريق بينهما: فالحلقات تظهر بسُمك عريض ومغلفة، عكس الأساور التي تبدو بسُمك رقيق ومفتوحة. وتعتبر الحلقات من حلي القدم والساق، ويطلق عليها أيضا الخلاخل، وعموما فإن استعمال الحلقات والأساور ارتبط أيضا بالرجال الذين غالبا ما كانوا يحملون أكثر من واحدة في كل قدم[3].

ويذكر هيرودوت أيضا أن نساء الأديرماخيد:**"لهن عناية خاصة بتسريح شعورهن. وعندما يعثرن على قمل يقمن بعضه قبل أن يرمين به على الأرض، وهذه ممارسة خاصة بهؤلاء الليبيين"**[4]، إن عملية التخلص من القمل أقل ما يقال عنها مقرفة، ولا ندري هل بالفعل

[1] – هيرودوت، تاريخ هيرودوت، الكتاب الرابع، المصدر السابق، ص 366؛ مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 53.

[2] هيرودوت، الكتاب الرابع، المصدر السابق، ص 36.

[3] هيرودوت،أحاديث هيرودوت عن الليبيين، الهامش ص 37.

[4] نفسه، ص 36.

كانت نساء الأدرماخيد يقمن بعض القمل قبل رميه أم أن هذا الموقف من اختراع هيرودوت، وذلك على الرغم من أن هذا الأخير يؤكد بأن هذه الممارسة خاصة بهذه المجموعة فقط.

2)- المساكن: التأثيرات في المجال العمراني شحيح في المصادر والمراجع حتى نكون تصوراً واضحاً، فهي لم تحظ بقدر من الاهتمام من قبل أولئك الذين اهتموا بدراسة المنشآت المعمارية، ذلك لأن كتاباتهم التي تناولت تاريخ وفن العمارة القورينيائية تناست أو تجاهلت ذكر أو وصف المساكن في إقليم المستوطنات ولو بشكل عام، واقتصرت مادتها على وصف تصاميم المرافق والصروح والمنشآت الدينية كالمعابد والأروقة والمقابر والأضرحة[1].

إلا أن هيرودوت وصف مساكن الناسامونيس:**"مساكنهم مصنوعة من سيقان الأسل الملتف يسهل حمله من مكان لآخر"**[2]، من خلال النص نفهم أنه كانت لهم مساكن متنقلة مكونة من نباتات خفيفة الوزن، أو من شعر الحيوانات التي كانوا يدجنونها، تفاديا للوزن الثقيل في حالة وجود مساكن من مواد أخرى كالحجر والطين والتراب المدكوك التي يستعملها المستقرون.

3)- العربات: يؤكد هيرودوت أن الإغريق أخذوا عن اللوبيين استخدام أربعة جياد في جر العربات[3]. وقد كان شعراء الإغريق كثيراً ما يصفون قورينة مقرونة بالخيول، وأنها ذات الجيادين وذات الأربعة جياد، وأنها مدينة العربات الجميلة، وقد حمل الكثير من النقود القورينية صور الخيل والفرسان والعربات ثنائية الجياد ورباعية الجياد، وقد كانت العربات من ضمن الهدايا القورينية الكثير التي خصصت لمعبد دلفى، كما أهدى القورينيين للإسكندر المقدوني عند زيارته لواحة آمون(سيوة) خمس عربات رباعية الجياد رائعة الشكل[4].

من خلال ما تم عرضه في هذا الفصل يمكن التعرف على طبيعة العلاقات اللوبية الإغريقية التي تأرجحت بين العداء والسلم، فهناك قبائل أعلنت الحرب، نتيجة سياسة التوسع في الأرض التي مارسها الإغريق على حساب اللوبيين، كما كان على اللوبيين أن يواجهوا وحدهم كل تلك

[1] - راضية أبو عجيلة صالح بن خليفة، المرجع السابق، ص 138.

[2] هيرودوت، الكتاب الرابع، المصدر السابق، ص 75.

[3] - نفسه، الكتاب الرابع، ص 366.

[4] - راضية أبو عجيلة صالح بن خليفة، المرجع السابق، ص ص، 191-192.

القوى التي كانت تتصارع فيما بينها على المنطقة، وهناك قبائل أخرى متأغرقة ومتداخلة مع إغريق قورينة تشربت عاداتهم وثقافتهم بحكم الجوار والتواصل والمصاهرة.

كما كانت الحياة الاجتماعية مختلفة الأنشطة داخل المستوطنات الإغريقية، حياة مليئة بالمستجددات والمتغيرات الإقليمية والعالمية، من أجل التعايش والتواصل الحضاري، تماشياً مع ما تمليه الظروف في تلك الفترة من التاريخ.

الفصل الثالث:

التأثيرات الثقافية المتبادلة بين اللوبيين والإغريق

المبحث الأول: اللغة والتأليف الأدبي.

المبحث الثاني: التعليم والمدارس الفلسفية.

المبحث الثالث: العلاقات الدينية والفنية.

شهدت الحياة الثقافية في بلاد المغرب نمواً وتطوراً وازدهاراً في شتى المجالات لا سيما الأنشطة الفكرية (التعليم والآداب والفلسفة والعلوم) والدينية (كمواكب الإله أبوللو) والفنية (الرياضة والمسرح والنحت والبناء)، ذلك لأن الحضارة الإغريقية كانت نابعة من البناء المادي والفكري للإنسان (بناء العقل والروح والجسم)، ولهذا كانت الثقافة نشطة، متجددة، لا سيما وأن الأدلة على وجود ذاك النشاط الثقافي قد تنوعت وتعددت، وهي وثائق أثرية تمثلت في النقوش، ووثائق تاريخية وفلسفية، حيث نبغ العديد من العلماء في مجالات الأدب والفلسفة والعلوم والرياضيات والفلك.

المبحث الأول: اللغة والتأليف الأدبي: تعتبر اللغة أداة مهمة للتعبير وتعكس مدى تواصل سكان بلاد المغرب مع الثقافة الإغريقية ويظهر ذلك من خلال التأليف الأدبي.

أولاً– اللغة: سأتطرق لموضوع اللغة من خلال العناصر الآتية:

1)– اللغة الإغريقية: هي لغة أهل أثينا ألفت فيها روائع الأدب والفلسفة، واللغة اليونانية هي إحدى الفروع الهامة في الأسرة المتعددة اللغات المعروفة بالهندو أوروبية والتي تضم اللغة اللاتينية وما اشتق منها من لغات أوروبا الغربية كالإيطالية، واللغات السلافية وما اشتق منها من لغات أوروبا الشرقية كالصربية وشمال آسيا والروسية ولغات آسيا الصغرى كالفارسية، وغالبا ما يتم مقارنتها مع اللغات السامية التي تنتمي إليها اللغة الفينيقية والعبرية وغيرهما[1].

كانت اللغة الإغريقية لغة حضارة مزدهرة سعت علوم العصر ومعارفه، بحيث من غير المقبول أن يُدعي المعرفة دون درسها باليونانية أو في عواصم علمية ذات طابع يوناني، وقد أصبحت اليونانية بعد توسع الإغريق شرقاً وغرباً لغة عالمية بالنسبة للعالم القديم، حيث انتشرت في آسيا الصغرى ومصر وليبيا وإيطاليا وشمال إفريقيا، وغدت لغة التجارة والعلم معاً، وقد كان متعذراً على التجار الإيطاليين مثلاً خلال القرنين الثاني والأول قبل الميلاد أن يتفاهموا مع النوميديين من غير استعمال البونيقية أو الإغريقية أو استخدام مترجمين[2].

[1] مفيد رائف العابد، المدخل إلى اللغة اليونانية، ط1، منشورات جامعة دمشق، 1977، ص. ص 3 – 7.

[2] – محمد البشير شنيتي، أضواء على تاريخ الجزائر القديم بحوث ودراسات، المرجع السابق، ص 162.

2)- الإغريقية في قورينائية: حافظت المستوطنات الإغريقية في ليبيا علىً أصولها، فقد كانت اللهجة الدورية هي السائدة في لغتها الرسمية[1]. وقد إحتوت اللهجة القورينائية على صِيغ لغوية نادرة تعرف بـ"الصّيغ الأيولينية" الصقلية، وربما هي بعض بقايا من اللهجة "الأيولينية" التي كان يتكلّمها المعمرون الإغريق الأقدمون الأولون، وقد أمدتنا الإكتشافات النقشية التي أبانت عنها الحفريات التي قام بها الإيطاليون في ليبيا عن أمثلة عديدة للصيغ اللغوية "الأيولينية"، التي تنطوي عليها اللهجة الإغريقيّة القورينائية[2].

في الواقع إن فقهاء اللغة ما يزالون غير متفقين حول التفسير المتوجّب إعطاؤه لهذه القرائن اللغوية، فنجد "ج. ديقوتو" يرفض إمكانية وجود أيّ تأثير "إيوليني"، ويرى أن وجود بعض الصيغ اللغوية الشاذة في لهجة قوريني الدُّورية إنما ينمُّ فقط عن حصول تطور لغوي مستقل وأصيل تميزت به هذه اللهجة الإغريقية في ليبيا، أمّا اتخاذ أسماء الفاعل المؤنّثة في لغة النقوش التي تم العثور عليها في قوريني لصيغ إغريقية خالصة، فيدل على تطور اللهجة الدّورية فيها كان بطيئاً مقارنة باللهجة الثيرانية، ولا يستبعد أن يكون قد حصل إندماج اللهجة القورينائية في هيكل اللهجة الثيرانية، ولكن من غير أن يعني ذلك أنّه توجد بينهما وبين اللهجات الأيولينية أيّة علاقة[3].

وترى "أ. براون" بأن صيغ اللهجة الإغريقية القورينائية شبيهة بتلك الصِيَغ النحوية التى نصادفها في اللغة الدورية البليغة التعابير والرائعة البيان، لدى كلٌّ من: "كاليماخوس القوريني" و"بنداروس" و"ثيوقريطس"، وأيضاً لدى الشعراء الصقلّيين من الإغريق، وشعراء المستوطنات الإغريقية القديمة في جنوبي إيطاليا، وهذا الشبه يبرهن على أن إستعمال هؤلاء الشعراء في لغتهم البليغة لأمثال هذه الصيغ النحوية الخاصة يرجع إلى محاولة إحياء قديم اللغة الإغريقية القديمة في مدينة قورينة البعيدة عن وطن الإغريق الأمّ، وقد لعب الدّوريون الأثر البالغ في ذلك قبل الثيرانيون[4].

[1] - غوليالم ناردوتشى، المرجع السابق، ص 31.

[2] - فرنسوا شامو ، المرجع السابق، ص 76.

[3] - نفسه، ص ص، 76-77.

[4] - نفسه، ص ص، 77-78.

3)- وضع اللغة الإغريقية في نوميديا: سعى الملك ماسينيسا أن يتلقى أبناؤه تربية ذات خصائص يونانية، وبالفعل فقد تحصل ابنه مستبعل على مستوى رفيع من العلوم اليونانية[1]. وكان أبناؤه الثلاثة على الأقل، وهم: مستبعل وغلوسا ومكيبسا[2]، الذين تقاسموا السلطة في المملكة بعد وفاته، يجيدون اللغة اليونانية إلى جانب البونية والليبية، حيث تضلع ابنه مستنبعل والد يوغرطة في العلوم الإغريقية حسب شهادة المؤرخ تيت ليف[3]. ويوافقه اصطيفان اكصيل حيث يذكر:"**كان الملك مَسْتَنَبَعْل(Mastanabaal) ابن ماسنيسا على اطلاع باللآدب الإغريقي**"[4].

أما الملك مسبسا فقد كان شغوفاً بمجالسة الأدباء والفنانين الإغريق، فكان يقضى جل أوقات فراغه في الدراسة والبحث في ميادين الفلسفة[5]، وقد أحاط نفسه بعدد من المثقفين الإغريق حيث جعلهم من حاشيته المقربين، وكان يجتهد في تعاطي الدروس المختلفة وعلى الخصوص الفلسفة[6].

ومن ذلك أن نوميديا كانت توفد أمراءها في بعثات طلابية إلى العواصم اليونانية لتلقي المعرفة على أيدي أدباء وفنانين إغريق[7]، حيث قال كابريال كامبس:" **تضاعف الاحتكاك ببلاد الإغريق على امتداد حكم ماسينيسا ولا تزال بعض الشواهد الأدبية والنقوشية والأثرية من تلك المبادلات والعلاقات قائماً، وهو ما جعل فترة حكمه فترة انفتاح بلاد البربر على التأثيرات الإغريقية ليس فقط في المدن الساحلية ولكن المدن الداخلية التي اتخذها**

[1] - بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 86.

[2] - **ميسيبسا (Micipsa)**: ذكر في الكتابات القديمة باسم مكوسن، وهو الابن الأكبر لماسينيسا، تقاسم عرش الماسيل مع أخويه غلوسن ومسطنبعل، بعد وفاة أبيهم سنة 148 ق.م. غير أنه انفرد بالحكم بعد وفاة أخويه سنة 139 ق.م. وحكم إلى غاية 118 ق.م. ينظر: محمد الصغير غانم، نقيشة ميسيبسا الأثرية، مجلة سيرتا، عدد4، مطبعة البعث، قسنطينة، 1980، ص ص 2 - 4

[3] - غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر ماسينيسا أو بدايات التاريخ، المرجع السابق، ص 224-240.

[4] - اصْطيفان اكْصيل، ج.6، المرجع السابق، ص 80.

[5] - بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص ص، 86-87.

[6] - اصْطيفان اكْصيل، ج.6، المرجع السابق، ص 80.

[7] محمد بشير شنيتي، المرجع السابق، ص. ص (161- 162).

الملك وأبنائه عواصم لهم من بعده"[1].

يمكننا القول أنه كان هناك تعايش لغوي ثلاثي (لوبية- بونيقية- إغريقية) وذلك في أوساط محدودة على الأقل، ولدى الفئة المثقفة من علِّية القوم، فمدينة كرطا(قسنطينة) مثلا قد عرفت هذه الثلاثية اللغوية أثناء العهد النوميدي[2]. بدليل أنصاب معبد الحفرة التي نقشت عليها كتابات إغريقية مختلطة مع الأنصاب البونية والبونية الجديدة وهي نقوش تضمنت نماذج للغات ثلاثة بصفة متفاوتة الحجم والعدد طبعاً، بالإضافة إلى مائة وثلاثون لقباً ذيوا أصل إغريقي والذي تم التنقيب عنها في نفس المنطقة من طرف علماء الآثار[3].

وقد اعتقد بعض المؤرخين أنّ النقوش الإغريقية بمدينة كرطا تخص جالية إغريقية كانت تعيش في تلك المدينة، لكن هذا الإفتراض لا يتعارض مع القول بوجود الناطقين بالإغريقية من النوميديين بالمدينة، وقد استبعدت الدراسات التاريخية حقيقة تفتح البربر وذوبانهم الكلي في ثقافة الإغريق، ومن جهة أخرى أكدت على احتمال تأثر الأقلية من حكام البربر باللغة اليونانية[4]. وهذا وهذا هو الأصوب في رأيي.

يذكر اصطيفان اكصيل عن اليونانية ما نصه:"**كان باستطاعة هذه اللغة(اليونانية) أن تحدث تأثيرها على بعض العقول المتعطشة للثقافة، ومن بين هذه العقول يجب –على ما قيل- ذكر ابني مسنيسا، وهما مسبسا ومستنبعل، وليس من قبيل الصواب أن تكون الجالية الإغريقية التي بسرتا قد اجتهدت لنشر لغتها بين سكان هذه المدينة، على أن**

[1] غابريال كامبس، المرجع السابق، ص 237.

[2] - محمد البشير شنيتي، أضواء على تاريخ الجزائر القديم بحوث ودراسات، المرجع السابق، ص ص، 162-163.

[3] (F) Decret et (M) Fantar, Op-cit, P.113.

[4] ونود الإشارة هنا إلى أنه رغم تهلين النوميديين في المدن أسوة بأسرة ماسينيسا إلا أنهم لم يكتبوا خلال هذه الفترة باليونانية، وعلى افتراض أنهم كتبوا فالثابت أثريا أنه لم يصلنا شيئ منها، والوحيد الذي كتب كان يوبا الثاني (50 – 23 ق.م) بعد الاحتلال الروماني وكردة فعل على الثقافة اللاتينية، كما أن الكتابة اليونانية في المغرب القديم قد أكب علماء اللغة على دراستها فيلولوجيا وخاصة الباحثين من جامعة قار يونس ببنغازي، وكذا الأمر بالنسبة للبونية التي اهتم بدراستها أعضاء هيئة التدريس بجامعة منوبة. ينظر: مها العيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم، المرجع السابق، ص 332.

التردد على الموانيء النوميدية والمورية من جانب البحارة والتجار القادمين من البلدان الإغريقية بالمشرق، ومن صقلية ومن بلاد الإغريق الكبرى، ربما كان له تأثير أكبر"[1].

ولدينا في مقتطفات كتب يمسال ما يشير إلى هذا التفاعل، حيث كان على إلمام كاف باللغة الإغريقية مكنه من الإطلاع على ماكتبه اليونانيون بخصوص موضوعه، ومنه أخبار رحلة هيراكليس نحو الغرب المتوسطي وما نشأ حولها من أساطير، وهي أخبار أوردها يمسال بصفة مطابقة لما جاء في الكتب الإغريقية[2].

إن صحة وجود اللغة الإغريقية ببلاد المغرب القديم لاشك من وقوعها لما فيه من بقايا أثرية مادية كتلك التي وجدت منقوشة في المعابد وعلى الأضرحة. ولكن الدرس اللغوي ينفي آية علاقة لغوية تأثرية بين لغة الإغريق والبربر، لأن تطور اللغة واللهجة يحمل في طياته أصولا لبعض الكلمات المأخوذة أو الدخيلة، لكن هذا الافتراض لا يتعارض مع القول بوجود الناطقين بالإغريقية من النوميديين بالمدينة خاصة إذا تذكرنا أن النقوش البونيقية نفسها تضمنت أسماء إغريقية والعكس صحيح[3].

بلغت الهلينة في نوميديا أوجها على يد الملك يوبا الثاني[4] ولكن الزحف الإمبراطوري الروماني أوقفها في كامل العالم القديم لتحتل محلها اللغة اللاتينية، والملاحظ على الكتابات الإغريقية في المغرب القديم أنها لا تتكون من حروف صامتة فحسب بل ومن حركات زيادة على ذلك[5].

ثانياً– التأليف الأدبي: عرف التأليف الأدبي ازدهاراً ملحوظاً ويظهر ذلك من خلال:

---

[1] – اصْطيفان اكْصيل، ج.6، المرجع السابق، ص 104.

[2] – محمد البشير شنيتي، أضواء على تاريخ الجزائر القديم بحوث ودراسات، المرجع السابق، ص 163.

[3] نفسه، ص 51.

[4] – **يوبا الثاني**: هو ابن الملك النوميدي يوبا الأول، ولد على حوالي سنة 50 ق.م وكان لا يزال ضغيراً سنة 46 ق.م حيث انهزم والده اثر محاربته لقيْصر فأسر ابنه واقتيد إلى روما وبقى ورُبِّي بعناية على غرار بعض الأمراء الآخرين الذين جيء بهم من المشرق ليكونوا رهائن وليتدربوا على دورهم كموالي لروما، وفي سنة 25 ق.م حكم موريطانيا باسم روما. ينظر، اصْطيفان اكْصيل، ، ج.8، المرجع السابق، ص 180– 181.

[5] – نفسه، ج.6، ص 93.

1: الأدباء في قورينة: ظهرت حركة ثقافية نشطة في قورينائية فترة القرن الخامس والرابع والثالث ق.م، ففي مجال الأدب نبغ في قورينة عدد من فحول الشعراء كان من أوائلهم أجامنون(Ajamemno) في القرن السادس قبل الميلاد، والجغرافي المشهور "أراتسثنيس" في القرن الثالث قبل الميلاد[1].

أ)- كليماخوس (Calimachos de Cyrène): هو شاعر ونحوي قوريني، إزداد بقورينا حوالي 315 ق.م، عاش ببلاط الملوك البطليموسيين، يعتبر من بين كبار علماء القرن الثالث ق.م، حيث كان عالماً طبيعياً وجغرافياً، ومؤرخاً وناقداً وشاعراً، فقد كتب العدد الكثير من الكتب في مختلف صنوف المعرفة والأدب[2].

اشتغل محافظاً لخزانة الاسكندرية، نُسبت له حوالي 800 كتاب[3]، منها 120 فهرست مفصل في مائة وعشرون مجلد لخزانة الإسكندرية ويعتبر أول كتاب علمي في تاريخ الأدب، نظم العديد من الأشعار في مختلف الأوزان السائدة في عصره ، وخلف العديد من الأعمال في مجال الأساطير والاجتماع والجغرافيا والتاريخ وتميز بأنه فقيه لغوي. توفي كاليماخوس بالإسكندرية سنة 240 ق.م[4].

ب)- إراتوسثينيس القوريني (Erathostène de Cyrène): هو المؤسس الأول للجغرافيا العلمية. وهو أشهر جغرافيي العصر القديم، وواحد من كبار علماء شمال إفريقيا. ازداد بقورينا عام 276 ق.م، تلقى دراسته الأولى بها، وفيها تتلمذ عند ليزانسياس (Lysansias) القوريني وعند أرسطون الكيوسي (Ariston de Khios)، وتتلمذ أيضا عند الشاعر كاليماخوس. ثم انتقل بعد ذلك، على عادة طلبة بلاد المغرب القديم، إلى أثينا لإتمام دراسته، وفي سنة 240 ق.م استقدمه الملك بطليموس الثالث (246-221 ق.م) إلى الإسكندرية ليصبح

[1] - عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص 174.
[2] - راضية أبو عجيلة صالح بن خليفة، المرجع السابق، ص 193.
[3] عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، ص 61.
[4] لطفي العربي، المرجع السابق، ص 115.

المحافظ الثالث لخزانة الإسكندرية ويخلف بذلك أبولونيوس (Apollonios)[1].

لقد كان إراسوسطينيس عالما متضلعا في كل علوم عصره خاصة الرياضيات واشتهر بعلم الفلك والرياضيات، وأنتج العديد من المؤلّفات في التاريخ والأدب والفلسفة والرياضيات والفلك، وعرف عنه أنّه قام بقياس خط الزوال الأرضي كما قاس درجات انحراف الأفلاك، توفي حوالى سنة 192 ق.م[2].

2)- الأدباء في نوميديا يوبا الثاني أنموذجا: عرف يوبا الثاني في تاريخ الحضارة الإنسانية، بكونه مثقفا وعالماً موسوعياً أكثر مما عرف حاكماً سياسياً، إذ كان إغريقياً أكثر منه مغربياً، وقد اهتم بالفنون والأدب، وكان يجيد اليونانية واللاتينية والفينيقية، وله مؤلفات كثيرة في ميادين علمية عديدة[3].**(ينظر الشكل رقم:27)**

شكل رقم 27: تمثال من البرونز ليوبا الثاني

نقلا عن: عبد العزيز أكرير، تاريخ المغرب القديم من الملك يوبا الثاني إلى مجيء الإسلام، مطبعة النجاح الجديد، الدر البيضاء، المغرب، 1437هـ/2016م، ص 20.

[1] عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، ص ص 61-62

[2] - فرنسوا شامو، المرجع السابق، هامش ص 68.

[3] - بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 87.

تعد شخصية يوبا الثاني من بين ألمع الشخصيات النوميدية من حيث سعة الثقافة وتعدد اللغات وكثافة المعرفة، ويعد أفضل حصيلة للتفاعل الثقافي في تاريخ المغرب القديم، هذا الملك الذي سلبه الرومان حرية السيادة الفعلية على مملكته فقال فيه بلينوس صاحب كتاب "التاريخ الطبيعي":**"كانت شهرة يوبا الثاني بخدماته العلمية تفوق شهرته بملكه"**[1]. ومن هنا فقد اتخذ يوبا الثاني المقاربة الثقافية سبيلاً لوضع نوع من الاستقرار الحضاري في الكثير من المناطق المغاربية.

ولد يوبا الثاني بزامة الملكية من يوبا الأول[2] الملك الموريتاني، عاش ما بين 52 ق.م وتوفي في 24م، وكان الملك أنموذجاً لنوميدي عاش غريبا عن وطنه ردحاً من الزمن في روما التي تربي فيها على يد أخت أوكتافيوس في ظل حياة أسرة اشتهرت بالرخاء، وشاء القدر أن يتزوج كليوباترا سيليني[3] ابنة كليوباترا الأولى البطلمية ملكة مصر زوجة أنطونيو الشهر[4].

يذكر أصطيفان أكصال عن يوبا مايلي:" **ولقد كان يوبا الثاني في الحقيقة أول ملك إفريقي إغريقي التربية والثقافية، وقد أشْرِب حبّ الإغريق ليس في إفريقيا بل في روما أثناء منفاه الطويل"**[5].

لعله من المفيد الإشارة إلى أن من مميزات يوبا الثاني هي علاوة على أصله النوميـــــــدي،

---

[1] أصطيفن أكصيل، ج8، المرجع السابق، ص 219.

[2] يوبا الأول (YUBA) ملك مغربي ولد سنة 85 ق،م قتل سنة 46 ق،م، هو ابن الملك هيمبسال الثاني، وحفيد يوغرطة، ولد يوبا الأول بمدينة بونة بنوميديا (مدينة عنابة حالياً) يعتبر آخر ملك نوميدي مستقل، وبعده أصبحت نوميديا مقاطعة مستعمرة تابعة مباشرة للحكومة الرومانية.ينظر: محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم،المرجع السابق، ص. ص(102- 103).

[3] **كليوبترا سليني (Clopatre Sélené)**: بنت كليوبترا الشهيرة ومارك أنطوان المثلث(le triumvir) ولدت على الأرجح سنة 40 ق.م مع أخيها التوأم إسكندر الذي سُمي هيليوس= الشمس(Hélios) كما سميت هي سليني =القمر، وقد اعترف بها أنطوان بنتاً له عند زواجه بالملكة سنة 36 ق.م وبعد ذلك بسنتين قرر أن تكون ملكة على سيرنيكا، وبعد موت أبويها وقعت في يد أوكتاف، وعمرها إحدى عشرة سنة ومرت في الموكب الذي احتفل فيه القائد الغالب يوم 15 عشت سنة 29 ق.م تخليدا لانتصاره على مصر وكيليوبترا، فكفلتها أوكتافي(Octavie) أخت أوكتاف وربّتها مع الأطفال الأخرين ثم طلبت من أخيها أن يزوجها ليوبا الثاني لأنهما سوف يصبحان خديمين وفيّين للعظمة الرومانية. ينظر، اصْطيفان اكْصيل، ج.8، المرجع السابق، ص ص، 188-189.

[4] Serge lancel, Les moments antiques, Op-cit, P. 65.

[5] – اصْطيفان اكْصيل ، ج.6، المرجع السابق، ص 81.

وتربيته الرومانية، فهو بونيقي بما ورثه مع قومه من حضارة قرطاج، وإغريقي بثقافته وذوقه الفني، ومصري بزواجه من ابنة كليوباترة ملكة مصر، كل هذه الجوانب روعيت من طرف الإمبراطورية عند اختيار يوبا لاعتلاء عرش موريتانيا[1]، لذلك سمح أغسطس[2] لنفسه بإرجاع المملكة النوميدية إلى يوبا الثاني، لأنه كان يعتقد أن التربية التي حصل عليها في صغره وريعان شبابه بروما وتأثيرها الثقافي عليه يعدان ضمانا لإخلاصه للرابطة التي تربط الملك النوميدي بروما.

وقال فيه جوليان قولا قاسيا:**" لم تترك له الحماية الرومانية سوى المظاهر فانصرف إلى العناية بالمجموعات الفنية والأدب الرخيص"**[3].

وشبهه اصطيفان اكصيل بمعاصره هيرود الكبير(Hérode le Grand) ملك يَهودا(La Judée) بفلسطين، إذ كان كلاهما تابعا طيّعاً لروما، ومغرماً بالحضارة الإغريقية وكلاهما أحب الترف المتشح بفتنة الفن، أحدهما جعل الكاتب الشهير نِقولا الدِّمَشقي(Nicolas de Damas) صديقه ومستشاره ومحاميه، والآخر أحب أن يكون بنفسه عالما وأديباً، إلا أن هيرود كان سياسياً مرناً اجتمعت فيه الشجاعة بميزات القيادة، وذلك ما كان ينقص يوبا الثاني فكان الحاكم الطيب العالم في حين كان الأول حاكم أسيوي متجلجل بأشنع الجرائم[4].

لقد أتاحت ليوبا الثاني عملية الأسر التي تعرض لها بروما بعد مقتل والده يوبا الأول فرصة الإحتكاك أكثر من غيره من أبناء جلدته بالأوساط الثقافية والعلمية، حيث تمت تنشئته في أحضان الأسرة الإمبراطورية مع أقرانه من أبناء الملوك المهزومين، فتعلم اللاتينية واليونانية وتضلع

[1] محمد بكبوط، الممالك النوميدية في مواجهة التحديات، ط1، منشورات مركز طارق بين زياد، الرباط، 2002، ص 45.

[2] جايوس يوليوس قيصر أغسطس: (63 ق.م – 14م) هو أول إمبراطور روماني حكم الإمبراطورية الرومانية من (27 ق.م حتى وفاته 14م) عاصر أغسطس أواخر الجمهورية الرومانية وحروبها الأهلية، امتد عهد أغسطس أكثر من ثلاثين سنة تعتبر من عصور روما الذهبية، ازدهر فيها العمران وقلة الحروب وقد أطلق على هذه الحقبة اسم (Pax Romana) أو السلم الروماني. ينظر: محمد إبراهيم السعدني، حضارة الرومان منذ نشأتها حتى نهاية القرن الأول الميلادي، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 1998، ص. ص 135،137.

[3] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 172.

[4] – اصْطيفان اكْصيل، ج.8، المرجع السابق، ص 179.

فيها، وأتقن فنون الخطابة والشعر، كما أتقن اللغة البونيقية مع أنه كان "مغترباً" بالنسبة إلى تلك اللغة فاستفاد من الكتب البونيقية، ومنها كتب جده يمسال التي آلت إليه، كما كان على دراية باللغات الأخرى كالعربية والعبرية والأرمينية والحبشية، فكان من أفضل المؤرخين العلماء الإغريق، حيث كان واسع المعارف التاريخية والجغرافية مطلعاً على علوم عصره ملخصاً لقواعدها ومدونا في أصولها[1].

حيث كان صاحب ثقافة وإحاطة عميقة بعلوم كثيرة من ضمنها: التاريخ والجغرافيا والتاريخ الطبيعي وتاريخ الفنون والشعر بمختلف أصنافه والنحو، تميز بكثرة القراءة وحب الاطلاع على علوم عصره ويعرف بميله المتميز لجميع الألفاظ والمصطلحات الأجنبية التي توجد معانيها في لغات عالمية.[2]

عاصر يوبا الثاني فطاحل مرموقين من الإغريق واللاتين، أمثال: تيت ليف(Tite-Live) وديودور الصقلي(Diodore de Sicile) وليفوس الروماني والإسكندر الميلتي(Alexandre de Milet) المعروف بلقب بوليهستور(Polyhistor) وديديم الإسكندري(Didyme d'Alexandire) الملقب بخَلْكِنْيروس(Chalkentéros) الذي كان ألف أكثر من3500 رسالة، وكان أحد رفقاء يوبا ومجادليه الكبار، كذلك فارون الروماني(Varron)[3] وغيرهم ممن تميز بهم العصر المخضرم نهاية العهد الجمهوري وبداية الإمبراطورية الرومانية، وهو العصر الذي بلغت فيه روما عظمة مجدها وسؤددها[4].

رغم أن يوبا الثاني عاش في عصر الهيمنة الرومانية إلا أنه قرب منه الشخصيات اليونانية، فقد استخدم ليونْتيوس الأرْكوسي(Leonteus d'Argos) للترفيه عنه بتمثيل التراجيديا، وكان طبيبه الشخصي يوناني أيضا تمثل في أفُرْبوس(Euphorbos) أخو العتيق أنْطونْيوس موسا(Antonius Musa) الذي أنقض أوغسطس من مرض خطير، وقد اكتسب هـــــذان

[1] – محمد البشير شنيتي، أضواء على تاريخ الجزائر القديم بحوث ودراسات، المرجع السابق، ص ص، 163-164.

[2] رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص ص 321-322.

[3] – اصْطيفان اكْصيل، ج.8، المرجع السابق، ص 228.

[4] – محمد البشير شنيتي، أضواء على تاريخ الجزائر القديم بحوث ودراسات، المرجع السابق، ص 164.

الإغريقيان الشهرة بإدخالهما عادة صب الماء البارد على البدن بعد الاستحمام بالماء الساخن[1].

ولكي يتمكن يوبا من إشباع فضوله حب الإطلاع لديه جهز مكتبة كبيرة أنيقة وزودها بأمهات الكتب والمستندات ووظف لها أمهر النساخ والمترجمين والمصنفين، وكان يستجلب لها الكتب أينما كانت، ويرصد لها أموالاً طائلة، فتوفرت لديه أعداداً ضخمة من المخطوطات بمختلف اللغات وعلى رأسها المخطوطات اليونانية واللاتينية والبونيقية، فكانت المكتبة إحدى درر عاصمة ملكه قيصرية(شرشال)[2] اليوم[3].

وقد دفع الكثير من الأموال لجلب العلماء والمخطوطات النادرة حيث اشتهر عنه أنه كان يكافئ بسخاء فكان المحتالون يستفيدون منه، فقد باع له ذات يوم بعضهم مخطوطا عولج بلباقة أكسبه مظهراً محترماً وأخبروه بأنه يعود إلى فيتاغوراس(Pythagore) بثمن باهض، وبدون تأكيد كانت المؤلفات الإغريقية تُكوِّن القسم الأكبر من خزانته، وكانت مصحوبة بعدد كبير من المخطوطات اللاتينية والبونيقية[4].

لم يكتف يوبا الثاني بالإهتمام بمكتبته الخاصة فقط بل عمل على إنشاء العديد من الخزائن الضخمة للكتب في المدن التي كان يشرف عليها، وخاصة مكتبات قصوره، وعليه فقد كانت مكتباته العامة وخزانته الخاصة عامرة بالكتب والمخطوطات والوثائق القيمة، وهي مثالا دالا وشاهداً حقيقيا على مدى اهتمام يوبا الثاني بالفكر والعلم والثقافة، وبالتالي لم يكن الإنسان المغربي القديم جاهلا أو أميا أو متعطشا إلى الحروب، بل كان يعنى بالتأليف والكتابة والإنتاج كما وكيفا، ويعتبر يوبا الثاني سيد المثقفين المغربيين في تلك الأزمنة، ومستشاراً ثقافياً بارزاً للقيصـــــــر

[1] – اصْطيفان اكْصيل، ج.8، المرجع السابق، ص 204.

[2] – أما في شرشال فنحن على أرض ثابتة، حيث أن هذه المدينة كانت تدعى يول (IOL) باسم أحد ألهة الفينيقيين، قبل أن يطلق عليها يوبا الثاني اسم قيصرية. والرحلة تذكرها في أواسط القرن الرابع من بين ممتلكات قرطاجة. ينظر، اصْطيفان اكْصيل، ج.2، المرجع السابق، ص 119.

[3] – محمد البشير شنيتي، أضواء على تاريخ الجزائر القديم بحوث ودراسات، المرجع السابق، ص 164.

[4] – اصْطيفان اكْصيل، ج.8، المرجع السابق، ص 221.

أغسطس[1].

أحب يوبا الثاني اللغة اليونانية وإن لم يتخذها اللغة الرسمية لمملكته فإنها دون شك كانت لغته المفضلة، فقد تعلمها بروما حيث تلقّى تربية مزدوجة هيلينية ورومانية، والغالب أن الحديث في بلاطه كان يجري بالإغريقية، وكان يكتب اسم زوجته كيلوبترا وصفتها دائما بالإغريقية، وكانت الأسماء الإغريقية هي التي يحملها أكثر عبيده الملكيين، كما أن شرشال هي المكان الذي كثرت فيه الكتابات الإغريقية، ومن ثم كانت للغة الإغريقية حظوة في قيْصرية في عصر يوبا الثاني[2]. ولا شك أن تأثر يوبا الثاني بالثقافة الإغريقية جعله يختار هذه اللغة لمحادثاته ووسيلته لتدوين مؤلفاته[3].

كان يوبا الثاني مقتنعاً بأن اللاتينية انبثقت من الإغريقية وقد اعتراها بعض التغيير بسبب اختلاطها باللغة الإيطالية، فكان يجتهد في الكشف عن الأصول الإغريقية للعديد من الألفاظ اللاتينية[4]، وقد ألف كتاب عن "**التحريف في اللغة**"(**Corruption du langage**) يتألف من جزأين، درس فيهما التحريفات التي تعتري معاني الكلمات[5].

كل العوامل التي ذكرت سابقا ساعدت يوبا الثاني على وضع مؤلفات كثيرة من أشهرها كتابه المعروف باسم "ليبيكا" ونحن نجهل متى ألفه وقد ظن البعض أنه كتبه خلال الألعاب التي أقامها جيرْمانكوس(Germanicus) في روما سنة 6 للميلاد[6]، والكتاب يتألف من ثلاثة مجلدات تشمل مواد مختلفة من الجغرافيا والتاريخ الطبيعي وعلم الأساطير (ميثولوجيا)[7]. تكلم فيه

[1] – جمال حمداوي، المرجع السابق، ص ص، 243-244.

[2] – اسْطيفان اكْصيل، ج.8، المرجع السابق، ص ص، 210-211.

[3] – عبد العزيز أكرير، المرجع السابق، ص 39.

[4] – اسْطيفان اكْصيل، ج.8، المرجع السابق، ص 220.

[5] – نفسه، ج.8، ص 235.

[6] – نفسه، ج.8، ص 229.

[7] (S) Gsell , Juba II, Savant et écrivain, revue africaine N° :68, année 1927 nouvelle édition O.P.U Alger, 1986 ,P.170.

عن أصل البربر وعوائدهم وخصالهم ولغاتهم ومعمل نسيج الثياب الفاخرة والصباغة الذي أسسه بالسويرة[1].

كما جاء ذكر رحلة حنون في كتابه هذا الذي يشرح فيه شواطئ القارة الإفريقية، وذكر فيه جبال الأطلس الموجودة في الجزائر والمغرب، وفي هذا السفر المتميز، يجد الباحث نتائج أبحاثه عن وادي النيل وجزر الكناري ومعلومات تخص الفيلة، التي كانت موجودة بكثرة في موريتانيا، ويشرح يوبا الثاني في كتابه هذا كيف أن وسائل الدفاع عند الفيل تكمن في قرونه وليس في أنيابه، كما أشار إلى أن الفيل يمتاز بذكاء حاد عجيب، ويستطيع أن يعالج نفسه عندما يصاب بجروح، وأنه يعمر طويلا[2].

ومن الأشياء الجميلة التي ضمنها المؤلف قصة "الأسد الحقود" التي مازالت تروى من قبل الجدات في عدة مناطق مغاربية باللغة البربرية في ليالي السمر[3]، ويعني هذا أن المبدعين المغاربة كانوا كانوا سباقين في مجال السرديات بصفة عامة بما فيها القصة أو الحكاية. وفي ذلك دلالة على أن الأدب الشفوي قد يحفظ خيرا مما يحفظ المدون.

علق أصطيفان أكصيل على الكتاب قائلا:**"كما أننا ليس لدينا الكتاب الضخم عن ليبيا الذي كتبه يوبا الثاني باللغة الإغريقية، وهو موضوع لا شك أن هذا الملك الموريطاني قد كان أهلا ليعالجه، ولكن في هذا الميدان الذي كان بمستطاعه أن يبدع فيه، فمن المحتمل أن يكون حماس الثقافة الهيلينية لديه دفع به ليستقي كثيراً من قراءته الإغريقية"**[4].

الإغريقية"[4].

وقد أخص يوبا الثاني بلاد العرب بكتاب مماثل "عربيكا" (Arabica) وهو كتاب ضخم، يتحدث عن الموقع الجغرافي لبلاد العرب والشواطئ والسواحل التي تحيط شبه الجزيرة العربية

[1] **السويرة**: مدينة مغربية عتيقة، واقعة على بحر المحيط ذات الاسم الفينيقي القديم وهو مجدر،(Mogador) من الجدار أي السور العالي.

[2] Gsell, Juba II Op-cit. P. 182.

[3] محمد شفيق، لمحة عن ثلاثة وثلاثين قرنا من تاريخ الأمازيغيين، ط1، دار الكلام، الرباط، 1989م، ص 77.

[4] – اصْطيفان اكْصيل، ج.5، المرجع السابق، ص 22.

كالخليج الفارسي والمحيط الهندي، ويتحدث فيه عن بلاد الحبشة (إثيوبيا)، وجنوب مصر وبداية نهر النيل في الجنوب، ورغم أن الكتاب يعتبر دراسة جغرافية محضة، فإنه يحتوي على أمور أخرى خارج نطاق الجغرافيا، فهناك دراسات تخص الإثنوغرافيا[1]، ويعرج على عالم الحيوانات[2]، ويذكر محمد شفيق أن بلينوس اقتبس جوانب عديدة منها أغنى بها كتابه "التاريخ الطبيعي"[3].

وهناك كتاب آخر بابلونيكا سجل فيه معلومات عن بابل وعن الملكة الشهيرة ساميراميس صاحبه الجنة المعلقة وعن الملك بخت نصر وحروبه ضد المصريين واليهود[4].

كما عنى يوبا بالنباتات والأعشاب الطبية وقدم وصفا قيما لها، واهتم بتاريخ الفن وألف فيه وفي مشاهيره، ولم يهمل الموسيقى التى وصف في كتبه أنواعاً منها تبعاً لبلدانها[5].

ويذكر أصطيفن أكصيل أنه ألف كتاب ورد بعنوانين هما :"تاريخ رومة"(Histoire romaine) و"الماضَويات الرومانية"(Archéolsgie romaine)، ذكر في أحدهما السكان الأصليين لإيطاليا، وذكر الملك لَتينوس(Latinus) ولفينيوم(Lavinium) وإيني(Enée) وأوسْتي(Ostie)، وفي الآخر ورد ذكر مدينة نومنْصا(Numanca)، كما ألف كتاب سماه الأشباه(Similitudes) يشمل على خمسة عشر كتاباً، قارن فيه الأشياء الإغريقية بشبيهاتها الرومانية، وقد قلده في ذلك بلوتارك واعتمد على كتابه[6].

---

[1] **الإثنوغرافيا** (**Ethnographie**)أو علم الإنسان الوصفي:يسعى هذا العلم إلى اعتماد منهج البحث الوصفي أو منهج المسح معتمدا على الملاحظة المباشرة، من أجل تحليل وتفسير مختلف الظواهر الإنسانية أو التنبؤ بما سوف تؤول إليه المجتمعات البشرية.ويعرفه ليفي ستروس:"هو علم وصفي يتمثل في ملاحظة وتحليل المجموعات الإنسانية التي تتناولها في خصوصيتها والتي تطمح إلى تحليل أكثر ما يمكن أمانة معيشة هذه المجموعات"ينظر: سارة التونسي الزواري، المرجع السابق،ص 16.

[2] أحمد السليماني، المرجع السابق، ص 186.

[3] محمد البشير شنيتي، أضواء على تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص. ص (77- 78).

[4] نصيرة ساحير، نشاط يوبا الثاني العلمي، آراء ودراسات في التاريخ والآثار القديمة، أشغال الندوة العلمية بالمدرسة العليا للأساتذة، 24/23 ديسمبر 2011م، مؤسسة كنوز الحكمة، بوزريعة الجزائر، 2012م، ص. ص (264- 265).

[5] محمد البشير شنيتي، أضواء على تاريخ الجزائر القديم بحوث ودراسات، المرجع السابق، ص ص، 164-165.

[6] - اصْطيفان اكْصيل، ج.8، المرجع السابق، ص ص، 231-232.

وكتب في المسرح، وكان مولعا بالمسرحيات المأسوية، واستطردت به فضوليته إلى الإهتمام بفن الحديث ولغة التخاطب وما داخلها من ألفاظ فاسدة فألف في ذلك كتابين[1]، كما أن يوبا الثاني كان ينظم الشعر في بعض المناسبات، فقد عثر على بعض الأبيات الشعرية الهجائية التي كان قد بعث بها إلى الممثل الإغريقي ليونْتيوس الذي لم يحسن تمثيل دوره في مأساة هِبْسيبيل(Hypsipyle) لأنه أخطأ بتناوله عشاء مفرط قبل التمثيل، فسخر منه يوبا الثاني بغلاظة على شرهه[2].

ألف يوبا الثاني العديد من الكتب على الأقل يعرف تسعة عناوين منها ولا شك أنه ألف كثيراً غيرها وكانت كلها باللغة الإغريقية، ومع الأسف أنه لم يصلنا أي واحد منها، وبقت منها مقتطفات كثيرة مبعثرة في مختلف المؤلفات، مثل: بلين وبلوتارك وأثيني[3]، ولا شك أن الحروب التي شهدتها المنطقة كانت سببا في ضياع كتب يوبا الثاني، وخاصة المواجهات مع الرومان عقب إقدام الإمبراطور الروماني كاليغولا الذي إغتال الملك المغربي بطليموس حيث تواصل الإنتفاضات على عهد أيديمون[4].

هكذا نلاحظ أن يوبا الثاني قد كتب في شتى الميادين، إلا أنه يصعب معرفة القيمة العلمية لمختلف تلك الأعمال، نظرا لفقدان مؤلفات يوبا الثاني، وبالتالي لا يمكن الحكم عليها إلا من خلال الشذرات التي ساقها مؤرخوا الإغريق واللاتين (المصادر القديمة)، التي كانت في معظمها أساطير وروايات غير واضحة، مما جعل الانتقادات المعاصرة تكون قاسية على إنتاجه العلمي[5].

على الرغم من أنّ المؤرخين استصغروا قيمة الإسهام العلمي والثقافي الذي قدمه يوبا الثاني، حيث وصف جوليان أدبه بالرخيص ونعت غوتي وقزيل أعماله بالرداءة[6]، وبالنسبة لهذا الأخير فقد

[1] محمد البشير شنيتي، أضواء على تاريخ الجزائر القديم بحوث ودراسات، المرجع السابق، ص ص، 164-165.

[2] – اصْطيفان اكْصيل، ج.8، المرجع السابق، ص 220.

[3] – نفسه، ج.8، ص 228.

[4] – جميل حمداوي، المرجع السابق، ص ص، 239-240.

[5] نصيرة ساحير، المرجع السابق، ص 265.

[6] – محمد البشير شنيتي، أضواء على تاريخ الجزائر القديم بحوث ودراسات، المرجع السابق، ص 165.

فقد تحامل على يوبا الثاني كثيراً في الصفحات الممتدة من الصفحة 235 إلى الصفحة 241 من الجزء الثامن لكتابه "**تاريخ شمال أفريقيا القديم**"، حيث اعتبره ناقلا للكتب السابقة أو المعاصرة له، ولم يبدع في أعماله كثيراً، ورصد له الكثير من الأخطاء العلمية وسفاسف الأفكار التي تقدح في علميته وعبقريته[1].

وهذا التحامل ينم عن حقد دفين لكزيل حيث يكفي الذكر أنّ "بلينوس" قد استشهد بكتب يوبا صراحة ثمانية وثلاثون مرة في كتابه "**التاريخ الطبيعي**" وألمح إليه عشرات المرات، كما ذكره بلوتارخوس أكثر من ثمانية مرات في مؤلفه "**حياة المشاهير**"، وألمح إليه مرات عديدة، كما اعتمد على كتابه "**آثار روما**" اعتماداً أساسياً لدى وصفه لتطور روما وأخبار مشاهير ملوكها، وقد تواصل الإستشهاد بكتب يوبا إلى القرن الخامس الميلادي، حيث ذكره كثير من الكتاب ومنهم إيليوس صاحب كتاب "**طبيعة الحيوان**" الذي أورد كلام يوبا في كتابه هذا عدة مرات وخاصة لدى تعرضه لوصف الفيلة، كما استند عالم الحيوان الإغريقي الإسكندر ميندوس إلى مؤلف يوبا في هذا الشأن[2].

هذا وإن لم يعترف بعض المؤرخين المحدثين بقيمة يوبا العلمية والثقافية فإنّ معاصريه اليونان لم يغمطوه حقه، حيث منحه الأثينيون المواطنة الشرقية تكريما له، وأقاموا له تمثالاً جميلاً أمام مبنى الجيمنازيوم اعترافاً بفضله وتخليداً لمكانته المرموقة بين المثقفين المعاصرين، وأهل أثينا قوم لا يشق غبارهم في المجاملات، كما إعتبروه من أعلم المؤرخين الإغريق[3]. ونقش على ذلك التمثال عبارة:"**يوبا الليبي من سلالة ماسينيسا**"[4]، وهذا مديح لا يشوبه نقص حيث أثنى الغير على علمه المتنوع وثقافته الواسعة.

[1] – اصْطيفان اكْصيل، ج.8، المرجع السابق، ص ص، 235-241.

[2] – محمد البشير شنيتي، أضواء على تاريخ الجزائر القديم بحوث ودراسات، المرجع السابق، ص 165.

[3] – اصْطيفان اكْصيل، ج.8، المرجع السابق، ص 219.

[4] –عبد الحميد بن شنهو، الملك العالم يوبا الثاني وزوجته كليوباطرة سيليني، وزارة الثقافة الجزائرية، الجزائر، 2007م،ص 60.

على الرغم من بعض السلبيات التي كانت تشوه تاريخ يوبا الثاني وبالخصوص تحالفه الأعمى مع الرومان، إلا أن مهادنته للرومان كانت خطة إستراتيجية لبناء المغرب القديم، ومحاولة تشييده على أسس متينة من خلال القضاء على الأمية والإنغلاق، والاعتماد على العلم والتأليف والترجمة وبناء المتاحف والمعاهد والمسارح والمدارس، للرفع من مستوى الإنسان المغربي لمقاومة الوجود الروماني، ويبقى يوبا الثاني الملك المغربي المثقف الوحيد الذي كانت له شخصية متميزة، تتسم بالموسوعية والانفتاح والتسامح، وكثرة الإنتاج العلمي والتراكم الثقافي، حتى أصبح يضرب به المثل في المدن الرومانية واليونانية خاصة في أثينا عاصمة الفلسفة والفنون والآدب والعلوم[1].

المبحث الثاني: التعليم والمدارس الفلسفية: سأتناول في هذا المبحث مراحل التعليم الهليني وأشهر المدارس الفلسفية.

أولا– التعليم الهليني في بلاد المغرب القديم: عرف التعليم في بلاد المغرب القديم بالتعليم الهليني، وقد تأثر بنموذج قورينة (cyrénaique) التي أسسها الفيلسوف أريستوس[2]، فكان يقصدها الطلاب من مختلف مناطق المغرب القديم[3]، حيث ازدهر التبادل الثقافي بين قورينة وأثينا من جهة وبينها وبين الإسكندرية من جهة أخرى منذ القرن الثالث ق.م. ومن هناك تسربت المؤثرات الهيلينسيتة إلى المغرب القديم خاصة بعد زوال الطوق القرطاجي على المملكة النوميدية في عهد ماسينيسا (238–184 ق،م)[4].

لذلك ارتكز تجاه التعليم نحو إبراز الثقافة اليونانية العريقة وفقا لما جاء في دستور بطليموس الذي حددت بعض مواده درجات التعليم على النحو الآتي:

[1] – بوزياني الدراجي، المرجع السابق، 2010، ص 29.

[2] **أريستوس**: هو فيلسوف لوبي من مواليد مدينة قورينة، وهي في أوج شهرتها أي في القرن الرابع ق.م (نحو 435–355م)، تتلمذ على يد الفيلسوف: سقراط، يعتبر المؤسس الأول للمدرسة القورينية الشهيرة ولمذهب اللذة. ينظر: لطفي العربي، معجم أشهر الفلاسفة، ط1، دار شوقي للنشر،2004، ص 10 .

[3] شافية شارن، بلقاسم رحماني، محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص 260.

[4] غابريال كامبس، في أصول البربر، المرجع السابق، ص 232.

1)- التعليم الأولي: ظهر التعليم الابتدائي في روما وبلاد المغرب (قورينة) في وقت واحد تقريبا أي خلال القرن السادس ق.م وكان له معلم متخصص (PrimusMagister) ويمتد على خمس سنوات يتعلم فيها التلميذ[1] القراءة والكتابة والحساب[2]، ويدرس أشعار هوميروس يتبعها المعلم بأسئلة، ويصاحبها تدريب أولي للتلميذ على استخدام القوس وركوب الخيل[3]. وربما دفعني هذا إلى الاعتقاد بوجود شبه بين هذا النمط من التعليم والتعليم اليوناني، حيث وجدت البلابستير لتدريب الأولاد الصغار على المصارعة تحت إشراف مدرب، وربما كان التدريب على استخدام الأسلحة وركوب الخيل شبيها بما كان يحدث في الفترة الرومانية، حيث كان يعد ذلك إعداد أوليا للحياة العسكرية[4].

2)- التعليم المتخصص: كان يدرس في التعليم المتخصص الشباب الأكبر سنا، ويجمع بين الأخذ بآداب السلوك ومبادئ اللغة والكتابة، حيث يتم تلقين فن الحديث، والفن الأدبي، هذا الأخير الذي تميز به المدني عن الريفي، علاوة على تعلمه قواعد الإملاء والاستظهار، وبعض المناهج البسيطة في الحساب والجغرافيا والخطابة وفي المجال البدني كان الشباب يتلقى فنون استخدام السلاح والفنون القتالية[5].

---

[1] الفعل تعلّم يقابله في الأمازيغية:يَلْمَد ومنه تشتق باقي صيغ التعليم في الأمازيغية فهل كلمة تلميذ من أصل أمازيغي أم لا ؟.

[2] Yaun le Bohec,op cit, P.212.

[3] شافية شارن، بلقاسم رحماني، محمد الحبيب، المرجع السابق، ص 260.

[4] اعتمد اليونان في سياستهم التعليمية على تثقيف الفكر وتحصيل المعارف، وتهذيب النفس وإرهاف المشاعر والوجدان عن طريق دراسة الموسيقى، كما يتضمن أيضا تنمية البدن والحفاظ على تناسق الجسم من خلال التدريب البدني، أما التعليم بالمفهوم الروماني فلا يعني سوى تحصيل العلوم والمعارف، ربما يرجع ذلك التباين عند كل من اليونان والرومان إلى طبيعة كل من الشعبين، فقد كانت نظرة اليونان للحياة نظرة جمالية وعقلية، بينما كانت نظرة الرومان للحياة عملية يقيمون الأشياء بمدى نفعها لحياتهم. ينظر: مصطفى محمد قنديل زايد، التربية والتعليم في الحضارة اليونانية والرومانية، ط1، مكتبة الأنجلوالمصرية، القاهرة، د ت، ص 05.

[5] Yaun le Bohec,op cit P. 212.

3)- التعليم العالي: عرفت قورينة أو المدن الخمس (pentapoles) التعليم العالي قبل روما أي القرن الأول ق.م وكانت الريطوريقا (Rhétorique) أهم الموارد المدَّرسة لأنها من المواد الضرورية في الوظائف السياسية والقضائية[1].

ويقوم بالتدريس في التعليم العالي الأستاذ الريطوريقي أو (الخطيب) وتشمل مواد خطابية أهمها الريطوريقا، ومواد فلسفية موزعة على ثلاث تخصصات: الأخلاق[2] والطب[3] والمنطق[4]، وعلى مادتي الجغرافيا والتاريخ، لكن التعليم العالي القديم كان يعادل بالنسبة لكثير من الطلبة المغاربيين دراسة الريطوريقا فقط. التي كانت تعتمد في المسائل القضائية والسياسية والبيانية، يقدم فيها الأستاذ الجامعي: أولا دروسا نظرية حسب ماورد في مؤلفات أرسطو وكيكرو (Ciceron)، ثم يعرض نماذج خطابية تنسب لكتاب كبار، وأخيراً يتمرن الطالب على التطبيق إما في المرافعات القضائية أو في مواقف سياسية أو بيانية[5].

أما الفلسفة في التعليم العالي، فقد كانت تعلم داخل المدارس أو على شكل دروس حرة من طرف أساتذة مستقلين، كما أن هناك أساتذة متجولين، يبدأ الطالب بدراسة مسائل عامة حول تاريخ الفلسفة، ثم بعد ذلك يتفرغ لدراسة فلسفة المدرسة التي ينتمي إليها وغالبا ما يحتوي المقرر

---

[1] Noshy, Arcesilaus III, Libyan in History, By University of Benghazi, 1986, P.77.

[2] **الأخلاق (Moral)**: علم الأخلاق هو النظر في أحكام القيم وفي المبادئ الأخلاقية، بينما تتعلق الأخلاق بالأفعال الصادرة عن الإنسان محمودة كانت أو مذمومة. وإذا عدنا إلى الجذر اليوناني لمصطلح أخلاق وجدناه يعني العرف أو الاستعمال الذائع أي العادات الأخلاقية. أما الجذر اللاتيني فهو مبني بدوره على الجذر اليوناني وهو يدل على ضرب من السلوك الأخلاقي المستنير.ينظر: سارة التونسي الزواري، المرجع السابق، 30 ص.

[3] لقد كان من أهم الحوادث في تاريخ العلوم اليونانية في عصر بركليز (القرن الخامس ق.م) نهضة الطب القائم على العقل وليس على الخرافة. ينظر: المرجع نفسه، ص 330.

[4] **المنطق**: هو العلم الذي يبحث في قوانين الفكر التي ترمي إلى تمييز الصواب من الخطأ، فينظم الاستدلال ويقود إلى اليقين. ويشير مؤرخو العلوم أن أرسطو أول من كتب عن المنطق بوصفه علم قائم بذاته، ثم ظهر في عصر شيشرون بمعنى الجدل إلى أن استعمله إسكندر الأفروديسي بمعنى المنطق وصار استعماله منتشرا عند الرواقيين وهو عند أرسطو العلم التحليلي أي ذلك الذي يحلل العلم إلى مبادئه وأصوله. ينظر: سارة التونسي، المرجع السابق، ص 428.

[5] عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، ص 35.

الدراسي على ثلاثة نماذج نظرية: نموذج في مبادئ المعرفة (المنطق) ونموذج حول العالم (الفيزياء والجغرافيا الفزيائية) ونموذج في علم الأخلاق وهذا التقسيم عرفه اليونان منذ التلامذة الأوائل لأفلاطون وبقي نفس التقليد حتى نهاية العصر القديم(القرن السادس ميلادي)، وكانت كل المواد الفلسفية تُعطى باللغة اليونانية[1].

الحقيقة لقد برزت قورينة كمركز ثقافي وعلمي متميز يفد إليه الطلبة من مختلف الجهات بما في ذلك بلاد الإغريق ذاتها والإسكندرية، كما يفد إليها الأساتذة المتميزين أمثال:أفلاطون الذي زار المدينة لمقابلة الرياضي الأفريقي الشهير ثيودوروس (Théodoros) كما ذكر هو ذاته في محاورة (Theaetetus)[2].

وفي هذا السياق ينبغي التنويه بالملك يوبا الثاني (52 ق.م- 23م)، الذي جعل من عاصمته يول – كيساريا[3] (Iol. Césarée) مركزاً حضارياً وعلمياً مرموقاً ورغم نشأته الرومانية، إلا أنه كان كباقي معاصريه يميل إلى الثقافة الإغريقية، وأعتبر بعض الباحثين أن كيساريا هي أول مدينة مغاربية كمركز ثقافي متميز إن لم تكن الوحيدة التي اهتمت بتدريس الفنون والآداب على الطريقة الإغريقية[4] منذ القرن الأول ق.م.

وكان التبادل العلمي والثقافي بين كيساريا وأثينا مزدهراً تبادلت خلاله الوفود العلمية والطلابية، كما كان الملك يوبا الثاني محل حفاوة من قبل الأثينيين، الذين أقاموا له تمثالا وضعوه أمام الخزانة الرسمية لمدينتهم، كما منحوه المواطنة تقديراً لمكانته الأدبية والفكرية مثلما سلف ذكره.

وهذا ما جعل شرشال عاصمته تضاهي الإسكندرية في المكانة الثقافية، حيث وفد إليها الطلبة للاستفادة من المحاضرات التي يلقيها الأساتذة المستقدمون من بلاد الإغريق، وظل الإشعاع الثقافي

---

[1] نفسه، ص ص 35- 36.

[2] مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص ص 60- 61.

[3] شرشال الحالية، عاصمة موريتانيا القيصرية، اسمها القديم هو يول أضيف لها لقب الانتماء إلى يوليوس قيصر كيساريا أو قيصرية وهو لقب أضيف إلى مدن عديدة من قبل الرومان لتمجيده. ينظر: (S) Gsell , Cherchel antique col Caesara, Alger, sans date, P.P. (115-119).

[4] بن مايس عبد السلام، المرجع السابق، ص 33.

الهيلينستي في كيساريا ساطعا مشرقا إلى آخر أيام بطليموس[1] الذي غدر به الإمبراطور الروماني كاليغولة[2] (Caligula) وأمر باغتياله سنة أربعون ميلادي وهو في ضيافة الإمبراطورية الرومانية. وبذلك تراجع الدور العلمي الريادي لجامعة كيساريا للحد من التأثير الهيلينستي على بلدان المغرب القديم لتحلّ اللغة اللاتينية محل اللغة الإغريقية تدريجياً[3].

ثانياً: المدارس الفلسفية: اشتهرت قورينا بكثير من الرجال الذين نبغوا في شتى فروع المعرفة، حيث كانت تعتبر مركز إشعاع لنشر المذاهب الفلسفية، وتأسيس مدارس لها. كمدرسة أرسطيفوس(ARISTIPPO) التى اشتهرت بالقورينائية أي الفلسفة القورينائية[4].

1)- المدرسة الأولى: هي التي تسمى المدرسة الفلسفية القورينية وقد تأسست على يد الفيلسوف القوريني أريستبوس "Aristippus" (435 ق.م _356ق.م) (تمثاله ص 165 كتاب الفلسفة) وازدهرت في الفترة الممتدة (بين سنة 400 ق.م وسنة 250 ق.م) طورت هذه المدرسة فلسفة أصلية أساسها مبدأ البحث عن اللذة وتجنب الألم: أي مايسمى اليوم بالمذهب اللذاني (Hédonisme)، وهو مذهب أخلاقي يقوم على القول بأن اللذة الحسية هي الخير الأسمى وأن السعادة تكمن في الشعور المباشر باللذة الحسية، ومن المعتقد أن لهذه المدرسة مصدرين أساسيين: سقراط (Socrate) من جهة وبروتاغوراس من جهة أخرى[5].

فمن تعاليم سقراط أن السعادة هي الخير الأسمى، ومن تعاليم بروتاغوراس أن المعرفة البشرية نسبية، وقد اقتبس هذه التعاليم مؤسس المدرسة نفسه، أي أريستيبوس (Aristippus)

---

[1] **بطليموس** بن الملك يوبا الثاني ولد في القرن الخامس ق.م بمدينة قيصرية (شرشال) وكان يشارك أباه في الحكم أثناء حياته، لا سيما بعد وفاة كليوباترا سيليني، غير أنه يختلف عليه في حب حياة الرفاهية والميل إلى اللهو والكسل ، تم تدبير قتله لأن مجلس الشيوخ الروماني عزم على وضع حد للكيان المغاربي بالقضاء عليه. ينظر: E. flatter, L'Afrique septentrionale ancienne, R. Afr, 1877, P.P . 153,233.

[2] **كاليغولة**: هو ثالث إمبراطور روماني حكم مابين 37م حتى اغتياله سنة 41م اسمه الحقيقي جايوس قيصر، اشتهر بطغيانه وأعماله الجنونية، له صلة قرابة من ناحية الأم بالإمبراطور نيرون الذي أحرق روما.ينظر: E.flatter, Op-Cit P.P. 154,232

[3] عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، ص 33.

[4] - غوليا لم ناردوتشى، المرجع السابق، ص 33.

[5] مفتاح عبد الله المسوري، المرجع السابق، ص 79.

وابنته أريتي[1] (Aêté) ثم حفيده أرستيبوس الشاب، وقد أقام هؤلاء الفلاسفة مذهبا فلسفيا فريداً من نوعه أساسه قيمتان متضادتان هما: اللذة والألم[2].

وقد ظهر المذهب الفلسفي القوريني من جراء الإستمتاع بالحياة التي كانت متبعة لدى القورينائيون الذين كانوا يعتبرون الحياة من أجل اللّذة، فكانوا يقضون حياتهم في التمتع بمظاهر الحياة ومباهجها، مما أدى إلى ظهور مذهب اللذة المشهور في قورينا، حيث كان يعتبر غاية الحياة هي اشباع لذة الجسد والروح معاً[3].

كان أرستبوس ينتمي إلى أسرة قورينية ثرية من الأسر الأرستقراطية التي كانت تنعم برغد العيش وسعة الثراء، نتيجة لخصوبة الإقليم، وتحكم قورينا في طريق تجارة القوافل التي كانت تأتي إليها، وهي محملة بسلع وبضائع وسط أفريقيا ومصر الفرعونية[4]، سافر "أرستيفوس" الظريف إلى مدن مختلفة، فقضى بعض الوقت في مدينة اسكليوس(Scillus) بصحبة صديقه اجزينيفون(Xenephon)، ووقتاً اطول في مدينة كورنث بصحبة صديقه لايس(Lais)، ثم عاد إلى مسقط رأسه قورينة، وكان يتفق مع أستاذه بقوله: أن السعادة أعظم فضيلة[5].

ويذكر بعض الباحثين أن رحيله كان بسبب القلاقل السياسية التي كانت تشهدها قورينا في نهاية القرن الخامس ق.م، وتحاشياً للمسؤوليات الرسمية الملقات على عاتقه، لأنه كان مواطناً ارستقراطياً، ولكن من المؤكد أن يكون رحيله من أجل الدراسة والاستماع إلى سقراط وبروتاجوراس وغيرهم من فلاسفة الإغريق الذين كانت تشد إليهم الرحال[6].

---

[1] تولّت الفيلسوفة أريتي إدارة المدرسة الفلسفية القورينائية بعد وفاة والدها والتي بدورها نقلتها إلى ابنها وتلميذها الفيلسوف ارسطيفوس الصغير. ينظر: غوليالم ناردوتشى ، المرجع السابق، ص ص، 155-156.

[2] عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، ص ص 37- 38.

[3] - غوليالم ناردوتشى، المرجع السابق، ص 61.

[4] - محمد امحمد سالم، المرجع السابق، ص 129.

[5] - عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص 173.

[6] - محمد امحمد سالم، المرجع السابق، ص 131.

كانت فلسفته بسيطة وصريحة، فقد كان يقول: **"أن كل ما نفعله انما نفعله طمعاً في اللذة أو خوفاً من الألم حتى اذا أفقرنا أنفسنا لخير أصدقائنا أو ضحينا بحياتنا من أجل قادتنا، وعلى هذا الأساس فالناس كلهم مجموعون على أن اللذة هي الخير الذي ما بعده خير، وأن كل ما عداها حتى الفضيلة والفلسفة يجب أن يحكم عليه حسب قدرته على توفير اللذة، وعلمنا بالأشياء غير مؤكد، وكل ما نعرفه معرفة مباشرة أكيدة هي حواسنا، فالحكمة اذن لا تكون في السعي وراء الحقيقة المجردة بل في اللذات الحسية، وليست أعظم اللذات الجسمية أو الحسية"**[1].

ومما سبق نستشف تأثير سقراط في فلسفة أرستبوس، وقد كان هذا الخير قد رافق سقراط فترة طويلة من الزمن، وأصبح من ضمن السفسطائيين الذين تأثر بهم كثيراً، وقد غادر أثينا بعد موت سقراط في حوالي عام 399 ق.م[2].

ويضيف قائلا:**"ولهذا فان الرجل العاقل هو الذي يسعى وراءها أكثر من أي سعيه وراء أي شيء أخر، والذي لا يضحي بخير عاجل في سبيل خير آجل غي مؤكد، والحاضر وحده هو الموجود، الظن أنه لا يقل من حيث الخير عن المستقبل ان لم يتفوق عليه، وفن الحياة هو انتهاب اللذائذ وهي عبارة والاستمتاع بكل ما نستطيع الحصول عليه في الساعة التى نحن فيها، وليست فائدة الفلسفة في أنها قد تبعدنا عن اللذة، بل فائدتها في أنها تهدينا إلى أن نختار: أحسن اللذات وننتفع بها، وليس صاحب السلطان على اللذات هو الزاهد المتقشف الممتنع عنها، بل هو الذي يستمتع بها دون أن يكون عبدا لها، والذي يستطيع بعقله أن يقارن بين اللذائذ التي تعرضه للخطر والتي لا تعرضه له"**[3].

إذن كان محور فلسفته هو دعوة الناس إلى الثقة بمشاعرهم وأحاسيسهم مع ضبطها بالحكمة القائلة: أن الإنسان السعيد حقاً هو الذي تعلم الحقيقة وانتصر على مشاعره فأصبح

[1] – عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص 173.

[2] – محمد محمد سالم ، المرجع السابق، ص 131.

[3] – عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص 173-174.

سيداً للمتعة وليس عبدا لها، مثلما جاء في يقوله:"**إن الحكمة ليست في السعي وراء الكمالات الخيالية، التي ليس لها وجود إلا في رؤوس الفلاسفة، كما أن الحكمة لا تكون بالجري وراء الشهوات واللذات الحسية التي تورث صاحبها المرض والندم ووخز الضمير، ولكن الحكمة في أن نحيا حياة معتدلة فلا نشغل أفكارنا بالجري وراء حلم خادع من المثل العليا الزائفة أو في الجري وراء لذات حسية تعرضنا للخطر، اذ أننا نكون في الأولى سذجاً مخدوعين، بينما نصير في الثانية أسرى لهذه اللذات أو عبيداً لها، والرجل الحكيم هو الذي يظهر الاحترام المقرون بالحكمة والدهاء تجاه الرأي العام والشرائع والعادات ولكنه يعمل بقدر المستطاع على الا يكون سيدا لاي إنسان أو عبدا له**"[1].

استفاد من هذا التوجه القوريني المتأخرون من الفلاسفة الأبيقوريين، ومن رواد المدرسة القورينية أيضا الفيلسوف هيجيسياس (Hegesias) الذي ظهر في (القرن الرابع ق.م) والفيلسوف أنيسيريس (Annicris) الذي عاش (القرنين الرابع والثالث ق.م) والفيلسوف كاليماخوس (Callimachos) والفيلسوف كارنياديس[2] (Carneades) والفيلسوف أركيسيلاوس[3] (Arkislaos) ويعتبر هذا الأخير مؤسس ما يسمى[4] بالأكاديمية الجديدة التي دافعت عن التوجه الاحتمالي والمذهب الشكاني[5] في المعرفة.

---

[1] – عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص 174.

[2] **كارنياديس**: (214–129 ق.م) فيلسوف قوريني كان يعتقد بعدم وجود معيار مطلق للحقيقة، وتقبل المبدأ القائل بأن أي عمل صحيح إذا كان بالإمكان الدفاع عنه بالمنطق. أسس وتزعم مدرسة تسمى الأكاديمية الجديدة أو الثالثة من عام 155ق.م وحتى وفاته. ينظر: نفسه، ص 102.

[3] **أركيسيلاوس**: (316_241ق.م) ولد في بيتاني في أيوليس، واصل تعليمه بأثينا على يد ثيوفراستون وكرانتور، يعتبر أن قوة الإقناع الفكري لا يجب أن تكون ملزمة، بقدر ما هي من خصائص الإقناع المتناقض، استعمل المنهج السقراطي في التعليم، وكانت تميز مناقشاته الفكاهة الحادة وخصوبة الأفكار. ينظر: سارة التونسي الزواري، المرجع السابق، ص 77.

[4] عبد السلام بن ميس،المرجع السابق، ص. ص (37– 38).

[5] **المذهب الشكاني**(Le scepticisme): هو مذهب يرفض الإثبات أو النفي، وبالتالي الحكم على الأشياء، ولاسيما في الأمور المتعلقة بما بعد الطبيعة. وهي عموما موقف من يرفض التصديق بالأمور التي يسلم بها عادة، فيكتفي بمعاينة هذه الأمور دون إصدار أي حكم، رافضا إثبات أو نفي وجود الأشياء التي يحسها أو يتخيلها أو يتصورها. ينظر: جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، ط1، دار الجنوب للنشر، تونس، 2004، ص 259.

خلف أرستبوس مجموعة من التلاميذ وصاروا من فلاسفة مدرسة قورينا الكبار، أثروا في الفلاسفة الإغريق وتأثروا بهم، وكان من أشهرهم: ابنته "أريتي" (Arête) و"إثيبوس"(Athiopus)، و"انتيباتر"(Antipater)، وقد استطاع هؤلاء أن يعلموا عدداً من التلاميذ الآخرين من أمثال: "أرستبوس الصغير"(360 ق.م) (Aristippus The yonuger)، و"هيجسياس"(Hegesisa)، و"أنيكيرس"(Annikeris)[1].

2)– **المدرسة الثانية:** هي المدرسة العلمية القورينية الممثّلة لتوجه فكري مغاربي قديم اهتم على الخصوص بالرياضيات، ونقتصر هنا على رائدين أثنين من رواد المدرسة المغاربية القديمة هما:

أ– إراطوستنيس (Erathostenes) القوريني(275–195 ق.م): الذي وضع كتاباً بعنوان "التسلسل الزمني" (Chronographia) ويقع في تسعة أجزاء، شغل إراطوستنيس منصب ثالث قيم لمكتبة الإسكندرية الضخمة الشهيرة باسم "سيرابيوم"[2].

وقد كان رياضيا مغربيا شهيراً ولد بقورينة، وتتلمذ على يد ليزانياس (Lysanias) القوريني والفيلسوف الرواقي أريسطون(Ariston). درس دراسته الأولى بقورينة، ثم انتقل إلى عاصمة العالم القديم: أثينا. وقد كان هذا العالم متضلعاً في علوم عصره خاصة الرياضيات، فهو أول من قاس محيط الكرة الأرضية قياسا دقيقا بالنسبة لعصره، حيث كتب في هذا الموضوع رسالة تحت عنوان: (في قياس الأرض)، لكنها ضاعت، غير أن محتواها العلمي وصل عن طريق مؤرخين وجغرافيين قدامى مثل سترابون (Strabon) (58 ق.م–25م). قاس إراطوستينيوس أيضا المسافة بين الأرض والشمس وبين الأرض والقمر، ووضع يومية تأخذ بعين الاعتبار السنوات الكبيسة وضبط قائمة بأسماء نجوم تحتوي على 675 نجماً[3].

ولعل من أبر إسهمات إراطوستينيوس اعتقاده بكروية الأرض، التي نعتقد أنه استنتجها من خلال ظل المسلات، الذي كان يتغير من وقت لآخر، وم ثمَّ اعتقد أن سطح الأرض منحنياً وليس مسطحاً أو مستوياً، إذ لو كان سطحها مستوياً لكان ظل المسلات ثابتاً، وتتجلى عبقيته

[1] – محمد امحمد سالم ، المرجع السابق، ص 132.

[2] مفتاح عبد الله المسوري، المرجع السابق، ص 155.

[3] عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، ص. ص 39–40.

بصورة أكبر عند التدقيق في الحسابات التي أجراها لتقدير محيط الأرض، الذي قدره بحوالي 252000 استاديون(هو مقياس إغريقي قديم حيث 1 إسخونيوس = أربعة استاديون والأسخونيون الواحد يقدر بـ 12000 ذراع)، أي حوالي 33600 كيلومتراً، وإذا كان الرقم الحديث يقدر بـ 40120 كلم، فإن الفارق بين التقديرين يكون: 6520كلم، أي بنسبة خطأ تقدر بـ 16.5%[1].

ب- وثيودوروس (Theodorus): الذي أزداد بقورينا (456-398 ق،م) ثم رحل إلى أثينا وتتلمذ على يد بروتاكوراس، وكان أستاذ لأفلاطون في الرياضيات وأستاذ لتياتيتوس (Theaetetus) الذي اتخذ أفلاطون اسمه كعنوان لإحدى محاوراته، تلك التي يتحدث فيها عن تيودوروس[2].

لقد كان وثيودوروس (Theodorus) من المتفوقين في الحساب والهندسة ومن علماء الرياضة الذين كان يشار لهم بالبنان، حتى أثر في أفلاطون لدرجة أنه كتب على باب الكاديمية عبارة:"لا يدخل علينا من لا يعرف الهندسة"، كذلك كان تأثيره واضحاً على الشباب الأثيني الذين درسهم[3].

وقد كان أفلاطون يزور قورينه من حين لآخر قصد التذاكر مع ثيودوروس في مسائل رياضية، وكان هذا الأخير نفسه يزور أثينا في الوقت الذي كان فيه سقراط حيا خلال القرن الخامس ق.م ولكن مع الأسف الشديد، لم يصلنا أي مكتوب لثيودوروس، بل كل ما نعرفه عنه هو ما قدمه أفلاطون في محاورة (Theaetetus) أما أعماله الرياضية، فقد تمثلت على الخصوص في تطويره لنظرية الأعداد الصماء (irrationnels)[4].

ينسب إلى ثيودروس اكتشافه اللامنطقية في الجذور التربعية للأعداد: 3، 5، 7،....17، وفي رواية أخرى قيل إنه أذاع الكشف عن المقادير اللامنطقية، وهذا يعني الإشارة إلى 2 أو إلى

[1] - محمد محمد سالم، المرجع السابق، ص ص، 177-178.

[2] عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، ص 38.

[3] - محمد محمد سالم، المرجع السابق، ص ص، 190-191.

[4] عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، ص ص 38-39.

5، على أن الفيثاغوريين استطاعوا أن يميزوا بين ثلاثة أنواع هي: الوسط الحسابي والوسط الهندسي والوسط المعاكس، ويقال إن هيباسوس اقترح أن يسمي الوسط التوافقي بدلاً من الوسط المعاكس، ويرى البعض أن هذا الاسم يتطابق مع الأهمية التوافقية لعلم الموسيقا[1].

وقد بقت قورينا تتمتع بالمجد والعظمة حتى عصور متأخرة جداً، ذلك بفضل ابنائها العلماء والفلاسفة أمثال: الفيلسوف سونسيوس الأسقف المسيحي الذي كان من الداعين إلى مذهب فلسفي جديد عرف بـ"**الفلسفة الإغريقية الجديدة**" أو"**المذهب الهلنستي**"[2].

المبحث الثالث: التأثير الديني: يستطيع القارئ تصور الحياة الدينية في تلك المستوطنات وفق ما تم العثور عليه من نقوش وآثار تدل على العبادات والطقوس التي كانت متبعة فيها، والتي كان السكان يمارسونها، لا سيما المعبودات(الآلهة) التي كانت لها النصيب الأوفر في العبادة من قبل السكان، والتي نستشف منها علاقة اللوبيين الدينية بالإغريق، ويمكن من خلالها تتبع عملية التأثير والتأثر في المجال الديني.

أولا– في قورينائية.

1)– معبودات الإغريق في ليبيا: قبل التحدث عن المعبودات الإغريقية التي تأثر بها اللوبيين أو تبنوها، يجب القول بأن الإغريق عرفوا "ليبيا" وكان عليهم أن يضعوا لها أسطورتها الميثولوجية تربطها بآلهة يونانية، وأن يسكنوها عالم الآلهة في جبل الأوليمب، ونحتوا لها تمثالا يجسدها، كما جسدوا جميع آلهتهم في تماثيل نحتوها في أشكال وأوضاع تخيلوها لها، وكانت هذه عقيدة عامة تمكنهم من التعبد لها والتقرب منها وتقديم القرابين لها[3].

ولقد كان يتربع على عرش الآلهة في بلاد اليونان رابضاً فوق قمة جبل الأوليمبوس كبير الآلهة "زيوس" أو "جوبيتر" كما يسميه الرومان، وهو رب الأرباب، جُعل إلهاً للسماء والرعد والمطر والرياح والصواعق، فجعلوا أي اليونان منه أبا للآلهة الليبية، فقد عُثر على معبد له في

[1] – محمد امحمد سالم، المرجع السابق، ص 191.

[2] – غوليالم ناردوتشى ، المرجع السابق، ص 34.

[3] – محمد مصطفى بازمه، ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية، المرجع السابق، ص 62.

قورينة، وهو من أضخم المعابد الإغريقية في إفريقيا، اكتشف فيه تمثال ضخم للإله نفسه يعادل حجم الإنسان اثني عشر مرة[1].

وقد كان بوسيدون ينافس الإله زيوس ويتربع على عرش الماء لذلك جعلوا منه زوجاً لليبيا وأولدوا لهما الأولاد، وربطوا بينهما كشخصية ميثولوجية وبين الجد الأسطوري لكل من المصريين والفنيقيين، فجعلوا منها بنتا لاحدهما وأُماً للآخر، وهكذا أدخلت ليبيا كمعبودة أسرة الآلهة الأوليمبية الكبرى، وأصبحت لها طقوسها وعبادتها كبقية آلهة الإغريق[2].

كان هناك إله خاص بالموت أو إله العالم السفلي يسمى "الإله هاديس"، يقيم له الإغريق شعائر العبادة، وهو شقيق الإله زيوس والإله بوسيدون، يوجد معبده الصغير في قورينة، وهو أول مزار يقابل الحجاج القدامى إليها، عُثر بداخله على تمثال "بلوتو" إله العالم السفلي جالساً وبجانبه الكلب سيربيروس[3].

وفي هذا السياق يمكن تصنيف مقبرة جنزور[4] الغامضة التي تم اكتشافها بين سنتي (1958-1959) الميلاديين، ويعود تاريخها إلى القرن الأول الميلادي، حيث توضح اللوحات الموجودة بداخلها عملية الانتقال من عالم الأحياء إلى عالم الأموات، فالمقبرة تحتوي على (15-18) قبراً بما في ذلك خمسة غرف بها قبور حفرت داخل الحجر الجيري الناعم، مزينة بإحدا عشر لوحة جدارية، وفي إحدى الغرف أربعة مدافن يحيط بها إثنان من المقاعد المخصصة للذبائح المنحوتة على الجدار الصخري لكل تابوت، وصهاريج وركيزة واثنين من المنافذ المقوسة مخصصة لحمل أوعية الرماد والهدايا التذكارية منها مجسم لتيبيريوس، ووعاء يوناني قديم وحامية للصدر

[1] – راضية أبو عجيلة صالح بن خليفة، المرجع السابق، ص 140.

[2] – محمد مصطفى بازمه، ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية، المرجع السابق، ص 63.

[3] – راضية أبو عجيلة صالح بن خليفة، المرجع السابق، ص 140.

[4] جنزور اليوم هي حي يقع غرب مدينة طرابلس الليبية، تقع على بعد حوالى 15 كم من أويا، اكتشفت فيها مقبرة إغريقية في سنتي: 1958-1959م. ينظر، انطونيو دي فيتا ومارسيلو بناسيا، الثقافة اليونانية والتقاليد المحلية في مقبرة جنزور الغامضة،ترجمة: فاطمة الشريف، مجلة: تاريخ ليبيا/ History OF Libya،مجلة إلكترونية، ليبيا، يناير 2016م،ص 15

وأجزاء من الأثاث الجنائزي، وتسريحات الشعر لبعض الشخصيات النسائية الموجودة على اللوحات الجدارية تشير إلى أن هذا القبر من نهاية عهدي "تيبيرويوس" و"كلودويس"[1].

تجسد إحدى اللوحات بالمقبرة مَن شارك في عملية العبور إلى عالم الأموات وتظهر أرقام على دعامة جدارية يصور صاحب القبر وفاعل التضحية وهو يرتدي قبعة مشابهة للطاقية التي يرتديها اللوبيون اليوم، وتوضح لوحة أخرى شخص مشارك في أسرار الخلاص خلال المعتقدات الدينية والفلسفية الإغريقية، والإيمان بالحياة بعد الآخرة واستمرارها والبعث بعد الموت، ورسم في الدهليز درب ينقل من عالم الأحياء إلى عالم الموتى، حيث يمشي المتوفى رفقة رجل يحمل رمح يقوم بتحية عائلته، ثم يركب الميت قارب يقوده شارون يرافقه هيرميس مرشد الأرواح، بعد ذلك يدخل الفقيد إلى الجنة بحيث ترحب به بريزيفوني ابنة الإله زيوس باستحقاق وتكريم[2].(**ينظر، الشكل رقم 28**)

شكل رقم 28: يوضح مشاهد من مقبرة جنزور بليبيا الحالية

نقلا عن: مجلة تاريخ ليبيا، عدد يناير 2016م، المرجع السابق، ص 15.

[1] – انطونيو دي فيتا ومارسيلو بناسيا، الثقافة اليونانية والتقاليد المحلية في مقبرة جنزور الغامضة، المرجع السابق، ص 15.

[2] انطونيو دي فيتا ومارسيلو بناسيا، الثقافة اليونانية والتقاليد المحلية في مقبرة جنزور الغامضة، المرجع السابق، ص ص، 15-16.

تحتوي المقبرة على صور ومشاهد أخرى تشير إلى أن هذه المقابر من العالم الهيليني، بكونها في أويا البونيقية المتأثرة بالثقافة اليونانية، ومدافن جنزور تعطينا صورة غير كاملة ولكن حية للمجتمع المعقد الذي كانت تسيطر عليه إمبراطور طرابلس في نهاية الفترة الهلينستية[1].

يمكن القول أن الإغريق لم يفعلوا أكثر من أنهم أعطوا للآهة الفرعونية أو اللوبية أسماء يونانية، ومن ثم أخذت تماثيل الآلهة الملامح الفنية الإغريقية[2].

يعتبر كل من "معبد أبوللو" و"معبد الإلهة أرتيميس" و"مقبرة باطوس الأوّل"، من بين أكبر الصروح اليونانية في مدينة قوريني، وقد عمل مؤسس قوريني "أبولوس" على تشييد العديد من المعابد الرحبة لتمجيد الآلهة، وأقام التراتيل والصلاوات لاسترضاء "أبوللو" وتمجيده، وقد تم إكتشاف العديد من تلك المعابد من قبل الحفريات الأركيولوجية، ومن بينها معبد "الأرتيميسيون" الذي يعتبر من المعابد الأولى التي شيدت، وهو معبد كُرِس لعبادة "أرتيميس"، إلهة الصيد والعُذْرية والولادة، وهو عبارة عن مُصلّى متواضع البناء، به أعمدة محورية[3].

ومنها على الخصوص معبد "أبوللو" القديم المقام بالساحة الدينيّة، وهو صرح هائل، سداسي الشكل، تحيط به صفوف من الأعمدة، ولا شّك في أن باطوس الأوّل كان هو نفسه الذي أمر بتشييد هذا المعبد الضخم فوق المصطبة العالية الواقعة في مستوى أدنى من "الكهف المقدّس" الذي يوجد به "نْبع أبوللو"، وقد زاد باطوس الأوّل في المساحة المخصّصة لـ"حرم أبوللو" والتي كانت منحصرة–حتى بناء هذا المعبد– في النّبْع وحده، والذي كان أصلاً محلّ تقديس لدى السكان الأصليين حتى قبل نزوح الإغريق إلى بلادهم، وقد قام هؤلاء بخلط بين معبود اللوبيين والإله الإغريقي "أبوللو"، مطلقين على النّبْع تسمية "نبْع أبوللو"[4].

المعبد عبارة عن مبنى مستطيل الشكل، حيث الصالة الوسطى منقسمة إلى ثلاثة أقسام بصفين من الأعمدة – وسط جناحان على الجانب–، بعدها نجد الجانب العرضي الذي فيه

[1] – نفسه، ص 16.

[2] – محمّد سليمان أيوب، جِرْمَةُ من تاريخ الحضارة الليبية، المرجع السابق، ص 182.

[3] – فرنسوا شامو، المرجع السابق، ص 164.

[4] – نفسه، ص ص، 164-165.

الحجرة الرئيسية للمعبد، ثم جدار يظهر قدس الأقداس في الناحية الخلفية للمعبد تم تشييده سنة 550 ق.م، بعد ذلك أضيف إليه صف من الأعمدة تدور حول المعبد بالكامل سنة 500 ق.م، وقد تغير مخططه في نهاية القرن الرابع ق.م ضمن الفترة الثانية من إعادة تعميره[1].

وقد أشاد الشاعر كاليماخوس القوريني بباتوس الول وبنائه لمعبد أبوللو، فقال في نشيده:"**وعندما رحل الجيل السادس من أبناء أوديب، ليستوطنوا ثيرا اصطحبوك(تمثالك) معهم، ولما غادر أسطو طاليس الفتى أرض ثيرا وحل بأرض الأبستين نصبك عليها، ثم أقام معبداً رائعاً، ثم استن لك في المدينة عيداً سنوياً، أيها الإله، تسقط فيها العديد من الثيران على أعجازها للمرة الأخيرة مرحى مرحى !**"[2].

كان الإله أبوللو من جانبه يمد العون والمساعدة للمستوطنة الفتيّة، حيث أوْحى إلى كاهنة معبده البوثيّة بأن تقول على لسانه: "..**إن كلّ من يتلكّأ في النّزوح إلى ليبيا الفاتِنة، ولا يضع يده على نصيب من أراضيها، فإنه سيعضّ يديه ندما، لا محالة**"[3].

كان الإله أبوللو ابن زيوس وشقيق ارتميس، إله للشباب والموسيقى – لاسيما القيثارة – وقد كشف العالمان "سميث" و"بورشر" سنة 1861م حينما أزاحا البقايا العلوية من المعبد على تمثال للإله أبوللو يعزف القيثار، وهو إله الرعاة والنبؤات[4]، وقد تم نقل ذلك التمثال إلى المتحف البريطاني بلندن، وقد تأثر الليبو من سكان "أمبيلو"(AMPELO) به لذلك قاموا بإهداء هيكل رمزي من نبات السلفيوم إلى "أبوللو دلفى"(APOLLO DELFICO)[5].

ويحمل أبوللو كثيراً من الصفات والخصائص ولعل من أهمها وصفه بالمضيء والمنير، رب الشمس المتلألئ، الذي يحمل قوسه وسهامه في ساحات الوغى، ويشفي المرضى، ويطهر النفوس مما علق بها من جرائم القتل، وهو رب الشباب والموسيقا، ورب الشعر والفن، ومُشرِّع القوانين،

[1] – راضية أبو عجيلة صالح بن خليفة، المرجع السابق، ص 139.

[2] – محمد امحمد سالم، المرجع السابق، ص ص، 86-87.

[3] – فرنسوا شامو، المرجع السابق، ص 168.

[4] – راضية أبو عجيلة صالح بن خليفة، المرجع السابق، ص ص 139-140.

[5] – غوليالم ناردوتشى، المرجع السابق، ص 58.

وراعي الفلاسفة، ومنشئ المدن وإله النبوءات في كل ما يتعلق بأمور الإنسان الخاصة وبأمور الدولة عامة، لذلك كان يستشيره الإغريق قبل إنشاء أي مستعمرة جديدة[1].

ويعتبر نبع "أبوللو" مكاناً مقدساً لسلالة الثيرانيين الذين كانوا قد قدموا إلى الإقليم بواسطة وحى "أبوللو" في دلفى و"كورنيوس"(CORNEO) الذي كان على شكل صورة غراب والذي أصبح يمثل إله الدوريين المعروف بإسم "كارنوس"(CARNOS) الذي سبق أن جاء إلى ليبيا منذ زمن بعيد للإنصهار أو الإتحاد مع الإله "ابوللو"[2].

ليس هناك دليل على انتشار عبادة أبوللو خارج نطاق حدود السلطة الحاكمة في قورينا، ولكن من المرجح أن عبادته انتشرت بين الليبيين المتأغرقين الذين يقطنون في ضواحي قورينا، أما القبائل اللوبية البدوية فربما لم يكن يعنيها هذا الإله في شيء ومن ثم ظلت عاكفة على عبادة آلهتها المحلية[3].

من التماثيل التي كانت معروضة في الساحة الملحقة بمعبد "أبوللو" والتي كانت في الأصل تُنْذر لـ"أبوللو" كقرابين دينية تمثال يزعم أنَّ شعب قوريني الإغريقي هو الذي أهداه للمعبد، وهو يصوِّر "ليبيا" في هَيئة امرأة تقوم بتتْويج "باطوس الأوّل"(939-599 ق.م) وتجلس "قوريني" إلى جانبيهما في شكل حوريَّة تقوم بدور سائس العربة(أو صيد الأسود)، وقد نحت هذا التمثال الفنّان الإغريقي "آمفيون القنوسوسي"، ابن "أكيسوتور"، وهناك من يعتقد بأن من أهدى التمثال إلى المعبد ليس الشعب القوريني بل الملك "أركسيلاوس الرابع" بمناسبة فوز عربته الخاصة في الألعاب البوثيَّة لسنة 462 ق.م[4].

يرمز هذا التمثال إلى زعامة قورينة الإغريقية على البلاد الليبية، فالعذراء قورينة هي التجسيد الميثولوجي لهذه المدينة، ولهذا رمزوا لهذه الزعامة بتتويج العذراء التي اضفت على المدينة العاصمة اسمها، كما أن ليبيا التي هي تجسيد ميثولوجي للأرض التي حكمها اليونان قد جعلوها

[1] – محمد امحمد سالم، المرجع السابق، ص 85.

[2] – غوليالم ناردوتشى، المرجع السابق، ص 25.

[3] – محمد امحمد سالم، المرجع السابق، ص 87.

[4] – فرنسوا شامو، المرجع السابق، ص ص، 245-246.

تعترف بسيادة هذه المدينة ممثلة في باطوس الأول مؤسسها الميثولوجي في أسطورة النزوح اليوناني إلى برقة، ورمزوا لهذا الإعتراف بتتويجها له، والذي تحول هو الآخر حسب المعتقدات الإغريقية إلى معبود له هيكلة المقدس وطقوس في قورينة ذاتها، وأما الأسد فيرمز للقوة وتفوق قورينة على أعدائها وإخضاعهم لسلطانها، وما ليبيا إلا رمز لاعتراف أهل البلاد بهذه الزعامة القورينية[1].(**ينظر الشكل رقم:29، ص 381.**).

[1] – محمد مصطفى بازمه، ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية، المرجع السابق، ص 64.

الشكل رقم 29: يوضح الإلهة ليبيا

نقلا عن: مجلة تاريخ ليبيا، عدد يناير 2016م، المرجع السابق، ص 10.

يمكن القول أن ليبيا معبودة وطنية قديمة كانت تعرف باسم معين ولعله نيت أو تانيت، وأن اليونان أطلقوا عليها اسم الإقليم الذي شاعت عبادتها فيه، فاصبحت عندهم "ليبيا"، ووضعت لها أساطير جعلت منها بنتا لزيوس كبير الألهة بالفعل، أو بالتبني، أو حفيدة له، كما جعلت منها زوجة لبوسيدون أو بنتا له، وأما كل من: لاجينور، وبيلوس، ولأثينا، بكل تلك

الصلات الفرعية المتعلقة بها عن طريق أيبانوس"أبيس" والد أنايدي، وغيرها من الآلهة الذين تذكرهم الأسطورة وتجعل منهم حفدة لليبيا المعبودة[1].

وكان يشترك في التقديس مع الإله "ابوللو" أيضا الإله "ارتميدس"(ARTEMIDE) الذي كانوا يحتفلون به مع زوجاتهم وصبيانهم بإقامة حفلات ليلية خاصة لعبادته، وكان اسم أورسا(ORSA) يعتبر من الأسماء المقدسة لدى القوريينيين أيضاً، كما توجد هياكل عبادة للآلهة أخرى متناثرة في الغابة المقدسة[2].

وقد ظهر إله آخر مرتبط بأبوللو اكتسب شهرة خاصة بين القبائل اللوبية ومنهم الإله "جراما" جد الجرامنت الأول وابن الإله أبوللو من الأميرة أكاكاليس(Akakalis) ابنة الملك مينوس ملك كريت الأسطوري، حيث تحكي الأسطورة الإغريقية أن الأميرة قد أحبت الإله أبوللو وحملت منه واضطر والدها دفعاً للعار أن يرسلها إلى شواطيء يريبتون، حيث أنجبت إبنها (Garama) وبعد أن شب هذا الولد أحب بدوره الأنثوي تريبتونيا وأنجب منها ناسمون(Nasamon) جد النسامونيين، وقد انتقلت عبادة هذا الإله مع النسامونيين أثناء هجرتهم شرقاً إلى خليج سرت، كما انتقلت مع الجرامنت عبادة جراما أثناء هجرتهم من ساحل طرابلس الغرب إلى فزان[3].

وقد تم العثور عند الطرف الغربي لميدان "الأجورا" على مبنى أثري مدوّر الشكل بالغ الضخامة، من المرجّح أنّه قد أعيد بناؤه فيما بعد، ويرى البعض أن هذا المبنى هو مقبرة البطل باطوس الأوّل نفسه، وبالرغم من أن هذا الصرح الأثري يوحي للوهلة الأولى بأنّه قد لا يكون شديد القِدَم، إلاّ أن بعض تفاصيله تنمُّ مع ذلك بأنّه أقدم بكثير مما يُظنُّ، ومن الملاحظ أن هذه المقبرة المستديرة قد اشتملت في داخلها على حجرة غريبة الشكل، شبيهة بالمذْبح، بحيث تكون مقْدساً لاسْتنْباء الوحي، وتوجد تحتها مقامة تحت الأرض تتّصل بقناة مزدوجة لطرْد دماء القرابين والنُّذُر المراقة على ذلك المذبح، وتحتوي المقبرة على ما يشبه المؤحى، زيادة عن طابعها الجنائزي،

[1] – محمد مصطفى بازمه، ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية، المرجع السابق، ص 69.

[2] – غوليا لم ناردوتشى، المرجع السابق، ص 26.

[3] – محمّد سليمان أيوب، جِرْمَةُ من تاريخ الحضارة الليبية، المرجع السابق، ص ص، 185-186.

التى هي من مميزات المقابر القورينية، ينمُّ على أنّها بالفعل هي مقبرة باطوس الأوّل[1].

وكان الفضل لـ"باطوس الرابع"(حوالى 515 ق.م- قبل 462 ق.م) في تشييد أعظم المعابد الإغريقية في أفريقيا، وهو معبد الإله "زيوس"، الذي يمثل في حجمه معبديْ "البارثينون" و"الأولمبي" المشهورين[2]، وهو يقع في الشمال الشرقي من المدينة وبالظبط على القمة الجبلية المستديرة التى يبلغ ارتفاعها حوالى خمسين متراً، وكان الإله "زيوس"(ZEUS) يسمى بـ"ليشيو"(MICEO) والذي كان قد جاء من مدينة أسبرطة حيث تغنى به "الكاموس (ALCAMO)[3].

كانت معابد قوريني غنية بتماثيل رائعة لا تقلّ من حيث قيمتها الفنيّة عن تلك التماثيل التي تعجُّ بها معابد بلاد الإغريق نفسها، مثالا على ذلك تمثال معبد "أبوللو" التي تضاهي في جمالها تماثيل "أكروبول" أثينا، وكذلك الأمر بالنسبة للأعمال النحتيّة، ذات الأسلوب المبسّط الخالي من الزخْرفة، التي عثر عليها في قوريني، والتي تُعدُّ من بين أروع ما ابتدعه النحت الإغريقي في تلك الفترة[4].

ولا زال يوجد بمعبد بايوسانياس(PAUSANIA) في دلفى نقش عجيب يرجع إلى أنفين دي كوسو(ANFION DI CUSSO) خلال منتصف القرن الخامس قبل الميلاد، حيث يصوّر النقش الملك باتوس(BATTO) وهو يمتطي عربة حربية تقودها الحورية قورينا بنفسها، وفي أعلى صورة العربة صورة ليبيا وهي تتوج باتوس ملكاً على قورينة[5].

ومن الشبه المؤكّد أن من بين المهام الدينيّة التي كانت منوطة بشخص الملك، بالدرجة الأولى، هي ترؤُّس طقوس الكهنوت، ومن هذه الوجهة فقد أُسْبغ عليه لقب "كاهن أبوللو"، وبعد الإطاحة بالملكية أصبحت هذه الوظيفة تُمارس من قِبل أيّ مواطن قوريني مشهود له بالاستقامة

[1] – فرنسوا شامو، المرجع السابق، ص 165.
[2] – نفسه، ص 214.
[3] – غوليا لم ناردوتشى، المرجع السابق، ص 26.
[4] – فرنسوا شامو، المرجع السابق، ص 214.
[5] – غوليا لم ناردوتشى، المرجع السابق، ص 36.

والورع ويحظى باحترام وتقدير الجميع، ويفيدنا ترؤُّس الملك للمراسم الكهنوتية في معبد "أبوللو" في تفسير طقوس "التليسفوريا" الدينية الغريبة التي كانت معروفة لدى إغريق قوريني، وتقضي بأن ينطلق موكب القربان الديني من عند "الأكروبول" – حيث كان يقوم القصر الملكي – ليتّجه نحو معبد "أبوللو" المقام في أسفل المدينة، وقد ظلّ هذا التقليد الديني سارياً حتى بعد انقضاء الزمن الذي كان ملوك قوريني يقيمون فيه بالأكروبول[1].

وكان الملك في قوريني بوصفه كاهن أبوللون اذ لم تظهر أسماء كهنة هذه الآلة، الذين كانت تؤرخ بسنى وظائفهم الوثائق الرسمية، الا بعد سقوط الملكية، وقيام الملك بمهام وظيفة كاهن أبوللو كانت تسمح له بمباشرة الطقوس الدينية السرية (télesphoria) التى كانت معروفة في العصر الكلاسيكي، وكان الملك يقوم أيضاً، في الأعياد الدينية بقيادة موكب الضحايا من الأكروبوليس من القصر الملكى إلى هيكل أبوللو أسفل التل، ولعل الملك كان يضطلع بكهانات أخرى[2]، وكان ملوك قوريني يضطلعون كذلك بمهام كهنوتية أخرى، وعندما وضع المشرِّع "ديموناكس" تشريعاته الإصلاحية، فإنه أبقى للملك حقّ ممارسة المهام الدينية فقط[3].

كانت الشواطىء الغربية لإقليم طرابلس الغرب والشواطئ الجنوبية الشرقية الموطن الأول التى عبدت فيه الآلهة اليونانية إله آخر مع "بوسيدون" ولعله كان نفس الإله بإسم آخر، وهو "تريبوتون" الذي ساعد رُكَّاب السفينة أرجو في الخروج من السواحل الضحلة التي رست فيها سفينتهم، وكان لتريبوتون أُخت هي "تريبتونا" ربما كانت هذه الآخيرة اسماً آخر لتريبتون الذي وصف بأنه كان بصفات أنثوية(متخنث)، أعطيت إسما يونانياً وهو أثينا[4].

تذكر الأساطير اليونانية أن أثينا(Athena) ليست ابنة لزيوس، وإنما هي ابنة بوسيدون إلتجأت إلي زيوس شاكية أبيها بوسيدون بعد أن تشاجرت معه، فتبناها زيوس أبو الآلهة، واتخذها

[1] – فرنسوا شامو، المرجع السابق، ص ص، 269-270.

[2] – مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص ص، 133-134.

[3] – فرنسوا شامو، المرجع السابق، ص 270.

[4] – محمّد سليمان أيوب، جِرْمَةُ من تاريخ الحضارة الليبية، المرجع السابق، ص ص، 184-185.

ابنة له، وصارت أثينا حامية للمدينة[1]. وهي إلهة الحكمة والحرب والعفة والطهارة وحامية الصناع ولقد لقبت بأسماءٍ كثيرة كالعذراء، وكان يرمز لها بطائر البوم[2].(ينظر الشكل رقم:30).

الشكل رقم 30: يوضح تمثال المعبودة أثينا

نقلا عن: مجلة تاريخ ليبيا، عدد أكتوبر 2015م، المرجع السابق، ص 18.

وفي الأساطير الإغريقية ارتبطت أثينا بالزيتون والثعبان والبومة، لأن شجرة الزيتون كانت تنو في الأكربول وفي شقوق الجبال وبين الصخور، وكانت هذه الأسطورة قد تجسدت على العملة الأثينية، حيث ظهرت صورة أثينا بعين بومة أو بعينين خضراوين خضرة الزيتون، مما يدل على أن هذه الصفة كانت مرتبطة بها[3].

[1] – هيرودوت، تاريخ هيرودوت، الكتاب الرابع، المصدر السابق، ص 363.

[2] – راضية أبو عجيلة صالح بن خليفة، المرجع السابق، ص 139.

[3] – محمد محمد سالم، المرجع السابق، ص 90.

ولم تقتصر عبادة أثينا على الإغريق وحدهم، بل كانت القبائل اللوبية المجاورة لها وخاصة قبيلة الماخليان يقيمون في كل عام عيدا لها، وفيه تركب أجمل الفتيات عربة حربية بعد أن تلبسن ملابس القتال وتقوم بدورة حول مكان الاحتفال، ثم تنقسمن إلى قسمين، وتتقاتلن بالحجارة والعصي، وإذا أصيبت إحدى الفتيات وماتت خلال المعركة كان ذلك دليلاً على عدم عذريتها، ومن طقوسهم أيضاً في الإحتفال أنهم يختارون الأجمل بين الفتيات ويلبسونها درعاً إغريقياً ويضعون على رأسها خوذة كورنثية، ثم يحملونها على عربة ويدورون بها حول البحيرة، ويقولون أنهم ورثوا ذلك الطقس منذ أقدم الأزمنة[1]. وهذا الأمر يعطينا فكرة على تأثر الوبيين بالمعتقدات الدينية الإغريقية.

وفي القرن الرابع ق.م ذكر الجغرافي المعروف باسم رحلة سيلَكْس(Scylax) أن بمحاذات بحيرة تريتونيس هيكلا لأثينا تريتونيس، ويصب في البحيرة نهر يسمّى تريتون(Triton)، وهذان اسمان يبدو أنهما صيغتان إغريقيتان للفظتين أهليين، لكن تريتوجينيا(Tritogéneia) كان اسما قديما لأثينا، ولتفسيره كانوا يحكمون أنها ولدت، وأنها رُبِّيت بالقرب من أحد الأنهار أو أحد منابع المياه في أرض الإغريق، واسمه تريتون، تريتونيس، وإذ وجدوا بإفريقيا مجاري مائية وبحيرات كان الأهالي يطلقون عليها تقريبا اسما مشابها، فإن الإغريق نقلوا إليها أسطورة مولد أثينا[2].

أما الأدلة الأثرية التي عُثر عليها في قورينا، فكانت تتمثل في رأس تمثال لأثينا عثر عليه على مسافة غير بعيدة من الأجورا، يرجع إلى القرن الرابع ق.م، كما عُثر في مدينة سوسة على تمثال آخر لأثينا، وهو نسخة رومانية مأخوذة عن نسخة إغريقية مطابقة، أما النقوش فقد عُثر في نفس المدينة على نقش إغريقي منقوش على قاعدة حجرية كُتب عليه من اليمين إلى الشمال اسم إلهة الحكمة أثينا[3].

من الآلهة المؤنثة التي نقلها الإغريق إلى ليبيا لدينا الإلهة أرتميس أخت الإله أبوللو، وهي إلهة الصيد، وقد وهبت نفسها للغابات والمراعي، كما أنها كانت تمثل الكمال والجمال والقمر،

[1] – هيرودوت، تاريخ هيرودوت، الكتاب الرابع، المصدر السابق، ص 363.

[2] – اسْطيفان اكْصيل، ج.6، المرجع السابق، ص 133.

[3] – محمد امحمد سالم، المرجع السابق، ص 91.

وتساعد النساء عند الولادة، لذلك فإن الإغريق أينما ارتحلوا أو استقروا في موضع عبدوا هذه الإلهة لأهميتها، فشيدوا لها معبداً في قورينة على شكل مربع بسيط يتوسط صف من الأعمدة، شيد على أنقاض معبد من القرن السادس ق.م، وأعيد بناؤه في القرن الرابع ق.م على الطراز الكلاسيكي، وتمت توسعته فأخذ ضعف المساحة القديمة، فأصبح مستطيل الشكل مكون من ثلاثة حجرات متتالية أكبرها الحجرة الخلفية التي تمثل قدس الأقداس، وأمامه يوجد المذبح الخاص بتقديم القرابين[1].

ومن بين العادات الإغريقية التي تأثر بها اللوبيون هي طريقة دفن موتاهم، حيث يذكر هيرودوت في تاريخه:"**وبدو ليبيا، عدا الناسامونيان، يدفنون موتاهم كما الإغريق، والجدير بالذكر أن الناسامونيان يوارون موتاهم وهم في وضع الجلوس، ويحرصون على أن يظل المحتضر في هذا الوضع، ولا يدعونه ليموت مستقيماً**"[2]. ولكن الاكتشافات الأركيولوجية تخالفه، إذ بعد عدة قرون بقي الوضع المثني أكثر استعمالا من غيره، ولاشك أن تأثيرات أجنبية إغريقية بجهة سرنيكا[3].

2)– **المعبودات اللوبية التي تأثر بها الإغريق**: استفاد الإغريق من ولع قدماء اللوبيين بالنواحي الدينية والعقائدية، فقلّدوهم في ذلك، واستعاروا منهم آلهتهم وعبدوها.

كانت فزان إضافة أنها معبراً للتجارة معبراً للثقافات الدينية بين البلاد الواقعة حولها، فمن الشرق جاءت العبادة الفرعونية وأهمها عبادة "الإله آمون" ذات الأصول اللوبية، الذي يعتقد أنه وصل إلى مصر مع المهاجرين اللوبيين الأوائل الذين نزحوا إلى واد النيل في عصر ما قبل الأسرات، ويبدو بأنه اتحد بطريقة ما مع إله من أحد آلهة مصر العليا، وصار الإله آمون أعظم الآلهة المصرية في عهد الإمبراطورية وتوطد مركزه بعد انتصاره على الهرطقة الأتونية، وأُقيم له معبداً كبيراً في واحة سيوة، ومن هذه الواحة انتشرت العقيدة الأمونية بالصحراء ووصلت تأثيراتها إلى الإغريق في برقة[4].

[1] – راضية أبو عجيلة صالح بن خليفة، المرجع السابق، ص 140.

[2] – هيرودوت، تاريخ هيرودوت، الكتاب الرابع، المصدر السابق، ص ص،366-367.

[3] – اصْطيفان اكْصيل، ج.6، المرجع السابق، ص ص، 187-188.

[4] – محمّد سليمان أيوب، جِرْمَةُ من تاريخ الحضارة الليبية، المرجع السابق، ص180.

كان يرمز للإله آمون الليبي بصورة كبش يحمل بين قرنيه قرص الشمس[1]، وفي رواية أخرى ظهر على هيئة إنسان برأس كبش ووجه إنسان ذو لحية كثة، وكان الرأس مكسواً بقلنسوة مزينة بريشتين طويلتين، التي ترمزان إلى القبائل الليبية[2]، وكان إله نبؤات، وهذا ما كان يميزه على الإله آمون راع المصري، فالإله الليبي عمت شهرته الآفاق بين شعوب العالم القديم بأسره، وأصبح مقره في واحة سيوة محطة لقوافل الحجاج القادمين لزيارته[3].

وفي واحة سيوة عرفه إغريق سرنيكا(برقة) آنذاك واتخذوه إلها، وجعلوا منه زيوس، ولم يتركوا له سوى القرنين الملتويين اللذين للحيوان المعبود[4].

اكتسب معبد آمون مكانة خاصة في القرن الخامس قبل الميلاد بين مدن الإغريق بما قدمه لهم من نبوءات عن انتصارهم على أعدائهم الفرس في الوقت الذي قطع فيه الإغريق أي رجاء لهم في النصر، وسمى الإغريق هذا المعبد بمعبد "زيوس أمون"، ولم تنتشر عبادة الإله آمون بهيئته المصرية كإلهاً للاخصاب، بل اكتسب خصائص جديدة حيث صار عالماً بالغيب، يستشره التجَّار اليونان ورجال القوافل عما يعن لهم من الأمور ويرشدهم إلى منابع المياه والآبار وحامياً للسكان من بطش الإمبراطوريات[5].

وقد انتشرت عبادته بسرعة عند اللوبيين والإغريق وكانوا على استعداد تام لعبادته لأنه ذا قرابة بكباشهم المقدسة، ولابد أن آمون يكون قد حل محل كباشهم في جهات عديدة[6].

وتبناه الكثير من سكان قوريني حيث فرض هذا الأخير نفسه كإله على إغريق قورينة، بل نقش على عملة قوريني بشكل "زيوس-آمون"، وظل هذا الشعار مجسداً على العملة القورينية إلى نهاية الدولة[7]. كما بنى الإغريق له معبداً كان يقع شرق المدينة، كان على شاكلة الطراز الذي بنى

[1] – راضية أبو عجيلة صالح بن خليفة، المرجع السابق، ص 54.
[2] – محمد امحمد سالم، المرجع السابق، ص 74.
[3] – راضية أبو عجيلة صالح بن خليفة، المرجع السابق، ص 54.
[4] – اصْطيفان اكْصيل، ج.6، المرجع السابق، ص 127.
[5] – محمّد سليمان أيوب، جِرْمَةُ من تاريخ الحضارة الليبية، المرجع السابق، ص ص، 180-182.
[6] – اصْطيفان اكْصيل، ج.6، المرجع السابق، ص 127.
[7] – فرنسوا شامو، المرجع السابق، ص ص، 224-225.

عليه معبد زيوس في أولمبيا، كاما شيدت له له معابد في بلاد الإغريق في كل من طيبة واسبرطة وبعض المدن الأخرى[1].

وكانت الكثير من الشخصيات الإغريقية ذات النفوذ تقوم بزيارة الإله آمون قصد أخذ الإستشارة، كما كان الكثير من الحجاج الإغريق يتوافدون عليه طلباً للحصول على إجابات إله الصحراء المشهور، وذلك عبر مراسى بحرية كان يستخدمها القورينائيون، مما فرض ضرورة التوصل إلى اتفاق ودى مع الليبو من أجل ضمان سلامة مرور الحجاج إلى واحة المعبود آمون الواقعة في الصحراء الليبية[2].

على الرغم من أن المعلومات شحيحة حول أواخر تلك الفترة الزمنية.وقد كان المعبد قبلة للكثير من الزوار الإغريق فقد عثر الأثريون على نقوش في إليس كانت منقوشة على مقابر بأسماء من زاروا معبد أمون، وكان سكان مدينة أيوليا يقدمون له الذبائح ويسكبون النبيذ في معبده، كما كان المعبد قبلة للزعماء الإغريق الباحثين عن الصفح والغفران والراغبين في الحصول على البركة، فيقدمون لأجل ذلك الهدايا كالهدية التي قدمها أركسيلاوس الرابع(470-440ق.م) بمناسبة فوز ليبيا في سباق العربات الذي أقيم عام 462 ق.م، وكانت الهدية تتمثل في رأس تمثال للآلهة آمون وهو يركب عجلة حربية[3].

وقد عمل الإغريق على إشهار عبادة آمون اللوبية بين شعوب عالم البحر المتوسط، فكان الناس يقصدونه من آسيا الصغرى وبلاد الإغريق وقرطاج لإستشارته، ولعل أن شهرته في التنبؤ هي التي دفعت بالملك الفارسي قمبيز(525-522 ق.م) للقيام بحملته المشهورة إلى سيوة لتحطيم معبد آمون هناك، لأنه تنبأ كهنته بسوء المصير لقمبيز وغزواته، ومما يدل كذلك على شهرته أن الإسكندر المقدوني قد أسرع عندما غزا مصر في سنة 332 ق.م إلى واحة سيوة مقر وحي آمون

[1] - محمد امحمد سالم، المرجع السابق، ص 77.

[2] - غوليالم ناردوتشى، المرجع السابق، ص ص، 59-60.

[3] - محمد امحمد سالم، المرجع السابق، ص ص، 77-78.

حيث رحب به كهنته هناك كابن للإله، الأمر الذي جعل الإسكندر يعتقد بأن الإله آمون منحه قراراً للسيادة على العالم[1].

من المعبودات اللوبية التي تأثر بها الإغريق نذكر الإله بوسيدون(Poseidon)، المتربع على الشواطيء الغربية لاقليم طرابلس الغرب والشواطيء الجنوبية الشرقية، – وقد سماها الإغريق خليج تريبتون– لذلك كان يعتبر إلهاً للبحار، وتقول أقدم الروايات الإغريقية أن هذا الإله كان كريتي الأصل وأن موطنه كان الجهة المعروفة اليوم بخليج قابس[2]. ويرمز له في شكل حصان[3].

يرى فريق من المؤرخين أن معنى اسم بوسيدور هو (زوج الأرض)، لأنه كان إلهاً للماء الذي يخصب الأرض ويزينها بالأشجار والنباتات، ويرى فريق آخر أنه يعني النهر بوتاموس(Potamos) أو بوسيس(Posis) أي الشراب، وكان بوسيدور في نظرأتباعه رباً للبحار والمحيطات والأنهار والعيون والينابيع، يستطيع أن يضرب الأرض بشوكته المثلثة الشعب، فتتفجر الينابيع، ويستطيع أن يمسكها فتهتز وتحدث زلزالاً رهيباً[4].

يذكر هيرودت عن الإله بوسيدون:"**أما الآلهة التي يقولن أنهم لا يعرفون أسماءها فإني أعتقد أن البلاجسيين هم الذين أعطوا هذه الآلهة أسماءها فيما عدا بوسيدون، وهو الذي عرفوه من الليبيين، والليبيون وحدهم – دون سائر الأمم – هم الذين وجد بينهم اسم بوسيدون منذ البداية، وكانوا دائماً يعظمون هذا الإله**"[5]. وهذا يعني أن الإله بوسيدور هو معبود ليبي الأصل وليس كما ذكرت الرواية الأولى أن أصوله ترجع إلى كريت.

وفي نص آخر يؤكد هيرودوت بأن بوسيدون إله ليبي، حيث ذكر:"...**أما الآلهة التي يجهلها المصريون، فأخذها الإغريق على ما أحسب، عن البلاسجة، عدا بوسيدون الذي عرفوا به عن طريق الليبيين، وله عندهم أعظم مقام، كما أنهم الشعب الوحيد الذي يعبد إلهاً**

[1] – راضية أبو عجيلة صالح بن خليفة، المرجع السابق، ص ص، 54-55.

[2] – محمّد سليمان أيوب، جِرْمَةُ من تاريخ الحضارة الليبية، المرجع السابق، ص184.

[3] – راضية أبو عجيلة صالح بن خليفة، المرجع السابق، ص 55.

[4] – محمد امحمد سالم، المرجع السابق، ص 92.

[5] – علي فهمي خشيم: نصوص ليبية من هيرودوتس، ص ص، 17-18.

بهذا الإسم"[1].

وبما أن بوسيدور كان إلهاً للبحر – كما ذكرت سابقاً– كان الإغريق يقيمون له هياكل على ألسنة الأرض، ويؤدون له الصلوات حتى ينالوا رضاه، مثلما هو الحال في كورنثية الواقعة على الساحل الشرقي لبلاد اليونان، حيث كانت السفن تبحر منها إلى مختلف أنحاء العالم القديم، كما كان بوسيدور إلهاً للخيل كذلك حيث ظهر في مدينة أركادياً على هيئة حصان[2].

لعبت المرأة القورينائية دوراً هامّاً في توحيد العقيدة الدينية في برقة، حيث أصبحت الأنوثة البرقاوية رمزاً للآلهة، وظهر ذلك واضحاً في انتشار عبادة "فينوس" أوْ أفروديسيا (AFRODISIA) التي أطلق اسمها "أفروديسيا" على الجزيرة الصغيرة الواقعة ما بين درنة وأبولونيا، كما تمّ عبادة الإلهة (ISIDE EGISIA) بدلاً من إلاهة الهلينستية قورا(KORE) وديمترا(DEMETRA)[3].

ومن بين الإلهات التي كان يقدسها سكان برقة الإغريق في ذلك الوقت، إسم الآلهة "أفروديت" التي كان معبدها يوجد في الجزيرة الصغيرة الواقعة في مستنقع تريتونيا (تريتونيس/TRITONIA) –المعروفة حاليا بسبخة عين السلماني بمدينة بنغازي–، وتؤكد التماثيل المنحوتة من المرمر لتلك الإلهة والتي تمّ العثور عليها في بعض المدن البرقاوية مثل تماثيل المرمر للآلهة فينوس، إنها كانت مقدّسة ومعبودة من جميع السكان تقريباً في تلك المدن[4].

كانت هذه الإلهة الأجنبية التى عرفت عند اللوبيين، ولكن كان هناك آلهة عليا بلغت أسمى المراتب في قلوب الناس، وكانت هذه الآلهة لوبية الأَصل، وظلت طوال حياتها مخلصة للوطن الأُم الذي أنجبها، ظلت آلهة صحراوية لم تتأثر كثيراً بالميثولوجيا الإغريقية، منها الإلهة "تانيت" سيدة الصحراء، هادية القوافل بالنهار والليل، مجرة عيون الماء، فكثرة الماء في الآبار رمز الحياة

[1] – هيرودوت، تاريخ هيرودوت، الكتاب الثاني، المصدر السابق، ص 157.

[2] – محمد امحمد سالم، المرجع السابق، ص 92.

[3] – غوليالم ناردوتشى، المرجع السابق، ص ص، 158-159.

[4] – نفسه، ص ص، 159-160.

والخلود، وقد اقترن اسم تانيت باسم الإلهة نيت المصرية المعبودة في مدينة سايس(صا الحجر) بالدالتا[1].

ثانياً: الدين في نوميديا: كانت الهلينية قد دخلت أفريقيا عبْر قرطاج، ولم يكن الملك النوميدي ماسينيسا المعجب بالإغريق والمرتبط بعلاقات متينة بهم سوى أن يساير تلك الحركة الدينية، ويرى عديد المؤرّخين منذ دراسة كاركوبينو القيّمة أنّ هذه الإرادة ذاتها هي الأصل في توسيع عبادة الآلهة الإغريقية في نوميديا[2].

1)- الآلهة الإغريقية في نوميديا: انتشرت عبادة كيريس الإغريقية (Cereresgraecae) بقرطاج في سنة 394 ق.م، حيث كانت تمارس في باجة واحتمالا في جهات نوميديا في عهد يوغرطة، وقد وجدها ماسينيسا موجودة في الأقاليم التي اقتطعها من قرطاج في الغرب من خط طول كويكول(جميلة) أي خارج نوميديا الرومانية وماسيليا كذلك، وقد عمل هذا الأخير على تعزيزها لجلب الحضارة الهلينيستية ولزرع الحماس بين رعاياه أملا في الإنتاج الوفير المتوقّع تحقيقه بالتشجيع على خدمة الأرض في ذات الوقت، فقد تمكن في ظرف أربع سنوات من إدخالها في أغلب إقليم الماسيلي، خاصة في السهوب الكبرى المخصصة لزراعة الحبوب، حيث لا يمكن اعتبار أثر هذه الديانة الزراعية هينّا، وقد استمالت تدريجيا كلّ السكّان المزارعين في الإقليم البوني[3].

إن نشر هذه العبادة لا يحتاج إلى تدخّل الملك خاصة إذا علمنا بأنها آلهة الحصاد والجني لدى الشعب النوميدي، وقد نقل لنا قابريال كامبس نصاً لكاركوبينو يشرح فيه مميزات هذه العبادة جاء فيه:"**هذه الديانة الهيلينية قفزت من أصول بعيدة في عمق نزعة التعبّد للطبيعة وهي نزعة قديمة في الحضارة المتوسّطية تأخّر النوميد في الأخذ بها وكان من المؤكّد عند انتشارها في أوساطهم أن تنعش عواطفهم الدينية بازدهار حيوي من خلال الأسرار الجنسية، والصلة الحميمة بالقوى المخصبّة للطبيعة كانت عبادة تلوس وكوري هي التي تقرّب أكثر**

[1] - محمّد سليمان أيوب، جِرْمَةُ من تاريخ الحضارة الليبية، المرجع السابق، ص 187.

[2] - غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر ماسينيسا أو بدايات التاريخ، المرجع السابق، ص 268.

[3] - نفسه، ص ص، 269-270.

الاهتمامات السحرية للمزارع البربري، وكانت محاولة ماسينيسا إدخال عبادة الإلهتين لتربية رعاياه على صيغة ذهنية دينية أرقى حيث الحقيقة الخام تعوّض برموز"[1].

كان الملك مسينيسا شغوفاً بالأوثان الإغريقية، حتى أنه حمل رعاياه من النوميد على عبادتها، مثل: قورايا(GOURAYA) وهي كوري(Koré) اليونانية ابنة "ديميتير"، ثم سيريس(Céres) التي يعتقد أنها ربة للحصاد والحبوب، وهي مقتبسة من الوثن الإغريقي ديميتير(Démetre)، وعلى هذا فقد أضحت لهذه الأوثان والمعتقدات أعياد تقام في نوميديا، وظل هذا الحال في أيام الملك يوغرطا[2]. وكان للعيد الذي يقيمه الإغريق لمعبودتهم "أثينا" اعتباراً وتقديراً في مملكة نومدييا[3].

ومن الأمور التي تنبؤنا عن تأثر سكان بلاد المغرب القديم بالمعتقدات الإغريقية هو ما تم اكتشافه في معبد بعل أمون في موقع الحفرة حيث عثر على أنصاب نقشت عليها كتابات إغريقية مختلطة مع الأنصاب البونية والبونية الجديدة، وكثير منها أقيم في عهد ماسينيسا، وهناك بعض التفاصيل مفادها أنّ الإغريق الذين كانوا يتعبدون "بعل أمون" كانوا مقيمين لفترة طويلة بسيرتا واندمجوا في سكانها المبونقين، وقد أشير إلى الإله الإغريقي كرونوس في نصّين أثريين بالإسم الفينيقي بعل أمون، كما أشير إلى الإلهة تانيت (كتبت ثينيت وثنّيْث) في نصيّن أثريين بصفتها المعتادة: بينيبال(pénébal)، والملفت للانتباه هو أنّ نصّا باللغة البونية كتب كلّه بالأحرف الإغريقية، كما يلاحظ أن هؤلاء الإغريق في معتقداتهم كما هو في أخلاقهم لا يكادون يتميّزون عن الأفارقة المبونقين الذين يعيشون بين ظهرانيهم، حيث أقامت عائلاتهم منذ أجيال عديدة في سيرتا[4].

وقد نقشت على بعض نقود مسنيسّا أو نقود من خلفوه مثل يوبا الأول رأس زِيوس آمون

[1] – غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر ماسينيسا أو بدايات التاريخ، المرجع السابق، ص 271.

[2] – بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص ص، 85-86.

[3] – نفسه، ص 86.

[4] – غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر ماسينيسا أو بدايات التاريخ، المرجع السابق، ص 244.

(Zeus Ammon) بقرون الكبش، وهو نموذج الليبي الإغريقي الذي عبده الأهالي[1].

2)- **العمارة الدينية:** عرفت مدينة كرطا في عهد الملك مكيبسا(مسيبسا) عرفت مدينة كرطا(سيرتا) تطورا كبيرا حيث تشبعت بالحضارة الإغريقية أكثر من السابق، وقد تزاوجت في عمارتها ومبانيها الدينية والجنائزية الأساليب البونيقية الأصيلة والإغريقية الحديثة، فجاءت تلك العمارة صورة فريدة من نوعها في تاريخ العمارة الإنسانية، ولدينا في ضريحي دوقة والخروب أوضح مثال على هذا التزاوج، كما عرفت العمارة الجنائزية تزاوجاً آخر بين أصول معمارية ليبية محلية وأساليب جمالية إغريقية، وهو ما نراه في كل من ضريح المدراسن(قرب باتنة) وضريح تيبازة(قرب العاصمة) وهما يعاصران فترة ازدهار سيرتا بلا ريب[2].

ويعتقد قابريال كامبس أن مشيد ضريح الخروب ما هو إلا واحد من البنائين الإغريق أو أحد تلامذة الإغريق[3]. ومن التأثيرات الإغريقية في المعمار الديني نجد التاج الدوري(dorique) الذي كان منتشراً بكثرة بمدينة سِرْتا، كما وجد في صومعة الخْروب وفي المدغاسن، فالأعمدة التي كانت تعلوها هذه التيجان ليست جذوع مخددة (Cannelés)، والنضد الذي يعلو التيجان في المدغاسن عبارة عن تعطيف مصري، أما ضريح الصومعة فليس به علامة تدل على أنه من الطراز الدوري، فهذا الضريح ليس سوى أثر إغريقي خالي من الزخارف الشرقية[4].

فنواتىء التزيين في رأس العمود والإفريزات وغير ذلك، وحتى الغرفة(Frontons) التي تحدها الأعمدة جاءت في نسق يشبه الموجود في ضريح هَليكَرْناس(Halicarnasse) الشهير الذي بني في أواسط القرن الرابع، ونفس النسق يوجد في بنايات جنائزية أخرى من الفن الإغريقي كضريح ميلاس(Mylasa) بكاريا(Carie) وضريح الجوليين(des Jules) بسان ريمي في بروفَنْصا[5].

[1] - اصْطيفان اكْصيل، ج.6، المرجع السابق، ص 127.

[2] - محمد البشير شنيتي، أضواء على تاريخ الجزائر القديم بحوث ودراسات، المرجع السابق، ص 51.

[3] - غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر ماسينيسا أو بدايات التاريخ، المرجع السابق، ص 366.

[4] - اصْطيفان اكْصيل، ج.5، المرجع السابق، ص ص، 77-78.

[5] - نفسه، ج.6، ص 225.

يلاحظ التأثيرات الإغريقية في ضريح قبر الرومية حيث تتضح فيه التيجان الأيونية المهجورة تماماً، بما فيها ذلك الانعطاف في القناة الذي تخلى عنه الفن الإغريقي الكلاسيكي منذ قرون، وربما يكون قد اعتمد على فنان من مدرسة إغريقية لتزيين الضريح[1].

من بين المعتقدات الدينية التي أخذها سكان بلاد المغرب القديم عن الإغريق وهي عادة إحراق الموتى، وهي بدرجة أقل، فقد لوحظ وجود الإحراق بضريح الخروب، الراجع لأواسط القرن الثاني ق.م وفي إحدى التلال التي بنيت حول المدغاسن القرن الثالث، وكذلك شوهدت عملية الإحراق في بعض القبور الأخرى والدلمينات والتلات، الموجودة في الأراضي المتاخمة للجزائر والمغرب، ولابد من أن بعض الأهالي اقتبسوا هذا الطقس عن الفينيقيين وهؤلاء أنفسهم اقتبسوه عن الإغريق حوالى القرن الثالث ق.م[2].

ثالثا– الفن والموسيقى.

1)– الفنون: اعتنى القورينيون بالفنون الجميلة اضافة إلى اعتنائهم بالجانب العلمي، لا سيما بعدما بلغوا حداً كبيراً من الثراء بفعل التجارة وخصوبة الأرض، فترفهوا لأجل ذلك، وهذا أمر يتضح من خلال نقودهم الذهبية والفضية المتميزة بإتقانها (فن الضرب) حيث حفظت المتاحف كميات وافرة منها. أيضا اشتهر القورينيون بفن النقش على الأحجار الكريمة التي كانوا يستعملونها في حُليهم، فقد عُثر على جواهر غاية في الروعة والجمال تحت أطلال يوسبريدس، بالإضافة إلى فن نحت التماثيل وقدمت الحفريات العديد منها والتي تدل على مستوى فني لا يقل عن ما وجد في بقية أنحاء العالم الإغريق[3].

كما أنهم اعتنوا بفن الرسم، لا سيما في تلك القبور المنحوتة في الصخر والتي ما زالت تحتفظ بآثار رسومات ملونة فيها، بالإضافة إلى الرسم على الأواني، حيث عُثر في يوسبيريدس على أوان جيدة الصنع عليها رسوم رائعة. وكان القورينيون ماهرين أيضاً في الفن المعماري، يتضح ذلك

[1] – اصْطيفان اكْصيل، ج.6، المرجع السابق، ص ص، 236-236.

[2] – نفسه، ج.6، ص 188.

[3] راضية أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 194.

من خلال آثارهم الضخمة بالمنطقة والتي لا تزال ماثلة للعيان، لا سيما مجاري المياه، والطرق، والآبار، والمباني[1].

اهتم يوبا الثاني بفن المسرح وقد ألف فيه كتابه الرائع **"تاريخ المسرح"** جمع فيه دراسات شاملة حول الموسيقى والرقص، احتوى على ثمانية عشر مجلداً[2]، وعمل على جلب ممثلين وممثلات إغريق إلى عاصمته قيصرية لتقديم أعمالهم، ومن بينهم الممثل المشهور ليونتيوس(Leonteus) استقدمه من مدينة أركوس الإغريقية خصوصا وأن هذه المدينة أصبحت في عهده تتوفر على مسرح مهم[3]. كما أسس معهدا لتدريسه في عاصمته، هذا بالإضافة إلى معهد النحت[4].

فضلا عن ذلك فقد بنى يوبا الثاني مجموعة من المسارح في كل من: شرشال ووليلي وليكسوس[5]، ومن أجملها المسرح العتيق المتواجد في عاصمته يول، وقد تطرق لذكره اصطيفان أكصيل:**"ومن المؤكد أن قيصرية كان بها مسرح على عهد يوبا الذي كان يحب الفرجات، والذي كتب بحثا مسهبا عن الفن الدرامي، ولاشك أن هذا المسرح هو الذي لم تندثر خرائبه حتى الآن، وبالرغم من أنها كثيرا ما استعملت كمحجرة، وكانت الزخارف الفاخرة على جدران خشبة المسرح من الرخام الأبيض، وهو عبارة عن دثار وعن ثلاث مجموعات متراكبة من الأعمدة الكورنثية التي تحمل عمرة غنية...ثم إن هذه البقايا من طراز يجعلها متينة القرابة بالقطع المعمارية التي عثر عليها بالساحة"[6].**

يقف بجانب المسرح تمثال كبير من المرمر يمثل شخصاً مدرعاً يمدّ يده اليمنى في حركة الإمبراطور الذي يخطب على جيوشه، بينما تمسك يده اليسرى برمح، أما الرأس الذي نحت على حدة فقد اندثر، ولكن الصور التي تزين الدِّراع تشهد أن هذا الإمبراطور هو أغسطس، ونشاهد

[1] راضية أبو عجيلة، المرجع السابق، ص 195.

[2] – اصْطيفان اكْصيل، ج.8، المرجع السابق، ص 235.

[3] – عبد العزيز أكرير، المرجع السابق، ص 39.

[4] – بوزياني الدراجي، القبائل الأمازيغية أدوارها–ومواطنها–وأعبائها، المرجع السابق، ص ص، 88–89.

[5] – جمال حمداوي، المرجع السابق ، المرجع السابق، ص 254.

[6] – اصْطيفان اكْصيل، ج.8، المرجع السابق، ص ص، 212–213.

في الأعلى صور نصفية لمارس أولْطور(Mars Ultor) الإله الذي انتقم لقتل يوليوس قيْصر أب الوطن وأب أوغسطين، ونرى أسفل ذلك على أحد الجانبين قيْصر مُؤلّهاً(الربّ يوليوس) والنصر يُتوجه وعلى الجانب الآخر صورة لجدّه اليولْيوسيين، جينتْريكس(Venus Genetrix) وفيكتْريس(Victrix) أيضاً وهي تمسك حُساماً وتُرساً يصحبها الحب وقد تنكب قوساً، وهذا الأثر الجميل يذكّر بأسلوب وهيئته العامة، ويذكرنا بالتمثال الشهير لأوغسطس المحفوظ بالفاتيكان[1].

بنى يوبا الثاني في مملكته القيصرية والموريطانية مجموعة من المتاحف الأركيولوجية، وكان الهدف منها جمع الآثار والمنحوتات والنقود والوثائق والأدوات والمستكشفات الطبيعية والجيولوجية، وقد عرض فيها كل ما وصل إليه بنفسه في أثناء استكشافاته الطبيعية ورحلاته العلمية، وما وصل إليه علماؤه، ومن تلك المتاحف نجد متحف يول(شرشال) ومتحف وليلي، فقد ضم الأول المنحوتات البرونزية والنقود والأشكال والتماثيل التي كانت توجد بالمملكة القيصرية أو نوميديا، ومازالت بعض تلك الآثار شاهدة على مدى شأن يوبا الثاني، وما شهده عصره من إنجازات ثقافية وفنية، كما يشهد متحف وليلي بتحفه على الأمر ذاته[2].

التفت يوبا الثاني إلى الفن التشكيلي والنحت حيث ألف كتاب موسوم بـ**"تاريخ الرسم والرسامين"** عَرَف فيه بفن الرسم والتصوير على مستوى الموضوع والشكل والأدوات، مع كتابة تراجم الرسامين اليونان والرومان والبونيقيين والمغاربة، ومن ضمن الرسامين اليونان الذي ذكرهم في كتابه نجد الفنانين الشهيرين: بوليكْنوتْ(Polygnote) وبَرَهاسْيوسْ(Parrhasius)[3].

تشهد المنحوتات التي عثر عليها الباحثون في عاصمتي يوبا الثاني شرشال ووليلي على مدى اهتمام هذا الملك المغربي بفن النحت، ولا يمكننا ربط تلك الآثار بالامبراطورية الرومانية، لأن هذا العمل يعود إلى يوبا الثاني بالدرجة الأولى، فقد كان إنساناً راقياً محباً للفن ويعتني

[1] – اصْطيفان اكْصيل، ج.8، المرجع السابق، ص ص، 195-196.

[2] – جمال حمداوي، المرجع السابق، ص ص، 245-246.

[3] – اصْطيفان اكْصيل، ج.8، المرجع السابق، ص 235.

بالمنحوتات ويعمل على أن يحافظ على معالم مملكته[1].

يبدو أن يوبا الثاني ليس وحده الذي اهتم بالفنون الجميلة ببلاد المغرب في ذلك الوقت، فثمت آخرون كانت لهم الاهتمامات نفسها، لأن التأثير الإغريقي والفينيقي والروماني كان يولد اهتماما معينا بين السكان، وإن لم يهتم بذلك السكان جميعهم فقد يهتم بعضهم[2].

2)- **الموسيقى**: تحدث المؤرخ هيرودوت بأن الإنشاد الديني الإغريقي إنما تم أخذه عن الليبيين، لأن نساء هذه البلاد كن يدمن على الندب والنواح في طقوسهن الدينية، ولهن فيها أسلوب جميل ينشدون بصوت غاية في الروعة والطرب[3]، وهذه شهادة عن الحس الفني المرهف لدى الليبيين.

إذا كانت الحضارة القرطاجية تعرض نفسها بنفسها على الأمراء النوميد فإنهم لم يكونوا يجهلون مقدار تفوق الحضارة الإغريقية عليها، فمسنيسا استدعى لبلاطه موسيقيين من الإغريق[4]. وكان يتم استقبالهم بحفاوة حيث تقام الأفراح وتنظم الحفلات الموسيقية بالقصور فتنصب الطاولات وتزين بالأواني الفضية والسلال الذهبية[5].

وقد أقبل يوبا الثاني على الموسيقى بشغف مثير وخصص لها كتبا وافية وشاملة عرّف فيها بمخترعي الموسيقى، وأشار إلى طبيعة حرفتهم والآلات الفنية التي كانوا يستعملونها، ورصد إيقاعاتها وألحانها، وكيفية اختراعها في بلدان مختلفة، وفي الوقت نفسه تحدث بإسهاب عن الفنون التابعة للموسيقى، مثل: الرقص والتمثيل والمسرح والنحت، وركز على الرقصات الإغريقية والأجنبية، وبين الطريقة التي يحسن أن توزّع بها الأدوار على الممثلين[6].

والمجهودات التي قام بها يوبا الثاني في نشر الفنون – بشتى أنواعها – في بلاد المغرب معروفة، فقد كان يستدعي الفنانين والأدباء من روما وأثينا ليفيدوا رعيته ويمتعوهم في المجال الثقافي

[1] – جمال حمداوي، المرجع السابق، ص 256-257.

[2] – بوزياني الدراجي، القبائل الأمازيغية أدوارها-ومواطنها-وأعيانها، المرجع السابق، ص 90.

[3] – هيرودوت، تاريخ هيرودوت، الكتاب الرابع، المصدر السابق، ص 366.

[4] – اصْطيفان اكْصيل، ج.6، المرجع السابق، ص 80.

[5] – مجموعة مؤلفين، الجزائر النوميدية، المرجع السابق، ص 28.

[6] – اصْطيفان اكْصيل، تاريخ شمال أفريقيا القديم، ج.8، المرجع السابق، ص 235.

والفني بصفة عامة وفن الموسيقى بصفة خاصة[1]، فقد أنشأ لتدريسها معهداً خاصاً بعاصمته ايول(شرشال حاليا)، كما قام هو نفسه بتأليف موسوعة موسيقية ضخمة[2]، ومن هنا كانت الموسيقى مزدهرة لدى ملوك وسكان المغرب القديم مادام قد خصص لها موسوعات ومعاهد لتديسها والإعتناء بها.

في خاتمة هذا الفصل يمكن القول أن اللوبيون أخذوا عن الإغريق الكثير وأعطوهم الكثير، فامتزجت حضارة اللوبيين بحضارة اليونان، حيث شهدت الحياة الثقافية المتبعة داخل المستوطنات الإغريقية ازدهاراً منقطع النظير على جميع المستويات الآداب والفلسفة والعلوم والفنون، وقد حرص الإغريق على عبادة آلهتهم الموجودة في أوطانهم الأولى، فعملوا لها التماثيل وشيدوا لها المعابد داخل مستوطناتهم اللوبية، كما استفاد الإغريق من ولع قدماء اللوبيين بالنواحي الدينية والعقائدية، فقلّدوهم في ذلك، واستعاروا منهم آلهتهم وعبدوها.

[1] – جمال حمداوي، الحضارة الأمازيغية أنثروبولوجيا الإنسان، المرجع السابق، ص ص، 250-251.

[2] – بوزياني الدراجي، القبائل الأمازيغية أدوارها–ومواطنها–وأعبائها، ج.1، المرجع السابق، ص ص، 88-89.

الباب الرابع:

علاقة سكان بلاد المغرب القديم بالرومان

الفصل الأول: الرومان وصلاتهم بالمغرب القديم

الفصل الثاني: العلاقات الاجتماعية

الفصل الثالث: سياسة روما الثقافية وموقف السكان منها.

الفصل الأول:

الرومان وصلاتهم بالمغرب القديم

المبحث الأول: التعريف بالرومان.

المبحث الثاني: الاحتلال الروماني لأراضي بلاد المغرب.

المبحث الثالث: المدن الرومانية.

بدأت صلات المغاربة القدماء بالرومان في زمن متأخر –بعض الشيء– عما كان عليه الحال مع المصريين واليونان والفينيقيين، ذلك لأن الرومان ظهروا في مسرح الأحداث التاريخية في زمن متأخر أيضاً، والصلات بين سكان الشمال الإفريقي وسكان أوروبا قديمة قدم الإنسان نفسه، وما يهمنا هنا هي الصلات الاجتماعية والثقافية التي وقعت بين أهل المغرب القديم وبين الدولة الرومانية بأشكالها الثلاثة: الملكية والجمهورية والإمبراطورية. وكي تسهل علينا عملية المقارنة، وكي يتسنى لنا تطبيق ما يمكن استنتاجه من صلات أفادت المغاربة نتيجة لعلاقاتهم مع الرومان، لا بد لنا من تكوين فكرة عن هؤلاء الرومان، وما وصلوا إليه من تطور في المجالات الحضارية.

المبحث الأول: التعريف بالرومان.

أولاً: السكان: كانت الجماعات السكانية التي تعيش في إيطاليا عند القرن السادس ق.م تنقسم إلى قسمين: الجماعات الإيطالية والجماعات غير الإيطالية.

1)– الإطاليون: كان الإيطاليون موزعين على النحو الآتي:

أ)– **اللاتين (Latin)**: عاش اللاتين على الضفة الجنوبية الشرقية من نهر التيبر، في منطقة سهلية بطول 64 كلم وعرض 48 كلم، بين الشاطئ وجبال الأبنين، دعتها لاتيوم (**Latium**)، وكان اللاتين كجيرانهم من القبائل يعيشون حياة الترحال[1].

وذكر ابن خلدون عن اللاتين: **" اللطينيون[2] هم سكان سهل لاتيوم وهم من مجموعة الشعوب الإيطالية ... كان اللاطين أنشط المجموعات الثلاث وقد استطاعت احدى مدنهم (روما) أن تتصدر كل المدن الأخرى في إيطاليا وأن تفرض سيطرتها على شبه الجزيرة خلال القرن الثالث ق.م ثم على منطقة البحر المتوسط كله خلال القرن الثاني"[3].**

---

[1] إبراهيم العيد بشي، تاريخ مختصر للحضارة الرومانية والإغريقية، المرجع السابق، ص 149.

[2] كتب ابن خلدون اسم هذا الشعب مستخدماً حرف (ط) فكتب اللطينيون كما يفعل أهل المغرب حتى اليوم، وهذا دليلا هاماً على أن استخدام المغاربة المحدثين لهذا النطق ليست تأثيراً فرنسياً كما يبدو للبعض ولكنه أصيل في المنطقة من قبل الاستعمار الفرنسي بعدة قرون. ينظر: عبد الرحمن ابن خلدون، الإغريق عند ابن خلدون من بداية أيامهم إلى موت الاسكندر الأكبر، تحقيق وتعليق فوزي مكاوي، دط، دت، الهامش ص 35.

[3] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص 35.

وكان اللاتين مزيجاً من أربعة عناصر رئيسية هي: عنصر مهاجري أواخر عصر البرونز، وعنصر مهاجري العصر الحجري الحديث الذين قدموا من المناطق المجاورة في جبال الأبنين، وبدأت القرى الزراعية بالظهور بين نهر التيبر وخليج نابولي، وكانت الحياة فيها ريفية بسيطة[1].

أما بقية القبائل الإيطالية فهي:

ب)– الكمبانيون (Companiens): في الكمبانيا الرومانية.

ج)– الأومبريون(Ombriens) والسابينيون (Sabinums): في جبال الأبنين الوسطى.

د)– **السامنيون(Samnties) والإيكويين واللوكانويين** في جبال الأبروز **والغاليون(Les Gaulois)** في أقصى الشمال[2].

2)– القبائل غير الإيطالية: لعبت هذه الشعوب دور هام في تطوير ودفع عجلة الحضارة في إيطاليا ومن أشهرها:

أ)– لأتروسكيون(Etrusci): هاجر الأتروسكيون من آسيا الصغرى الغربية، واستطاعوا بغاراتهم البحرية صدّ قبائل إيطاليا إلى الوراء، واستولوا على ساحل إيطاليا الغربي من نابولي جنوباً إلى جنوى شمالاً منذ بداية القرن الثامن ق.م، نظم الأتروسكيون أنفسهم في إيطاليا متبعين نظام حكم دولة المدينة[3].

ب)– الإغريق: قدم الإغريق إلى إيطاليا عن طريق البحر في الفترة الواقعة بين منتصف القرن الثامن ومنتصف القرن السادس ق.م وتوضعوا في مستعمرات عديدة ونشروا معهم تقاليد الحضارة الهللينية[4].

ج)– الفينيقيين: تمكن الفينيقيون من تأسيس بعض المستوطنات في صقلية وسردينيا وكورسيكا إلا أن الظروف السياسية والجغرافية لم تسمح لهؤلاء أن يلعبوا دوراً مماثلاً لدور الإغريق في إيطاليا[5].

---

[1] إبراهيم العيد بشي، تاريخ مختصر للحضارة الرومانية والإغريقية، المرجع السابق، ص 149.

[2] نفسه، ص 150.

[3] رستم أسد، عصر أوغسطس قيصر وخلفائه، د ن، بيروت، 1961. ص 18.

[4] هشام الصفدي، تاريخ الرومان في العصور الملكية الجمهورية الامبراطورية حتى عهد الامبراطور قسطنطين، دار الفكر الحديث، لبنان، 1967، ص54.

[5] نفسه، ص 50.

تعلم الرومان من الإغريق والبونيقيين جملة معتبرة من القيم الحضارية، والمعتقدات الدينية، والتقاليد الاجتماعية، والنظم السياسية، وأساليب العيش المختلفة، وأنواع الفنون المتنوعة[1].

ثانياً– تشكل الإمبراطورية الرومانية: تذهب الرواية الرومانية الأسطورية إلى أن الأخويين "روموليوس" (Romulus) و"ريموس" (Remus) راضعي الذئبة هما اللذان أسسا روما[2]. وتحدث ابن خلدون عن تلك الأسطورة بقوله: **"ومن المؤكد أن أشهر الأساطير الرومانية تقول أن أنياس (Aneas) أحد أبطال طروادة جال في البحر بعد سقوط مدينته حيث أرسى في قرطاج وقد هامت به ديدو مؤسسة قرطاج ولكنه هجرها إلى ساحل إيطاليا حيث نزل بسهل لاتيوم وأسس مدينة (Lavinium) ثم أسس ابنه (Ascanius) مدينة البالونجا وقد أسس أحد أحفاد الأخير مدينة روما بعد بضعة أجيال"**[3].ويبدو أن الرواية بها جزأ من الحقيقة ولكنها طبعت بطابع أسطوري.

أنشئت روما على تلة صغيرة على ضفة نهر تيبر (Tiber) عام 753ق.م[4]، ثم بدأ الإتروكسيون يلعبون دوراً حاسماً في تاريخ شبه الجزيرة الإيطالية حيث أسسوا الملكية الرومانية بصورة فعلية في 21 أفريل 753 ق.م[5].

وأول مَعلم واضح في التاريخ الروماني هو إسقاط اللاتين للملك الاتروسكي وتأسيس جمهورية أرستقراطية في ختام القرن السادس سنة 509 ق.م[6]، وتحولت الجمهورية الرومانية سنة 27 ق.م إلى

---

[1] بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص123.

[2] كانت روما تحتل موقعاً متوسطاً في إيطاليا، شبه الجزيرة الوسطى في البحر المتوسط ويتعادل بعدها من قادس والاسكندرية، وتواجه افريقيا وفي نفس الوقت ترتبط بأوروبا الوسطى والغربية والجنوبية. ينظر: و.ج.دي بورج، تراث العالم القديم، تر: زكي سوس، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، القاهرة، 1999، ص 243.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ص 35.

[4] عرفان شهيد، روما والعرب (مقدمة في دراسة العلاقات بين بيزنطة والعرب)، تر: قاسم محمد سويدان، ط1، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2008، ص 13.

[5] ف.د دياكوف، س. كوفاليف، الحضارات القديمة، تر: نسيم واكيم اليازجي، ج2، ط1، منشورات دار علاء الدين، دمشق، 2000، ص465.

[6] و.ج.دي بورج، المرجع السابق، ص 244.

امبراطورية[1] تتحكم بكل الأراضي والبلاد حول البحر الأبيض المتوسط (الذي أطلق عليه بحر الروم)[2]،(**ينظر الخريطة رقم:13**).دام حكمها أربعة قرون حتى انقسمت إلى قسمين شرقي وغربي 395م، ثم انهار القسم الغربي بانهيار روما سنة 476م على يد البرابرة الوندال الذين غزوها من وسط أوروبا، واستمر بقاء القسم الشرقي بزعامة القسطنطينية حتى سنة 1453م حيث سقطت على يد السلطان العثماني محمد الفاتح[3].

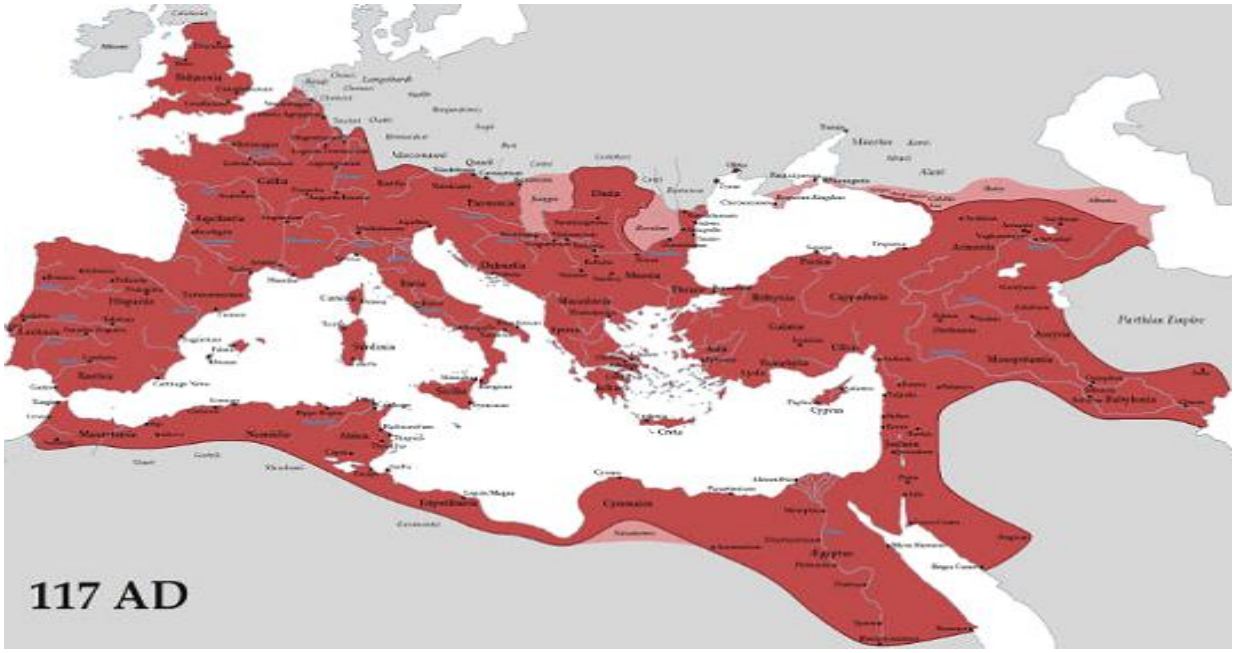

الخريطة رقم 13: توضح الإمبراطورية الرومانية في أكبر امتدادها عند موت تراجان سنة 117م.

نقلا عن: مجلة تاريخ ليبيا، عدد نوفمبر 2015م، المرجع السابق، ص 14.

تصدر تاريخ الرومان مكانة خاصة بين تاريخ شعوب العالم، فالامبراطورية الرومانية تجربة رائدة وفريدة في الحضارة الانسانية، وتعود أهمية هذه الاخيرة إلى اتساع رقعتها الجغرافية[4]، ولفترة تعميرها

[1] إبراهيم العيد بشي، تاريخ مختصر للحضارة الإغريقية والرومانية، المرجع السابق، ص 155.

[2] عرفان شهيد، المرجع السابق، ص 14.

[3] إبراهيم العيد بشي، تاريخ مختصر للحضارة الإغريقية والرومانية، المرجع السابق، ص 155.

[4] لقد تمكنت روما من ضم أراضي حوض المتوسط وحولتها إلى مقاطعات بدءا بصقلية 231 ق.م ثم سيردينيا وكورسيكا واسبانيا ومقدونيا وبعدها قرطاجة في 146 ق.م. وتلتها آسيا الصغرى في 133 ق.م. فبلاد الغال في 118 ق.م. وكذلك بيثينيا وقورينة في 74 ق.م. وبعدها كل من كريت وكليكيا وسوريا وقبرص. ينظر: شافية شارن، بلقاسم رحماني، محمد الحبيب بشاري، الاحتلال الاستيطاني وسياسة الرومنة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2017، ص 189.

الطويلة، إذ بدأت في القرن الثالث ق.م واستمرت باقية إلى القرن الخامس الميلادي في الغرب الأوروبي وإلى القرن السابع في الشرق، إضافة إلى أنها وقعت في نهاية حقبة التاريخ القديم، فقد تعرضت منذ القرن الثالث الميلادي لعوامل الضعف والتفكك من داخلها وخارجها[1].

ضمت الامبراطورية أيضاً ثقافات مختلفة من يونانية وعربية وفارسية وتركية ومغربية...إلخ، إلا أن لكل ولاية خصوصيتها، فولاية الشام تختلف عن ولاية مصر عن ولاية أفريقيا عن ولاية آسيا الصغرى...إلخ، من حيث الإدارة والقيادة[2].

وجدير بالذكر أيضاً أن تراث الامبراطورية الرومانية لم يكن من صنع سكانها وحدهم ولا من تأليف الفكر والتراث الهللينستي فحسب، بل هو مساهمة بين التراث الإغريقي الروماني وتراث الشرق الأوسط القديم والمغرب ببلاد ذات تجارب عريقية ورائدة في مجال السياسة والفكر الحضاري، وتمكنت روما الامبراطورية أن تستوعب كل تجارب الشعوب التي توسعت على حسابها ثم مزجتها بتراثها. وأضافت ما استطاعت أن تصل إليه عن طريق ابتكاراتها الخاصة ليخرج في النهاية من هذا كله التجربة الرومانية للامبراطورية العالمية النزعة فكراً وتطبيقاً، شكلاً وتراثاً، فلسفة وحضارة[3].

لذلك خرجت الامبراطورية الرومانية عدد كثير من الأدباء والخطباء والعلماء والمشرعين والإداريين، ومتاحف العالم مليئة بتماثيلهم وآثارهم المنقوشة والمسجلة عليها أعمالهم في شتى المجالات، سواء انتصارات عسكرية أو أشعار أو خطب أو إصلاحات اقتصادية واجتماعية...إلخ.

المبحث الثاني– الإحتلال الروماني لأراضي بلاد المغرب: يبدو أن الرومان عرفوا المغاربة وبلاد المغرب عن طريق البونيقيين، أثناء المبادلات التجارية، أو خلال الحروب الطاحنة التي دارت بين القرطاجيين والرومان في صقلية وشبه الجزيرة الإيبيرية[4].

كانت سيطرة روما على إفريقيا من الفاعلية والإحكام أكثر مما تحقق للقرطاجيين وما كانت هذه السيطرة بوليدة الصدفة، بل جرى الإعداد لها زمناً طويلاً، وتواصلت بعناد روماني حقيقي، فبعد الهزيمة

[1] نجيب إبراهيم طراد، تاريخ الرومان، مطبعة ومكتبة الغد، القاهرة، 1997، ص5.

[2] نفسه، ص ص 5-6.

[3] سيد أحمد علي الناصري، تاريخ الامبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، ط2، دار النهضة العربية، القاهرة، 1991، ص6.

[4] بوزياني الدراجي، ملامح تاريخية للمجتمعات المغربية، ص 121.

التي لحقت قرطاج في سنة 201 ق.م وقبل أن تُخَّرب المدينة في سنة 146 ق.م، ويحول إقليمها إلى مقاطعة رومانية، كان مجلس الشيوخ قد صيّر الدولة النوميدية عملياً إلى دولة "محمية"، معهود بها إلى ماسينيسا[1].

حيث بينت المصادر الأدبية العلاقات بين الرومان والنوميديين في إطار تعاون الملك ماسينيسا والسلطات الرومانية منذ اعتلائه السلطة سنة 203 ق.م[2]، وتزايد تواجدهم بعد سقوط قرطاجة سنة 146 ق.م[3]، خدمة لمصالح روما وتمهيد المنطقة للغزو.

وقد أشار سالوستيوس في كتابه حرب يوغرطة إلى وجود جالية رومانية بسيرتا من التجّار من ذوي البأس يؤمنون الدفاع عن المدينة وهم الذين نصحوا أذربعل أن يسلم نفسه ليوغرطة وأن يشترط الابقاء على حياته فقط، وفيما عدا ذلك فإنّ مجلس الشيوخ سيقرر، إلا أن مصيرهم كان القتل من طرف يوغرطة الذي استولى على المدينة [4]. نستنتج مما سبق مكانة الجالية الإيطالية والنفوذ الذي كانوا يتمتعون به وأهمية الدور الذي اضطلع به هؤلاء في المملكة عموماً.

هذا إذا ما استثنينا الصلات القديمة جداً بين سكان شمال إفريقيا وشبه الجزيرة الإيطالية لأن المعلومات الأثرية تؤكد حدوث تلك الصلات في فترة زمنية تعود إلى مرحلة الثقافة النيوليتية (العصر الحجري الحديث)، وبالتحديد في الألف الخامسة ق.م. وتم ذلك عندما حدثت هجرة لجماعات بشرية تنتمي للإنسان المتوسطي (في فترة الحضارة القفصية)، انطلقت من شمال إفريقيا نحو شبه الجزيرة الإيطالية من جهة، وشبه الجزيرة الإيبيرية من جهة أخرى، حيث استوطنوا – بصفة نهائية- تلك الديار. ويجمع المختصون على تفوق أولئك المهاجرين ثقافياً على الذين وجدوهم قبلهم في أرض إيطاليا، إذ كانت أدواتهم الحجرية أكثر صقلاً وأجود صنعاً. وتذكر المصادر أيضاً أنهم اندمجوا وامتزجوا –بعد قرون- ضمن

---

[1] غابريال كامبس، البربر ذاكرة وهوية، المرجع السابق، ص 199.

[2] Titus Livius,XXX, 17,7-14.

[3] Lassère (J.M), Ubique populus (Peuplements et mouvements de population dans l'Afrique romaine de la chute de Carthage à la fin de la dynastie des Sévères (146 avant J.C-235 après J.C). Paris, C.N.R.S, 1977, P 69.

[4] سالوستيوس، حرب يوغرطة، تر: محمد العربي عقون، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة-الجزائر، 2006، XXVI ص 98.

ما عرف لا حقاً بشعب اللاتين أي سكان منطقة اللاتيوم. إذن فالصلات بين سكان أوروبا وسكان الشمال الإفريقي قديمة قدم الإنسان نفسه[1].

ومع هذا فما يهم هنا، هي الصلات التي وقعت بين أهل المغرب القدماء وبين الدولة الرومانية، فمن الناحية السياسية مر الوجود الروماني في بلاد المغرب بثلاث مراحل:

أولا– المرحلة الأولى: بداية الاحتلال الروماني: كان سقوط قرطاج معلنا ببدء الاحتلال الروماني لبلاد المغرب[2] وامتدت الفترة الأولى إلى غاية سقوط موريتانيا 40م، وانتهاء حكم الممالك النوميدية[3] والموريتانية بعد حكم بطليموس ابن يوبا الثاني ملك موريتانيا، وقد تزامنت تلك الأحداث مع نهاية مرحلة الجمهورية في روما وصولا إلى عهد أوكتافيوس أغسطس، ومن ثم الإعلان عن الإمبراطورية حوالي 29 ق.م[4].

تَمثل الوجود الروماني في البدايات الأولى في سبع من المدن التي تخلت طواعيتا عن تبعيتها إلى قرطاجة وذلك أثناء الحرب البونيقية الأخيرة، وتبقى مدينة أوتيكا الإستثناء لأنها أصبحت حرة قبل اندلا ع تلك الحرب بفترة، وقد ربطت تلك المدن علاقات صداقة مع الرومان، وفي سنة 146 ق.م بعد تسوية قضايا إفريقيا من قبل روما منحت تلك المدن "الحرية" ولكن دون أن تساويها في المكانة وذلك معناها تبقى تابعة لها. ولم تصبح تلك المدن رومانية إلا في سنة 36 ق.م، حيث تحولت المدن الحرة إلى مونِكبِيوم رومانية، ونال بعض سكان أوتيكا المواطنة الرومانية[5].

وقد ورد ذكر تلك المدن في القانون الزراعي الروماني الصادر في سنة 111 ق.م، كما يلي:" **...populorum leiberoum Uticensium,**

---

[1] بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص ص 121-122.

[2] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 117.

[3] احتلت روما الدولة النوميدية حوالي سنة 46 ق.م على إثر انتصار يوليوس قيصر في حربه بإفريقيا ضد الملك النوميدي يوبا الأول، وقد أنشأ قيصر مقاطعة رومانية باسم إفريقيا الجديدة (Africa Nova) على أنقاض المملكة النوميدية التي كان يوبا الأول آخر ملوكها. ينظر: محمد البشير شنيتي، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب، سياسة الرومنة 146 ق.م-40 م، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1958، ص ص 64- 192.

[4] – مها العيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم، المرجع السابق، ص 358.

[5] – اصْطيفان اكْصيل، المرجع السابق، ج.7، ص ص 39- 44.

Hadrumetinorum, Tampsitanorum, Leptitanorum, Uquilitanorum, Usalitanorum, Teudalensium"[1]، وقد ذكرها شارل أندري جوليان: أوتيكا وحضرموت ولمطة ورأس ديماس وأشولة وأوسلة، وكذلك مدينة تقع وراء خليج بنزرت وهي تودالوس[2]، ونلاحظ من هذه السبع مدن بأن ستّ منها واقع على البحر، وكانت جميعها مستوطنات قديمة للفينقيين أو القرطاجيين[3].

ثانياً– المرحلة الثانية: الاستيطان الروماني: عرفت المرحلة الثانية من الاحتلال الروماني بمرحلة الاستيطان الروماني، حيث ترجع أهمية شمال إفريقيا بالنسبة للرومان في خصوبة أرضها وثرواتها وانتاجها كمصدر من مصادر الدخل، ومن هنا جاءت فكرة الاستيطان لاستغلال الأرض، وهذه الأراضي الخصبة في شمال إفريقيا كانت فرصة مناسبة للفقراء والعاطلين من الرومان للعمل في الأراضي البعيدة المفتوحة والخاضعة لروما، وهي تمنع قيام الثورات ضد روما[4].

وترجع فكرة إنشاء المستعمرات الرومانية في شمال أفريقيا إلى القائد الروماني سكيبيو الأفريقي الذي انتصر على القرطاجيين في موقعة زاما عام 202 ق.م، فقد وعد جنوده بأن يمنحهم أراضي في المدن القرطاجية إذا تحقق له النصر في تلك الموقعة[5].

وفي سنة 123 ق.م تمكن النائب الشعبي كايوس كراكوس (Gaius Grachus) من إقناع مجلس الشيوخ بإنشاء أول مستوطنة رومانية في بلاد المغرب مكان مدينة قرطاج القديمة، وتمكن من إقناع مجلس الشيوخ الروماني، لما تمتعت به من مميزات في موقعها الجغرافي وطبيعة أرضها الخصبة[6].

وتم تأسيس المدينة الرومانية الجديدة بنفس المكان الذي كانت به قرطاجة وأطلق عليها اسم "يونونيا"(Yunonia) وتم توزيع قطع الأراضي الزراعية على المعمرين وجعلوهم مالكين لها، وكان

---

[1] – اصْطيفان اكْصيل، المرجع السابق، ج.7، ص ص، 39-41.

[2] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 121.

[3] – اصْطيفان اكْصيل، المرجع السابق، ج.7، ص ص، 39-41.

[4] حسين ابراهيم أبو العطا، مظاهر الحضارة في العصر البطلمي الروماني، مكتبة نانسي، دمياط–مصر، 2007، ص 49.

[5] نفسه، ص ص 29- 30.

[6] محمد البشير شنيتي، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب، المرجع السابق، ص 121.

مجموع مساحة تلك الأراضي 150000 هكتار تقريباً[1]. وتزعم جايوس جراكوس زعيم حزب الشعب توطين وتسكين فقراء روما والمدن الإيطالية في أفريقيا، وذلك لكسب عطف وتأييد العامة[2]، لكن لم يكتب لمستعمرة يونونيا الإستمرار حيث انتهت بعد خسارة كيوس في الإنتخابات بروما وتم قتله وتم إلغاء قانون روبريوس المؤسس للمستعمرة[3].

بالرغم من إلغاء المستعمرة إلا أن المعمرين لم يتخلوا عن الأراضي التي منحت لهم ولعل أن بعض المنتدبين أو القضاة الاستثنائيين قد كلفوا بتسوية القضايا الناتجة عن إلغاء المستعمرة والإبقاء على المعمرين، ومن خلال قانون 111. نستنتج بأن المعمّرين قد حافظوا على ملكية أراضيهم بل كان بمستطاعهم توريثها لذويهم، كما كان بإمكانهم بيعها، ومن ذلك فإن عدد المعمرين الرومانيين والإيطاليين الذين مكثوا في أراضيهم كان قليلا[4].

استمرت سياسة الاستيطان طوال المرحلة الإمبراطورية الأولى، وذلك بدءا من حكم أوكتافيوس أغسطس سنة 29 ق.م إلى غاية حكم الإمبراطور أوريليوس كاروسيوس سنة 283م، وقد تميز عهده بالازدهار الاقتصادي والعسكري في بلاد المغرب القديم[5]. والملاحظ أن أغلب المستوطنات الرومانية أسست من أجل قدماء الجنود، حيث أغروهم بالامتيازات لتشجيعهم على الاقامة والاستقرار ببلاد المغرب، فكونوا الدعامة البشرية الرئيسية في حركة الهجرة من إيطاليا وروما إلى أفريقيا[6].

وجدير بالذكر أن أوغسطس اتبع في شمال إفريقيا سياسة ترمي إلى إعطاء صفة المدنية أكثر من البداوة، حتى أصبحت بلاد المغرب عبارة عن مجموعة من المراكز الحضارية تدين جميعها بتأسيس المستوطنات وتطوير المراكز الفينيقية القديمة، لكنه سعى إلى فرض حياة الحضر على النظام القبلي، فقام أوغسطس بتحويل الوحدات الصغيرة (الأكواخ Canabae) الواقعة بالقرب من المستوطنات التي شيدها الرومان إلى وحدات شبيهة بالمدن، وساعد على ذلك استقرار الجنود الرومان في هذه الوحدات

[1] – اسْطيفان اكْصيل، المرجع السابق، ج.7، ص 58-59.

[2] حسين إبراهيم أبو العطا، المرجع السابق، ص 31.

[3] اسْطيفان اكْصيل، المرجع السابق، ج.7، ص 60.

[4] نفسه، ج.7، ص 61 وما بعدها.

[5] مها العيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم، المرجع السابق، ص ص، 358-360.

[6] Petit (P), Le haut empire, Paris, 1974, P 45.

مما أدى إلى زيادة عدد سكانها بعد أن منحوا فيها الأراضي وأقاموا عليها مدناً[1].

وقد سكتت نصوص تلك الفترة بالمجتمع مقارنة بما أفرد لتاريخ الفترة الأولى التي شهدت الحملات العسكرية الرومانية لبلاد المغرب القديم، وقد شهدت هذه الفترة الإهتمام بالحياة الإقتصادية أكثر[2].(**ينظر، الخريطة رقم:14**).

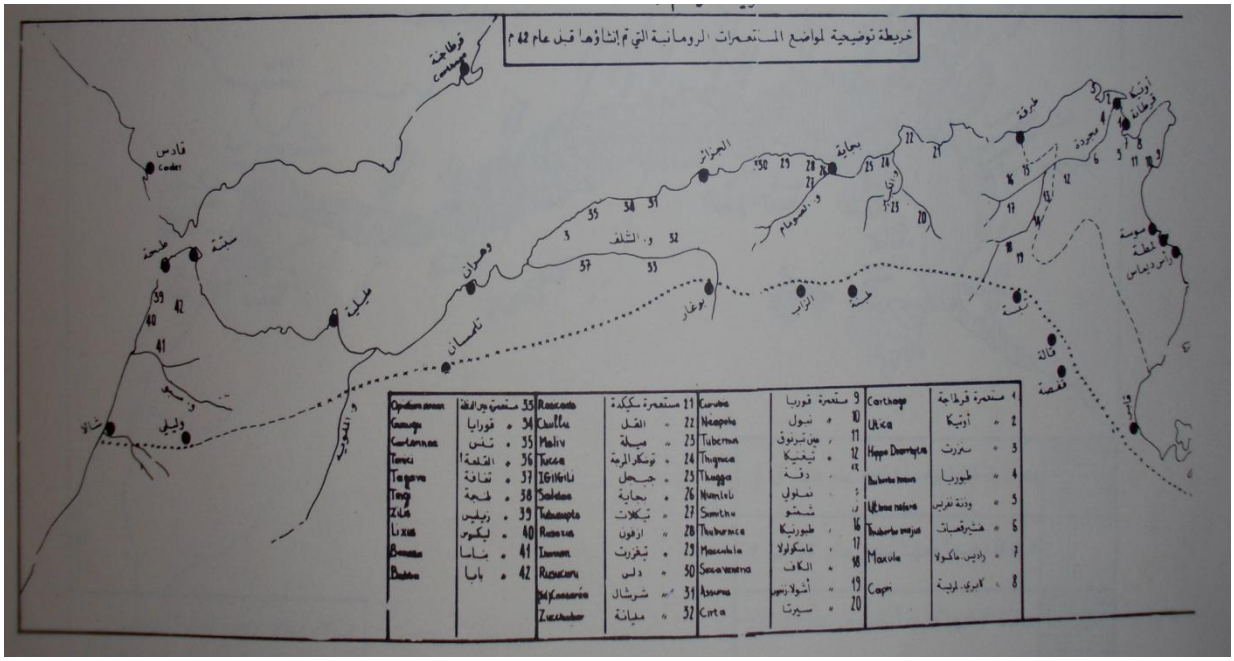

خريطة رقم 14: توضح المستعمرات الرومانية في بلاد المغرب القديم

نقلا عن: شنيتي، الإحتلال الروماني، المرجع السابق، ص 165.

ثالثاً– المرحلة الثالثة: ظهور الديانة المسيحية: استمرت هذه المرحلة طويلا وامتدت على طوال المرحلة الإمبراطورية الثانية من سنة 284م التي حكم فيها الإمبراطور دقلديانوس، وصولا بفترت حكم ثيودوسيوس الأول سنة 395م، وكذا حكم هونوريوس سنة 395م، وإلى حكم روملوس أوغسطس 476م، وتميزت هذه الفترة باستمرار الاستيطان في بلاد المغرب القديم، كما شهدت تحول ديانة المجتمع من الوثنية التعددية إلى المسيحية التوحيدية، وهو أهم تغيير مسَّ المجتمع المغربي القديم في منظومته القديمة[3].

[1] رستوفتزف.م،تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي،تر: زكي علي ومحمد سليم سالم،النهضة المصرية،1957،ص ص 87-89.

[2] مها العيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم، المرجع السابق، ص ص، 358-360.

[3] نفسه، ص 360.

المبحث الثالث: المدن الرومانية: تحولت المستوطنات إلى مدن، أسست بها مباني مدنية متنوعة، بهدف إعطاء صبغة رومانية للمقاطعات، وتحويلها مراكز للثقافة والحضارة الرومانية في بلاد المغرب من أجل التأثير على السكان واجتذابهم للثقافة الرومانية[1]، ومن ثم جعل كل مدينة رمزاً لنظام ديني واجتماعي وسياسي وثقافي، يكون دعماً قوياً لسياسة الرومنة[2]. ويمكن تصنيف المدن إلى ثلاث أنواع هي: مدن بحرية، ومدن فلاحية، ومدن عسكرية.

أولاً– المدن البحرية: أغلبها كانت في الأصل مدناً بونيقية تم تجديدها وتوسيعها في العهد الروماني، ويغلب على تلك المدن النشاط التجاري البحري والصيد البحري، وتشمل خليط من السكان: المغاربة وبقايا البونيقيين، واللاتينيين، من بين تلك المدن: لبدة (Leptis Magna)، وطرابلس (Oea)، وقابس (Tacapas)، وسوسة (Hadrumète)، وقرطاج (Carthage)، عنابة (Hippo)، سكيكدة (Rusicade)، القل (Chullu)، ومليلية (Rusaddir)، وسبتة (Septem)، وطنجة (Tingi)[3].

لقد تعرضت المدن البحرية لتغيير ملحوظ بسبب المياه التي غمرتها، مما صعب تصور هيئتها القديمة مثل ما وقع في جزء من خليج شمال قرطاجة الذي صار اليوم عبارة عن بحيرة واسعة (أريانة)، وهذا يتطلب مزيداً من الأبحاث الأثرية والتدقيق لتحديد الأماكن القديمة للمدن خاصة البحرية[4].

---

[1] Picard (G.C), Textes et documents relatifs à la vie economique et sociale dans l'empire romains, Paris, 1969, P.45.

[2] **سياسة الرومنة:** يتلخص مفهوم سياسة الرومنة في إلغاء وطمس روما لكل مقومات الشعوب المهزومة التي ضمت إلى حظيرتها، وفي المغرب القديم يتعلق الأمر بالشعوب الإفريقية والبونيقية، وتعويضها بنظم رومانية سياسية واقتصادية وعسكرية وحضارية، وفي الواقع هذا يعني طبعها بطابع روماني بحت، وجعلها تشعر أن مستقبلها مرتبط بروما ارتباطاً وثيقاً وبالتالي فهي لا تذعن وترضخ لوجودها فقط، بل تتجاوز ذلك لتصبح تدافع عنها ضد أبناء عشيرتها، وهذا في الواقع يرادف ما قاله مارسال بن عبو:" إن سياسة الرومنة لا تعني فقط نقل حكام ورجال، وإنما نقل حضارة كذلك". لمزيد من المعلومات ينظر: شافية شارن، بلقاسم رحماني، محمد الحبيب بشاري، الاحتلال الاستيطاني وسياسة الرومنة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2017، ص103.

[3] – بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 133.

[4] Diehl (G.H), La civilisation du Magherb romain de la préhistoire à la fin des byzantins, Paris, 2002, PP 258.

وفي سنة 111 ق.م أصبحت مدينة لبتيس الكبرى(لبدة) الواقعة بين خليجي سَدْرة صديقة وحليفة للشعب الروماني، وكان وضعها القانوني أحسن من وضع المدن السبع المذكورة سابقاً، وكانت أكثر استقلالا لأنها بقت خارج الولاية بينما المدن الأخرى داخل الولاية، وصنفت مدن حرة(Civitates liberae)[1]، كانت روما تصبغها على بعض المدن التي تتمتع بقليل أو كثير من الحرية، ومفهوم هذه المدن في العهد الإمبراطوري في إفريقيا أطلق على الجماعات أو القرى غير الرومانية التي لم تحمل لقب مستعمرة أو مونِكِبْيوم(Municipe)، وكان لها موظفوها المسؤولون عنها ينتخبون منهم، يرجعون في أمورهم إلى حاكم الولاية، مع ذلك بقت تلك المدن تدفع الضرائب لروما، وبهذه الحرية التي خولتها روما لشعوب المدن السبعة كانت واسعة، فأراضيهم غير تابعة مباشرة للشعب الروماني[2].

وهذه المناطق كانت معفاة من الضريبة العقارية والضريبة الشخصية، ومن ثم كانت حرة، إضافة إلى ذلك فقد كانت تتمتع باستقلال بلدي كامل، تحتفض بقوانينها وقضائها الشخصي، خاصة في القضايا المدنية وحينما لا يكون الرومانيون طرفا في الخصام، أضافت روما إلى تلك الحرية الممنوحة لتلك المدن تفضيلا آخر وهو اعطاء الشعوب الحرة أراضي خارج مناطقها، وفي المقابل كانت تلك المدن تضمن لروما مصالحها في المنطقة[3].

مع كل تلك الحرية التي نالت تلك المدن إلا أن الملاحظ للوضع يجد أن استقلالها مؤقتاً ما دامت مصالح روما غير مهددة، كما أنها كانت خاضعة للسلطة العليا للحاكم الروماني[4].

ونحن نعلم بأن سيبْيون بعد تهديمه مدينة قرطاجة منع إقامة مدينة رومانية مكانها كما منع تحويلها

---

[1] كان للمدن في مقاطعات الإمبراطورية أوضاع مختلفة، وكانت على تراتبية بالغة الصرامة. فالمستوطنات الرومانية تأتي في القمة، وتأتي بعدها البلديات (municipes) الرومانية، والمدن الحرة والتابعة ثم المستعمرة، ولقد كان هاجس الأهالي والرومان تقديم مختلف التضحيات إلى روما من أجل تغيير الصنف البلدي لمدينتهم لتحقيق مجموعة من المكاسب كتخفيف الأعباء الضريبية على سكانها، أو يصير بمقدورهم أن يتحصلوا على صفة المواطنة الرومانية التي كانوا يجتهدون في نيلها ينظر: غابريال كامبس، البربر ذاكرة وهوية، المرجع السابق، ص 201.

[2] – اصْطيفان اكْصيل، المرجع السابق، ج.7، ص ص 41-42.

[3] – نفسه، ج.7، ص ص 43-44.

[4] – Montesquieu, l esprit des lois, T,1 ; Paris, 1944, P 146.

إلى مزرعة، ولكن بعد 23 سنة قرر النقيب الشعبي "كيوس كراكوس"(G. Gracchus) إقامة مستعمرة للمواطنين الرومان، وبذلك تكون أول مستعمرة تؤسس خارج إيطاليا، وإلى ذلك العهد كانت المستعمرات الرومانية عبارة عن نوع من المعاقل أقيمت لمراقبة الشعوب المغلوبة، أما التي أسسها النقيب فتكون مساكن للعمال ليخرجهم من البؤس وتعطى لهم الأراض لينتعشوا بالعمل، ويصبحون قوة للجمهورية عوض أن يكونوا خطراً عليها[1].

تحوّل جميع تراب الولاية الرومانية المحدثة سنة 146 ق.م بإفريقيا ملكاً للشعب الروماني، ولم يستثن منها سوى مناطق المدن الحرة، وكانت لجنة العشرة المكونة من أعضاء مجلس الشيوخ الذين انتدبوا لدى سيبيون، قد اتخذت التدابير المتعلقة بهذا الملك، فأقطعت منه قسماً واسعاً وتم الإحتفاظ بالباقي للبت في أمره فيما بعد، وبقت تلك الاقطاعات ملكا للدولة تفعل بها ما تشاء وقد أصدرت عدد كثير من القوانين، من أهمها قانون روبْريوس(Lex Rubria) سنة 123 ق.م الذي قرر إنشاء مستعمرة قرطاجية وتم إلغاءها سنة 121 ق.م[2].

ثانياً– المدن الفلاحية: هي عبارة عن مدن في أغلبها كانت في بداية نشأتها قرى صغيرة، ثم اتسعت تدريجياً بازدياد عدد سكانها وتنوع نشاطها وتكاثر عمرانها[3]، يتكون سكانها من المغاربة واللاتين، ومن المدن نذكر: الجم (Thysdrus)، مكثر (Mactaris)، باجة (Vaga)، الكاف (Sicca Veneria)، دقة (Thugga)، سوق أهراس (Thagaste)، مداوروش (Madauros)، قالمة (Calama)، قسنطينة(Cirta)، ميلة(Milev)، سطيف(Sitifis)، وليلي (Volubilis)[4].

ومن الواضح أن الرومان اهتموا بانشاء المدن في المناطق الداخلية، وحتى في حافة الصحراء من أجل صد خطر البدو الرحل وصارت هذه المدن تلعب أدواراً عديدة، فهي تستغل الأراضي الزراعية التي تتوفر عليها، وتنشط التجارة بين المناطق الشمالية والجنوبية، وعند الضرورة يتحول قدماء المحاربين إلى

[1] – اصْطيفان اكْصيل، المرجع السابق، ج.7، ص 56.

[2] نفسه، ج.7، ص 69-70.

[3] شافية شارن، بلقاسم رحماني، محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص 199.

[4] بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص ص، 133-134.

جنود يساندون الفرق النظامية في ردع أي خطر داهم[1].

ثالثاً– المدن العسكرية: هي منتشرة بكثرة في الجزائر الحالية، على خلاف بقية الأقطار المغربية الأخرى، إذ كانت تساير تمدد الليمس الروماني الخط الدفاعي الذي كان يتجدد كلما اقتضى الحال توسعاً جديداً في عمق البلاد المغربية، ومن بين سكانها قدماء الجند بعائلاتهم، سواء كانوا مغاربة أم لاتينيين، ولم يقتصر النشاط فيها على العمل العسكري بل امتد إلى الأعمال الاقتصادية كالفلاحة والتجارة والصناعة[2].

وهي مدن كثيرة منها تموقادي (Thammugadi) التي اسسها تراجانوس[3]، ولمباز(Lambaesis)، جميلة (Cuicul)[4] مركونة (Verecunda)، بسكرة (Vescera)، طبنة (Thubunae)، تبسة(Theveste).

الجدير بالملاحظة أن اهتمام الرومان بالمدن الداخلية في بلاد المغرب انحصر –بعض الشيء– في الأقطار الثلاثة: تونس والجزائر والمغرب الأقصى، بينما ظل اهتمامهم بليبيا لا يتجاوز الشريط الساحلي – حتى وإن ظهر منهم أخيراً عناية ما بغدامس وبلاد فزان– وربما كان ذلك بسبب ضيق المساحات الفلاحية الخصبة وقرب المفازة الصحراوية من الشريط الساحلي، وعليه فكل المدن الداخلية المعروفة حتى الآن لا تخرج عن نطاق الأقطار الثلاثة المذكورة[5].

وأما المدن الرومانيّة فهي المدن التي يسوسها القانون الروماني، وهي صنفان: صنف بدستور "مونيقبيوم"(municipum) والآخر بدستور "مستوطنة"(colonia)، والفرق بينهما أن الأول يُمنح عادة إلى المدن الأجنبيّة التي تَرَوْمن وجهاء القوم فيها والأغنياء منهم خصوصاً، وقد تتغلغل الرّومنة فيها وتنتشر، لكنّ الرّوماني الجديد لا يلغي بإقراره حتما ما كان يسوسها من نظم وقوانين، بل إنّه يغضّ الطرف عنها ويُدخل عليها نظاماً بلديّاً رومانياً، فيمنح المواطنة الرومانية إلى حكّام المدينة أو إلى الحكّام

[1] شافية شارن، بلقاسم رحماني، محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص 174.

[2] – بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 134.

[3] بن مرزوق عبد الرحمن، مدينة تيمقاد أو تموقادي قديماً، مجلة التراث، مجلة تاريخية أثرية، تصدرها جمعية التاريخ والتراث الأثري بولاية باتنة، العدد 2، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة، الجزائر، 1987م، ص 44.

[4] شافية شارن، بلقاسم رحماني، محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص198.

[5] بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 136.

وأعضاء مجلس المدينة معاً[1].

وأما المستوطنة فإنها تُبعث من عدم(colonia deducta)، عندما يؤسّسها مستوطنون من قدماء الجند النّظامي الرّوماني غالباً، فيقتسمون أراضيها بين جزء صغير للسّكان والعمران المدني، والآخر للفلاحة[2].

ولّما قرّر الأباطرة الرومان فيما بعد بعث مستوطنات شرفية مُنح الدستور الرّوماني إلى عدد من المدن الإفريقية القديمة التي كانت عريقة التحضّر، وأصبحت قيّمة "التّرَوْمُن"، فازداد عدد المستوطنات واعتبرت كلّ مستوطنة أنّها وليدة مدينة روما، وأنّ العاصمة الرومانيّة موطن سكّانها وأنّها تشاطرها المواطنة والدّستور والدين رغم البعد الجغرافي، وبقطع النّظر عن الحكم الذاتي الذي كانت تمارسه كل مستوطنة[3].

نستنتج في خاتمة هذا الفصل أن سقوط قرطاجة في سنة 146 ق.م بمثابة نقطة انطلاق الرومان في تثبيت دعائم الاحتلال من خلال إقامة المستوطنات في عمق بلاد المغرب، حيث انتهج الرومان سياسة الدمج والرومنة لتدعيم سياستهم الاستيطانية وذلك بإنشائهم المدن ومنحها لقب المدينة اللاتينية.

[1] عمّار المحجوبي، ولاية افريقيا من الاحتلال الروماني إلى نهاية العهد السويري(146 ق.م- 235م)، مركز النشر الجامعي، جامعة تونس الأولى، تونس، 2001م، ص ص، 116-117.

[2] – عمّار المحجوبي، ولاية افريقيا من الاحتلال الروماني، المرجع السابق، ص ص، 116-117.

[3] – نفسه، ص 117.

الفصل الثاني:

العلاقات الاجتماعية

المبحث الأول: النسيج الاجتماعي لبلاد المغرب القديم في العهد الروماني.

المبحث الثاني: انعكاسات القوانين الرومانية على الحياة الاجتماعية.

المبحث الثالث: الحياة اليومية في الحواضر.

يعتبر التواجد الروماني في بلاد المغرب من أحرج المحطات التاريخية، لما أحدثه من تغيرات على مستوى أغلب مظاهر الحياة الاجتماعية في المنطقة، بسبب حركة الاستيطان وتشكيل تركيبة بشرية جديدة أغلبها من العنصر الإيطالي، وإصدار العديد من التشريعات والنصوص القانونية التي مست صميم البنية الاجتماعية لسكان بلاد المغرب، وهو الأمر الذي أثر في أسلوب الحياة وطريقة المعيشة.

المبحث الأول: النسيج الإجتماعي لبلاد المغرب القديم في العهد الروماني: كان الفرق بين المجموعات البشرية في العهد الروماني واضحاً، فالبون شاسع بين المجموعة الحضريّة التي يسوسها دستور المدينة (civitas)، وبين المجموعة التي لا تخضع لدستور مدني، سواء كانت شعباً (populus) أو قوماً(natio) أو قبيلة(tribu)، والفارق بينهما شبيه بالفارق بين الحرّ والعبد من الأشخاص، فالمجموعة التي لا تخضع لدستور مدنيّ غريبة عن المجتمع المتحضّر، كالشّعوب "البربريّة"(Barbari) القاطنة من وراء حدود العالم الرّوماني، فلا دستور ولا قانون محلّي يسوسها، وما عليها إلاّ الطاعة والإذعان لأوامر الحكم الرّوماني المباشر[1].

ومن ثم كانت روما في بداية الإحتلال تنظر إلى الأهالي كفئتين: فئة الحضر وفئة الريفيين والبدو، أي الفئة المسالمة والفئة المحاربة، فأفراد الفئة الأولى قابلون لارتقاء سلم الحقوق الرومانية عن طريق الانتفاع الشخصي أو الجماعي، لأنهم يتمتعون ببعض الأسس المطلوبة في الترشح للمواطنة كالثقافة اللاتينية والثروة والولاء لروما، بينما كانت جموع الفئة الثانية غير مؤهلة لأن تسلك سبيلاً مماثلاً يؤدي بها إلى الحصول على درجات المواطنة، ذلك بسبب موقفها المعادي للوجود الروماني من جهة، ونزعتها التحررية وضآلة حظها في التمدن والثراء من جهة أخرى[2].

لذلك يمكن تقسيم النسيج الاجتماعي في بلاد المغرب القديم خلال فترة الاحتلال الروماني إلى صنفين كبيرين هما:

أولا– الصنف الأول: مجتمعات الحواضر: تكوّن من مجتمعات الحواضر الكبرى من السكان المدنيين ومعظمهم من أصول إيطالية، إستقروا بالمدن الكبرى، مثل: صبراتة وطرابلس وأفريقيا البروقنصلية

[1] – عمّار المحجوبي، المرجع السابق، ص 138.

[2] – محّمد البشير شنيتي، نوميديا وروما، المرجع السابق، ص 216.

مثل: قرطاجة[1] وهؤلاء رحبوا بالوجود الروماني وطبقوا قوانينه[2].

1)- **تشكل الجالية الإيطالية:** يقصد بالجالية الرومانية جميع العناصر البشرية التي وفدت إلى بلاد المغرب عقب الاحتلال الروماني، بصرف النظر عن أصولهم وأوضاعهم القانونية (إيطاليون وغيرهم)، أو الكيفية التي انتقلوا بها إلى هذه البلاد، أو تاريخ حلولهم بها، وهي الفئة التي شكلت مع الأهالي المتأثرين بالحضارة الرومانية ما يمكن تسميته بالمجتمع الروماني في شمال أفريقيا آنذاك، حيث تمازجت عناصر ذلك المجتمع وتشابكت أصول أفراده واندمجت أسماؤهم إلى درجة يتعذر على الباحث معرفة أصول أسرة ما[3].

من بين هؤلاء الوافدون نجد الرومانيون الذين كان يتم اختيارهم من طرف الحاكم الروماني بولاية إفريقيا ويقدم أسمائهم إلى مجلس الشيوخ، وكانوا يعرفون **بـ"الأصدقاء والرفقاء"**، وكانوا يعيشون على نفقة الدولة ويكونون حاشية البريطور وأتباعه، حيث كانوا يُعينون في الإشراف على تسيير القضاء، ومن بين هؤلاء نجد الشبان أبناء العائلات الأرستقراطية[4].

يضاف إلى هؤلاء صغار الموظفين وحملة الأشعرة والمنفذون والمبلغون للأوامر، والعاملون بالمكاتب الإدارية وغيرهم، والعدد الكثير من هؤلاء كانوا يبقون بالولاية رهن إشارة الحاكم والمتصرفين الماليين، غير أن بعض الموظفين الصغار كانوا يأتون مع الولاة ويذهبون معهم، من بينهم: كتاب خزينة رومة المكلفين بضبط حسابات الأموال، جميع هؤلاء الرومان كانوا يقيمون بجانب الحاكم الروماني في أوتيكا[5](Utique) ولا يستثنى منهم إلا من كان في جولة أو في مهمة رسمية[6].

---

[1] كانت العاصمة القرطاجيّة تضم حوالي 100.000 ساكناً، وكان عدد المدن المتوسّطة – مثل هادْرُوميتُوم(سوسة)، وتِيزِدْرُوس(الجم)، وهيبورجْيُوسْ(عنابة)، وطرابلس، يتراوح بين 15000 و25000 ساكن، وأمّا أغلبيّة مدن الولاية فكانت من القرى الفلاحيّة التي تراوح عدد سكّانها بين 1000 و 5000 نسمة. ينظر: عمار المحجوبي، المرجع السابق، ص 131.

[2] – مها العيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم، المرجع السابق، ص 362.

[3] – محّمد البشير شنيتي، نوميديا وروما، المرجع السابق، ص 228.

[4] – اصْطيفان اكْصيل، المرجع السابق، ج.7، ص 28.

[5] كانت أوتيكا المدينة المهمة الثانية في إفريقيا قبل سقوط قرطاجة 146 ق.م وبعد هذا التاريخ احتلت مكانة مرموقة حيث أصبحت تحمل صفة المدينة الحرة وكانت رسميا خارج أرض الولاية التي هي ملك للشعب الروماني، ونظرا لموقعها الاستراتيجي المطل على البحر قبالة صقلية أهلها لتكون عاصمة للولاية، وتصبح المقر الرسمي للوالي الروماني حيث بنى قصره وأحاط نفسه بالخدم والحرس والموكب الخاص المتألف من الرومانيين. ينظر: اصْطيفان اكْصيل، المرجع السابق، ج.7، ص 29.

[6] نفسه، ج.7، ص 28.

وقد توافد عدد كثير من الإيطاليين على بلاد المغرب القديم عقب سقوط الدولة القرطاجية سنة 146 ق.م، واستمر طيلة الاحتلال الروماني للبلاد، إذ كان تحطيم قرطاج في نظر التجار الإيطاليين والراغبين في استثمار الثروات الإفريقية من الرومان نصراً هاماً، مكنهم من الجلوس على حطام المؤسسات الاقتصادية البونيقية والاستيلاء على تركة القرطاجيين الثمينة ومن ثم تحويل مواردها إليهم[1].

من بين هؤلاء تجار ورجال أحرار ينتمون لمؤسسات مختلفة كالنقل البحري أو البري، ومزودو الجيش أو الحاكم وحاشيته، ومشترو الضرائب والعائدات العمومية، وأصحاب البنوك الذين كانوا يتعاطون الربا الفاحش، كان هؤلاء جميعا أصحاب مؤسسات ورؤساء مصالح، أما الوظائف الصغرى فكانت مخصصة بالمعتقين أو العبيد، وأكثرهم من أصل شرقي، على أن أكبر الأعمال كانت بين أيدي الفرسان(Chevaliers)، ولبعض الأعضاء من مجلس الشيوخ مصالح بالولاية يسيرونها عن طريق رجال من ذوي الكفاءة[2].

أطلق على المواطنين الرومانيين المقيمين بالمدن الحرة –السابق ذكرها– اسم "جالية" (Conventus)، فهم جماعة متميزة لايرجعون في أمورهم إلى القضاء المحلي بل يرجعون إلى الحاكم مباشرة[3].

غير أننا لا نتوفر على مصادر دقيقة تمكننا من التعرف على حياة أولئك المستأثرين الأوائل من الإيطاليين بالثروة الإفريقية، كما أنه من الصعب علينا رسم خريطة لتوزيعهم جغرافياً عبر المدن والأقاليم الخاضعة للرومان قبل بدء العهد الإمبراطوري، وحسب ما تشير إليه الأخبار المقتضبة فإن عدد أولئك كان يتزايد بصفة مُطّردة[4].

أقام الوافدون الأوائل بالمدن ذات الطابع البونيقي، التي كانت تتوفر على إمكانيات الحياة الريفية، وفي مدن الأهالي الداخلية الآمنة، وأقام عدد كثير منهم في مدن المملكة النوميدية الحليفة لروما قبل سقوط المملكة سنة 46 ق.م، وتركزت إقامتهم في عاصمة المملكة سيرتا التي اتخذت منها الجالية

[1] محّمد البشير شنيتي، نوميديا وروما، المرجع السابق، ص 229.

[2] اصْطيفان اكْصيل، المرجع السابق، ج.7، ص 65.

[3] – نفسه، ج.7، ص 46.

[4] محّمد البشير شنيتي، نوميديا وروما، المرجع السابق، ص 230.

الإيطالية مركزاً رئيساً للدفاع عن وجودها، حيث عبرت تلك الجالية في مدن المقاطعة البروقنصلية عن مكانتها السياسية كقوة يجب أخذها في الحسبان أثناء الحرب الأهلية الرومانية، التي دارت بين أتباع قيصر وبومبي، فإنضمت إلى الأخير، بينما انضمت التي في سيرتا لقيصر[1].

فكان يقيم بمدينة ثيسْدروس(Thysdrus) إبان الحرب بين أنصار بومبي وقيصر (أربعينات القرن الأول ق.م) عدد من الإيطاليين يشتغلون بتصدير القمح، وقبل ذلك بربع قرن كان يقيم بمدينة لبتيس(Leptis) شخص يدعى ل. هيرنْيوس(Herennius) يشتغل بالأعمال البنكية ولديه علاقات بطائفة الفرسان، وفي أواسط القرن الأول كان عدد من الرومان يقيمون بهَدْرُميت(Hadrumète) وثَبْسوس(Thapsus)، وبالرغم من عددهم القليل إلا أنهم كانوا أكثر ثروة من باقي سكان المدينتين، أما في مدينة أوتيكا(Utique) فقد كان عدد الرومانيين كثير يصل إلى 300 عضواً من بينهم الفرسان وكبار التجار[2].

وبلغ عدد سكان بلدة سِيَاقُو(Siago) بالقرب من بئر بورقبة حوالى 4000 من المواطنين، وأنّ عدد سكّانها إذا ما أضيف إلى المواطنين الأزواج والأطفال والعبيد كان يناهز 14.000 نسمة، بينما لا تسع مساحتها لأكثر من 5000 أو 6000 نسمة، وكانت نسبة وفيات الأطفال الصغار كثيرة تصل إلى 45‰ ، بينما كان معدّل حياة الفرد يتراوح بين 30 و 35 سنة، ولذا كاد الزّواج المبكّر أن يكون القاعدة وكادت العزوبة أن تغيب عن المدينة، حيث كان معدّل الخصوبة كثير الارتفاع: 4،5 من الأطفال للمرأة التي يبلغ سنّها 15 سنة، وهو ما يفسر ارتفاع نسبة الشباب في المجتمع الرّوماني عامةّ، ويدعم قول من أكّد أنّ 36% من السّكان كان سنّهم دون 15 سنة، وأن نسبة من تجاوز 50 سنة كانت حوالي8% [3].

وحسب الرواية المنسوبة إلى يوليوس قيصر، فإنه كان يوجد بإفريقيا من الرومان ما يُمكّن من تكوين فرقتين من الجيش، وهو ما يتراوح بين 12 و13 ألف رجل قادر على حمل السلاح، وإذا قدرنا ذلك بثلث مجموع الجالية، على اعتبار أن النساء والأطفال والشيوخ يمثلون ثلثي العدد المقدر، فإن أفراد

[1] محّمد البشير شنيتي، نوميديا وروما، المرجع السابق، ص ص 230-231.

[2]- اصْطيفان اكْصيل، المرجع السابق، ج.7، ص ص 65-67.

[3] - عمّار المحجوبي، المرجع السابق، ص 131.

الجالية الإيطالية بأفريقيا وحدها كان يناهز الأربعين ألف شخص، وهو عدد مثير للدهشة حقاً، مما يشير إلى أهمية التوافد الإيطالي على أرض أفريقيا أثناء العهد الجمهوري بصفة تلقائية دون تشجيع من الدولة[1].

وقد بلغ عدد سكّان الولاية أقصاه في نهاية العهد الإمراطوري الأولّ وقدّره بعضهم في مجموعة الولايات الإفريقية، بسبع أو ثمانية ملايين نسمة، ولازال علم الآثار يكشف في كلّ سنة رسوماً أثريّة جديدة، وأسماء المدن والقرى القديمة وقد ازداد عدد المدن المتوسطة التي تراوح عدد سكّانها بين 6000 إلى 10000 نسمة، وازداد اتّساعها[2].

لعل أصدق صورة وصفية متعلقة بالوضع الديمغرافي في أفريقيا الرومانية هو ما تضمنه نص المنقول في كتاب شنيتي عن ترتوليانوس خلال القرن الثالث م، جاء فيه:"**يكفي إلقاء نظرة على ما حولنا للتعرف على أن العالم تتزايد ثروته ويكثر سكانه يوماً بعد يوم، إذ كل شيء فيه قد استُغِل، وكل أمر قد تعرض للمتاجرة، المزارع الغنية أبعدت الصحراء الشهيرة، والحقول قهرت الغابات، والقطعان أزاحت الحيوانات المفترسة، لقد جُفّت المستنقعات وزُرعت، وتسلقت الأشجار الصخور... في كل مكان بيوت وفي كل جهة شعب(سكان)، وفي كل ناحية جمهورية(مدينة)، إنها الحياة في كل مكان، كل هذا دليل على أن الجنس البشري قد تزايد كثيراً...**"[3].

إضافة إلى تلك الأعداد من الرومان المستقلين في مدنهم الرومانية كان هناك جاليات رومانية من التجار في المدن النوميدية خاصة في مدينة سيرتا، كما كان الجيش النوميدي يضم فرق من الجند المأجور تتكون أفراده من جنسيات مختلفة، ولا ريب أنّ الرومان كانوا من بين تلك الجنسيات[4].

إن هذه السياسة التي طبقتها روما أدت إلى تغيير الخريطة الديمغرافية بتكثيف الاستيطان كمحاولة لتغليب العنصر البشري الأجنبي من خلال توفير مختلف الامتيازات والإغراءات الاقتصادية بالخصوص وفي المقابل إبعاد السكان الأصليين وعزلهم[5].

---

[1] – محّمد البشير شنيتي، نوميديا وروما، المرجع السابق، ص 230.

[2] – عمّار المحجوبي، المرجع السابق، ص 130.

[3] – محّمد البشير شنيتي، نوميديا وروما، المرجع السابق، ص 247.

[4] – محمد العربي عقون، الإقتصاد والمجتمع، المرجع السابق، ص 272.

[5] Ayache (A.), Histoire Ancienne de l' Afrique du nord, ed Sociales, Paris, 1964, P 553.

ظل التوافد على أفريقيا حُراً لا يخضع لضبط من طرف الدولة منذ فشل حملة "كايوس غراكوس" إلى نهاية العهد الجمهوري، باستثناء عناصر من الجنود الذين أقطعهم القائد "ماريوس" أراضي في المنطقة الممتدة بين نوميديا والولاية الرومانية، وبعد انتصار قيصر على أعدائه في أفريقيا فتح أبواب الاستيطان على مصرعيه، وشجع جنوده المسرحين من الخدمة العسكرية على الاستيطان في أفريقيا بعد أن منحهم الأراضي، وقد اتخذ أنصاره المرتزقة من شمالي المملكة النوميدية مرتعاً لهم وحوله إلى مستعمرات، كما منح قيصر المدن التي ارتفعت فيها نسبة الإيطاليين حقوق المدينة الرومانية، وأصدر قانون لذلك عرف باسمه، وأصبحت أراضي قرطاجة نواة لتلك الحركة الاستيطانية بعد أن كانت تربتها ملعونة من قبل[1].

وفي هذه الفترة كان المجتمع الإفريقي منقسماً إلى ثلاثة أصناف، فَرقت بينها اللّغة والعادات والتقاليد، وكان العنصر الروماني أو الإيطاليّ مهيمناً في القرن الأوّل بعد الميلاد، كهيمنة الأقليّات الأوروبيّة في البلدان المستعمرة أثناء التاريخ المعاصر، لكنّ عدد المستوطنين القادمين من إيطاليا كان قليلاً إذا ما قورن بعدد السكّان الأصليين، ذلك أنّ سياسة الاستيطان انطلقت بعد مرور قرن بأكمله من تاريخ الإحتلال، وترسخت إلاّ في بداية العهد الإمبراطوري، وتواصلت طيلة قرن واحد لتنتهي في مستهل القرن الثاني، على عهد الإمبراطور ترابانُوس(Trapanus)، ورغم كثرة عدد المستوطنين نسبيًّا، فقد فرض العنصر الروماني لغته اللاتينية التي أصبحت اللغة الرسمية[2].

2)- **المؤسسات العمرانية والادارية للجاليات الإيطالية:** كان الإيطاليون بمختلف أوضاعهم القانونية (رومان- لاتين) والمهنية (مزارعون، تجار، إداريون، جنود) يعيشون ضمن أشكال المؤسسات العمرانية والإدارية الآتية:

أ)- **مستعمرات(Colonae)**: ذات طابع زراعي في الأصل، ثم اتسع مدلولها فضم الحواضر الكبرى أيضاً، وكانت هذه المؤسسات تضم المستوطنين الرومان وكثيراً ممن كانوا في وضعيات قانونية متفاوتة(لاتين إيطاليين).

ب)- **مدن المواطنيين (Opidia civium Romanorum)**: وهي ذات أغلبية متمتعين بالجنسية الرومانية.

[1] - محّمد البشير شنيتي، نوميديا وروما، المرجع السابق، ص 232-233.

[2] - عمّار المحجوبي، المرجع السابق، ص 138.

ج)- قرى (Ragus-vigi): وهي أشبه بالمجمعات السكانية أو الأحياء التي لم تكتمل شروط انتقالها إلى مرتبة المدينة أو المستعمرة، وكانت منتشرة بمناطق المدن الأجنبية(Civitas péregrini)، وتضم فئات اجتماعية متباينة الأوضاع القانونية، وتابعة في شؤونها الادارية إلى إحدى المستعمرات الرومانية[1].

3)- الوضع الطبقي: يعتبر المجتمع المغربي قبل الإحتلال الروماني مجتمعاً ذا أغلبية قبلية، ولا يوجد ما يدلّ على انتشار الطبقية فيه، فاقتصاد القبيلة لا يسمح بتراكم الثروة ونمو الفوارق الطبقية، لأنّه اقتصاد ذو صبغة عائلية، وفي القبيلة كان المجتمع باطرياركياً[2]، والجاه والنفوذ لا يخرج عن إطار الأبوة فليس هناك أرباب عمل ونظم استغلالية، ولكن هناك أعيان وزعماء سلّمهم أبناء القبيلة الأمر دون أن يتسلّطوا بثرواتهم وأملاكهم، هذا التسلّط المبني على الثروة والأملاك سيعمّ الشمال الأفريقي القديم طيلة الفترة الرومانية، لأن الاستعمار الروماني كان يتعامل بقاعدة غالب ومغلوب، ومن الطبيعي أن يشرّع للفوارق الاجتماعية، فنتج عن ذلك ظهور الطبقية في المجتمع[3].

وسكّان المدينة الرومانيّة باستثناء العبيد صنفان: صنف البرجوازية الأسياد (municipes) أو المواطنين، وصنف العوام أو "الأجانب" المستقرين/ المقيمين بها(incolae)[4]، ولو أن بعض العوام كانوا في نظر القانون مواطنين(Civis)، وقد كانت تميز بين أفراد الطبقتين نوعية الوظائف المسندة إلى كل طبقة، وقانون الجزاء والعقوبات، فأصحاب الصنف الأول يمتازون بالثراء ويحتكرون المناصب الشرفية والوظائف السامية في المدينة، فيشكلون مجلس البلدة (Curia) ويتوارثون عضويته محتفظين بلقب الانتساب إليه (ديكوريون/Decurion)، ويشغلون مهام الإشراف على الوظائف العليا، كالجباية والمحاماة والسفارة، بينما كان أصحاب الصنف الثاني مبعدين عن الأجواء السياسية والوظائف الساميـــة

[1] - محمد البشير شنيتي، نوميديا وروما، المرجع السابق، ص 233-234.

[2] البطريك جمع بطاركة كلمة يونانية مكونة من شطرين، ترجمتها الحرفية "الأب الرئيس" ومن حيث المعنى فهي تشير إلى نوع المجتمعات التي يكون فيها الأب (البطريرك) مسيطراً على نساء العائلة والذكور الأصغر سناً. وتعتمد مثل هذه المجتمعات على الانتاج الفلاحي أو الحرفي، ويمثل المنزل جزئياً، القاعدة الانتاجية لها. وتنبع سلطة البطريرك من حيازته للثروة المنتجة ومن ملكية الأرض. ينظر: ليند ساي جيرمان، النظريات البطريركية، مركز الدراسات الاشتراكية، د م، دت، ص ص 7-8.

[3] - محمد العربي عقون، الإقتصاد والمجتمع، المرجع السابق، ص 277.

[4] - عمّار المحجوبي، المرجع السابق، ص 117.

الشرفية قانونياً، وعليهم تأدية الأعمال المجانية في صورة سخرة دنيا تدعى (munera sordida)[1].

كان أصحاب الطبقة الأولى الذين يمارسون حقوقهم السياسيّة دون سواهم في الاجتماعات الدورية التي يعقدها "الشعب" (populus)، سواء للتداول وإبداء الرّأي في القرارات التي قد يستشيرهم فيها قبل صدورها في مجلس المدينة (ordo decurinum أوsenatus)، أو لانتخاب الحكّام، ويتمّ إجراء الانتخاب بصفة غير مباشرة، ففي كلّ سنة يتجزّأ الشعب إلى 10 أو 11 خليّة (curia)، ثمّ يُدلي المواطن سراً بصوته في خليّته، ويتّم انتخاب من تحصّل على أغلبيّة الأصوات في أغلبيّة الخلايا، لكن دور الشعب يقتصر عادة على انتخاب الأغنياء، وكثيراً ما يقتصر جدول أعمال اجتماع الشعب في ساحة الفوروم على المصادقة بالهتاف على أوامر مجلس المدينة وتزكية قراراته والمطالبة بإقامة التماثيل والأنصاب التي خلّدت نقائشها أسماء حكام المدن ونبلائها وأشادت بخصالهم وبتسلسل مراتبهم[2].

وكانت الأماكن البارزة في الملاعب والمسارح مخصصة لأفراد الصنف الأول (الوجهاء) في المدينة، بينما يكتفي أفراد الصنف الثاني بالوقوف أو الجلوس في المقاعد الدنيا، وكانت العقوبات التي يقضيها ارتكاب الآثام من طرف هذه الفئة أو تلك متباينة، فالقانون يميز بين الطرفين، وكان البسطاء هم وحدهم الذين يمكن معاقبتهم[3].

كانت علاقة أولئك الإيطاليون بأرستقراطية مجلس الشيوخ الروماني وطيدة، إذ أن جلهم كان يعمل ممثلا لاستثمارات تلك الارستقراطية في أفريقيا، وكانت أهم مجالات الاستثمار مرتبطة بالفلاحة والتجارة، وربما كان لهذا الترابط المصلحي دور في إفشال سياسة الاستيطان الروماني التي نهضت بها الدولة ممثلة في توزيع الأراضي الزراعية العمومية(ager poblicus) على مزارعين جدد، استقدمتهم من الأرياف الإيطالية التي انتشرت فيها البطالة[4].

مكّنت حركيّة المجتمع الإفريقي في العهد الإمبراطوري الأوّل عدداً من الأغنياء من ولوج "صنف الفرسان"(ordo equestris)، ورغم اكتفاء أغلب المنتمين إلى هذا الصنّف الاجتماعي النبيل

[1] – محمّد البشير شنيتي، نوميديا وروما، المرجع السابق، ص 269-270.

[2] – عمّار المحجوبي، المرجع السابق، ص 117.

[3] – محمّد البشير شنيتي، نوميديا وروما، المرجع السابق، ص 270.

[4] – نفسه، ص ص 231-232.

بشرف الانتساب إليه، مع البقاء في الولاية والإقامة في بلدتهم، فقد انخرط عدد منهم في الجيش والتحق آخرون بالجهاز الإداري، وبلغ عدد الفرسان الأفارقة من ضبّاط وقادة عسكريين، ومن موظفين برتبة "بروقوراتور"(procuratores)، 162 فارساً، كما ارتقت نخبة الوجهاء في مدن الولاية إلى "الصنف السّيناتوري"(ordo senatorius)، حيث يؤهّلها لعضوية السيناتوس في روما، كان يفتح لها مجال الخطط المدنيّة والعسكريّة الساميّة الخاصّة بهذا الصّنف، وقبيل نهاية القرن الثاني أصبح عدد الفرسان الأفارقة يُعدُّ بالمئات، وعدد الشيوخ يُناهز المائة[1].

تعكس لنا وثيقة تموقادي (تيمقاد/Timgad) وهي سجل بلدي(album) صورة جلية للهرم الاجتماعي الذي كان يندرج ضمنه سكان المدينة، حيث يتصدر القائمة، الأعضاء الشرفيون (honorati)، وهم عشرة من الأعيان(clarissimes) نصفهم يلقبون بالسادة (patrons)، يتم اختيارهم من قبل المجلس البلدي وفق ثروتهم ومكانتهم في المجتمع، وأعمالهم المقدمة للمدينة من خلال تموين المشاريع، ويأتي في المرتبة الثانية طبقة المرفّعين (perfectissimus) الذين ينحدرون من عائلات الفرسان والضباط، وتم ترفيعهم إلى منزلة عليا في المجلس بواسطة قرار إمبراطوري بناء على استيفائهم لشروط هذه الترقية الاجتماعية والسياسية[2].

تأتي في المرتبة الثالثة طبقة رجال الدين من ممثلي الكهان المكلفين بالقرابين (sacerdotales) الذين يشرفون على الطقوس الدينية الرسمية والأضاحي والألعاب، وتحتل طبقة الموظفين الدرجة الرابعة في الهرم وكانت تضم الحكام(الديكوريون/Decurions)، وعلى رأسهم الوصي(Curateur) السنوي، والقاضيان البلديان(Duovirii)، ورئيس الشرطة(Eadil) وبقية المسؤولين على الوظائف الكبرى والمصالح البلدية[3].

ثانياً– الصنف الثاني: المجتمعات الانقسامية: تكون الصنف الثاني من أبناء المجتمعات الانقسامية القاطنين في المناطق الداخلية أو الريفية من أبناء القبائل النوميدية والمورية، تَشكّل جمهور الريف في بلاد المغرب أثناء الاحتلال الروماني من عناصر بشرية مختلفة الأصول متباينة الأوضاع القانونية،

[1] – عمّار المحجوبي، المرجع السابق، ص 120.

[2] – محمّد البشير شنيتي، نوميديا وروما، المرجع السابق، ص 272.

[3] – نفسه، ص 273.

وكانت نسب تلك العناصر متفاوتة بين إقليم وآخر تبعاً لتفاوت أهمية الأقاليم اقتصادياً، ودرجة خضوعها لسلطة روما، ومن ثم كثرت نسبة الوافدين الإيطاليين في أرياف المقاطعة البروقنصلية، وفي نوميديا والشريط الساحلي من الموريطانيين وولاية طرابلس، بينما قل عددهم في الأقاليم الداخلية في ولايتي موريطانيا وطرابلس وانعدمت في السهوب الخاضعة للقبائل الرعوية وفي مناطق الجبال الداخلية[1].

1)- انعكاسات الاحتلال الروماني على القبائل النوميدية: أثر الاحتلال الروماني على القبائل النوميدية فبعد وفاة يوغرطة ظهر انقساماً في جموع القبائل المغربية، وخلال الفترة الممتدة بين (104 ق.م إلى 40م) أي منذ الانقسام إلى مملكة نوميديا الشرقية ونوميديا الغربية ومملكة موريتانيا، حكم بوخوس موريتانيا ونوميديا الغربية حوالى 104 ق.م وحاول استمالة القبائل بالقوة، وبعد وفاته سيطر أوكتافيوس على موريتانيا دون أن يلحقها رسميا بممالكه، فلاحت بوادر انتهاء نظام الحكم النوميدي القديم الذي كان قائما على أعراف مملكة ماسينيسا[2].

خلال تلك الفترة التي ناهزت مدة نصف قرن ونيف كان التحالف السياسي بين نوميديا وموريتانيا قد انهار بسبب انفصام عرى الاتحاد القبلي الإجتماعي- باستثناء ثورة تاكفاريناس- إذ أن القبائل الماصيلية المتحالفة مع الكيان السياسي النوميدي الشرقي الحاكم كانت سبباً في تضحية يوبا الأول بنفسه بعد فشله أمام الرومان، أما القبائل الماصيصيلية فكانت تحاول العودة إلى الحكم الشامل ودليل ذلك رفض سيادة بوخوس على إقليمها، أما البلاد المورية فقد هادنت الرومان[3].

كانت الأوضاع الاجتماعية للمغاربة القدماء في عهد كل من يوبا الثاني(25 ق.م- 23م) وابنه بطليموس(23م-40م) مضطربة، حيث كان الاهتمام محصوراً في الطبقة الأرستقراطية الآخذة بمظاهر الثقافة الرومانية، أما مجتمعات المناطق الداخلية فكانت مهمشة ومقصاة وأراضيها مصادرة، ولعل هذه الأمور كانت سبباً كافياً لأن يكون وقود المقاومات رغم انتهائها لصالح الرومان ولا أدل على ذلك من مقاومتي الجيتول سنة 6 ق.م ومقاومة تاكفاريناس ما بين (17م-24م) التي شارك فيها النوميديون من

[1] - محمد البشير شنيتي، نوميديا وروما، المرجع السابق، ص 277.

[2] - مها العيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم، المرجع السابق، ص 362.

[3] - نفسه، ص 362-363.

الماصيل[1].

أ)- الأوضاع الإدارية للقبائل والعشائر: عرفت القبائل أو العشائر الوطنية أوضاعاً إدارية شديدة الإختلاف والتباين، فبعضها كان يخضع للحكم الشديد المجحف من الولاة (Praefectus gentis) يكونون في معظمهم من الضباط الثانويين في الجيش الروماني ذوي الأصول المحلية، وكان هؤلاء الولاة يلجأون حين الاضطرابات إلى تكوين "قوم"(Goum) من الجنود المساعدين، وكانت أراضي القبائل المحكومة من هؤلاء الولاة تقع داخل المقاطعات الرومانية لكنها ظلت تحتفظ بتنظيمها السابق، فما أسهل ما كانت تستعيد روح الاستقلال لديها حين تنشب الاضطرابات، أو حين تضعف السلطة الإمبراطورية، فتتخلص من قيادتها[2].

لقد كانت وضعيتهم الاجتماعية غير مستقرة، لأنهم خضعوا لإدارة القادة الرومان، فكانوا محرومين من الحقوق المدنية التي تمكنهم من الرقي الاجتماعي والاندماج في إحدى صفتي المواطنة، كونهم افتقدوا لأهم شرط يخول لهم اكتساب المواطنة المتمثل في "ملكية الأرض"، إذ أن الملكية شرط أساس للمواطنة، إلا أن أهم نتيجة مباشرة للاحتلال الروماني بعد السيطرة السياسية هو الشروع في السيطرة على السكان مما أدى إلى تغير المجتمع من قبلي إلى مدني، وقد احتاج الأمر إلى قرن من الزمن[3].

والظاهر أن الفلاحين الأهالي الذين فقدوا أراضيهم تحولوا إلى عمال أجراء في حقول الملاك الرومان الكبار، ويبدو أنهم كانوا منظمين في جماعات يرأسها أحد الأعيان، الذي كان وكيلاً مفاوضاً عنهم ومسيراً لأعمالهم ومسؤولاً ووسيطاً بينهم وبين أصحاب الأشغال الفلاحية، ونضيف بأن الفلاحين الأهالي كانوا يشكلون مجموعة ريفية متميزة في مجتمع الريف الروماني، حافظت على لغتها اللوبية والبونيقية، حيث لم ترضى عنها بديلاً[4].

هذا الأمر كان يشكل عائقاً في وجه الإدارة وأصحاب الأملاك المفتقرين إلى اليد العاملة، فأسلوب التعامل الجماعي عن طريق الوسطاء، كان أنجع السبل بالنسبة للطرفين، ثم أن هذا النوع من

[1] - مها العيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم، المرجع السابق، ص 363.

[2] - غابرييل كامبس، البربر ذاكرة وهوية، المرجع السابق، ص 155.

[3] - مها العيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم، المرجع السابق، ص 363.

[4] - محّمد البشير شنيتي، نوميديا وروما، المرجع السابق، ص 282-283.

العلاقات المحدودة الذي فرضته الطبيعة الاستعمارية على الريفيين الأهالي، كان أحد عوامل الإحساس لديهم بالغبن الناجم عن السيطرة الرومانية، التي ساعدت على ظهور ذلك التمايز في الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بينهم وبين الوافدين، بحيث جعلت منهم تلك الأوضاع يداً عاملة رخيصة قلما كان يتوفر لها العمل الكافي لكسب قوتها اليومي[1].

ب)– الكنطنة[2]: إذا كان سكّان المدن وخاصةّ منهم الذين لم يقاوموا الاحتلال قد نالوا المواطَنة الرومانية واندمجوا في الوضع الجديد لنيل صفة المواطن الجيّد(Le Bon citoyen)، فقد خضعت الجماهير الأفريقية القاطنة خارج النظام الروماني في الأرياف والمدن النوميدية إلى نظام خاص حيث عمد المشرّع الروماني لإجراءات تمكنه من ترسيخ الاستعمار والاستيلاء على مصادر الثروة، وهي الكنطنة(Cantonnement)، وهي عزل القبيلة وحشدها داخل إقليم محدود بموجب تشريعات قانونية وبناء على إجراءات مساحية قانونية(Cadastrale et Juridique)، ويكون ذلك بعد تجريد القبيلة من أراضيها الخصبة أو ترحيلها إلى أراضي جبلية أو شبه صحراوية، وكان هذا الأمر يؤدي في كثير من الأحيان إلى مقاومة القبيلة[3].

فأعمال المسح مثلاً التي أقيمت جنوباً بين عامي 29–30م كانت تهدف إلى مراقبة القبائل الثائرة (الموسولام) أكثر من زراعة تلك الأراضي. وهذا المسح كانت له ثلاثة أهداف رئيسية: توسيع الاستعمار إلى آفاق جديدة وتثبيت القبائل بتحديد مجالها وملكيتها ثمّ ربطها بعدما أصبحت مستقرة بالمراكز الحضرية تحت سياسة تحضير المناطق المتاخمة للصحراء، وفي نفس الوقت هو محاولة الرومان القضاء على نمط الحياة الاقتصادية والاجتماعية السائد بهذه المناطق القائم على الرعي والترحال الذي لا يتوافق مع رغبة الرومان في توفير الأمن والاستقرار من أجل زيادة الإنتاج الزراعي بهذه المناطق وتغطيـــــة

[1] – محّمد البشير شنيتي، نوميديا وروما، المرجع السابق، ص 284.

[2] تعتبر عملية الكنطنة (centuriation) من الأعمال الخاصة بالتهيئة الزراعية التي اشتهر بها الرومان واختصوا بها دون غيرهم من الشعوب الأخرى، والكنطنة هي شكل من أشكال مسح الأراضي لتهيئتها زراعياً، وهي عملية تقسيم منظمة للأرض بطريقة تشكل بواسطتها عدداً معيناً من الوحدات الكنتورية المتساوية باستعمال شبكة من الخطوط المستقيمة. ينظر: خنيش عبد الفتاح، التوسع الزراعي في أفريقيا القديمة خلال الفترة الرومانية، مذكرة ماجستير في التاريخ القديم، إشراف محمد العربي عقون، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة، السنة الجامعية (2012–2013)، ص63.

[3] – محمد العربي عقون، الإقتصاد والمجتمع، المرجع السابق، ص 279.

نقائصها الغذائية بروما[1].

وقد فسر البعض غياب المسح في بعض المناطق على غرار السلاسل الجبلية بتعمد المساحين الرومان تجاهلها بهدف عزل سكانها الذين احتموا بها هرباً من بطش الاستعمار الروماني وإبعادهم عن الطرق والسيطرة عليهم ومراقبتهم، وفي حالات أخرى تستعمل المعلومات الرقمية الحسابية المنقوشة على النصب الخاصة بالكنطنة في تحديد أبعاد المناطق التي تتحصن بها القبائل الثائرة بهدف الحصول على المعلومات وتقدير الأخطار[2].(**ينظر: الخريطة رقم:15**).

خريطة رقم 15: توضح بعض القبائل المكنطنة التي أشارت إليها النصوص الأثرية والأدبية في نوميديا القديمة.

نقلا عن: عقون، الاقتصاد والمجتمع، المرجع السابق، ص 284.

3)- عزل الأهالي عن المدن الرومانية: من أبرز الأساليب التي اعتمدتها روما لفرض سيطرتها على المغرب القديم، هي تطبيقها لسياسة الطرد والتهجير الجماعي، والحد من حرية تنقل القبائل المحلية، ودحرها نحو الجنوب بالقوة[3]، حيث أقام الرومان خندقاً فاصلً بينهم وبين السكان الأصليين، وقد حفره

[1] خنيش عبد الفتاح، المرجع السابق، ص71.

[2] نفسه، ص 71.

[3] Picard (G.CH), Op-cit, 1959, P 66.

سِيبيون إيمليان وهو يمتد من مدينة طبرقة(Thabraca) إلى ثيناي(Thaenae)[1]، وكان يعرف بخندق ريجا(Fossa Regia) الهدف منه كان إقامة حدود منيعة بين المقاطعة الإفريقية التي كونوها على تراب الدولة القرطاجية عام 146 ق.م وبين أراضي اللوبيين المجاورة[2].

لا ريب أنّ روما نجحت خلال أربعة قرون بفضل منظومة معقدة من استحكمات خط الليمس في مراقبة تنقل السكان إلى التلّ وإلى المناطق المستزرعة، وكان ذلك نظام راسخاً يتوفّر على خنادق وأسوار تسدّ المعابر وعلى قلاع حراسة تعلو المرتفعات، ومزارع محصّنة وحاميات في الحصون[3]، وتطور مفهوم الليمس بعد الدراسات والأبحاث الحديثة التي أجريت في مختلف مواقع ومكونات الليمس ليشمل إلى جانب الناحية العسكريةالناحيتين الاقتصادية والعمرانية، فتلك الأسوار والحصون تمثل لدى الرومان الحد الفاصل بين التحضر الذي يمثله العنصر الروماني المحتمي داخل أسوار الليمس والممارس داخل الأنشطة الزراعية وبين البداوة الآتية من وراء تلك الأسوار، والتي تهدد في نظرهم الوجود الروماني في مناطق الليمس[4].

وقد عثر روبيفا(Rebuffat) الذي نقب في أحد معسكرات الليمس (بونجم في إقليم طرابلس) على أرشيف عبارة عن شقوق(Tessons) بسيطة أشير فيها إلى أحداث صغيرة في عدّة كلمات هي: عبَر عدد من الغرامنت في مهمّة يسوقون حميراً(Garamantes ducentes asinus)، فمنذ القرن الثاني كان الغرامنت يجلبون سلعاً رومانية، مثل: الجرار والمزهريات الزجاجية والحلي إلى قصورهم النائية في الفزّان، كما أنّ هناك أضرحة لأمراء وأعيان جرمة بعاصمة الغرامنت، قام معماريون رومان بتشييدها، كما عثر على جنود ومساعدون يجوبون الطرق الممتدة من المقاطعة الرومانية إلى عمق بلاد الغرامنت، وكانت تلك الطرق مزوّدة بصهاريج المياه ومراكز عسكرية تمتدّ حولها مزارع صغيرة لتأمين حاجتها من الغذاء[5].

---

[1] – اصْطيفان اكْصيل، المرجع السابق، ج.7، ص 32.

[2] – محّمد البشير شنيتي، نوميديا وروما، المرجع السابق، ص 287.

[3] – العربي عقون، الأمازيغ عبر التاريخ نظرة موجزة في الأصول والهوية، المرجع السابق، ص 16.

[4] Winkler (A.), Frontiere méridionale ou limès de l'Afrique propre (Tunisie et Algérie), R.T, 1990, PP 37-47.

[5] – محمد العربي عقون، الأمازيغ عبر التاريخ نظرة موجزة في الأصول والهوية، المرجع السابق، ص 16.

وفي الحقيقة أنه يصعب إعتبار حفر ذلك الخندق مجرد فصل للأراضي التابعة للرومان عن أراضي المملكة النوميدية، خصوصاً إذا علمنا أن الجهة الجنوبية والجنوبية الغربية من تلك الحدود كانت مفتوحة أمام البدو مثل: قبائل الموزولامي والوزوني والكابستاني الضاربة في الأقاليم الواقعة شمالي شط الجريد إلى جهة تبسة[1].

ونلاحظ أيضاً أنه في كثير من الأوقات عدم نجاعة الخندق، حيث عجز عن رد هجمات سكان مملكة نوميديا، خصوصا الرحّل منهم الذين ينتقلون بسرعة ويميلون لغزوات السلب، إضافة إلى ذلك غزوات السلب التي كانت تشهدها السواحل الطويلة من قبل القراصنة[2]. فبعد ثلاثة قرون من ذلك انهار الاحتلال الروماني بسبب اعتماده سياسة القهر والاستغلال في حقّ الأهالي، وهي السياسة التي ثار ضدّها الشعب الأفريقي وتحولت الصحراء الهادئة إلى ألسنة لهب يخرج منها محاربون شرسون نحو المقاطعات الرومانية، هم اللواتاي(Levathae) الذين أطلق عليهم العرب اسم "البتر"(El Botr) ثمّ سمّوهم بعد ذلك "لواتة"، وهم بدو جمّالة قدموا من قورينائية[3].

فقد حاربت قبيلة لواته ماكسيميان الذي فشل في الانتصار عليها، وقد أدت تحركات بشرية خلال القرن الثالث إلى قطع التجارة عن الرومان وهددت إمدادات روما من القمح مما دفع ماكسيميان إلى محاربتهم وقام بحملة ضد قبائل الحلف الخماسي عام 289م حيث تمكن من هزيمتهم[4].

من خلال ذلك يظهر أن مربي المواشي النوميد كانوا متفطنين لنوايا روما الهادفة إلى الاستيلاء على أراضيهم الخصبة القابلة للزراعة التي بحوزتهم، حيث تشير الأخبار إلى أن الاضطرابات ظلت متواصلة في الجهات التي يؤمها هذا النوع من السكان، وأن البلاد لم تعرف هدوءاً يذكر طيلة فجر الامبراطورية(عهد كل من أوكتافيانوس وتيبريوس)، جراء ثورات البدو الجيتوليين على طول الحدود من خليج السيرت الكبير إلى جنوب موريطانيا، دون أن يأخذ الثوار في اعتبارهم الفرق بين المقاطعات الرومانية والمملكة الموريطانية الصورية، وقد أدى هذا الأمر إلى تنبيه الرومان إلى ضرورة السيطرة على تلك

[1] – محمد البشير شنيتي، نوميديا وروما، المرجع السابق، ص 287.

[2] – اسطيفان اكصيل، المرجع السابق، ج.7، ص 32.

[3] – العربي عقون، الأمازيغ عبر التاريخ نظرة موجزة في الأصول والهوية، المرجع السابق، ص 16.

[4] – أحمد محمد انديشة، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث، المرجع السابق، ص 105.

الفئة المستعصية من الأهالي، عن طريق استخدام القوة العسكرية[1].

لذلك حرصت روما بأن تبقي على عدد لابأس به من الجنود العسكريين في البلاد لتعزيز الإحتياطات الأمنية لرعاياها على أرض شمال إفريقيا، وأعداد العسكريين كانت تختلف من مرحلة إلى أخرى وهي تخضع للأحوال والأخطار المهددة للرومان، ويعود لمجلس الشيوخ تحديد عدد هؤلاء الجنود في كل سنة، ففي سنة 125 مثلا اجتمع بالقرب من أوتيكا 30000 جندي، أما في سنة 49 ق.م فكان عددهم قرابة 4000 جندي[2].

كما أتبعت روما هذه السياسة بالعمل على تمديد خريطة الاستيطان والتعمير عبر الجهات المتحركة، وقد شرع الامبراطور تيبريوس في تنفيذ هذا الأسلوب المزدوج في الجنوب النوميدي عبر أراضي قبائل الموزولامي الشهيرة التي قاومت بضراوة تلك الإجراءات التوسعية، ومن ثم بدأت علاقة القوة التي برزت في تاريخ المغرب أثناء الإحتلال الروماني بين الليمس(الخط الدفاعي الروماني) والبدو[3].

وبذلك أصبحت الصورة تبدو للباحث بأن البدو كانوا يمثلون مصدر شر في أفريقيا بالنسبة للرومان، وأن عناصر الشر في البداوة تتجلى في تطلع الرعاة إلى الأراضي الزراعية الخصبة المستغلة من طرف روما، وأن هذه النظرة هدامة لأنها مناقضة لروح التمدن والتعمير التي جاءت به روما للمنطقة، ومن ثم فالتخلص من البدو كانت مهمتها، والواقع أن البدو كانوا قبل الاستيطان الروماني فئة بشرية متلائمة مع المزارعين وسكان الحواضر، لها مكانتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، والتنقل إلى أنماط معيشة أخرى من غير الرعي كانت متوفرة، وهي موضع إختيار أمامها وليس إجبار، ومن ثم ابتعدت الدول السابقة للرومان اللجوء إلى وضع حاجز بين مناطق الرعي ومناطق الزرع أو اللجوء إلى أعمال عسكرية، أو إشعار البدو بأنهم عنصر هدام[4].

ابتعدت روما عن إدخال الأفارقة في المجتمع الروماني في المقابل لم تعمل على توطين جالية مهمة من الرومانيين في إفريقيا، مع العلم أنها حاولت ذلك بين سنوات 146 و46 ق.م إلا أن هذه المحاولة

---

[1] – محمد البشير شنيتي، نوميديا وروما، المرجع السابق، ص 288.

[2] – اصْطيفان اكْصيل، المرجع السابق، ج.7، ص ص، 32-33.

[3] – محمد البشير شنيتي، نوميديا وروما، المرجع السابق، ص 288.

[4] – نفسه، ص 289.

تخلت عليها في المهد الأرستقراطية المتحكمة في الدولة آنذاك[1].

فقد كان الرومانيون المقيمون بمنطقة غير رومانية يستعملون للتعريف بأنفسهم عبارة "المواطنون الرومانيون المقيمون في منطقة كذا"(Cives romani qui consistunt en tel lieu)، موضحين بهذا أنهم أجانب بتلك المنطقة، فنجد هذا الأمر في أوتيكا، وقد ذكر هذا التعبير مع بعض التغيير الطفيف فيه في مدينة صغير بإفريقيا في عهد أوغسطس جاء فيها "المواطنون الرومانيون المتاجرون بتينسّوت"(Cives romani qui Thinissut negotiantur)، كما تم العثور على نصوص من أواسط القرن الأول ق.م ذكرت فيها جماعات المواطنين المقيمين ببعض المدن الحرة بإفريقيا لقبوا بـ"الجالية"(Conventus)، من بينهم جالية أوتيكا وهدروميت وثبسوس[2].

نتساءل هنا: هل يتعلق الأمر بلفظ مبهم ليس له مدلول سياسي، أي مجموع المواطنين الرومانيين الساكنين بمكان ليس منطقة رومانية؟ أو هو لفظ رسمي يطلق على هيأة منظمة لها مجلس ورؤساء ؟

أسفرت اجراءات القرن الأول ضد السكان البدو على تغييرات جوهرية في بنيتهم الاجتماعية، فقد أُرغمت القبائل على النزوح خارج أراضيها وشُتت أخرى فرقاً وعشائر، كما تمّ إفناء البعض منها ومحاصرة البعض الآخر في أقاليم محدودة، كانت أشبه بالمحتشدات، ونتج عن هذا التفكيك تمزُّق أصلاب البنية الاجتماعية للقبائل، وعند حلول القرن الثالث الميلادي تحول كثير من أشباه البدو إلى فلاحين موسميين يشكلون فرق عمل متجولة بحثاً عن العمل في الحقول[3].

وأُجبر البعض الآخر على الإرتماء خارج خط الليمس فانضم إلى القبائل الصحراوية واختلطوا بهم، وازدحمت بعض المناطق الرعوية المتاخمة لليمس، فأصبحوا يشكلون قوة ضاغطة الأمر الذي دفع بالرومان إلى تدعيم حامياتهم على طول الخط، هذا ما أدى ببعض البدو إلى تغيير مسارهم الترحالي الموسمي باتجاه السهوب الغربية وجنوبي مرتفعات التل الشمالية الغربية[4].(**ينظر الخريطة رقم:16، ص 435**).

---

[1] – اصْطيفان اكْصيل، المرجع السابق، ج.7، ص 56.

[2] – نفسه، ج.7، ص 68.

[3] – محّمد البشير شنيتي، نوميديا وروما، المرجع السابق، ص 289-290.

[4] – نفسه، ص 289-290.

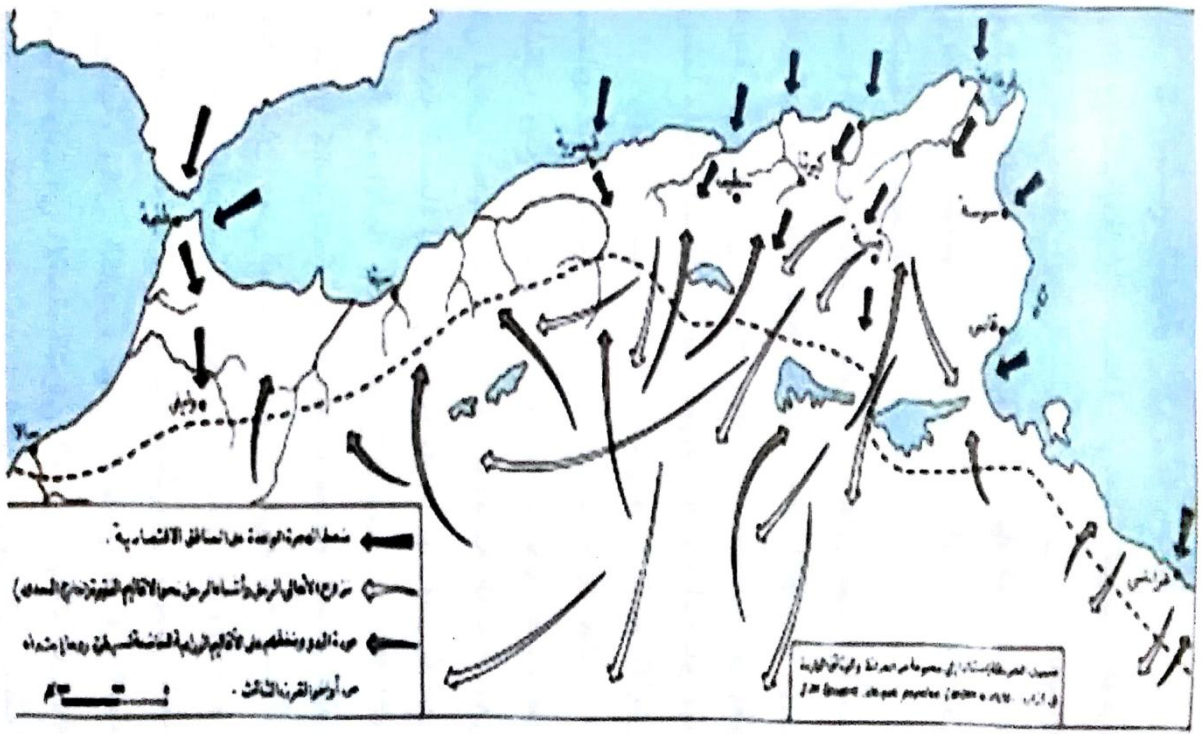

خريطة رقم 16: توضح الاتجاهات الرئيسية للحركة الديموغرافية

نقلا عن: شنيتي، نوميديا وروما الامبراطورية، المرجع السابق، ص 71.

4)- ثورة الأهالي بقيادة تاكفاريناس[1](17-24م): خلال الربع الأخير من القرن الأول قبل الميلاد تتابعت انتصارات الجيش الروماني في بلاد المغرب القديم على مختلف ثورات المنطقة، وهذا يعطينا فكرة على عدم خضوع سكان المنطقة للإحتلال الروماني[2].

ولعل مقاومة تاكفاريناس خلال حكم الإمبراطور تياريوس خير دليل على ذلك حيث تعتبر من أهم الثورات الوطنية ضد الرومان، وكانت من الأهمية والقوة إلى درجة أن انتشارها في أرجاء البلاد كان سريعاً جداً، وقد انحاز إليها الكثير من القبائل من أجل تحرير بلادهم من السيطرة الرومانية والعناصر المحلية الموالية لهم[3].

---

[1] - **تاكفاريناس:** من أهم قادة نوميديا ينتمي لقبيلة موسولامس، جند مساعداً في الجيش الروماني في سن السادسة عشرة برتبة مساعد لكنه فر من الجندية، وعين من قبل أتباعه ومحبيه قائدا لقبائل لمزالمة سنة 17م فشكل جيشا نظامياً، وخاض العديد من الحروب ضد الجيش الروماني دامت ثورته سبع سنوات ثم انهزم قتيلا في منطقة سور الغزلان. ينظر: محمد السيد محمد عبد الغني، نماذج من الكفاح الجزائري القديم ضد الهيمنة الرومانية، د ط، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999، ص ص 15- 16.

[2] - مها العيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم، المرجع السابق، ص 364.

[3] - أحمد محمد انديشة، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث، ص 75.

ويبدو أن ثورة القبائل بقيادة تاكفاريناس ضد مشاريع الاستيطان القائمة على انتزاع الأراضي[1]، ويشير الباحثان "أ. بيجانيول" و"ر. لورون فيبار" إلى أن ثورة تاكفاريناس قامت بعد استقرار الفيلق الثالث الأغسطي في مدينة تبسة، مما أدى إلى إعاقة تنقل القبائل الموزيلامية والجيتولية المرتحلة وشبه المستقرة عن ممارسة حرفتها (رعي الماشية) والتي تقتات منها[2]، وتم طردهم إلى المناطق الفقيرة في جنوب نوميديا، حيث تقلصت حدود المنطقة التي كانت تتنقل فيها هذه القبائل، كما خرّب الرومان حقول النوميديين المستقرين، وأجبروهم على الفرار إلى مناطق أقل خصوبة، ومن ثم سيطر الرومان على جميع ممتلكات النوميديين مما أدى بالسكان الريفيون إلى تحول أوضاعهم من الرخاء إلى الفقر فنزحوا إلى المناطق السهبية وتخوم الصحراء، فقرروا المقاومة لإسترجاع أراضيهم المسلوبة[3].

وضرب عليهم في تلك المناطق بحاجز بشري تمثل في الجنود السوريين والذين كانوا يعرفون بالهجانة (الفرسان) السوريين، فقد كانوا يمتطون الجمال ويحرصون الحدود الرومانية المواجهة للقبائل الصحراوية في الجنوب النوميدي، وتدل النقوش الأثرية على أن هؤلاء قد أحلّهم الأباطرة بالحدود منذ احتلالهم تلك الجهات النائية، خلال أواسط القرن الثاني على أقل تقدير، ويشير أول نقش عثر عليه على شاهد قبر أحد الجنود التدمريين(نسبة إلى مدينة تدمر) إلى أن صاحبه كان جندياً بإحدى فصائل الفيلق الثالث الأوغسطي في عهد الإمبراطور "كومودوس" أو "أنطونيوس بيوس"(الورع)[4].

لقد استطاع الرومان بمساعدة جيوش بطليموس وبعض القادة العملاء من الجند المأجور الموريطانيين زرع الرعب في صفوف القبائل المساندة لتاكفاريناس إلا أن هذا الأخير فضل الموت على أن يساق أسيراً في يد قادة الجيش الروماني، فخاض معركة انتحارية ولقي الموت أثناءها، لقد اعتقد الرومان بأنه بالقضاء على ثورة تاكفاريناس، ستكتمل شروط السلم الروماني (Pax-Romana) ببلاد المغرب القديم، إلا أن النوميديين واصلوا المقاومة لمواجهة سياسة الرومنة[5].

---

[1] Benabou (M.), La résistance, Op-cit , P 76.

[2] Piganiol (A.) et Laurent-Vibert (R.), Recherches Archéologiques à Ammaedara (Haidra), M.A.H.,N^{O}.1, Vol.32,1912, PP.69-229.

[3] – مها العيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم، المرجع السابق، ص 365.

[4] – محّمد البشير شنيتي، نوميديا وروما، المرجع السابق، ص 239.

[5] محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية، ج4، المرجع السابق، ص 203.

المبحث الثاني: انعكاسات القوانين الرومانية على الحياة الاجتماعية: إن حركة التوسع الروماني عبر حوض المتوسط لم يتبعها ظاهرة إدخال الشعوب الخاضعة في إطار الدولة الرومانية كما هو الشأن بالنسبة لحركة التوسع الاستعماري الحديث، الذي إنجر عنه ضم البلدان المستولى عليها إلى جسمه، ذلك أن الدولة الرومانية لم تكن تستوعب بشراً آخرين أو تُدخل في أراضيها مقاطعات جديدة فتصبغ عليها طابعاً رومانياً، بل أن الإطار الذي كان يتسع بتوسع الغزوات هو السيادة الرومانية(Impérium Romanum) على الشعوب المستسلمة وقد ميز القانون الروماني تلك الأراضي عن أراضيه وأطلق عليها مصطلح "الأراضي التابعة للدولة الرومانية" أو "أراضي الفيء"(Ager publicus)، ويعود نفعها على جميع أفراد المجتمع الروماني[1].

أولا: مكانة الشعوب الخاضعة في القوانين الرومانية: لم تعط السلطة المركزية –بادئ الأمر- في روما لحكم الولايات الإفريقية صلاحيات تشريعية تسمح لهم بإصدار قوانين تتماشى والظروف التي يعاينوها عن كثب في المغرب القديم، مما يسمح لهم بأن يدرسوا حالة السكان ويحددوا لكل طبقة قوانين للتعامل معها[2]، إلا أنه وبعد مقاومة تاكفاريناس بدأ السكان يخضعون لجملة من القوانين المنظمة لسير العلاقة بينهم وبين الرومان، حيث قدمت الإدارة تسهيلات قانونية تضمن التواصل بينها وبين بعض المغاربة، وذلك بهدف تدعيم الاستيطان الروماني وتغلغله في المنطقة[3].

1)– **روابط الاستسلام أو التحالف:** وبهذا المفهوم صعب على روما أن تتمثل شعباً أجنبياً في شعبها، وكل ما كان يجري هو أنه عندما يتم إخضاع شعب أجنبي ما يُدخل تحت السيادة الرومانية (impirio romanumin) وليس في الدولة (in civitate)، وكانت روما لا ترى بينها وبين الشعوب الأخرى سوى نوعين من الروابط: الاستسلام (déditicii) أو التحالف (Socii)، أما المستسلمون فهم الذين سلموا غلبة للجيش الروماني المنتصر أشخاصهم وقلاعهم وأرضهم وبيوتهم ومعابدهم وآلهتهم، وبذلك فقدوا سيادتهم وحريتهم ونظمهم[4].

[1] – محمد البشير شنيتي، نوميديا وروما، المرجع السابق، ص 212.

[2] – مها العيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم، المرجع السابق، ص366.

[3] نفسه، ص 367.

[4] – محمد البشير شنيتي، نوميديا وروما، المرجع السابق، ص 212-213.

كان هذا شأن الأهالي النوميديين الذين كانوا في عدد المهزومين بعد إزالة الدولة القرطاجية 146 ق.م، ثم عقب سقوط مملكتي نوميديا وموريطانيا أو الذين تم إخضاعهم بقوة السلاح أثناء حركات المقاومة المتواصلة.

وكانت أمور هؤلاء جميعها موكلة لسلطة تعسفية تضعها روما في يد والٍ (Praefectus)، وهو مواطن روماني تعينه روما على رأس هيئة من الموظفين للإشراف على إدارة الأراضي المحتلة، وتتنازل له روما عن سيادتها لمدة معينة، فتصبح كمملكته الخاصة[1].

وكانت بعض التجمعات القبلية حسب الأمكنة والأزمنة يحكمها رؤساء يُمنح لهم اللقب الملكي المعترف به رسمياً من لدن الولاة الرومان، ويسلمونهم في محافل رسمية شارات السلطة، وقد كان هؤلاء الرؤساء على عهد بروكوبيوس(القرن السادس) يحصلون على تاج وصولجان من الفضة، ومعطف وسترة بيضوين، وحذاء مذهب، وقد أُكتشفت في خرائب مدينة وليلي(في موريتانيا الطنجية) أمور تتعلق بالملوك والأمراء والباكوات ما يدل على العلاقة بينهم وبين روما[2].

أما الحلفاء(Socii أو Foederati)، فكانوا أقل سوءاً في المعاملة، إذ كانت شروط التحالف تمنحهم حق الاحتفاظ بنوع من الاستقلال في تصريف شؤونهم، وممارسة التصرف في ممتلكاتهم، والعمل بنظمهم الخاصة، لكن صيغة التحالف كانت تتضمن ما يفيد الاعتراف بالسيادة الرومانية، حيث كانت روما تشترط إدخال الصيغة الآتية في نص المعاهدة:"معترفة عن إخلاص بهيمنة الشعب الروماني"[3].

وبدأ التحالف مع الأهالي منذ أن أحرقت روما قرطاجة سنة 145 ق.م، وحوّلت إقليمها إلى مقاطعة رومانية، وكان مجلس الشيوخ قد صيّر الدولة النوميدية عملياً دولة محمية، معهود بها إلى ماسينيسا أكثر مما هي معادة إليه، وكان هذا الأخير على الدوام رؤية واضحة إلى وضعه الحقيقي كملك تابع، وهو ما كان يُعرف في ذلك العهد باسم "الصديق والحليف للشعب الروماني" ويظهر لنا هذا الوضع بوضوح عندما قرر ماسينيسا عشية وفاته في سنة 148 ق.م، أن يستدعي سكيبيون إميليان للتشاور وإياه في تقرير أمر خلافته، ثم لما أدرك أن هذا الأخير سيصل متأخراً قرر أن يترك له أن يتخذ ما يستحســـــــن

[1] – محّمد البشير شنيتي، نوميديا وروما، المرجع السابق، ص ص 213-114.

[2] – غابرييل كامبس، البربر ذاكرة وهوية، المرجع السابق، ص 155.

[3] – محّمد البشير شنيتي، نوميديا وروما، المرجع السابق، ص 214.

ويستحب من الإجراءات، فختم حياته بما يشبه الاعتراف بأن مصير نوميديا يتوقف على الرومان[1].

أعلنت روما الحرب على يوغرطة حيث وصلت الرسل من مدينة لبدة الكبرى إلى القنصل بستيا(BESTIA) وفيما بعد إلى روما يلتمسون الصداقة والتحالف مع الرومان الذين لبّوا طلبهم، وقد حصلت كل من مدينتي صبراتة وأويا على معاهدة مماثلة مع روما، والفائدة التي عادت على المدن الثلاث من هذه المعاهدة فهي لا تتعدى الاستقلال الذاتي تحت الحماية الرومانية، وحصولها على بعض الأراضي التي سبق وأن استولى عليها النوميديون داخل مناطق المدن الثلاث، ومع ذلك فهذه النتائج لا تبرر هذا التحالف إذا ما تذكّرنا أنها كانت تتمتع بقسط وافر من الحرية الاقتصادية والسياسية تحت الحكم النوميدي[2].

وقد قامت روما باقتطاع الجزء الغربي من مملكة نوميديا التي كان يحكمها يوغرطة وأُعطيت لملك الموريين بوخوس، الذي أصبح بدوره تابعاً لروما منذ سنة 104 ق.م، وما تبقّى من مملكة الماسيليين النوميدية جرى تقسيمه بعد وفاة كوضا(Gauda) ثم كانت نهاية الدولتين الصغيرتين اللتين نشأتا عن هذا التقسيم وذلك خلال الحروب الأهلية التي جمعت بين القيصريين(Césariens) والبومبيين(Pompéins) فلما تحقق الانتصار لقيصر على يوبا الأول، قام بضم مملكته إلى مقاطعة أفريقيا(Africa Nova)، وأصبح القسم الآخر إمارة محلية يسيطر عليها مغامر إيطالي هو سيتيوس، وسرعان ما عاد هذا القسم ليندمج في المقاطعة الجديدة، مع الاحتفاظ بتنظيم خاص(الاتحاد السيرتي)[3].

وعرفت المملكة المورية نفس هذا المصير فقد قُسمت خلال الحروب الأهلية إلى دولتين، ثم عادت إلى التوحد من جديد تحت حكم بوخوس الأصغر حليف أغسطس، فلما توفي بوخوس آلت مقاليد الحكم فيها إلى أغسطس، وبعد محاولة قصيرة من الإمبراطور لإدارة البلاد بشكل مباشر رأى أنها لا تزال شديدة التخلف، فعهد بها إلى يوبا الثاني، وبذلك أدخل أغسطس في هذا الإقليم الواسع بذوراً قوية للرومنة، فقد أنشأء تسع مستوطنات كانت قواعد عسكرية[4].

---

[1] – غابرييل كامبس، البربر ذاكرة وهوية، المرجع السابق، ص 199.

[2] – أحمد محمد انديشة، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، ليبيا، 1402هـ/1993م، ص 59-60.

[3] – غابرييل كامبس، البربر ذاكرة وهوية، المرجع السابق، ص 199-200.

[4] – نفسه، ص 200.

هكذا فالتحالف لا يعني تساوي الطرفين المتحالفين من الوجهة القانونية أو السيادية، ومن ثم كانت المدن المتحالفة مع روما في وضعية تُحدِّد درجة استقلالها قوة كل طرف، وبما أن روما كانت دائما في وضعية الأقوى، كانت الشعوب الحليفة دائماً تابعة لها مع أنها كانت تتسمى بالمدن الحرة(Civitas libiras)، وأوضح الأدلة على تبعيتها هي أنها كانت تدفع ضريبة اجمالية لحاكم الولاية التي تقع تلك المدن الحرة في إقليمها[1].

وبعد معركة تابسوس عام 47 ق.م التي أدت إلى انتصار جيوش بومبي حليف يوليوس قيصر على أفريقيا، قام بمعاقبة مدينة لبدة الكبرى حيث تم انزالها إلى مرتبة مدينة خاضعة لروما بعد أن كانت حليفة لها، كما فرض عليها غرامة سنوية تقدر بثلاثة ملايين رطل من زيت الزيتون لأنها استضافت كاتو عند مروره بها وقبلت التحالف مع يوبا الأول، ويرجّح أن هذا العقاب شمل صبراتة وأويا لاتباعهما سياسة لبدة[2].

وفي الجهة الغربية كان القرن الميلادي الأول فترة حاسمة في تاريخ المغرب القديم، لأنه سجل انتقال المغرب من فترة الحماية التي مثلتها مملكة يوبا الثاني وابنه بطليموس إلى الاحتلال المباشر، حيث ألحق كاليكولا موريطانية سنة 40م بالإمبراطورية الرومانية بعد اغتيال ملكها بطليموس، وهذا وضع حداً لتجربة الحماية التي استمرت من سنة 25 ق.م إلى سنة 40م، وأصبحت مدينة وليلي مرتبطة بحلف مع الرومان من سنة 33 إلى سنة 25 ق.م، حيث قامت بمساعدة جيشه في الحرب التي شنها على أيدمون، وربما تمتعت وليلي بحق المواطنة الرومانية وخاصة أنها ارتقت إلى مرتبة مونيكبيوم مباشرة بعد هذه الحرب[3].

قام الإمبراطور كلاوديوس الذي تابع تطبيق سياسة أوغسطس، منح مدينة وليلي مرتبة مونيكبيوم، وتفيد القرائن الأركيولوجية أن إنشاء بلدية وليلي حصل بين 25 يناير عام 41م و24 يناير عام 45م، وقد بعث سلابوس القائد ماركوس فاليريوس سيويروس سفارة إلى روما للحصول على امتيازات للمدينة، منها ما يخص الجانب الضريبي، إذ تم إعفاء السكان من أداء الضرائب لمدة عشرة

[1] – محّمد البشير شنيتي، نوميديا وروما، المرجع السابق، ص 214.

[2] – أحمد محمد انديشة، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث، المرجع السابق، ص 62.

[3] – سيدي محمد العيوض، مدينة وليلي وأحداث القرن الميلادي الأول، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، العدد 6، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن طفيل، القنيطرة- المغرب، 2006م، ص 192-193.

سنوات ابتداء من سنة 44م، وإن تسيير وليلي من قِبل شوفيط ووقوفها إلى جانب روما يؤكد الرومنة العميقة للمدينة، ويتجلى ذلك من خلال وظيفة الإيديلية التي كانت موجودة بالمدينة قبل ارتقائها إلى بلدية، ذلك أن فاليريوس سيويروس كان إيديلا قبل أن يصبح شوفيطاً، هذه الرومنة المبكرة لويلي تفسر في نظر البعض انحيازها إلى جانب روما خلال حرب أيدمون[1].

2)- إفتقاد الأهالي لقانون يحميهم: كان القانون الروماني يرفض احتكام المستسلمين والأحلاف إليه، باعتبارهم غرباء أو أجانب بالنسبة للشرع الروماني، الذي يسميهم (Peregrini) أو الأعداء(Hostis) ففي نظر الفقيه الروماني أن الفرد من أهالي المقاطعة لا يعتبر زوجاً ولا أباً مالكاً مادام غير روماني، بل أن هنالك استحالة ثنائية في قضية الملكية الخاصة: استحالة بسبب حالته الشخصية كأجنبي، واستحالة لكون أرضه في حالة غير قانونية، لأنها ليست أرضاً رومانية بالأصالة، ومن ثم قال المشرعون الرومان في أراضي المقاطعات الرومانية، بمختلف أوجه الاستفادة منها، بأنه لا يمكن تملُكها إطلاقاً، لأنها ملك جماعي للشعب الروماني، وأنه لا حَقّ لأي كان فيها سوى الحيازة والاستثمار[2].

هكذا أصبح جلّ سكان بلاد المغرب في بداية الاحتلال الروماني خارج الإطار القانوني الذي كان يضم بين جنباته المواطنين الرومان، وكانت هذه الوضعية مضرة بمصالحهم المادية والمعنوية، وكانت تُشعر الأثرياء منهم وأهل الجاه بغبن كبير، خاصة أولئك الذين يعيشون بجوار الرومان في المدن، وكانوا يفتقرون إلى قانون يحميهم من تعسفات السلطة الحاكمة، ولم يكن أمامهم ما يحقق لهم رغبتهم هذه سوى الحصول على المواطنة الرومانية، الذي يمكنهم من العيش الكريم في المجتمع[3].

3)- توسيع البلديات: بلغت سياسة الأباطرة المتعلقة بتوسيع نظام البلديات الرومانية في بلاد المغرب أوجها خلال القرن الثالث الميلادي، ومن ثم كان توسيع خريطة البلدة الرومانية ينطوي على توسيع مماثل في فرص الحصول على الحقوق المدنية لمن تتوفر فيهم شروط الانتفاع بها من الأهالي، غير أن انتشار البلديات بمختلف درجاتها القانونية (رومانية- لاتينية- إيطالية) لم يكن يعني أن سكان دوائرها الإقليمية

[1] - سيدي محمد العيوض، المرجع السابق، ص 195-196.

[2] - محّمد البشير شنيتي، نوميديا وروما، المرجع السابق، ص 215.

[3] - نفسه، ص 215.

كانوا أمام قانونها في وضعية متساوية[1].

إن مثل هذه الحالة المثالية كانت مستحيلة في ذلك الوقت، لأن الخريطة البشرية ببلاد المغرب كانت تضم عناصر متباينة الأجناس مختلفة الحالات القانونية، سواء كانوا من الأهالى أو الوافدين، تشبه رقعة فسيفساء متعددة الألوان والخطوط، يمثل فيها العنصر الروماني أوضح الألوان يليه المتمتعون بالحقوق اللاتينية ثم المدرجون في طائفة المتمتعين بالقانون الإيطالي ثم الأجانب ومعظمهم من الأهالي[2].

يمكن تحديد الفئة الأولى في صف الأرستقراطية الرومانية العريقة بزعامة مجلس الشيوخ، وتضم امتداداتها في المدن والولايات، وكان قوامها الأثرياء والموظفون المدنيون وبرجوازيوا المدن من التجار الحرفيين، وكان موقف هذه الفئة مناهضاً للوضعية التي آلت إليها خلافة العرش الامبراطوري وللنهج المتبع في معالجة الأوضاع المتردية، حيث تم الإضرار بمصالح أفراد هذه الطبقة الاقتصادية، إذ تم إبعادهم من الساحة السياسية والمسؤولية وتبوأها من كان دونهم شرفاً[3].

شمل الصنف الاجتماعي الثاني من نجا من القرطاجيّين بعد تدمير عاصمتهم وتقتيل سكّانها، وكذلك شمل سكّان الثّغور المغربيّة التي أسّسها الفينيقيّون والقرطاجيّون، وشمل أيضاً الجماعات الحضريّة اللّوبيّة التي تأثّرت بالحضارة القرطاجيّة، لغة ودياناً، وثقافة ونُظماً وعادات[4].

أمّا الصّنف الثالث، وإليه تنتمي أغلبيّة السكّان، فكان يتكلّم اللّغة اللّوبيّة القديمة، وكانت له عادات وتقاليد حضريّة أو بدويّة تليدة، ومعتقدات وآلهة قوميّة ونمط عيش خاص[5].

ثانياً– المواطنة وانعكاساتها على النظم الاجتماعية: كان بالإمكان للفرد النشيط المتوفر على قسط من الثقافة الإرتقاء إلى مناصب إدارية في بلديته أو تبوأ مستويات في الدولة أو الجيش، باستطاعة الحاصل على المواطنة أن يصاهر عائلة رومانية وأن يقيم في روما ويتملك فيها، ويمارس نشاطات اقتصادية مربحة، تحت حماية القانون وفي مأمن من جور السلطة المحلية، إنها امتيازات مرموقة لا يتحصل

[1] – محمّد البشير شنيتي، نوميديا وروما، المرجع السابق، ص 217.
[2] – نفسه، ص 217.
[3] – نفسه، ص 48.
[4] – عمّار المحجوبي، المرجع السابق، ص 139.
[5] – نفسه، ص 139.

عليها أي شخص من الأجانب(perigrini) مهما بلغت ثروته أو منزلته لدى قومه دون اكتساب المواطنة، لكن هذا الأمر كان صعب فهي تتطلب شروطاً لاتتوفر سوى في القلة النادرة من الأهالي[1].

1)- المواطنة ورومنة الأسماء: أدركت روما أن دوام سيطرتها على مختلف الولايات الإفريقية يكون من خلال العمل على استقطاب عناصر أهلية موالية لها، وأنّ رسوخ ذلك الولاء لا يتم إلاّ عن طريق الدمج في الثقافة والحضارة اللاّتينية، لذلك ستكون المواطَنة خير أداة لتحقيق مرامي الدولة الرومانية في ترسيخ وجودها في أرض إفريقيا[2].

والمواطنة هي ترقية اجتماعية سياسية للأفراد من أجل ترسيخ الولاء لروما، فمثلما يوجد الروماني بالولاء هناك روماني بالمواطنة ولا فرق بينهما في تحمّل الأعباء المتمثلة في: واجب الخدمة العسكرية وواجب دفع القسط العشريني من التركة، وإذا كان الواجب الأوّل قد أصبح مع مرور الزمن اختيارياً فإنّ الثاني ظلّ إلزامياً، كما تسري باقي القوانين الرومانية على المجتمع مواطنين بالأصل أو بالمواطنة على السواء، بحيث تخضع ممتلكاتهم لقواعد المِلكية الرومانية ويخضع الزواج لقانون الزواج الروماني[3].

كان المشرّع الروماني يتشدد في منح المواطنة بحيث حرص على عدم إعطائها لأيّ كان، إلى حدّ أن كلوديوس منع عن الأشخاص الأجانب(Pérégrins) اتّخاذ أسماء رومانية، واعتبر من استعملها – دون أن يكون مواطناً – مغتصباً، لأنها عنوان الشرف، ومن يرتدي لباس التُوجَة(Toge) من غير المواطنين الرومان مثل الأجانب والعبيد والمحكوم عليهم في قضايا سياسية وفي قضايا الحقّ العامّ يعاقبون بأن تفرض عليهم غرامات مالية معينة[4].

ازداد السعي إلى الحصول على حقّ المدنية تدريجياً حتّى وصل مداه بدستور "كاركلّة"[5](Constitutio Antoniniana) الذي منح بموجبه حق المواطنة لجميع الأجانب

---

[1] – محمّد البشير شنيتي، نوميديا وروما، المرجع السابق، ص 216.

[2] – محمد العربي عقون، الإقتصاد والمجتمع، المرجع السابق، ص 273.

[3] – نفسه، ص 273.

[4] – نفسه، ص 174.

[5] – يبدو أن مرسوم تعميم المواطنة الرومانية كان الهدف من ورائه مادياً من أجل رفع قيمة الضرائب، كما أنه كان يهدف إلى توجيه ضربة إلى كبرياء مجلس الشيوخ والطبقة الأرستقراطية الرومانية، وفي نفس الوقت تركيز سياسة الهيمنة وتنفيذ خطة سياسة الرومنة في بلاد المغرب. ينظر: محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية، ج4، المرجع السابق، ص 196.

الأحرار في الامبراطورية سنة 212م[1]، في فترة كان لا يزال فيها الاتحاد السيرتي قائماً، ومع أنّ الأرياف السيرتية ظلّت خارج هذه المواطنة مثل: قبيلة الناتابوت التي تحصّلت على المواطنة في القرن الثاني الميلادي، وهو ما يدعّم القول بأنّ ما يسمّى بتعميم المواطنة الرومانية لم يطأ الأرياف مركز الثقل الديمغرافي ومعقل القبائل المقاومة للاحتلال، بل كان موجّهاً بالدرجة الأولى إلى سّكان الحواضر الذين استوعبوا الحضارة الرومانية، وأصبح دمجهم عبارة عن تسوية قانونية لوضع قائم فقط[2].

لذلك كان لقانون كاركلا تأثيره الخاص في المجتمع المغربي القديم، بحيث أنه رفع البرجوازية المغربية إلى صفوف الرومان وبقيت طبقة الفلاحين الصغار والبدو والفقراء ثم المعدمين ضمن طبقة التابعين الذين لا حق لهم في المواطنة الرومانية ويعاملون معاملة المنهزمين[3].

وهكذا فإن قرار كراكلا لم يضف شيئاً جديداً وإن كانت له فائدة فهي مقصورة على الأغنياء دون أن يستفد منه السواد الأعظم من اللوبيين الفقراء، والشيء الإيجابي أن كراكلا قام في سنة 216م بالتخفيف من الضرائب الفادحة، التي كانت تعاني منها الشعوب الخاضعة للرومان[4].

وعلى العموم فالذي يهم أباطرة الأسرة السفيرية في بلاد المغرب حتى ولو كانوا من أصول إفريقية هو مجدهم في نطاق الكيان العام الروماني. ونتيجة لذلك، فإن منطقة شمال إفريقيا كانت في الحقيقة قد خدمت الأباطرة السفيريين دون أن يعيروها أدنى اهتمام[5].

2) نتائج المواطنة: شهد القرن الثاني الميلادي تغيّرات واضحة في تركيبة المجتمع المغربي كنتيجة لتوسع انتشار المواطنة الرومانيّة، وتوخي المزيد من السّخاء في منح الدساتير الرومانيّة إلى المدن المغربية، الواحدة تلو الأخرى، فتضاءل الفارق بين أحفاد الرومان المستوطنين وأحفاد المغاربة المترومنين حتّى انقرض، وانتشرت الأسماء اللاتينيّة انتشاراً واسعاً، وتضاءل عدد الأسماء البونيّة، ونُقل الكثير منهم إلى اللاتينية، فتحول المجتمع تحوّلا جذرياً، وبعد أن كان رومانيًّا استعمارياً أصبح مجتمعاً إفريقياً رومانياً معاً، وأصبح من

[1] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 220.

[2] – محمد العربي عقون، الإقتصاد والمجتمع، المرجع السابق، ص 275.

[3] محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية، ج4، المرجع السابق، ص 197.

[4] – أحمد محمد انديشة، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث، المرجع السابق، ص 100.

[5] محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية، ج4، المرجع السابق، ص 198.

العسير على الباحث التمييز بين رومانيّ الأصل وافريقيّه من سكّان الولاية[1].

لكن الفوارق الاجتماعية ما فتئت أن حلّت محلّ الفوارق العرقيّة واللّغويّة والحضاريّة، فأصبح المجتمع الإفريقي منقسماً إلى فئتين، فئة "الشّرفاء"(honestiores-honesti)، وفئة "الحقراء"(plebeii, tenuiores, humiliores)، وانقسمت كلّ فئة منهما إلى عدّة أصناف، أحقرها على الإطلاق صنف الرّقيق أو العبيد[2].

أ- الشرفاء: كانت فئة "الشرفاء" تشمل طبعاً النّبلاء بصنفيهما، صنف أعضاء مجلس الشيوخ (ordo senatorius) و"صنف الفرسان"(ordo equestris)، وتشمل كذلك الطّبقات الحضريّة الوسطى، طبقات وجهاء المدن التي كانت تنتسب إلى صنف "الدّيقُريُونُومْ (ordo decurionum)، وقد لعبت دوراً مهماً في نشر التحضّر من خلال بناء المدن والإهتمام بالفلاحة، مما أظهر حركيّة اجتماعية سمحت للكثير من الأغنياء والوجهاء ولوج باب الصّنفين النبيليين، "صنف الفرسان" و"صنف السّيناتوري"[3].

كان أفراد الطبقة الشريفة ينعمون بحصيلة عرق الأشقياء في الأرياف والمدن، ونتيجة لهذا التمايز الطبقي والإجحاف الاجتماعي، نشأ لدى طبقة المقهورين شعور بالعداء والحسد ضد الطبقة الممتازة، "يحسدون من هم أفضل منهم إن أتاهم الحظ الحسن"[4].

ب- كبار الملاك والبورجوازية البلدية: هم من بين أولئك الذين نالوا الحظوة مع بداية الإحتلال، وانضمّ إليهم فيما بعد المندمجون الجدد من المجنّدين وكبار الموظّفين الذين خدموا الإمبراطورية بإخلاص فكافأتهم روما، فقد ارتفع عدد الأفريقيين في هياكل الدولة الرومانية إلى درجة أنّ نسبتهم في مجلس الشيوخ الروماني في القرن الثالث بلغت الثلث، وتوّجت هذه السياسة باعتلاء أعضاء من العائلة السيويرية الأفريقية العرش الإمبراطوري الروماني تباعاً، ولكن هذه النخبة كانت قّلة قليلة قياساً مع جماهير الشعب الأفريقي، إضافة إلى هذه الفئة فقد شكّلت الحواضر الأفريقية بيئة انصهار حقيقي بين الأفريقيين

[1] - عمّار المحجوبي، المرجع السابق، ص 140.

[2] - نفسه، ص 140.

[3] - نفسه، ص 141.

[4] - محّمد البشير شنيتي، نوميديا وروما، المرجع السابق، ص 48-49.

والرومان الذين كانت تجمعهم المواطَنة، فظهر مجتمع جديد في تلك الحواضر، يدين بالولاء لروما وثقافتها، ولذلك لا نستغرب أن يكون القدّيس أوغسطين أكبر منافح عن روما لأنّه من عائلة أفريقية تنتمي إلى طبقة البرجوازية البلدية[1].

جـ- الأحرار: يمثل هؤلاء جمهور الشعب الأهلي فليس لهم إلاّ سواعدهم وحرّيتهم، ويعتبرهم القانون أجانب(Pérégrins)، وقد جرّدوا من أملاكهم في بداية الإحتلال، وتمّ تنزيلهم إلى أدنى الدرجات الاجتماعية، فتحوّلوا إلى يد عاملة لدى كبار الملاّك، وتدهورت وضعهم تدريجياً وأصبحوا قوّة نضالية ضدّ الاستعمار الروماني، ولا يكاد يتميّز هؤلاء الأحرار عن العبيد في شيء، بل قد يأمل العبد في تحرير نفسه والحصول على المواطَنة بمساعدة سيّده أماّ الحرّ فهو محلّ استياء دائما من قبل الأسياد الذين يشتغل في أملاكهم[2].

أغلب هذه الطبقة تقطن في الأرياف، حيث لم يكن لهم حظ وافر في الحياة المتحضرة ولا في الرخاء الامبراطوري، الذي شمل غيره خلال النصف الأول من القرن الثالث وكان يطلق على هذه الطبقة عبارة "البسطاء"(Humiliores)، ومن المهام الموكلة إليها العمل على إعالة حضارة المدن بكدها وكدحها[3].

د- العبيد: هم الذين فقدوا حرّيتهم لوقوفهم ضدّ الاحتلال الروماني، يتوزعون على مختلف الأنشطة، فمنهم عبيد الأرض الذين عهد إليهم كبار الملاّك بجانب واسع من العمل تحت تسيير العتقاء منهم، ومنهم عبيد الخدمة في قصور الأسياد، وقد جيء بهؤلاء الأخيرين في الغالب من شرقي المتوسّط ومن بلاد الإغريق من بيئة أكثر تحضّراً أو على الأصح لها تقاليد في هذا الشأن، أما الأفريقي عموماً فلا ريب أنّه يستنكف من خدمة البيوت، ويراها تمسّ بكرامته ولذلك استغلّ للعمل في المزارع[4].

مع العلم أن العامل في الحقول والضياع لا حقوق له ولا هويّة، باستثناء عبيد إدارة ضيعات العرش الإمبراطوري ومواليها، بل كان العبد في نظر القدامى أقرب إلى الآلة منه إلى الإنسان، لكن عبيد

[1] - محمد العربي عقون، الإقتصاد والمجتمع، المرجع السابق، ص 277.

[2] - نفسه، ص 277-278.

[3] - محّمد البشير شنيتي، نوميديا وروما، المرجع السابق، ص 48.

[4] - محمد العربي عقون، الإقتصاد والمجتمع، المرجع السابق، ص278.

المدن في المنازل والمصانع اليدويّة، كان يلقى في الغالب حسن المعاملة، وقد تفشى العتق شيئا فشيئا، وأن فضّل الناس ولاء المعتوق ووفاءه على خضوع العبد وحقده، كما فضّل أصحاب الضّيعات الشاسعة(domini)، باستثناء ضيعات بعض الأقاليم، كإقليم طرابلس، العملة الفلاحين على العبيد أحياناً[1].

ولا تفوق حشُودُ الفقراء المعتوقين مالاً وقدراً إلاّ قليلاً، ولا تكسب حشود عامّة الشّعب من الرّزق إلاّ الأجرة التي يتقاضاها من كان أجيراً، لكنّ البون كان شاسع بين أجير المدينة الذي قد يظفر بثقة الأغنياء، وبالولائم التي يَعدُّونَهَا والأموال التي يوزعونها، كلّما حلّ موسم الانتخابات البلديّة، وبين أجير الرّيف والحقل، رغم ما تُشير إليه النّقشية الشّهيرة التي عُثر عليها في مدينة مقتَاريس(Mactaris)/ مكثر، من حركيّة اجتماعيّة قد تسمح للعامل الفلاحي الكادح أن يكسب ما يمكّنه من الارتقاء إلى صنف الفلاّحين الصّغار[2].

أدى هذا الوضع الطبقي إلى أزمة ذات أبعاد اقتصادية واجتماعية خلال القرن القرن الثالث، وقد انعكس الأمر على تصرفات الجيش إزاء أرستقراطية المدن، ولعل اندفاع الجيش لنهب المدن المزدهرة كان انتقاماً ضمنياً من الطبقة الرفيعة فيها، ودخلت الفئات في حرب طبقية صامتة دون العودة بالفائدة لأي طرف، فإن كان النبلاء قد حل بهم البلاء الوافر على يد الجيش، فإن الفلاحين لم ينالوا شيئاً يحسدون عليه، حيث أنهم كانوا عرضة لأعمال السخرة، وقد تطورت العلاقة السلبية بين الطبقتين[3].

وحتى أفراد نخب المدن المترومنين نالوا المواطنة الرومانية واكتسبوا الثقافة اللاتينية كانوا في أحسن الحالات يشعرون بأنهم رعايا لروما أكثر من إحساسهم بأنّهم رومان، وإذا كانت النخبة الأهلية النافذة التي تعايشت مع الرومان وتقاسمت معهم الثروة والسلطة واندمجت في الثقافة اللاتينية قد اتخذت أسماء رومانية واستوعبت آداب وفنون روما دون أن تفقد الشعور بجذورها، ومن هنا اقتصرت الرومنة في واقع الأمر المدن الكبرى التى تغلغل فيها التأثير الروماني المعبّر عنه بحضارة أفريقيا الرومانية لأنّ الأرياف ذات مركز الثقل السكاني ظلّت أفريقيّةً محضة، حيث يستخلص من دراسة أسماء الأعلام في سلتيانا أنّ رومنة

[1] – عمّار المحجوبي، المرجع السابق، ص 140.

[2] – نفسه، ص 140.

[3] – محمّد البشير شنيتي، نوميديا وروما، المرجع السابق، ص 49.

أرياف الاتحاد السيرتي كانت نسبية وضعيفة[1].

يمكن القول أن البنية الاجتماعية لسكان الإمبراطورية الرومانية كانت معقدة التركيب متداخلة الخطوط من وجهة نظر القانون، خاصة قبل صدور قرار كاراكلا، ولكن حتى بعد أن أصبح الجميع أحرار الإمبراطورية مواطنين رومانياً طبقاً لهذا القانون، فإن التمايز العرقي الذي كان سائداً بين مختلف الفئات والأجناس عبر الإمبراطورية، وخاصة بين الايطاليين وغيرهم، دون الزوال[2].

على أنه لا ينبغي أن تغيب عنا أن الحضارة الرومانية لم تكن حضارة التداخل والتمازج والفوارق الطفيفة على حد قول بينابو (Bénabou) ومن المحتمل أن الأفراد أو الفئات الاجتماعية الذين اعتنقوا هذه الحضارة في أفريقيا، لم يقبلوها برمتها وبدون رجعة، أما الذين رفضوها فلم يتركوا جانباً جميع ما أتت به تلك الحضارة. ومن الممكن كذلك أن تكون الرومنة قد حصلت بالنسبة للأغلبية بصورة جزئية. فنشأ عن ذلك مجتمع أفريقي معقد التكوين متعدد المظاهر وأفراد موزعون بين مؤثرات عديدة ونظم ثقافية متنوعة المصادر[3].

أما المجموعة التي أثرت فيها الحضارة الرومانية تأثيراً جزئياً والتي صارت أهم المجموعات من حيث مكانتها الاجتماعية واشعاعها الثقافي في بلاد المغرب فمن الممكن أن تكون قد مثلت أضعف حلقة من حلقات المجتمع الأفريقي حسب قول بنبو. فبعد أن كانت عاملا فعالا في رومنة البلاد في عصر قوة الامبراطورية وازدهارها تحولت هذه المجموعة أيام الشدة وفي عصر انحطاط تلك الامبراطورية إلى عامل يفسخ تلك الرومنة فهيأت الميدان لانتصار ثقافة أخرى[4].

وهكذا رغم نجاح سياسة الرّومنة نسبيا من خلال انتشار المدنية ومنح الدساتير الرومانية لحقوق المواطنة وانتشار اللّغة اللاّتينية والتعليم، إلا أنّ جوانب الحفاظ على الذاتية المغربية كانت عديدة وشملت مقاومة سياسة "الرّومنة" في مختلف المجالات وبمختلف الطرق منها المقاومة المسلّحة التي انطلقت بثورة تكفاِريناس في بداية القرن الأوّل، ووصولا إلى المقاومة الثقافية بصمود المعتقدات الدّينيّة المحلية والإبقاء

[1] – محمد العربي عقون، الإقتصاد والمجتمع، المرجع السابق، ص 275-276.

[2] – محّمد البشير شنيتي، نوميديا وروما، المرجع السابق، ص 47.

[3] محمد الهادي الشريف، ما يجب أن تعرف عن تاريخ تونس، من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، تر: محمد الشاوش ومحمد عجينة، ط3، دار سراس للنشر، تونس، 1993، ص ص 37-38.

[4] نفسه، ص ص 37-38.

على الخطاب باللغة البونيّة في الشمال الغربي خصوصاً حتى نهاية العهد الروماني، ومن خلال التشبث بالأسماء البونيّة وبأنماط الهندسة المحليّة في فنّ المعمار، وفي المكائل والمقاييس[1].

فقد استمرت اللغة اللوبية بالرغم من عمق الرومنة وتغلغلها حيث وجد رصيد من الأسماء اللوبية البونيقية القديمة، بل اننا نلاحظ منذ نهاية القرن الثاني أن بعض الأسماء الأفريقية القديمة قد وقع احياؤها وذلك برجوع النخبة لتقاليد البلاد وعاداتها. فكأن البرجوازية الرومانية الأفريقية منذ زمن معين شعرت بالثقة في النفس وأدركت مالها من خصوصية وقوة فأصبح بامكانها العودة إلى التقاليد المحلية دون حرج، وغدت قادرة على أن تظهر تلك التقاليد على رؤوس الملأ ولاء كانت تخفيه حتى ذلك الوقت كل الاخفاء وراء مظاهر الاستقامة والانضباط في صلب المجموعة. وقد يكون وجد لدى النخبة بعض الشعور "بالوطنية": مثلما سنلاحظ ذلك في كتابات الأدباء المغاربة[2].

المبحث الثالث: الحياة اليومية في الحواضر: مرت بلاد المغرب القديم بمراحل إعمار متوالية من مرحلة ما قبل التاريخ إلى عهد الدولة القرطاجية وإشعاعها على الممالك النوميدية، ثم المرحلة الرومانية، وكانت كل واحدة من هذه المراحل قد طبعت بلاد المغرب بطابع خاص، ولكن الفترة الرومانية كانت أكثر تأثيرا لامتدادها الزمني الطويل(146ق.م-431م) ولما حملته من عناصر حضارية ومعمارية جديدة[3]. حيث حرصت السّلط الرومانية على تكثيف شبكة المدن في مختلف أنحاء المغرب القديم، مع العلم أن الرومان في بداية التعمير اختاروا نفس المواقع التي اختارها الفينيقيون والقرطاجيون لإنشاء مدنهم[4].

---

[1] - عمّار المحجوبي، المرجع السابق، ص 139.

[2] محمد الهادي الشريف، المرجع السابق، ص ص 37-38.

[3] على هذا الأساس فإن نموذج المدينة الرومانية التي هي خلاصة نماذج المدن الفينيقية والإغريقية قد أصبحت تشكل أفضل أنواع التنظيمات العمرانية، وهو ما أدى إلى تدهور بقية النماذج وذوبانها التدريجي، وذلك حسب درجة تأثرها بالحضارة الرومانية في الأقاليم الخاضعة للسلطة الرومانية ولكن يمكن القول أن المدينة في بلاد المغرب القديم ليست اختراعا أجنبيا كما تريد بعض الأطروحات المغرضة، وإذا كانت المدينة في بلاد المغرب متفتحة على حضارات أخرى أثرتها في مراحل لاحقة، فإن نواتها وقاعدتها المجتمعية ظلت دائما ليبية نوميدية أهلية. ينظر: محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع، المرجع السابق، ص 41؛ شافية شارن، بلقاسم رحماني، محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص 202

[4] لقد جاء في العديد من الدراسات العلمية أن الرومان لم يدخلوا المنطقة وهي خالية من المدن، بل بالعكس عندما جاءوا وجدوا عددا كثيرا من المدن، وكان السكان يعرفون الحياة المدنية سواء على الساحل أو في الداخل. ينظر: عبد القادر بوعزم، الحياة في ساحة الفوروم بمدن أفريقيا الشمالية خلال العهد الروماني، مجلة عصور، عدد 16، مخبر البحث التاريخي مصادر وتراجم، وهران، 2010، ص 245.

ولقد أثبتت الدراسات الأثرية الحديثة التي أجريت في تلك المواقع المستوطنة قديما، تواجد طبقة البناء الرومانية فوق الطبقة الجيولوجية الموريطانية التي تقع بدورها فوق الطبقة القرطاجية، وذلك أن عملية اختيار المواقع، كانت تتفق مع القادمين الفينيقيين الأوائل من حيث صلاحية المكان، وتوافقه مع الأهداف الاقتصادية والمستلزمات الدفاعية[1].

وذكر في كتاب الاحتلال الاستيطاني وسياسة الرومنة أن بلين الكبير حاول تمجيد روما عن دورها تجاه شعوب العالم حين قال:"**إن إيطاليا هي أم بقية أراضي العالم، لقد اختارها الإله لجعلها السماء الأكثر لمعانا، وجمعها الإمبراطوريات المنتشرة، ولتلطيف العادات ولاقتراب اللغات المختلفة والمتوحشة لمختلف الشعوب، ولإعطائها للبشر القدرة على التفاهم وبعبارة واحدة لتصبح الموطن الأوحد لجميع أمم العالم**"[2].

حيث عمل الرومان على إنشاء مدن[3].كان الغرض منها نشر الحضارة الرومانية أو كما أراد لها أغسطس أن تكون منارات إشعاع للثقافة والفكر الرومانيين، وطبع بلاد المغرب بطابع الحضارة الإيطالية.

وأمام كثرة المدن الرومانية القديمة، أو الشبه رومانية، فإن عدداً من الدراسات الحديثة ذهبت إلى التأكيد على أن الثروة الإفريقية في العهد الروماني، كانت ترتكز أساساً على مهنة الفلاحة، وهذا العنصر الاقتصادي هو الذي أدى إلى استقرار المعمرين، حيث بنوا المنازل، واقتدى بهم الأهالي، وقلدوهم في حياتهم وفي بناء مساكنهم في المدن، أو في المزارع والحقول، وحسب هذه الدراسات، فإن ذلك يعد السبب الأساس في وجود مدن كثيرة بالمغرب القديم ذات الطابع المعماري من النوع الروماني، يضاف إلى ذلك المزارع والمداشر والقرى، ووجود منازل كثيرة بجميع ما يتبعها من المرافق مثلما كان يوجد في روما في العهد الإمبراطوري[4].

---

[1] شافية شارن، بلقاسم رحماني،محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص 195.

[2] نفسه، ص 169.

[3] المدن: هي العناصر المهمة لجميع الحضارات، وإن الثقافات تحقق أرفع مستوياتها ويعبر عنها من خلال المدن. ينظر: سعيدة مفتاح، تأثير الحضارات القديمة في التخطيط العمراني للمدن، آراء ودارسات في التاريخ والآثار القديمة، أشغال الندوة العلمية المنعقدة بالمدرسة العليا للأساتذة، الجزائر، 2011، ص 294.

[4] شافية شارن، بلقاسم رحماني، محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص. ص (169 ، 196)

وقد كان وصول أفريقيين(السيفريين[1] والقورديين) إلى العرش الإمبراطوري الروماني، انعكاس على بلاد المغرب القديم في إنشاء الكثير من المنجزات العمرانية الهامة، حيث لعبت الهيئات البلدية دوراً هاماً في ترقية المدن وتزويدها بالمرافق الضرورية في حياة المجتمع الروماني[2].

تساعد الآثار التي اكتشفت حتى الآن في تحديد المميزات الأساسية للمدينة الرومانية، فهناك أولا الطريقان الكبيرتان (Cardo mascimus) المحور شمال جنوب و(Decumanus mascimus) المحور شرق- غرب مع ميدان أو عدة ميادين بالقرب من تقاطعهما والعديد من المباني، المخصصة للإدارة، مقر المجلس البلدي (curia)، محكمة المدينة(basilica) التي كانت تفصل في المنازعات وتناقش المسائل التجارية، والمعابد حيث كانت توجد المعبودات التي ترمز إلى الآلهة جوبيتير، جونون، ومينيرف على الخصوص.[3] وتوجد بالقرب من الساحة (الفوروم) الحمامات المركزية (thermae)، وسوق المدينة(macellum) وفي كل مدينة متوسطة الحجم تبرز للعيان نصف دائرة مدرج المسرح (theatrum) والشكل البيضاوي لمدراج المسرح الدائري (amphitheatrum)، كما توجد في المدن الكبرى حلبة مستطيلة الشكل لسباق العربات (circus) والأحواض التي تتدفق فيها المياه، وأقواس تحاكي أقواس النصر، وغيرها من المرافق، التي أقيمت لزخرفة المدن وتزيينها.

سجلت الحياة المادية تطوراً واضحا في الولايات الإفريقية التي كانت تحت الحكم الروماني، وتم إحصاء خمسمائة مدينة على الأقل في بلدان المغرب قاطبة، وجد منها مائتان في ولاية البروقنصلية وحدها إضافة إلى ولايات نوميديا وموريتانيا القيصرية وموريتانيا الطنجية[4].

---

[1] عائلة (Sévèrus) عائلة مغربية لوبية، آل إليها عرش الإمبراطورية الرومانية خلال القرن الثالث حيث استطاعت أن تحتفظ بتاج الإمبراطورية ردحا من الزمن (197-235م) وأن تحدث تغييرات جوهرية في تاريخ الإمبراطورية الرومانية، أهمها: دستور "كراكلا"، الذي أنزل ولو نظريا جميع أحرار الإمبراطورية منزلة مساوية للعنصر الروماني السيد بمنحهم حق المواطنة الرومانية، وبذلك أصاب كراكلا عتو الارستقراطية الرومانية في الصميم، وأحبط من شأنها، فكان عهد السفيريين الأفارقة آخر حلقة في سلسلة التطور الذي بذل الأنطونيون في سبيله جهوداً مضنية، وقد أسهم سبتيموس سيفيروس بنصيب وافر في هذا السبيل، وكان عهد خلفائه بداية السير بالإمبراطورية نحو المصاعب والتدهور وهذا ما ميز نهاية القرن الثالث. ينظر: محمد البشير شنيتي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب، المرجع السابق، ص 16.

[2] محمد العربي عقون، الاقتصادي والمجتمع، المرجع السابق، ص 261.

[3] محفوظ قداش، المرجع السابق، ص 192.

[4] شافية شارن وأخرون، المرجع السابق، ص 197.

أولا– المنشآت الرومانية في حواضر المغرب القديم: عملت السياسة الرومانية للنهوض بأعباء الوظائف العامة في المدن على توفير وسائل تساعد على تطور المدينة، حيث كانت تعمل على إبراز مظاهر الحضارة الرومانية بمختلف السبل، وقد تجلى ذلك في إقامة المرافق الاجتماعية المختلفة: كالحمامات والأسواق والنافورات والمعابد والمسارح في المدن المغربية، يرجع عدد من الباحثين ذلك إلى روح المنافسة بين الأعيان[1].

وكان أعلى المناصب المدنية –في أي مدينة– هو منصب الحاكمين اللذين كانا يتوليان منصبهما لمدة خمس سنوات وقد عرفا باسم(Douvi quinquennalis)، وكانا مسؤولين عن الإحصاء العام للسكان الرومان، وحق الإشراف على كل المنشآت المختلفة المقامة في المدينة، زيادة على مسؤولياتهم المدنية والإدارية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ومن أهم هذه المنشآت التي أقامها الرومان في بلاد المغرب:

1)– المؤسسات الدستورية: يمكن تصنيف المؤسسات التي اشتملت عليها معظم مدن بلاد المغرب خلال العصر الروماني – والتي تعكس بصدق كافة مظاهر المدنية الرومانية من عناصر معمارية تنبئ عن الحياة الرومانية الإجتماعية في كافة مظاهرها– في ثلاث مؤسسات رئيسية مهمة كان لها الدور الأكبر في إدارة وضبط الحياة السياسية مما انعكس إيجابياً على مظاهر الحياة العامة ومن أهمها:

أ) الساحة العامة (الفوروم): يعتبر الفوروم محور الحياة الاجتماعية في كافة المدن الرومانية[2]، وهو عبارة عن ساحة واسعة خالية من المباني، وهي مكشوفة في الهواء الطلق، كما كان يطلق هذا الاسم على ساحات الأسواق في الأرياف، والتي كانت مكانا يجتمع فيه سكان عدد من القرى قبل تنظيمها في شكل مدينة، وحتى يكون الوصول إلى هذه الأسواق سهلا كانت تقام بالقرب من طرق المواصلات، وبما

[1] إن ظهور المدن القديمة كان منطلقها الأساس مجتمعات محدودة الانتشار اقتصاديا وجغرافياً، وبالتالي قليلة التضامن فيما بينها ومتفاوتة الإمكانيات الاقتصادية التي كانت قائمة على أساس الملكية الفردية المختلفة أيضا، مما دفع إلى إتباع أسلوب التخفيف من حدة هذه الفروقات الاقتصادية بين أفراد مجتمع المدينة الواحدة، حيث تحمل الأغنياء عبء بناء المرافق العمومية، وبمرور الوقت أصبح ذلك العطاء والبذل يمنح صاحبه سلطة معنوية وقانونية تصل به إلى مرتبة الحكام، ولكي يستمر في المحافظة على منزلته هذه عليه الاستمرار في البذل والعطاء ومع مرور الزمن أصبحت هذه الخدمات واجبات على الأغنياء. ينظر: شافية شارن وأخرون، المرجع السابق، ص 201.

[2] أحمد محمد أنديشه، الحياة الاجتماعية في المرافئ الليبية، المرجع السابق، ص 280.

أن السكان كانوا يتجمعون هناك في أوقات أسبوعية منتظمة، أصبح من السهل الاتصال بهم فصارت هذه الأسواق في نفس الوقت مكانا للاجتماعات، أي مركز الحياة السياسية للسكان المجاورين قبل دخولهم في نظام المدينة[1].

هكذا أصبحت هذه الساحات مكان تجمع سكان الإقليم المجاور، محاطة بالمباني العمومية والدكاكين، وتزينها عادة أقواس، وتؤدي إليها سلالم، وكانت تحمل عدداً من النصب الشرفية كتماثيل الأباطرة وسادة المدينة، ويمكن أن يكون للمدينة أكثر من فورم وأحد، وهو شأن خميسة وجميلة، والفوروم الحقيقي في هذه الحالة هو الذي يوجد فيه مقرا اجتماع المجلس البلدي[2].

تعتبر الساحة العامة عند الرومان، المنتدى الجماعي الذي يلتقي فيه الناس يوميا لممارسة مختلف النشاطات اليومية: كالتجارة، تبادل الأفكار والأخبار، كما تعتبر المكان المناسب للترويح عن النفس ومعلما أساسيا للمدينة الرومانية، باعتبارها رمز ومحور الحياة العامة للسكان.

وفي هذا السياق عرفها "روني كانيا" في كتابه " قرطاج، تيمغاد، تبسية، والمدن القديمة في شمال إفريقيا:" **أنها مكان للمبادلات التجارية، عقد الصفقات ومكان التقاء الناس في أوقات فراغهم، وكان القضاة أو الحكام يعقدون فيها اجتماعات المجلس البلدي فوق المنصة، وفي هذا المكان كان القضاة يقومون بأداء اليمين القانونية**"[3].

أما شروط بناء الساحة العامة عند الرومان، فتتمثل فيما يأتي:

1) اختيار موقع استراتيجي ومحوري في آن واحد.

2) تبنى الساحة العامة وسط المدينة حتى تكون المحور الرئيس لمختلف النشاطات الاقتصادية، السياسية، الدينية، والفكرية[4].

وهكذا ولأجل هذه المهام الاجتماعية، فقد حظيت المدينة الرومانية باهتمام الكتاب القدماء،

---

[1] عبد القادر بوعزم، المرجع السابق، ص 246.

[2] محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي، المرجع السابق، ص 214.

[3] (R) Cagnât, Op-cit, P.62 .

[4] (L) Homo, Rome impériale et l'urbanisme dans l'antiquité, édition Albin Michel, Paris, 1951, P.7.

حيث وردت في مراسلات مكسيم المادوري (Maxim de Madaure) التي تبادلها مع القديس أوغسطين (Saint Augustin)، منها الرسالة السادسة عشر التي أرسلها مكسيم سنة 390م جاء فيها: « **AT VERO NOTRAE URBIS FORUM... SALUTARUIM NOMINUM FREQUENTA POSSESSUM NOS CERNIMUS ETPROBAMUS**. »[1]

ترجمة النص: "...**نحن جد سعداء بالساحة العامة لمدينتنا، التي تحتوي على تماثيل كثيرة للآلهة الحامية للمدينة...**" ورداً على مراسلات مكسيم، كتب القديس أوغسطين رسالة في نفس السنة 390م جاء فيها: « **ET IN ISTO FORO RECORDA DER.... ESSE IN DUOBUS SIMULAGRIS UNUM MARTEM NUDUM ALTERUM ARMATUM QUORUM DAEMONIUM INFESTISSI MUS CIVIBUS PORRECTIS TRIBYS DIGITIS CONTRA COLLDCATA STATUM HUMANA COMPRIMERT** »[2]

ترجمة النص:"**أتذكر تمثالين للإله مارس (Mars) جيداً، اللذين وجدا في الساحة العامة، أحدهما كان عاريا والآخر بالزي العسكري ومسلحاً، ويقابل التمثالين تمثال آخر يأخذ الشكل الآدمي ويشير بأصابعه الثلاثة البارزة إلى الإله الحامي للمستعمرة من الأرواح الشريرة**".

وهكذا كانت الساحة العمومية تعتبر المركز الحيوي والعنصر الأساس، وترمز وحدها لهذا الوجود المدني، فمن خلال النص يلاحظ الاهتمام بتزيين الساحة العامة وإنشاء تماثيل الآلهة لحمايتها.

ب)– المجلس البلدي (الكوريا): إن الهدف من تناول المجلس البلدي بالحديث هو توضيح وظيفة إحدى طبقات السكان ألا وهي الطبقة الأرستقراطية التي كانت تشكل المجالس المحلية أو البلدية التي

---

[1] Péronne, Vincent, Ecall, Charpentier, Barreau (H), Oeuvres Complètes de Saint Augustin, (traduites et annotées en Français, textes de l'édition de bénédictions), Tome IV, lettre XVI, Paris, 1873, P.275.

[2] Ibid, Lettre XVII, P.276.

نشأت في المدن الرئيسية والدور الذي قامت به لخدمة المدن التي تنتمي إليها، ومدى تفاعل هذه الطبقة الرومانية والإستفادة منها على المستويين العام والخاص. حيث ساهمت إفريقيا الرومانية برجال من مستوى رفيع في مجلس الشيوخ الروماني والإدارة المدنية والجيش الإمبراطوري، فضلاً عن مساهمة رجال من المدن الأفريقية في الأدب اللاتيني مثل أبوليوس وفرنتون السيرتي[1].

ومنذ بداية السيطرة الرومانية الفعلية حرص الرومان على استغلال الطبقة الأرستقراطية المحلية في تسيير دفة شؤون الحكم في مناطقهم في اتجاه مصلحة الرومان وسياستهم العامة[2].

ج) محكمة المدينة (البازيليك): اسمها مشتق من الكلمة اليونانية (Stoobasilic) أي القاعة الملكية، وأول بازيليكا كانت في القرن الثاني ق.م، وفي العهد الروماني كانت عبارة عن مباني عامة للتبادل التجاري والعدالة، توجد بالقرب من الفوروم[3].

وتعد المحكمة إحدى المرافق العمومية المتعددة الوظائف في المدينة، فهي مكان شيد حتى يكون مقر للحكمة، حيث يستقبل المتقاضين من قبل القضاة ويتم إصدار الأحكام، كما كانت في نفس الوقت مكان تجمع مدني (Forum popula) ، حيث تنعقد الجمعيات الشعبية والجمعيات الناخبة (Comices) وتقام عمليات الإحصاء(Cens) وكما قال دوبرا (M.Duprat) عن كتاب بيار كاستال: "**كانت محكمة وبورصة ومكان مسامرات وتجول، كانت مبنى فتوحا للجميع للتاجر والصيرفي والمحامي والقاضي والمتقاضي ومكان للمقاضاة أو عقد صفقات**"[4].

من خلال النص يبدو أن البازيليكات ساهمت في خدمة الحياة الاجتماعية، وساعدت على إثراء النشاط الفكري والاجتماعي والوعي القانوني بين السكان على اختلاف عناصرهم وطبقاتهم وتحقيق مبدأ العدالة بينهم[5].

وكانت تبنى بشكل مستطيل وتتكون من ثلاثة أجنحة، وينتهي كل جناح بمحراب سقفه علـــى

[1] أحمد محمد أنديشه، الحياة الاجتماعية في المرافئ الليبية، المرجع السابق، ص 284.

[2] نفسه، ص 285.

[3] عزت زكي حامد قادوس، تاريخ عام الفنون، دار المعرفة الجامعية ومنشأة المعارف الإسكندرية، 2001، ص 238.

[4] بيار كاستال، حوز تبسة، تع و تح، محمد العربي عقون، مطبعة بغيجة حسام، 2010، ص 145.

[5] أحمد محمد أنديشه، الحياة الاجتماعية في المرافئ الليبية، المرجع السابق، ص 301.

شكل نصف دائرة. وفي الفترة المسيحية تحولت كثير من البازيليكات إلى كنائس وأصبحت لها وظيفة دينية بعد أن كانت مركزاً اجتماعياً وتجاريا في عهد الوثنية[1].

وأهم نموذج على هذه الكنائس، كنيسة تبسة التي تتواجد على بعد خمسمائة متر من قوس النصر كركلا باتجاه الشمال خارج المدينة، وهي من النماذج الأكثر اكتمالا، فهي خارجيا تتكون من ثلاثة أقسام بارتفاع غير متساو، والقسم المركزي فيها أكثر ارتفاعا من الأروقة الممتدة بواسطة جدار مفتوح بنوافذ.

أما داخليا: الكنيسة مقسمة طوليا بأعمدة، تحتوي على صحن وجوانب منخفضة، معزولة كل واحدة عن الأخرى بواسطة حواجز.

وبنيت الكنيسة الأولى على شرف القديسة المسيحية كرستينا سنة 305م بقرار من القديس أوغسطين، وهناك الكنيسة الكبيرة التي تحتوي على قاعدة الأعمدة والساحة الداخلية وبيت الكاهن[2].

2)– الأسواق والمنازل: أعالج في هذا العنصر:

أ)– الأسواق: تتضح الحياة العامة أكثر بالحديث عن الأسواق، حيث أوضحت الاكتشافات الأثرية أهميتها الكبرى لأنها وجدت في مختلف المدن في الفترة الرومانية، ودورها في تجارة واقتصاد سكان المنطقة، حيث أوضحت هذه المصادر أن الأسواق (Nundinae) كانت تفتح في المراكز الريفية[3] في مختلف أيام الأسبوع، وفي القرى لعرض السلع التموينية (Macellam) في موقع يتكون من ميدان محاط بأروقة تنفتح عليها دكاكين مختلف التجار، وقد عثر على عدد من هذه المواقع، حيث أقيمت مجموعة من الأكشاك المجهزة بمقاييس وموازين، ومكاييل موحدة، والتي كان يقوم بفحصها المشرفون على شؤون التموين المحليون أو المحتسبون (Aediles)[4].

---

[1] محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي، المرجع السابق، ص ص 214- 215.

[2] مها العيساوي، مدينة تبسة في العصور القديمة، المرجع السابق، ص 41.

[3] إن أغلب المدن النوميدية كانت أماكن تقام فيها أسواق مثل ماكوماداس (بالقرب من أم البواقي) التي كانت حسبه سوقا كبيرة ثم تطورت إلى مدينة، وكانت باجة سوقا للحبوب، وعرفت الأرياف التجار المتجولون منذ عهود قديمة، وفي الفترة الرومانية ظهرت الأسواق نصف الشهرية ينظر: محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع ، المرجع السابق، ص 50.

[4] شافية شارن وأخرون، المرجع السابق، ص ص 213-214.

وكانت الصفقات التجارية والمعاملات الأخرى تعقد في الميدان العام (Forum)، أو في الدكاكين والأسواق المسقوفة بالمدن التي تمتلئ بأصحاب البنوك، والصيارفة، وأصحاب الحانات وتجار الملابس، وتميزت هذه الأسواق في المدنية باحتوائها على أجنحة خاصة بالبيع عن طريق التفصيل، وأجنحة خاصة تمارس البيع بالجملة تقع في فضاء مسقف.

هذه الأسواق كانت تبدو في شكل ساحات تحيط بها دكاكين صغيرة للتجارة[1]، تقدم للسكان حاجياتهم اليومية، ويبدو سوق سرتيوس بتمقاد عينة نموذجية في هذا المجال ويمثل تحفة معمارية حقيقية، يطل على الديكومانوس الكبير بساحة طولها 25م وعرضها 15م تتوسطها نافورة، وتطل على الساحة محلات السوق وعددها حوالي سبعة في شكل نصف دائرة تعرض سلعها على مصارف عبارة عن صفائح من الغرانيت الأزرق الصقيل قائمة على ركائز حجرية صقلية علوها حوالي 1م[2].

لقد ظهرت على محاور الطرق مراكز ريفية، كانت تقام فيها أسواق نصف شهرية نونديناي (Nundinae) بترخيص إداري تستقبل الريفيين مثل: سوق كازاي بيقوين (CasaeBeguenes) شمال غربي سبيطلة وسوق عين أمشيرة وسوق فوسفوري شرقي سيقوس وسوق بني زياد (Castellum Mastarenses) وسوق تيديس (Castellum Tidditanorum)[3].

ويبرز دور الأسواق في الحياة اليومية للسكان، أنها كانت مركزا لتوفير المواد الاستهلاكية، ومركزا اجتماعيا وثقافيا، حيث يلتقي فيها مختلف السكان يتبادلون الأذكار ويناقشون مختلف قضاياهم مثلما كان عليه الحال في الأسواق الإغريقية وهنا يظهر تأثر الرومان بالحضارة الإغريقية.

ب) المنازل: نعالج في هذا العنصر أنواع المساكن التي وجدت في بلاد المغرب أثناء الاحتلال الروماني وذلك حسب الطبقات الاجتماعية منها:

– منازل خاصة بالطبقة الأرستقراطية: كانت المساحة التي تشغلها المنازل الخاصة بالطبقة الأرستقراطية الرومانية في المدينة أوسع بكثير من المساحة التي تحتلها المباني العمومية، ويبدو أن السكن القديم أهملت دراسته سوى من خلال الزخارف المعمارية التي تضمنتها بعض المساحات فيه، ونتيجة

[1] شافية شارن وأخرون، المرجع السابق، ص 214.

[2] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص ص 244- 245.

[3] محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع ، المرجع السابق، ص 84.

لذلك فإن منازل الطبقة المشار إليها آنفاً هي التي حظيت بالدراسة والكشف الأثري، في حين أن الآلاف من بيوت العامة لم تجلب انتباه الأثريين لقلة آثارها[1].

لقد عمم تصميم المنزل الأرستقراطي على مختلف المباني الخاصة في العصر الروماني، والمنزل باختلاف نماذجه وتنوع مواد بنائه ويقدم صورة تعكس الاستقرار والثبات للحكم السائد، حيث أنه عندما يصمم، كان يراعي الظروف المناخية والمتطلبات الاجتماعية لساكنيه[2].

أما المنزل الأفريقي، فإنه كان يعكس طبقة سكانه، ذلك أن الزخارف الفسيفسائية وجدران الرخام والأحواض والنافورات وحنفيات المياه، كانت تدل على أن المنازل لأفراد من الطبقة الغنية، وكمثال على ذلك دار الفارس بلوتيوس فوستوس المكنى بسيرتيوس في تاموقادي التي بناها على حسابه الخاص غرب المدينة وتقدر مساحتها حوالي 2500م^2، وكانت تغطي حيز منازل صغيرة عديدة (إنسولاي) وواجهتها تطل على الطريق الرئيس الشمالي الجنوبي (الكاردوماكسيموس)[3].

شهدت بقايا الفسيفساء على نوع آخر من المنازل عرفت بالقصور الريفية، والتي كان يقطنها كبار ملاك الأراضي، وتعكس حياة الطبقة الأرستقراطية من الرومان، وكانت هذه عبارة عن منازل كبرى واسعة الأرجاء، تزينها أقواس وأبراج وتتوسطها ساحة داخلية وتحيط بها حديقة، وفي نهاية المنزل يوجد إسطبل وغرف الخدم والعبيد[4].

– **المباليا:** وردت اشارات كثيرة في النصوص اللاتينية إلى المساكن المعروفة باسم ماباليا (Mapalia) المعروفة عند النوميد الرحل، إذ ورد ذكرها عند كل من فرجيل وتيتيوس ليفيوس وبمبنيوس ميلا ولوكان وبليني وسسليوس إيتاليكوس وتاسيتوس وكروبيوس[5]، وهي عبارة عن مساكن أبناء المجتمع المحلي من الطبقة الفقيرة التي خدمت الأرض، وتصنع من مواد قابلة للفناء[6].

ويذكر ستيفن غزال أن لفظ مباليا من أصل فينيقي أو لوبي. ففي عهد الإمبراطورية كانت توجد

---

[1] منير بوشناقي، المدن القديمة في الجزائر، ط1، منشورات وزارة الإعلام والثقافة ،الجزائر، 1978، ص 101.

[2] نفسه، ص 101.

[3] نفسه، ص 101.

[4] شافية شارن وأخرون، المرجع السابق، ص 224.

[5] فتيحة فرحاتي، المرجع السابق، ص 27.

[6] شافية شارن وأخرون، المرجع السابق، ص 224.

بمكان ما بقرطاجة طريق الأكواخ (Via Mapaliensis) ويظهر أن هذا المكان في العهد البونيقي كان قسما من ميكارا. ولربما أن الطريق سُميت باسم الأكواخ والأخصاص التي غالبا ما تكون مؤقتة، والتي يأوي إليها سكان فقراء[1].

ولا شك أن شكل المباليا كان يختلف من منطقة لأخرى ومن بناء لآخر، فقد كانت المباليا النوميدية أشبه بشكل القوارب المقلوبة، وكان يدعمها من الداخل عصي أو أعمدة خشبية مغروسة في الأرض. وبعض الأكواخ كان شبيها بالأفران ولعل هذا النوع هو الذي تظهر أشكاله في الفسيفساء التي اكتشفت في موقع "العالية" بتونس. وتمثل هذه الفسيفساء مشهدين من النيل ولكن فنان الشمال الإفريقي زين المشهدين بصور أكواخ من الواضح أنها كانت مباليا[2].

وقد عملت هذه الأكواخ بشد عدداً من العصي إلى بعضها البعض ثم وضع فوقها سقف من الأغصان المنسوجة. ويتخذ هذا السقف شكل مخروط يستطيل ويستدق عند نهايته العليا بشكل لافت للأنظار. ولعل الغاية من هذه النهاية المستطيلة المنحنية هو امتصاص الدخان[3].

وهنالك نوع آخر من المباليا كان جداره الدائري يتكون من الوتل، وسقفه المخروطي من القش المنسوج. ونستطيع بصورة عامة أن نصنف هذه الأكواخ إلى صنفين: الأول يشبه النوع الذي كان سائدا في منطقة طرابلس، وكانت مصطبته أشبه بالمقطع الطولي لخيارة، كما أن سقفه كان من الوتل وكان مقوساً أو منحنياً، والثاني هو النوع الذي يمثل في الشكل (47) وكانت مصطبته دائرية وسقفه مخروطياً[4]. مخروطياً[4].

3)–المرافق الترفيهية: كانت بلاد المغرب تتمتع بمرافق ترفيهية هامة تدل على رقي اجتماعي وحياة حضرية زاخرة بالفنون ومختلف الألعاب التي كان يتبرع بتنظيمها أعيان المدينة بمناسبة اعتلائهم وظائف القضاء البلدي.

[1] ستيفن غزال، المرجع السابق، ج2، ص 18.

[2] عبد اللطيف محمد البرغوثي، التاريخ الليبي القديم، المرجع السابق، ص.ص 124.123.

[3] نفسه، ص.ص 124.123.

[4] رجب عبد الحميد الأثرم، المرجع السابق، ص89.

أ) **الحمامات:** تعتبر الحمامات من المرافق الهامة والحيوية في المدينة الرومانية، فهي بمثابة مرآة تعكس تطور الحضارة الرومانية من خلال فساحة مساحتها وضخامة هياكلها.

أما عن أصل الحمامات فيعود إلى الحضارة الإغريقية، ثم استلهمه الرومان منهم مع إدخال عناصر جديدة في البناية، جعلت منها خاصية رومانية، حيث تركوا عليها بصماتهم وقدرتهم في الإنجاز، كتوفير وسائل الراحة[1].

أصل مصطلح (Therme) أي المؤسسات الحمامية شاع استعماله خلال الفترة الهيلنستية والرومانية في نهاية الفترة الإمبراطورية[2]، وقد أشتق من الكلمة اليونانية "ترموس " (Termos)[3] ومن بين الأسماء اللاتينية الأصلية الدالة على لفظ الحمام (Lavatories-Lavation-Lavatrina) أما التقسيمات المصطلحاتية الأخرى المتعلقة بلفظ الحمام فهي على النحو الآتي:

(BALNEAE-BALNEA-BALNEUM) وأصلها:

(BALNERIA-BALNEOLUM-BALNEALA)[4].

حيث يطلق مصطلح (BALNEA) على الحمامات الخاصة بالمنازل وهي ليست بحمام كامل، أما (BALNEA VIRILIA) فيطلق على الحمام الخاص بالرجال و(BALNEA MULIEBRIA) يطلق على الحمام الخاص بالنساء،[5] في حين يطلق مصطلح (THERMES) على (BALNEA) الأكثر تطوراً وهو بمثابة بناء حمامي يتضمن عدة وظائف متنوعة، ويقسم داخليا إلى حجرات وأحواض.

يبدو أن سكان المغرب القديم اهتموا بهندامهم ونظافة جسمهم قبل الاحتلال الروماني، لكن غياب الكتابات التي تشير إلى وجود مباني أو منشآت مخصصة لذلك الغرض قبل مطلع القرن الثاني للميلاد، حيث يرجع ظهور الحمامات الأولى بالمنطقة حسب المعطيات التي تعود إلى هذه الفترة، نذكر

---

[1] (A)Commaille, Les aqueducs des bains et des Thermes dans L'antiquité, Paris, P.22.

[2] يحي الشهابي، معجم المصطلحات الأثرية، فرنسي-عربي، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، ص 138.

[3] منى يونس نخلة، علم الآثار في الوطن العربي، منشورات جروس يونس، لبنان، ص. ص (165- 166).

[4] (P) .Gros, L'Architecture Romaine, desciem édition,2002, P.400.

[5] (P).Ripert, Dictionnaire d'archéologie, imprimé en France sur presse, 2002, P.439.

على سبيل المثال الحمامات التي عثر عليها "بتربة" (ACHOLLA) "وسيرتا" (CIRTA) مع حلول منتصف القرن الثاني ميلادي عرفت انتشارا واسعا.

لعل النقيشة التي نقشت عند مداخل الساحة العمومية لمدينة تيمقاد (THAMUGADI) أحسن دليل على ذلك الاهتمام الواسع الذي أولاه السكان للاستحمام، إذ يقول صاحبها "الصيد- الاستحمام- الضحك، هذه هي الحياة"[1].

فعلا تدلنا النقوش والبقايا المادية سواء التي عثر عليها صدفة أو التي كشفت عنها التنقيبات الأثرية على مدى انتشار الحمامات بشمال أفريقيا أثناء الاحتلال الروماني بحيث كانت لا تخلو منها مدينة أو قرية في ربوع بلاد المغرب القديم، فكانت المدن -حتى المتواضعة منها- حريصة على أن يكون لها حمام عمومي أو أكثر، وقد تم الكشف في لبدة على حمامات ترجع إلى القرن الثاني ميلادي[2]. ويمكن تصنيف الحمامات في شمال أفريقيا إلى أربعة أنواع هي:

1- الحمامات المعدنية: بنيت بأسفل منابع المياه المعدنية أو بالقرب منها، والتي كانت تدل عليها الأسماء التي أطلقت على المواقع التي وجدت فيها وذلك بإضافة كلمة (aquae) ومعناها المياه أو (Discina) بمعنى المسبح إلى اسم الموقع[3].

يمكننا انطلاقا من اسم الموقع إحصاء بعض الحمامات المعدنية التي بقى منها الاسم الدال عليها، مثل حمام بوحنيفية (aquae sirenses) ويوكس (aquae caesaris) وحمام ريغة (aquae calidae) وحمام الدباغ(aquae thibilitanae) وحمام الصالحين (aquae flavainae) بخنشلة[4].

---

[1] خديجة منصوري، الحمامات ببلاد المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني، التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري قسنطينة، 2001، ص 69.

[2] (P)Gros , OP-Cit, P.409.

[3] خديجة منصوري، الحمامات، المرجع السابق، ص 70.

[4] (S) Gell , Les monuments antiques de L'Algérie, ,Paris, Ancienne librairie thorin et Fils, Albert Fontemoine, 1901, PP 283-239.

2- حمامات الجيش: بنيت في المواقع العسكرية أو بالقرب منها، فبالإضافة أن وجودها كان ضروريا لارتباطها بنظافة الجسم، فإن الجند الأصحاء كانوا يجدون فيها ما يسليهم ويرفه عنهم، ويتمم المرضى فيها العلاج الذي يتلقونه، ومن أمثلة هذا النوع من الحمامات:

حمامات فيلق الساردبين الثاني بسور الجواب[1] (Rapidum)[2]، وحمامات كتيبة أغسطس الثالث بالمعسكر الكبير لمباز (Lambaesis)، وغيرها من الحمامات التي بنيت إبان حكم الإمبراطور سبتيم سيفر (Sepeteme Severe) سنة (193-211م) التي وصلت مساحتها إلى 2700م^2 تقريبا، بالإضافة إلى تزويده بملحق واسع وهو عبارة عن حمام ذو مخطط تناضري[3].

3- الحمامات العمومية: كانت توجد في كل مدينة وقرية، وأحيانا وجد بالمدينة الواحدة أكثر من حمام مثلا وجد في تيمقاد (Thamugad) ثلاث حمامات واسعة واحد بالجهة الشمالية للمدينة مساحته حوالي5200م^2، والثاني بالجهة الشرقية مساحته تقدر بحوالي 1600م^2، والثالث بالجهة الجنوبية قدرت مساحته بحوالي 2000م^2، علاوة على وجود 14 حمام صغير تتراوح مساحة كل واحد منها ما بين 400م 500م^2، كما عثر بشرشال (Caesarea) على بقايا ثلاث حمامات واسعة، وصلت مساحة أكبرهم إلى 8050م^2 وتقدر مساحة الحمامين الأخيرين بـ 2400م^2، أضف إلى ذلك ثلاث حمامات صغيرة[4] وإذا ما كانت جل هذه الحمامات مفتوحة طوال السنة، فإن غيرها كانت فصلية بعضها تفتح أبوابها للاستحمام في فصل الصيف وأخرى في فصل الشتاء، وتشير النقوش، إلى وجود حمامات الصيف بمجموعة من المدن نذكر من بينها مادور (Madouros) وتيديس (Tiddis).

4- حمامات الخواص: هي التي تكون بالطابق السفلي في منازل الأثرياء بالمدن ويقتصر فيها الاستحمام على أسرة صاحب المنزل وضيوفه فقط، ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا النوع من الحمامات لم

---

[1] (W)Saton , Le Secteur de la Rapideum sur limes de Mauretanie Cesariame après les fouilles de 1927, dans M.E.F.R, 45, 1928, P.165.

[2] بني معسكر سور الجواب (Rapidum) على بعد بعد35 كلم غرب سور الغزلان (Auzia) على طريق الليمس الذي يربطه بسهل الشلف، وكان مركز عسكري للفرقة السردية الثانية. ينظر: عبد القادر صحراوي، التحصينات العسكرية بنوميديا وموريطانيا القيصرية أثناء الاحتلال الروماني 46ق.م – 284م، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،2011، ص 46.

[3] (S) Gsell , Les monuments antiques de L'Algérie, OP, Cit, P.P.(283-239

[4] I Bid, P.63.

يكن في متناول الجميع لأنها مكلفة جدا، وقد لوحظت بقايا عدد كثير من هذه الحمامات نذكر منها تلك التي كانت موجودة ببعض منازل أثرياء مدينة تيمقاد.[1] وجميلة حيث عثر بهذه الأخيرة على حمامين خاصين أحدهما بمنزل كاستوريوس (Castorius) المعروف بمنزل الحمار نسبة لفسيفساء الحمار التي وجدت بداخله، والآخر بمنزل أوروب (Europe) نسبة إلى الفسيفساء التي تجسد اختطاف أوروبا، وقد عثر في هذين الأخيرين على حمامين أحدهما كبير خاص بأصحاب المنزل والثاني صغير يستحم فيه عبيدهم[2].

ب- طقوس الاستحمام: إن الذي شجع السكان في التردد على الحمامات، بغض النظر عما توفره ملحقاتها من وسائل الراحة والتسلية هو: السعر الزهيد للاستحمام، الذي كان يعادل آس واحد وهذا ما تؤكده نقيشة منقوشة على فسيفساء وجدت بحمامات خلفون بالقرب من سطيف والتي جاء فيها:**"حمام هني اليوم دفعت آس واحد وغدا سيكون مجانا أتشك في ذلك"**[3].

وكان للاستحمام طقوسه أيضا فهو يشتمل على مجموعة وسلسلة من العمليات تتوفر عليها قاعات الحمام العديدة لكل واحدة منها وظيفتها، حيث يبدأ المستحم من القاعة الأولى إلى الأخيرة[4]. فيبدأ الشخص بنزع ثيابه وتركها تحت الحراسة، وبعد ذلك يتوجه إلى قاعدة الحمام الدافئ (Tepiderium) ويبقى فيها لمدة زمنية حتى يتأقلم مع الحرارة ثم ينتقل إلى حمام البخار (Laconicum) وبعده إلى الحمام الساخن (Caldarium)، حيث يتخلص من عرقه ويرش الماء الساخن على جسمه ويفركه بواسطة كاشط (Strigile) هذه العملية كانت تحتاج إلى مساعدة إذ يستحيل أن يقوم بها الشخص لوحده، وبعدها ينتقل إلى قاعة الحمام البارد (Frigidarium) وفي الأخير قاعة التدليك (Elaeothesium)، والتي يتم فيها دلك الجسم بزيت الزيتون وبعض الدهون وذلك بغرض صحي وجمالي معا.

---

[1] (J) Lassus , Visite à Timgad, Alger, 1963, P.22.

[2] (J)Blas de Roblès et (C) sintes , Cités et monuments antiques de L'Algérie, Imprimé en Presse, 2003, P.104.

[3] خديجة منصوري، الحمامات، المرجع السابق، ص 70.

[4] زكي عزت قادوس حامد، مدخل إلى علم الآثار اليونانية والرومانية، مطبعة الحضري، الإسكندرية، 2005، ص. ص(191-192.

بعد الاغتسال والتدليك يتوجه المستحم حسب هوايته إلى متابعة النشاط الترفيهي الذي يميل إليه كالمطالعة، أو الاستماع إلى أحد الخطباء أو حضور نقاش في السياسة، أو الفلسفة وهي الأنشطة التي تخصص لها قاعات تتوفر على الترفيه والتسلية والاستراحة[1].

2) المدرجات(Amphitheatrum): هذا الاسم مشتق من الكلمة اليونانية (Amphi) بمعنى حول (Jueatron) أي المسرح، وهو عبارة عن مبنى ضخم. في شكل مستدير أو اهليليجي، وفي الوسط يكون الميدان (Arena)، وهو معد للمصارعة والملاكمة، والعراك بين المصارعين أو مع الحيوانات الضارية، ويحيط بالميدان جدار قصير يفصل بينه وبين مقاعد المتفرجين، ويعرف بالحاجز (Le podium)[2].

وفي القرن الثالث الميلادي، كانت مدن المغرب القديم، قد تجهزت بعمارة الألعاب التي تعتبر من بين مميزات الثقافة الرومانية، وذلك في محاولة من روما لتثبيت دعائم النظام البلدي[3].

والجدير بالملاحظة أن المدن المتقاربة من بعضها كانت توزع المرافق الترفيهية فيما بينها من أجل التقليل من الأعباء المادية، حيث تنجز مدينة مسرحاً وأخرى مدرجاً. وكانت الجماهير تتنقل ما بين هذه المدن لمتابعة العروض المختلفة[4]، وأهم مدرج أفريقي لا تزال آثاره تدل على الفخامة والأبهة هو مدرج ثيسدرة (بالقرب من مدينة الجم الحديثة)، وهو أفخم مدرج في كل أفريقيا شيد في عهد الإمبراطور الأفريقي قورديان في مدينة صغيرة، ولكنها ثرية بفضل إنتاجها الغزير من الزيت، تدل سعته على أنه أقيم ليتباهى به أبناء المدينة، وتنظيم مهرجانات وألعاب يفد إليها سكان المقاطعة الأفريقية[5].

---

[1] محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الأفريقي القديم، المرجع السابق، ص 267.

[2] شافية شارن، بلقاسم رحماني، محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص 216.

[3] رضا بن علال، الألعاب في المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، اشراف سعيد دلوم، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، السنة الجامعية 2010-2011، ص 217.

[4] (Ph)Leveau, Caesarea de Mauritanie, une Ville romaine et ses campagnes, Collection de L'école Française de Rome, 1984, P.250.

[5] محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع، المرجع السابق، 262.

أما مدرج قرطاجة فقد تم تشييده غربي بيرصة، كان يضم خمسين طابقا، بنيت فوقها خمس طبقات من الأقواس بعضها فوق بعض، وفي أعلى كل نافذة أو قوس عقد مستدير مزين برسوم تمثل أشخاصاً أو حيوانات، أو سفن منقوشة بإتقان[1].

وقد استخدم مدرج مدينة قرطاجة في عمليات إعدام النصارى (المسيحيين والمسيحيات) بالقائهم

(A) Mahdjoubi, les cités romaines de Tunisie, Tunis : S.T.D, S.D, P.75.
1

إلى الحيوانات المفترسة سنة 203م في عهد الامبراطور اكسندر ساغاروس[1].

والحقيقة فقد تميزت مدرجات قرطاجة والجم ولبدة بحسن الانجاز والتشييد، حيث تمكن المعماريون الأفارقة من التحكم في بناء عمارة الألعاب الضخمة، التي لم يكن يضاهيها سوى مدرج الكوليزيوم في روما وذلك اعتباراً من سنة 49 ق.م[2].

والحق فقد تم اكتشاف ما يزيد عن خمسين مدرجاً في المغرب القديم، أغلبها يوجد في مقاطعة البروقنصلية التي تجاوز عددها الثلاثين، حيث تم التعرف على ستة وعشرون مدرج كانت تنتشر في تونس الحالية لوحدها، بينما توزعت بقية مدرجات البروقنصلية على أراضي شرق الجزائر (تبسة) وإقليم المدن الثلاثة في ليبيا. إلا أن ذلك يبقى نسبيا فالاكتشافات الأثرية غالباً ما تمدنا بمعلومات عن منشآت كانت مدفونة تحت الأرض، ومع هذا فقد كان لاستقرار الرومان في المنطقة واستيطانهم لأراضي الدولة القرطاجية المنهارة سنة 146ق.م، دوره في نشر ممارسة المصارعة بين أهالي ما يعرف اليوم بتونس[3].

3) المسرح: اهتم الرومانيون كثيراً بوسائل اللهو والتسلية فكانوا يشيدون لهذا الغرض منشآت ضخمة، ولعل أهمها المسرح (Theatrum)،[4] وهو عبارة عن بناية دائرية الشكل يحتل قطرها ما نسميه عادة خشبة المسرح (La scène)، ولكنها في تلك الفترة كانت مبنية بالحجارة، وتحتل المصاطب (les Cavea) نصف الدائرة، وكان المسرح يستعمل لتمثيل الروايات من نوع المآسي (Tragédies)، والروايات الهزلية (Comédies)[5]، وتقديم أرقى الأعمال الأدبية تمثيلا وغنـــــاء، ومنصة للتعبير الحر وتثقيف الشعب الروماني[6].

---

[1] Robert (L), Une vision de Perpétue martyre à Carthage en 203, CRAT, 1982, P.P. 228,276.

[2] رضا بن علال، المرجع السابق، ص،ص 226، 227.

[3] رضا بن علال، المرجع السابق، ص،ص 226، 227.

[4] لم يتطور المسرح الروماني إلا في القرن الثالث ق.م وقد ارتبط هنا المسرح بالحفلات الدينية حيث يذكر تيتوس ليفيوس أن الألعاب المسرحية أقيمت لأول مرة سنة 364 ق،م وكان الغرض منها إبعاد وباء الطاعون الذي أهلك الكثير من سكان روما. ينظر: Tite Live , VII, 2,1.3.

[5] شافية شارن، بلقاسم رحماني، محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص 214.

[6] محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع، المرجع السابق، ص 262.

ليست لدينا معلومات أكيدة بخصوص اهتمام النوميد والمور بالمسرح في الفترة التي سبقت احتلال الرومان للمغرب القديم، كما أننا نفتقد إلى الدليل الأثري الذي يؤكد هذه المعطيات، غير أن اهتمام الملوك النوميد بتحصيل الثقافة الإغريقية في كل من نوميديا وموريتانيا، وكتابة العاهل يوبا الثاني مؤلف من سبعة عشر كتابا يتناول فيه تاريخ فن المسرح[1]، واستقدام هذا الملك لأحد المعتوقين الإغريق يدعي أنتيوس أمفيو (P.Antius amphio) بغرض بناء مسرح مدينة قيصرية. هذا يدفعنا إلى الاعتقاد بمعرفة أهالي المغرب القديم للمسرح قبل منتصف القرن الأول ق.م، وما اتضح من خلال احتكاكهم باليونانيين في الفترة التي سبقت استقرار الرومان في شمال أفريقيا واستيطانهم لأراضيها.

ويبدو أن عمارة المسارح كانت قد عرفت أوج ازدهارها خلال العهد الإمبراطوري وقد تمكن الأثريون من التعرف على خمسين مسرحاً تقريبا موزعة على مقاطعات المغرب القديم، حيث انتشرت المسارح في موريتانيا القيصرية بدليل تلك الموجودة بشرشال وتيبازة وآثارها الباقية حتى الآن شاهدة على ذلك.[2]

على الرغم من احتفاظ المصادر الأدبية بوصف شكل مسارح دلس، روسيكاد، وتبسة، إلا أن آثارها اختفت، في الوقت الذي يعود فيه تاريخ تشييد مسرح هيبوريجيوس (عنابة حاليا) إلى القرن الأول الميلادي، فإن تاريخ تشييد مسارح تيمقاد وكويكول يعود للقرن الثاني الميلادي، أي أثناء حكم الإمبراطور هدريانوس و أنطونينوس.[3]

والملاحظ أن مسرح مدينة قرطاجة قد حقق مجدها خلال القرنين الثاني والثالث الميلاديين، في الفترة التي كانت فيها ألعاب المسرح مزدهرة، ويعود تاريخ إنشاء هذا المبنى إلى عهد الإمبراطور أوكتافيوس أغسطس.

وقام سكان صبراتة ببناء مسرح المدينة مع نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث للميلاد، ويعتبر مسرح لبدة أكبر ما بني من هذه العمارة في المغرب القديم، من قبل أحد أعيان المدينة يدعي حنبعـــــل

[1] (J) Blas de Roblès et (C) Sintes ,OP.Cit, P.P.(33,34).

[2] رضا بن علال، المرجع السابق، ص 256.

[3] المرجع نفسه، ص 258.

تبابيوس روفوس (Annobal Tapapius Rufus) في السنة الأولى للميلاد[1].

يؤكد كل من الباحثين("Gilbert Charles picard) و("Monica Baollom) أن نموذج المسرح الروماني قد عمم على كل النماذج التي وجدت بشمال أفريقيا ككل[2]. إلا أن ذلك غير ثابت، فمسرح مدينة قيصرية مبني بطريقة توحي إلى التأثر بتقنيات البناء اليونانية، حيث أسند إلى تل من أجل الاقتصاد في مصاريف البناء[3].(**ينظر، الشكل رقم: 31**).

شكل رقم 31: يوضح نموذج للمسر الروماني في بلاد المغرب القديم(مسرح تيمقاد)

نقلا عن: شنيتي، الجزائر قراءة في جذور التاريخ، المرجع السابق، ص 223.

[1] رضا بن علال، المرجع السابق، ص 263.

[2] أنوال طامر، حفريات المسرح الجزائري المسرح النوميدي في العهد الروماني، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ص 75.

[3] (P) Leveau , OP-Cit,P.33.

ويبدو أن أهالي تيبازة خالفوا التقنيات الهندسية اليونانية في تشييد المسارح، وحذوا حذو سكان مداوروش وصبراتة من حيث اعتمادهم على البناء في الأراضي السهلية، واستخدام القباب والأعمدة[1].

تذكر النصوص الأثرية الأفريقية تنظيم ألعاب مسرحية في مناسبات عديدة أهمها مناسبة إهداء النصب والتماثيل والمعابد والهياكل المقامة إجلالا للآلهة وأخرى احتفاء بالشخصيات النافذة مدينة ودينية.

كان التقليد الروماني ينص على أن تنظم الألعاب المسرحية – في حال برمجتها لتكون جزءا من الاحتفال الرسمي بأحد الآلهة– من قبل إيديلين في الخدمة بعد موافقة الأوردو البلدي الذي يمكن أن يقدم دعماً مالياً مع أن أغلب الألعاب المنظمة تكون بموجب وفاء بنذر أو وعد بهبة من قبل مرشح نجح في اعتلاء أحد مناصب القضاء البلدي[2].

يوم الإعلان عن تنظيم ألعاب وتمثيليات مسرحية يتوافد الناس على المسرح ويبدأ الحضور في أخذ أماكنهم، وتمتلء السلالم التي تتوسط المدرجات، كل يبحث عن مكان مناسب له وفي يده تذكرة المسرح (Tessera Theatralis) وهي عبارة عن قرص صغير نُقش فيه رقم مكان، وصف الجلوس(Cuneus) يعاينه عون مكلَّف (Dissignator) يرشد كلَّ من يصل إلى موقع مكانه واحترام تطابق رقم التذكرة مع رقم المكان والصفَّ وهي أرقام مسجّلة في المدرجات.

تخصص المدرجات العليا لجلوس النساء وهن يرتدين لباسا محتشماً (Calyptra) يغطي أعلى الجسم (الصدر والظهر) وفستانا فضفاضاً (Palla) بأكمام تجعل اليد حرّة الحركة وإذا كان الفصل حارا تستعمل المراوح (Flabella) من ورق اللوتس (Lotus) أو من ريش الحمام ويصطف الرجال في المدرجات السفلى وأغلبهم يرتدي التوجة (Toge) يكون شكلها حسب مقام صاحبها ومركزه الاجتماعي[3].

وقد وصفت العديد من المصادر الأدبية اللاتينية المسرحيات في تاريخ المغرب القديم، نذكر منها ما جاء على لسان لوكيوس أبوليوس الذي يشير إلى إحدى المسرحيات قائلا: "**كان هناك فتيان**

---

[1] (S) Gsell , Les monuments antiques de L'Algérie, OP- cit, P.P.(17-18).

[2] محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع، المرجع السابق، ص. ص (262- 263).

[3] محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع، المرجع السابق، ص 263.

وفتيات جميلات في رونق الشباب النظر، يرتدون ثيابا بديعة أخذوا يرقصون رقصة يونانية بخطوات رشيقة، ويقمن بأداء دوامة من الشكيلات الراقصة الرائعة فيشكلون مرة عجلة مستديرة، ومرة أخرى سلسلة منحنية، ثم يبتعدون بعضهم عن بعض ويشكلون مربعاً مفتوحاً، لينقسموا بعدئذ إلى مجموعات صغيرة، وما أن يعلن صوت النفير نهاية العرض، الذي تمثل في الغدو والرواح، والارتفاع والانخفاض والدوران في حلقة مستديرة، حتى أسدل الستار، وسحبت الأقمشة المزينة، وثم إعداد المنصة"[1].

يبدو أن الألعاب المسرحية في بلاد المغرب القديم شملت فنون متنوعة فبالإضافة إلى التمثيل كان يتم تنظيم رقصات منسجمة متناسقة تدل على براعة الفنان المغربي وإبداعه في الفن المسرحي.

وفي نهاية هذا الفصل يمكن استنتاج التحول العميق الذي أحدثه الوجود الروماني على الصعيد الاجتماعي المغربي الذي تحول من النظام القبلي القائم على تقاسم الأدوار وتبادل المنافع والحماية، إلى مجتمع خالياً من كل انسجام وتماسك وتلاحم. فيوجد المعمر الروماني (وأحياناً الأفريقي المترومن) يتمتع بثروة طائلة، ويتنعم في ضيعته بجميع أصناف الخيرات، ويوجد العبيد المحرومون من جميع الحقوق وكان نصيبهم التعب والشقاء والحرمان، ويوجد بالجبال المجاورة عددا كثيراً من أبناء البلاد حرموا من أراضيهم الخصبة، والمروج الخضراء، وهم يعلمون أنها كانت لهم ولآبائهم وأجدادهم، ولكنها افتكت وانتزعت منهم، فهذه كانت من بين الأسباب التي أدت إلى انهيار النفوذ الروماني، وبقدر ما يكون السمو والعظمة يكون السقوط والانحطاط، تلك سنة الله في خلقه.

إن ثراء مدن بلاد المغرب بالمرافق المختلفة دليل على الفوارق الاجتماعية بين سكان الحضر والأرياف، وقد فسح توالي الأجيال المجال لتلاقح الحضارات والأفكار في هذه المدن، وأن الحضر من أهلها قد اندمجوا بنسبة واضحة في الحضارة الرومانية، التي أصبحت واقعاً معاشاً وتأثروا بها وأثروا فيها بما كان لهم من حضارتهم المغربية، فلا يمكن لأي مدينة أن تعيش منعزلة على نفسها، وقد أَثْبَتُ في الفصول السابقة الاتصالات الحضارية بين سكان المغرب القدامى وغيرهم من شعوب البحر المتوسط قبل الفترة الرومانية.

كما تم إثبات وجود عدد من المدن تدل بقاياها على أن أصحابها كانوا يقومون بنشاطات

[1] لوكيوس أبوليوس، المصدر السابق، ص 276.

حيوية، وتعتبر المقابر والأضرحة شاهدا ودليلا على حضارة هذا الشعب، وعلى معتقداته، فالنمط العمراني المغربي كان موجودا من قبل وتأثر بالفينيقيين، وعلى أساسه قام العمران القرطاجي والروماني.

أما العمارة الرومانية في حد ذاتها كانت استمرارا ومواصلة ولم تكن منفصلة عما سبقتها من الحضارات ومنها العمارة الأتروسكية واليونانية والمصرية والأشورية، ثم أضافت عليها بعض التعديلات والتغييرات التي كانت تتماشى مع متطلباتها، فكانت عمارتها معبرة عن تلك الشخصية العسكرية الميالة إلى الحروب، وهذا ما جعلها تتسم بالعظمة وكبر الحجم، وكل هذه المظاهر العمرانية أسقطتها على مستعمراتها، فكانت بمثابة نماذج ثانية لما هو موجود في روما، والدليل على ذلك أننا نجد في بلاد المغرب نفس النماذج العمرانية الرومانية، منها ما هو خاص بالحياة العامة، ومنها ما هو ديني وترفيهي، ولا يمكن أن ننكر ما كان لهذه المباني من دور في نشر بعض مظاهر الثقافة الرومانية داخل المجتمع المغربي، حيث كان يتمركز النفوذ الروماني.

الفصل الثالث:

الصلات الثقافية المغربية الرومانية

المبحث الأول: الوضع اللغوي أثناء الاحتلال الروماني.

المبحث الثاني: التعليم وأهم المراكز الثقافية.

المبحث الثالث: أهم المثقفين المغاربة (أبولي مادور وفرنتون السيرتي أنموذجاً)

المبحث الرابع: الحياة الفنية.

تم إلحاق بلاد المغرب بالممتلكات الرومانية تدريجياً، ففقدت بذلك جميع مقومات السيادة والتميز الاجتماعي والاقتصادي، بل كاد سكانها يفقدون جميع معالم شخصيتهم الثقافية في خضم التغيرات الناجمة عن سياسة الرومنة، فالرومان كانوا من الشعوب المتحضرة، والفاعلة بما أخذوه عن الإغريق فكرياً وعمرانياً وفنياً، وما كسبوه أيضا من البلاد التي احتلوها، ومن هذا المنطلق فإن هذا الفصل سيتناول التأثيرات الثقافية المتبادلة بين الرومان وسكان بلاد المغرب ،لأن الجوانب الفكرية والثقافية لا تزال بكرا تحتاج إلى مزيدا من الدراسات الموثقة، وهناك حاجة ماسة إلى البحث لخوض هذا المجال المكمل للجوانب الاجتماعية الأخرى خاصة التعليم.

المبحث الأول: الوضع اللغوي أثناء الاحتلال الروماني: عملت روما على نشر اللغة اللاتينية في إطار سياسة الرومنة، التي وجدت في المدن المغربية بيئة خصبة للانتشار والرسوخ، وهذا في ظلّ خلو الساحة من منافسة لغوية حقيقية كما حدث في بلاد الإغريق[1]، لذلك اعتمدت اللاتينية كلغة رسمية في المحاكم والمجالس والمراسيم.

أولا- النقوش والكتابة اللوبية خلال الفترة الرومانية: عرفت تقنية النقوش التي عثر عليها العلماء[2] في المغرب القديم منذ عهد أغسطس (27ق.م/14م) بثلاث أنواع من الخطوط هي: اللوبية والبونية واللاتينية، وانعكس هذا التنوع اللغوي والخطي على المنطقة بوجود فئة متعلمة تقرأ وتكتب بهذه الكتابات.

فإذا كانت اللاتينية لغة وكتابة لها قواعدها النحوية والصرفية، فإن الكتابة البونية الجديدة ظلت متواصلة تفتقر إلى وجود إحصاء دقيق لعدد النقوش التي تعود إلى الفترة الرومانية على عكس الفترة السابقة التي قدر فيها عدد النقوش بحوالي 2500 نقشا.

أما النقوش اللوبية فقد قدرها شابو بحوالي 1100 نقشا، ثلثيها نقوش لوبية صرفة تعـــــود إلى

[1] محمد العربي عقون، الاقتاد والمجتمع، المرجع السابق، ص 276.

[2] علماء النقوش: هم الذين حققوا النصوص النقوشية اللاتينية والبونية واللوبية، أما بالنسبة للنقوش اللاتينية فقط، فهم كثيرون ونذكر منهم على سبيل المثال: ستيفان غزال وإرنست مارسي الضليعين باللاتينية، وأما البونية فنذكر منهم بيرتيي واللوبية نذكر فيدراب وروبو وشابو، وهؤلاء ساهموا بقسط وافر في التعريف بالواقع اللغوي في المغرب القديم عبر تاريخه العميق. ينظر: Salem Chaker, La situation linguistique dans le Maghreb antique, op - cit, P.25.

العهد الروماني[1]. وبالرغم من انتشار اللغة والكتابة اللاتينية في المغرب القديم كلغة للمعاملات الرسمية، فإن هذا ساهم في استمرار اللغة والكتابة اللوبية في المناطق الداخلية.

1)– أنواع الكتابة اللوبية في الفترة الرومانية: قسم الباحثون الكتابة اللوبية في فترة الاحتلال الروماني إلى أربعة أنوع[2] هي على الترتيب من ليكسوس إلى تاكاب (قابس حالياً):

أ– الكتابة اللوبية الماصيصيلية الغربية: كانت تنتشر في المنطقة الممتدة مابين طنجاي وفولوبيليس.

ب– الكتابة اللوبية الماصيصيلية الشرقية: وقد وجدت نقوشها في المنطقة الممتدة ما بين كارتيناي (تنس) وإيومنوم (تيقزيرت).

جـ– الكتابة الماصيلية: انتشرت هذه الكتابة في المنطقة التي تمتد ما بين تيقزيرت و توبور بوسيكوبور (تبرسق) والجم.

د– الكتابة الجيتولية: وجدت في المنطقة الممتدة مابين جنوب فولوبيليس إلى جنوب تاكاب وهي التخوم الصحراوية والصحراء، حيث كان الجيتول يتنقلون، وهي المعروفة في المصادر بالكتابة التيفيناغية[3].

الحقيقة أن الباحث يجد صعوبة في التعرف على لغة الأهالي أثناء العهد الروماني، لأن آثارها قليلة نظراً لانتشارها في مناطق دون غيرها، وهذا دليل على أن استخدام اللاتينية في الأرياف كان قليلاً[4].

2)– أنواع النقوش اللوبية: يمكن للباحث تحديدها في مجالين:

أ. النقوش المزدوجة(لوبية – لاتنية): يعتبر هذا النوع من النقوش الأكثر انتشارا في المغرب القديم، حيث استخدمت إلى جانب اللاتينية في المعاملات الرسمية، وهذا يعني أن الكتابة اللوبية استمرت تؤدي دورها الحضاري طيلة فترة الاحتلال الروماني. (**ينظر الشكل رقم:32، ص 474**).

[1] مها العيساوي، النقوش النوميدية في بلاد المغرب، المرجع السابق، ص ص138- 139 .

[2] Lional Galand , Les Alphabets Libyques, Ant, Afr, T..25, 1989,P72.

[3] مها العيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم، المرجع السابق، ص 472.

[4] Mansour Chaki, « La répartition des inscriptions libyques » REPPAL, T : IX, éd Institut National du Patrimoine, Tunis, 1995, P.107.

شكل رقم 32: يوضح النقوش المزدوجة(لوبية–لاتينية)

نقلا عن: شنيتي، الجزائر قراءة في جذور التاريخ، المرجع السابق، ص 110.

وقد وجدت النقائش المزدوجة اللوبية – اللاتينية موزعة كالآتي[1]:

1- نقيشة بجنوب شرق مدينة عنابة.

2- نقيشتان بجنوب غرب نفس المدينة "عنابة".

3- نقيشتان بشمال عزابة.

4- نقيشة بجنوب غرب قالمة.

5- نقيشة بشمال غرب سوق أهراس.

إن البحث في النقوش المزدوجة لوبية لاتينية يطرح قضايا عديدة أهمها إثبات الهوية المحلية من خلال تواصل استخدام الكتابة اللوبية في المناطق الريفية النائية[2].

[1] كلثوم قيطوني دحو، النصب الكتابية بنوميديا الشرقية، معرض "قرطن- سيرتا والممالك النوميدية"، في إطار تظاهرة قسنطينة عاصمة الثقافة العربية، وزارة الثقافة الجزائرية، الجزائر، من 16 أفريل إلى 31 جويلية 2015، ص 84.

[2] مها العيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم، المرجع السابق، ص 475.

ب. **النقوش الوحيدة في إقليم نوميديا:** يعرف هذا النوع بالنقوش وحيدة الكتابة، وهي غالبا عبارة عن نصوص لوبية صرفة يتضمنها النقش، وقد انتشرت بتركيز في منطقة نوميديا الشرقية ثم الموحدة[1]. وكان الأب شابو من المهتمين بهذه النقوش لذلك رتبها في **"مدونات النقوش اللوبية"**[2].**(ينظر الشكل رقم 33)**.

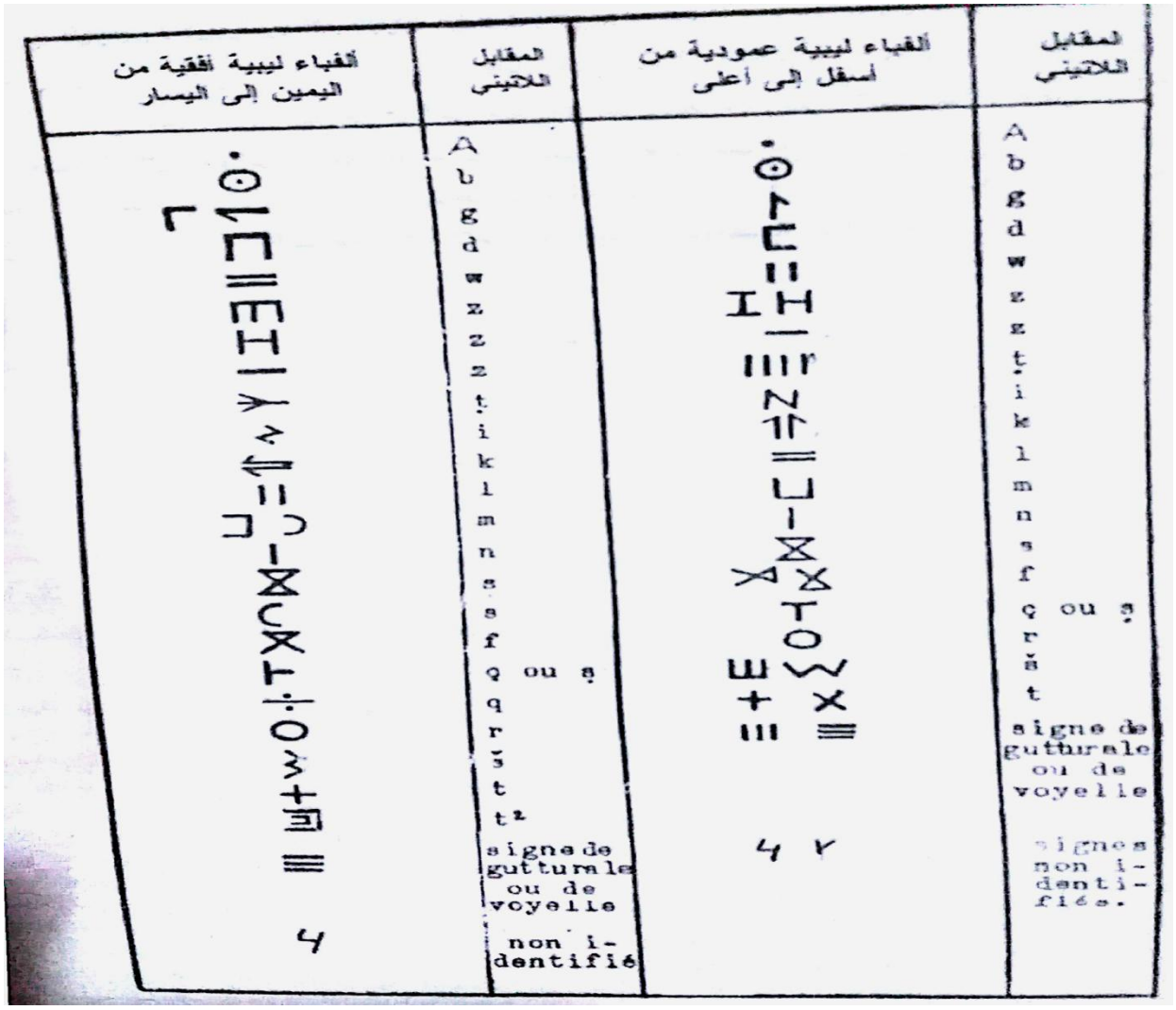

شكل رقم 33: يوضح الألفباء اللوبية من خلال شابو.

نقلا عن: عقون، الاقتصاد والمجمع، ص 210.

ثانياً– اللاتينية لغة الاحتلال الروماني: انتشرت اللغة اللاتينية كما انتشرت اللغة اليونانية ثم القرطاجية في بلاد المغرب وأثرت في اللوبية، وخاصة في الطبقة المتعلمة من سكان بلاد المغرب، حيث

[1] مها العيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم، المرجع السابق، ص 475.

[2] J.B Chabot, OP, Cit, P.8

شملت الحضارة الرومانية الجوانب المادية، وكذلك نشر الثقافة واللغة الرومانية بكافة الوسائل التي توفرت لهم في المجتمع المغربي، فهل تحقق ذلك بصورة عملية من جانب سكان بلاد المغرب؟ أم استمروا في استخدام لهجاتهم اللوبية والبونية؟

1)- ماهية اللغة اللاتينية وأطوارها: اللاتينية أو الرومية هي أصل اللغات الهندوأوروبية، يقال أنها متأصلة من السنسكريتية لها بعض العلاقات مع الإغريقية، وهي لغة إيطالية كانت متداولة أولا في سهل اللاتيوم (Latium)- وهو الجزء الأوسط من شبه الجزيرة الإيطالية- وفي مدينة روما القديمة ثم انتشرت عبر المتوسط وإلى جزء واسع من أوروبا بفعل التوسعات الرومانية[1].

لقد كانت اللاتينية تعتمد في قواعدها على ترتيب الكلمات ونقل المعنى من خلال نظام اللاحقة المتصلة بجذر الكلمة، وتعتمد أبجدية اللغة على الأبجدية الإتريورية، التي كانت بدورها تعتمد على الأبجدية اليونانية[2].

وقد مر تطور اللغة اللاتينية بمجموعة من المراحل يمكن للباحثة تحديدها فيما يأتي:

أ. اللاتينية القديمة: تشمل اللاتينية القديمة الكتابات اللاتينية منذ بدايتها وحتى نهاية العصر الجمهوري بروما، من سنة 240 إلى 70 ق.م تشمل كتابات إنيوس وفلاوتوس[3].

ب. اللاتينية الكلاسيكية: تمتد مرحلة اللاتينية الكلاسيكية ما بين 70ق.م و130م وتنقسم إلى عصرين: عصر ذهبي (70 ق.م إلى 14 م) ويشمل الكتابات النثرية ليوليوس قيصر وليفيوس بالإضافة إلى أشعار كاتولوس[4].

وقد تطورت الأساليب التعبيرية والبلاغية للغة اللاتينية بشكل متميز خلال العصر الذهبي الذي يعتبر أرقى عصورها، ويمتد العصر الفضي ما بين (14 إلى 130م). تمتاز اللغة الكلاسيكية باختلافات فونولوجية وأروثوغرافية بسيطة عن اللغة القديمة[5].

---

[1] الموسوعة العربية الميسرة، المرجع السابق، ص 1536.

[2] محمد عبد الكريم الرُّدَيْني، فصول في علم اللغة العام، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2007، ص 75.

[3] محمد بن رابح، بقاء اللغات وانتشارها، ط1، دار الأمل للنشر والتوزيع، عمان، 1999، ص 56.

[4] نفسه، ص ص 56 - 57.

[5] إبراهيم أيوب، التاريخ الروماني، ط1، المؤسسة العربية الحديثة، بيروت، 1996، ص 107.

ج. اللاتينية المتأخرة: تمتد اللاتينية المتأخرة من القرن الثاني الميلادي حتى القرن السادس (حوالي عام 636م)[1].

2)- عوامل انتشار اللغة اللاتينية في المغرب القديم: كان انتشار اللغة اللاتينية قليلاً جداً في نوميديا كما في موريطانيا إلى غاية النصف الثاني من القرن الأول ق.م، لقد كانت روما من حين لآخر تطلب من الملوك حلفائها بعض الجيوش المساعدة، غير أن عدد الرجال الذين كانت تتاح لهم هذه الفرصة ليتعلموا اللاتينية كان عددهم قليلا، أما التجار الإيطاليون الذين كانوا يأتون للتعامل، بل وحتى للإقامة في الموانئ وفي بعض مدن الداخل، فقد كانوا أصلا من أرض الإغريق الكبرى على الخصوص. وفي معملاتهم كان الأحسن لهم استعمال اللغة الإغريقية[2].

وبالرغم من ذلك فإن اللغة اللاتينية كانت معروفة عند الطبقة الحاكمة خاصة، ضمن العلاقات التي كانت تربطهم بروما في مجالات مختلفة في السلم والحرب، حيث كانت لماسينيسا علاقات وطيدة بالرومان استمرت طيلة عهد ابنه ميسيبسا، وجعلت يوغرطة يقف إلى جانب الرومان في حرب نوميديا[3]. هذا ما مكن الحكام من إتقان اللغة اللاتينية، حيث ألقى أدربعال خطابا في مجلس الشيوخ الروماني دون الاستعانة بمترجمين[4] نقله إلينا سالوستيوس ورافع يوبا الأول في نفس المجلس باللغة اللاتينية دون الاستعانة بمترجمين كذلك، وكان في المدن النوميدية جاليات رومانية من التجار خاصة في سيرتا[5]، وضم الجيش النوميدي في صفوفه جنود رومان ضمن فرق الجند المأجور[6].

وبعد احتلال بلاد المغرب انتهج الرومان سياسة تستهدف المواقع الريفية لنشر اللغة اللاتينية، لأن

---

[1] إبراهيم أيوب، المرجع السابق، ص 106.

[2] ستيفن غزال، المرجع السابق، ج6، ص 105.

[3] سالوستيوس، المصدر السابق، ص 80.

[4] من المرجح أن يكون خطاب أدربال باللاتينية، مع أن سالوستيوس لم يشر إلى ذلك، والأكيد أن اللغة اللاتينية منذ توطيد علاقة الأسرة الملكية الماسيلية بروما تكون قد نالت مكانة خاصة في البلاط الملكي النوميدي. ينظر: نفسه، ص 84.

[5] (F) Decret et (M) Fantar (M), OP, Cit.P.140.

[6] بلقاسم رحماني، أثر الاستعمار الروماني في الجوانب الثقافية والاجتماعية في بلاد المغرب القديم، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، مجلة علمية دورية محكمة تصدرها كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة-الجزائر،العدد الثاني، جوان 2009م، ص 305.

البدو أقل الجماعات اللغوية (Communauté linguistique) تعرضاً للتأثير والتأثر والأكثر تمسكاً بعاداتهم وثقافتهم. ولكن هذا الاستعمار فشل في سيطرته على المناطق المستهدفة مما دفع الرومان إلى طرد السكان من المدن نحو الأرياف والصحاري. وكان هذا يُدعى "المنجى التاريخي"[1]، والذي قد صان الأغلبية الساحقة من البربر من التكلم باللغة اللاتينية.

إلا أن المستعمر استطاع أن يثبت اللغة اللاتينية في المدن الكبرى ولو بشكل نسبي فما هي العوامل التي ساعدتهم على ذلك؟

أ.النظم الادارية والقانونية: فرضت اللغة اللاتينية في المحاكم والمجالس والقرارات والمراسيم والمراسلات الادارية والاتفاقيات التجارية[2]، وبالتالي ساهمت الإدارة الرومانية في نشر اللغة اللاتينية باعتبارها اللغة الرسمية المستعملة، والشرط الأساسي في وظائف الدولة والحصول على المواطنة، كما عملت الإدارة الرومانية على تطبيق النصوص القانونية اللاتينية في مدن الولايات[3]، وبفعل إلزامية هذه اللغة اضطر الأهالي لتعلمها لأنها أصبحت ضرورية في حياتهم[4]، فأصبح الكثير من الأفراد مزدوجي اللغة أي يتكلمون اللغة اللوبية أو البونيقية في الحياة العائلية، وفي العلاقات مع الأقرباء والجيران، ويستعمل اللغة اللاتينية في الأمور الهامة والرسمية، وشؤون الحياة العمومية[5].

وكون الإدارة الرومانية منعت تعميم التعليم على جميع سكان الولايات، فقد تعلم البعض القليل منهم اللغة اللاتينية وأحسنها وظل أغلبهم لا يجيدها ولايتقنها أو يجهلها تماماً ولا يعرف إلا اللغة اللوبية أو البونيقية[6]، التي انحصرت في المعابد بالمحافل والطقوس الدينية خارج المدن[1]، وبالتالي تواصل تداولها بعد

بعد

---

[1] Laroui (A.), L'histoire du Maghreb , un essai de synthèse , Ed.F. Maspéro , Paris , 1970, P.06.

[2] Le Bohec (Y.), Histoire de l'Afrique Romaine (146 av. J.C.-439 ap. J.C.), 1ére éd., éd. Picard, Paris, 2005, P.162.

[3] شافية شارن وأخرون، المرجع السابق، ص 263.

[4] بلقاسم رحماني، أثر الاستعمار الروماني، مرجع سابق، ص 306.

[5] محمد الهادي الشريف، المرجع السابق، ص 358.

[6] شافية شارن، بلقاسم رحماني، محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص 263.

الاحتلال الروماني[2].

ب.المدارس: تعد المدارس أهم أداة لرومنة المجتمع[3]، ونشر اللغة اللاتينية بين أفراده، وكانت مناهج التعليم فيها ترتكز على القراءة والكتابة والحساب ثم النحو وعلى التلاميذ أن يحفظوا بعض أمهات الكتب في التعليم الأولي وفي المراحل اللاحقة تمتد الدراسة إلى الفنون والعلوم الأخرى (الشعر، الموسيقى، الفلسفة، الرياضيات) وطبيعي أن يكون المجتمع الحضري على الخصوص أول المتأثرين بالرومنة اللغوية، وقد أصبحت قرطاج عاصمة الثقافة اللاتينية في بلاد المغرب بمدارسها وطلابها وأساتذتها[4].

ج)– الجيش والمرافق: فرضت روما اللغة اللاتينية عن طريق الجيش، على المنخرطين فيه قهراً أو طواعية[5]، ويكون لهؤلاء المجندين، خلال ربع القرن الذي تستغرقه خدمتهم، متسع من الوقت ليتعلموا، إلى جانب النظام العسكري، شيئاً من مبادئ اللاتينية، كما أنهم يتعلمون بعض مبادئ الثقافة الرومانية[6].

كما انتشرت اللاتينية عن طريق المرافق الضرورية والاجتماعية كالأسواق والمدرجات، حيث أقاموا المسارح في البلاد ومثلوا فيها الروايات الجميلة المغربية باللغة اللاتينية، وكانوا يتسامرون في حماماتهم ونواديهم وفي الميادين العامة (الفوروم) بانشاد الشعر الروماني، وقص القصص بالرومانية، والتحاور في المواضيع المهمة بها، فصارت لغة الصالونات أيضا[7].

---

[1] الحسن السائح، الحضارة الإسلامية في المغرب، ط2، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1986، ص ص 102-113.

[2] G. Camps, Punica Lingua et épigraphie Libyque dans la Numidie D'Hippone, B.A.C.T.H.S., V :23, (1990-1992), éd. Du comité des Travaux hist. Et scien., 1994, P.34.

[3] ومن الملفت للانتباه أن اسم المدرسة والمعلم لا يزال إلى الآن في المدن الشاوية عين البيضاء، خنشلة، وتبسة وربما في جهات أخرى بصيغة اللاتينية فالمدرسة اسمها شكولا من الكلمة اللاتينية (Scola) والمعلّم اسمه الميسترو من الكلمة اللاتينية (Magister). ينظر: محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع،المرجع السابق، ص 272.

[4] محمد الهادي الشريف، المرجع السابق، ص 358.

[5] شافية شارن، بلقاسم رحماني، محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص 269.

[6] غابريال كامبس، البربر ذاكرة وهوية، المرجع السابق، ص 203.

[7] محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص 410.

نتج عن التنوع اللغوي ما يسمى في علم اللسانيات "ثلاثية اللغة"[1] (Trilinguisme) بين اللوبية والبونيقية واللاتينية. وهذا لا يراد به اندماج وذوبان سكان المغرب القديم في لغة الغير، بل الحفاظ على المصالح العليا لسكان المدن والمجندون والعمال من أبناء القرى الذين اختلطوا بالرومان أو تعلموا في مدارسهم أقلية في المغرب القديم. وكان الباعث لهم على تعلمها هو حب الاختلاط والمنافع المادية والعلمية، حيث كانت اللاتينية لغة التجارة الواسعة، وسبب الوظيفة الحكومية ولغة العلم والحكومة، فأقبل عليها المغاربة لتلك الأسباب[2].

وأكد هذا ابن عبو بقوله: "**أثناء تواجده في شمال إفريقيا جعل الحكم الروماني في تعدد اللغات قاعدة...وتعايشها يتحقق إلا برغبة الفرد في التعلم والتكلم بهذه اللغات معاً**"[3]

وقد نبغ علماء مغاربة كثيرون ساهموا في إثراء الأدب اللاتيني بأعمال خلدها التاريخ، شملت مجالات عديدة، كما برز عدد من الأدباء والمفكرين منهم فرنتون (Frotnton) وأبولي (Apulee) في منتصف القرن الثاني الميلادي، كما نجد بينهم رجال دين أمثال ترتليان (Tertullin) والقديس أوغسطين الذي يعد مصدرا دينيا لرجال الدين المسيح قديماً وحديثاً، والذي خلد أفكاره في مؤلفات عديدة منها الاعترافات ومدينة الله[4]، حيث قال فيه بيروني نقلا عن كتاب محمد علي دبوز: "**هو أخطب خطيب لاتيني، وأكبر مفكري كل زمان**"[5].

إلا أن هؤلاء الأدباء الأفارقة كانوا مزدوجي الثقافة فإلى جانب حذقهم اللغة اللاتينية وإبداعهم فيها فقد أتقنوا لغة آبائهم ودليل ذلك تلك النصوص المدرجة في كتاباتهم التي توحي باعتزازهم بأصولهم المغربية[6].

وبالرغم أن التعليم كان إجباريا باللغة اللاتينية، فإن الأهلي قد حافظ على لغة بلاده فقد برع فيهما

---

[1] E.F , Gantier, E.F, Le Passé de L'Afrique du Nord, Le passé reculé, Coll, « Bibliothèque Historique » . ED. Payot, Paris, 1952, P.P.(24-25).

[2] محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص 411.

[3] (M) Benabou, OP. Cit, P.70.

[4] شافية شارن، بلقاسم رحماني، محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص 269.

[5] محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص 411.

[6] Laurence Roger, Romain Narratives, Archéological Dialogues, T :VII, British V :II, Archeological Report, London, 2001, P.90.

معاً، قال المؤرخ عبد الرحمن بن محمد الجيلالي:" **لقد كانت العلوم تدرس بمدينة مادور، سوسة، لبتيس وسيرتا وفي داخل نوميديا وكانت الدراسة فيها باللاتينية إنما هي لاتينية مركبة على البونيقة التي مكثت حية إلى تلك الفترة، ومن هذه المدارس التي كانت تعلم اليونانية واللاتينية والبونيقية تكون ذوق جديد مركب من ذلك، كانت تغلب عليه الصبغة البونيقية**"[1]. يبدو من خلال النص أن سكان بلاد المغرب لهم القدرة على اكتساب أكثر من لغة وتكييفها حسب رغباتهم من أجل التعبير عن أفكارهم.

رغم حرص روما على تعميم لغتها وآدابها بكافة الوسائل في المجتمع المغربي إلا أنها فشلت في تحقيق سياستها بصورة عملية وذلك لرفض سكان المغرب الذين استمروا في استخدام لهجاتهم اللوبية المتأثرة باللغة البونية خاصة في القرى والجبال وفي الصحراء[2]. ومنذئذ برزت ظاهرة سيسيوثقافية في بلاد المغرب جديرة بالدراسة وهي مدن ناطقة بلغة المستعمر وأرياف محافظة على لغة البلاد[3].

لقد تناقص استعمال اللغة اللاتينية بمجرد سقوط الإمبراطورية الرومانية رغم قضائها فترة طويلة تجاوزت خمسة قرون في بلدان المغرب القديم خلافاً للغة البونية التي ظلت مستعملة بعد سقوط كل من قرطاجة وروما[4].

3)- النقوش اللاتينية: حسب المعطيات الأثرية تم إحصاء خمسون ألف نقش لاتيني تقريبا في كامل المغرب القديم، جلها مرتكزة في المثلث الشمالي الشرقي للمغرب القديم (البروقنصلية ونوميديا) وهي ثروة مصدرية مادية قد تضاهي تلك الموجودة في شبه الجزيرة الإيطالية[5].

---

[1] عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج1، ط3، المطبعة التجارية، 1971، ص 105.

[2] مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج1، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 2004، ص 292.

[3] محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع، المرجع السابق، ص 272.

[4] ربما يكون السبب في ذلك هو أن اللغة والحضارة الرومانيتين لم ترسخ في نفوس سكان بلاد المغرب، أن الوراثة بامتزاج الدماء أو دين أو حب ربما لأن توسعهم كان بالقوة العسكرية. أما الوضع فئنه يختلف بالنسبة للفينيقيين فقد امتزجوا بالأهالي لأنهم استوطنوا المنطقة بطريقة سلمية، فصارت حضارتهم وليدة شخصيتهم الفينيقية المغربية أقرب إلى نفوس المغاربة، وكذلك لغتهم التي كانت مزيجاً من اللغتين الفينيقية واللوبية كانت قريبة منهم فانتشر تداولها وحافظ عليها الأهالي مدة طويلة من الزمن. ينظر، شافية شارن، بلقاسم رحماني، محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص 269.

[5] مها العيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم، المرجع السابق، ص 472.

أ- أنواع النقوش اللاتينية: اكتشف الباحثون النقوش على نسب متفاوته في كتابتها بحيث وجدت حسب مستويات مختلفة منها:

1ـ **نقوش لاتينية متقنة:** حيث تم إحصاء ستمائة نقشا يحتوي على نصوص كاملة واضحة المعاني ثرية الأفكار جيدة التحرير، استشف المؤرخون منها المستوى اللغوي الذي كانت عليه اللاتينية من حيث مستوى النص ومستوى النقش، وهي ثرية ومتنوعة منها مثلا: النقوش البلدية بتاموقادي وكويكول ونقوش مادور وغيرها[1].

2ـ **نقوش ركيكة:** الأسلوب باللغة اللاتينية، سيئة الخظ مما يدل على عدم تلقي أصحابها القدر الكافي من التعليم فظهرت ضعيفة.

3ـ **نقوش مزدوجة:** اللغة بالبونيقية واللاتينية داخل المدن الرومانية أو بالقرب منها وهذا يعني حفاظ الأهالي على لغتهم الأصلية[2].

ومهما يكن من أمر، فإنه إذا كان بعض الأفارقة استطاع تعلم اللاتينية وإتقانها واحتلال مناصب مرموقة في الإدارة الرومانية، فإن البعض الآخر تعلمها أو جهلها بنسب متفاوته.

ب. أسماء الأعلام المرومنة في النقوش الثنائية (لوبية-لاتينية): بعد الحصول على حق المدنية تتحق للفرد العديد من المكاسب من أهمها اتّخاذ الاسم الثلاثي الروماني (Tria Numina) وهذا ما يمكن ملاحظته في النصوص اللاتينية[3] واختلافها اختلافاً جذرياً في النصوص اللوبية من حيث المدلول والمعنى، مما يدعم فرضية اكتساب الفرد النوميدي لاسمين، فالمصادر المادية أوحت بذلك دون أن تؤكده[4]، فعلى سبيل المثال، إن النصوص التي تحتوي على إشارات دالة على ترومن الطبقة الأرستقراطية،

[1] مها العيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم، المرجع السابق، ص 474.

[2] Ahmed (S), l'Afrique romaine, Paris, 1998, PP 322-331.

[3] محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع، المرجع السابق، ص 273.

[4] في إطار رصد المقاربات التاريخية الأنثربولوجية لا يزال لحد الآن سكان الأوراس والنمامشة يتخذون اسمين أحدهما يدَّون في الوثائق الرسمية، والثاني ينادي به من طرف أفراد أسرته ومعارفه المقربين. ينظر: مها العيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم، المرجع السابق، ص 478.

تشير بوضوح إلى المرتبة السياسية، التي ارتقى إليها الأثرياء[1]، أما الأهالي فإنهم سعوا إلى اكتساب كيان وسط المواطنين الرومان من خلال الاسم الثلاثي الذي هو عنوان لدرجة رفيعة[2]، من أجل مصالهم الإدارية وهذا ليس دليل على الترومن الحضاري والثقافي.

مع العلم أن المشرع الروماني كان محتاطاً في منح المواطنة لأي كان، إلى حد أن الإمبراطور كلوديوس (Claudius) (حكم من 41-54م) منع الأشخاص الأجانب من حمل الأسماء الرومانية[3].

من خلال ما سبق نستخلص أن الكثير من المغاربة القدماء، قد حافظوا على أسمائهم التي هي من أصل نوميدي أو جيتولي ضمن أسمائهم الثلاثية، ومن خلال إحصاء أسماء الأعلام الواردة في النقوش اللاتينية فإن هناك ثلاثمائة اسم من أصل لوبي كتبت باللاتينية على النحو الآتي:

(Gildo, Zautum, Aptan, chinidal, Massiran) وهي باللوبية (كنديل، يفطن، زرتن، جلد، مسيرين)، من أسماء النسوة الشائعة في البروقنصلية (بلييبا) كما هناك أسماء ذات أصل بوني مثل: (صفن، بعل)، بالاضافة إلى أنهم تداولوا أسماء ملوكهم مثل: يوبا وجودا وجايا وغلوسن وماسينيسا[4].

والحقيقة أنه لا تزال هناك نقوشاً كثيرة بحاجة إلى البحث والاكتشاف وإزالة اللبس والغموض عن مضامينها، وذلك عن طريق تكثيف البحث الأثري، فإنه على الرغم من قوانين السلطة الرومانية وإجراءات الكنيسة الرسمية إلا أن التأثير اللوبي كان واضح الملامح عن طريق النقوش الجنائزية، وذلك

---

[1] مها العيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم، المرجع السابق، ص 478.

[2] إن مسألة الأسماء في غاية الأهمّية فقد حمل الأهالي –الذين تحصلوا على المواطنة– في أغلب الحالات أسماء وألقاب العائلات الرومانية الأرستقراطية التي اتّخذوا مشاهيرها حماةً لهم، وهو تقليد معمول به فالمدينة لها حام والعائلة لها حام... ومن هنا يصعب تمييز الروماني بالأصل من الروماني بحقّ المدينة، ونادراً ما نجد فرداً احتفظ بلقبه الأصلي، ومن الخطأ اعتبار كل الأسماء التي خلّدتها النقوش هي أسماء لرومان بالأصل، ولكن لا نملك أدلّة إثبات كافية، مع أنه كانت هناك بعض المحاولات لدراسة هذه الأسماء واستخلاص بعض النتائج من التي تكون قد ترجمت أي التي تحمل معاني أسماء أفريقيّة نوميدية وكانت متداولة في بلاد المغرب ما قبل الرومان. ينظر: محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع، المرجع السابق، ص 274.

[3] بلقاسم رحماني، أثر الاستعمار الروماني، المرجع السابق، ص ص 311-312.

[4] مها العيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم، المرجع السابق، ص ص 478-479.

بغرض الرد على الاحتلال الروماني حتى وإن لم يكن بمؤلفات إلا أن استمرارية النقوش، كانت دليلاً على الحفاظ على الهوية المغربية التي دامت عبر مئات السنين من الاحتلال الروماني[1]، الذي يعتبر المسؤول الرئيس في زعزعة الكيان الحضاري المغربي بحصاره له وتهميشه لثقافته ولغته، فسكان بلاد المغرب القديم استضعفوا بالاستعمار وبالاحتلال المتتالي عليهم، وهو الشيء الذي جعل اللغة الخطية المكتوبة تندثر وتتحول إلى لهجات منطوقة، فمهما يكن، فإن عودة اللهجات اللوبية إلى طبيعتها وصفتها الأولية (الشفوية) جعلت شخصية المغربي تتزن بتطويره لثقافته وبضبطه للغته وترقيتها.

المبحث الثاني: التعليم وأهم المراكز الثقافية: لقد ادرك الاستعمار الروماني منذ البداية، الحاجة إلى ضرورة تلقين المغاربة الثقافة الرومانية (نظم الحياة وأساليبها)[2] لذلك اهتموا بالتعليم حيث كانت المدن المغربية تشتمل على مدرسة أو مدارس تؤمن لتلاميذها مختلف مراحل التدريس، ولعبت دورا أساسياً في تكوين أبناء المنطقة، بدليل المبدعين المغاربة الذين برزوا في العصر القديم، حيث ترك هؤلاء المثقفون الجهابذة، والعلماء الفحول، بصمات ثقافية جلية في مجال الشعر والخطابة والبلاغة ومختلف العلوم، وهذا ما جعل الجامعات المغربية تتبوأ مكانة متميزة يتوافد إليها الطلاب من مختلف المناطق.

بل يمكن القول، بدون مبالغة بأنها كانت أيضا ذات بعد عالمي لأنها تستعمل مجموعة من القنوات التعبيرية، مثل: اللغة اليونانية، والبونيقية، واللاتينية. لذلك سأتطرق أهم المدارس والمراكز التعليمية التي كانت موجودة ببلاد المغرب القديم، والمواد المدرسة والمناهج المتبعة وكيفية تطور التعليم.

أولا– البدايات الأولى للتعليم: كانت العملية التربوية تتم في الساحات العامة أو أماكن العبادة ونشأت المدارس النظامية إلى أن عملية التعليم تطورت، وقد قلد المغاربة القدامى اليونان والرومان[3] في

---

[1] مها العيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم، المرجع السابق، ص 494.

[2] أ.ب تشارلز روث، الإمبراطورية الرومانية، تر: رمزي عبده جرجس ومحمد صقر خفاجة، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2003، ص 121.

[3] لما بسط الرومان، سيطرتهم على بلاد اليونان منذ سنة 164 ق.م، امتزج منذ ذلك العهد تاريخ حضارة اليونان بتاريخ حضارة الرومان، وقد شمل هذا الامتزاج والتشابه الجانب التعليمي بالرغم من وجود اختلافات في التطبيقات التربوية فقد كان الرومان شعباً عملياً يهتم بالوصول إلى نتائج ملموسة موفقاً بين الوسائل والغايات، مثل (الطرقات، القنوات المائية، المباني الضخمة)، لذلك اقترن مفهوم التربية والتعليم عند الرومان بالإعداد للحياة العملية، أما السياسة التعليمية عند اليونان فقد اعتمدت على تثقيف الفكر وتحصيل العلوم، ثم تهذيب النفس وإرهاف المشاعر بواسطة تعليم الموسيقى، ثم التنمية البدنية والحفاظ على تناسق الجسم. ينظر: عمر محمد التومي الشيباني، تطور النظريات والأفكار التربوية، دار الثقافة، بيروت–لبنان، 1971، ص ص 36–37.

نظام التعليم الذي تبنوه. كما كان التعليم حراً لا يتقيد بمدرسة أو معهد، فكان التلاميذ يتلقون تعليمهم من قبل معلمين متعددين، وكل معلم يُدرس على طريقته الخاصة[1].

وهكذا اكتشفوا في بداية الأمر الريطوريقا[2] والدراسات الأدبية بشكل عام. حيث كانت مواد التدريس تنحصر في الأدب الإغريقي ونحو اللغة الإغريقية والريطوريقا والسفسطة والرسم والنحت والموسيقى والرقص، سواء كان ذلك عند المغاربة أو الرومان، وكانت تلك المواد تعطى إما على شكل دروس خاصة بالمنازل أو على شكل دروس جماعية بأمكنة عامة[3].

ثم صار التعليم من أهم الأعمال التي كانت تشرف عليها إدارة بلديات المدن في العهد الروماني، حيث كان يتم انتداب المعلمين الذين يقومون بالتدريس وتدفع لهم البلدية أجورهم[4]، إلا أن هذا كان حكراً على الفئات الاجتماعية الحضرية المترومنة الغنية منها والمتوسطة.

على الرغم من أن روما، تركت المجال التعليمي لإدارة البلديات، إلا أنها كانت تشجع تدريس اللاتينية وآدابها في المغرب القديم، لما لذلك من دور فعال في ربط المتعلمين بالحضارة الرومانية، فتظهر فئة أكثر تعليما وأقل بربرية وسهلة الانقياد[5]، وفتح المجال لتلك النخب للمشاركة في الحياة المدنية، وممارسة التدريس وإلقاء الخطب العامة والمشاركة في الأنشطة البلدية[6].

ولقد أشارت النقوش التي عثر عليها منذ عهد أغسطس- وهي نقوش لاتينية وبونيقية- إلـــــى

---

[1] الحسن السائح، المرجع السابق، ص 105.

[2] **الريطوريقا**: يقصد بها فن الخطابة يعتبر الأديب الروماني كيكرو (Cicero) من أهم رواد الريطوريقا القديمة، وكان له على المغرب القديم وقع كبير. دخلت الريطوريقا في مناهج التربية والتعليم بكل عواصم العالم القديم، واحتضنها رجال الفكر بشمال إفريقيا القديم وبرعوا فيها إلى درجة جعلت مونصو يقول عنهم:" **لقد ولد الغاربة ريطوريقيين**" ينظر: جميل حمداوي، الحضارة الأمازيغية أنثروبولوجيا الإنسان التاريخ، الكتابة، الديانات والثقافة، ط1، أفريقيا الشرق، المغرب، 2015، ص 303.

[3] عبد السلام بن ميس، مظاهر الفكر العقلاني في الثقافة الأمازيغية القديمة، ط2، الرباط، 2010، ص 32.

[4] شافية شارن، بلقاسم رحماني، محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص 260.

[5] يؤكد غابريال كامبس أن روما فشلت في محاولتها الاحتوائية فالإفريقيون رفضوا روما ورفضوا "الاتينية"، وإن تلك النجاحات التي حفظها لنا التاريخ لم تكن تعدو عن حالات فردية، فما مسّت الرومنة سوى نخبة محظوظة، وأما السكان في القبائل فقد ظلوا في مجموعهم بمنأى عن الثقافة اللاتينية. ينظر: كبريال كامبس، البربر ذاكرة وهوية، المرجع السابق، ص 209.

[6] Boissier (G.), L'Afrique Romaine, promenades archéologiques en Algérie et en Tunisie, Hachette et Cie, Paris, 1895,P.101

شخصيات من الأثرياء ساهمت في عملية إقامة منشآت عامة ثقافية ودينية واقتصادية وتذكارية، عرفت مع الاحتلال الروماني، وظهورها في تلك الفترة المبكرة يدل على ازدهار الثقافة البونيقية، إذ لا يمكن كتابة النقوش باللغة والكتابة البونيقية واللاتينية، إن لم توجد فئة متعلمة، ولا توجد فئة متعلمة بدون مدارس، كما أن هذه النقوش تدل على المكانة الاقتصادية والاجتماعية التي كان يتمتع بها المتعلم في العصر البونيقي وفي فترة الاحتلال الروماني، ومن هذه النقوش نقش رأس الحداجة عثر عليه بمنطقة نرهونة، ونقوش وداي العامور[1].

كما أن هناك فسيفساء محفوظة في متحف باردو بتونس، تصور رجلاً يتوسط سيدتين تمسك إحداهما لفافة ورقية مفتوحة يبدو أنها تتلو نصاً أو قصيدة ويراجع لها هذا الرجل الذي يمسك هو الآخر بلفافة ورقية مفتوحة ربما يكون النص الأصلي لما تقرأه هذه السيدة، ويمكن أن يكون مشهد درامي يقدم على المسرح حيث تمسك إحدى السيدتين قناعاً بيدها اليسرى، وما نستنتجه من اللوحة هو انتشار اللفافة الورقية في الحياة اليومية، ومن ثم في تعليم القراءة والكتابة[2].

ثانياً– مراحل التعليم: ورغم ذلك فإن التعليم في العهد الروماني لم يكن مشتملا على درجات واضحة، غير أنه كان هناك تدرج في التمارين حسب سن الطفل، ومقدرته ومعلوماته[3]، ومن هنا يمكن تقسيم التعليم حسب المراحل الآتية:

1)– التعليم الابتدائي: كان على التلاميذ المغاربة أن يترددوا كالرومان واليونان على درس المعلم الأول أو اللّيتِراتوُر[4] (magister ludi– primus magister– litterator) الذي يلقنهم القراءة والكتابة ولغتهم ومبادئ علم الحساب مستعملاً قلما من القصب ولوحاً من خشب، أو سنانا للنقش على لوحة من الشمع، أما نفقات التعليم فقد تحملها الأولياء فوالد سانت أوغسطين صرف على

[1] شافية شارن وآخرون، المرجع السابق، ص ص 260-261.

[2] مصطفى محمد قنديل زايد، التعبير عن التعليم في الفن اليوناني والروماني، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الآداب، جامعة طنطا، مصر، 1422هـ/2001م ، ص 102.

[3] محمد الهادي الشريف، المرجع السابق، ص 358.

[4] وتعني كلمة الليتيراتور في قاموس اللغة اللاتينية من يعلم الحروف أو مبادئ القراءة والكتابة . ينظر: مصطفى محمد قنديل زايد، المرجع السابق، ص8.

دراسته وأسفاره ومعيشته[1].

أما نظام المدرسة، فقد كان قاسيا إلى درجة تنفر التلاميذ منها، إذ استعملت العصا والجلد لعقاب المذنبين، وضعاف الاهتمام بدروسهم، وقد عبر عن ذلك القديس أوغسطين حينما تحدث عن المراحل الأولى لدراسته حيث يقول: **"من الذي لايروعه أن تُعاد له طفولته ولا يؤْثر الموت إذ هو أتيح له أن يحيا حياته من جديد"**، ويقول: **" وكان كبار القوم يعدون أسلوب الضرب في التربية أسلوبا ممتازا. وكم ممن سبقونا، نهجوا لنا نهجا وفرضوه علينا فوفروا لبني آدم تعبا كثيرا وألما أكثر"**[2]. ولكن رغم ذلك فإن المعلم في كثير من الأحيان لم يكن محترماً لشخصه، ذلك لأن التلاميذ كانوا يشعرون أنه ينتمي لطبقة دون طبقتهم[3].

وكان التلاميذ يتوجهون إلى المدرسة كل يوم، باستثناء الأعياد الدينية ويوم السبت، كما أن هناك عطلة الصيف أيضاً[4].

2)– التعليم الثانوي: كانت أولى البدايات الحقيقة للتعليم الثانوي في المغرب القديم منذ القرن الأول ق.م (الفترة الرومانية) وكانت اللغة الإغريقية تحتل المكانة الأولى في البدايات ثم أخذت مكانة اللغة اللاتينية تزداد لأنها مدعومة من الدولة الرومانية[5]، التي أرادت طمس باقي الثقافات واللغات الأخرى في إطار سياسة الرومنة، ورومنة الأجيال الصاعدة في مستعمراتها المغربية وحتى المشرقية في مصر وبلاد الشام.

---

[1] أوغسطينوس، اعترافات القديس أوغسطينوس، نقلها إلى العربية:الخوري يوحنا الحلو، ط4، دار المشرق، بيروت، 1991، ص ص 21-22.

[2] نفسه، ص16.

[3] Yann le Bohec, Op- cit, P.P.(112-114).

[4] مصطفى محمد قنديل زايد، المرجع السابق، ص22.

[5] Marrou (H), ST. Augustin et l'afin de la culture antique, éditio Boccard Paris 1937 P.P. (112-114.)

يتعلم تلاميذ المرحلة الثانوية على يد القَرمَّاتيقوس (grammaticus) قواعد اللّغة اللاّتينية وصرفها، ويحفظ أمهات الكتب مثل شعر فيرجيليوس[1](Virgilius) ونثر قيقيرو (Cicero)، ويتلقّى دروسا في اللغة الإغريقية ومبادئ الموسيقى والعروض والفلسفة والرياضيات والفلك[2].

ومما امتاز به الأساتذة الأفارقة اهتمامهم بالبلاغة، وبحثهم عن الأساليب والتعابير اللغوية القديمة، وعن القدامى من الشعراء اللاّتين أمثال: أنيوُس (Ennius). حيث يوجد في الشعر المكتوب على النقائش الأفريقية ما يدل على هذا الاعتبار وهذه العناية بالصيغة واللّفظ، والإهمال أحيانا للمعنى والمحتوى.

لكن الفضل قد يعود إلى هؤلاء الأساتذة لإسهامهم في اختراع بوادر الخط "النّسخي" القديم الذي عوض حروف "التاج" (Lettres capitales) وأدى إلى الاستغناء عن لف ورق الكتاب القديم (Volumen) واستبداله بصفحات الكتاب الحديث (codesc) الذي رسخ رواجه في نهاية العهد القديم. وقد كشفت الحفريات في مدينتي مقتَارِيس (مكثر) وتموقادي (تمقاد) عن نقائش دلت على التدرج نحو بروز الخط النسخي[3].

إن هذا التعليم كان مملا للطلبة، ولقد عبَّر عن ذلك القديس أغسطينوس نقلا عن شارل أندري جوليان، حيث كان يتذمر بمرارة لما يشعر به من ملل عند دراسته مغامرات انياس، وديدوني، ويستحضر تقزز زملائه من أبيات هوميروس وفيرجيليوس التي تحفظ من قبل التلاميذ قسرا[4].

3)– التعليم العالي: عندما يبلغ الطالب الذكي أو الثري السابعة عشرة من عمره، يقصد المدن الكبرى لمواصلة التعليم العالي. وكانت البلديات تحرص على جلب أشهر الأساتذة إلى مدارسها التي يمكن أن نسميها في أيامنا هذه الجامعة[5]. وهذه المرحلة الأخيرة من مراحل التعليم كانت موكلة إلى الرِيتور

[1] فيرجيليوس: هو ألمع شعراء الرومان، ولد بشمال ايطاليا سنة 70 ق.م، توفي برنديسي في إقليم كلابريا على ضفة بحر الأدرياتيك، ودفن جثمانه في ضواحي نابولي.

[2] Marrou (H),OP-cit, P.P.(255-256).

[3] عمار المحجوبي، المرجع السابق، ص 152.

[4] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 248.

[5] نفسه، ص 249.

(rhetor) الذي كان يلقّن الفصاحة وفنّ الخطابة[1]، استشهادا بالنّصوص الأدبية البليغة ومن الخطب الشهيرة. وقد تشمل دروسه على مواد الآداب والتّاريخ والفلسفة والعلوم، بالإضافة إلى تعليمهم المهن القانونية، التي تتطلب حفظ قوانين روما، ويبدأ الالتحاق بهذه المرحلة عندما يرتدي الشاب زي الرجولة (التوجا) وغالباً ما تنتهي في سن العشرين[2].

ويواصل هذه الدراسة الأوفر مالاً والأكثر طموحاً وحباً للعلم[3]، حيث كثيراً ما ينتقل الطلبة من سائر المدن الأفريقية إلى قرطاج[4].

كان التعليم العالي في قرطاج له شهرة عالمية في العصر القديم، وكان يتم تلقين مختلف العلوم: الفلسفة، الحقوق، الطبّ، الرياضيات، علوم الطبيعة، الفنون الجميلة وخاصة البلاغة، حيث يتتلمذ الطالب على يد أشهر المدرسين، ويستمتع في المسرح بمحاضرات الأدباء والمسرحيات والمناظرات الأدبية، وفي المسرح المغطى (Odeum) بعروض الموسيقى والغناء والرقص، أما لغات التدريس بمركز قرطاج القديمة هي: اللاتينية واليونانية، حيث كانت الكثير من المواد العلمية المدروسة بالتعليم العالي تعطى بلغة يونانية، فالطب مثلا: كان يدرس باليونانية حتى القرن الخامس ميلادي، وما كان يدرس باللاتينية أحيانا ليس إلا ترجمات لنصوص يونانية الأصل[5].

والواقع أن المثقف المغربي القديم كان يتقن اللغتين اللاتينية والإغريقية إلى درجة أن تداولهما معا في نفس المحاضرة كان أمراً عادياً لا يكون أية بلبلة لدى المستمع الذي يفهم ما يسمعه، ويذكر أن أبوليوس الماوردي، لما كان أستاذا بجامعة قرطاج، كان يبدأ محاضرته بإحدى اللغتين المذكورتين وينهيها بالأخرى[6].

---

[1] عمار المحجوبي، المرجع السابق، ص 152.

[2] مصطفى محمد قنديل زايد، المرجع السابق، ص 8.

[3] نفسه، ص 8.

[4] عمار المحجوبي، المرجع السابق، ص 152.

[5] نفسه، ص 151.

[6] Cf, Monceausc, Les Africains, Etudes sur la littérature latine d'Afrique (les paiens) , Lecénce, Oudin et Cie, Editeurs, Paris, P.P. 37,62,63.

كما كان أغلب طلبة قرطاج يزورون روما وأثينا أو هما معا قصد إتمام دراستهم، وقد دشن الإمبراطور سيفيروس في القرن الثاني ميلادي، مبادرة حميدة تتمثل في منح الطلبة المغربيين القدامى منحة دراسية لإتمام دراستهم بالمراكز العلمية ذات المكانة المرموقة في العالم القديم[1].

وقد اهتم الرومان كثيراً بالخطابة خدمة لأهداف سياسية ولما لها من تأثير على الشعوب والجماهير، وقد كانت تتم في مجلس الشيوخ بإيطاليا وفي الولايات لتهدئة النفوس أو بعث الحماس فيها حسب ما تقتضيه أهدافها الاستعمارية، وهكذا استفاد أصحابها من تشريفات وشهرة عظيمة ومن أبرز الخطباء اللاتين يمكن ذكر: أنيسيوس هورت (Ensius Hort).

والملاحظ أن الرومان حرموا القادة من الارتقاء إلى مراتب عليا مهما كانت كفاءتهم العسكرية إذا لم يتمتعوا بقوة التأثير في صفوف الجيش والمحيط[2].

لذلك اعتنى المغاربة في هذه الفترة بدروس الفصاحة والخطابة[3]، ومما يفسر إقبالهم عليها ميلهم إلى مهنة المحاماة، وضرورة الإلمام بالعلوم القانونية في العهد الروماني، لما كانت عليه مادة الحقوق من أهمية بالغة. وكثيرا ما اختار الطلبة في بلاد المغرب، عند بلوغهم مرحلة الاختصاص، مادّة الحقوق سواء لممارسة المحاماة أو القضاء، فكان على الحاكم المنتخب، في كل مدينة الإدلاء بالقانون (duovir jure dicundo) وطلب العون دوماً والمؤازرة من عالم القانون[4].

ثالثاً: أهم مراكز التعليم: احتلت بعض المدن مكانة مرموقة في المجالات الثقافية والعلمية، من بينها المدن التي تشتمل على ما يمكن تسميته بجامعات أو معاهد عليا، بالإضافة إلى مدن أخرى كان بها

[1] عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، ص 44.

[2] شافية شارن وأخرون، المرجع السابق، ص 261.

[3] كان الخطيب في المقام الأول في أفريقية "مغذّية المحامين" على حد تعبير جوفينال، حيث كانت تغلب على الأدب والتاريخ والفلسفة النزعة الخطابية، وإذا لم تجد الخطابة متنفسا لها في الحياة العامة فإنها تتجلى في التمارين المدرسية وفي النوادي الخاصة. ينظر: شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 249.

[4] Balout (L), Vingt année d'histoire algérienne, Paris, 1931, P. 10.

مدارس للمبتدئين، وكانت تلك المدارس كلها خاصة لا علاقة لها بالدولة الرومانية، وإنما تتلقى بعض العون من البلديات أو بعض الميسورين من الرومان وغيرهم[1]، ومن أهم هذه المراكز نذكر نوعين:

1)- أشهر مراكز التعليم العالي: سأتناول أبرز المراكز.

أ)- قرطاجة: أصبحت قرطاجة منذ القرن الأول بعد الميلاد مركزا ثقافياً متطورا ومقصود من كل أنحاء المغرب القديم، نشأت بها جامعة تطورت وأصبحت تنافس الإسكندرية روما، ودرس بها العديد من أعلام المغرب القديم من أمثال: الفيلسوف والأديب لوكيوس أبوليوس، والشاعر نيمزيانوس (Nemesianus) وترتليانوس (Tertulianus)[2] ولاكتانتيوس (Lactantius)[3] والقديس أوغسطينوس (Augustinus) وفرنتون السيرتي[4].

في هذا السياق يذكر أبوليوس:" **إنّك لاترى في قرطاج إلا نخبة المثقفين الضليعين في مختلف العلوم: طلبة يدرسون وشباب يتباهون بعلومهم وشيوخ يدَّرسون...إن قرطاج مدرسة معتبرة في منطقتنا، إنّها هدية السماء للأفريقيين**"[5].

---

[1] - بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 140-141.

[2] **ترتليانوس:** يعتبر العلامة كوينتس سبتيموس فلورنس ترتليانوس (Quintus Septimius Florens Tertullianus) كاهن قرطاجة وأب الأدباء اللاتين، ولد ترتليانوس (بين عام 155 و 160م) في قرطاجة، كان والده يشغل منصب قائد فرقة رومانية في أفريقيا، كتب معظم كتاباته باللغة اللاتينية، قبل أن تصبح اللاتينية اللغة الرسمية لكنيسة روما بقرن ونصف، وقدم مخزنا غنيا من الكتابات الفلسفية والتاريخية والجدلية الدفاعية والعلمية، ومن أهم أعمال ترتليان كتاب الدفاع (Apologeticum) حيث وضع فيه أفكار مترابطة، وأخذت المحاججة فيه شكلا قانونياً، لأنه كان موجهاً لحكام الأقاليم الرومانية. ينظر: ترتليانوس، المنافحة أو الدفاع عن التوحيد، تر: عمار الجلاصي، ط1، الثقافية، طرابلس، 2001، ص 05. عادل فرج عبد المسيح، موسوعة آباء الكنيسة، ج2، (كنيسة شمال أفريقيا)، دار الثقافة، القاهرة، 1999، ص 155.

[3] **لوكيوس لاكتانتيوس: (Lucius Lactantius)**: المعروف بلاكتانس، ولد ببلاد المغرب القديم (250-325م) تتلمذ على يد أرنوب، اعتنق الديانة المسيحية سنة 300م، له العديد من المؤلفات دافع فيها عن الدين المسيحي منها: المأدبة والمشيئة الإلهية. ينظر: شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص ص 289-290.

[4] عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، ص 43.

[5] النص كما ورد في المصدر: Carthago, provincae nostrae magistra venerabilis, Carthago, ... africae mrusa musa Caelistis ينظر: محمد العربي عقون، من التاريخ البلدي للجزائر القديمة في العهد الإمبراطوري الأول منذ استيلاء سيتيوس على سيرتا (46 ق.م) إلى أحداث القرن الرابع، دراسة في تاريخ وآثار ونظم سيرتا العتيقة، أطروحة دكتوراه

وهذا يوفينال[1] (Juvénal) عالم من القرن الأول الميلادي وُلد في رؤما يصح خطيبا بالذهاب إلى الضفة الأخرى للمتوسط (أفريقيا) بحثاً عن حظ أوفر، قائلاً له:" **إن أفريقيا هي الأرض التي أنبتت المحامين والفصحاء...**"[2].

حسب قول شارل أندري جوليان: " **إنها المدرسة المقدسة في المنطقة، وهي عروس الشعر في أفريقية، وهي أخيرا ملهمة الطبقة التي تلبس الحلة**"[3].

تبرز النصوص السابقة مدى أهمية قرطاجة في ميدان العلوم، وتوضح رقي المدينة ثقافياً، ومدى مساهمتها في انتشار التعليم واللغة اللاتينية في بلاد المغرب القديم، وتمثل نقطة استقطاب للطبقات المترومنة.

وتحدث القديس أوغسطين عن حياة الطلبة في قرطاج، بأنهم كانوا يدرسون بجدية أحياناً وينهمكون في التّرف الذي كانت توفرّه المسارح والملاعب وغيره من الملاهي أحياناً اخرى[4]. مثلما يحدث في الإقامات الجامعية في عصرنا الحالي.

ب)- لبتس ماكنا(leptis Magna): تعد هذه المدنية من أهم المرافئ التجارية ،أصبحت مستوطنة رومانية عام 96م منذ وصول يوليوس قيصر إلى إفريقيا لمحاربة جيوش بومبي خلال الحرب الاهلية[5]، اكتسبت أهمية معتبرة بعد أن أصبح أحد أبنائها على رأس الإمبراطورية الرومانية[6] وهو الإمبراطور سبتيموس سيفيروس (193-211م)[7]. كانت لبتس مركزاً ثقافيا هاما يقصده طلبة العلم من

العلوم في التاريخ القديم، تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد الصغير غانم، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2004-2005م، ص350.

[1] شاعر لاتيني (حوالي 60-140) له ديوان شعر في الهجاء، هاجم فيه سلبيات عصره.

[2] Juvénal, Satires, texte établi et traduit par H. clouard, Paris : Garnier, S.D, VII, P.P. 148-149

[3] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 249.

[4] Marrou (H), Op-cit, P.258.

[5] أحمد محمد أنديشه، الحياة الإجتماعية في المرافئ الليبية، المرجع السابق، ص ص 21-22.

[6] عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، ص 49.

[7] **لوقيوس سبتيموس سفيروس (Lucuis Septimius Severus)** المشهور بلقب "الإمبراطور الأفريقي" ولد في ليبتسم ماغنا (لبدة حاليا) في الحادي عشر أبريل عام 146 ق.م، من عائلة ليبية أخذت الجنسية الرومانية (Romaniser) وتنتمي إلى

جميع أنحاء تريبوليتانيا (Tripolitania)[1] القديمة، إلى جانب مدينتي سبراتا وأويا، لقد كانت تقع على الطريق الرسمي بين قرطاج والإسكندرية، وهو طريق كثيرا ما يستعمله الطلبة والعلماء للتنقل بين مراكز العلم ببلاد المغرب القديم، خاصة بين الإسكندرية وقورينة وقرطاج وكايصاريا مما أعطاها مكانة متميزة ذات أهمية بليغة[2].

2)- أهم مراكز التعليم الثانوي:

أ)- تيبيسا (Tébessa, Theveste): مدينة مغربية قديمة تقع بالشمال الشرقي -للجزائر الحالية -، على بعد 235 كلم جنوب عنَّابة. استولى عليها القرطاجيون سنة 247 ق.م، خلال الحرب البونيقية الأولى بين قرطاج وروما، ويفسر المؤرخون ارتفاع نسبة سكان المدينة بغناها وثراها معتمدين على ما ذكره المؤرخون القدامى مثل: ديودور الصقلي[3].

طبقة الفرسان. ثم درس الفلسفة في أثينا والحقوق في روما، ولكنه لم يكن ضليعا في اللغة اللاتينية. مارس وظائف عليا في كل من أفريقيا وسردينيا وسوريا حيث تزوج فيها من امرأة سورية تدعى دومنا (Domna) ابنة كاهن مدينة حمص (Emissa) ثم عين قائدا للفيلق الإليري، وكان أقوى الفرق في الجيش الروماني، وهناك استمال جيشه فأعلنه امبراطورا عام 193م، فسار إلى روما بعد أن قضى على منافسيه في التاج، وهم: ديديوس جوليانوس (Didius Julianus) وبسكينوس نيجر (Pescennius Niger) وألبينوس (Albinus)، لم ينل سبتيموس القدر الذي يستحقه من اهتمام المؤرخين والدارسين، وخاصة المغاربة لأن معظمهم لا يعرف أنه إمبراطور ليبي الأصل، حقق من الانجازات ما لم يحققه العديد من الأباطرة الرومان الآخرين، حيث انتهج سياسة المساواة بين الولايات التي كانت تعني نهاية تهميش البرابرة (Lepcis Magna) في 146م. ينظر: Dictionnaire Encyclopédique d Histoire Bordas 1978 P. 4136. للمزيد ينظر: ياسمين زهران، سبتيميوس سيفيروس، تر: محمد عمران أبو ميس، ط1، دار الفرجاني، بنغازي، 2016، ص 09.

[1] **تريبوليتانيا**: تتشكل من المدن الثلاث: (سبراتا ولبتس ماكنا و أويا)، تم دمجها من قبل الرومان مع جزيرة كريت في مقاطعة واحدة ثم في عام (78 ق.م) ثم في عام (20 ق.م)، أصبحت مقاطعة سيناتورية لديها مجلس خاص مثل مقاطعة أفريقيا المجاورة لها من ناحية الغرب. ينظر:عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، ص47.

[2] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 249.

[3] عبد السلام بوشارب، تبسة معالم ومآثر، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، 1996، ص10

هذا الأخير الذي يخبرنا بأنها كانت أكبر مدينة مغربية تسمى هيكاتومبيلوس[1]، استولى عليها حانون القرطاجي، واستمرت تحت الوجود القرطاجي أكثر من نصف قرن بعد ذلك[2]. وصارت قلعة رومانية ابتداء من 146 ق.م بعد سقوط قرطاجة. كانت بها مدراس مشهورة في عهد الرومان[3].

ب)- كيرتا (Cirta, Kirta): نجهل حتى الآن التاريخ الدقيق لتأسيس مدينة كيرتا(سيرتا)، ولعل ذلك راجع لكونها لم تؤسس من العدم، فهي تطورت من مركز استقرار بشري في ما قبل التاريخ إلى مدينة هامة في العصور التاريخية، غير أن أهميتها كمدينة نوميدية ظهرت ابتداء من القرن الثالث ق.م لما كانت عاصمة للملوك النوميد الماسيليين. حيث ظهر بها العديد من العلماء المتميزين منهم فرنتون السيرتي[4].

ج)- هيبوريكيوس (Hipoo Regius): مدينة نوميدية قديمة أستوطنها في البداية الفينيقيون، ثم أصبحت مستعمرة رومانية وازدهرت حتى عام 430 م، حيث اجتاحها الوندال. تسمى الآن عنابة تقع بالشرق الجزائري، وقد زاول بها القديس أوغسطينوس نشاطه الديني والفكري، وفيها تم عقد ثلاثة مؤتمرات سنوات(393،395،429م) ونشطت بها دراسة الفنون حتى المستوى الثانوي[5]. وهكذا كانت إحدى المراكز الثقافية والعلمية بالمغرب القديم.

د)- تاقاست (Thagaste): مدينة نوميدية قديمة لكن معلوماتنا عن تاريخها شحيحة. اشتهرت بكونها مسقط رأس القديس أوغسطينوس. تسمى الآن سوق أهراس تقع بالشرق الجزائري. ومن المعروف أن أوغسطينوس درس ودّرس بها[6].

---

[1] يجهل معنى كلمة هيكاتومبيلوس، لكن ستيفن غزال يذكر أن هوميروس وصفها بهذه التسمية التي تعني (لها مائة باب)، ولما دخلها القائد القرطاجي هركليس (Héracule)، شبهها بمدينة طيبا الفرعونية فسماها تيبس (Thébis)، واختصرت مع الوقت وصارت تيفست (Theveste)، وظلت تعرف باسمها هذا حتى الفتح الإسلامي. ينظر: ستيفن غزال، المرجع السابق، ج2، ص 75؛ مها العيساوي، مدينة تبسة في العصور القديمة، مجلة التراث، العدد 9، 1997، ص ص 30 - 31.

[2] نفسه، ص 31.

[3] عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، ص 45.

[4] محمد البشير شنيتي، أضواء على تاريخ الجزائر القديم، المرجع السابق، ص 45.

[5] عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، ص 46.

[6] Marrou(H), OP- cit, P.269.

هـ)– سيكافنيريا (Sicca Veneria): مدينة نوميدية قديمة، تقع على الطريق الرابط بين قرطاج وهيبون. اشتهرت بهذا الاسم منذ القرن الرابع ق.م، أخذت اسمها من معبد مشهور لإلهة الحب والجمال فينوس (Venus)[1]. درس بها أرنوبيوس الأكبر (Arnobius)[2] في عقد الإمبراطور ديوقليتيانوس. وهي الآن تنتمي إلى الدولة التونسية[3].

و)– مادور(Madoure): مدينة نوميدية قديمة، أصبحت مستوطنة رومانية حوالي نهاية القرن الأول الميلادي. كانت مدينة للعلم والفلاسفة والأدباء، معروفة بازدهارها الثقافي، وتعد مدرسة ذات صيت واسع أنجبت مفكرين كبار أشهرهم الفيلسوف النوميدي أبوليوس المادوري، والقديس أوغسطينوس، ومسقط رأس علماء آخرين أمثال: النحويين ماكسيموس (Maximus) ونونيوس(Nonius). أضف إلى ذلك أن القديس أوغسطينوس درس بها. يمكن الآن رؤية أطلال مادور قرب مدينة مداوروش بالشرق الجزائري الحالية[4].

ز)– أويا (Oea): مدينة لوبية قديمة تحمل أسم طرابلس الغرب اليوم –عاصمة ليبيا الحالية– حكمها الرومان من سنة 146 حتى 450م. تعتبر مركزا ثقافياً هاما، حيث كانت ملتقى طلبة تريبوليتانيا بشكل عام، وبها درس الفيلسوق أبوليوس المادوري لمدة ثلاث سنوات لما كان في طريقه إلى الإسكندرية[5].

ح)– صبراتا (Sebratha): احتلت صبراتا مركزاً سياسياً واقتصادياً مميزاً فهي من أهم مدن تريبوليتانيا القديمة. ويبدو أن الفينيقيين هم الذين أسسوها كمحطة تجارية وذلك خلال القرن الرابع ق.م[6]، وبعد

---

[1] عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، ص 46.

[2] **أرنبيوس الأكبر**: ولد سنة 260م وتوفي سنة 327م، عمل أستاذا للبيان في مقاطعة أفريقية، اعتنق الديانة المسيحية في كهولته ومن أهم كتبه في هذا المجال: " ضدا على الوثنيين". وقد عد أرنوبيوس في الثقافة المسيحية المتوسطية أنه من آباء الكنيسة لأنه كرس حياته لخدمة النصرانية. ينظر، محمد الحبيب بشاري، الحياة الأدبية الرومانية ومساهمة الأفارقة في إنعاشها، مجلة عصور، مجلة علمية محكمة، علوم إنسانية تاريخ وحضارة، العدد: 20، منشورات مخبر البحث التاريخي (مصادر وتراجم)، جامعة وهران، الجزائر، جانفي–جوان 2013، ص 43.

[3] عمار المحجوبي، المرجع السابق، ص 152.

[4] Gsell (S), M'Daouruch, T2, fouilles exécutées par le service des monuments historiques, Carbonel (Alger) et de Bocard, Paris, 1914-1918 P.6.

[5] عبد اللطيف محمد البرغوثي، التايخ الليبي القديم، المرجع السابق، ص 181.

[6] أحمد محمد أنديشه، الحياة الاجتماعية في المرافئ الليبية، المرجع السابق، ص 13.

سقوط قرطاج عام 146 ق.م، تمتعت صبراتا بفترة قليلة من الاستقلال قبل أن تدخل تحت سلطة الرومان، وعندئذ تمتعت المدينة بازدهار ثقافي متنوع لشتى العلوم والفنون[1].

ط)- مدن غرب موريتانيا: مثل: مدينة سلا (Sala) وبناسا (Banasa)ومدينة فولوبيليس هذه الأخيرة كانت تعتبر العاصمة الملكية الثانية ليوبا الثاني[2].

وكانت كل مدينة من هذه المدن تشجع أبناءها على التعليم، وتحثهم عليه بجميع الوسائل وتقيم الاحتفالات لتمجيد الناجحين منهم الذين أصبحوا من المفكرين البارزين ومن فطاحل علماء البيان ببلاد المغرب القديم، وكانوا ينتدبونهم لمراتب الشرف ويقيمون لهم التماثيل ويسجلون ما أحرزوا عليه من نجاح مدرسي وفوز أدبي[3].

التحق بهذه المدارس أبناء الطبقة المتوسطة، أما أبناء الأثرياء فكانوا يتلقون تعليمهم في منازلهم عن طريق معلمين خاصين بهم، في حين يبقى سكان الأرياف محرومون من مستويات المراحل العليا من التعليم وقد يحضون بالمبادئ الدنيا منه[4].

نلاحظ من خلال ما سبق أن المدن الحضرية الكبرى شهدت انتشارا للمدارس بمختلف أطوارها، وتتضاءل في المدن الصغرى وتنعدم في المناطق الريفية، ما يوحي أن فرص الدراسة لم تكن متاحة للكل، إذا ما قارنا ذلك بين مختلف الطبقات والفئات الاجتماعية، فالطبقات الأرستقراطية والثرية من أعيان المجتمع والمالكين والطبقة المتوسطة، كانوا يعتمدون على إمكانياتهم الذاتية في تدريس أبنائهم، بينما كانت الطبقات الدنيا أقل حظا في ذلك إلا القليل النادر.

يبدو أن السياسة التعليمية حققت بعض النتائج حيث ظهر ببلاد المغرب الكثير من المفكرين والعلماء الذين كانت لهم مساهمات هامة في الفكر الإنساني العالمي، في المجال الأدبي من كتابات مسرحية وفن الخطابة والشعر والقصص وفي المجال العلمي والفلسفي والتاريخي والديني.

---

[1] نفسه، ص 186.

[2] أحمد السليماني، تاريخ ملوك البربر في الجزائر القديمة، المرجع السابق، ص 186.

[3] محمد الهادي الشريف، المرجع السابق، ص 359.

[4] (M) Benabou, Op- cit, P. 484.

المبحث الثالث: أهم المثقفين المغاربة (أبولي مادور وفرنتون السيرتي أنموذجاً): عرفت بلاد المغرب القديم، نهضة ثقافية وفكرية نشيطة، بفضل أبنائها الذين كرسوا كل جهودهم من أجل خدمة الهوية المغربية، فلقد نبغوا في كل الميادين وأنتجوا إنتاجا غزيرا رائعا في جميع مناحي الفكر البشري، وكان لإبداعاتهم صدى ملحوظاً في ثقافة العالم القديم.

لقد مست سياسة روما الثقافية الفكر المغربي، فاشتهرت شخصيات جسدت هذه السياسة، وكانت علامة على النخب المترومنة[1]، وفي هذا الصدد يقول محمد شفيق: **" نتج عن مفعول المثاقفة المفروضة من قبل روما على بلاد المغرب القديم أن نبغ في الكتابة باللاتينية أجيال متتابعة من الأمازغيين، فأسهموا إسهاماً مهماً في إغناء الفكر والأدب الرومانيين"**[2]. يفهم من النص أن اللغة التي استعملها المفكرون والمبدعون المغاربة في تلك المرحلة التاريخية هي اللغة اللاتينية لأنهم تعلموا في المدن المغربية وواصلوا دراستهم في المراكز والعواصم الحضارية الكبرى كروما وأثينا وقرطاجة.

أولا– وضع الأدب العالمي في القرن الثاني للميلاد: كان العالم الروماني مقسم إلى نصفين، نصف شرقي، إغريقي اللغة وهلينستي الثقافة، ونصف غربي، لغته لاتينية وثقافته مزيج من التراث الروماني ومن ثقافة الشرق الهلينستي وعلومه. وكانت الحياة الثقافية في القرن الثاني للميلاد تتقد حيوية في العواصم الكبرى، كأثينا والاسكندرية في الشرق، وقرطاج في الغرب. وفي روما ساهمت إقامة المثقفين الوافدين من الولايات القريبة والبعيدة، في تلاقح التيارات الثقافية المختلفة التي كانت تحرك العالم الروماني.

في أواخر العهد الجمهوري وبداية العهد الامبراطوري، سطع نجم المدرسة الأدبية الإيطالية وأشع على كافة الولايات الغربية، ثم انتقل المشعل إلى المدرسة الإسبانية، ومنها إلى ولاية إفريقيا في منتصف القرن الثاني. فواكب ازدهار الثقافة والآداب في عهد هادريانوس وأباطرة الأسرة الانطونية، ازدهار الفلاحة والعمران، كما استرجع الشرق الإغريقي، بعد تقهقر الآداب الإيطالية، ما عهده من خلق أدبي وإشعاع ثقافي[3]. ومن الأدباء الذين بلغوا شهرة كبيرة في عهد الأسرة الأنطونية، أبولي مادور وفرنتون السيرتي.

---

[1] بلقاسم رحماني، أثر الاستعمار الروماني في الجوانب الثقافية، المرجع السابق، ص ص 307-308.

[2] محمد شفيق، المرجع السابق، ص 78.

[3] عمار المحجوبي، ولاية أفريقيا، المرجع السابق، ص 152.

ثانياً– أبولي مادور: يعتبر من بين الشخصيات التي خدمت الساحة الفكرية المحلية والجهوية والعالمية، حيث نجد الروائي أبولي مادور الذي يعد من كبار العلماء والمثقفين، كان يمتاز بسعة العلم والاطلاع، وكثير السفر والبحث، فهو رجل فكر موسوعي، ومن أشهر المناطقة (المنطقيين) –المغاربة–، فيلسوف وعالم فلك، ورياضي، وفيزيائي، وطبيب وعالم تشريح وأديب ومحامي وخطيب مفوه. كان مولعا على الخصوص بالعلوم التجريبية غير أن أغلب أعماله في هذا الميدان قد ضاع، واشتهر برواية **"الحمار الذهبي "** (Métamorphoses) أول نص روائي في تاريخ الإنسانية[1]. وقد وصلتنا هذه الرواية كاملة لأن هناك روايات قبلها لكنها وصلت ناقصة. ويعتبر هذا العمل الأدبي الإبداعي أيضا أول نص روائي فانطاستيكي في الأدب العالمي. ولا يمكن أن نتفق مع الذين ذهبوا إلى أن رواية (دونكيشوت)1604 لسرفانتيس – الكاتب الإسباني– أول نص روائي عالمي، أو مع الذين أثبتوا أن بداية الرواية قد انطلقت مع الرواية التاريخية الإنجليزية في القرن الثامن عشر (والتر سكوت، ودانيال ديفو، وفيلدينغ...). أضف إلى ذلك، تعد رواية الحمار الذهبي المنطلق الحقيقي لظهور الرواية المغاربية[2].

1)– هوية أبوليوس: هو أبوليوس أو أبولي مادور (Apulee Madaure)، كاتب أفريقي نوميدي عاش في القرن الثاني للميلاد، ولد بمدينة مادور المعروفة اليوم باسم (مداوروش) جنوب سوق أهراس سنة 125م، وتوفي حوالي 170م إبان الامتداد المسيحي. من عائلة مغربية غنية وذات نفوذ في مدينته الأصلية مادور. تقلد والده مناصب الأعيان البلديين (duumvir) وقد ورث أبوليوس هو وأخوه عن أبيهما ثروة مقدرة بمليوني ''سيستر(sesterces) ''، العملة الرومانية آنذاك مادور[3].

---

[1] بدأ اهتمام الدارسون بمؤلفات أبولي، سواء كانت الأدبية، العلمية، أو الفلسفية والمنطقية، منذ القرن التاسع عشر(19 م) من طرف المثقفين الغربيين، أبرزهم المؤرخ الفرنسي المختص بول مونصو (P. Monceaux) (1859 - 1941م) أما ''المثقفون'' المغاربة المعاصرون فلم يهتموا به بتاتا إلا البعض الذين كانوا متأخرين ومجترين كالعادة لما اهتم به الغربيون، بالرغم من أن شخصية أبوليوس نموذجا حيا لشخصية المثقف الشمال إفريقي. ينظر: عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، ص 111.

[2] جميل حمداوي، الحضارة الأمازيغية، المرجع السابق، ص 325.

[3] Gsell (S), M'Daouruch, T2, Op-cit, P.34.

2)- تعليمه: بدأ أبوليوس دراسته الابتدائية بنفس المدينة التي ازداد فيها وكان في مادور آنذاك مدارس مهمة تردد عليها مفكرون أفارقة ذو شهرة عالمية ففيها درس القديس أوغسطين وكذلك مارتيانوس كابيلا أحد ناقلي منطق أبوليوس إلى القرون الوسطى[1].

وبعد نهاية دراسته الابتدائية، تم إرساله إلى قرطاجة حيث كانت أهم جامعات المغرب القديم[2] وفي هذا السياق يقول أبولي: **"إنك لا ترى في قرطاج إلا نخبة المثقفين الضليعين في مختلف العلوم: طلبة يدرسون وشباب يتباهون بعلومهم وشيوخ يدرسون... إن قرطاج مدرسة معتبرة في منطقتنا، إنها هدية السماء للأفريقيين"**[3]. وهناك درس اللغتين اللاتينية واليونانية والفلسفة ولإتمام دراسته الجامعية رحل إلى أثينا[4]، حيث أقام سنوات عديدة. وقد أتاحت له هذه الإقامة بأثينا ملاقاة طلبة آخرين من المغربيين مثل بونتيانوس أصيل "أويا" الذي سوف يصبح صهرا له فيما بعد. كانت أثينا مقر الفلسفة الأفلاطونية، رغم ما أصبحت عليه دراسة هذه الفلسفة من رتابة واقترنت به من ميول صوفية منبئة بنشأة المدرسة الأفلاطونية الجديدة[5] في القرن الثالث الميلادي مدرسة بلوتينوس (Plotinus) وبورقيريوس (Porphyrios) وهو ما نلاحظه عند أبوليوس نفسه الذي تعلق بدافع شخصي بالتيار المتصوف المتدين[6].

---

[1] علي أحمد شعبان، المثاقفة ودورها في الحراك الفكري في المغرب القديم، أعمال الملتقى الوطني الأول بجامعة معسكر "المدينة والريف في الجزائر القديمة"، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر، 2013، ص 356.

[2] يقول يوفينال (Juvénal) عالم لاتيني من القرن الأول الميلادي ينصح خطيبا وُلد في رؤما بالذهاب إلى الضفة الأخرى للمتوسط (أفريقيا) بحثاً عن حظ أوفر. ينظر: Juvénal, VII, P.P.((148-149).

[3] النص كما ورد في المصدر: Carthago, provincae nostrae magistra venerabilis, Carthago,.... africae mrusa musa Caelistis ينظر: محمد العربي عقون، من التاريخ البلدي للجزائر القديمة، المرجع السابق، ص350.

[4] Gsell (S) Khemissa, M'Daurouch-Announa, OP-cit,P.34

[5] مدرسة فلسفية تشكلت بناء على تعليمات أفلاطون والأفلاطونيين، لكنها تحتوي الكثير من التفسيرات التي تجعل الكثير من الباحثين يراها مختلفة عن فلسفة أفلاطون الأصلية. ومع أن الأفلاطونيين المحدثين يعتبرون أنفسهم أفلاطونيين وأنهم يدافعون عن أفكار أفلاطون، فإن الكثير يعتبر هذه الفلسفة محاولة لجمع المدرستين الأساسيتين اليونانيتين الأفلاطونية والأرسطية. ينظر: جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، المرجع السابق، ص62.

[6] عمار المحجوبي، ولاية إفريقيا من الاحتلال الروماني، المرجع السابق، ص155.

ثم انتقل فيما بعد إلى روما حوالي 150م وفيها عمق دراسته في اللغة اللاتينية والقانون والديانات القديمة. لكنه لم يمكث فيها طويلا فعاد إلى مادور ثم إلى قرطاجة حيث بدأ يكون شهرته. وبعد فترة بدأ رحلة إلى الإسكندرية ليزور جامعتها وخزانتها المشهورة آنذاك غير أنه مرض وهو في طريقه إليها فاضطر إلى التوقف بمدينة أويا (طرابلس الحالية)[1].

3)– زواجه: اهتم أبولي بما كان يُكتب ويُروى عن عالم الغيب وانظم إلى الجماعات ذات الطقوس الدينية الخفية، حتى أتَّهم بتعاطي السحر لإغراء أرملة غنية تزوجها في بلاد طرابلس، كانت تسمى إميليا بودنتيلا (Emelia Pudentilla) تتمنى إلى أنبل عائلات أَوِيَا (OEA)[2].

فلما فعل هذا رفع أصدقائها وورثتها الأمر إلى القضاء مطالبين بإلغاء الزواج، واتهموه بأنه حصل على موافقة السيدة عليه بفنون السحر .

وبموجب تلك التهمة قدم أبوليوس للمحاكمة في صبراتة حيث وقف يدافع عن نفسه أمام رئيس المحكمة (كلوديوس مكسيموس Claudius Maximus)، والخطبة التي ألقاها أبوليوس بينت ذكاؤه وبلاغته بشكل أدهش مستمعيه من أبناء الولاية[3]، حيث رد على كل التهم الموجهة إليه ببراعة وذكاء وسخرية في آن واحد، ومن ردوده على اتهامه بالجمال والبلاغة، قوله أن الطبيعة هي التي وهبته ذلك اعترافاً منها بموهبته[4]، وتمكن من الفوز بالبراءة، وكانت نتيجتها أن كسب القضية والزوجة، وأصبحت تلك المحاكمة واحدة من أشهر المحاكمات في التاريخ القديم[5]، وقد حررت بعد ذلك في صيغة صيغة إيجابية، فأصبحت تعرف بـ "الأبولوجيا" (Apologie)[6].

اشتهرت مرافعة أبولي شهرة واسعة، وصاغها فيما بعد صياغة أدبيّة واختار لها عنوان "التبرير" (Apologia)، وكتبت في كتب ونسخت وانتشرت وبقيت ليومنا هذا متداولة، من بين كلامه في

---

[1] علي أحمد شعبان، المرجع السابق، ص 356.

[2] محفوظ قداش، المرجع السابق، ص 209.

[3] خليفة علي البشباش، مرافعة صبراتة، تر: أنس أبو ميس، مجلة تاريخ ليبيا، العدد، 2015، ص37.

[4] محمد الحبيب بشاري، الحياة الأدبية الرومانية ومساهمة الأفارقة في إنعاشها، مرجع سابق، ص 39.

[5] خليفة علي البشباش، المرجع السابق، ص37.

[6] محمد الحبيب البشاري، الحياة الأدبية الرومانية ومساهمة الأفارقة في إنعاشها، مرجع سابق، ص 39.

مرافعته التبرير قوله: **"أما الفصاحة، فإن لي فيها حظا، فلا ينبغي أن يعد ذلك أمرا غريبا ولامكروها، إذ عكفت منذ فجر العمر على دراسة الأدب عن أبرز رجاله، مزدريا في سبيل ذلك كل ملاذ الحياة الأخرى... ثم إنه عاب علي كذلك الفقر، وهي تهمة أقبلها مسرورا بل وأحب إعلانها أمام الملإ، أقول إن الفقر كان عبر القرون الماضية مؤسس كل المدائن ومبتكر كل الفنون، خلوا من أي عيب وافيا لحظ من كل مجد، محل ثناء وإجلال لدى كل الأمم. الفقر هذا عينه هو الذي كان عند اليونان استقامة في أرستيدس وحلما في فوكيون وبأسا في إيبامنداس وحكمة في سقراط وفصاحة في هوميروس وهو الذي وضع الأسس لسلطان الشعب الروماني، واعترافا بفضله مازال يقدم حتى اليوم القرابين للآلهة الخالدين في قدح وجفنة من الفخار"**[1].

وفي نهاية المرافعة لخص بإيجاز وبلاغة كامل التهم ورده عليها في كلمتين لكل تهمة **قائلا:" فماذا يأتي ترى بعد ذلك؟ هات إذن واحدة من تلك الجرائم البينة هاأنذا أرد على كل واحدة من تهمهم بكلمتين لا أكثر:**

" تلمع أسنانك"– اغفر نظافتي.

" تتأمل المرآة "– واجب الفيلسوف.

" تنظم شعرا" – عمل مباح.

" تدرس الأسماك" – يعلمني أرسطوطاليس.

" تقدس خشبة" – يوصيني به أفلاطون.

" تزوجت امرأة" – تفتضيني القوانين.

" تكبرك سنا" – يحصل كثيرا.

"تنشد المال" – خذ الصداق، تذكر الهبة، اقرأ الوصية.

إن رددت كل تهمهم باستفاضة، إن دحضت كل الافتراءات، إن برأت نفسي لا فقط من كلالتهم، بل وكذلك من كل ما يشاع عني نما واغتيابا، إن لم أنقص أبدا شرف الفلسفة الذي هو عندي

[1] لوكيوس أبوليوس، المرافعة أو دفاع صبراتة، تر: عمار الجلاصي، منشورات تامنغست، طرابلس، ص.ص 11-12-27.

أفضل سلامتي، بل صنته بحرص أينما كنت، ماسكا إياه بسبع ريشات كما يقال، إن كان ذلك كما أقول فبوسعي أن أنتظر مطمئنا حكمك بإجلال وبلا وجل من سلطتك فلأن يدينني وال أهون في اعتقادي وأقل رهبة من أن يستهجنني رجل بمثل فضلك واستقامتك..والسلام"[1].

وعن تاريخ وقوع المرافعة وأهميتها يذكر الأستاذ عمار الجلاصي أنه لا توجد دلائل تاريخية خارجية على وقوع هذه المحاكمة التي ربما تمت في 159/158م كما يستنتج من بعض القرائن، وللنص بجانب أهميته الأدبية وما يتضمن من معلومات حول سيرة حياة أبوليوس وشخصيته، قيمة تاريخية هامة فهو يفيد في مجالات عديدة كدراسة الأسرة والقانون والسحر والأديان ومدى التأثير الروماني واستمرار بعض عناصر الثقافة الفينيقية في إفريقيا بعد ثلاثة قرون من ضمها لروما[2].

4)- استقراره بقرطاج: وبعد قضاء سنوات في الترحال، استقر بقرطاج حيث بلغ الشهرة والمجد، فقد مارس مهنة محامي وطبيب وفيلسوف وعالم وخطيب وشاعر رومانسي[3]. من جهة أخرى كان يتباهى بكفاءته: " **أني أنظم أشعاراً من كل نوع وأبياتا مصحوبة بالقيتارة مع القوس، وبالرباب مع الأصابع، وأبياتاً تطابق السحاقة أو الكوثرن، هذا قليل: هيجاء، وألغاز، وقصص مختلفة، وخطب مفخمة من طرف الرجال الفصحاء، ومحاورات ممدوحة من طرف الفلاسفة، أنني أكتب عن كل شيء وذلك باليونانية وباللاتينية، ودائما بنفس الرضى عن الذات، وبنفس الحماسة وبنفـــــــس النجاح**"[4].

يتضح من النص تعدد مواهب أبولي وهذا دليل على عبقريته وتمكنه من الإبداع، لذلك تهافتت الجماهير لسماع المحاضرات والخطب التي كان يلقيها في مسرح قرطاجة، واهتزت إعجابا بفصاحته سواء تكلم اللاتينية أو الإغريقية، وأعجبت بسعة ثقافته، الأدبية والفلسفية والعملية[5]، وقد شملت الطب وعلم الفلك ومجموعة من علوم عصره، التجريبية منها والصحيحة، ويذكر عمار المحجوبي أنه كان لا يتقيد

---

[1] لوكيوس أبوليوس، المرافعة، المصدر السابق، ص 34.

[2] نفسه، ص5.

[3] (S), Gsell, Khemissa, M'Daourouch-Announa, OP-cit, P.P. 26-27

[4] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ج1، ص 252.

[5] (S), Gsell Khemissa, M'Daurouch-Announa, OP-cit, P.P.(27-28)

بمسألة أو بموضوع، بل يستغل فرص الاستطراد جميعها، للإشادة مثلا بثراء الحياة الثقافية في عاصمة الولاية، أو بجمال قرطاج وبهجة معالمها ولا حرج عنده في التخلص من النظريات الفلسفية، والتأملات الفكرية، والمسائل العلمية إلى النوادر الطريفة، أو إلى الحديث عن مشاهد الحياة اليومية، وعن طريق الوقائع والأحداث[1].

5)- أهم مؤلفاته: كان أبوليوس كاتبا مرموقا في عصره بين أدباء الثقافة العالمية، إذ نافس اللاتين والرومان واليونان، حيث ألف كتبا عديدة منها التي لخص فيها فلسفة أفلاطون وبسطة نظريات مختلف المدراس الفلسفية، ومنها أيضا كتاب عقيدة أفلاطون (Doctrine de Platon) ودراسة العالم (Taraite de Monde) ولم يقتصر على التبسيط والتلخيص بل قدم في كتاب حول إله سقراط (Le Dieu de Socrate) عرضاً إضافياً لنظرية الجان، مبرهناً عن مقدرة فائقة في الإلمام بنظريات مختلف المدارس الفلسفية، وتوظيفها للبحث في مسائل جوهرية كمسألة العلاقة بين البشر والآلهة وفي بحثه هذا انعكاس لتطلعات الفكر الديني في تلك الفترة، وصدى الاهتمام بأعوص القضايا كقضية الوحدانية الإلهية، أو بالأحرى صدى الاهتمام بأقطاب الوثنية ومفكريها بالمسائل اللاهوتية[2].

ترك أبوليوس مؤلفات علمية كثيرة ضاع أغلبها، ومن أهمها:

أـ كتاب في علم الحساب تحت عنوان (Arithmética)، وآخر في علم الفلك تحت عنـــــــوان (Astronomica) ذكرهما (إزدورس وكاسيدورس)[3] وغيرهما، ولكن الكتابين ضاعا.

ب ـ كتب كثير في علم الفلاحة، ولكنها ضاعت أيضاً، ذكر هذه الكتب مؤلفون قدماء كثيرون.

ج ـ مارس أبوليوس أيضا الكتابة في الفيزيولوجيا، ودرس كثيرا من الأمراض العصبية، وكان الناس يقصدونه للتطبيب في الحالات الخطيرة، كان يعرف كل أعراض الصرع ويمارس التنويم المغنطيسي بإتقان إلى درجة أنه أتهم بالسحر. ودون نتائجه التجريبية في كتاب له تحت عنوان (Medicinalia).

---

[1] عمار المحجوبي، المرجع السابق، ص 156.

[2] لوكيوس أبوليوس، الحمار الذهبي أول رواية في تاريخ الإنسانية، تر: أبو العيد دودو، منشورات الاختلاف الجزائر، 2001، ص. ص (10 - 26).

[3] كاسيدورس ولد حوالي عام 479م، عضو في مجلس الشيوخ ورئيس وزراء الأمراء في إيطاليا. له العديد من المؤلفات أهمها كتاب عن "المتنوعات" ينظر: الموقع الإلكتروني St.takla.org تاريخ الرفع 2013/06/15 .

د ـ مارس أبوليوس كذلك الفيزياء واشتغل بدراسة الظواهر البصرية، وكان يملك بمختبره مرايا من كل الأصناف، لكن مؤلفاته في هذا الميدان ضاعت وحرم منها العلماء والباحثين في تاريخ المغرب القديم.

هـ ـ اهتم أبوليوس أيضا بعلم النبات وعلم الحيوان والمعادن، ونشر مجموعة من الكتب في هذه الميادين، بعضها باليونانية والبعض الآخر باللاتينية. ونشر كتابا ضخما تحت عنوان (مسائل طبيعة)، عرض فيه نتائج تجاربه على الأسماك الغريبة والأشجار والموسيقى[1].

لقد كان أبوليوس يشتري أصنافا غريبة من الحيوانات بأثمان باهظة ليمارس عليها التشريح بمختبره في أويا (Oea) أو في قرطاج. " **كان مختبره مشهوراً في كل إفريقيا وكان الأجانب يزورونه**"[2]. لكن هذه الكتب العلمية التي ألفها أبوليوس ضاعت، ونحن نتأسف على غياب مؤلفاته المصدرية، إلا ما ذكره بعض المؤرخين والباحثين، ومن المحتمل، كما يفترض مونصو(Monceaux)، أن تكون هذه الكتب قد أدرجت في الطبعة المجددة لموسوعة وارون (warron) القديمة دون ذكر المصدر الأصلي[3].

و ـ كتاب (De Mundo) وهو الكتاب العلمي الوحيد الذي عثر عليه، ويصنفه أغلب المؤرخين ضمن الكتب الفلسفية، يصف فيه أبوليوس السماء والنجوم والمحيطات ومجموعة من الظواهر الطبيعية[4].

6)– رواية الحمار الذهبي: تعتبر رواية الحمار الذهبي أول رواية نثرية باللغة اللاتينية، ومن أجود ما تبقى من آثار الأدب اللاتيني ألفت حوالي سنة 170م[5]، أطلقت على رواية أبولي الغرائبية العديد من التسميات من بينها (المسوخ Metamorphoses)، (قصة المسخ) عند حميد لحميداني، أو (الحمار الذهبي Asinus aureus) عند أبو العيد دودو، أو (التحولات) عند عمار الجلاصي، أو (تحولات الجحش الذهبي) عند فهمي علي خشيم، ويسميها جميل حمداوي رواية (الحمار الوردي)، لأن كلمة

---

[1] عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، ص ص 113-114.

[2] P.Monceaux, , Monçeaux Paul, Les Africains, Etudes sur la littérature latine d'Afriques (Les Païens), Lecénce, Oudin et Cie Editeurs, Paris.P.P(281-282).

[3] I bid, P. 282.

[4] عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، ص ص113-114 .

[5] لوكيوس أبوليوس، المصدر السابق، ص 5.

الورد أو الوردي تتكرر مرارا في متن الرواية، إذ وصف لوكيوس بأنه وردي البشرة، ووصفت حبيبته بأنها وردية اليد، والأكثر من ذلك أنه كان يحلم بالورد طيلة فترة تحوله[1].

وهناك من ترجم هذه الرواية عن اللاتينية، كعمار الجلاصي، وترجمت الرواية من قبل الأستاذ أبو العيد دودو عن الفرنسية، ومن قبل الأستاذ علي فهمي خشيم عن الانجليزية[2].

ومما يعطي قصته نكهة فريدة مزاوجته بين أساليب شتى من تشويق وفكاهة وإثارة جنسية ورعب وفظاعة وفخامة وجلال. ولها كذلك قيمة تاريخية ثابتة فهي مصدر مهم لمعرفة الديانات المنتشرة في الإمبراطورية الرومانية في ذلك العصر والتي أثرت في المسيحية، وعلى الأخص ديانة إيزيس. ومن الطريف أن بطلها حمار أو بالأحرى إنسان مُسخ حماراً لكنه احتفظ بقدراته العقلية، ونقلته الصدفة بين أيد شتى فشارك من خلال تنقله في عدة مغامرات وشاهد أخرى أو سمع بها[3]، واطلع على كثير من خبايا البشر وقصصهم وحوادثهم وتجاربهم، ويعرف ضروب الفسق الآدمي، علاوة على العار وضربات العصا والظلم في مخاطرات كثيرة، إلى درجة كرهه للإنسان الذي انحط انحطاطا خلقيا. ومن ثم لم يتحول إلى حالته الأولى إلا على يد كاهن يحرس معبد الآلهة (إيزيس)[4].

وعليه، فإن قضية المسخ وجدت في الملاحم القديمة، إذ كان الإنسان يتحول إلى قرد أو حيوان أو سمكة أو شجرة، وكان هذا المسخ يستند إلى طقوس وعقائد شعبية، ففي أوديسة (هوميروس)، مسخ أصحاب (يوليوس) إلى خنازير. كما توجد في أشعار يونانية قديمة قصائد ومقطوعات موضوعها قصص المسخ التي ضاع منها الكثير[5].

وتصف لنا الرواية، في أسلوب غلب عليه الطابع الهزلي، معاناة الحمار على أيدي الناس، صغارهم وكبارهم، ومن كلا الجنسين، لكن جاءت فيه قرائن عديدة تحمل على الاعتقاد بأن أبوليوس أراد من

[1] جميل حمداوي، المرجع السابق، ص 331.
[2] لوكيوس أبوليوس، الحمار الذهبي، المصدر السابق، ص 1.
[3] نفسه، ص4
[4] جميل حمداوي، المرجع السابق، ص 333.
[5] جميل حمداوي، المرجع السابق، ص333.

خلال مغامرات حماره الممتعة تبليغ رؤيته الأفلاطونية، والأقرب بالأحرى إلى الأفلاطونية المحدثة لمعنى الحياة الإنسانية[1].

7)- خصائص الرواية الفنية والمرجعية: إن رواية الحمار الذهبي قراءة انتقادية ساخرة للمجتمع الروماني على جميع الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية. وتتجاوز هذه القراءة الوعي البشري، وتنقب داخل المخبأ وداخل اللاوعي، وينبغي قراءة الحمار الذهبي قراءة متأنية في سياق انهيار العقل، واضمحلال المركزية الرومانية وتفككها، بحيث لم تعد روما هي معبد الثقافة، ولكنها انسحبت أو بدأت تفعل ذلك تاركة مكانها لمناطق أخرى مثل أثينا[2].

ومن خصائص رواية الحمار الذهبي أنها رواية عجائبية، يتداخل فيها الواقع مع الخيال، والسحر مع العقل، والوعي واللاوعي. ويتبنى فيها الكاتب المنظور الذاتي والرؤية الداخلية وضمير المتكلم، مع استخدام تقنية التوليد القصصي أو ما يسمى بالتضمين القصصي، دون أن ننسى روعة الوصف، وبراعة الأسلوب، والإكثار من الإحالات، وتشغيل الخطابات الدينية والأدبية والفلسفية والصوفية والعجائبية والأسطورية. وتقترب القصة، من خلال خصائصها الفنية والبلاغية من أصلها الملحمي الشعري[3].

نعثر في رواية أبوليوس على مقومات الفن الروائي، وهذا المؤلف المكتوب نثرا في لغة سهلة رشيقة، حتى قيل أنه " نموذج رائع من الأسلوب القصصي الروائي" يتجه إلى جمهور واسع[4].

أنتج أبوليوس لأول مرة بتأليفه كتاب "المسوخ أو الحمار الذهبي" عملا ينتمي، سواء من ناحية تركيبه أو من حيث مقصده، إلى الرواية التقليدية، لذلك يجب أن يعتبر رائدا سباقا في مجال هذا الفن الأدبي، كما تعد هذه رواية نصا إبداعيا عالميا متميزا، يعبر عن الهوية المغربية النوميدية، وقد أثرت الرواية في الأدب القديم، والرواية الغربية الحديثة، والرواية العربية المعاصرة، ولاسيما المغربية منها.

ثالثاً- فرنتون السيرتي: سأدرس هذه الشخصية الأدبية من خلال العناصر الآتية:

---

[1] لوكيوس أبوليوس، الحمار الذهبي، المصدر السابق، ص. ص 4-5 .

[2] واسيني الأعرج، (أحلام بقرة: العجائبية / التأويل/ التناص)، مجلة آفاق، مجلة اتحاد كتاب المغرب، العدد الأول، 1990، ص 64.

[3] جميل حمداوي، المرجع السابق، ص 338.

[4] واسيني الأعرج، المرجع السابق، ص 64.

1)- هوية فرنتون السيرتي: هو ماركوس كورنيليوس فرنتو(*Marcus Comelius Fronto*)، ولد فرنطون بسيرتا سنة 100م (في بداية حكم ترايانوس) وتوفي بروما سنة 166م[1]، وكان يعترف دائما بثقافته الإفريقية، وهويته النوميدية، وبالرغم من أنه اشتهر في روما لكن لم ينس وطنه، الذي عبر عدة مّرات عن تعلقه به وأشاد بمناخه الصحي، وقد تحدث عن إفريقيته في إحدى رسائله الإغريقية بأنه ليبي أصيل، قائلا: "**إنه ليبي من بين الليبيين النوميد**"[2].

وكتب أيضا: " **أنني بربار....وإنني ليبي ومن دين الليبيين البدو**". قال عنه مونصو:" **مرة أخرى، كان يبتهل بأبهة إلى الآلهة الأهلية، لآمون والآلهة الليبية، ونعلم من مينوسيوس فيليكس بأن حديثه ضد المسيحيين كان له دوي قوي في قدم الأطلس. في طبعه سمات افريقية: مغالاته المفرطة، كثرة تعلقه المسرحي بمارك أوريل، عادته في تفخيم حمايته، والمباهاة جهراً بعقائده الدينية، طلاقة لسانه حين يتكلم عن نفسه، وصراحته الفضة التي لاتعفي حتى الأباطرة: هذا الطبع الإفريقي يكتشف في اللغة أيضا: مزيج من الكلمات الهلنستية القديمة، ومن الكلمات الشعبية، وتلك هي اللاتينية التي كان ينطق بها منذ مدة قديمة في نوميديا كما هو الشأن في قرطاجة**"[3].

من خلال النص يبدو أن فرنتون يعتز بأصوله اللوبية فقد كان معتزاً بأفريقيته، ويذكر نوميديا مرفوقة بعبارة بلدي (Mea Patria)، ويعبر عن ذلك بكل صراحة من خلال عاداته وسلوكه وطلاقة لسانه والصراحة القاسية التي تعرض لها حتى الأباطرة.

2)- نشأة فرنتون: نشأ ماركوس كورنيليوس فرنتون في عائلة أرستقراطية، بدأ دراسته في المدن الكبرى النوميدية: سيرتا، تيفست، مادور، ثم انتقل إلى قرطاج العاصمة العلمية لشمال إفريقيا القديم[4]، ثم إلى روما لإتمام دراسته، حيث تتلمذ عن الفيلسوف الرواقي أتنودُورُوس (Athenodorus) وعن الخطيب

[1]-عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، ص178.

[2] في الترجمة الفرنسية للرسائل الإغريقية هكذا بالحرف (Libyen d'entre les libyens Numides) ينظر: محمد العربي عقون، الاتحاد السيرتي، المرجع السابق، ص 348.

[3] محفوظ قداش، المرجع السابق، ص 208.

[4] عمار المحجوبي، المرجع السابق، ص 153.

وديُونُوزِيوس (Dionysios)، ولما أتقن أساليب الريطوريقا، مارس مهنة المحاماة. فرافع في قضايا عامة وقضايا سياسية وكون من حوله مدرسة تكونت من مريدين كانوا يدعون بالفرونطيين. من بين هؤلاء ماركوس أوغليوس صاحب كتاب الليالي الأتيكية. ولفرنطون نظرية في الفصاحة مؤسسة على مبدأي الشعور والانفعال، وكان يعتبر الريطوريقا أهم أشكال الأدب، بل كان يرجع كل أشكال الأدب إلى الريطوريقا[1].

3)– شهرته في روما: اختار فرنتون روما لتكون مسرحاً لإبداعاته الخطابية، حيث اشتهر هناك بسعة ثقافته وفصاحة لسانه وتفوقه في مهنة المحاماة، عندما أصبحت مدن الإمبراطورية وولاياتها تتسابق في تكليفه بالدفاع عن قضاياها، لكن لا نعرف عن تفاصيل أدائه شيئاً يذكر لضياع خطاباته التي أكسبته شهرة وحاز بها على لقب شيشرون[2] الثاني أو شيشرون الآخر (Altercioro). اعتلى مرتبة القنصلية سنة 143م، ثم أسندت إليه مهمة تربية الشاب مَرْكُوس أورِلِيُوس (Marcus Aurelius) وتعليمه قبل جلوسه على العرش الإمبراطوري، فأصبح من أصدقائه المقربين[3].

4)– مؤلفات فرنتون: كان فرنتون كاتبا مرموقا في عصره بين أدباء الثقافة العالمية، إذ نافس اللاتين والرومانيين واليونان، ومن أهم أعماله:

أ)– المراسلات[4] (Epistolae): أشهر آثاره التي كتبها في فترتين مهمتين من حياته، الأولى ما بين 139-145م وهي الفترة التي كان يقوم فيها بوظيفة معلّم ومربّي ماركوس أوريليوس، والفترة الثانية ما بين 161-165م بعد تقدمه في السنّ. ونكتشف من هذه الرسائل جدية فرنتون ونبل تفكيره. ومن

---

[1] عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، ص-ص 176-177.

[2] **شيشرون:** هو ماركوس توليوس كيكرو (Marcus- Tullius-Cicero) (106-43ق.م) لقد اكتسب شيشرون شهرته الخالدة ومجده السرمدي بوصفه خطيب روما المفوه بل صار يضرب به المثل في الفصاحة والبلاغة، تمكن من وضع أسس النثر الأدبي اللاتيني، لذلك أعتبر صانع عصره الأدبي، ترك العديد من المؤلفات في مجالات مختلفة من بينها الأعمال الفلسفية. كما اقتحم عالم السياسة الرومانية بتقلده مجموعة من المناصب السياسية العليا منها قنصلا عام 63 ق.م ينظر: أحمد عتمان، الأدب اللاتيني ودوره الحضاري، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د ت، ص131 وما بعدها.

[3] عمار المحجوبي، المرجع السابق، ص.ص 153.152.

[4] لقد أصبحت الرسالة فنا أدبيا منذ العصر الهيللينستي. ولقد نشر أرتيمون خطابات الإسكندر الأكبر، وتبنى أبيقور شكل الرسالة لكي يجسد مبادئ الفلسفة الأبيقورية. وفي المدارس الفلسفية الهيللينستية كانت توجد رسائل ذات مضمون اجتماعي مفيد. ومن الطبيعي أن تزحف الخطابة رويدا رويدا على الرسائل التي خطها المثقفون. للمزيد ينظر: أحمد عتمان، المرجع السابق، ص 148.

خلال هذه الرسائل نطلع على سريرة صاحبها وهو يجلس إلى نفسه متأملا أو مدبرا هذه الخطة أو تلك. وهي خطط قد ينفذها أو يعدل عنها فيما بعد. وترسم هذه الرسائل صورة لفرنتون الإنسان، فنجده رجلا غاية في الإخلاص لأسرته وأصدقائه ووطنه. إننا أمام عقلية نشطة تنهل من أنهار الأدب وينابيع الفلسفة ولا يشبع له ظمأ.

ب)– مقتطفات من خطب: هي عبارة عن مرافعات تناولها من أجل القرطاجيين والبيثونيين[1](Bithyniens).

ج)– مقتطفات من دراسة فنّ البلاغة والخطابة: وكلاهما مُهْدَى إلى ماركوس أوريليوس.

د)– دراستان في التاريخ: تناولت الأولى حروب الفرس، وكانت الثانية حول مبادئ التاريخ تناولت حملة ويروس على الشرق[2].

هـ)– مجموعة من الأعمال هي: الدخان والغبار[3]، وبعض الأشعار وعطل ألسيوم (Alsium) في شكل رسائل إلى ماركوس أوريليوس، ونص بعنوان: فقدان حفيدي، جوابا على رسالة تعزية من الإمبراطور.

وقد عرف نشاطه وأعماله في البلاغة لتوفر الوثائق ومن أهمها رسائله المشار إليها آنفا. أما بقية ما كتبه هذا الريطوريقي المغاربي ضاع كله. ولم يصلنا من كتبه وخطبه إلا أجزاء متفرقة ذكرناها قبل حين.

5)– اهتمامه بالمنطق: اهتم فرنتون بمادة المنطق من خلال اهتمامه بالريطوريقا. وله في هذا الباب نظرية عرضها في كتاب له تحت عنوان (De Elequantia) فيه يعدد الكاتب مزايا الفصاحة، ويولي

[1] **البيثونيين**: نسبة لـ "بيثينيا" (La Bithynie) ولاية رومانية مطلة على البحر الأسود بآسيا الصغرى. للمزيد ينظر: ديون كسيوس، التاريخ الروماني، تر: مصطفى غطيس، ج10، ط1، ألطوبريس للطباعة والنشر، طنجة، 2013، ص 07.

[2] محمد العربي عقون، الاتحاد السيرتي، المرجع السابق، ص 350.

[3] عندما قرأ ماركوس أوريليوس الدخان والغبار لم يتمالك عن الإدلاء بأنه: لم يقرأ نصّا أكثر أناقة وأصالة ولا أكثر روحانية ولاتينية من هذا النصّ، فما أروع حججه ونسقه وتأنقه وجماله وسحره وتعبيره وظرفه وبريقة ورقته ولطفه وفنه وعبقريته، ينظر: محمد العربي عقون، الاتحاد السيرتي، المرجع السابق، ص 350.

اهتماما خاصا لدور الألفاظ وتقنيات تركيب الجمل الفصيحة.وفي هذا الإطار تأثر فرنتون بالمنطق الرواقي[1] من خلال أستاذه أثينودوروس[2] (Athenodorus)[3].

ومع أنه كان لا يميل إلى الفلسفة، إلا أن بعض الفقرات من رسائله تدل على رواقي رفيع يتمتع بقلب عطوف ونفس بسيطة: "...**عندما يحل الأجل، الذي لا يمكن أن يؤجّل–سأحّيي السماء وأنا أغادر هذه الدنيا وسأشهد بنفسي على جلائل الأعمال التي صنعت، لقد عشت راحة البال مع أهلي ولم أتحصل على أيّ من الأمجاد التي في حوزتي بطرق مشينة، لقد كنت منشغلاً بالجانب الروحي أكثر من الجانب المادّي، لقد فضّلت دراسة العلوم على المنافع المادية وبقيت بسيطا، بل لم أتوسّل الحماية من أحد، وكنت أقول الحقيقة بأمانة، أسمع دون أن أشكو، وكنت أفضّل مواساة صديق على الانغماس في الملذات، وأطلب دائماً أقلّ مما أستحقّ، لقد كنت أقرض المال ما استطعت وأساعد من يستحقّ ومن لا يستحق، لم أكن أشترط الامتنان، ولم يشن ما أجده من جحود على فعل الخير ما استطعت تجاه الآخرين ! "**[4].

تبين لنا مراسلاته الأسلوب الأدبي الرفيع لديه، وفي هذه الرسائل لا يظهر فرنطون الخطيب فحسب، بل يظهر فرنطون بأكمله، إنه فرنطون وسط تلاميذه، فرنطون وسط عائلته، ويُستنتج من استرساله في الكلام عن نفسه جوانب طيبة من حياته اليومية، ومشاهد لا تخلوا منها الآداب القديمة.

6)– أسلوبه في الكتابة: نأخذ من بين رسائله العديدة رسالة عنوانها: في البيان (*De Eloquentia*) وهي مليئة بالقواعد المتعلقة بالمفردات وفيها يؤكد بأنه ينبغي الاهتمام بدرجة (*Gradus*) ووزن (Pondus) وعمر (Aetus) الكلمة ووضع كل كلمة في مكانها في نسق وانتظام، ويقول أن لإثراء الموضوع بالمفردات ينبغي استدعاء شعب الكلمات كلّه[5].

---

[1] اهتم المغاربة بالمنطق الرواقي أكثر من اهتمامهم بالمنطق الأرسطي. ويرجع هذا إلى سببين: الأول احتكاك المغاربة المباشر برواد المدرسة الرواقية بروما وبشمال أفريقيا القديم، والثاني يتمثل في الميل الطبيعي للمغاربة القدامى إلى الريطوريقا. للمزيد ينظر: عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، ص 91.

[2] **أثينودوروس**: فيلسوف رواقي روماني.

[3] عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، ص 177.

[4] محمد العربي عقون، الاتحاد السيرتي، المرجع السابق، ص 352.

[5] محمد العربي عقون، الاتحاد السيرتي، المرجع السابق، ص 352.

عندما يفتقد فرنتون العبارات المناسبة يلجأ إلى العامية الدارجة في المقاطعات المختلفة خاصة من بلاد المغرب، كما أخذ عن الكتاب القدامى (القرن الثاني ق.م) مثل كاتون (Caton) والشعراء إينوس وبلوتوس والمؤرخ سالوستيوس[1].

لذلك تتميز مؤلفات فرنتون بالتكلف والتصنع والادعاء وفساد الذوق هذا حسب نقاد العصر الحالي، إلا أنه يجب أن لا ننسى بأن تلك النقائص كانت تعتبر في عصره من المكملات والمحاسن[2]، لكن هذا الشغف الكبير باللغة واللفظ أدى في بعض الحالات إلى إهمال المعنى، حتى أن فرنتون كان يطرق مواضيع على درجة كبيرة من السذاجة، كالإشادة بالدخان والتنويه بمزايا الغبار. ويرجع ذلك إلى تعلقه بالعتيق في الأدب اللاتيني، أدب المدرسة الإيطالية التي ازدهرت منذ القرن الثالث والقرن الثاني قبل الميلاد، زمن إنيوس[3] (Q.Ennius) وبلاوطوس[4](T.Maccius Plautus) وترنتيوس(P.Terentius Afer)[5].

بينما أشرف هذا الأدب على الاحتضار في نهاية القرن الأول بعد الميلاد، على غرار نفاذ قوى الفئة الاجتماعية التي بعثته، وتدهور الفلاحة والاقتصاد في شبه الجزيرة الإيطالية. وخير دليل على احتضاره ما يلاحظ من تكلف واصطناع في الخليط من المقالات اللغوية، والرسائل التاريخية، والأحكام القانونية والأخلاقية التي جمعها تلميذ الأستاذ الإفريقي سلبيسيوس أبوليناريس (Sulpicius

---

[1] Marache (R), Critique littéraire de langue latine, Op-cit, 116.

[2] محمد الهادي الشريف، المرجع السابق، ص 360.

[3] **إنيوس**: عاش كوينتوس إنيوس (Quintus Ennius) سبعين عاما (239- 169 ق.م) يلقب " أبو الأدب اللاتيني"، جاء من روديايي في كالابريا وهي ملتقى العناصر الحضارية الآتية: الإغريقية والأوسكية والرومانية. ولذلك دأب إنيوس على القول أنه ذو ثلاثة أفئدة، مما يعني أيضا أنه كان يعرف اللغات الثلاث الإغريقية والأوسكية واللاتينية، ترك أنشطة أدبية متعددة، حيث نظم الشعر وأعد للمسرح الكثير من السرحيات التراجيدية خاصة. للمزيد ينظر: أحمد عتمان، المرجع السابق، ص 20.

[4] **بلاوطوس**: ولد الشاعر تيتوس ماكيوس بلاوطوس في سارسينا الواقعة في إقليم أومبريا، ويقول شيشرون إنه مات عام 184 ق.م، نسبت إليه حوالي 130 مسرحية وهو عدد مبالغ فيه ومشكوك في أمره. إذ أن فارو يحفظ قائمة بإحدى وعشرين مسرحية هي المتفق على أنها من تأليف بلاوتوس. للمزيد ينظر: محمد الهادي الشريف، المرجع السابق، ص 36.

[5] **ترنتيوس (الأفريقي)**: من أفريقيا يرجح أن الشاعر بوليوس ترنتيوس أفير (P.Terentius Afer) قد جاء إلى روما وذلك كما يستدل من اسم الشهرة (Afer) فهو يعني "الأفريقي". توفي في سن الخامسة والثلاثين، تاركا أعمال فنية مهمة أشهرها مسرحياته الست بمقدماتها التي رد فيها على نقاده. للمزيد ينظر: نفسه، ص.ص 59.58.

Apollinaris)، ورائد منزل فرنتون، الكاتب أولوس جاليوس (Aulus Gellius)، واختار لها عنواناً: "الليالي الأثينية"[1].

بالرغم من أن هذا هو مصدر البلاغة عند فرنتون، إلا أن أسلوبه كان راقياً، ملئ بالصور البلاغية، فهو أستاذ البيان كما نعلم.

7)- المناصب التي اعتلاها: إن تعليم أميرين ونبوغه في فنّ الخطابة وضع فرنتون في مقام رفيع بين المجتمع الروماني، فقد عينه الإمبراطور أنطونين سنة 143م قنصلا، ولكن لم يستغرق في هذا المنصب أكثر من شهرين حتى عين بروقنصلا، وهذا التاريخ هو العلامة البارزة في حياته مثله مثل شيشرون، وكانت القوانين تقتضي إجراء القرعة لتحديد المقاطعة التي سيحكمها، وكان هو يتوق إلى أن تكون أفريقيا من نصيبه فيعود إلى بلده في أبّهة كبيرة بعد حياته الفكرية الطويلة لكن خابت آماله فكان نصيبه مقاطعة آسيا، بعد عزم الالتحاق بمنصبه إلا أن المرض عاجله فاعتذر[2].

كان منزله في روما لا يخلو على الدوام من الأفريقيين الذين يستضيفهم ويساعدهم في قضاء أعمالهم طيلة إقامتهم في روما وكان يولي عناية خاصة بالأدباء والتلاميذ الأفريقيين المتواجدين بروما، ومنهم : كالسينوس النوميدي (calsinus le Numide) وفستوس بوستوميوس (Festus Postumius) وسرويليوس الهيبوني (Servilius d'Hippone)، وعلى الخصوص أوفيديوس فكتورينوس (Aufidius Victorinus)[3] الذي زوجه ابنته وصادقه مع ماركوس أوريليوس، ودفع به في طريق ارتقاء سلّم الوظائف السامية حتى تقلد منصب برايفيكتوس مدينة روما ثم منصب القنصلية[4].

لقد تربع فرنتون على عرش البلاغة في روما وكان محاطاً بالمعترفين بفنّه وكلهم أصدقاؤه وأغلبهم من تلاميذه، علاوة عن أعضاء مجلس الشيوخ والمحامين والموظّفين، الساميين، فيمكن أن نسّمي حاشـية

[1] عمار المحجوبي، المرجع السابق، ص153.

[2] محمد العربي عقون، الاتحاد السيرتي، المرجع السابق، ص 354.

[3] كان هؤلاء تلاميذ وأصدقاء فرنتون السيرتي فقد كان يوصي بتوظيفهم ويتابع مسارهم المهني، وبالمقابل كانوا يشكلون حاشيته.

[4] محمد العربي عقون، الاتحاد السيرتي، المرجع السابق، ص ص 355- 356.

فرنتون "النادي الفرنتوني" وهذا النادي قد ضم نخبة روما إضافة إلى أبناء بلده المغاربة من قرطاج ومن نوميديا[1].

يعد فرنتون فريد عصره ومن أكبر فناني زمانه تميز خلال حياته كلها أفريقيا بوجدانه وعاداته وسلوكه. ويستنتج من أعماله أنه كان أنيقا صاحب كبرياء طيب القلب، ظل أدبه نابعاً من صلب الذاكرة والوجدان المغربي ولو في شكل حرفه المستعار، لأن الحرف اعتبره المفكرين المغاربة في هذه الظرفية المتوترة وسيلة لتمرير الخطاب، كما قال كاتب ياسين هو أيضا غنيمة حرب واعتبروا اللغة وسيلة للتواصل مع الآخر القادم إلى بلادهم والمحتل لهم.

لذلك الكثير مما كتبه فرنتون وغيره من الأدباء المغاربة كان باسم اللاتينية، والفكر اللاتيني، واللغة اللاتينية، لأن الرومان هجّروا المثقفين المغاربة المتميزين إلى روما، وفرضوا عليهم الجنسية الرومانية، والكتابة اللاتينية، مقابل النعيم المادي والرفاهية الأرستقراطية، دون أن ننسى بأن الرومان قد زيفوا عناوين مؤلفات الكتاب المغاربة، ورومنوا أسماءهم ومساهمتهم الفكرية، والهدف من ذلك كله هو القضاء على هويتهم، وطمس جذورهم الإفريقية، ومحو كتابتهم الأصلية.

والحقيقة إن فرنتون سعى إلى إثبات ذاته ووجوده وهويته، بواسطة الأدب والثقافة والعلم والعلوم نحو منحنى تكريس الوعي بالذات الفردية والجماعية، فالأدب المغربي القديم كان متقدما يضاهي وينافس أدب الشعوب المجاورة، لكنه تعرض لطمس شديد بفعل الهجمات المتتالية التي تعرضت لها بلاد المغرب. فالملك هيمبسال مثلاً لم يؤلف كتبه باللغة الليبية بل ألفها باللغة البونيقية، ويوبا الثاني ألف كتبه باللغة الإغريقية، فقبل مجئ الرومان كان عندنا أدب لوبي باللغة البونيقية، وفي عهد الرومانيين وجد عندنا أدب لوبي باللغة اللاتينية.

لذلك يتعين على الباحثين الجزائريين وغيرهم من المغاربة أن يسعوا إلى نفض الغبار عن هذا الجانب، والتعريف بالشخصيات الأدبية المغربية في الفترة القديمة لأنهم اعتبروا من المبدعين والمتميزين، عبروا عن هوية مغربية نوميدية.

المبحث الرابع: الحياة الفنية: قطعت الفنون والهندسة المعمارية شوطاً بارزا في فترة الاحتـــــــلال

[1] محمد العربي عقون، الاتحاد السيرتي، المرجع السابق، ص 355.

الروماني، بعد أن وفرت النهضة العمرانية للفنانين مواطن شغل كثيرة. وازدهر خصوصاً فن الفسيفساء وتأثر في البداية بالتيارات والأساليب الفنية الإيطالية، ثم سرعان ما تطور بأشكال وألوان مختلفة، وهذا ما سأحاول دراسته بالتفصيل في هذا السياق لإبراز مجالات الفنون المختلفة.

أولا– عوامل تطور الفنون التشكيلية: ساهمت مجموعة من العوامل في تطور الفنون التشكيلية وهي كالآتي:

1)– عوامل سياسية: اعتنت السلط البلدية والخواص على تمويل الفن السياسي، فاكتظّت ساحات فوروم مدن بلاد المغرب بالتماثيل، التي لا يزال الكثير من بقاياها موجود حتى الآن مبعثر في هذه الساحات أو الأروقة التي تحيط بها والطرق المؤدية إليها، وكذلك في المباني العمومية مثل الأسواق والبازيليك والكوريا، هذه التماثيل كانت إما من الرخام أو من البرونز، وكانت للأباطرة والحكام وأعضاء المجالس البلدية وخاصة الذين يقدمون الخدمات لهذه المدينة، لذلك كان لابد من تخليد أسمائهم والاشادة بأعمالهم[1].

نحتت أقواس النصر تخليدا لذكرى انتصارات الأباطرة. وفي المشاهد المنحوتة على قوس النصر الذي أقيم بمدينة لبقيس الكبرى سنة 203م، بمناسبة زيارة الإمبراطور سيتيميُوس سورُوس مدينة أجداده، مثال لمنهجية هذا الموضوع السياسي، حيث صور النحات على لوحة كبيرة في واجهة القوس الإمبراطور على عربة النّصر، بين تماثيل ربّات النّصر المجنّحة وهو يتقدم حاشيتَه ويتوسط ابنيه قاراقَالا (Caracalla) وجتَا (Geta). وصّور على اللّوحات التي كست جانبي القوس مشاهد انتصاراته في الحروب التي خاضها.

كانت الغاية من هذه التماثيل والنّحوت هي ترويج صور الإمبراطور وصور أهله وذويه، تعريفا بالأسرة الحاكمة ودعماً لها في أصقاع الإمبراطورية، وإشادة بالنّصر الذي يحالف دوماً الحكم الإمبراطوري ويرعاه. وأما تماثيل الولاّة وقادة الجيوش وأرباب السلطة وحكّام المدن فقد أمر مجلس المدينة باقامتها تمجيد لهم، لتقديم التأييد السياسي ودعم البنية الاجتماعية في كنف السلطة الرومانية[2].

[1] عبد القادر بوعزم، المرجع السابق، ص 252.

[2] عمار المحجوبي، المرجع السابق، ص 161.

2)- عوامل اجتماعية: حرص النحاتون على إبراز المرتبة الاجتماعية التي تميز الوجهاء عن بقية أفراد المجتمع، فأظهروهم على أنصاب قبورهم بلباس التوجا (Toga) الفضفاض الذي يرتديه الرّومان في المناسبات الرسمية، بيمنا ارتدت السيدات لباسا شبيها بالفستان الذي يشدّه حزام تحت الثدّيين. ويليق بالمرتبة الاجتماعية مع إبراز وقار المحيّا ورصانة الحركة، بينما تتجلى موهبة النّاحت وحنكته في قدرته على بعث الحياة في ملامح الوجه، وفقا لمقتضيات الفن الواقعي ومن بين التماثيل التي بلغت درجة فنية مرموقة، تمثال من القرن الثالث لوجيه من بلاد المغرب يرتدي عبّاد هرقل (Hercules)، عثر عليه بضاحية برج العامري بتونس حاليا[1].

كان لا بد على الأغنياء إدخال مظاهر الجمال على منازلهم الفخمة من الداخل لتكتمل روعتها وجمالها. حيث زودت بعض القصور بالرسوم الجدارية الجميلة المتعددة الألوان، فعلى سبيل المثال أكتشفت بقايا قصر بمنطقة بئر التوافقة[2]، يحتوي على بقايا رسوم جدارية، دلت على أن القصر يرجع إلى نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث الميلادي[3].

عُثر على بعض الأدوات التي استخدمت في تزيين البيوت من الداخل، ومنها بعض المجسمات مثل: الرمان المصنوع من الجبس، مضافاً إليها التماثيل الكثيرة التي كانت تعج بها المنازل في العصر الروماني على وجه الخصوص، وفي هذا المقام عُثر في منزل البهو المعمّد بمدينة لبتيس ماجنا على عدة تماثيل صغيرة مصنوعة من البرونز، وأجزاء مصغرة من الفسيفساء، وتمثال مصّغر لأسد مضطجع تحت الشجرة[4].

كما أن التنقيبات الأثرية أماطت اللثام عن مجموعة من المواد والمقتنيات استخدمت للزينة مثل: الرسوم الجدارية الجميلة المتعددة الألوان، والزهريات الزجاجية، واستخدام الزهور في منازلهم، وأُثر أيضاً بالسراي الحمراء بطرابلس على زهرية من الفخار ذات لون أحمر على شكل نصف كرة، عليها زخارف هندسية بارزة، تتكون من نقط وخطوط[5].

أما الفئات الشعبية الضعيفة، فلا قدرة لها في أحسن الحالات إلاّ على اقتناء نحوت قليلة النتوء،

---

[1] عمار المحجوبي، المرجع السابق، ص 162.

[2] تقع هذه المنطقة في ترهونة بليبيا.

[3] أحمد محمد أنديشه، الحياة الاجتماعية في المرافئ الليبية، المرجع السابق، ص 267.

[4] نفسه، ص 275.

[5] أحمد محمد أنديشه، الحياة الاجتماعية في المرافئ الليبية، المرجع السابق، ص ص 267-274.

لتخليد صورة الفقيد أو الفقيدة، أو لتقديم نذر إلى الإله الأفريقي سَاتُورنُس الذي كانت أنصابه تُعدّ بالمئات، وكانت أغلبية هذه النحوت سواء اكتسبت صيغة مأتمية أو دينية، من إنتائج مصانع غابت فيها القدرات الفنية وطغت التقاليد الحرفيّة الموروثة عن العهد القرطاجي[1].

3)– عوامل دينية: حافظ الفنّانون والحرفيون الأفارقة، في بداية العهد الروماني، على التقاليد الفنية الموروثة بعد انقراض الحضارة القرطاجيّة – فواصلوا خصوصاً في المصانع التي كانت تقصدها الفئات الشعبية–، نقش صور بعل حمّون مثلا أو نحتها على الطريقة التقليدّية. لكن الإيديلوجية الرومانية اكتسحت بسرعة المجال الديني رغم صموده، فألفت بين بعل حمّون وسَاتُورنوس، وبين تانيت ويُونوقايلستيس، وأصبحت صور واجهات المعابد على أنصاب ساتورنوس شبيهة بواجهة المعابد الإغريقية–الرومانية، وتعرضت المعتقدات والمعبودات اللّوبية إلى الرّومنة[2].

ذلك ما نلاحظه في آلهة النّصب الشّهير الذي عثر عليه بأحواز باجة –تونس حاليا–، وما تدّل عليه أسماؤها من مزيج بين العبادات والطّقوس اللوبية والرومانية. وقد بلغت الرومنة حدا أدّى إلى انتشار تماثيل الآلهة الإغريقية– الرومانية في سائر المواقع الأثرية، وفقاً للنماذج التي وضعها كبار النحّاتين الإغريق[3].

انتشرت كذلك منذ العهد الجمهوري تماثيل الآلهة الشرقية، كآلهة المعبد الذي عثر عليه بموقع ثينيسُوت (Thinissut) الأثري، بالقرب من بلدة بئر بورقبة، وفيه تمثال غير وجه الربة القرطاجية الكبرى تانيت وعوضّه بوجه لبوءة، تشبيها بوجه الرّبة المصرية ضَخَمات (Sokhet). كما انتشرت تماثيل الإله الإيراني ميثر (Mithra) والإله المصري سَارَابيس (Sarapis) والربة المصرية إيزيس (Isis) وغيرها من الآلهة الشرقية[4].

ثانياً: تطور فن الفسيفساء المغربية: إنّ موضوع دراسة الفسيفساء موضوع شيق للغاية، فهي بمثابة شاهد ثمين بالنسبة لديكور البنايات القديمة، كما أنها تعد من الشواهد التي من خلالها نستنبط

[1] عمار المحجوبي،المرجع السابق، ص 162.
[2] نفسه، ص 163.
[3] نفسه، ص 163.
[4] نفسه، ص 163.

الكثير من المعلومات حيث ظهر في الخرائط الأثرية لبلاد المغرب بقايا لوحات فسيفساء تعكس مشاهد الحياة التي كانت تدور من حولها، وتنم عن مدى تطور الحس الفني والجمالي للسكان في تلك المرحلة وقد نعالج في هذه الجزئية مراحل تطورها.

1) مفهومها: هي تقنية موزيفوم (opus Musivom)[1] كلمة من اشتقاق غير محدد، وقد ظهرت لأول مرة في نص لاتيني في عهد الإمبراطور ديوقليتيان (Diocletien)، حتى فترة القرون الوسطى، كانت تكتب دون اهتمام موزيوم (Museum) أو (Musium) أو موزيفوم (Musivum)، وتشير هذه الأخيرة في الأصل إلى التصوير الجداري بمعكبات الميناء، غير أنها أصبحت تشير إلى الفسيفساء بمفهومها العام، أي فن زخرفة مساحات معمارية، بواسطة قطع صغيرة حجرية أو طينية أو زجاجية أو رخامية وفخارية ذات ألوان مختلفة أو لون واحد، متجاورة داخل مساحة إسمنتية وتوضع على مستوى واحد لتأمين تماسك المجموعة[2].

تجدر الإشارة إلى أن تاريخ فن الفسيفساء يؤدي دورا كبيرا مثل: تاريخ بقية اللقى الأثرية، التي يستعان بها في دراسة الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لبلد ما، ومستوى المعيشة لسكانه حيث أنها استعملت لتزيين وتبليط أرضية وجدران القصور والمنازل والحمامات والكنائس والمحاكم وقد تناول الرسامون في اللوحات والرسوم مواضيع مختلفة نذكر منها الطقوس القديمة والمعتقدات الدينية[3].

2) أصلها: جاءت الفكرة الأولى للفسيفساء من الشرق، ففي 2500 ق.م استعمل الكلدانيون في زخرفة قصورهم طريقة قريبة من الفسيفساء، بحيث كانت إحدى جهات مبنى بمدينة الوركاء (Uruk) بالعراق مزينة بشاريات ولولبيات ومعينات صفراء وسوداء مشكلة بواسطة مخروطيات من الطين المشوي، كل منها مطلية في رأسها بأحد الألوان المذكورة، وهو ما يظهر للخارج. أما قاعدتها فتكون داخل سمك الجدار، وتشكل هذه المخروطات بواسطة تجاوز ألوانها المختلفة فسيفساء حقيقة[4].

---

[1] Dictionnaire encyclopédique Quilte (L-N), Librairie Aristide Quilet, 278, Boulevard Saint-Germain, Paris, 7, 1977,P.4389.

[2] (p) Gauckler, Opus misirrum dans dictionnaire des antiquités, Grecques et Romaines, Paris1916, P.2088.

[3] محمد البشير شنيتي، أضواء على تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 187.

[4] (H) Ennaifer, La civilisation tunisienne à travers la mosaïque, Tunis, 1973, P.15.

كما أبرزت التنقيبات في كريت(Crete) باليونان، وفي مصر مساحات من الحجارة الصغيرة، أو من الأصداف الموضوعة داخل بساط من الإسمنت[1]، غير أن هذه التقنيات القديمة من الفسيفساء لم تستعمل في تغطية الأرضيات[2].

3)– الفسيفساء المغربية: يعود أصل الفسيفساء في بلاد المغرب إلى الفترة البونية بقرطاج وأشهر مثال لها هو فسيفساء "تانيت" التي عثر عليها بسيلينونت (Selinonte) بجزيرة صقلية والمؤرخة بين القرنين الرابع والثالث ق.م، كما عثر على تبليطات خاصة في مدينة كركوان والمؤرخة بالنصف الأول ق.م[3].

وأجمع الأخصّائيون تقريبا على التأكيد بأن أفريقيا الرومانية أكثر المقاطعات إنتاجاً وتنويعاً للفسيفساء. والواقع أنّه يجب إرجاع تاريخ الإنطلاق الحقيقي لابتكار الفسيفساء الإفريقية في العهد الروماني إلى حوالي نهاية القرن الأوّل بعد المسيح، باستثناء بعض المجموعات كالتي عثر عليها بسيرتا والتي تعود إلى أواسط القرن الأوّل ق.م[4].

كانت الفسيفساء المغربية في بداياتها نسخة وفيّة للفسيفساء الإيطالية ذات اللونين الأبيض والأسود الأسلوب المتحفّظ في أناقته، وتسنى لصانعي الفسيفساء المغاربة أن يتحرّروا من تأثير المدرسة الإيطالية إلاّ خلال النصف الأوّل من القرن الثاني حيث تكوّنت مدرستهم وابتدعوا أسلوبهم الخاصّ المتميّز، وذلك أساساً باستعمالهم للألوان المتعددة وبميلهم إلى تنوّع الزخارف وغزارتها[5].

وينبغي إرجاع تاريخ التلوين في الفسيفساء الإفريقيّة إلى أواخر القرن الأوّل في مواقع مثل: قرطاج وأوتيكا، وأخذ التلوين يتقدّم بكل رقّة من حاشية اللوحة إلى وسطها ويكتسحه تدريجياً. وعلى امتداد هذه الفترة الإنتقالية من الأسود والأبيض إلى الملون حافظت التركيبات الهندسية على بساطتها واعتمدت التربيعات والدوائر المتقاطعة والمسدّسات المتماسّة...الخ مع الحشو بزخارف مستمدّة من المجموعات الكلاسيكية. أمّا النصف الثاني من القرن الثاني فقد شهد الإنبثاق الحقيقي للمدرسة الإفريقية وتجاوز

---

[1] (P) Gauckler, OP-Cit, P.2092.

[2] (H) Ennaifer,OP-Cit, P.17.

[3] Fantar, Les pavements puniques dans les dossiers de L'archéologie, N°31, 1978, P.8.9

[4] مجموعة مؤلفين، تونس أعلام ومعالم، الوكالة القومية للتراث، المعهد الوطني للتراث، تونس، مارس 1997، ص103.

[5] نفسه، ص 103.

الأسلوب الإيطالي[1]، حيث صار فن أكثر وضوحاً سواء من ناحية الأساليب التي تنوعت فيما بين الواقعية من خلال رسوم الأشخاص، والأساليب الرمزية المتمثلة في الزخارف النباتية، وأخرى تصور الزهور والطيور والحيوانات، بالإضافة إلى مشاهد من الأعمال والحرف، كالصيد والزراعة وغيرها من اللوحات التي وُجدت في مناطق مختلفة من بلاد المغرب[2].

وهكذا تطور فن صنع الفسيفساء تحت حكم الأنطونيين والسفريين موازنة مع تطور فخامة البنايات. وقد انتشر استعمال فن الفسيفساء، في المباني العامة وخاصة الحمامات، التي أصبحت المركز الاجتماعي للحياة اليومية. وكان لقدوم الإمبراطور هدريان (Hadrien) لبلاد المغرب في حوالي 128م أثره في ازدهار هذا النوع من الفنون، ذلك أن حاشية الإمبراطور كانت تضم بين أفرادها معلمي فسيفساء، جاءوا لزخرفة المباني التي قامت تشريفا وتكريما للإمبراطور[3].

وفي بداية القرن الثاني للميلاد، الذي عرف بعهد الأنطونيين، تعددت ورشات صناعة الفسيفساء على سواحل نوميديا وموريطانيا، نذكر كمثال على ذلك عنابة (Hippo-Regius) وقيصرية (Caesaria). أما المناطق الداخلية فقد برزت منها تازولت وتيمقاد وورشات أوتيكا وقرطاج بتونس[4].

لعبت صناعة الفسيفساء دوراً مهماً في الحياة اليومية بالرغم من ارتفاع تكاليف صناعتها، وكانت لها مراكز خاصة بها، تعمل فيها مجموعة من العمال والفنانين الممتازين الذين يتقاضون أجوراً مرتفعة على أعمالهم، ولذلك كانت مقصورة على المباني العامة ذات الأهمية التي تنفق عليها الدولة، وعلى تصوير الدارات الخاصة بطبقة الأغنياء[5].

ازداد انتشار الورشات في كل أنحاء الإمبراطورية أثناء حكم السفيريين لاسيما في بلاد المغرب التي ساعد وجود المرمر المتعدد الألوان بها على إثراء الفسيفساء، وعلى انتشار ورشات صنعها وكعينة على ذلك نذكر مدن كل من تبسة (Theveste) وسيرتا (Cirta) ثم سطيف وأوزيا (Auezia)

---

[1] مجموعة مؤلفين، تونس أعلام ومعالم، المرجع السابق، ص ص 103-104.

[2] صفاء أحمد عبد السلام، الفسيفساء في ليبيا:دراسة لعوامل التلف وطرق العلاج والترميم، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب،القاهرة،ص 103.

[3] Gaukler, OP-Cit, P.2092.

[4] Ibid,p.2109.

[5] صفاء أحمد عبد السلام، المرجع السابق، ص 105.

وسكيكدة (Rousicada) وبجاية (Saldae) وتنس (Cartenna). وبلغت مهارة الفنانين منزلة مرموقة في عهد الأنطونيين والسويريين، الذين اهتموا خصوصا بالمشاهد الميثولوجية، مشاهد أفروديت وينُوس وبيدها المرآة، وهي تتجمل وتتبرج، وديُونيزوسْ، وبوخُوس متصدراً موكب أتباعه، ونبتُونوس وهو يشق عباب البحر على عربة النصر[1].

وفي نهاية القرن الثاني الميلادي عرفت مواضيع الحياة اليومية رواجا بارزا بعد زمن طويل من احتكار المواضيع الزخرفية المعقدة في الفسيفساء، بحيث عوضت بأشكال مستوحاة من الواقع. وقد عبرت الفسيفساء عن عدة جوانب من الواقع اليومي المعاش، كمشاهد البيع والشراء، والقنص والصيد البحري، وحياة الأغنياء في قصورهم وضيعاتهم، أو كمشاهد المسرحيّات على الرّكح ومجابهة الوحوش في المسرح الدّائري، ومشاهدة الخيول المنتصرة وحلبة سباق الخيل، وأزدهر الأسلوب الباروكي، فصّورت هذه اللّوحات عالما يتدفق حيويّة قد تخلص من قيود الفن الكلاسيكي[2].(**ينظر الشكل رقم:34**).

شكل رقم 34: ممثل تراجيدي وممثل هزلي(متحف سوسة تونس)

نقلا عن: رضا بن علال، المرجع السابق، ص 183.

وفي أواخر القرن الثالث الميلادي أصبح تصوير الجسم الإنساني ثقيلاً، بحيث اختفت الرشاقة وخفت الحركات والطابع التأثيري للأشخاص وتركت مكانها للهيئات الجامدة. قلت الفسيفساء في هذه

[1] عمار المحجوبي، المرجع السابق، ص 161.

[2] Ennaifer , OP,Cit,P.25.

الفترة، كما أصبح صانعوها لا يقلدون النماذج المنشورة وإنما اتجهوا نحو المواضيع المجردة والفلسفية، وقد اختاروا عدة صور أسطورية إغريقية بسبب قيمتها المنفعية، ومحاكاة الحياة الأخرى.

مع عودة السلام والثراء تحت الحكم الرباعي، عرف فن الفسيفساء نفسا جديداً من الازدهار والتطور وأصبح الفنانون المغاربة معلمين كبار يدعون إلى صقلية واليونان واسبانيا[1].

بذلك تطور الفن في بلاد المغرب –بنماذجه كلها– بأغراضه ومواضيعه، وتقنياته، عبر العصور التي مر بها هذا الشعب العريق، إذ تأثرت فنونه بفنون شعوب أخرى، جلبها معهم القادمون لبلاد المغرب، من إغريق، وفينيقيين، ورومان. هذا بالإضافة إلى ما اكتسبه هذا الشعب من فنون نتيجة اختلاط أبنائه بشعوب أخرى، وعن طريق الهجرات، والمعاملات التجارية، مثل: الشعوب السودانية في جنوب البلاد، ومصر في شرقها، وشعوب الضفة المقابلة عبر البحر الأبيض المتوسط. أضحى هذا الفن مطعماً بالتراث الإنساني،الذي أبدعته ثقافات متنوعة، كانت معروفة منذ حقب قديمة عبر الحضارات الإنسانية.

من خلال هذا الفصل نستنتج أنه بالرغم من سياسة الرومنة التي سعت لطمس الشخصية المغربية، لكن هناك مجموعة من البصمات الثقافية والحضارية والتقنية الشاهدة، بكل جلاء على الذكاء الخارق الذي يمتلكه الإنسان المغربي، وعلى عبقريته المتفتقة نضجا وحكمة ورزانة، وعلى قدراته الإبداعية الهائلة التي تتضح بشكل بين على جميع الأصعدة والمستويات، فرغم حرص روما على تعميم لغتها وآدابها بكافة الوسائل، إلا أن التأثير اللوبي كان واضح الملامح عن طريق النقوش الجنائزية، فاستمرارية النقوش دليل الحفاظ على الثقافة المغربية التي دامت عبر مئات السنين من الاحتلال الروماني، أما مسألة التأثر بالأدب اللاتيني أو اليوناني، فهي مسألة طبيعية لأن ليس هناك أدب خلق من العدم، فالتلاقح الفكري يتحكم في جميع الظواهر النصية البشرية.

كما يعتبر الفن ظاهرة اعتيادية في بلاد المغرب، لا تخص النخبة، فالفنون بأنواعها من رسم وتصوير وعمارة ونحت وفسيفساء، هي مرآة للحياة تعكس تطور حضارة المجتمع المغربي، وتوضح كثيراً من مناحي حياته وتقاليد وتطلعاته.

[1] Ibid,P.25.

خاتمة

انبثقت هذه الدراسة من عرض المادة التاريخية الموجودة في المصادر الأدبية ووفقاً لما ورد في المراجع المختلفة، بهدف استجلاء تاريخ بلاد المغرب خلال تلك الفترة، وابراز السمات الجوهرية لثقافة المجتمع المغربي القديم وعلاقتها بالحضارات المجاورة، حيث اكتسب المغاربة من احتكاكهم بالمصريين والفينيقيين واتصالاتهم بالعالم الإغريقي والروماني الكثير من الأنماط الاجتماعية والثقافية، الشيء الذي ساعد على ازدياد عملية التطور والانفتاح الحضاري. ومن خلال ذلك توصلت إلى النتائج الآتية:

1- كان لسكان بلاد المغرب صلات قوية وأصول متينة تربطهم بشعوب البحر الأبيض المتوسط حيث أثرت الشعوب القديمة بعضها بالبعض الآخر وتأثرت بها بدرجة ملحوظة، وأن أبرز المقومات الحضارية تتمثل في الجانب الاجتماعي واللغوي والعقائد الدينية والنزعة الفنية، وأن التأثير الثقافي لبلاد المغرب في الآخر أو التأثر بما عنده، ليس إلا نوعا من التقليد والاقتباس الحاصل بالاحتكاك وبالاتصال.

2 - يتضح بعد هذه الدراسة وجود صلات بين سكان بلاد المغرب القديم ومصر حسبما دلت عليه الآثار المختلفة، والتي يستنتج منها أن التواصل كان مباشرا في أغلب المراحل، وقد تراوحت طبيعة تلك العلاقات بين الصراع في أكثر الفترات التي عرفت النزوح والهجمات اللوبية على منطقة وادي النيل، كما كانت سلمية في فترات أخرى.

3- معظم المعلومات التي حصلنا عليها عن القبائل اللوبية جاءت من خلال المصادر المصرية القديمة، سواء كانت نقوش وكتابات أو ما ذكره ملوك مصر عنهم، فلكل قبيلة تسمية معينة خاصة بها، وكانت معظمها على درجة من النضج الحضاري والرقي، وذلك يتضح من خلال ملابسهم الفضفاضة وأدواتهم اليومية، وطريقة معيشتهم، بالرغم من أن بعض القبائل قد امتازت بالبداوة.

4 - اتخذت العلاقات بين سكان المغرب والمصريين أشكالا عديدة، منها الحرب، وتجنيد اللوبيين كجند مأجور في الجيش المصري أو تشغيلهم في بناء المعابد، ونزوح اللوبيين في فترات مختلفة واستيطانهم في منطقة وادي النيل، وبواسطة المصاهرة، وتكوين اللوبيين لأسر الحاكمة في مصر، ومساهمتهم في الدفاع عن مصر، ومشاركتهم في حروبها الخارجية، وبذلك صار العنصر

اللوبي الذي هاجر إلى مصر يلعب دوراً قيادياً، وارتبطت لوبيا بمصر في هذا العصر برباط سياسي وثيق. وأضاف اللوبيون إلى شدة بأسهم وشجاعتهم ثقافة المصريين وحضارتهم وأصبحوا دون جدال يحكمون أقوى إمبراطورية في شرق البحر المتوسط.

5 – قد سهل الجوار والانتماء إلى منطقة واحدة من عملية الاحتكاك المستمر والمباشر بينهما، رغم أن المصادر المتوفرة عنه حتى الآن يستنتج منها أنّ الانتقال والزحف لم يأخذ إلا وجهة واحدة، أي من الغرب نحو مصر، ولم يرد فيها ما يمكننا اعتباره هجرة أو انتقالاً في الاتجاه المعاكس ما عدا ما عرفته المناطق المحاذية لمصر مباشرة، وقد عرف التواصل بين الطرفين طريقاً غير مباشر من خلال أجناس أخرى كالفينيقيين والإغريق.

6 – سمحت العلاقات اللوبية المصرية بالتواصل المستمر والاحتكاك الذي أدى إلى التفاعل والتعاطي الاجتماعي والثقافي بين سكان المنطقتين في المجالات المادية والمعنوية، فمسألة الشبه بين الآثار الكتابية اللوبية والمصرية، لا تخرج عن نطاق انتقال الأفكار الحضارية مع أصحابها من مكان إلى آخر تحت تأثير عدة عوامل.

7 – حدث تلاقح بين الديانتين المصرية واللوبية خلال فترات التاريخ، أدت إلى انتقال الكثير من المعبودات اللوبية القديمة إلى مصر وانتقال المعبودات المصرية إلى بلاد المغرب القديم، ولم يقتصر التواصل على الجانب الديني بل نلمسه في جوانب أخرى عديدة كالفنون المختلفة والعمارة.

8 – أما بالنسبة للفينيقيين فالأمر كان مختلفاً، حيث كانت الهجرة من الشرق نحو الغرب، لأن معرفتهم بالحوض الغربي للبحر المتوسط كانت مبكرة، حيث استوطنوه وأسسوا مراكزهم التجارية فيه، ولم تلبث تلك المراكز أن تحولت إلى مستوطنات دائمة أصبحت قبلة لإخوانهم في الشرق بعد أن ضاقت بهم السبل، وما لبثت إحدى تلك المستوطنات –قرطاجة– أن نمت وتطورت بشكل سريع، وأصبحت زعيمة للعالم الفينيقي في غرب التوسط.

9 – هناك عدة أسباب هامة جعلت الفينيقيين ينجحون في استقرارهم في بلاد المغرب منها الموقع الجغرافي الممتاز الذي سمح لهم بإنشاء مرافئ صالحة لرسو سفنهم، وتوفر المحاصيل الزراعية، ووجود المياه الصالحة للشرب، إضافة لذلك فإن طبيعة الفينيقيين السلمية وعدم ميلهم

للعنف كان لها دور في استقرارهم، حيث عرفوا كيف يستميلون السكان المحليين عن طريق التعاون والتبادل التجاري.

10- بدأ التأثير الحضاري القرطاجي الأشد على المغاربة خلال القرن الخامس ق.م عندما تغيّرت السياسة القرطاجية بتوجهها نحو إفريقيا وإعطاءها الأهمية اللازمة لها، حيث توسعت في الأعماق على حساب الأراضي القبلية، مما أسفر عنه تغلغلهم بين المجتمعات المغربية، أدى ذلك إلى رابطة إثنية واجتماعية وثيقة.

11- لقد فرضت حضارة قرطاجة نفسها شيئا فشيئا، كما أن بعضاً من عادات السكان الأصليين أثّر في عادات أولئك القرطاجيين نتيجة مجموعة من العوامل بشرية، تاريخية وجغرافية هذه العوامل تمثلت في الجوار بين الشعبين القرطاجي والنوميدي وطول مدة التواجد الفينيقي القرطاجي في نوميديا، ومختلف العلاقات التي نشأت بين القرطاجيين والنوميديين.

12 - ترتب عن التوغل القرطاجي في الفضاء الإفريقي اختلاطهم بالسكان المحليين، وصل إلى حد التزاوج معهم، وهذا الأمر نتج عنه ظهور عنصر جديد في المجتمع القرطاجي "الليبو فينيقي"، وهذا الامتزاج أدى إلى تطور اجتماعي وثقافي مهم، كانت أبعاد تلك الموجة الفينيقية قد أحدثت في الواقع تغييرات جذرية أدت إلى التلاحم والانصهار العرقي، وإلى المزج والتوحد اللغوي والتطبع بذات الطباع.

13- والواقع أن عملية تأثر النوميديين بالحضارة القرطاجية لم يكن نتيجة عمل مُنظم ومقصود قامت به قرطاجة إنما كان بطريقة غير مباشرة وبشكل سلمي وهو النتيجة الطبيعية لتجاور شعبين لمدة زمنية طويلة جدا.

14- يمكن ملاحظة الامتزاج الواضح بين الثقافتين اللوبية و الفينيقية ، وأنهما ظلتا تتغذيان من مصدر واحد، وهو المجتمع المحلي القديم ببلاد المغرب، بكل أطيافه، كما أن تسرب الحضارة والثقافة البونية إلى دواخل الإقليم، وتشرب السكان المحليين لتلك الثقافة جعل من عملية استمرارها مدة طويلة من الزمن، أمر في غاية الأهمية، واستطاعت مقاومة التيار الحضاري القادم

مع المستعمرين الجدد الرومان، فقد بقيت الحضارة البونية بكل معطياتها الثقافية والدينية واللغوية تضفي بظلالها على المجتمع المحلي، خلال فترة الاستعمار الروماني.

15- انتشار اللغة والديانة الفينيقية بين السكان من خلال المراكز التي أنشئت في بلاد المغرب وكذلك تأثر القرطاجيين باللغة والعبادات المحلية أحدث تمازجاً بين ثقافة القادمين الجدد وأصحاب البلاد الأصليين، حيث أصبح من الصعب التفريق بينهما أثناء الاحتلال الروماني، هذا التمازج الذي أفرز ما عُرف في التاريخ القديم باسم الحضارة البونية.

16- كان التأثير والتأثر بين اللوبيين القدماء والفينيقيين واضحا في عدة جوانب، حيث يعد الفينيقيون من أقدم الشعوب التي عرفتها منطقة غرب البحر الأبيض المتوسط، وأكثرها نشاطا في تلك المنطقة وذلك منذ الألف الأولى ق.م.

17- كانت بلاد المغرب ضمن الاستراتيجية التوسعية لدى الإغريق أيضاً، ذلك لأنها كانت ولا زالت تتمتع بموقع جغرافي متميز، مما وفر لها استقراراً سياسياً جيداً، كما أن العوامل المساعدة التي توافرت على صعيد المنطقة قد ساهمت بشكلٍ رئيس في تدعيم عمليات الاستيطان، حيث كان المجتمع اللوبي يعاني فراغاً وضعفاً وتفككاً سياسياً واقتصادياً وحربياً، كلها عوامل دعمت عملية الاستيطان الإغريقي والفينيقي من قبل وإنجاحها، وقيام المستوطنات الفينيقية والإغريقية جنبا إلى جنب على الأراضي اللوبية، ومن ثم عملية التوسع ومد النفوذ على حساب اللوبيين أنفسهم.

18- اتبع الإغريق كالفينيقيين سياسة حسن الجوار في البداية، لا سيما فترة التأسيس، ثم تغير الحال فيما بعد حينما بلغت المستوطنات طور الارتقاء والازدهار، فانقلبت السياسة السلمية إلى شبه عدائية، ثم عدائية صرفة، نتيجة الضغط المتزايد على السكان المحليين من قبل الوافدين، جراء التنافس التوسعي في المنطقة.

19- كان الفضل للقبائل اللوبية في تقديم العون والمساعدة لأولئك الوافدين الإغريق، لا سيما في الفترة الأولى من تأسيس المستوطنات، وكذلك فترة تطورها وازدهارها فيما بعد، وذلك رغبة من العنصر المحلي في التواصل الحضاري مع العنصر الوافد في مختلف أوجه النشاط الإنساني.

20- بعد الانتشار الإغريقي واستقرار جاليات يونانية بقورينائية، أقام البحارة الإغريق علاقات وطيدة مع نوميديا وموريطانيا، خاصة بعد توتر العلاقات النوميدية القرطاجة التي كانت عاملاً مشجعاً للتواصل لا سيما في عهد الملك ماسينيسا وأبنائه.

21- تأرجحت العلاقات اللوبية الإغريقية بين العداء والسلم، فهناك قبائل أعلنت الحرب، نتيجة سياسة التوسع في الأرض التي مارسها الإغريق على حساب اللوبيين، كما كان على اللوبيين أن يواجهوا وحدهم كل تلك القوى التي كانت تتصارع فيما بينها على المنطقة، وهناك قبائل أخرى متأغرقة ومتداخلة مع إغريق قورينة تشربت عاداتهم وثقافتهم بحكم الجوار والتواصل والمصاهرة.

22- كانت الحياة الاجتماعية مختلفة الأنشطة داخل المستوطنات الإغريقية، حياة مليئة بالمتجددات والمتغيرات الإقليمية والعالمية، من أجل التعايش والتواصل الحضاري، تماشياً مع ما تمليه الظروف في تلك الفترة من التاريخ.

23- أخذ اللوبيون عن الإغريق الكثير وأعطوهم الكثير، فامتزجت حضارة اللوبيين بحضارة اليونان، حيث شهدت الحياة الثقافية المتبعة داخل المستوطنات الإغريقية ازدهاراً منقطع النظير على جميع المستويات الآداب والفلسفة والعلوم والفنون، وقد حرص الإغريق على عبادة آلهتهم الموجودة في أوطانهم الأولى، فعملوا لها التماثيل وشيدوا لها المعابد داخل مستوطناتهم اللوبية، كما استفاد الإغريق من ولع قدماء اللوبيين بالنواحي الدينية والعقائدية، فقلّدوهم في ذلك، واستعاروا منهم آلهتهم وعبدوها.

24- بدأت صلات المغاربة القدماء بالرومان في زمن متأخر –بعض الشيء- عما كان عليه الحال مع المصريين واليونان والفينيقيين، فسقوط قرطاجة في سنة 146 ق.م كان بمثابة نقطة انطلاق الرومان في تثبيت دعائم الاحتلال من خلال إقامة المستوطنات في عمق بلاد المغرب، حيث انتهج الرومان سياسة الدمج والرومنة لتدعيم سياستهم الاستيطانية وذلك بإنشائهم المدن ومنحها لقب المدينة اللاتينية.

25- أحدث الوجود الروماني تحولاً عميقاً على الصعيد الاجتماعي المغربي الذي تحول من النظام القبلي القائم على تقاسم الأدوار وتبادل المنافع والحماية، إلى مجتمع خالياً من كل انسجام وتماسك وتلاحم. فيوجد المعمر الروماني (وأحياناً الأفريقي المترومن) يتمتع بثروة طائلة، ويتنعم في ضيعته بجميع أصناف الخيرات، ويوجد العبيد المحرومون من جميع الحقوق وكان نصيبهم التعب والشقاء والحرمان، ويوجد بالجبال المجاورة عددا كثيراً من أبناء البلاد حرموا من أراضيهم الخصبة، والمروج الخضراء، وهم يعلمون أنها كانت لهم ولآبائهم وأجدادهم، ولكنها افتكت وانتزعت منهم، فهذه كانت من بين الأسباب التي أدت إلى انهيار النفوذ الروماني.

26 - إن ثراء مدن بلاد المغرب بالمرافق المختلفة دليل على الفوارق الاجتماعية بين سكان الحضر والأرياف، وقد فسح توالي الأجيال المجال لتلاقح الحضارات والأفكار في هذه المدن، وأن الحضر من أهلها قد اندمجوا بنسبة واضحة في الحضارة الرومانية، التي أصبحت واقعاً معاشاً وتأثروا بها وأثروا فيها بما كان لهم من حضارتهم المغربية، فلا يمكن لأي مدينة أن تعيش منعزلة على نفسها، وقد أَثْبَتُ في الفصول السابقة الاتصالات الحضارية بين سكان المغرب القدامى وغيرهم من شعوب البحر المتوسط قبل الفترة الرومانية.

27 - رغم سياسة الرومنة التي سعت لطمس الشخصية المغربية، بقيت هناك مجموعة من البصمات الثقافية والحضارية والتقنية الشاهدة، بكل جلاء على الذكاء الخارق الذي يمتلكه الإنسان المغربي، وعلى عبقريته المتفتقة نضجا وحكمة ورزانة، وعلى قدراته الإبداعية الهائلة التي تتضح بشكل بين على جميع الأصعدة والمستويات.

28- رغم حرص روما على تعميم لغتها وآدابها بكافة الوسائل، إلا أن التأثير اللوبي كان واضح الملامح عن طريق النقوش الجنائزية، فاستمرارية النقوش دليلاً على الحفاظ على الثقافة المغربية التي دامت عبر مئات السنين من الاحتلال الروماني.

29- أما مسألة التأثر بالأدب اللاتيني أو اليوناني، فهي مسألة طبيعية لأن ليس هناك أدب خلق من العدم، فالتلاقح الفكري يتحكم في جميع الظواهر النصية البشرية.

30- كما يعتبر الفن ظاهرة اعتيادية في العهد الروماني، لا تخص النخبة، فالفنون بأنواعها من رسم وتصوير وعمارة ونحت وفسيفساء، هي مرآة للحياة تعكس تطور حضارة المجتمع المغربي، وتوضح كثيراً من مناحي حياته وتقاليد وتطلعاته.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا– المصادر:

القرآن الكريم،(رواية حفص) تخ: عثمان طه، ط1، دار اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق–سوريا، 1429هـ/2008م.

1– باللغة العربية:

1– ابن خلدون عبد الرحمن، الإغريق عند ابن خلدون من بداية أيامهم إلى موت الاسكندر الأكبر، تحقيق وتعليق فوزي مكاوي، دط، دت.

2– أوغسطينوس، اعترافات القديس أوغسطينوس، نقلها إلى العربية: الخوري يوحنا الحلو، ط4، دار المشرق، بيروت، 1991م..

3– ترتليانوس، المنافحة أو الدفاع عن التوحيد، تر: عمار الجلاصي، ط1، الثقافية، طرابلس، 2001.

4– التوراة العهد القديم، سفر التكوين، ط1، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، القاهرة، 2004.

5– خشيم علي فهمي، نصوص ليبية من هيرودوتس/ سترابو/ بليني الأكبر/ ديودوروس الصقلي/ بروكوبيوس القيصري/ ليون الإفريقي، تامغناست، د.ت.ن.

6– ديون كسيوس، التاريخ الروماني، تر: مصطفى غطيس، ج10، ط1، ألطوبريس للطباعة والنشر، طنجة، 2013

7– غايوس كريسبوس سالوست، حرب يوغرطة، صفحات من تاريخ شمال أفريقيا، تر: محمد التازي سعود، جامعة محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، 1979

8– غايوس كريسبوس سالوستيوس، حرب يوغرطة، (تر) و(تح) محمد العربي عقون، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2006م.

9– فيرجيل، الأليادة، تر: عنبرة سلام الخالدي، دار العلم للملايين، بيروت، 1975م.

10- لوكيوس أبوليوس، الحمار الذهبي أو التحولات، تر: عمّأر الجلاصي، منشورات تامنغست، طرابلس، 2000م.

11- لوكيوس أبوليوس، الحمار الذهبي أول رواية في تاريخ الإنسانية، تر: أبو العيد دودو، منشورات الاختلاف الجزائر، 2001م.

12- هوميروس، الأوديسّة، تر: دريني خشبة، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، 2013م.

13- هيرودوت، تاريخ هيرودوت، ترجمة: عبد الإله الملاح، مراجعة: أحمد السقاف وحمد بن صراي، الكتاب الثاني، المجمع الثقافي، أبو ظبي- الإمارات العربية المتحدة، 2001م.

14- هيرودوت، أحاديث هيرودوت عن الليبيين، تر: مصطفى أعشي، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، دط، الرباط، 2009.

2- المصادر باللغة الأجنبية:

1- Apulius, Apol, Epistulae, Meta Morphoses, Loeb Classical Library XCV III

2- Apulius, Apol, Epistulae, Meta Morphoses, Loeb Classical Library, XCVIII.

3- Cornelius Nepos, Œuvres de Cornelius Nepos, Texte établi et traduit par, A.M. Guillemin, Ed. les Belles Lettres, Paris, 1923.

4- Diodore de Sicile,Bibliothéque Historique de Diodore de Sicile, Tome 01, Trad par ; Ferdinand Hoefer , T ;3, éd.Adolphe Delahays, Paris, 1851.

5- Florus, Abrégé de l'Histoire romaine, Texte traduit par, P.JAL, les Belles Lettres, Paris,1967

6- Justin, Histoire universelle, Tome II, L.XVIII, III, Traduction J.Pierrot et E. Boitard, Edition Pankouk,Paris, 1833.
7- Juvénal, Satires, texte établi et traduit par H. clouard, Paris : Garnier, S.D, VII
8- Juvénal, Satires, texte établi et traduit par H. clouard, Paris : Garnier, S.D, VII.
9- Pline L'Ancien , Histoire Naturelle, Texte traduit par J.André, Collection des Universités de France, 1962 .
10- 10-Polybe, Histoire, XXXVI, Tradution D.Roussel, Gallimard. Paris, 1970.
11- 11-Salluste, DEuvres Complète (Guerre de Jugartha, Conjuration de Catilina , Histoire Romaine), trad.Par : Charles du Rozier et Yves Germain, éd. Paléo, Paris, 2003.
12- Strabo,Geography,éd. H.L. Jones, Londres, 1917.
13- Tertullien, De la monogamie, III,XVII.P.De Labriolle, Ed, Alphonse, Picard et fils, Paris, 1906.
14- Tite Live, Histoire romaine, liv. XL, texte établi et traduit par. CH. Gouillard, Ed. les Belles Lettres, Paris, 1986.

ثانيا– المراجع:

1) المراجع باللغة العربية

أ)– الكتب باللغة العربية

1- إبراهيم أيوب، التاريخ الروماني، ط1، المؤسسة العربية الحديثة، بيروت، 1996م.
2- إبراهيم نصحي، إنشاء قورينى وشقيقاتها، منشورات الجامعة الليبية، ط1، بنغازي، 1970م.
3- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط،ج6: دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1990م.
4- أبو المحاسن عصفور محمد، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم (من أقدم العصور إلى مجيء الإسكندر)، دار النهضة العربية، بيروت، دت.
5- أبو بكر فادية محمد، دراسات في التاريخ الهلينيستي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2001.
6- أبو شحمة محمد علي، المعتقدات الدينية الفينيقية في المدن الثلاث الليبية، مجلة البحوث الأكاديمية، دع، دت، ليبيا.
7- أبو عجيلة صالح بن خليفة راضية، أوجه التشابه والاختلاف بين الاستيطان الفينيقي والإغريقي في ليبيا القديمة، ط1، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ليبيا، 2009م.
8- الأثرم رجب عبد الحميد، محاضرات في تاريخ ليبيا القديم، ط2، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1994.
9- أحمد أمين سليم، في تاريخ الشرق الأدنى القديم (مصر-سوريا القديمة)، دار النهضة العربية، بيروت، 1989.
10- أديب سمير، تاريخ وحضارة مصر القديمة، ط1، مكتبة الإسكندرية، الإسكندرية، مصر، 1997م.
11- أزهري مصطفى صادق علي، الرسوم الصخرية في المملكة السعودية، جامعة الملك سعود، كلية الساحة والآثار.
12- أعشي مصطفى، جذور بعض مظاهر الحضارة الأمازيغية خلال عصور ما قبل التاريخ، مركز طارق بن زياد، الرباط، 2002م.
13- أكرير عبد العزيز، تاريخ المغرب القديم من الملك يوبا الثاني إلى مجيء الإسلام، مطبعة النجاح الجديد، الدر البيضاء، المغرب، 1437هـ/2016م.

14- أندريه إيمار، جاتين أبوايه، روما وإمبراطورياتها، مج 2، عويدات للنشر، بيروت، 2003م.
15- انديشة أحمد محمد، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، ليبيا، 1402هـ/1993م.
16- أنديشه، الحياة الإجتماعية في المرافىء الليبية وظهيرها في ظل السيطرة الرومانية، ط1، منشورات جامعة التحدي، سرت-ليبيا، 2008م.
17- أنطوان زكي، مفتاح اللغة المصرية القديمة، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2003م.
18- بازامه محمد مصطفى، سكان ليبيا في التاريخ، ج1، ط1، دار ألف باء، لبنان، 1994.
19- بازمه محمد مصطفى، ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية، ط.2، منشورات مكتبة قورينّا للنشر والتوزيع، بنغازي-ليبيا، 1975م.
20- باقر طه، لبدة الكبرى، الإدارة العامة للآثار ليبيا، طرابلس، دت.
21- البرغوثي عبد اللطيف محمد، التاريخ الليبي القديم (من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي)، دار صادر، بيروت، 1971.
22- البركي مفتاح محمد سعد، الصراع القرطاجي الإغريقي من القرن السادس حتى منتصف القرن الثالث ق.م وأثره على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية في قرطاجة، مجلس الثقافة العام، سرت-ليبيا، 2008م.
23- بشي العيد إبراهيم، أهم دلالات الألوان رسوم التاسيلي- ناجر أنموذجا، دط، دار الهلال، دت، دم.
24- بكبوط محمد، الممالك النوميدية في مواجهة التحديات، ط1، منشورات مركز طارق بين زياد، الرباط، 2002م.
25- بكر محمد إبراهيم، موسوعة تاريخ الفراعنة، ج2، ط1، مركز الراية للنشر والإعلام، د م، 2004م.
26- بن رابح محمد، بقاء اللغات وانتشارها، ط1، دار الأمل للنشر والتوزيع، عمان، 1999م.
27- بن شنهو عبد الحميد، الملك العالم يوبا الثاني وزوجته كليوباطرة سيليني، وزارة الثقافة الجزائرية، الجزائر، 2007م.

28- بن مسعود محمد، تاريخ ليبيا العام من القرون الأولى إلى العصر الحاضر، ج1، ط1، المطبعة العسكرية البريطانية، طرابلس، 1948م.
29- بن ميس عبد السلام، مظاهر الفكر العقلاني في الثقافة الأمازيغية القديمة، ط2، الرباط، 2010م.
30- بورونية الشاذلي، محمد طاهر، قرطاج البونيّة تاريخ حضارة، مركز النشر الجامعي، تونس، 1999م.
31- بوشارب عبد السلام، تبسة معالم ومآثر، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، 1996م.
32- بوشناقي منير، المدن القديمة في الجزائر، ط1، منشورات وزارة الإعلام والثقافة ،الجزائر، 1978م.
33- جميلة عبد الكريم محمد، قورينائية والفرس الأخمينيون منذ إنشاء قوريني حتى سقوط أسرة باتوس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، د.ت.ن.
34- الجيلالي عبد الرحمن بن محمد، تاريخ الجزائر العام، ج1، ط3، المطبعة التجارية، 1971م.
35- حاتم عماد، في فقه اللغة وتاريخ الكتابة، ط1، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا،1982م.
36- حارش محمد الهادي، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، ط1، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1992م.
37- الحربي الناجي منصور، الليبيون في جيش قرطاجة، مجلس الثقافة العام، سرت-ليبيا، 2010.
38- حسن سليمان محمود، ليبيا بين الماضي والحاضر، مؤسسة سجل العرب، 1962م.
39- حسين ابراهيم أبو العطا، مظاهر الحضارة في العصر البطلمي الروماني، مكتبة نانسي، دمياط-مصر، 2007م.
40- حفناوي بعلي، أثر الأدب البونيقي الإفريقي في الأدب اللاتيني والعالمي، إنانا للطباعة والنشر، دمشق-سوريا، 2010م.

41- حمداوي جميل، الحضارة الأمازيغية أنثروبولوجيا الإنسان التاريخ، الكتابة، الديانات والثقافة، ط1، أفريقيا الشرق، المغرب، 2015م.
42- خزعل الماجدي، المعتقدات الكنعانية، دار الشروق، عمان، 2001م.
43- خزعل الماجدي، الدين المصري، دار الشروق، عمان، 1999م.
44- خشيم علي فهمي، آلهة مصر العربية، مج1، ط1، الدار الجماهرية للنشر والتوزيع والاعلان، بنغازي، 1990م.
45- خشيم، العرب والهيروغليفية، ط1، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2006.
46- الخطيب محمد، الحضارة الفينيقية، ط2، دار علاء الدين، سوريا-دمشق، 2007م.
47- دبوز محمد علي، تاريخ المغرب الكبير، ج1، ط1، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1964م.
48- الدراجي بوزياني، ملامح تاريخية للمجتمعات المغربية، ط1، مؤسسة بوزياني للنشر والتوزيع، الجزائر،2013.
49- دراز أحمد عبد الحليم، مصر وليبيا فيما بين القرنين السابع والرابع ق.م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،1961.
50- ذراع الطاهر، العلاقات الحضارية القرطاجية النوميدية (814-146 ق.م) كتاب أنجز في إطار السنة العلمية بتونس (2009- 2010).
51- الرُّذَيْني محمد عبد الكريم، فصول في علم اللغة العام، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2007م.
52- زهران ياسمين، سبتيميوس سيفيروس، تر: محمد عمران أبو ميس، ط1، دار الفرجاني، بنغازي، 2016م.
53- السايح إبراهيم، تاريخ اليونان، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1998م.
54- السائح الحسن، الحضارة الإسلامية في المغرب، ط2، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1986م.
55- سراج أحمد، المرأة في الأسطورة القديمة، أمل التاريخ ـ الثقافة ـ المجتمع، العدد 13-14، الدار البيضاء، 1998م.
56- السعدني محمد إبراهيم، حضارة الرومان منذ نشأتها حتى نهاية القرن الأول الميلادي، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 1998م.

57- سليم حسن، مصر القديمة، (نهاية الأسرة الواحد والعشرين وحكم دولة اللوبيين لمصر حتى بداية العهد الأثيوبي ولمحة في تاريخ العبرانيين)، ج.9، مطبعة جامعة فؤاد الأول، 1952م.
58- السليماني أحمد، المكنون الحضاري الفينيقي القرطاجي في الجزائر، ط1، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، الجزائر، 2007م.
59- السليماني أحمد، تاريخ ملوك البربر في الجزائر القديمة، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007م.
60- السواح فراس، لغز عشتارت، الألوهية المؤنثة وأصل الدين والأسطورة، ط7، دار علاء الدين، دمشق، 2000م.
61- السودا يوسف، تاريخ لبنان الحضاري، ط2، دار النهار للنشر، بيروت، 1979م.
62- السويفي مختار، مصر القديمة دراسات في التاريخ والآثار، ط2، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2006.
63- شارن شافية، حضارة مصر الفرعونية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009م.
64- الشريف محمد الهادي، ما يجب أن تعرف عن تاريخ تونس، من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، تر: محمد الشاوش ومحمد عجينة، ط3، دار سراس للنشر، تونس، 1993م.
65- شفيق محمد، حفريات في اللغة قد تفيد المؤرخ، النشر العربي الأفريقي، الرباط، المغرب، 1993م.
66- شفيق محمد، لمحة عن ثلاثة وثلاثين قرنا من تاريخ الأمازيغيين، ط1، دار الكلام، الرباط، 1989م.
67- شنيتي محمد البشير، أضواء على تاريخ الجزائر القديم بحوث ودراسات، دار الحكمة، الجزائر، 2003م.
68- شنيتي محمد البشير، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب، سياسة الرومنة 146 ق.م-40 م، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1958م.
69- شنيتي محمد البشير، الجزائر قراءة في جذور التاريخ وشواهد الحضارة، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013

70- شنيتي محمد البشير، نوميديا وروما الامبراطورية تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال، ط1، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، 2012.
71- شهيد عرفان، روما والعرب (مقدمة في دراسة العلاقات بين بيزنطة والعرب)، تر: قاسم محمد سويدان، ط1، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2008م.
72- الشيباني عمر محمد التومي، تطور النظريات والأفكار التربوية، دار الثقافة، بيروت-لبنان، 1971م.
73- شيمي محمد عبد الحميد، العطور ومعامل العطور في مصر القديمة، تر: ماهر جويجاتي، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005.
74- صحراوي عبد القادر، التحصينات العسكرية بنوميديا وموريطانيا القيصرية أثناء الاحتلال الروماني 46ق.م – 284م، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،2011م.
75- الصفدي هشام، أضواء جديدة على تاريخ المغرب، مجلة الأصالة، العدد 14-15، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1973.
76- الصفدي هشام، تاريخ الرومان في العصور الملكية الجمهورية الامبراطورية حتى عهد الامبراطور قسطنطين، دار الفكر الحديث، لبنان، 1967م.
77- صفر أحمد، مدينة المغرب العربي عبر التاريخ، ج1، دار النشر بوسلامة، تونس، 1959م.
78- الصويعي عبد العزيز سعيد، التيفيناغ رحلة الحروف العروبية بين الكنعانيين والتوارق،ط1، منشورات اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام، ليبيا، 2006.
79- الصويعي عبد العزيز سعيد، الفرعون الليبي شيشنق الأول وإمبراطوريته الأفرو-آسيوية، ط1، دار الرواد، طرابلس، 2013م.
80- الصويعي عبد العزيز سعيد، اللغة الليبية القديمة وكتابتها، ط1، دار الرواد، طرابلس- ليبيا، 2013م.
81- الصويعي عبد العزيز سعيد، تاريخ الحضارة الليبية القديمة، ط1، وزارة الثقافة والمجتمع المدني، بنغازي- ليبيا،1434هـ/ 2013م.
82- طالب الإبراهيمي خولة، مبادئ في اللسانيات،دار القصبة للنشر، الجزائر، 2000م.

83- طامر أنوال، حفريات المسرح الجزائري المسرح النوميدي في العهد الروماني، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007م.

84- طراد نجيب إبراهيم، تاريخ الرومان، دط، مطبعة ومكتبة الغد، القاهرة، 1997م.

85- العابد مفيد رائف،المدخل إلى اللغة اليونانية،ط1،منشورات جامعة دمشق،1977م.

86- عاصم أحمد حسين، المدخل إلى تاريخ وحضارة الإغريق، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1991م.

87- عبد الرحمن زكي، الجيش في مصر القديمة، دط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1967.

88- عبد العزيز بن عبد الله، تاريخ المغرب العصر القديم والعصر الوسيط، نشر وتوزيع مكتبة السلام ومكتبة المعارف، الرباط، دت.

89- عبد العزيز صالح، الأسرة المصرية في عصورها القديمة، دط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1988م.

90- عبد العزيز صالح، الفن المصري القديم، تاريخ الحضارة المصرية، ج1، العصر الفرعوني، القاهرة، 1962م.

91- عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ اليوناني "العصر الهللادي"، ج2، دار النهضة العربية، بيروت.

92- عبودي هنري، معجم الحضارات السامية، ط2، جروس برس، طرابلس، 1991م.

93- عتمان أحمد، الأدب اللاتيني ودوره الحضاري،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د ت.

94- العدواني محمد الطاهر، الجزائر منذ نشأة الحضارة (عصور ما قبل التاريخ وفجر التاريخ)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

95- العدواني محمد الطاهر، الحروب والأسلحة في عصور ما قبل التاريخ وفجر التاريخ إلى 1000 قبل الميلاد، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، 1985.

96- العرباوي محمد المختار، الكتابة البربرية اللوبية التيفيناغ ما حقيقتها؟، ط1، دار نقوش عربية، تونس، 2010م.

97- العرباوي، اللغة البربرية لغة عربية قديمة، ط1، دار نقوش عربية، تونس، 2012م.

98- عصفور محمد أبو المحاسن، المدن الفينيقية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1981م.
99- عصفور محمد أبو المحاسن، معالم حضارات الشرق الأدنى القديم، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، 1987م.
100- عقون أم الخير، دولة الأمازيغ في مصر الفرعونية 950 ق.م- 715ق.م، دار القدس، وهران، 2015.
101- عقون محمد العربي، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الأفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008م.
102- عكاشة ثروت، الإغريق بين الأسطورة والإبداع، ج.15، ط.2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1994م.
103- عكاشة علي وأخرون، اليونان والرومان، دار الأمل للنشر والتوزيع، القاهرة، 1410هـ/1991م.
104- علي الناصري سيد أحمد، تاريخ الامبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، ط2، دار النهضة العربية، القاهرة، 1991م.
105- علي عيسى، الليبيون من خلال المصادر الأثرية والتاريخية القديمة، قسم التاريخ جامعة الفاتح، طرابلس، د.س.ن.
106- العيد بشي، تاريخ مختصر للحضارة الإغريقية والرومانية في العصور القديمة، الهلال، الجزائر،دت.
107- العيساوي مها، النقوش النوميدية في بلاد المغرب القديم، ط1، جسور النشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.
108- غانم محمد الصغير، التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1982م.
109- غانم محمد الصغير، الفن الزخرفي والكتابة البونية في نصب سيرتا النوميدية، دار الهدى، الجزائر، 2013م.
110- غانم محمد الصغير، المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، ج1، ج2، ج3، ج4، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م.

111- غانم محمد الصغير، الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال أفريقيا، دار الهداية، الجزائر، 2005م.

112- غانم محمد الصغير، المملكة النوميدية والحضارة البونية، ط2، دار الهدى، الجزائر، 2006م.

113- غانم محمد الصغير، النصب البونية القسنطينية المحفوظة في متحف اللوفر بفرنسا، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م.

114- غانم محمد الصغير، نصوص بونية ليبية مختارة من تاريخ الجزائر القديم، د ط، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م.

115- غانم محمد الصغير،معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،2003م.

116- غلاّب عبد الكريم، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، مغرب الأرض والشعب عصر الدول والدويلات، ج.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1426هـ/2005م

117- فخري أحمد، مصر الفرعونية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994م.

118- الفرجاوي، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون والمعهد الوطني للتراث، تونس، 1993م.

119- فرحاتي فتيحة، نوميديا من حكم الملك جايا إلى بداية الاحتلال الروماني 213 ق.م- 46 ق.م، الجزائر، منشورات أبيك، 2007م.

120- فنطر محمد حسين فنطر، الفينيقيون بناة المتوسط، ط1، أليف - منشورات البحر الأبيض المتوسط- تونس، 1998م.

121- فنطر محمد حسين، الحرف والصورة في عالم قرطاج، مطبعة أليف، منشورات البحر الأبيض المتوسط، مركز النشر الجامعي، تونس، 1999م.

122- فوزي فهيم جاد الله، مسائل في مصادر التاريخ الليبي قبل هيرودوت، ليبيا في التاريخ، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي، 1968.

123- قادوس حامد زكي عزت، مدخل إلى علم الآثار اليونانية والرومانية، مطبعة الحضري، الإسكندرية، 2005م.

124- قادوس عزت زكي حامد، تاريخ عام الفنون، د ط، دار المعرفة الجامعية ومنشأة المعارف الإسكندرية، 2001م.

125- قراقب عبد الرزاق ومطيط علي، حضارات ما قبل التاريخ (تونس والبلدان المغاربية)، ط1، دار أليف، تونس، 1993م.

126- الكعاك عثمان، البربر، مكتبة دار الفكر، طرابلس، ليبيا، 1965م.

127- لبيض سالم، الأقلية البربرية في تونس، ط1، المركز العربي للدراسات السياسية والاجتماعية، 2011م.

128- لطفي عبد الوهاب يحي، اليونان مقدمة في التاريخ الحضاري، دار النهضة العربية، بيروت، 1979م.

129- مجدي صادق، التاريخ الحقيقي لمصر القديمة، ط1، دون دار النشر، القاهرة، 2002م.

130- مجموعة مؤلفين، تونس أعلام ومعالم، الوكالة القومية للتراث، المعهد الوطني للتراث، تونس، مارس 1997م.

131- المحجوب عبد المنعم، رحلة حنُّون والطواف حول الأرجاء الليبيّة وراء أعمدة هرقل، ط1، دار تانيت- مجلة لسان العرب، تونس، 2012

132- المحجوبي عمّار، ولاية افريقيا من الاحتلال الروماني إلى نهاية العهد السويري(146 ق.م- 235م)، مركز النشر الجامعي، جامعة تونس الأولى، تونس، 2001م.

133- محمد السيد محمد عبد الغني، نماذج من الكفاح الجزائري القديم ضد الهيمنة الرومانية، د ط، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999

134- محمد بن مسعود، تاريخ ليبيا القديم والعالم قبل الفتح العربي، ط2، مطابع الوفاء، بيروت، 1963م.

135- محمد سليمان أيوب، جرمة من تاريخ الحضارة الليبية، ط1، دار المصراتي للطباعة والنشر، طرابلس، ليبيا، 1969م.

136- محمد سليمان أيوب، جرمة وحضارتها، طبعة دار المصراتي للطباعة والنشر، طرابلس ليبيا، 1983م.

137- محمد علي سعد الله، في تاريخ مصر القديمة، ط1، مركز الاسكندرية للكتاب، الاسكندرية، 2001.

138- محمد علي عيسى، الجذور التاريخية لسكان المغرب القديم من خلال المصادر الأثرية والأنثروبولجية واللغوية، ط2، المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس- ليبيا، 2012م.

139- محمد علي عيسى، مدينة صبراته منذ الاستيطان الفينيقي حتى الوقت الحاضر، الإدارة العامة للبحوث الأثرية والمحفوظات التاريخية، طرابلس، 1977م.

140- محمود الصديق أبو حامد ومحمود عبد العزيز النمسي، مدينة طرابلس منذ الاستيطان الفينيقي حتى العهد البيزنطي، مصلحة الآثار، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1978م.

141- محمود فهمي، تاريخ اليونان، مكتبة ومطبعة الغد، القاهرة، 1999م.

142- المدني أحمد توفيق، قرطاجنة في أربعة عصور من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.

143- المسوري مفتاح عبد الله، المعين في تاريخ الفلسفة الكيرينية (القورينية)، ط1، دار الرواد، طرابلس-ليبيا، 2012م.

144- المشرفي محمد محي الدين أفريقيا الشمالية في العصر القديم، دار الكتب العربية، ط4، 1969م.

145- مصطفى كمال عبد العليم: دراسات في تاريخ ليبيا القديم، المطبعة الأهلية، بنغازي- ليبيا، 1966م.

146- مصطفى محمد قنديل زايد، التربية والتعليم في الحضارة اليونانية والرومانية، ط1، مكتبة الأنجلوالمصرية، القاهرة، د ت.

147- مقروس جهيدة مهنتل، حاضرة قسنطينة كرتا النوميدية والرومانية، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م.

148- مكاوي فوزي، تاريخ العالم الإغريقي وحضارته، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 1999م.

149- مهران محمد بيومي، دراسات في تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000.
150- مهران، المغرب القديم، ط1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990م.
151- مولاي رشيد المصطفى، المغرب الأقصى عند الإغريق واللاتين القرن السادس ق.م، القرن السابع ميلادي، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط1، 1993م.
152- الميار عبد الحفيظ فضيل، الحضارة الفينيقية في ليبيا، ط1، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2001م.
153- الميلي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث،ج1، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 2004م.
154- الناضوري رشيد، المدخل في دراسة بعض جوانب العطاء الفكري لإنسان الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت 1969م.
155- الناضوري، تاريخ المغرب الكبير، (العصور القديمة أسسها التاريخية والحضارية والسياسية)، ج1، دار النهضة العربية، بيروت، 1981.
156- نجيب ميخائيل إبراهيم، مصر من قيام الدولة الحديثة إلى دخول الاسكندر، ط3، دار المعارف بمصر، الإسكندرية، دت.
157- نجيب ميخائيل إبراهيم، مصر والشرق الأدنى القديم، ج2، ط4، دار المعارف، مصر، 1965م.
158- نخبة من العلماء، تاريخ الحضارة المصرية (العصر الفرعوني)، ج1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د ت.
159- نخلة منى يونس، علم الآثار في الوطن العربي، منشورات جروس يونس، لبنان.

ب)- الكتب المترجمة:

1- أ.ب تشارلز روث، الإمبراطورية الرومانية، تر: رمزي عبده جرجس ومحمد صقر خفاجة، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2003م.
2- أرنولد إبرهارد، المسيحيون الأوائل، ط1، تر: هناء عزيز حبيب، مكتبة المنار، القاهرة، 2000.

3- اكْصيل اصْطيفان، تاريخ شمال أفريقيا القديم(الممالك الأهلية نظامها الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، ترجمة: محمد التازي سعود، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، المملكة المغربية، 2007م. ج1+ ج2+ ج3+ ج4+ ج5+ ج6+ ج7.

4- ألن جاردنر سير، مصر الفراعنة، د ط، تر: نجيب ميخائيل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973.

5- أندريه لاروند، برقة في العصر الهليسنستي من العهد الجمهوري حتى ولاية أغسطس، ط1، تر: محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 2002م.

6- إيمار أندري وآخرون، روما وإمبراطوريتها، تر: داغر (فريد وأسعد)، بيروت، 1964، (خارج النص).

7- باورا. س. م، الأدب اليوناني القديم، تر: محمد علي زيد، أحمد سلامة محمد، دار القومية العربية للطباعة والنشر، القاهرة، دت.

8- بتري، مدخل إلى تاريخ الإغريق وأدبهم وأثرهم، تر: يوئيل يوسف عزيز، ط2، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، 1977م.

9- بوشناقي منير، الضريح الملكي الموريطاني، تر: عبد الحميد حاجيات، ط1، الوكالة الوطنية للآثار وحماية المعالم والنصب التاريخية، الجزائر، 1991.

10- تسيركين يولي بركوفيتش، الحضارة الفينيقية في إسبانيا، تر: يوسف أبي فاضل، مراجعة: ميشال أبي فاضل، جووس بروس، بيروت، 1988م.

11- توينبي أرنلود، تاريخ البشرية، تر: نقولا زيادة، ج1، دط، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1981م.

12- جراتسيوتي باول، دليل الفن الصخري في الصحراء الليبية، تر: إبراهيم أحمد إمحمد المهدوي، ط1، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 2008م.

13- جرجي ديمتري سرسق، تاريخ اليونان، دون دار النشر، بيروت، 1876م.

14- جريمال نيقولا، تاريخ مصر القديمة، تر: ماهر جويجاتي، ط2، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1992م.

15- جوليان شارل أندري، تاريخ أفريقيا الشمالية، ج1، تر: محمد مزالي، البشير بن سلامة، ج1، الدار التونسية للنشر، 1969.

16- جون ولسن، الحضارة المصرية، تر: أحمد فخري، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1955م.
17- حتي فيليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، تر: كمال اليازجي، ط2، دار الثقافة بيروت، 1957م.
18- دريونون ايتين وفانديه جاك، مصر، تر: عباس بيومي، دار النشر، القاهرة، 1950.
19- ديزانج جيهان، البربر الأصليون، تاريخ إفريقيا العام، مج 02: حضارات إفريقيا القديمة، جين أفريك، اليونسكو، 1985.
20- ديسو رينيه، الديانات السورية القديمة، تر: موسى الخوري، الأبجدية للنشر، دمشق، 1969م.
21- ديكريه فرانسوا، قرطاجة الحضارة والتاريخ، تر: يوسف شلب الشام، ط1، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1994.
22- ديكريه فرانسوا، قرطاجة أو أمبراطورية البحر، تر: عز الدين أحمد عزو، طَ1، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1996.
23- ديماس فرانسوا، آلهة مصر، تر: زكي سوس، د ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998م.
24- ديورانت ول، قصة الحضارة، ط1، تر: محمد بدران، مج1، ج2، الإدارة الثقافية، جامعة الدول العربية، 1973م..
25- ديون كسيوس، التاريخ الروماني، تر: مصطفى غطيس، ج10، ط1، ألطوبريس للطباعة والنشر، طنجة، 2013م.
26- رايت جون، تاريخ ليبيا، تر: عبد الحفيظ الميار وأحمد اليازوري، دار الفرجاني، طرابلس، ط1، 1972م.
27- رستوفتزف.م، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، تر: زكي علي ومحمد سليم سالم، النهضة المصرية، 1957م.
28- ريدولف دونالد، مصر وكنعان وإسرائيل في العصور القديمة، تر: بيومي قنديل، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2004م.

29- ريزيو (ج.ك)، الفن الإفريقي، عن: تاريخ افريقيا العام، المجلد الأول، جين أفريك/اليونسكو، 1980.
30- سارجيو دونادوني، مصر في الألفية الأولى قبل الميلاد، تر: أحمد الصمعي ومحمد بن مراد، منشورات أليف، تونس.
31- سيريل ألدريد، الحضارة المصرية(من عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية الدولة القديمة)، تر: مختار السويفي، ط03، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1996م.
32- شامو فرنسوا: في تاريخ ليبيا القديم الإغريق في برقة الأسطورة والتّاريخ، تر: محمد عبد الكريم الوافي، ط1، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي- ليبيا، 1990م.
33- غوتييه، ماضي شمال إفريقيا، تر: هاشم الحسيني، ط2 ، منشورات تواليت الثقافية، ليبيا، 2010م.
34- غوليا لم ناردوتشى: إستيطان برقة قديماً وحديثاً، تر: إبراهيم أحمد المهدوي، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، بنغازي- ليبيا، 1425م.
35- ف.د دياكوف، س. كوفاليف، الحضارات القديمة، تر: نسيم واكيم اليازجي، ج2، ط1، منشورات دار علاء الدين، دمشق، 2000م.
36- فلاندرز بيتري، الحياة الاجتماعية في مصر القديمة، تر:حسن جوهر وعبد المنعم عبد الحليم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975م.
37- فوكيه إميل، مدخل إلى الأدب، تر: مصطفى ماهر، ط1، مطبع ملتزمة الطبع والنشر لجنة البيان العربي، مصر، دت.
38- قداش محفوظ، الجزائر في العصور القديمة، تر: صالح عباد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1993م.
39- قيركوتير جان، مصر القديمة، تر: ماهر جويجاتي، ط1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1992م.
40- كاستال بيار، حوز تبسة، تر و تح: محمد العربي عقون، مطبعة بغيجة حسام، 2010.
41- كامبس غابريال، البربر ذاكرة وهوية، تر: عبد الرحيم حزل، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2014.

42- كامبس غابريال، في أصول بلاد البربر ماسينيسا أو بدايات التاريخ، تر وتح: محمد العربي عقون، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2010.
43- كلير لالويت، الأدب المصري القديم، تر: ماهر جويجاتي، ط1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة ، 1992م.
44- كونتينو ج، الحضارة الفينيقية، تر: عبد الهادي شعيرة، مراجعة طه حسن، الهيئة العربية للكتاب، القاهرة، 1997.
45- لزدانيلز تشارلز، الجرمنتيون سكان جنوب ليبيا القدماء، تعريب: أحمد اليازوري، ط1، دار الفرجاني، طرابلس، 1973م.
46- ليتمان روبرت، التجربة الإغريقية بين حركة الاستعمار والصراع الاجتماعي (800 ق.م-400 ق.م)، تر: منيرة كروان، المجلس الأعلى الثقافة، القاهرة، 2000.
47- ليند ساي جيرمان، النظريات البطريركية، مركز الدراسات الاشتراكية، د م، دت.
48- مازيل جان، تاريخ الحضارة الفينيقية (الكنعانية)، تر: ربا الخش، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، 1998م.
49- موسكاتي سباتينو، الحضارات السامية القديمة، تر: يعقوب بكر، دار الرقي ، بيروت، 1986م.
50- هورس ميادان مادلين، تاريخ قرطاجة، ط1، تر: إبراهيم بالش، ط1، منشروات عويدات، بيروت، 1981.
51- و.ج.دي بورج، تراث العالم القديم، تر: زكي سوس، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، القاهرة، 1999م.
52- واليس بدج، الديانة الفرعونية، تر:نهاد خياطة، العربي للطباعة والنشر، دمشق، 1986م.
53- ورث تشارلز، الإمبراطورية الرومانية، تر: رمزي عبده جرجس، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2003.
54- ياروسلاف تشرني، الديانة المصرية القديمة، تر: أحمد قدري، دار الشروق، القاهرة، 1996م.
55- يولي بركوفيتش، الحضارة الفينيقية في اسبانيا، تر: يوسف أبي فاضل، ط1، جروس برس، بيروت، 1988م.

2)- المراجع الأجنبية:

1- Ahmed (S), l'Afrique romaine, Paris, 1998.

2- Albertini (E) & autres, Afrique du Nord française dans l'histoire, éd. Archat , Lyon (sans date).

3- Albertini.(E), Marçais.(G), Yver.(G), L'Afrique du nord françaies dans l'histiore, Ed. Archat, Lyon, Paris, 1937.

4- Aumassip Jinette, Trésor de L'Atlas, Entreprise Nationale du livre, Alger, 1986.

5- Ayache (A.), Histoire Ancienne de l' Afrique du nord, ed Sociales, Paris, 1964.

6- Babelong. (J), Observation sur quelques monnaies de Libye, acte du 79 congrès national des sociétés savantes, Alger,1954, Paris, imp.nat, (1957).

7- Basset. (R),Recherches sur la religion Berbères : Extrait de la revue de l'histoire des religions. Tome 61, 1910, éd. Laroux, Paris, 1910.

8- Bates Oric , The Eastern Lybians (An Essay), éd, Macmilan and

9- Benabou (M), La Résistance Africaine à La Romanisation, éd, Maspero et L'Université de Paris-Sorbonne, paris , 1976.

10- Berthier (A). et l'abbé René charlir, Le Sanctuaire punique d'El hafra à Constantine, Paris, 1955.

11- Berthier (A). et L'A. Charlier (A.B), Le sanctuaire punique d'El-Hofra à Constantine, Arts et métiers graphiques, Paris, 1955.

12- Boardman,(J), Evidence for the Settlements in Cyrenaia, B.S.A, No61, 1966.

13- Boissier (G.), L'Afrique Romaine, promenades archéologiques en Algérie et en Tunisie, Hachette et Cie, Paris, 1895.

14- BUDGE (W.) , The Gods of the Egyptians, Dover Publications, New-York,1969.

15- Cagnât(R), Carthage, Timgad et Tébessa, et les villes antiques de l'Afrique du nord, Paris loveron H.

16- Camps (G),Les Berbères mémoiires et identités, Ed. Errance, Paris, 1995.

17- Camps. (G), Berbères aux marges de l'Histoire, Des Hespérides, Toulouse, 1980.

18- Carcopino (J) , Passion et Politique chez les Césars, Paris, 1958.

19- Chabot (J.B)., Recueil des inscriptions libyques, Paris, imprimerie nationale, 1940.

20- Chevrier (H), une Chapelle de Sésostris a Karnak, Caire,1956.

21- Com. Limited, London,1914.

22- Commaille(A), Les aqueducs des bains et des Thermes dans l'antiquité, Paris.

23- Corneille, Sophonisbe, Scène IV, texte préfacé et annoté par, P.LIÈVRE, Ed. Gallimard, Paris, 1950.

24- Cornelius Nepos, Œuvres de Cornelius Nepos, Texte établi et traduit par, A.M. Guillemin, Ed. Les Belles Lettres, Paris, 1923.

25- dawiya(AL Sa).A, The Greek settlement in Cyrenaica, With notes on Pottery discovered There, Libya in History, By University of Benghazi, 1968.

26- Déceet (F) & Fantar (MH), L'Afrique du nord dans l'antiquité, Paris, Payot, 1981.

27- Décret (F), Carthage ou l'empire de la mer, éd. Du sud, 1977.

28- Diehl (G.H), La civilisation du Magherb romain de la préhistoire à la fin des byzantins, Paris, 2002.

29- Faidherbe, Collection complète des inscriptions Numidiques, Librairie, Franck, Paris, 1870.

30- Fantar (M.H), Carthage la Prestigieuse Cite d'Elissa, Maison Tunisienne de l'Edition 1970.

31- Fantar (MH), Visite de Carthage, Tunisie, Maison tunisienne d'Edition, 1973.

32- Fantar , Carthage, Approch de une civilization, Tom2, Alife le Editions de la Meditrranee, 1998.

33- Fantar ,L'Afrique du Nord dans l'antiquite, histoire et civilisation, payot, Paris, 1980.

34- Ferjaoui (A), Reeherches sur les relation entre L'Orient Phoenicien et Carthage, Ed-Beit Al Hikma, Carthage, Tunisie, 1992.

35- Février(J.G)., Histoire de l'écriture, éd. Payot, Paris, 1948

36- Florus, Abrégé de l'Histoire romaine, Texte traduit par, P.JAL, les Belles Lettres, Paris, 1967.

37- Gaballa Ali Gaballa, Le grand Temple d'Abou Simbel, éd, Conseil Suprème des Antiquités, Le Caire, 2001.

38- Gaid(M.), Les Bérbers dans L'Histoire, TI,Ed, Mimouni, Alger, 1990.

39- Gantier, (E.F), Le Passé de L'Afrique du Nord, Le passé reculé, Coll, « Bibliothèque Historique » . ED. Payot, Paris, 1952.

40- Gautier. (E.F), Le passé de l'Afrique du nord, siècles obscures, Payot, Paris, 1952.

41- Gilbert Et Colette C.P., Daicy Life In Carthage, Traaslated From The Frence By A.G. Feoter, Rusxia House Georgeallea And Unwia Lid, First Published, London, 1968.

42- Goodchild (R), Cyrene and Apollonia Published by the Department of Antiquilies Libyan Arab Republic, 1970.

43- Gras (M) & Rouillard (R) & Texidor (J), l'univers phénicien, Paris, édit Arthaud.

44- Griffith,(J.G.) ,The origine of Osiris and his cult, London,1980.

45- Gros(P) ., L'Architecture Romaine, desciem édition,2002.

46- Gsell (S) , Juba II, Savant et écrivain, revue africaine N° :68, année 1927 nouvelle édition O.P.U Alger, 1986.

47- Gsell (S), H.A.A.N, T :I, librairie Hachette, Paris, 1913.1927.

48- Gsell (S), M'Daouruch, T2, fouilles exécutées par le service des monuments historiques, Carbonel (Alger) et de Bocard, Paris, 1914-1918

49- Gsell(S) , Cherchel antique col Caesara, Alger, sans date.

50- Hachid Malika, Le tassili des Ajjer, (EDIF-Paris méditerranée, 2000.

51- Heurgon (J)., Les origines campagniennes de la confédération cirtéenne,dans libya, T.5,1957.

52- Homo(L), Rome impériale et l'urbanisme dans l'antiquité, édition Albin Michel, Paris, 1951.

53- Hubac (P), Carthage, Ed, Les Belles Maud , Paris, 1952.

54- Kitchen (A.K.), On the princedoms of late Libyan Egypt, CDE 52, 1977.

55- L'Hote (H.) , A la découvert des frésques du Tassili , Arthaud , Paris , 1973.

56- Laronde (A.), Cyrène et la libye hellénistique. Libykai, études d'antiquités africaines. Editions du CNRS. Paris 1997.

57- Laroui (A.), l'histoire du Maghreb , un essai de synthèse , Ed.F. Maspéro , Paris , 1970 .

58- Lassère (J.M), Ubique populus (Peuplements et mouvements de population dans l'Afrique romaine de la chute de Carthage à la fin de la dynastie des Sévères (146 avant J.C-235 après J.C). Paris, C.N.R.S, 1977

59- Le Bohec (Y.), Histoire de l'Afrique Romaine (146 av. J.C.-439 ap. J.C.), 1ére éd., éd. Picard, Paris, 2005.

60- Leveau(Ph), Caesarea de Mauritanie, une Ville romaine et ses campagnes, Collection de l'école Française de Rome, 1984.

61- Louis-Antoine Augustin Pavy, Les Saints de L'Algérie, Imp. Marc Aurel éditeurs, Valence, 1857.

62- Mahdjoubi(A), les cités romaines de Tunisie, Tunis : S.T.D, S.D.

63- Mahdjoubi. (S), Histoire de la Tunisie, Maison Tunisienne d'éditiion, (S.D).

64- Mansour- Vincent, Monteil, Les Berbères aux canaris, Encyclopédie Berbère, Tome II, éd, ESIDUE, Aix-en-Provence, paris,

65- Marrou (H), ST. Augustin et l'afin de la culture antique, éditio Boccard Paris 1937.

66- Mercier (E), Histoire de l'Afrique septentrionale (Berbérie), depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête fraçaise, Tome I, Paris 1888.

67- Mercier (S.A.B) ,The religion of Ancient Egypt, Luzac and Co , London, 1979.

68- Monceausc (Cf), Les Africains, Etudes sur la littérature latine d'Afrique (les paiens) , Lecénce, Oudin et Cie, Editeurs, Paris.

69- Monceaux (P)., Monçeaux Paul, Les Africains, Etudes sur la littérature latine d'Afriques (Les Païens), Lecénce, Oudin et Cie Editeurs, Paris.

70- Morenz (S.),La religion Egyptienne(assai d'interprétation ,Trad. , Jospin (L.) ,Payot, Paris, 1962.

71- Noshy, Arcesilaus III, Libyan in History, By University of Benghazi, 1986.

72- Otto Rossler, Die Numider, Herkunft, Schift, Sparch

73- Péronne, Vincent, Ecall, Charpentier, Barreau (H), Oeuvres Complètes de Saint Augustin, (traduites et annotées en Français, textes de l'édition de bénédictions), Tome IV, lettre XVI, Paris, 1873.

74- Picard (G), Ancient peoples and places, The Phoenicians, London, 1962.

75- Picard (G), Le Monde de Carthage, Paris, édit Corréa Bushet, 1956.

76- Picard (G.CH), La civilisation de l'Afrique Romaine, Ed.plon, Paris, 1959.

77- Piganil. (A), La religion et les mouvements sociaux dans le Magreb antique, Cahier d'Histoire Mondiales, vol. III, 1957.

78- Rachet (Marguerite),Rome et les Berbères (un problème militaire d'Auguste à Dioclétien) éd. , Latomus, Bruxelles, 1970.

79- Ribihini, Sergio, Belifs and Religous life, in Sabation Moscati, The Phoenicians, I.B, Tauris Publisher, London. New York, 2001.

80- Roussel (P.) et J.Hatzfeld, Fouilles de Delos, Inscription dédicae du roi Nikomedes au roi Massinissa, Bull. De Corren, T.XXXIII,1909.

81- Serge lancel, Les moments antiques de L'Algérie, édition mangés, Paris, 2003.

82- Walter (G), La Destruction de Carthage, Ed. Albin Michel, Paris, 1947.

83- Ward-Perkins, J.B, Roman Imperial Architecture, 2nd Edition 1981.

84- Warmington. (B.H), Histoire et civilisation de Carthage, 814-146 Av.J.C, trad. Guillemin. (S.M), Payot, Paris, 1961.

ثالثاً: المجلات والدوريات:

1)- المجلات والدوريات باللغة العربية:

االأعرج واسيني، (أحلام بقرة: العجائبية / التأويل/ التناص)، مجلة آفاق، مجلة اتحاد كتاب المغرب، العدد الأول، 1990م.

1- انطونيو دي فيتا ومارسيلو بناسيا، الثقافة اليونانية والتقاليد المحلية في مقبرة جنزور الغامضة، ترجمة: فاطمة الشريف، مجلة: تاريخ ليبيا/ History OF Libya، ليبيا، يناير 2016م.

2- بشاري محمد الحبيب ، الحياة الأدبية الرومانية ومساهمة الأفارقة في إنعاشها، مجلة عصور، مجلة علمية محكمة، علوم إنسانية تاريخ وحضارة، العدد: 20، منشورات مخبر البحث التاريخي (مصادر وتراجم)، جامعة وهران، الجزائر، جانفي-جوان 2013م.

3- البشباش خليفة علي، مرافعة صبراتة، تر: أنس أبو ميس، مجلة تاريخ ليبيا، العدد، 2015م.

4- بشي إبراهيم العيد، تيهوبار من المراكز الحضارية المجهولة الغنية بالمياه، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الثاني، جوان 2011، الجزائر.

5- بن عبد المومن محمد، قمح بلاد المغرب القديم بين المادة الغذائية والسياسية، دورية كان التاريخية، ع12، 2010م.

6- بن مرزوق عبد الرحمن، مدينة تيمقاد أو تموقادي قديماً، مجلة التراث، مجلة تاريخية أثرية، تصدرها جمعية التاريخ والتراث الأثري بولاية باتنة، العدد 2، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة، الجزائر، 1987م.

7- بودبوز سعيد، الفراعنة الأمازيغ، جريدة أكروا أمازيغ، عدد 239/34، 16 ماي، 2010.

8- بودوارة الصديق، المرأة الليبية في قورينا وسؤال الهوية، مجلة جامعة ابن رشد في هولندا، العدد الثامن، هولندا، آذار مارس 2013م.

9- بوعزم عبد القادر، الحياة في ساحة الفوروم بمدن أفريقيا الشمالية خلال العهد الروماني، مجلة عصور، عدد 16، مخبر البحث التاريخي مصادر وتراجم، وهران، 2010م.

10- الجيراري محمد الطاهر، "شيشنق وتكوين الأسرة الثانية والعشرين في مصر القديمة"، مجلة البحوث التاريخية، ج2، مركز الجهاد الليبي، ليبيا، 1981.

11- حارش محمد الهادي، أصول عبادة أمون في المغرب القديم، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 07، جامعة الجزائر، 1993.

12- حارش محمد الهادي، الجذور التاريخية لمملكة نوميديا، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، العدد: العاشر، القاهرة، دت.
13- رحماني بلقاسم، أثر الاستعمار الروماني في الجوانب الثقافية والاجتماعية في بلاد المغرب القديم، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، مجلة علمية دورية محكمة تصدرها كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة-الجزائر،العدد الثاني، جوان 2009م.
14- سراج أحمد، المرأة في الأسطورة القديمة، أمل التاريخ ـ الثقافة ـ المجتمع، العدد 13-14، الدار البيضاء، 1998.
15- صفاء أحمد عبد السلام، الفسيفساء في ليبيا: دراسة لعوامل التلف وطرق العلاج والترميم، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، القاهرة.
16- عقون محمد العربي، من تداعيات الحرب البونية الأولى على قرطاج ثورة جندها المأجور (241-237 ق.م)، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 21، جوان 2004م.
17- عقون أم الخير، المصادر الدينية المشتركة بين مصر والمغرب القديمين، المؤرخ العربي، عدد 41، جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، 2007م.
18- عقون محمد العربي، ماسينيسا (238-148 ق.م) من كفاحه لاستعادة حقه في العرش الماسيلي إلى بناء الوحدة النوميدية، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة باتنة، العدد 22، جوان 2010م.
19- علاء الدين عبد المحسن شاهين، العلاقات المصرية الليبية في العصور البرونزية من الألف الثالث إلى نهاية الألف الثاني قبل الميلاد، (مجلة)، العدد: 23، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الكويت، 2003.
20- العيساوي مها، مدينة تبسة في العصور القديمة، مجلة التراث، العدد 9، 1997م.
21- العيوض سيدي محمد، مدينة وليلي وأحداث القرن الميلادي الأول، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، العدد 6، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعةابن طفيل، القنيطرة- المغرب، 2006م.
22- غانم محمد الصغير، النقوش الليبية في شمال إفريقيا المصطلح والرموز الكتابية، دار الشؤون الثقافية العامة.

23- غانم محمد الصغير، بعض ملامح الفكر الديني الوثني في بلاد المغرب القديم، مجلة الحوار الفكري، عدد 02، قسنطينة، 2001م.

24- غانم محمد الصغير، علاقة نوميديا بالرومان، مجلة التراث، العدد الثاني،1987م.

25- غانم محمد الصغير، نقيشة ميسيبسا الأثرية، مجلة سيرتا، عدد4، مطبعة البعث، قسنطينة، 1980.

26- فرزات محمد حرب، الديانة الفينيقية وعناصر الميثولوجيا في سوريا القديمة مراجعة لمصادر دراستها وأهم ملامحها، مجلة دراسات تاريخية، العددان 41-42، 1992م.

27- فنطر محمد حسين، اكتشاف حنّون لعالم جديد، تونس أعلام ومعالم، الوكالة القومية للتراث- المعهد الوطني للتراث، مارس 1997م.

28- فنطر محمد حسين، الفرق بين الفينيقيين والبونيقيين، مجلة الفكر، عدد 08، دون دار النشر، ماي 1970م.

29- فنطر محمد حسين، مدينة كركوان مدينة بونية بالوطن القبلي، الحياة الثقافية، مجلة تصدرها وزارة الثقافة بالجمهورية التونيسية، العددان 69-70، 1995م.

30- مسعودي أحمد، التأثيرات الثقافية والاجتماعية للسكان الوافدون على بلاد المغرب القديم، قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية، العدد التجريبي، جامعة تلمسان، ديسمبر، 2008، 181.

31- منصوري خديجة، أصناف النساء ببلاد المغرب القديم من خلال المصادر المادية والمصادر الأدبية، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ع:25، أفريل 2008م.

32- منصوري خديجة، الحمامات ببلاد المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني، التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري قسنطينة، 2001م.

2)- المجلات والدوريات باللغة الأجنبية

1- Basset(H)., Les Influences Puniques chez les Berbères, R.A.,n°62, 1921, O.P.U, Alger

2- Blas de Roblès (J) et (C) sintes , Cités et monuments antiques de L'Algérie, Imprimé en Presse, 2003

3- British Laurence Roger, Romain Narratives, Archéological Dialogues, T :VII, V :II, Archeological Report, London, 2001.

4- Camps (G), L'Aafrique du nord au féminin, Héroïnes du Maghreb et du Sahara, Perrin, Paris, 1992.

5- Camps (G)., Punica Lingua et épigraphie Libyque dans la Numidie D'Hippone, B.A.C.T.H.S., V :23, (1990-1992), éd. Du comité des Travaux hist. Et scien., 1994.

6- Chaker Salem, La situation linguistique dans le Maghreb antique, libyca, Tomes : (28,29), 1980,1981.

7- Chaker Salem, Les études de linguistique Berbère pendant la période Coloniale, libyca, Tomes (30-31), (1982-1983).

8- Chakere Salem et Sléméne Hachi, A propos de l'origine de l'âge de écriture libyco-berbère, éd . Peeters, Paris, 2000.

9- Chaki Mansour, « La répartition des inscriptions libyques » REPPAL, T : IX, éd Institut National du Patrimoine, Tunis, 1995.

10- Cintas (P), Manuel d'archéologie punique, Paris, 1970.

11- Cintas P , Fouille puniques à Tipaza Peuve Africaine 1949.

12- Cintas. (P), Fouille punique à Tipaza, R. Af. N° 416-417, 1948 .

13- Courtois (Ch.), « Saint Augustin et le problème de la survivance de Punique » Rev. Af. T :XCIV, 1950.

14- Fantar (M.H), Les pavements puniques dans les dossiers de l'archéologie, N°31, 1978.

15- Flatter (E.), L'Afrique septentrionale ancienne, R. Afr, 1877.

16- Goodchild, (R.G), Benghazi the story of city, Department of antiquities, Cyrene (Shahat), Cyrenaica, Libya, 2nd Edition, Lamin Hasni's Press.

17- Le Glay. (M), Nouveauté punique, R.Af.N°432-433, 1952.

18- Leglay (M.),Les religions orientales dans l'Afrique ancienne(d'après les collections du Musée de Gsell (S.), éd.,Gov.,gé.,Alger, 1956.

19- Lional Galand , Les Alphabets Libyques, Ant, Afr, T..25, -1989.

20- Masson (O), Grecs et Libyens en Cyrénaïque, d'après les témoignages de l'épigraphie, in Ant.Afr. T.X, 1976.

21- Picard (G.C), Textes et documents relatifs à la vie economique et sociale dans l'empire romains, Paris, 1969.

22- Piganiol (A.) Et Laurent-Vibert (R.), Recherches Archéologiques à Ammaedara (Haidra), M.A.H.,N^{O}.1, Vol.32,1912.

23- Robert (L), Une vision de Perpétue martyre à Carthage en 203, CRAT, 1982.

24- Saton(W) , Le Secteur de la Rapideum sur limes de Mauretanie Cesariame après les fouilles de 1927, dans M.E.F.R, 45, 1928.

25- Winkler (A.), Frontiere méridionale ou limès de l'Afrique propre (Tunisie et Algérie), R.T, 1990.

رابعا: القواميس والمعاجم:

1)- القواميس والمعاجم باللغة العربية:

1- جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، ط1، دار الجنوب للنشر، تونس، 2004م.

2- لطفي العربي، معجم أشهر الفلاسفة، ط1، دار شوقي للنشر،2004.

3- يحي الشهابي، معجم المصطلحات الأثرية، فرنسي-عربي، ط1، مكتبة لبنان، بيروت.

2)- القواميس والمعاجم باللغة الأجنبية:

1- (P).Ripert, Dictionnaire d'archéologie, imprimé en France sur presse, 2002.

2- Dictionnaire de la langue française : Nouvelle édit, Hachette, 1993.

3- Dictionnaire encyclopédique Quilte (L-N), Librairie Aristide Quilet, 278, Boulevard Saint-Germain, Paris, 7, 1977.

4- Gauckler (p)., Opus misirrum dans dictionnaire des antiquités, Grecques et Romaines, Paris, 1916.

5- Guy Rachet, Dictionnaire de la civilisation égyptienne, éd. Larousse, Paris, 2001, P 5.
6- P. Larousse, Larousse illustré , Paris , 1977.

خامساً: الموسوعات والأطالس

1- بكر محمد إبراهيم، موسوعة تاريخ الفراعنة، ج2، ط 1، مركز الراية للنشر والأعلام، 2004م.
2- عادل فرج عبد المسيح، موسوعة آباء الكنيسة، ج2، (كنيسة شمال أفريقيا)، دار الثقافة، القاهرة، 1999م.
3- مجموعة مؤرخين، موسوعة (تاريخنا)، الكتاب الأول، ليبيا من عصور ما قبل التاريخ حتى القرن السابع قبل الميلاد، دار التراث، 1977.
4- الموسوعة العربية الميسرة، تحت إشراف محمد شفيق غبريال، ط2، دار الشعب، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، 1959م.

سادساً: المذكرات والرسائل:

أ)- المذكرات والرسائل باللغة العربية:

1- بشي إبراهيم العيد، البنية الجغرافية والحضارية في الجنوب الشرقي الجزائري تاسيلي- ناجر نموذجاً، أطروحة لنيل دكتوراه دولة في التاريخ القديم، إشراف محمد الصغير غانم، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية (2005-2006).
2- بن السعدي سليمان، علاقات مصر بالمغرب القديم منذ فجر التاريخ حتى القرن السابع قبل الميلاد، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ القديم، إشراف محمد البشير شنيتي، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية:2009/2008.

3- بن علال رضا ، الألعاب في المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، اشراف سعيد دلوم، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، السنة الجامعية 2010-2011م.

4- جراية محمد رشدي، الصحراء الجزائرية خلال العصر الحجري الحديث (6100 ق.م-1000 ق.م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، إشراف عبد العزيز بن لحرش، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية:2007 /2008.

5- حسين عبد العالي، العلاقات الليبية الفرعونية منذ عصر ما قبل الأسرات وحتى بداية حكم الليبيين لمصر، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، إشراف: رجب عبد الحميد الأثرم، جامعة قاريونس، ليبيا.

6- خلايلة إبراهيم خليل، مصادر البحث عن الحضارة الفينيقية البونية في تونس (المصادر التاريخية، المصادر الأثرية – النقائش)، رسالة شهادة الدراسات المعمقة، جامعة تونس الأولى، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 1995م.

7- خنيش عبد الفتاح، التوسع الزراعي في أفريقيا القديمة خلال الفترة الرومانية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، إشراف محمد العربي عقون، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة، السنة الجامعية (2012-2013).

8- عقون محمد العربي، من التاريخ البلدي للجزائر القديمة في العهد الإمبراطوري الأول منذ استيلاء سيتيوس على سيرتا (46 ق.م) إلى أحداث القرن الرابع، دراسة في تاريخ وآثار ونظم سيرتا العتيقة، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ القديم، تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد الصغير غانم، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2004-2005م.

9- العيساوي مها ، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي، أطروحة لنيل دكتوراه دولة في التاريخ القديم، إشراف محمد الصغير غانم، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية (2011-2012).

10- قنديل زايد مصطفى محمد، التعبير عن التعليم في الفن اليوناني والروماني، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الآداب، جامعة طنطا، مصر، 1422هـ/2001م.

ب)– المذكرات والرسائل باللغة الأجنبية

1- Fréderic Colin , Les Lybiens en Egypte (Xve siècle A.C- II siècle A.C- Onomastique et Histoire), V.I, Thèse de Doctorat publée par le site web de la Faculté de Philosophie et lettres de l'Université de Bruxelle, 1996.

سابعاً– أعمال الملتقيات والتظاهرات العلمية:

1– ساحير نصيرة، نشاط يوبا الثاني العلمي، آراء ودراسات في التاريخ والآثار القديمة، أشغال الندوة العلمية بالمدرسة العليا للأساتذة، 24/23 ديسمبر 2011م، مؤسسة كنوز الحكمة، بوزريعة الجزائر، 2012م.

2– علي أحمد شعبان، المثاقفة ودورها في الحراك الفكري في المغرب القديم، أعمال الملتقى الوطني الأول بجامعة معسكر "المدينة والريف في الجزائر القديمة"، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر، 2013م.

3– الفرجاوي أحمد، النساء في قرطاجة من خلال الوثائق النّقائشية، معرض المرأة التونسية عبر العصور، المرسى–تونس، 1997.

4– فنطر محمد حسين، عليسة بين الأسطورة والواقع، معرض المرأة التونسية عبر العصور، المرسى–تونس، 1997.

5– قرندل بن يونس علياء، المرأة البونية إغراء وتأنّق، معرض المرأة التونسية عبر العصور، المرسى–تونس، 1997.

6– قيطوني دحو كلثوم، النصب الكتابية بنوميديا الشرقية، معرض "قرطن– سيرتا والممالك النوميدية"، في إطار تظاهرة قسنطينة عاصمة الثقافة العربية، وزارة الثقافة الجزائرية، الجزائر، من 16 أفريل إلى 31 جويلية 2015م.

7– مجموعة مؤلفين، الجزائر النوميدية، معرض منظم في إطار الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007، المتحف الوطني سيرتا.

8- محمد جمال الدين مختار، العلاقات المغربية المصرية في العصور القديمة، ملتقى العلاقات التاريخية المصرية المغربية رصيد وآفاق، تحت الرعاية السامية للملك الحسن الثاني، دار الثقافة للطباعة والنشر، 1988

9- مفتاح سعيدة ، تأثير الحضارات القديمة في التخطيط العمراني للمدن، آراء ودارسات في التاريخ والآثار القديمة، أشغال الندوة العلمية المنعقدة بالمدرسة العليا للأساتذة، الجزائر، 2011م.

ثامناً: المواقع الالكترونية:

1- جميل حمداوي، الديانة عند الأمازغيين، شبكة الألوكة المتاح على الرابط: www.alukah.net، تاريخ الرفع: 2015/06/08 على الساعة 17.20.

2- موقع مجمع اللغة العربية المصري (arabicacademy.org.eg)

3- منشورات تامنغاست www.tawalt.com

4- مكتبة المصطفى www.al-mostafa. com